
الرسالة القشيرية
دار المنهاج



تأليف

الإمام الأصولي، المحدِّث المفسِّر المربي

زين الإسلام، أبي القاسم

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القُشَيْريّ

الأُسْتُوائيّ النَّيْسابوريّ الشَّافعيّ

رحمه الله تعالى

(٣٧٦ - ٤٦٥ هـ)

عني به

أنس محمد عدنان الشرفاوي

طبعة فريدة محقّقة مخرّجة، اعتمدت على اثنتي عشرة نسخة خطّية

اثنتان منها منقولتان عن أصل عليه خطّ المؤلف، مع الفهارس العامّة

دار المنهاج

الطّبعة الأولى ـ الإصدار الثّاني
١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

اسم الكتاب : الرسالة القشيرية
المؤلف : الإمام القشيري (ت ٤٦٥ هـ)
الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات
موضوع الكتاب : الأخلاق والتزكية
مقاس الكتاب : (٢٤ سم)
تصنيف ديوي الموضوعي : (١٧٠)

عدد الأجزاء : (١)
عدد المجلدات : (١)
نوع الورق : شاموا فاخر
نوع التجليد : مجلّد فني فاخر
عدد الصفحات : (٩٩٢ صفحة)
عدد ألوان الطباعة : لونان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 64 - 8



دار المنهاج

لبنان ـ بيروت

هاتف : 05 806906 ـ فاكس : 05 813906

دار المنهاج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمر سالم باجخيف

وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة

حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392

ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزّعون المعتمدون داخل المملكة العربيّة السّعوديّة

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6570628 ـ 6510421

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5570506 ـ 5273037

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 ـ فاكس 5473939

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 ـ فاكس 8383226

الطائف

مكتبة المزيني

هاتف 7365852

الدمام

مكتبة المتنبي

هاتف 8344946 ـ فاكس 8432794

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 ـ فاكس 4937130

الرياض

مكتبة الرشد

هاتف 2051500 ـ فاكس 2253864

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 ـ فاكس 4656363

الرياض

مكتبة العبيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 ـ فاكس 2011913

الموزّعون المعتمدون خارج المملكة العربيّة السّعوديّة



فيرجن وفروعها في العالم العربي

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة ـ حضرموت
هاتف 417130 ـ فاكس 418130

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق ـ المنامة
هاتف 17272204 ـ فاكس 17256936

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع ـ أبو ظبي
هاتف 5593007 ـ فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري ـ دبي
هاتف 2977766 ـ فاكس 2975556

مكتبة دبي للتوزيع ـ دبي
هاتف 3339998 ـ فاكس 3337800

دولة الكويت

مكتبة دار البيان ـ حَوَلي
تلفكس 22616490 ـ جوال 9952001

دار الضياء للنشر والتوزيع ـ حَوَلي
هاتف 22658180 ـ فاكس 22658180

جمهورية مصر العربية

دار السلام ـ القاهرة
هاتف 22741578 ـ فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز ـ القاهرة
هاتف 25060822 ـ جوال 0122107253

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم ـ بيروت
هاتف 785107 ـ فاكس 786230

مكتبة التمام ـ بيروت
هاتف 707039 ـ جوال 03662783

المملكة المغربية

مكتبة التراث العربي ـ الدار البيضاء
هاتف 0522853562 ـ فاكس 0522854003

دار الأمان ـ الرباط
هاتف 0537723276 ـ فاكس 0537200055

دولة قطر

مكتبة الثقافة ـ الدوحة

هاتف 44421132 ـ فاكس 44421131

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس ـ عمّان

هاتف 4653390 ـ فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم ـ دمشق

هاتف 2235402 ـ فاكس 2242340

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق ـ الموصل

هاتف 7704116177 ـ فانوس 7481732016

جمهورية الجزائر

دار البصائر ـ الجزائر

هاتف 021773627 ـ فاكس 021773625

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160222020

ماليزيا

مكتبة توء كنالي ـ كوالا لمبور

هاتف 00601115726830

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا ـ باريس

هاتف 0148052928 ـ فاكس 0148052997

انكلترا

دار مكة العالمية ـ برمنجهام

هاتف 01217739309 ـ جوال 07533177345

فاكس 01217723600

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد ـ إستانبول

هاتف 02126381633 ـ فاكس 02126381700

الهند

مكتبة الشباب العلمية ـ لكناؤ

هاتف 00919198621671

جميع إصداراتنا متوفرة على



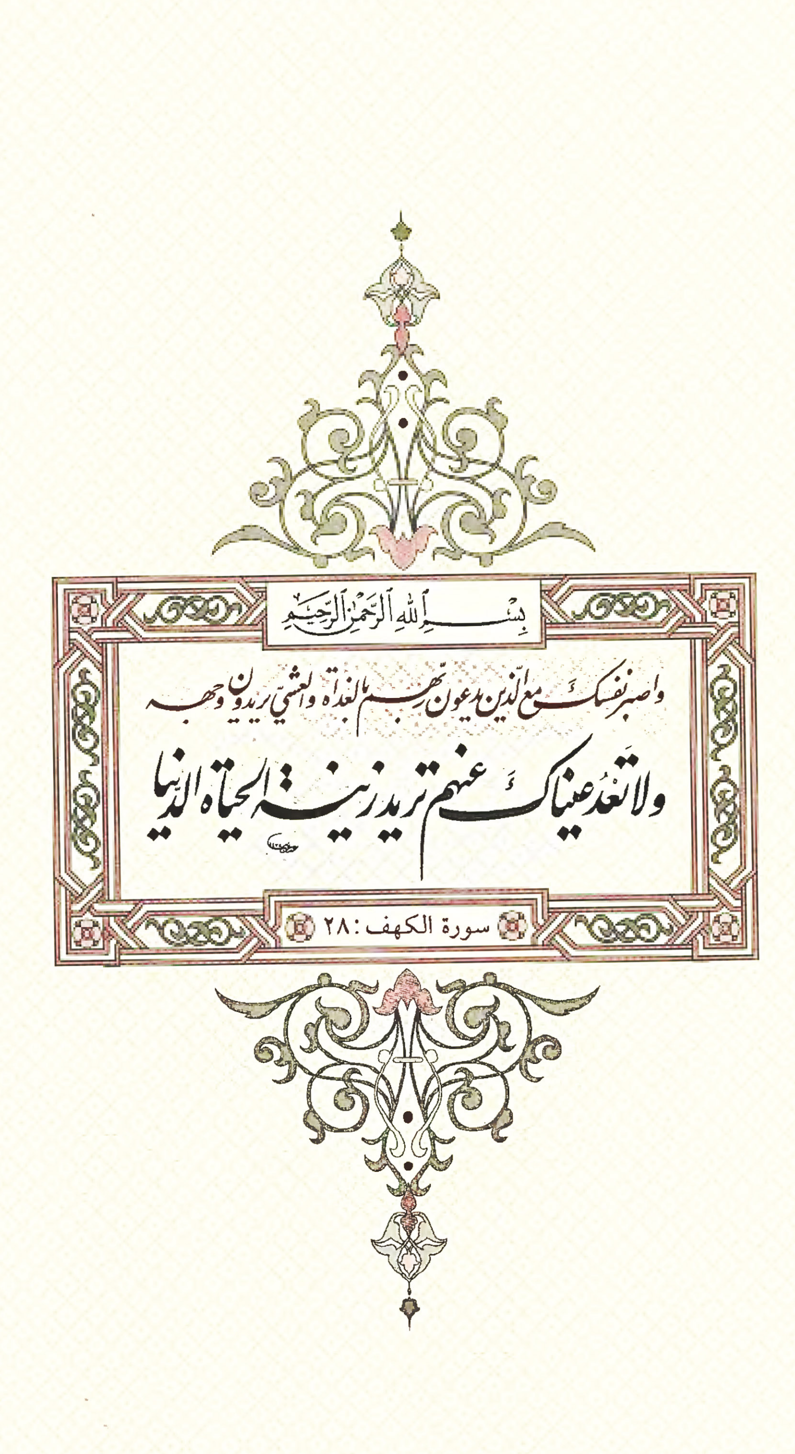
موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

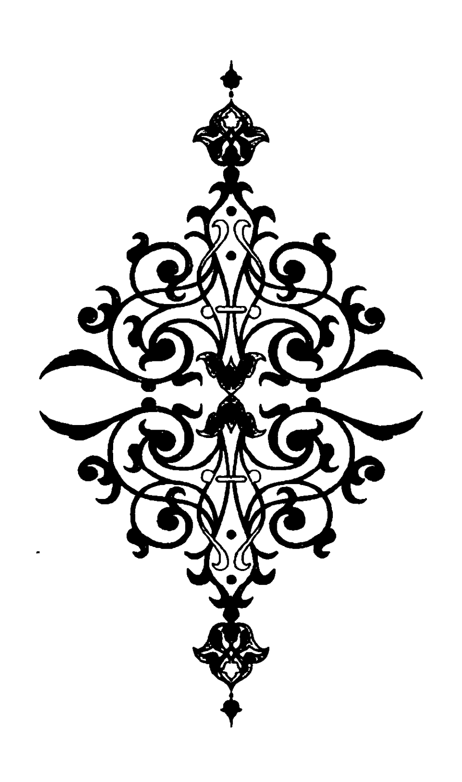
www.nwf.com

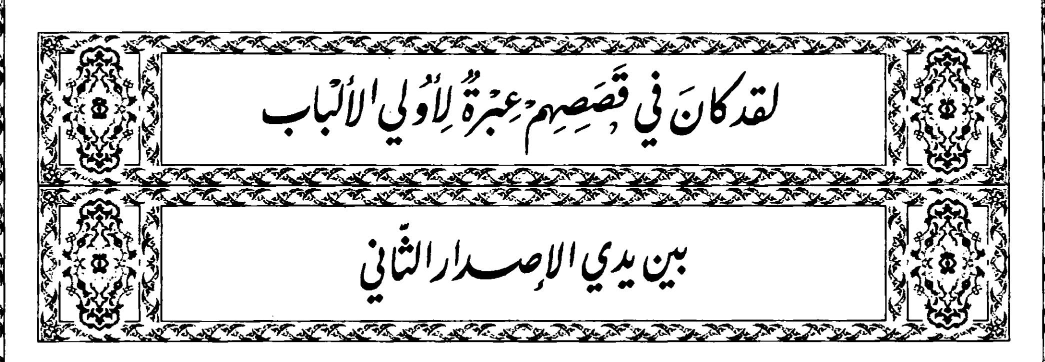


موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

www.furat.com


بسم الله الرحمن الرحيم
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا
سورة الكهف: ٢٨





لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

بين يدي الإصدار الثاني

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدنا محمدٍ رسولِ اللهِ سيِّدِ الأولينَ والآخِرينَ ، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ والاهُ إلىٰ يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فلمَّا كانَ للرسالةِ القشيريةِ مكانةٌ في نفوسِ المحدِّثينَ والفقهاءِ والعلماءِ العارفين ـ فصاحبُ الرسالةِ من جلَّة المحدِّثين الذينَ سعى الأعلامُ للاتصالِ بأسانيدِهِمْ والارتشافِ من مَعِينهم ـ . . حثَّنا ذٰلكَ لتقديمِ مزيدٍ من الخدمةِ والعنايةِ لهٰذِهِ الدُّرةِ النفيسةِ .

وكمَا هوَ معلومٌ فقدِ احتضنَ « الرسالةَ » مِنَ القومِ أجيالٌ وأجيالٌ ، وشادَ بها الأعلامُ النبلاءُ مِنْ كُمَّلِ الرِّجالِ ؛ حتىٰ أصبحَتْ المرجعَ وإليها تشدُّ الرِّحالُ .

كيفَ لا ؛ والمنهلُ العذبُ كثيرُ الزِّحامِ ، ولكلِّ اسمٍ مِنْ مسمَّاهُ نصيبٌ ، والرسالةُ عَلَمٌ يُشارُ إليهِ بِالبَنانِ ، تضمَّنَتْ مقامَ الإحسانِ ، الذي هوَ ثالثُ الأركانِ ، ودستورَ أهلِ العِرْفانِ ؛ لذا كانَ لزاماً أن نقومَ بمزيدٍ من العنايةِ والرِّعايةِ لهٰذا السِّفْرِ النفيسِ .

❀ ❀ ❀

ومن توفيقِ اللهِ تعالىٰ لدارِ المنهاجِ تيسُّرُ الحصولِ علىٰ عدَّةِ نسخٍ نفيسةٍ مميزةٍ لـ « الرسالةِ القشيريةِ » ؛ إحداها منتسخةٌ من مخطوطةٍ عليها خطُّ

المؤلفِ ، حيثُ تفضَّلَ مشكوراً العلامةُ الدكتورُ أحمدُ شوقي بنين مدير الخزانةِ الملكيةِ بالرباطِ بإهدائنا صورةً ملونةً لها ، وذلك أثناءَ رحلةِ الناشرِ المباركةِ إلى المغربِ في شعبانَ سنة (١٤٣٧ هـ) ، فجزاهُ اللهُ عنَّا خيرَ الجزاءِ .

ولا أنسىٰ أن أشكرَ أخانا الفاضلَ : السيدَ خالداً السباعيَّ الذي كانَ له أجرُ الدلالةِ عليها ، باركَ اللهُ فيهِ .

❁ ❁ ❁

وكذلكَ نشكرُ جميعَ مَنْ ساهَمَ ببذلِ النُّسخِ الخطيةِ أو دلَّ عليها ، والشكرُ موصولٌ أيضاً لكلِّ مَنْ شارَكَ بتصحيحِ ومراجعةِ هـٰذا السِّفْرِ المباركِ من طلبةِ العلمِ والفنيينَ ، فجزاهمُ اللهُ خيرَ الجزاءِ .

❁ ❁ ❁

وبحمدِ اللهِ فقَدْ وفَّقنا في هـٰذا الإصدارِ لإعادةِ المقابلةِ علىٰ هـٰذهِ النسخةِ المعتمدة وغيرِها ممَّا يسَّرَهُ الله ومَنَّ به علينا .

كما إنَّهُ وبتوفيقِ اللهِ تعالىٰ تمَّ في هـٰذا الإصدارِ صناعةِ الفهارسِ العلميةِ والفنيةِ المُعينةِ والميسِّرةِ لمزيدِ الاستفادةِ مِنْ هـٰذا الكتابِ المباركِ .

فللهِ وحدَهُ سبحانَهُ وتعالى الحمدُ والشكرُ علىٰ جميعِ ما تفضَّل به وأنعمَ ، ونسألُهُ القَبولَ والنفعَ ؛ إنهُ سميعٌ قريبٌ .

وصلّى الله علىٰ سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبه وسلّم

١٧ رمضان ١٤٣٧ هـ

الناشر

بين يدي الكتاب

بكلِّ ما أنتَ أهلُهُ ربَّنا نحمدُكَ ونثني عليك ، لك نصلِّي ونسجُدُ ، وإليك نسعىٰ ونحفِدُ ، إن تقرَّب العبد منك شبراً . . تقرَّبتَ إليه ذراعاً ، وإن تقرَّب ذراعاً . . تقرَّبتَ إليه باعاً ، وإن أتاك يمشي . . أتيتَه هرولة ، فسبحانك ما أعظم عطاءك !

وصلواتك وتسليماتك البهيَّة ، علىٰ سيدنا محمد خير البريَّة ، من تولَّاه مولاه بالحفظ والرعاية السرمديَّة ، وعلىٰ آله أولي المزيَّة ، وأصحابه النخبة العليَّة .

وبعـد :

فأرخصُ النفوس وأهونُها عند صاحبها . . نفسُ زاهدٍ في الدنيا بحق ، مشتاقٍ للقاء ربِّه بصدق ، عن معرفة ويقين ، وصيانة ودين ، عمرَ قلبَهُ وقبره قبل أن يعمر متجرَهُ وقصره ، يُقضِّي الأيام متململاً من طولها ، صابراً لبلاء مولاه شاكراً لأنعمه ، طوىٰ بين جنبيه قلباً ذاكراً لربِّه ، حسبُهُ من دنياه الكفاف ، ومن الناس العفاف ، فالناس منه في راحة ، ونفسه منه في تعب ونصب .

وقد قال ابن رسلان رحمه الله تعالىٰ في « نظم الزبد » :

مَـــنْ نفسُـــهُ شـــريفةٌ أبيَّـــهْ   يربـــأُ عـــن أمـــورِهِ الدَّنيَّـــهْ
ولـــم يـــزل يجنـــحُ للمعالـــي   يســـهرُ فـــي طِلَابِهَـــا اللَّيالـــي

مثلُ مَنْ هـٰذه النفس الزكيةُ نفسُهُ . . أنَّىٰ للداء العظيم أن ينخر في قلبه ؟! ذاك الداء الذي عمَّ الأمَّة ، رياحُهُ العاتية تصفِرُ في قلوبها ؛ حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت ، الوهن الذي سكن القلوب فنزع من صدور العدو المهابة ،

فتداعت من وراء ذٰلك الأمم تبغي الاستعلاء عليهم وكسر شوكتهم .

❀ ❀ ❀

ثم إن المكتبة الإسلامية علىٰ طول العقود كانت مكتبة متكاملة ، لا يعتورها النقص ، متكاملة في تنوع مادتها ، وتنوع مناهجها ، يدرك أعلامُها قيمة هٰذه الوفرة العلمية ، فلا يعيب فريق فريقاً ، بل ما تقاصرت فيه الخُطا هنا تسارعت هناك ، فللقارئ الجامع والمحدِّث دورٌ وللفقيه الأصولي آخر ، وللمتكلِّم النظَّار مهمة كما أن للباحث في الطبيعي والرياضي أخرىٰ .

ولمكانة هٰذا التكامل العلمي . . جاءت كتب التزكية والتربية والتهذيب حلقة هامة في هٰذه السلاسل الذهبية ، لا تخلو عن واحدة منها ، فالكل مفتقر إليها ؛ لما لها من الدور الهام في صناعة الإخلاص في النفوس ، وحسن التوجه إلى الله تعالىٰ .

❀ ❀ ❀

ومن العجب أن ترىٰ من يتعامىٰ عن هٰذه الحقيقة ، ويحاول أن يطمس الآثار السلفية في هٰذا الميدان ، ناسياً أو متناسياً الكمَّ الهائل من الأجزاء الحديثية الأخلاقية ، والأبواب المفردة في عموم كتب السنة لها ، فيكتفي بجعل الأخلاق حديثاً عارضاً ، متعلِّلاً بما نخر في الكتب التربوية من خرصٍ وافتراء ، وإعجاف وإغراب ، ولهو وعبث ، ومحدثات لا سلف لها . . . إلىٰ غير ذٰلك .

إن الحريَّ بأمناء الأمة من أهل العلم والورع أن يبعثوا بكتب التزكية بيضاء نقية ، فإن شابها شوبٌ . . نبَّهوا عليه ، لا أن تهجر تلك الكتب بالكلية ؛ إذ الأخذ بهٰذه الشُّبَه مدعاة لهدم القيم والأخلاق .

❀ ❀ ❀

واليوم إذ نزُفُّ للمكتبة الإسلامية كتاب « الرسالة القشيرية » للإمام

المحدِّث الهمام عبد الكريم القشيري التي طبقت شهرتها الآفاق ، وأشاد بها أهل الله ؛ حتىٰ قال قائلهم : (فلانٌ من رجال « الرسالة ») ، وقد ذهبت هٰذه الجملة مثلاً . . لتغمرنا فرحة عامرة بما لهٰذا الكتاب من مزايا ، فنحن نُعنىٰ به لأنه إرث ثمين من تراث السلف الصالحين ؛ إذ يتجلَّىٰ فيه الجمع بين مدرستي أهل الأثر وأهل النظر ، فهو ليس من خالص الأجزاء الحديثية في الزهديات والمرقِّقات ونحوها ، بل هو جملة من الآثار والأخبار والأنظار في تفعيل تلك الأثريات في النفوس ؛ إنه كتاب عمل ، وجهد وجد ، وتسابق في الخيرات .

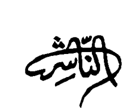
❁ ❁ ❁

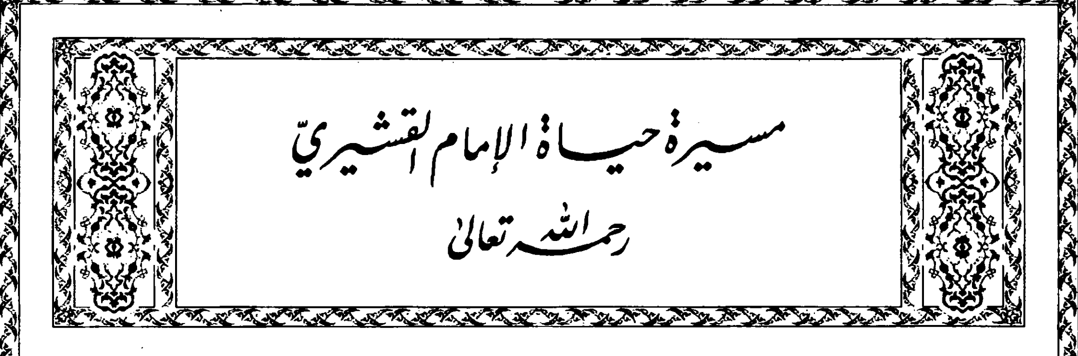
ثم إننا نُعنىٰ به إتماماً للوحة العلمية ، فكانت ثَمَّ كتب فقهية ، وأخرىٰ عقدية ، وهما تمثلان مقامي الإسلام والإيمان ، وهٰذا واحد من الكتب الرائقة التي حكت لنا أحاديث مقام الإحسان ، حتىٰ صار ينعت بكتاب القوم ، الذي صار اسمهم علماً علىٰ هٰذا المقام .

نسأل الله تعالىٰ أن نكون قد وُفِّقنا إلىٰ خدمة هٰذا الكتاب وإخراجه على النحو المرضي ؛ حتىٰ نكون ممن اعتصم بحبل الله المتين ، ومن الموفقين الهادين المهديين ، إنه سبحانه وتعالىٰ خير هادٍ ومعين .

وفي الختام : ونحن في هٰذا العصر المحفوف بالمخاطر ، المملوء بالفتن . . **لَأَحوجُ ما نكون إلىٰ أمثال هٰذه « الرسالة » المباركة ؛ التي يتحقق بها الوسطية والاعتدال ؛** باقتفاء سير هٰؤلاء الأعلام الزهاد ، المشهود لهم في كل ناد

والله الموفق والمعين





اسمه ونسبه

أحدُ مشاهير الدنيا بالفضلِ والعلمِ والزهد ، المتكلِّمُ الأصولي ، والمحدِّث الأثري ، والمفسرُ الأديب النحوي ، المربي الصوفي الرباني ؛ زينُ الإسلام ، الأستاذُ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازنَ بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيريُّ الأُسْتُوائيُّ النيسابوريُّ الشافعيُّ .

والقشـيري نسـبة لبني قُشـير بن كعب ، فهو عربيٌّ صميم ، أجداده من العرب الذين صاروا إلىٰ خراسان وسكنوا نواحيَها ، وأمُّه من بني سُليم (١) .

والأُسْتُوائي نسبة إلىٰ أُسْتُوَا من رساتيق نيسابور .

وزينُ الإسلام لقبُهُ ، وغلبَ عليه لقبُ الأستاذ وأستاذ خراسان بعد وفاة شيخه أبي علي الدقَّاق رضي الله عنه .

مولده ونشأته

وُلدَ الأسـتاذ رضي الله عنه في ربيع الأول سـنة (٣٧٦ هـ) (٢) ، ونشـأ يتيماً ؛ فقد مات أبوه وهو طفل .

وكان للأديب الأريب أبي القاسم عليِّ بن الحسين الأليمانيِّ صِلةٌ بأهله ، فقرأ عليه الأستاذ الأدبَ والعربية .

---

(١) كذا في « الأنساب » (١٠/٤٢٧) ، وخاله أبو عقيل السلمي من وجوه ودهاقين تلك الناحية ؛ كما ذكر الحافظ ابنُ عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ٢٧٢) ، وأُسْتُوَا اليوم : بلدة في بلاد إيران .

(٢) وقد سأله عن مولده الحافظ البغدادي كما في « تاريخه » (١١/٨٣) ، فنصَّ عليه .

والأليمانيُّ هـٰذا من شيوخ أبي منصور الثعالبي صاحب « اليتيمة »[1] ، فلا غروَ أن نرىٰ للأستاذ تلك المسحةَ الأدبية في عامَّةِ كتبه ، وأنه كان يختمُ مجالسَ إملائه بشيء من أبياته[2] .

وكانت نيسابور يومَها عامرةَ بلادِ خراسان وقِبلةَ علمائها ، والقريةُ التي نشأ فيها الأستاذُ كثيرةَ الخراج ، فارتحلَ إلىٰ نيسابورَ عازماً علىٰ تعلُّم الحساب ؛ ليتولَّى الاستيفاءَ بنفسه ويحميَ قريته سوء التقدير في الخراج[3] ، ولم يدرِ ما خَبَأَ له القدر .

وما حطَّ رحالَهُ فيها حتىٰ وافاه بها طالعُ السعد ؛ لتسوقَهُ ألطافُ المولىٰ إلىٰ مجلس الأستاذ المتكلِّم والمربي الرباني أبي علي الدقَّاق رضي الله عنه ، الذي كان إمام عصره ولسانَ وقته ، فشقَّ كلامُهُ شَغافَ قلبِ الفتىٰ أبي القاسم ، ووقع موقعه من نفسه ، وقد كان القشيري يهوىٰ مجالسة أهل الدنيا فزهد فيهم بمصاحبته للأستاذ الدقاق كما ذكر ذٰلك ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ[4] .

ثم إن الأستاذ الدقَّاق أشار عليه بتعلُّم العلم ، فخرجَ إلىٰ درس الإمام الفقيه أبي بكرٍ محمدِ بن بكر الطوسي ، وشرعَ في الفقه حتىٰ فرغ من التعليق ، كما اختلفَ بإشارة أستاذه أيضاً إلىٰ شيخ المعقول وإمام الأصول أبي بكر ابن فُورَك ، فقرأ عليه الأصلينِ حتىٰ برعَ فيهما ، وصار من أوجه تلامذته وأشدِّهم تحقيقاً وضبطاً[5] .

وبعد وفاة الإمام ابن فورك رحمه الله تعالى انتقلَ إلىٰ مجلس الأستاذ أبي إسحاقَ الإسفراييني ، وقعد يسمع جميع دروسه ، وأتىٰ عليه أيامٌ ، فقال له الأستاذُ يوماً : هـٰذا العلم لا يحصلُ بالسماع ! وكان قد توهَّم

---

(١) وترجم له فيها وأورد له بعضاً من أشعاره (٥/٣٠٥) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/١٥٦) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٣/٢٠٦) .

(٤) المنتظم (٩/٥٠٧) .

(٥) تبيين كذب المفتري (ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

فيه عدمَ الضبط ، فما كان من القشيري إلا أن أعاد ما سمعه منه ، وقرَّرَهُ أحسنَ تقرير من غير إخلال ، فعجبَ منه الإسفرايني وعرفَ محلَّه ، وقال : ما كنت أدري أنك بلغتَ هٰذا المحلَّ ! فلست تحتاجُ إلىٰ درسي ، بل يكفيك أن تطالعَ مصنَّفاتي وتنظرَ في طريقي ، وإن أشكلَ عليك شيء . . طالعتني به[1] ، ففعل ذٰلك ، وجمعَ بين طريقته وطريقة ابن فورك ، ثم نظرَ في كتب القاضي أبي بكر الباقلاني ؛ ليتوافر له ما لم يتوافر لغيره ، وهٰذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولم تفته في أيام الطلب روايةُ الحديث ، فجالَ أصقاعَ نيسابورَ يروي ويسمع عن عليةِ المحدِّثين وأعلامهم ، ولهٰذا أيضاً كلامٌ مفرد .

وهو إلىٰ هٰذا كلِّه فارسٌ نبيل شهم ، له في الفروسيَّة علمٌ لا يُشارك فيه ، قال الإمام ابن السبكي : (وكان في علمِ الفروسيَّة واستعمال السلاح وما يتعلَّقُ به من أفرادِ العصر ، وله في ذٰلك الفنِّ دقائقُ وعلومٌ انفردَ بها)[2] .

في رحاب أبي عليّ الدّقّاق رحمه الله تعالىٰ

كان للدقَّاق في حياة القشيري أكبرُ الأثر ؛ فقد جمع الأستاذ إلىٰ علومه الجمَّة حالاً عظيمةً وروحانيةً مهيمنةً أخذت بمجامع قلب القشيري واستولت عليه[3] .

لقد رأى القشيري في أبي عليٍّ الإنسانَ الكامل ، رآه وارثاً نبويّاً ، وإماماً

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ (٥/١٥٦) .

(٣) فالدقاق تفقه بأبي بكر القفَّال وأبي عبد الله الخضري ، وتتلمذ علىٰ تلامذة أبي الحسن الأشعري ، وسمع الحديث من الكشميهني راويةِ البخاري عن الفربري ، وسلك علىٰ يد أبي القاسم النصراباذي ، ومن طريقه لبس الخرقة المشتهرة عند القوم ، ولبسها الأستاذ القشيري من طريقه ، قال عنه ابن قاضي شهبة في « طبقاته » (١٧٨/١) : (وزاد عليه ـ النصراباذي ـ حالاً ومقالاً) ، كما تأثَّر بمحمد بن عمر بن شبويه وكان يميل إليه ؛ فقد كان الشبويي ممن سمع عن الفربري ، وصحب السيَّاري ، وله لسان في كلام القوم .

ربانياً ، فعَلَّ منه ونهَلَ ، وعن إشارته صدر ، بل بلغ في تعظيمه وإجلاله حدّاً يفوق الوصف .

ولنصغِ للإمام القشيري وهو يحدِّثُنا عن هٰذا حين ذكر تعظيمَ الأستاذ الدقّاق لشيخه النصراباذي ، وأنه كان لا يدخلُ عليه إلا وقد اغتسل قبلُ ، قال رضي الله عنه :

(ولم أدخل أنا على الأستاذ أبي علي في وقت بدايتي إلا صائماً ، وكنت أغتسل قبله ، وكنت أحضرُ بابَ مدرسته غير مرة فأرجعُ من الباب احتشاماً منه أن أدخلَ عليه ، فإذا تجاسرت مرة ودخلتُ . . كنت إذا بلغت وسطَ المدرسة يصحبني شبهُ خَدَرٍ ، حتىٰ لو غُرِزَ فيَّ إبرة مثلاً . . لعلي كنت لا أُحِسُّ بها ، ثم إذا قعدتُ لواقعةٍ وقعتْ لي . . لم أحتجْ أن أسألَهُ بلساني عن المسألة ، فكما كنت أجلسُ . . كان يبتدئُ بشرح واقعتي ، وغيرَ مرة رأيت منه هٰذا عِياناً ، وكنت أفكِّرُ في نفسي كثيراً أنه لو بعث الله في وقتي رسولاً إلى الخلق . . هل يمكنني أن أزيدَ من حشمتِهِ علىٰ قلبي فوق ما كان منه رحمه الله ؟ وكان لا يتصوَّرُ لي أن ذٰلك ممكنٌ !

ولا أذكر أني في طولِ اختلافي إلىٰ مجلسه ، ثم كوني معه بعد حصول الوصلةِ . . أنْ جرىٰ في قلبي أو خطرَ ببالي عليه قطُّ اعتراضٌ ، إلىٰ أن خرج رحمه الله من الدنيا)(١) .

وها هو ذا الدقاق يقرأ خواطرَ قلبِ القشيري ، ويتنزَّل له ويرفقُ به غايةَ الرفق .

قال الأستاذ الإمام : (كنتُ في ابتداء وصلتي بالأستاذ أبي علي رضي الله عنه عقدَ لي المجلسَ في مسجد المطرز ، فاستأذنته وقتاً للخروج إلىٰ نَسا ، فأذن لي ، فكنتُ أمشي معه يوماً في طريق مجلسِهِ ، فخطر ببالي : ليته ينوبُ

---

(١) انظر (ص ٦١٥) .

عني في مجالسي أيامَ غيبتي ، فالتفت إليَّ وقال : أنوبُ عنك أيامَ غيبتك في عقد المجالس ! فمشيت قليلاً ، فخطرَ ببالي أنه عليلٌ يشُقُّ عليه أن ينوبَ عني في الأسبوع يومين ، فليتَهُ يقتصرُ علىٰ يوم واحدٍ في الأسبوع ، فالتفت إليَّ وقال : إن لم يمكنِّي في الأسبوع يومين . . أنوبُ عنك في الأسبوع مرة واحدة ، فمشيتُ معه قليلاً ، فخطرَ ببالي شيء ثالثٌ ، فالتفت إليَّ وصرَّحَ بالإخبار عنه على القطع !)[1] .

وبهٰذا ندركُ مدى التعظيم والاحترام والهيبة التي سكنت صدرَ القشيري لشيخه الدقَّاق .

وقد أكثر عنه النقل ، حتىٰ لا نكاد نرىٰ في أبواب « الرسالة » باباً إلا وللدقَّاق كلامٌ فيه .

وقد بادل هٰذا الأب الروحيُّ ولده القشيريَّ بمثل ما كَنَّ له في نفسه ، فصبَّ في حبَّةِ قلبه مكنونَ ما منَّ الله تعالىٰ عليه من مواهبه اللدنية ، وشرح له صدره بالأنوار الربانية ، وسلك به طريق الله ليحظىٰ بجوهرة اليقين ، وزوَّجه درَّتَهَ اليتيمة الطاهرة فاطمة رحمها الله تعالىٰ ؛ لتنجبَ له العبادلةَ الستة ، وكلُّهم أئمةٌ جِلَّةٌ محدثون ، وابنتَهُ كريمةَ الملقبة بـ (أمة الرحيم) ، وهي والدةُ سبطه البارِّ الإمام المحدث المؤرخ عبد الغافر الفارسي صاحب كتاب « السياق في تاريخ نيسابور »[2] .

وفي « الرسالة » خبرٌ لطيف يحكي لنا رقَّةَ الشيخ الدقَّاق ودماثة خُلقه ؛ فقد كان له جارية تسمَّىٰ فيروزَ ، وكان يحبُّها ؛ إذ كانت قد خدمته كثيراً ، فسمعته يقولُ : كانت فيروزُ تؤذيني يوماً وتستطيلُ عليَّ بلسانها ، فقال لها

---

(١) انظر (ص ٥١٧) ، ويذكر الإمام الهجويري في « كشف المحجوب » (ص ٣٧٧) أنه سمع شيخاً يقول : ذهبت يوماً إلىٰ مجلسه ـ يعني : الدقاق ـ وأنا أنوي أن أسأله عن حال المتوكلين ، وكان قد لبس عمامة طبرية حسنة ، فمال إليها قلبي ، وقلت له : أيها الشيخ ؛ ما التوكل ؟ قال : أن تقصر الطمع عن عمائم الناس ! قال هٰذا وألقىٰ إليَّ بالعمامة رضي الله عنه .

(٢) وفيات الأعيان (٣/٢٢٥) .

أبو الحسن القاري : لم تؤذينَ هٰذا الشيخ ؟! فقالت : لأنِّي أحبُّهُ ![1] .

أبو عبد الرحمٰن السُّلَمي رحمه الله تعالىٰ

توفي الأستاذ الدقاق رضي الله عنه والقشيري في الثلاثينات ، وما غادر الحياة حتى اكتحلت عينه بإمامة وريثه أبي القاسم ، فقد أمَّ الأستاذُ القشيري ، وحدَّث في مسجد المطرز في حياته ، بل وألَّف مثل كتاب « التفسير الكبير » علىٰ طريقة عامة المفسرين[2] .

وكان بين الأستاذ الدقاق والإمام العلم المحدث أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي صحبةٌ ومودَّة ، قد طالعها القشيري بعيني رأسه ، وكان رسولاً بينهما ، وكان لا يخلو أيامَ صحبته للدقاق من زيارات للشيخ السلمي ، وكان يجلُّه غايةَ الإجلال ، ولٰكن الدقَّاق بقيَ متربِّعاً علىٰ عرش قلبه إلىٰ أن لقيَ وجه ربه .

بعد هٰذا الفراق المؤلم وجد القشيري ظمأً يحمله على الاستزادة في طريق القوم ، فلزم الشيخ السلمي إلىٰ أن توفاه المولىٰ سنة (٤١٢ هـ)[3] .

وإليك هٰذه الصورة البديعة في تردُّد القشيري بين الشيخين سجَّلها في « رسالته » :

قال الأستاذ : (كنت بين يدي الأستاذ أبي علي رحمه الله يوماً ، فجرىٰ حديث الشيخ أبي عبد الرحمٰن السلمي ، وأنه يقوم في السماع موافقةً للفقراء ، فقال الأستاذُ أبو علي : مثلُهُ في حاله ! لعل السكونَ أولىٰ به .

ثم قال في ذٰلك المجلس : امضِ إليه ، وهو قاعدٌ في بيت كتبه ، وعلىٰ

---

(١) انظر (ص ٦٥٩) .

(٢) وهو المنعوت بـ « التفسير الكبير » ، ألّفه قبل سنة (٤١٠ هـ) .

(٣) ولم تدم تلك الصحبة طويلاً ؛ فكلٌّ من الدقاق والسلمي توفي سنة (٤١٢ هـ) رحمهما الله تعالىٰ ، وذكر بعض المؤرخين أن الدقاق توفي سنة (٤٠٦ هـ) ، وعليه تكون الصحبة التربوية قد امتدَّت ستَّ سنين .

وجهِ الكتب مجلدةٌ حمراء مربعة صغيرة ، فيها أشعار الحسين بن منصور ، فاحمل تلك المجلدة ولا تقلْ له شيئاً وجئني بها .

وكان وقتَ هاجرة ، فدخلت عليه ، فإذا هو في بيت كتبه والمجلدةُ موضوعةٌ بحيث ذكر ! فلما قعدتُ . . أخذَ الشيخ أبو عبد الرحمـٰن في الحديث وقال : كان بعضُ الناس ينكرُ علىٰ أحد من العلماء حركتَهُ في السماع ، فرُئِيَ ذٰلك الإنسان يوماً خالياً في بيت وهو يدورُ كالمتواجد ، فسُئل عن حالِهِ ، فقال : كانت مسألةٌ مشكلة عليَّ ، فتبيَّن لي معناها ، فلم أتمالك من السرور حتىٰ قمتُ أدورُ ، فقيل له : مثلَ هـٰذا يكون حالُهم !

فلما رأيت ما أمرني الأستاذُ أبو علي ووصفَ لي على الوجه الذي قال ، وجرىٰ علىٰ لسان الشيخ أبي عبد الرحمـٰن ما كان قد ذكرَهُ به . . تحيَّرت وقلتُ : كيف أفعلُ بينهما ؟!

ثم أفكرت في نفسي وقلتُ : لا وجهَ إلا الصدق ، فقلت : إن الأستاذ أبا علي وصفَ لي هـٰذه المجلدةَ وقال لي : احملها إلي من غير أن تستأذنَ الشيخَ ، وأنا هو ذا أخافُكَ ، وليس يمكنني مخالفتُهُ ، فأيَّ شيءٍ تأمرُ ؟

فأخرج مُسرَّساً من كلام الحسين وفيه تصنيفٌ له سمَّاه « الصيهور في نقض الدهور » وقال : احملْ هـٰذا إليه وقلْ له : إني أطالعُ تلك المجلدة وأنقل منها أبياتاً إلىٰ مصنفاتي ، فخرجت)[1] .

والمطالع في « الرسالة » سيرى الكم الكبير من المرويات التي أسندها المصنف عن شيخه أبي عبد الرحمـٰن السلمي[2] ، وحجم المشاركة التي كانت بينها وبين مؤلفاته .

---

(١) انظر الخبر (ص ٥٢٠) .

(٢) فهي تربو علىٰ مئة وستين نقلاً ؛ من مرفوع ومقطوع وحكاية وخبر وقول ، وقد وصف الأستاذ القشيري الإمام السلمي بقوله : (نسيج وحده في وقته) ، انظر (ص ٢٣٠) .

مرحلة التّصدّر والعطاء

بعد وفاة الدقاق والسلمي لم يكن الأستاذ ليجدَ حيلةً للانطواء والعزلة ، كيف هٰذا وهو الذي عقد له أشياخُهُ المجالسَ في حياتهم ؟! وأثنوا عليه لما طالعوا بعضَ مؤلفاته ؟![1] .

لقد قام الأستاذ بواجب التربية والتزكية ، والدفاع عن منهج أهل السنة والجماعة والذبِّ عن حياضه ، تدريساً وتأليفاً وتربية .

ومن أشهر ما يذكر في هٰذه المرحلة : رحلتُهُ إلىٰ عاصمة الخلافة يومَها بغداد ، وقد وفد على الخليفة القائم بالله ، فأكرمه ونعَّمَه ، وحجُّهُ إلىٰ بيت الله الحرام ، وتطوافُهُ في بلاد خراسان ، ولٰكن لا بدَّ من ذكر بعض المواقف الهامَّة في هٰذه المرحلة .

شكاية أهل السُّنّة بحكاية ما نالهم من المحنة

هٰذا عنوانُ رسالة رفعَها الأستاذ لولاةِ الأمر ؛ لما رأىٰ من الاضطهاد البالغ لأهل السنة يومئذٍ ، ووجودُ هٰذا لم يكن يعني بحالٍ من الأحوال ضعفَ شوكة أهل السنة ، بل على العكس تماماً ؛ فالمكانة العلمية والجدلية التي تحلَّىٰ بها علماءُ تلك الحقبة كانت سبباً رئيساً في ممارسة أسلوب الضغط القمعي في محاولةٍ لإسكات كلماتهم السابحة في لجَّة البراهين والحجج ، وكان ذٰلك قريباً من سنة (٤٤٥ هـ) ، ويومها طغرل بك هو سلطان تلك الرقعة الإسلامية الواسعة ، ووزيره عميد الملك الكندري هو من أشعل فتيل تلك الفتنة .

يقول الإمام المؤرِّخ ابن الأثير : (كان الوزير عميدُ الملك الكندريُّ قد

---

(١) إذ عيِّن مدرساً في مسجد المطرز يومين في الأسبوع كما سبقت الإشارة إليه في خبر الدقاق ، وتأليفه للتفسير الكبير .

حسَّنَ للسلطان طغرل بك التقدُّم بلعن الرافضة ، فأمره بذٰلك ، فأضافَ إليهم الأشعريَّة ، ولعنَ الجميع ، فلهٰذا فارقَ كثيرٌ من الأئمة بلادهم ؛ مثل إمام الحرمين وأبي القاسم القشيري وغيرهما ، فلما وليَ ألب أرسلان السلطنةَ . . أسقطَ نظامُ الملك ذٰلك جميعَهُ ، وأعادَ العلماءَ إلىٰ أوطانهم)[١] .

وقد رأى الأستاذ واجباً قد لزمه ، وأمانةً يجب أداؤها ، بعدما سمع لعنَ أعلام السنة علىٰ منابر المسلمين ، واللعنُ والشتيمة لغةٌ رخيصة ، يجيدُها كما قال إمامُنا الغزاليُّ كلُّ أحد ، ولٰكنها لا تحقُّ حقاً ولا ترفعُ باطلاً ، بل إنها تمكِّن الباطل فيمن في قلبه مرض ، وتنزع الحقِّ منه .

وقِدْماً قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في بيان منهج ردِّه علىٰ أهل البدع : (إنا لا نكلِّم هٰؤلاء ابتداءً ، ولٰكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوزُ في دينِ الله . . رددنا عليهم بحكم ما فرضَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ علينا من الردِّ علىٰ مخالفي الحقِّ)[٢] .

وقال مالك بن دينار : (لا يزالُ الناسُ بخير ما لم تقعْ هٰذه الأهواءُ في السلطان ؛ هم الذين يذبُّون عن الناس ، فإذا وقعَتْ فيهم . . فمن يذبُّ عنهم ؟!)[٣] .

فانبرى الليثُ القشيري لأداء الأمانة ، فخطَّ هٰذه الرسالة ، وإليك قطعةً منها :

قال الأستاذ : (وممَّا ظهر ببلد نيسابورَ من قضايا التقدير في مفتتح سنة خمس وأربعين وأربع مئة من الهجرة ما دعا أهلَ الدين إلىٰ شقِّ صدور صبرهم ، وكشف قناع ضرِّهم ، بل ظلت الملَّة الحنيفية تشكو غليلَها ، وتبدي

(١) الكامل في التاريخ (٨/٣٥٨) .
(٢) تبيين كذب المفتري (ص ٩٦) .
(٣) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٨/١٦٣) .

عويلَها ، وتنصبُّ غزائرُ رحمة الله علىٰ من يسمعُ شكوَها ، وتصغي ملائكةُ السماء حين تندب شجوها ؛ ذٰلك ممَّا أُحدثَ من لعن إمام الدين ، وسراجِ ذوي اليقين ، محيي السنة ، وقامعِ البدعة ، وناصر الحقِّ ، وناصح الخلق ، الزكيِّ الرضي ، أبي الحسن الأشعري ، قدَّسَ الله روحه ، وسقىٰ بماء الرحمة ضريحه ، وهو الذي ذبَّ عن الدين بأوضح حجج ، وسلكَ في قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبينَ منهج ، واستنفدَ عمرَهُ في النصح عن الحق . . .) إلىٰ آخر ما ذكر رضي الله عنه[1] .

وقد اضطرَّ الأستاذ أن يغادر البلاد ، وكان برفقته يومها الإمام أبو محمد الجويني ، والحافظ أبو بكر البيهقي ، وغيرهما من أعلام أهل العلم .

ولم يكن الغرض من رفع هٰذه الشكاية تأليبَ العامة على السلطان ، بل تنبيهَ السلطان علىٰ خطر وشيك إن لم يدركْ وزيرَهُ المتهوِّر بدينه ودولته ، وقد ألمعَ ابن الجوزي إلىٰ عدم جدوىٰ هٰذه الرسالة التحذيرية ، وهٰذا دليلٌ أكيد علىٰ أن المشاركين في التبليغ والبلاغ إنما هم أهلُ العلم وهيئةُ الحكم .

وبهٰذا نلحظ بعين اليقين أن القشيري آثرَ النصحَ علىٰ عبث الحشوية الذين كانوا في عصره ، واختاروا الهِياجَ بين صفوف العامَّة في إيصال رسائلهم الغاضبة ، والتي يراها قارئُ التاريخ تنتهي دوماً بإرضاء مؤقَّت ، لا غَناءَ فيه ولا نفع .

جيش اللّيل ونظام الملك والمنهج الإصلاحيّ

لمَّا وليَ ألب أرسلان السلطنة . . أسقطَ وزيرَهُ الأمين العادل نظامُ الملك هٰذه الشناعة المرذولة من لعن أعلام السنة ، وأعاد مكانة علمائهم في

---

(١) رواها ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ١٠٩) ، وقد وقَّع علىٰ رسالته هٰذه كبار علماء عصره ؛ كالإمام الصابوني والجويني الكبير والملقاباذي والشاشي وغيرهم ، ويرى الحافظ ابن الجوزي أنه لم تكن ثمَّ ثمرة مرجوة وراء هٰذه الشكاية كما في « المنتظم » (٣٦٨/٩) وقال : (ولو أن القشيري لم يعمل هٰذه الرسالة . . لكان أستر للحال) ، ولٰكن القشيري رحمه الله لم يكن وحده كما رأيت ، وإنما كان لسان القوم .

الظاهر كما هي في الحقيقة (١) ، وكان هٰذا الوزير الصالح مؤمناً بأن الإصلاح والتغيير لا يكون بتغيير الوجوه ، بل بتغيير القلوب ، وهو عين المنهج القشيري ، بل قل إن شئت : المنهج الرباني الذي جاء به سيد الوجود عليه أزكىٰ وأنمى الصلوات والتسليمات .

شكا إليه مرة الملكُ أبو الفتح بن ألب أرسلان النفقاتِ الهائلةَ التي ينفقُها في بناء دور التعليم وأربطة وخانقاهات الصوفية ، وأن هٰذا كثير مقارنة مع ما ينفق على الجيوش وحملة السلاح ، وهم الذين يحمون البلاد والعباد ! فقال له : (جيوشُك الذين تعدُّهم للنوائب إذا احتشدوا . . كافحوا عنك بسيوفٍ طولُها ذراعان ، وقوسٍ لا ينتهي مدىٰ مرماه ثلاثَ مئة ذراع ، وهم مع ذٰلك مستغرقون في المعاصي والخمور ، والملاهي والمزمار والطنبور ، وأنا أقمت لك جيشاً يسمَّىٰ جيشَ الليل ؛ إذا نامت جيوشُك ليلاً . . قامت جيوشُ الليل علىٰ أقدامهم صفوفاً بين يدي ربِّهم ، فأرسلوا دموعَهم ، وأطلقوا بالدعاء ألسنتَهم ، ومدُّوا إلى الله أكفَّهم بالدعاء لك ولجيوشك ، فأنت وجيوشُك في خفارتِهم تعيشون ، وبدعائهم تثبُتون ، وببركتهم تمطرون وترزقون ، تخرقُ سهامُهم إلى السماء السابعة بالدعاء والتضرع) .

---

(١) وكان في غاية الإكرام للأستاذ القشيري ، ولإمام الحرمين الجويني ، فكانا إذا دخلا عليه . . قام وجلس معهما ، وإذا جاء الإمام الفارمذي ـ شيخ إمامنا الغزالي ـ أجلسه مكانه . انظر « الكامل في التاريخ » (ص ٣٥٨) .
والصورة التي تحكي لنا كيف تمَّ نزع الكندريِّ تستحقُّ التأمُّل ، بل هي كرامةٌ بلجاءُ للإمام ، فبينما كان القشيري في الحجّ مع كوكبة العلماء المذكورين والحجُّ يومَها قد ضمَّ أربع مئة قاضٍ . . اختير الأستاذُ باتفاق ليكون خطيباً بينهم ، فصعد المنبر ، وشخصَ في السماء زماناً ، وأطرق زماناً ، ثم قبض علىٰ لحيته وقال : يا أهلَ خراسان ؛ بلادكم بلادكم ، إن الكندري غريمَكم قُطِّعَ إرباً إرباً ، وفُرِّقت أعضاؤه ، وهٰأنا أشاهدُهُ الساعةَ ! وأنشد :

عميـدَ الملـكِ سـاعدَكَ الليالـي ... علـىٰ مـا شـئتَ مـن دركِ المعالـي
فلـم يـكُ منـك شـيءٌ غيـرَ أمـرٍ ... بلعـنِ المسـلمينَ علـى التوالـي
فقابلَـكَ البـلاءُ بمـا تلاقـي ... فـذُقْ مـا تسـتحقُّ مـن الوبـالِ

فضبطَ التاريخُ ، فكان في ذٰلك اليوم بعينه وتلك الساعة بعينها قد أمرَ السلطانُ بأن يقطَّعَ إرباً إرباً ، وأن يُوصلَ إلىٰ كلِّ مكان منه عضوٌ يدفنُ فيه ، ففُعلَ به ذٰلك . انظر « طبقات الشافعية » لابن السبكي (٣/٣٩٤) .

فبكىٰ أبو الفتح بكاءً شديداً ، ثم قالَ : يا أبتِ ؛ شاباش ، يا أبتِ ؛ شاباش ، أكثِرْ لي من هـٰذا الجيش [1] .

إن الأروقة العلمية المسمَّاة بالنظاميات ، والأربطة والزوايا التربوية والروحية التي أَسَّسَها نظامُ الملك . . كانت بلا شك بتوجيهٍ من هـٰذه الثلَّة المباركة ، والقشيريُّ ممَّن أُثرَ عنه هـٰذا ، وسنرىٰ في اللوحة الأخيرة من حياته إلىٰ أين كان مآلُهُ رحمه الله تعالىٰ .

القُشَيْرِيّ الإمام المحدِّث

لا تخفى النزعةُ الحديثية عن مطالع مؤلفات أبي القاسم ، بل إن المتخصصين في علوم النقل يعرفون للأسرة القشيرية ريادتَها وأثرها الباهرَ في المدرسة الأثرية .

وحسبُك بمحدِّثٍ تلمذَ له وروىٰ عنه مثلُ الخطيب البغدادي والشحَّاميينِ والفُراوي ! [2] وكان من جملة زملائه في الطلب الإمام البيهقي .

وقد روىٰ عن أعلام المحدِّثين في عصره وتلمذَ لهم ؛ كالإمام أبي عبد الله الحاكم صاحب « المستدرك » ، وأبي نعيم الأصبهاني صاحب « الحلية » ، وأبي الحسين ابن بشران ، وأبي عبد الرحمـٰن السلمي صاحب « التاريخ » و« الطبقات » وغيرها من التآليف وأكثر من الرواية عنه ، وأبي سعدٍ الخركوشي صاحب « شرف المصطفىٰ » صلى الله عليه وسلم ، وأبي سعد الماليني صاحب « الأربعين في التصوف » ، والمحدث بن المحدث علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي ، وأحمد بن عبيد الصَّفَّار صاحب « المسند » المشهور ، وعبد الله بن

(١) سراج الملوك للإمام الطرطوشي (ص ٤٤٤) ، وشاباش : كلمة فارسية بمعنىٰ : حسن .

(٢) الإمام محمد بن الفضل الفُراوي هو الذي قال فيه عبد الرشيد بن علي الطبري : (الفُراوي ألفُ راوي) ، وكان قد نقش هـٰذا علىٰ خاتمه ، قال فيه ابن السبكي في « طبقاته » (١٦٩/٦) : (أملى الفراوي أكثر من ألف مجلس ، وانفرد بعلو الإسناد مع البصر بالعلم والديانة المتينة) ، والفراوي ممن تربَّىٰ في حجور الصوفية ، وقد خصَّه الحافظ ابن عساكر برحلة لما رأىٰ علو إسناده ووفور علمه ، والشحاميان : زاهرٌ ووجيهٌ ابنا طاهر الشحَّامي .

يوسف الأصبهاني ، ومحمد بن عبد الله الشيرازي ، وأحمد بن محمد بن عمر الخفَّاف ، ومحمد بن أحمد بن عبدوس المكِّي ، وأبي نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرايني ، وعبد الرحمٰن بن إبراهيم بن محمد المزكِّي ، ومحمد ابن الحسين العلوي ، وأبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني ، وغيرهم الكثير .

وروىٰ عن أعلام العلماء الذين لم تشتهر رواياتهم في الحديث ؛ كالإمام أبي بكر ابن فورك ، والأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ، والأستاذ عبد القادر البغدادي الإسفرايني ، وشيخه الأستاذ أبي علي الدقاق وله روايات عالية ، وغيرهم[1] .

وجلُّ هٰؤلاء ممَّن روىٰ لهم في « الرسالة » التي بين يديك .

ثم عُد للأسرة القشيرية لترىٰ أبناء القشيري الستة قد كان لهم قصبُ السبق في هٰذا الميدان[2] ، وقد شُدَّت إليهم مطايا الإبل .

كولده أبي المظفر عبد المنعم ، وهو الذي أجاز الحافظَ ابن الجوزي وعمره تسعون عاماً ، وهو آخر أولاد الأستاذ وفاة[3] ، وكذا ولده أبو النصر عبد الرحيم الذي كان أشبه الناس بأبيه ، وكان إمام الحرمين الجويني يعتدُّ به ويستفرغ أكثر اليوم معه[4] ، وولده أبو سعيد عبد الواحد ، وقد شارك أباه في بعض شيوخه ، وسمع من القاضيين أبي الطيب الطبري وأبي الحسن الماوردي ، وولده أبو منصور عبد الرحمٰن ، وولده أبو سعد عبد الله ، وكان الأستاذ يعامله معاملة الأقران ويحترمه غاية الاحترام ، رضي الله عنهم أجمعين[5] .

---

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٨٣/١١) ، وللزيادة « المنتخب من كتاب السياق » (ص ٣٦٥) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » لابن الصلاح (٥٦٥/٢) .

(٢) وقد ترجم لأغلبهم الإمام ابن السبكي في « طبقاته » ؛ فهم من أعلام الشافعية .

(٣) وله تفسير كأبيه ، وكتب في الفقه ، وهو صاحب كتاب « الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول » .

(٤) وقد استوفى الحظَّ الأوفىٰ في الأصول والتفسير ، وكان يبثُّ السحر بأقلامه كما ذكر الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ٣٠٨) ، وقال : (وقلما كان يخلو مجلسه من إسلام جماعة من أهل الذمة) .

(٥) قال الإمام السمعاني في « الأنساب » (٤٢٧/١٠) : (وأولاده أبو سعد عبد الله ، وأبو سعيد عبد الواحد ، ←

ومن أحفاده تخرَّج عددٌ ؛ منهم هبة الرحمـٰن بن عبد الواحد ، وأبو المكارم عبد الرزاق بن عبد الله ، وأبو محمد عبد الواحد بن عبد الماجد وهو حفيد ولده عبد الواحد ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ .

بل عدا الأمر إلىٰ نساء هـٰذا البيت العريق ؛ فالسيدة الطاهرة فاطمة زوجه ، وأمة الرحيم كريمة ابنته ، وحفيداته أمة الرحمـٰن سارة ، وأمة القاهر جوهرة ، وأمة الله جليلة ، كلُّهن محدِّثات ، وغيرهن أيضاً ، وقل مثل هـٰذا في أصهاره وأسباطه .

ثم الناظر في « الرسالة » يرىٰ بجلاء المنهج الأثري من أبوابها الأولىٰ حتى الأخيرة ، ويرىٰ تفرداته في بعض المرفوعات التي لا إحالةَ في تخريجها إلا علىٰ « رسالته » ، كذا بعض الآثار والأخبار التي صارت « الرسالة » السبيل الوحيد للوقوف عليها ، ولا سيما بعض أخبار معاصريه وشيوخه .

وكتابه « المعراج » خصَّ فيه باباً لإسناد أحاديث هـٰذا الخبر العظيم ، وتفصيل القول فيها[1] ، وأتىٰ بجملتها كالمحيط لأمَّات مروياتها .

وها هو إمام الحفاظ الخطيب البغدادي يجلس تلميذاً في حلقة القشيري ، ويكتب ويحدِّث عنه ، ويستحسن ويستملح كلامه وإشارته ، قال رحمه الله تعالىٰ : (وقدم علينا في سنة ثمان وأربعين وأربع مئة ، وحدَّث ببغداد ، وكتبنا عنه .

وكان ثقة ، وكان يقصُّ ، وكان حسنَ الموعظة ، مليحَ الإشارة ، وكان يعرفُ الأصولَ علىٰ مذهب الأشعري ، والفروعَ علىٰ مذهب الشافعي)[2] .

قال الإمام الحافظ ابن الصلاح : (وعقدَ لنفسه مجلسَ إملاء الحديث سنةَ

وأبو منصور عبد الرحمـٰن ، وأبو نصر عبد الرحيم ، وأبو الفتح عبيد الله ، وأبو المظفر عبد المنعم . . حدَّثوا جميعاً بالكثير) .

(١) انظر « المعراج » (ص ٢٧) ، ويعدُّ كتابه هـٰذا من أجود وأجمع ما أُلِّف في بابه .

(٢) تاريخ بغداد (١١/٨٣) ، وكلمة الخطيب هـٰذه هي فصل الخطاب .

سبعٍ وثلاثين وأربع مئة ، فكان يملي إلىٰ سنة خمسٍ وستين ، ويذنِّبُ أماليَهُ بأشعاره ، وربما تكلَّم على الأحاديث بإشاراته ولطائفه)[1] .

القُشَيْرِيّ الأديب

الشعر كلماتُ القلب تتسلَّل للِّسان دون رقيب من العقل ، هٰذه الكلماتُ وحدَها هي بُنيَّاتُ الفؤاد الطاهرة ، وهي الصدقُ بعينه ؛ فالقلبُ لا يعرف الكذب ، أَوَما قال ربُّنا سبحانه : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ ؟![2] .

ولم يجد أهل القلوب والتزكية مثل هٰذه اللغة للتعبير عن لواعجهم ومواجيدهم ، فلا شاهدَ خيرٌ من بيت شعر يحملُ في طيَّاته سرَّ القلب ، بل سرَّ السرِّ ، فيتغنَّىٰ به اللسان والعيونُ تسفحُ بالعبرات ، وتهتزُّ له الرؤوس وتئنُّ الحناجر ، وتتردَّد الروحُ في جنباتِ هٰذا الجسد الفاني ، فيتمايلُ من حيث لا يدري ، وتبعث فيه ـ رضيَ أو لم يرضَ ـ نفساً جديدة تسمع بغير أُذنه ، وتنظرُ بغير عينه ، وتتكلَّم بغير لسانه ، فلا تعجبْ إن سمعت ساعتَها كلاماً ينعته غيرُ العاشق بالهذيان ، أو رأيت شبحاً يرقص يرمي العاذلُ صاحبَهُ بالتصابي والسَّفه ، وأين هو العقل هٰذه الساعة ؟!

لـو تعلـمُ الـوُرْقُ حنينـي نحوَكـم ... لمزَّقـتْ مـن طـربٍ أطواقَهـا
ولـو يـذوقُ عاذلـي صبابتـي ... صبـا معـي لٰكنَّه مـا ذاقَهـا

هٰذه المعاني يجدها المتبصِّرُ مع كلِّ بيت يرويه أديبُنا القشيري ، فكلُّ بيت شعر في « الرسالة » وغيرها من مؤلفات الأستاذ له قصَّة وحكاية ، سواء كان البيت محكيّاً وهٰذه الحال هي الغالبة ، أو هو له وقد انبسطَ علىٰ لسانه في لحظة نشوة ، يحكي لذَّة وصل أو لوعة هجر ، أو غيرها من تلك اللواتي لا يطَّلع عليها إلا أهلُها ، من مخدَّرات المعاني التي لا تتراءىٰ لغير كُفْئِها .

---

(١) طبقات الفقهاء الشافعية (٢/٥٦٥) .

(٢) سورة النجم : (١١) .

مـن الخفـراتِ البيـضِ ودَّ جليسُـها إذا مـا انتهَـتْ أحدوثـةٌ لـو تعيدُهـا (١)

وقد سبقت الإشارة إلىٰ أن الأستاذ في سن اليفاعة قد قرأ الأدب والعربية علىٰ أبي القاسم الأليماني ، وهٰذا العلَمُ من شيوخ الثعالبي صاحب « اليتيمة » (٢) ، وقد تجلَّت الصنعة الأدبية في تقلُّبات قلم الأستاذ وقراطيسه ، وهنا ملحوظات تجدر الإشارة لها :

فمن ذٰلك : ما نراه من تأثُّرٍ ملحوظ بشعر أبي الطيب المتنبي ، وليس هٰذا وقْفاً على الشيخ القشيري ، بل هو سمةٌ عامَّةٍ أدباء الصوفية ممن جاء بعد أبي الطيب ، وكأن المتنبي كان مستلهم قلوبهم وألسنتهم .

وشيخُ الأستاذ الإمام المحدِّث ابن باكويه الشيرازي ممَّن روىٰ عن المتنبي شفاهاً ؛ ففي « معراج الأستاذ القشيري » يسند عن شيخه الشيرازي للمتنبي :

وكـمْ لظـلامِ الليـلِ عنـدكَ مـن يـدٍ تخبِّـــرُ أنَّ المانويـــةَ تكـــذبُ (٣)

ثم يتابع الأستاذ فيقول : وكان الأستاذ أبو عليٍّ ينشد كثيراً :

الخيـلُ والليـلُ والبيـداءُ تعرفُنـي والحربُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ (٤)

وسترىٰ له أبياتاً يحكيها وهي لأبي الطيب مبثوثة في « الرسالة » وغيرها .

ومنها : أنه حينما ينشد بيتاً أو أبياتاً شاهداً لمعنىً ما فهو كعامَّة الصوفية لا يعنيه ظاهرُ المعنى الذي تحمله الحروف ، ولا يعنيه فيمَنْ قيلَ ولأي غرضٍ أُنشِئ ، وإنما هي استعارةٌ لمكنونات الضمائر ، وقد اتخذها مطايا لحمل مواجيد الفؤاد ، فلا تبتئسْ إن رأيت شعراً لماجن أو عابث ؛ فتارة يجد بغيته عند زاهد متقشِّف فيحكيها ، وتارة لا تسعفه طَلِبته بمثل هٰذا ، والمعاني

(١) أنشده القشيري في « لطائف الإشارات » (٢٨٢/٢) ، والبيت من الطويل ، وهو لكُثيِّر عزة كما في « ديوانه » (ص ١٠٩) .

(٢) تقدم (ص ١٦) .

(٣) المعراج (ص ٧٣) ، والبيت من الطويل ، والمانوية يعتقدون أن الخير من النور ، وها هو ممدوح المتنبي يكذِّب هٰذه الدعوىٰ بأن يرىٰ خيرات يده جارية في الليل كما النهار .

(٤) المعراج (ص ٧٣) ، والبيت من البسيط .

خضم طمطام ، فأنىٰ لأقفاص الكلمات الضيِّقة أن تسعَها ؟! وهـٰذا أمرٌ لا يخفىٰ علىٰ من ألِفَ مطالعة كتب القوم[1] .

ومن ذٰلك : أنه رحمه الله تجلَّت أدبياته في منثوراته ومخاطباته أكثر من أشعاره ؛ فهو قليل الشعر ، لم تروَ له إلا أبيات متناثرة ، منها بيتان في « الرسالة » لعلهما له[2] ، ومن قصرَ الأدبَ على الشعر . . فقد ظلم[3] ، ومن هـٰذا القليل : قوله في تقلُّبات الأحوال[4] :

سقى اللهُ وقتاً كنتُ أخلو بوجهِكُمْ ... وثغرُ الهوىٰ في روضةِ الأُنْسِ ضاحكُ
أقمنا زماناً والعيونُ قريرةٌ ... وأصبحتُ يوماً والجفونُ سوافكُ

ومما رواه له الإمام الرافعي[5] :

الدهرُ ساوَمَني عمري فقلتُ له ... لا بعتُ عمريَ بالدنيا وما فيها
ثم اشتراهُ تفاريقاً بلا ثمنٍ ... تبتْ يدا صفقةٍ قد خابَ شاريها

وقال عصريُّهُ الإمام الباخرزي : وأنشدني لنفسه في رمد الحبيب : [من السريع]

يا مَنْ تشكَّىٰ رمداً مسَّهُ ... لا ترفعِ الشَّكوىٰ إلىٰ خالقِكْ
موجبُ ما مسَّكَ من عارضٍ ... أنَّكَ لم تنظرْ إلىٰ وامقِكْ[6]

وله أيضاً : [من مجزوء الكامل]

الأرضُ أوسعُ رقعةً ... من أنْ يضيقَ بكَ المكانْ
وإذا نبا بكَ منزلٌ ... ويظلُّ يلحقُكَ الهوانْ
فاجعلْ سواهُ معرَّساً ... ومن الزمانِ لكَ الأمانْ

---

(١) وقد أفرد الإمام السراج الطوسي في « اللمع » باباً خاصّاً لأشعار القوم ، وأبلج القول فيه .
(٢) انظر (ص ٤٦٧) ، و« طبقات الشافعية » لابن السبكي (٥/١٦٠) .
(٣) لذا قال الإمام ابن السبكي فيه : (وله في الكتابة طريقة أنيقة رشيقة تُبرىٰ على النظم) . انظر « طبقاته » (٥/١٥٦) .
(٤) انظر « لطائف الإشارات » (٢/٨٨) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٢٠٧) ، وهما من الطويل .
(٥) التدوين في تاريخ قزوين (٣/٢١١) ، وهما من البسيط .
(٦) الوامق : صاحب الحبِّ الطاهر العفيف .

ومن غزلياته الرقيقة ، التي هي الماءُ الزُّلال على الحقيقة : ما أنشدنيه لنفسه : [من الكامل]

قالـوا بثينـةُ لا تفـي بعِداتِهـا ... روحـي فـداءُ عِداتِهـا ومِطالِهـا

إنْ كانَ نَجْـزُ عِداتِهـا مسـتأخراً ... فلقـدْ تشـرَّفْنا بنقـدِ مقالِهـا (١)

ثناء أهل العلم والفضل عليه

قال فيه الإمام الباخرزي : (جامعٌ لأنواع المحاسـن ، تنقادُ له صعابُها ذللَ المراسـن ، فلو قُرِع الصخرُ بسـوط تحذيره .. لذاب ، ولو ارتبط إبليسُ في مجلـس تذكيره .. لتاب ، وله فصلُ الخطاب في فضل النطق المسـتطاب ، ماهرٌ في التكلُّم على مذهب الأشـعري ، خارج في إحاطته بالعلوم عن الحدِّ البشـريّ ، كلماتُهُ كلُّها رضي الله عنه للمسـتفيدين فوائدُ وفرائد ، وعتباتُ منبرِهِ للعارفين وسـائدُ ، ثم إذا عقدَ بين مشايخِ الصوفيَّةِ حبوتَهُ ، ورأوا قربتَهُ من الحـقِّ وخطوتَهُ .. تضاءلوا بين يديه ، وتلاشـوا بالإضافة إليه ، وطواهم بساطُهُ في حواشيه ، وانقسموا بين النظر إليه والتفكُّرِ فيه)(٢) .

وقال فيه سـبطُه الحافظ عبد الغافر الفارسـي : (سيدُ وقته ، وسرُّ الله بين خلقه ، شـيخُ المشـايخ وأسـتاذُ الجماعة ، ومقدَّمُ الطائفة ومقصودُ سالكي الطريقة ، وبندارُ الحقيقة وعينُ السعادة ، وقطبُ السيادة وحقيقةُ الملاحة ، لم يرَ مثلَ نفسه ، ولا رأى الراؤون مثلَهُ في كماله وبراعته)(٣) .

وقال المؤرخ الإمام ابن الأثير : (كان إماماً فقيهاً أصولياً مفسراً كاتباً ، ذا فضائلَ جمَّة)(٤) .

---

(١) دمية القصر (٢/٢٤٦ ـ ٢٤٧) .

(٢) دمية القصر (٢/٢٤٦) .

(٣) نقله الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ٢٧٢) ، والبندار : الحافظ .

(٤) الكامل في التاريخ (٨/٢٤٥) .

وقال الإمام القفطي : (**الإمام مطلقاً** ، المفسِّرُ الأديب النحويُّ ، الكاتبُ الشاعر ، **لسانُ عصره** ، **وسيِّدُ وقته في كل فنٍّ**)[١] .

وقال الإمام الحافظ ابن الصلاح : (وأما الجلوس للتذكير والوعظ ، والقعود بين المريدين ، والجواب عن أسولتهم عن الوقائع . . **فمنه وإليه** ، **أجمع أهل عصره علىٰ أنه عديم النظير فيها** ، **غير مشارك في أساليب التكلم على المسائل** ، وفي تطييب القلوب ، وفي الإشارات اللطيفة المستنبطة من الآيات والأخبار من كلام **المشايخ** ، وفي الرموز الدقيقة ، **وتصانيفه فيها مشهورة**) .

وقال الإمام المؤرخ ابن خلكان : (**كان علَّامةً في** الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف ، **جمعَ بين الشريعة والحقيقة**)[٢] .

وقال علم السنة الإمام ابن السبكي وكلامُهُ خاتمةُ القول : (**الإمامُ مطلقاً** ، **وصاحبُ « الرسالة »** التي سارت مغرباً ومشرقاً ، **والبسالةِ** التي أصبح بها نجمُ سعادته مشرقاً ، **والأصالةِ** التي تجاوز بها فوق الفرقدِ ورَقَىٰ ، **أحد أئمَّة المسلمين** علماً وعملاً ، **وأركانِ الملَّة** فعلاً ومِقْولاً ، إمامُ الأئمة ، **ومُجلِّي ظلماتِ الضلال** المدلهمَّة ، **أحد مَنْ يُقتدىٰ به** في السنة ، **ويتوضَّحُ بكلامه** طرقُ النار وطرقُ الجنة ، **شيخُ** المشايخ ، **وأستاذُ الجماعة** ، ومقدَّمُ الطائفة ، **الجامع بين أشتات العلوم**)[٣] .

الأستاذ القشيري إمام جامع ، بل هو ممَّن اتفقَ أهل السنة علىٰ حبه ، **وأما بعضُ المؤاخذات اليسيرة لبعض عباراتٍ ساقَها عفواً في تآليفه** . . فذاك محطُّ تأمُّل ونظر ، والمستبصر يرىٰ أنها من تلك التي لا يعيا عن فهمِها أولو البصيرة وطاهرو السيرة .

---

(١) إنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة (١٩٣/٢) .
(٢) وفيات الأعيان (٢٠٥/٣) .
(٣) طبقات الشافعية الكبرىٰ (١٥٣/٥) .

مؤلّفاته وإرثه العِلميّ

لقد ترك الأستاذ القشيري رضي الله عنه كتباً حية ، وكم فتحت هٰذه الكتب قلوباً غلفاً ، وآذاناً صماً وعيوناً عمياً ، بل إن كتاب « الرسالة القشيرية » يعتبر دستور أهل السلوك قديماً وحديثاً .

قال الإمام الهجويري في تآليف الأستاذ : (له تصانيفُ نفيسة ، كلُّها محقَّقة ، وقد حفظ الله تعالىٰ حاله ولسانه من الحشو)[١] .

وهٰذه الكلمة الموجزة هي خلاصة وصفِ مؤلفات القشيري رحمه الله تعالىٰ ؛ وهي :

- « الرسالة » التي عُرفت بـ« الرسالة القشيرية » ، وهي التي بين يديك .
- « المعراج » ، ويعدُّ مرجعاً مهمّاً في بابه[٢] .
- « لطائف الإشارات بتفسير القرآن » ، من أجود ما كُتب في التفسير الإشاري ؛ فمثل الأستاذ الإمام علىٰ تبحره ذلَّت له العبارة ، وطاعت له الإشارة ، ولا يخفىٰ أنه سُبق بمثله علىٰ يد شيخه السُّلمي .
- « التحبير في التذكير » ، أو « شرح أسماء الله الحسنىٰ » ، وهو دراسة وتأمُّلات في أسماء الله تعالى الحسنىٰ .
- « ترتيب السلوك في طريق الله تعالىٰ » ، وهو علىٰ جانب من الأهمية ؛ حيث دوَّن فيه تجربته السلوكية علىٰ لسان ناصح خبير .
- « نحو القلوب » الكبير والصغير ، وفيهما ألبس اصطلاحات النحاة اصطلاحات القوم ، بمواءمة لا تكاد تستنكر .

---

(١) كشف المحجوب (ص ٣٨٢) ، والإمام الهجويري معاصرٌ للأستاذ ، ويعدُّ من جملة تلامذة مدرسته ، وقد ترجم له بين ترجمات المتأخرين من الصوفية .

(٢) وقد نسخه المستشرق آربري ، ونشره الفاضل علي حسن عبد القادر سنة (١٩٦٥ م) ، ومعه « المعراج » للبسطامي .

ـ « شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة » ، تقدَّم الحديث عنها[1] .

ـ « التيسير في علم التفسير » ، أو « التفسير الكبير » ، ألَّفه قبل سنة (٤١٠ هـ) ، قال عنه ابن خلكان : (هو من أجود التفاسير)[2] .

ـ « عيون الأجوبة في فنون الأسئلة » ، ذكره ابن الدمياطي في « ذيل تاريخ بغداد »[3] .

ـ « الجواهر » ، وكتاب « أدب الصوفية » ، وكتاب « أحكام السماع » ، وكتاب « المنتهىٰ في نكت أولي النهىٰ » ، وكتاب « المناجاة » ، وكتاب « الأربعين في الحديث » ، ذكرها ابن السبكي[4] .

وممَّا اشتُهر عنه وتذكره كتب فهارس المؤلفات والمخطوطات ويحتاج إلىٰ تأمُّل : « منثور الخطاب في مشهور الأبواب » ويعرف بـ « القصيدة الصوفية » ، و« فصل الخطاب في فضل النطق المستطاب » ، و« مدارج الإخلاص » ، و« ناسخ الحديث ومنسوخه » ، و« استفادات المرادات » وهو في شرح أسماء الله تعالى الحسنىٰ أيضاً ، و« الفصول في الأصول » ، و« حياة الأرواح والدليل إلىٰ طريق الصلاح » ، و« عقد الجواهر ونور البصائر في فضيلة الذكر والذاكر » ، و« اللمع في الاعتقاد » ، وكتاب في « المقامات والأدب » ، و« الحقائق والرقائق » ، و« كنز اليواقيت » .

اللّوحة الأخيرة من حياته

تسعون عاماً قضاها الإمام القشيري عالماً عاملاً ، وعابداً متبتلاً ، إلىٰ أن

---

(١) انظر (ص ٢٣) ، وقد أوردها مع فتوىٰ للأستاذ ابنُ السبكي في « طبقاته » ، وما ذُكر من كتبه إلىٰ هنا كلها مطبوع .
(٢) وفيات الأعيان (٢٠٦/٣) .
(٣) ذيل تاريخ بغداد (١٩٢/٢١) .
(٤) طبقات الشافعية (١٥٩/٥) .

نزل به قدرُ الله ، فمرضَ ، ولم يمنعه مرضُهُ هٰذا من ركعة كان يركعها قبلُ قائماً ، بل بقي ـ كما قال ابن السبكي ـ يصلِّي قائماً إلىٰ أن توفي صبيحة يوم الأحد ، السادس عشر من شهر ربيع الآخر ، سنة (٤٦٥ هـ) ، ليدفنَ في مدرسته في نيسابور عند أقدام شيخه الحبيب أبي علي الدقَّاق رضي الله تعالىٰ عنهما وأرضاهما[1] .

وكان من عجيب أخباره وإجلاله : أنه بعد وفاته لم يدخل أحدٌ من أولاده بيتَهُ ، ولا مسَّ ثيابه ولا كتبه إلا بعد سنين ؛ احتراماً له وتعظيماً !!

ومن عجيب ما وقعَ : أن الفرسَ التي كان يركبُها كانت قد أُهديت إليه ، فركبَها عشرين سنة لم يركبْ غيرها ، فذُكر أنها لم تعلفْ بعد وفاته ، فماتت بعد أسبوع !![2] .

روَّى الإلٰهُ ضريحَهُ بوابل رحماته ، وأعادَ علينا من بركاته ، وجزاهُ عن أمَّة الحبيب المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام خيرَ ما جازىٰ إماماً من أئمة شريعته ، وحملة لواء هديه ، وحشرنا في معيته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولٰئك رفيقاً ؛ بمحض الفضل والمنة ؛ إنه سبحانه خيرُ من سُئل ، وخيرُ من أجاب ، وإليه المرجعُ والمآب ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/١٥٩) ، وفي « المنتظم » (٩/ ٥٠٧) أنه توفي في شهر رجب .

(٢) انظر « المنتظم » (٩/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) .

قال الإمام ابن السبكي رحمه الله تعالىٰ : (من تصانيف الأستاذ : « الرسالة » ، المشهورة المباركة ، التي قيل : ما تكونُ في بيتٍ ويُنكَبُ)[1] .

وقال الإمام المحقق ابن حجر الهيتمي : (هي أعظم كتب السادة الصوفية قدَّس الله أرواحهم)[2] .

تربَّعت « الرسالة القشيرية » علىٰ عرش مؤلفات الأستاذ الإمام ، فعُرفت به وعُرف بها ، وصار من شأنها أن يُعرَّف بها الأعلام أيضاً ، حتىٰ شاع علىٰ لسان العلماء : (فلانٌ من رجال « الرسالة »)[3] ، وقد تناقلتها المكتبات جيلاً بعد جيل ، وازدانت بها خزانات العلماء الأعلام ، وانعقدت لأجلها حلقاتُ العلم والذكر ، وسما ذكرُها حتىٰ صارت كتابَ القوم[4] .

لِمَ دُوِّنَت « الرّسالة » ، ولمن ؟

صوَّر الأستاذ القشيريُّ في مطلع « رسالته » الحالةَ المؤلمة التي وصل إليها حال الصوفية والتصوف في عصره ، وبيَّنَ أن غيرتَهُ الشديدةَ لأنْ يُمسَّ هٰذا المنهجُ الرباني الذي جمع بين العلم والعمل والحال . . كان هو الدافع الرئيس في تدوين هٰذه « الرسالة » وبثِّها إلىٰ أبناء الطريق ؛ ليقتفوا ما كان عليه أسلافهم ، لذا نرىٰ من أسمائها : « الرسالة إلى الصوفية »[5] .

---

(١) طبقات الشافعية (٥/١٥٩) .

(٢) الخيرات الحسان (ص ١٠٦) .

(٣) ومعنىٰ هٰذه العبارة : أنه إما ممن ترجم له الإمام في « رسالته » ، أو ممن ذكر له قولاً أو خبراً .

(٤) ورواها بسنده عن الأستاذ جماعة من أعلام العلماء ، منهم الحافظ العلائي كما في « إثارة الفوائد » (١/٣٧٣) ، والحافظ ابن حجر العسقلاني كما في « المعجم المفهرس » (ص ١٨٥) .

(٥) كما ورد في « إثارة الفوائد » للحافظ العلائي ، وورد علىٰ ظهور بعض نسخها .

ومن نصوص الإمام قوله رضي الله عنه : (ولمَّا طالَ الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوَّحت ببعضه من هٰذه القصة ، وكنت لا أبسطُ إلىٰ هٰذه الغاية لسانَ الإنكار ؛ غيرةً علىٰ هٰذه الطريقة أن يُذكرَ أهلُها بسوء ، أو يجدَ مخالفٌ لثلبهم مساغاً ؛ إذ البلوىٰ في هٰذه الديار بالمخالفين لهٰذه الطريقة والمنكرين عليها شديد . . .[1] ، ولمَّا أبى الوقتُ إلا استصعاباً ، وأكثرُ أهلِ العصر بهٰذه الديار إلا تمادياً فيما اعتادوه ، واغتراراً بما ارتادوه . . أشفقتُ على القلوب أن تحسبَ أن هٰذا الأمر علىٰ هٰذه الجملة بُنيَ قواعدُهُ ، وعلىٰ هٰذا النحو سار سلفه ، فعلَّقت هٰذه « الرسالةَ » إليكم . . .)[2] .

وهنا تبرز الحيويَّةُ في نقد الفكر الصوفي ، لا بمعنى التغيير في ثوابته وحقائقه ، بل في تجلية ما نزلَ ممَّا لم يكن قبلُ ، وتبيينِ ما أصابه من عَوار ليجتنب ، وما حلَّ في أهله من أدواءَ لتعالجَ بما يلائمُها من دواء .

والانتكاسُ الذي صوَّره المصنفُ لا يعني ـ كما يفهم بعضُ المنتقدين ـ قبحَ السيرة وسوءَ السريرة ، بل هو حالةٌ عارضة لكلِّ مناحي الشريعة ، قُلْ مثلَهُ في حقِّ الفقهاء والمحدِّثين وعامة أهل العلم[3] ، ثم الواجب علىٰ أئمة كلِّ فريق النصح والإعذار ، والتقويم والإصلاح ؛ فالمؤمن مرآة المؤمن ، ورحم الله آمرأً أهدىٰ إليَّ عيوبي ؛ كما قال الفاروق رضي الله عنه .

---

(١) واليوم كالأمس ، وتجدر الإشارة إلىٰ حذر الأستاذ القشيري أن يُعرض نقدُ التصوف أمام المخالفين ؛ فمثل هٰذا مما يقوي شوكة المخالف ، ويورث الريبة للمحالف ، وهٰذا أمر لا يُتنبَّه له اليوم ، فالنقدُ والتوجيه لأرباب هٰذه المدارس لا يكون إلا علىٰ يدِ غيورٍ على القوم ، حريصٍ علىٰ تسديد الخُطا ، وإصلاحِ الخَطا ؛ فالغاية التقويم والتبصير ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

(٢) انظر (ص ٨٢) .

(٣) فنذكر هنا حال الفقهاء التي صوَّرها حجة الإسلام في « إحيائه » ، كيف صار الفقيه يتحذلق ويشطُّ ، ويسوِّغ لأهل الدنيا ما لا يسوغُ في دين الله تعالىٰ ، وكيف صارت همَّة المحدثين متجهة نحو العلو والإغراب ، والتباهي بكثرة الرواية دون فقهٍ بالدراية ، ومع هٰذا ظلَّ المخلصون من كل فريق حملةً للعلم ، يؤدُّونه علىٰ وجهه ، فلمَ يأبى البعض أن يصاب أهل الطريق بما ألمَّ بذاك الفريق ؟!

ماذا في «الرسالة»؟

تميَّزت « الرسالة » بمادة علمية تفرَّد بها الإمامُ القشيري[1] ، وقد تعدىٰ هٰذا إلىٰ بعض الأحاديث المرفوعة علىٰ صاحبها أفضلُ الصلوات والتسليمات ؛ فقد روىٰ قرابةَ مئة خبر مرفوع نجد آحاداً منها لا روايةَ لها إلا عند الإمام ، ولا يعنينا هنا كونُ هٰذه الرواية متكلَّماً فيها من حيث القبولُ والرد ؛ فهٰذا يترك لكتب الدراية ، وقُلْ مثلَ هٰذا في بعض الآثار والأخبار ، والحكايا والقصص والأقوال ، ولا سيما رجال الفترة التي عاش فيها الإمام .

كما حفظت لنا « الرسالة » الكثيرَ من أقوال وأخبار الشيخ أبي علي الدقاق رضي الله عنه ، وأقوال شيوخه ، ووثَّقت لنا نصوصاً متفرقة أو مفقودة في كتب التصوف قبل الإمام القشيري ؛ ككتاب « اللمع » لأبي نصر السراج الطوسي ، وكتب الإمام أبي عبد الرحمٰن السلمي وعلىٰ رأسها « الطبقات » و« التاريخ » ، وكتاب « تهذيب الأسرار » للإمام أبي سعد الخركوشي ، وكتاب « بهجة الأسرار » لابن جهضم ، وكتاب « النسَّاك » لأبي منصور الأصبهاني ، وغيرها من كتب الزهد والرقائق[2] .

كما عرض الإمام فيها لترجمة ثلاثة وثمانين علَماً من رجالات الصوفية ، وهو وإن شارك شيخه السلمي في كثير من ترجماتهم إلا أنه زاد وأفاد ، وترجم لبعض من أُهملت ترجمتهم لسبب ما ، ولا سيما شيوخه وشيوخ طبقته[3] .

وقد عرض لبعض القضايا الكبيرة التي تُنوقلت عنه ؛ كحديثه عن محنة

---

(١) حتىٰ إنه قد نقل الحافظ ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٢/٥٦٥) عن السمعاني أنه قال : (كل من أتىٰ بعده بنكتة وأعجوبة في علم التصوف . . فهو مسروق من كلامه) .

(٢) وغالباً يذكر السراج باسمه : عبد الله بن علي التميمي ، وهٰذه الكتب التي ذُكرت هي من أهم وأبرز مراجع الأستاذ في هٰذه « الرسالة » المباركة ، أضف إليها كتب أبي نعيم الأصبهاني وعلىٰ رأسها « الحلية » .

(٣) وقد ذكر سبب إيراده لهٰذه الترجمات ، انظر (ص ١٠٠) .

الصوفية علىٰ يد غلام خليل ، وترجمته ونقله الإيجابي لأقوال ابن يزدانيار الصوفي الذي وقع الخلاف فيه عند الصوفية ، حتىٰ نرىٰ إماماً كالسراج الطوسي في « اللمع » ينال من طريقته ويغمز فيه ، فصار في إدخال الإمام له ضمن رجال « الرسالة » اعتبارٌ له مكانته عند المؤرخين ؛ بل صار من ترجم لهم ممن جاوزوا القنطرة ، ومثل هـٰذا في نقله الذي شابَهُ شيءٌ من الحياء عن الحسين بن منصور الحلّاج ، حيث أكثر من إيراد أقواله دون ترجمته والتصريح بلقبه ، ولهـٰذا أهمية كبرىٰ يقدِّرها الباحثون في حال الحلاج ، بل في « الرسالة » أن كلّاً من الدقّاق والسلمي كان معتقداً فيه(١) .

أضف إلىٰ ما ذُكر معالجته لكبريات قضايا التصوف بطريقة بديعة مبتكرة ؛ فقد افتتح « رسالته » بمبحث عقدي كان قد أقلقه ؛ وهو اعتقاد القوم بمولاهم سبحانه وتعالىٰ ، وما هم عليه من سلامة الاعتقاد ، وكما وقع في الخبر : « لا تحمدوا إسلامَ المرءِ حتىٰ تعرفوا عقدة رأيه » ، فقبل الحديث عن كثرة العبادات والزهد ومجاهدة النفوس . . كان لا بدَّ من هـٰذا البيان الخطير ؛ فالقوم في العبادات قد شاركهم غيرهم ، ولذا لا تعجب عندما يورد الأستاذ خبراً عن صيام وقيام بعض غير المسلمين ؛ فهـٰذه أمور لا تعتبر إلا بعد سلامة الاعتقاد ، بل نرىٰ كثيراً من الخوارج والكرَّامية وعلىٰ رأسهم شيخُهم ابن كرَّام من كبار أهل الزهد والذكر ، ولـٰكن العبرة بتصحيح الأصول التي هي أول الفرائض ، وكم اغترَّ بأمثال هـٰؤلاء أناسٌ كان مصيرهم إلىٰ ما صاروا إليه !

ومن ذٰلك : إلحاحه الدؤوب علىٰ تزكية أهل الطريق وسلامة الصدر

---

(١) وورد في « الرسالة » عفواً اسم كتاب للحلاج هو « الصيهور في نقض الدهور » ، ولا بد من تسجيل كلمة للإمام الهجويري انفرد بها وغابت عن كتب الترجمات ؛ حيث ذكر في « كشف المحجوب » (ص ٣٦٢) أن الحلاج الذي امتدحه القشيري وغيره من أئمة التصوف ليس هو الحلاج الذي قُتل بتهمة الزندقة ، بل تطابق الاسمان عفواً ، وهـٰذا الرأي سواء صحَّ ـ والاحتمال العقلي والعادي لا يمنعه ـ أو لا . . يبيِّن لنا أن القوم عابوا علىٰ ما يستحق العيب ، وأثنوا علىٰ ما يستحق الثناء ، دون التفات للرجال .

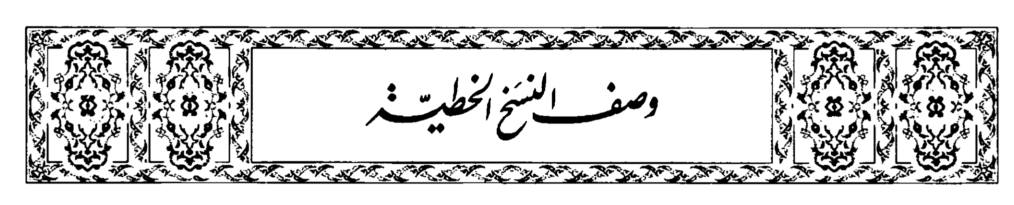
نحوهم ، وعدم الاكتراث بالأخبار المغرضة في محاولة تشويه صورتهم في نفوس السامعين ؛ فقد وُصِفَ سيدهم وإمامهم صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر وأنه مجنون وغير ذٰلك فداه أبي وأمي ، ومن مقتضيات الوراثة له صلى الله عليه وسلم حصولُ مثل ذٰلك ، فهٰؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم علىٰ نهجه النبوي المبارك .

ومن ذٰلك : حديثه الماتع الطاهر عن تربية المريد وتوصيته ، وهٰذا حديث له شجىً في النفس ؛ فالشريحةُ العظمى اليوم لا تجد ذاك الوريثَ الربانيَّ لتصغي إلىٰ حديث الأدب معه وامتثال أمره ، ولٰكن ألطاف الله كثيرة ، ولعلَّ الله تعالىٰ يمنُّ على الصادقين بمن يأخذ بأيديهم ليحظَوا بجوهرة اليقين .

أضف إلىٰ هٰذا الترتيب البديع لـ « الرسالة » ؛ فتقديمُ ترجمات الشيوخ ، ثم الكلام علىٰ مصطلحات القوم ، ثم تفريع القول في المقامات والأحوال . . لم يكن محض اتفاق ، بل لا تخفىٰ حِكَمُهُ عند أدنىٰ تأمُّل (١) .

* * *

(١) لهٰذا كله كانت « الرسالة » علماً على القشيري ، قال فيه الحافظ الفقيه أبو عمرو ابن الصلاح في « طبقات الشافعية » (٥٦٢/٢) : (صاحب « الرسالة إلى الصوفية » السائرة في أقطار الأرض) ، ويرى الفاضل إبراهيم البسيوني أن القشيري ظُلم يوم عُرف بها ، وأنها ليست هي ألمع كتبه ، بل تفسيره الإشاري « لطائف الإشارات » هو الكتاب الذي كان يجب أن يُعرف به ، ويعلل هٰذا بأن « الرسالة » سُبقت بكتب مشابهة ، خلافاً لـ « اللطائف » ، ولا يخلو هٰذا الكلام عن نوع مبالغة ؛ فسبقُها بكتب الطوسي والسلمي وغيرهما ما كان لينقص من قيمتها العلمية ، ثم « اللطائف » مسبوق بـ « تفسير شيخه السلمي الإشاري » ، ثم إن التفسير الإشاري نوع تأملات تعين في السير ، لا منهج تربوي سلوكي ، وعلىٰ أي حال في القضية بحبوحةٌ وسعة .



وصف النسخ الخطية

مجمل النسخ التي تم اعتمادها في الإصدار الثاني لهٰذا الكتاب الفذِّ المبارك اثنتا عشرة نسخة ؛ خمسٌ منها رئيسة ، قوبلت مقابلة تامَّة ومفصَّلة ، وهي تمثل النص الذي بين أيدينا ، ونعتت بالأصول ، وسبعٌ منها كانت عوناً ومسانداً ؛ قد وقعت منها إفادات كثيرة ، وبعضُها لمجرَّدِ التأنيس ، غير أنه مدَّ يد العون في ضبط مشكل وإيضاح مغمض ، والكل مساهم في إخراج نصِّ « الرسالة » تركن له النفوس ؛ فثَمَّ مواطن يسيرة قد تصحَّف فيها مطبوع الأمس ، فضلاً عن التحريف المتعمَّد الذي اصطنع اليوم .

وهٰذه النسخ هي :

الأولىٰ : نسخة مكتبة داماد إبراهيم باشا بإستنبول ، برقم (٧٣٩) ، وهي نسخة شبه تامَّة ، قريبة العهد من الأستاذ المصنف ومتصلة الأسانيد به ؛ إذ تمَّ نسخها سنة (٤٨٨ هـ) ، ونصوصها تكاد تطابق الأصول المسندة في عموم كتب الرواية ، وحقَّ لها أن تكون النسخة الأم ، وقد كتبت بخط نسخي معتاد ، ووقع فيها سقط يسير استدرك من أخواتها .

وقد جاءت عُنْوانةُ الكتاب على الورقة الأولىٰ منها بقلم مغاير ، وقد كتب : (هٰذا كتاب « الرسالة » للشيخ الإمام جمال الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله ورضي عنه) ، وتلقيب المصنف بـ (جمال الإسلام) جاء من خاتمة النسخة ، وإنما لقبُ الإمام القشيري هو (زين الإسلام) عند كل من ترجم له ، وكذا وقعت عُنْوانةٌ وسط الصفحة كأعلاها ، مع بعض التملُّكات ، وبعض الإشارات لفوائد ضمن الكتاب .

كما ختمت هـٰذه النسخة النفيسة ببعض السماعات أثبتت آخرَ الكتاب مع أخواتها ، فتطالعُ هناك ، ووقعت في (٢١٨) ورقة .

ورُمز لها بـ (أ) .

❁ ❁ ❁

الثانية : نسخة قره چلبي زاده بإستنبول ، برقم (٢١٧) ، وهي نسخة تامة ، رفيعة السند ، رواها ـ كاتباً بيده ـ بالسماع سنة (٦٠٤ هـ) : أبو الفتح محمد بن بَدَلِ التبريزي ، عن والده الإمام المحدث المفيد أبي الخير بدل بن أبي المعمر التبريزي ، عن الإمام أبي سعد عبد الله بن عمر بن أحمد الصفَّار ، عن جدِّه لأمِّه أبي النصر عبد الرحيم بن الأستاذ المصنف عبد الكريم القشيري ، وبسماعها أيضاً ـ وسيأتي آخر الكتاب ـ من طريقين ؛ أحدهما ينتهي إلىٰ أبي المظفَّر عبد المنعم بن الأستاذ المصنف القشيري ، والآخر إلىٰ حفيد الأستاذ هبة الرحمـٰن بن عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري .

وهي نسخة حسنة ، كتبت بخط نسخي معتاد ، وضبطت كلماتها بالشكل ، وقوبلت ببعض النسخ الأخرىٰ ، كتبها رشيد بن صديق بن تاوان التبريزي سنة (٥٨٣ هـ) ، ووقعت في (٢٣٨) ورقة ، وقد نالت منها عواري الدهر .

ورُمز لها بـ (ب) .

❁ ❁ ❁

الثالثة : نسخة مكتبة مراد ملا بإستنبول ، برقم (١٢٦٤) ، وهي زينة النسخ ، ولولا تأخُّر نسخها . . لتقدمت علىٰ شقيقتيها ، وهي نسخة تامة ، مسندة ومصححة ، خطَّها بقلمه إمام جليل عالم ؛ وهو العلامة الشيخ شمس الدين إسحاق بن محمود بن بلكويه بن أبي الفَيَّاض البُرُوجردي ، المُشْرِف علىٰ دويرة سعيد السعداد بالقاهرة المحروسة ، سنة (٦١٠ هـ) .

وقد تعانقت في هٰذه النسخة أقلام المحدثين ، وكتب بيده العلامة الحافظ العلائي ـ صاحب كتاب « المراسيل » و« إثارة الفوائد » الذي ذكر فيه أسانيده لـ « الرسالة » ـ تصحيحاً لإجازة رقمت علىٰ الورقات الأولىٰ منها ، وقد قُرئت عليه بتمامها ، وسترىٰ أعلام العلماء والمحدثين في أسانيد سماعاتها آخر الكتاب .

وهي إضافة لتقليبها بين أيدي العلماء قد جاءت حسنة الرصف ، افتتحت قبل عنونتها بفهرس مفصل للكتاب مع إثبات رقم الصفحات بلون مغاير ، وبترتيب بديع حسن ، وقد ضبطت كلماتها بالشكل ، ووضعت لها عُنْوانات جانبية لمقاطع نصِّ الكتاب ، مع إثبات ليسير من فروق النسخ التي تؤدي معنىً مغايراً ومؤسساً على الغالب ، وفُصلت عباراتها بدويرات منقوطة ، وأثبتت عناوين الكتاب بخط ثخين للتمايز .

كما نطالع في ورقة العنوان منها قطعة توحي بمعارضتها علىٰ نسخة مقروءة على الإمام المصنف الأستاذ القشيري ؛ وهي :

(وجدت هٰذه الإجازة مكتوبة بخطِّ المصنف :

سمع منِّي هٰذا الكتاب أبو الحسن علي بن حسين المتكلم الطبري ، وأجزت له أن يروي عني ما يصحُّ عنده من مسموعاتي ومصنفاتي علىٰ سبيل الإجازة ، كتبه عبد الكريم بن هوازن القشيري ، والحمد لله رب العالمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمد) .

وجاءت عنونة الكتاب عليها : (« رسالة القشيري » ، تصنيف الشيخ العالم الزاهد عبد الكريم بن هوازن القشيري) ، وحولها بعض التملُّكات ، وفي أسفل الصفحة وقع سماع طمس فيه عمداً اسم السامع ، وامَّحَىٰ بعضه ، وهٰذا ما اتَّضَح منه :

(سمع الشيخ الإمام الأوحد العارف القدوة . . . بعض كتاب « الرسالة » ،

والبعض إجازة ؛ من الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد مفتي الفرق مقتدى الطوائف علاء الدين أبي الحسن علي بن أيوب بن منصور المقدسي الخواصي الشافعي رحمه الله تعالىٰ ، وأخبره . . . سماعاً بقراءته شرف الدين ابن عساكر قال : أخبرنا المؤيد الطوسي إجازة من نيسابور قال : أخبرنا شاه الشاذياخي سماعاً قال : أخبرنا المصنف الأستاذ عبد الكريم بن هوازن القشيري قراءة عليه ونحن نسمع ، وصحَّ وثبت في سنة . . . وسبع مئة بالمسجد الأقصىٰ . . .) .

والشاذياخي رحمه الله تعالىٰ كان من المختصِّين بخدمة الأستاذ أبي القاسم القشيري ، وقد سمع منه « الرسالة » كما ذكر غير واحد ممن ترجم له .

ووقعت هـٰذه النسخة النفيسة بـ (١٩٦) ورقة .

ورُمز لها بـ (ج) .

❁ ❁ ❁

الرابعة : نسخة مكتبة السيد الشريف العلامة محمد عبد الحي الكتاني والتي آلت إلى الخزانة الملكية بمراكش ، ذات الرقم (٥٠ ك) والتي تفضَّل بالإنعام بها العلامة الدكتور أحمد شوقي بنبين .

وهـٰذه النسخة الأثرية المسندة كانت سبباً لاستكمال العمل الجادِّ في « الرسالة » ، وهي علىٰ تأخُّر نسخها تُقاسِم النسخ الأصول المعتمدة في الأهمية ؛ من حيث الضبط المنقول عن نسخة قرئت على الإمام المصنف ؛ إذ وقع في خاتمتها : (قوبلت هـٰذه النسخة بالأصل المنتسخ منه ، الذي عليه خطُّ المصنف الإمام أبي القاسم) .

وجاء في هامش ورقة خاتمة « الرسالة » : (تأمَّلت هـٰذه النسخة عن آخرها ، وتصفَّحتها بتصحيح أماط أذاها ، ورمىٰ عن صفوها قذاها ، فصارت

أُمّاً في الصحة ، يعوَّل عليها ، ويقتدىٰ بها ، وتقتبس منها ، ويبرك لديها ، ويُرحل إليها ، وإلى الله سبحانه أبرأ من التحريف والتصحيف إلا ما زلَّ عن القلم وقليل ذٰلك . كتبه جابر بن محمد الخوارزمي عفا الله عنه حامداً لله ، ومصليّاً علىٰ رسوله محمد وآله وصحبه ومسلِّماً) .

وقد وقعت هٰذه النسخة المباركة في (٢٤٧) ورقة ، سقطت منها الصفحة الأولىٰ وما يقابلها ، وتمَّ استكمالها بخط متأخر مغاير للأصل ، وكتبت بخط نسخي مشرقي بديع ، مع تذهيب العنوانات والفصول ، وقد شكل نصُّها شكلاً تاماً ، وضبط غريبها علىٰ ندرة ، وأثبتت فروق النسخ المعتمدة على الرواية ، مع يسيرٍ من التعليقات والاستدراكات من قارئها سليمان بن يوسف الياسوفي علىٰ شيخه العلامة القدوة جمال الدين الجمالي ، وكان قد قرأها عليه في تسعة مجالس ، وتمَّت مقابلتها بالأصل المذكور في المنتصف من شهر شعبان من سنة تسع وسبع مئة للهجرة الشريفة علىٰ صاحبها أزكى الصلوات والتسليمات .

ويظهر من السماعات المثبتة آخر الكتاب العنايةُ الفائقة في ضبطها واتصال أنفاس قرَّائها بالإمام المصنف عليه رحمة الله تعالىٰ .

وكان من جملة من أثبت مطالعته لها سيدي العلامة عبد الغني النابلسي عليه الرحمة والرضوان ، وقد جاء في واحد من سماعاتها أنها قرئت بمسجد دمشق الكبير ، وبعضها أنها قرئت بمصر في دويرة سعيد السعداء الصوفية ، فكان لها تطواف كبير قبل أن تلقي عصا ترحالها بالبلاد المغربية .

ورمز لها بـ (ل) .



الخامسة : نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩٣٩٢٨) ، والخاص (٢٥٥١) ، وهي مبتورة الأوَّل ، بدأت من (باب في ذكر مشايخ

هٰذه الطريقة) ، ومحذوفة الأسانيد ، ولعل ذٰلك وقع للاختصار ، كتبت سنة (٦٣٦ هـ) كما وقع في خاتمتها التي تطالع آخر الكتاب ، إلا أنها مازت غيرها بالكم الكبير المثبت من فروق النسخ المعارضة بها ، وهي ميزة جليلة ، وقد أفادت في بعض الاستدراكات ، ووقعت في (٩١) ورقة .

ورُمز لها بـ (د) .

وهٰذه النسخ الخمس المتقدمة هي النسخ الرئيسة المنعوتة بالأصول ، والتي سبقت الإشارة إليها ، وعليها مدار نصِّ « الرسالة » .

❁ ❁ ❁

السادسة : نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، ذات الرقم (٩٧٢١) ، وهي نسخة تامة ، فريدة المغايرات في بعض المواطن ، كتبت بخط نسخي مستعجل في بعض مواضعها ، ووقع الفراغ من نسخها بدمشق سنة (٦٥٢ هـ) ، وجاء عنوان الكتاب أولها : (كتاب « الرسالة » ، تصنيف الأستاذ الإمام أبي القاسم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالىٰ) ، وقد تم الإفادة منها في بعض المواضع ، وجاءت في (٣٠٣) ورقات .

ورُمز لها بـ (هـ) .

❁ ❁ ❁

السابعة : نسخة المكتبة الوطنية بالرباط ، ذات الرقم (٣ ك) ، وهي نسخة مغربية الموطن مشرقية الأصل ، من أوقاف العلامة محمد عبد الحي الكتاني ، جاءت عنونة الكتاب أوَّلها : (كتاب « رسالة الشيخ الإمام الأجل زين الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري » ، قدس الله روحه ، ونوَّر ضريحه) ، وقد وافق الفراغ من نسخها سنة (٧٣٠ هـ) علىٰ يد ناسخها محمد البغدادي المتصوف بجامع المخدوم القاضي ناصر الدين المعروف بابن العطار بطرابلس الغرب ، غير أنها قوبلت وعورضت بنسخة مصححة

من قبل مالكها علي الحنفي سنة (٧٣٢ هـ) كما جاء في خاتمتها ، كتبت سنة (٥١٧ هـ) ، ووقعت في (٢٠٤) ورقات .

ورُمز لها بـ (و) .

❁ ❁ ❁

الثامنة : نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩٣٩٣٤) المغاربة ، والخاص (٢٥٥٧ تصوف) ، وجاءت عنونة الكتاب أوَّلها : (كتاب « الرسالة » للصوفية ، تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة ، القطب الرباني ، وحيد دهره وفريد عصره ، زين الإسلام والمسلمين ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري القرشي تغمده الله برحمته آمين آمين) ، وهي من أوقاف ـ كما جاء مكتوباً أسفل عنوان الكتاب ـ المرحوم بكرم الله تعالىٰ ، الولي الصالح سيدي محمد العياشي علىٰ طلبة الأزهر رواق المغاربة .

وهـٰذه النسخة علىٰ تأخُّرها ؛ إذ كتبت سنة (١٠٢٥ هـ) قد وقع عليها سماعات مجزَّأة علىٰ خاتمة الحفَّاظ السيد العلامة محمد مرتضى الزبيدي الحسيني ، تُطالع آخر الكتاب عند ذكر السماعات ، ووقعت بـ (١٩٠) ورقة .

ورُمز لها بـ (ز) .



التاسعة : نسخة مكتبة فيض الله أفندي بإستنبول ، برقم (١٢٤٢) ، دون تاريخ ، ولـٰكن نجزم بعودها إلىٰ ما قبل القرن العاشر ؛ إذ قُرئت على الإمام العلامة العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهَّاب الشعراني رحمه الله تعالىٰ ، وكتب بيده آخرها :

(بلغ مطالعة هـٰذه النسخة العبد الفقير إلىٰ ربه القدير ؛ عبد الوهاب بن أحمد بن الفقيه علي بن شهاب الشافعي ، وذلك بجامع سيدي أبي العباس الغمري ابن الشيخ الإمام القطب الغمري ، تغمده الله ببركتها آمين ؛ وذلك

بمصر المحروسة ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، بتاريخ سادس محرم سنة تسع عشرة وتسع مئة ، أحسن الله عاقبتها) ، ووقعت في (١٦٧) ورقة .

ورُمز لها بـ (ح) .

❀ ❀ ❀

العاشرة : هي نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩٣٩٣٢) المغاربة ، والرقم الخاص (٢٥٥٥) ، وهي الجزء الأول من كتابنا « الرسالة » ، ينتهي عند (باب الذكر) ، كتب بعضها بخط نسخي مستعجل ، ووقعت الإفادة منها في مواضع يسيرة ، ويقع هـٰذا الجزء في (٢٠٠) ورقة .

ورُمز لها بـ (ط) .

❀ ❀ ❀

الحادية عشرة : وهي مطبوعة المطبعة السنية الخديوية ببولاق مصر ، مصححة من قبل العلامة محمد الصباغ ، تاريخ طبعها في سنة (١٢٨٤ هـ) .

ولم تأتِ العناية باتخاذ هـٰذه الطبعة أصلاً لذاتها فقط ، بل لما تزركشت به من إعمال العلامة محمد بن محمد المبارك رحمه الله تعالىٰ قلمه فيها ، تصحيحاً وضبطاً واستدراكاً ، وقد قُرئت عليه مرتين بدمشق الشام ، وانظر خاتمتها في خواتيم النسخ آخر الكتاب ، وقد وقعت منها فوائد جليلة .

ورمز لها بـ (ي) .

❀ ❀ ❀

الثانية عشرة : نسخة مكتبة مراد ملا بإستنبول ، ذات الرقم (١٢٦١) ، وهي ليست لكتاب « الرسالة » ، بل هي شرح له للعلامة الجليل أبي محمد عبد المعطي بن محمود الإسكندري اللخمي المالكي ، وسمَّىٰ شرحه هـٰذا

بـ « الدلالة علىٰ فوائد الرسالة » ، ومنه اختار وانتقىٰ شيخ الإسلام زكريا الأنصاري كتابه « إحكام الدلالة » .

وهي نسخة نفيسة ، وقعت في جزأين ، الأول (٢٦٨) ورقة ، والثاني (١٢٢) ورقة ، وكان الفراغ من نسخها سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة من نسخة قوبلت على الشارح رحمه الله تعالىٰ ، وكتب عليها المقابل لها : (وكان الفراغ من إملاء هٰذا الشرح المبارك في سنة ثمان وثلاثين وست مئة) ، وتمَّت الإفادة منها في مواضع نصّاً وشرحاً .

ورمز لها بـ (ك) .

❁ ❁ ❁

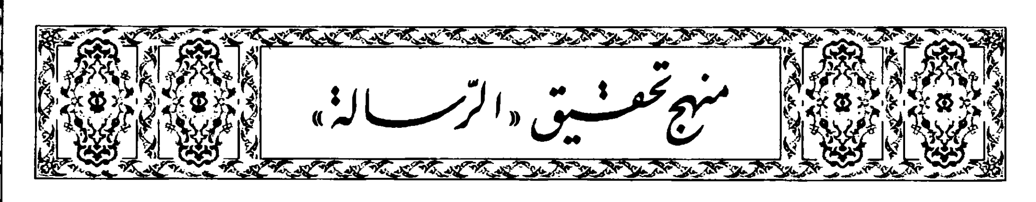
ومن الملحوظات التي اتفقت لبعض النسخ دون بعض ، وهي مما لا يستغرب في عصر المؤلف : اختصار جملة (أيُّ شيءٍ) بلفظ : (أَيْشٍ) ، هٰكذا تكتب وتلفظ كما نصَّ الحافظ الزبيدي وابن درستويه في « شرحه » لـ « فصيح ثعلب » ، وكذا كتابة النداء (يا با) بإسقاط همزة أب ، وهي وإن كانت فصيحة ولٰكن عموم المخطوطات موافق للمنهج الجاري ، وبه العمل .

وقل مثلَ هٰذا في كلمة (بغداذ) و(بغداد) ، و(الأصفهاني) و(الأصبهاني) ، والمختار ما اشتهر .

وكذا قد يقع الخلاف في بعض الأعلام التي اختُلف في صرفها ، فتارة تصرف وتارة تمنع ؛ مثل حمدون وشاه وسمنون وغيرها ممَّا لا حرجَ في صورتيه .

كما غلب استعمال المؤنث المجازي بالتذكير لفعله وخبره ، وهي سمة لتلك الرقعة وتلك الحقبة .

❁ ❁ ❁



لم تحظَ كتبُ الرقائق عموماً بعناية كبيرة عند إخراجها ، وهي على كثرتها التي ملأت رحْبَ الساحة العلمية وتداولِها الكبير على أيدي العلماء . . بقيت مشوبةً بكثير من التحريف والتصحيف .

وقد عُنيت مشكورةً لجنة تحقيق التراث الصوفي بإشراف شيخ الأزهر سابقاً صاحب الأستاذية عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى بإخراج عدد لا بأس به من كتب القوم ، وجلُّ الاهتمام يومها كان منصبّاً لإخراج النص دون توثيقه من كتبه الأصيلة .

وكان الغرض الرئيسُ لدار المنهاج في إخراج كتاب « الرسالة » بعثَهُ من جديد مع العناية بتوثيق نصوصه التي كثيراً ما ارتفعت عقيرةُ البعض متسائلةً عن مصداقيتها ، وبعيداً عن التصحيفات المزعجة التي تناقلتها النسخ الخطية فضلاً عن النسخ المطبوعة قلَّت أو كثُرت ، وترسيخ فكرة الاقتران بين النصِّ الأثري والنصِّ التربوي ، والجهدُ مبذولٌ لاسترضاء قلب مصنفه الأستاذ الإمام ، ولذا كانت خُطا إخراجه متأنية واثقة ، بدءاً من جمع واختيار مخطوطاته المتناثرة شرقاً وغرباً ، وانتهاءً بتقشيبه بفنون الطباعة الحديثة .

وملخص المراحل التي مَرَّ بها كتاب « الرسالة » :

ـ تمَّ اتخاذ النسخة (أ) أصلاً ، وبعد نسخها قوبلت على سائر النسخ الأصول الرئيسة (ب ، ج ، د ، ل) ، فما اتفقت عليه النسخ الأصول . . تمَّ اعتماده إثباتاً وحذفاً ، فإن تخالفت الأصول في مغايرة ما . . أُثبت ما رُئي صواباً وإن انفردت به نسخة واحدة ، وغالباً ما يكون من النسخة الأم (أ) ، أما ما زاد عليها . . فيثبت دون إشارة لذلك ما دام من الأصول ، فإن لم يكن

منها وكان هناك داعية لإثباته من سائر النسخ (هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ي) . . ثمَّ وضعه بين معكوفين ، فما تراه بين معكوفين هو من نسخ « الرسالة » غير الأصول ، علماً أن التسليمات والترضيات والترحمات وبعض الألقاب . . لم يلتفت للمغايرات فيها ، ولم يثبت من فروق النسخ إلا ما كان مهمّاً .

وإنما اعتُمد هاذا المنهج لما للنسخ الأصول من السوية الإتقانية والتدقيقية ، واتصال أسانيدها النقلية ، فكانت بمجموعها تسعىٰ لتسديد نصِّ « الرسالة » ، فهي متشاركة في إخراجه .

فكان لذالك كله مزيدُ عناية علمية وضبطية في هاذا الإصدار الثاني ، واستدراك الأخطاء العلمية والمطبعية ، واستكمال ما فات من تخريج نص وضبط مشكل .

ـ ترقيم النص المحقق بمنهج علمي يعين علىٰ قراءته ، وهو المنهج المعتمد من قبل الدار .

ـ شكلُ الكتاب شكلاً إعرابياً كاملاً ؛ لتداوله من قبل شرائح متنوعة .

ـ تخريج المرفوعات والآثار والأخبار والأقوال ، وعزوُها للمصادر الأم علىٰ قدر الاستطاعة .

ـ تذييل الكتاب بأهم التعليقات العلمية ، وجُلُّها من « الدلالة علىٰ فوائد الرسالة » للعلامة اللخمي المالكي ، وإليه الإشارة بـ (ك) ، أو من « إحكام الدلالة » لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، مع بعض تعليقات شيخ الأزهر العلامة العروسي في « نتائج الأفكار » ، وكلٌّ من « الإحكام » و« النتائج » في مطبوعة واحدة ، وإليها العزو جزءاً وصفحة (١) .

---

(١) وهاذه الكتب الثلاثة هي أشهر الكتب التي اعتنت بـ « الرسالة » ، وكتاب « إحكام الدلالة » عامة مادته مأخوذة عن كتاب العلامة عبد المعطي اللخمي كما يوحي بذاك اسمه ويراه المتتبع ، أما « نتائج الأفكار » وهو حاشية علىٰ « إحكام الدلالة » . . فقد سار مصنفه علىٰ طريقة الحواشي في إشباع الموضوع ، وتندر عنايته بعبارة الأستاذ ، والثلاثة لم تعنَ بتخريج النص ؛ اكتفاءً بشهرة « الرسالة » وذيوع صيتها .

ـ شرح بعض المفردات والعبارات المشكلة والمستغلقة .

ـ إعداد ترجمة للمؤلف تناسب « الرسالة » ، وكلمة عن « الرسالة القشيرية » منهجاً وتأليفاً .

ـ إعداد فهارس علمية وفنّية تلبي حاجة الباحثين وقارئي « الرسالة » ؛ وهي : فهرس الآيات الكريمة ، وفهرس الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة الشريفة ، وفهرس الآثار والأقوال والأخبار ، وفهرس الأشعار ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الرؤىٰ ، وفهرس البلدان والأماكن ، وفهرس الكلمات المبينة والمشروحة ، وفهرس الأحكام الفقهية ، وفهرس الكتب والرسائل ، وفهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق ، مع إعداد فهرس تفصيلي لكامل الكتاب .

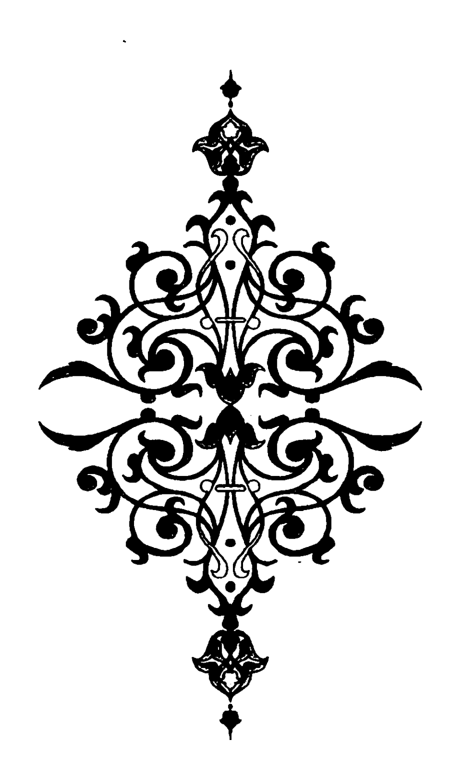
وبعدُ : فالعفو مرجوٌّ من حضرة الأستاذ القشيري إن شاب عملنا أي قصور ؛ فقد سعينا بجهدنا ومجهودنا لإخراج « الرسالة القشيرية » كما أرادها مؤلفها ؛ محبةً له ولمن ذكرهم بالكتاب مع قصورنا وتقصيرنا عن السير في طريقهم ، وإنما المرءُ مع من أحبَّ ، سائلين مولانا جلَّ وعزَّ أن يكرمَنا بمحض الفضل والمنة بما أكرمَ به تلك الصفوة من عباده وهو عنَّا راضٍ ، إنه جلَّ شأنه جوادٌ كريم ، برٌّ رؤوف رحيم .

« رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »

حرر في دمشق الشام
الثلاثاء ليلة بدر الكبرىٰ
(١٦) رمضان (١٤٣٧ هـ)
(٢١) حزيران / يونيو (٢٠١٦ م)

وكتبه
أنس محمّد عدنان الشّرفاوي


صور من المخطوطات المعتمدة



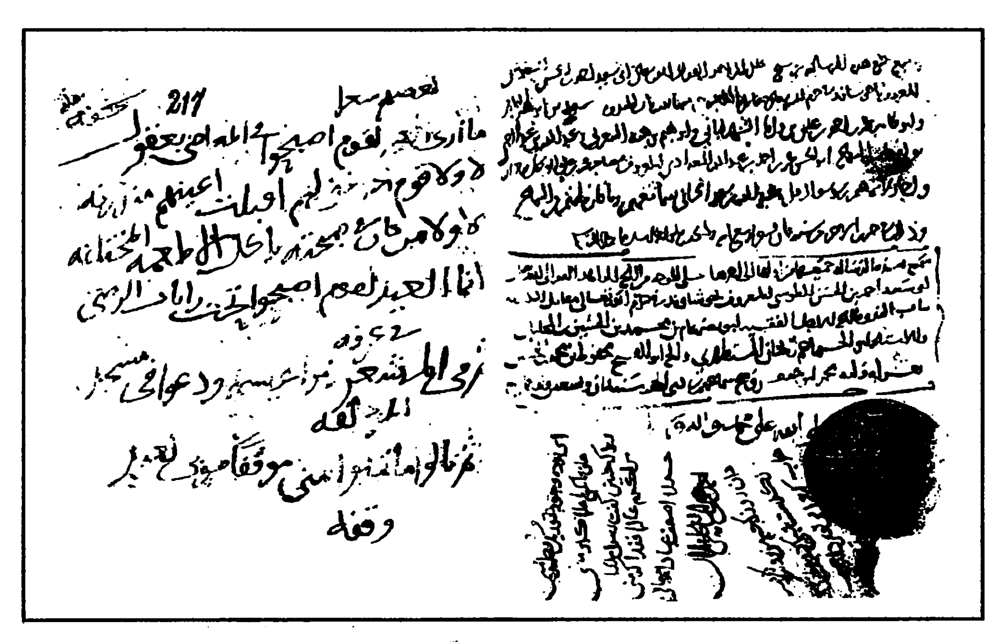


راموز ورقة العنوان للنّسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الأستاذ الإمام جمال الإسلام أبو القسم عبد الكريم
بن هوازن القشيري رضي الله عنه

راموز الورقة الأولى للنّسخة (أ)

راموز الورقة قبل الأخيرة للنسخة (أ)

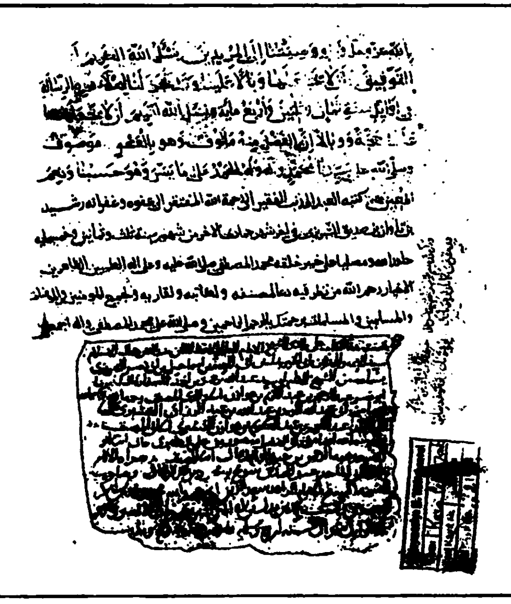


راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)

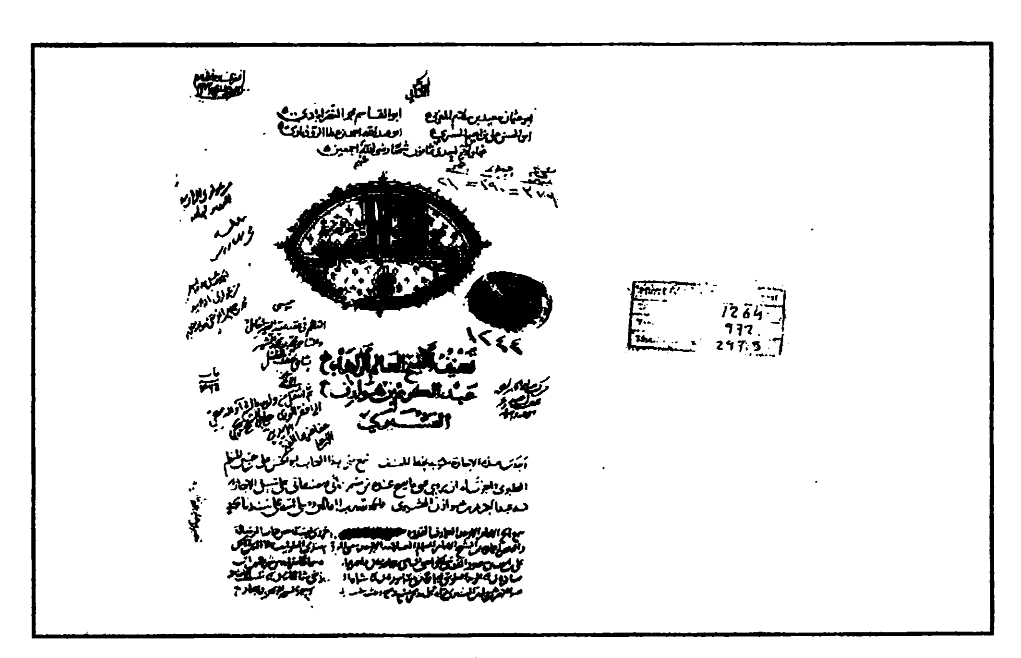


راموز ورقة العنوان للنسخة (ب)

راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)

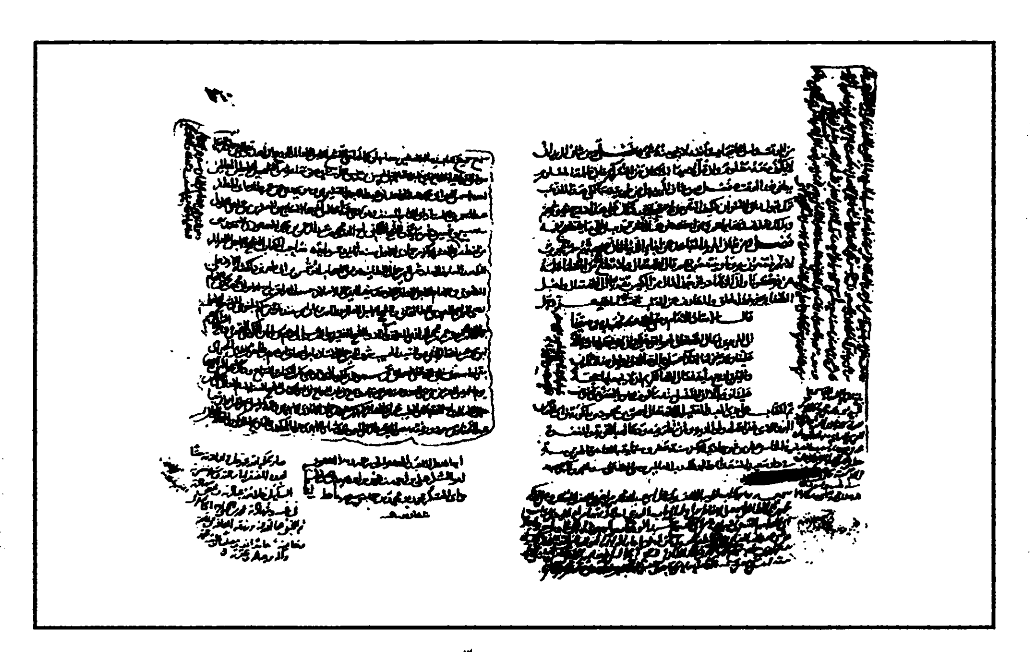


راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

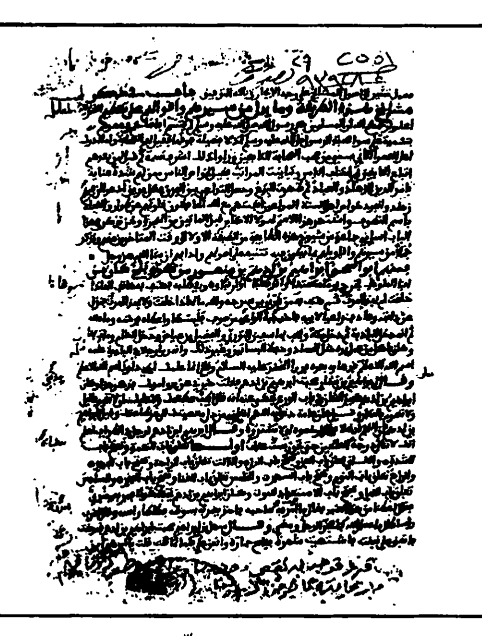


راموز ورقة العنوان للنسخة (ج)

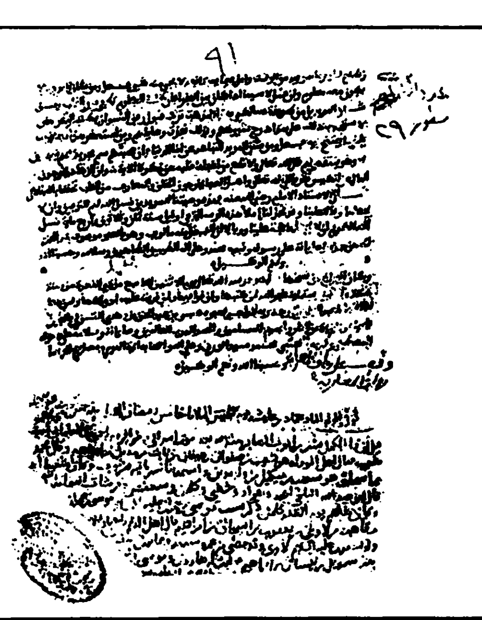
راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)



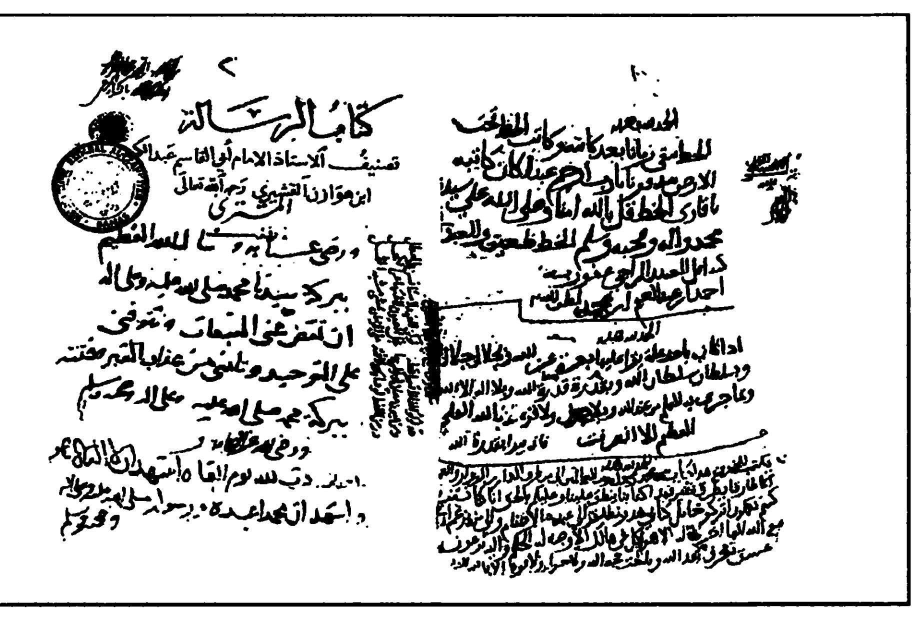
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)



راموز الورقة الأولى للنسخة (د)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)



كتاب الرسالة

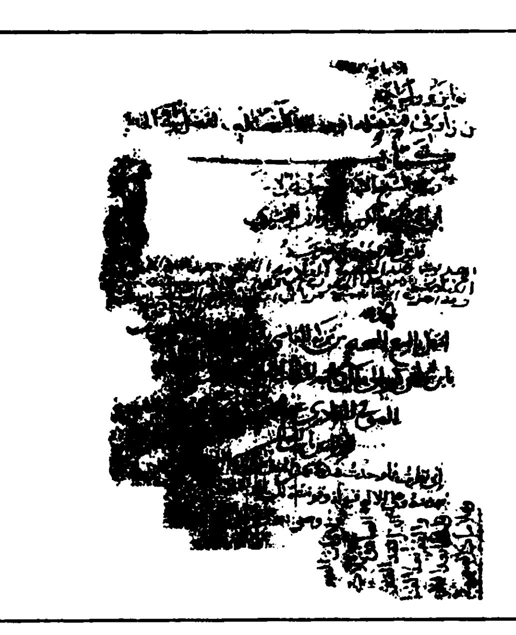
تصنيف الأستاذ الإمام أبي القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري رحمه الله تعالى

راموز ورقة العنوان للنّسخة (هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

راموز الورقة الأولى للنّسخة (هـ)

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (هـ)



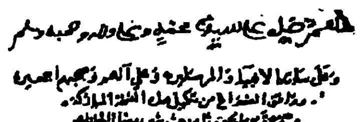
راموز ورقة العنوان للنسخة (و)

راموز الورقة الأولى للنسخة (و)

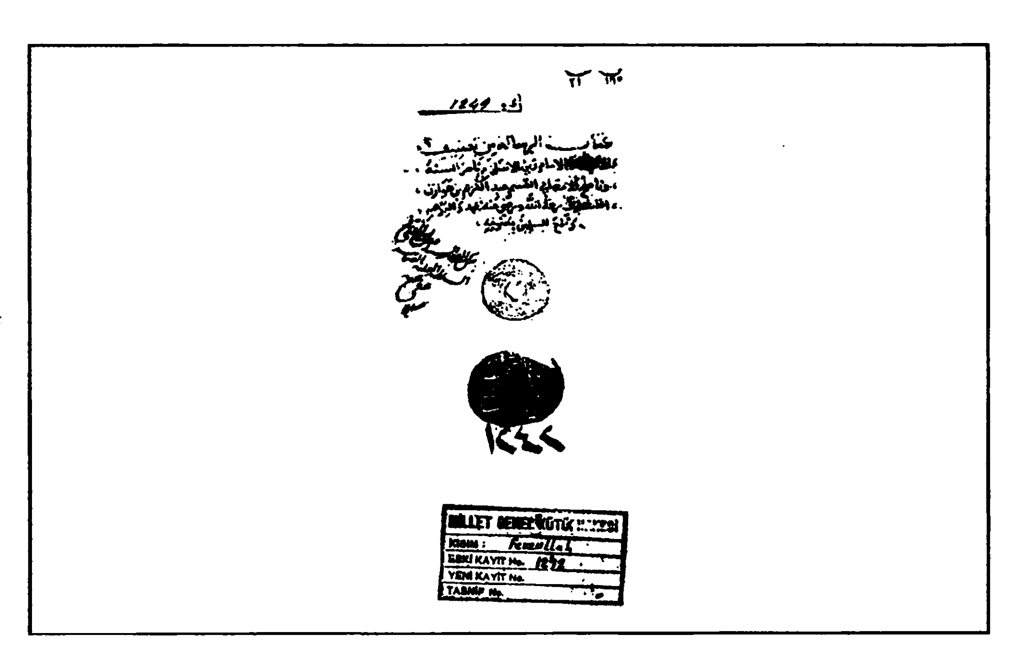
راموز الورقة قبل الأخيرة للنسخة (و)

راموز ورقة العنوان للنّسخة (ز)

راموز الورقة الأولى للنّسخة (ز)



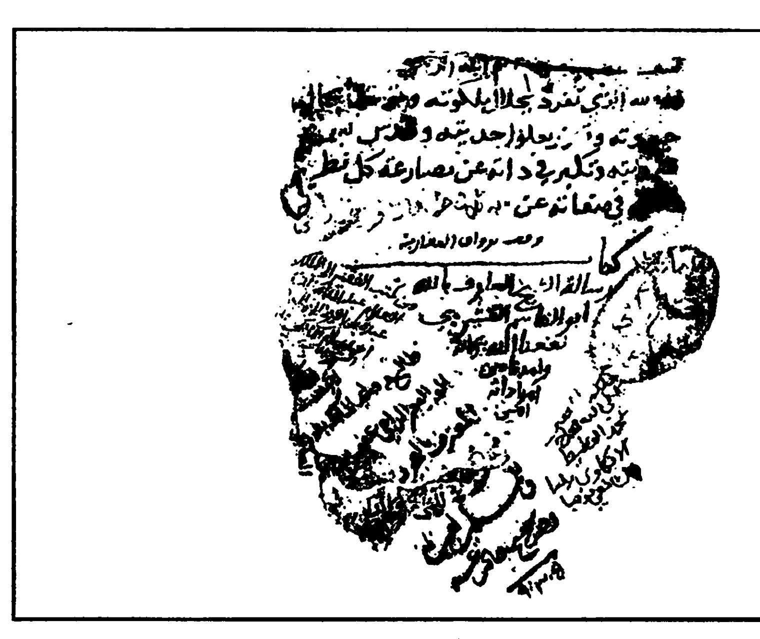
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ز)



راموز ورقة العنوان للنسخة (ح)

راموز الورقة الأولى للنّسخة (ح)

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (ح)



راموز ورقة العنوان للنّسخة (ط)

راموز الورقة الأولى للنّسخة (ط)

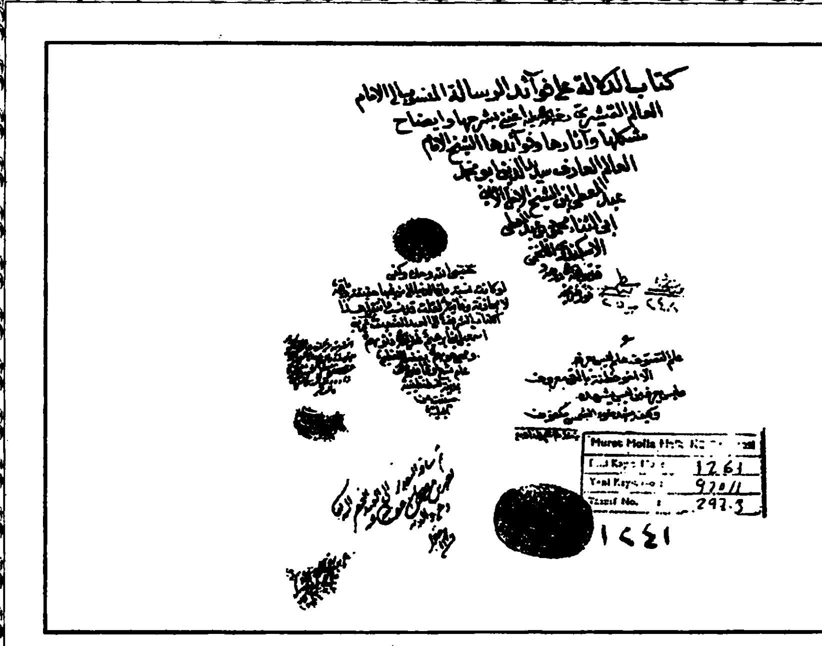
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ط)

راموز ورقة العنوان للنسخة (ي)



راموز الورقة الأولى للنسخة (ي)

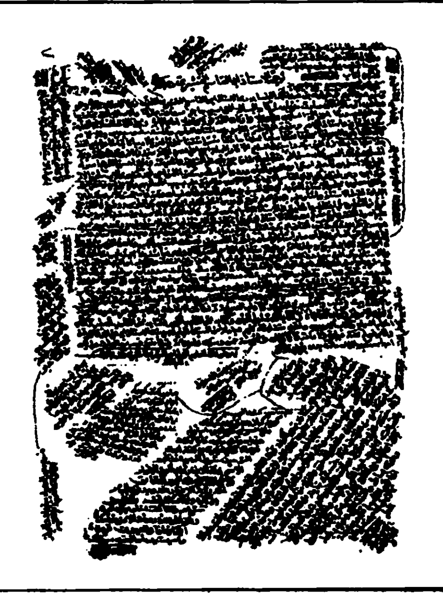
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ي)



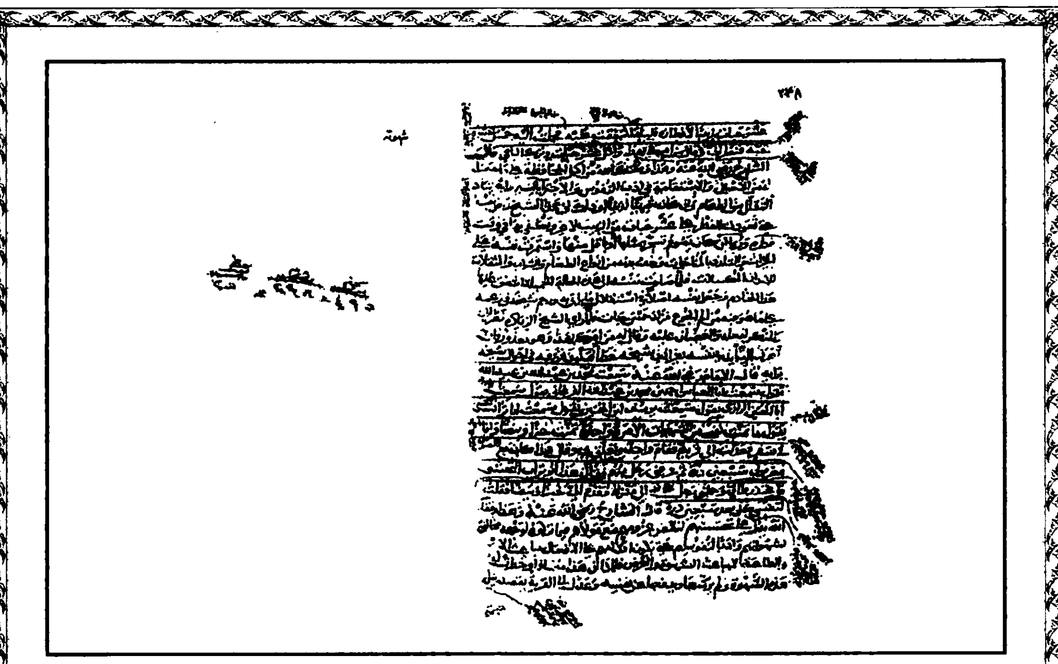
كتاب الدلالة على فوائد الرسالة المنسوبة للإمام
العالم القشيرية

Murat Molla
12.61
97011
293.3
1241

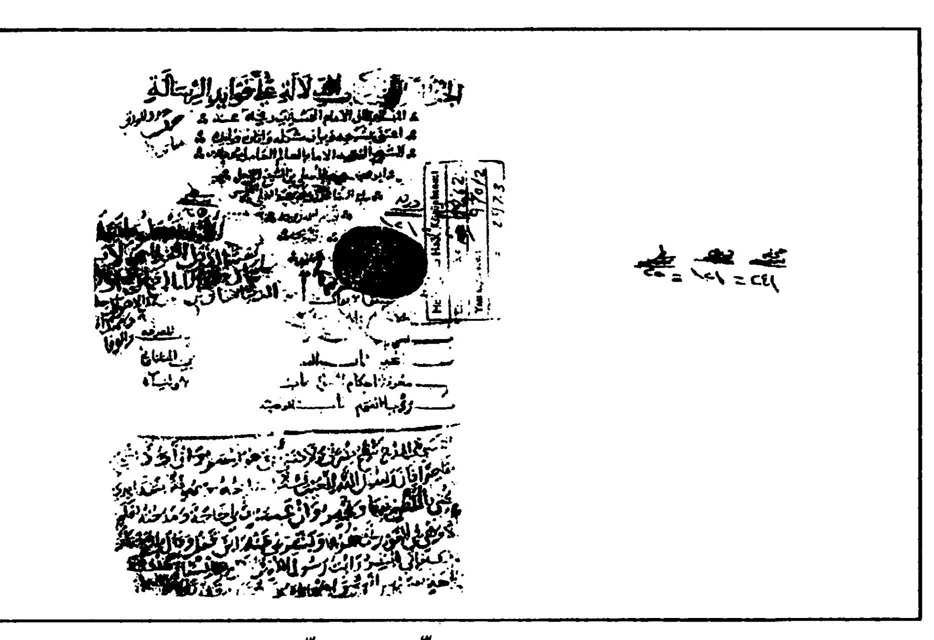
رامُوز ورقة العنوان للجزء الأوّل من النّسخة (ك)



رامُوز الورقة الأولى للجزء الأوّل من النّسخة (ك)

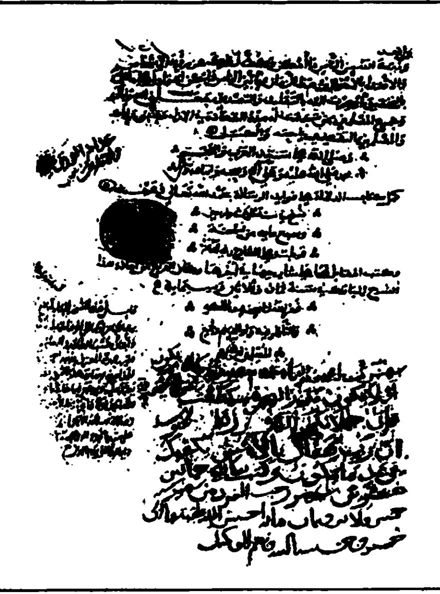


رامز الورقة الأخيرة للجزء الأول من النسخة (ك)



رامز ورقة العنوان للجزء الثاني من النسخة (ك)

راموز الورقة الأولى للجزء الثاني من النسخة (ك)



راموز الورقة الأخيرة للجزء الأول من النسخة (ك)

الرسالة القشيرية
في
علم التصوف للامام العالم الجامع
بين الشريعة والحقيقة ابي القاسم
عبد الكريم بن هوازن القشيري
نور الله مضجعه وبرد
ثراه ومسح علي
امين

م

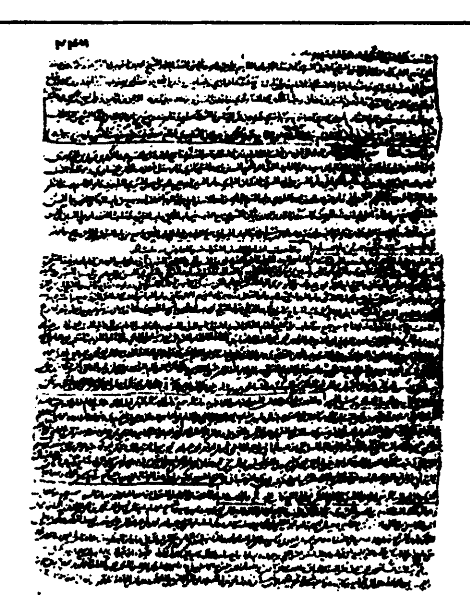
رامُوز ورقة العنوان للنّسخة (ل)

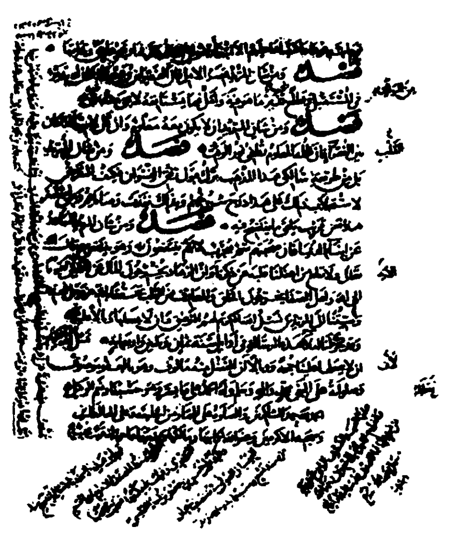
٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته وتوحد بجمال جبروته
وتعزز بعلو احديته وتقدس بسمو صمديته وتكبر في ذاته عن
مضارعة كل نظير وتنزه في صفاته عن كل تناه وقصور له
الصفات المختصة بحقه والايات الناطقة بانه غير مشبه
بخلقه فسبحانه من عزيز لا حد يناله ولا عد يحصيه ولا امد
يحصره ولا احد ينصره ولا ولد يشفعه ولا عدد يجمعه ولا
مكان يمسكه ولا زمان يدركه ولا فهم يقدره ولا وهم
يصوره تعالى ان يقال كيف هو او اين او اكتسب بصنعه الزين او
دفع بفعله النقص والشين اذ ليس كمثله شي وهو السميع البصير
ولا يغلبه حي وهو الخبير القدير احمده على ما يولي ويصنع و
اشكره على ما يزوي ويدفع واتوكل عليه واقنع وارضى بما يعطي
ويمنع واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة موقن بتوحيده
مستبصر بتاييده واشهد ان محمدا عبده المصطفى وامينه المجتبى
ورسوله المبعوث الى كافة الورى صلى الله عليه وعلى اله مصابيح
الدجى واصحابه مفاتيح الهدى وسلم تسليما كثيرا هذه رسالة
كتبها الفقير الى الله تعالى عبد الكريم بن هوازن القشيري الى جماعة
الصوفية ببلدان الاسلام في سنة سبع وثلاثين واربعمائة اما
بعد رضي الله عنكم فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة اوليائه

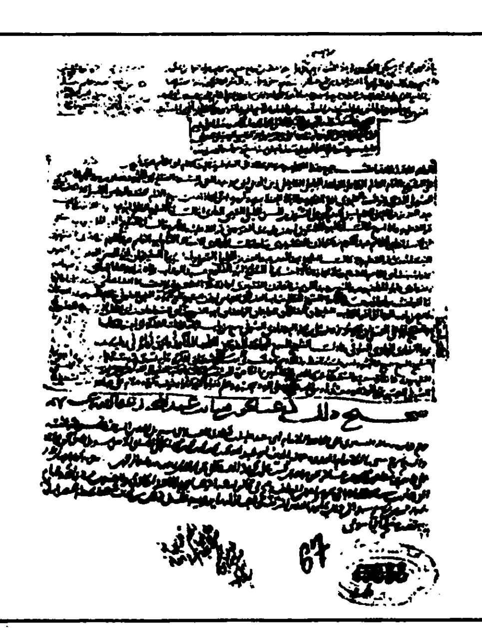
وغفرانه

رامُوز الورقة الأولى للنّسخة (ل)

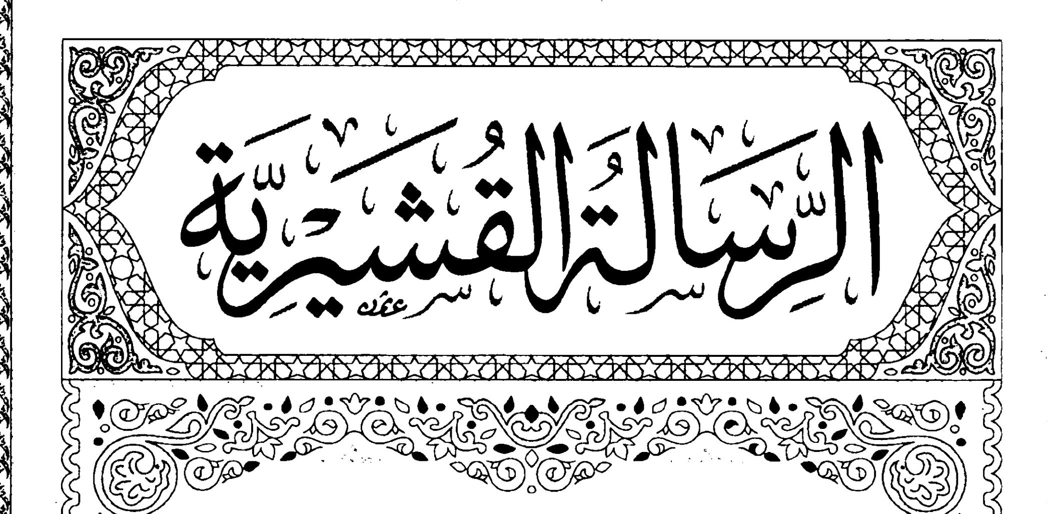




راموز الورقة قبل الأخيرة للنسخة (ل)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ل)



الرِّسَالَةُ القُشَيْرِيَّة

تأليف

الإمام الأصولي، المحدّثِ المفسّر المربي

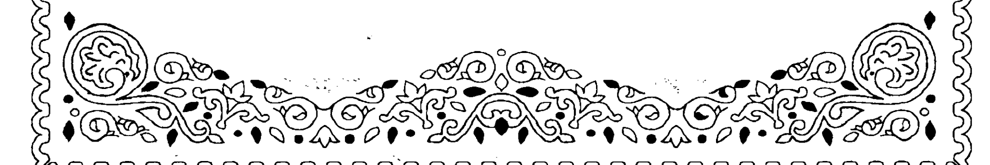
زينِ الإسلامِ، أبي القاسمِ

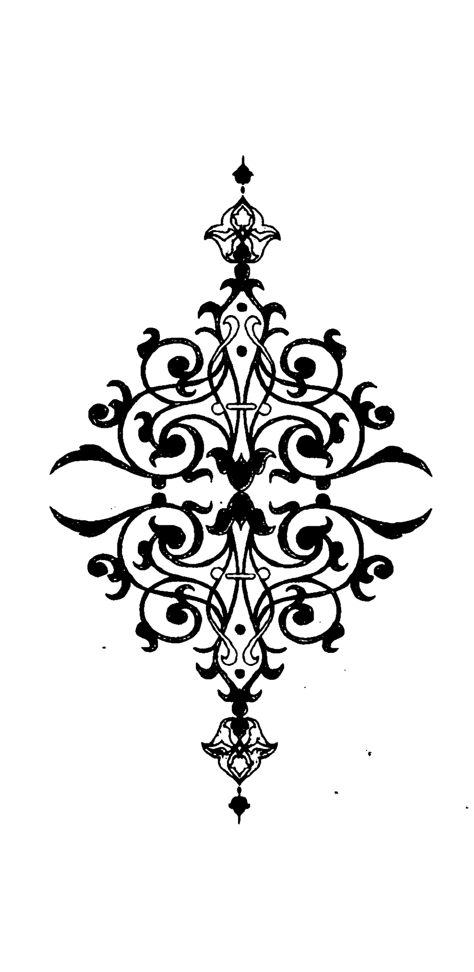
عبدِ الكريم بنِ هوازنَ بنِ عبدِ الملكِ القُشَيْريّ

الأُسْتُوائيّ النَّيْسَابوريّ الشّافِعيّ

رحمهُ الله تعالى

(٣٧٦ - ٤٦٥ هـ)





[ديباجة الكتاب]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قالَ الأستاذُ الإمامُ ، زينُ الإسلامِ ، أبو القاسمِ ، عبدُ الكريمِ بنُ هَوازِنَ القشيريُّ رضيَ اللهُ عنهُ :

الحمدُ للهِ الذي تفرَّدَ بجلالِ ملكوتِهِ ، وتوحَّدَ بجمالِ جبروتِهِ ، وتعزَّزَ بعلوِّ أحديَّتِهِ ، وتقدَّسَ بسموِّ صَمَديَّتِهِ ، وتكبَّرَ في ذاتِهِ عنْ مُضارعةِ كلِّ نظيرٍ ، وتنزَّهَ في صفاتِهِ عنْ كلِّ تناهٍ وقصورٍ(١) ، لهُ الصفاتُ المختصَّةُ بحقِّهِ ، والآياتُ الناطقةُ بأنَّهُ غيرُ مشبَّهٍ بخلقِهِ .

فسبحانَهُ مِنْ عزيزٍ لا حدَّ ينالُهُ ، ولا عِدَّ يحتالُهُ(٢) ، ولا أمدَ يحصرُهُ ، ولا أحدَ ينصرُهُ ، ولا ولدَ يشفَعُهُ ، ولا عددَ يجمعُهُ ، ولا مكانَ يمسكُهُ ، ولا زمانَ يدركُهُ ، ولا فهمَ يُقَدِّرُهُ(٣) ، ولا وهمَ يصوِّرُهُ .

تعالىٰ عنْ أنْ يُقالَ : كيفَ هوَ أوْ أينَ ، أوِ اكتسبَ بصنعِهِ الزينَ ، أوْ دفعَ بفعلِهِ النقصَ والشينَ ، ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ ، ولا يغلِبُهُ حيٌّ وهوَ الخبيرُ القديرُ .

أحمدُهُ علىٰ ما يولِي ويصنعُ ، وأشكرُهُ علىٰ ما يزوي ويدفعُ ، وأتوكَّلُ عليهِ وأقنَعُ ، وأرضىٰ بما يعطي ويمنعُ .

وأشــهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شــريكَ لهُ ، شــهادةَ موقِنٍ بتوحيدِهِ ،

---

(١) في (ي) : (وتصوير) ، ونسخة بهامشها كالمثبت .

(٢) العِدُّ ـ بكسر العين ـ : الكثرةُ في الشيء ، وبمعنى القديم ، وفي (أ ، ب ، ج) بفتح العين ؛ مصدر عَدَّ ؛ بمعنىٰ نفي النهاية ، ويحتاله ـ وبهامش (ج) بالجيم والخاء أيضاً ـ أي : يحتوشه ويقدر عليه بالاحتيال .

(٣) ويجوز : (ويقدُرُهُ) ، قال تعالىٰ في سورة الأنعام (٦١) : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ .

مستجيرٍ بحسْنِ تأييدِهِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ المصطفىٰ ، وأمينُهُ المجتبىٰ ، ورسولُهُ المبعوثُ إلىٰ كافَّةِ الورىٰ ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ مصابيحِ الدُّجىٰ ، وأصحابِهِ مفاتيحِ الهدىٰ ، وسلَّمَ كثيراً .

❁ ❁ ❁

هٰذه رسالةٌ كتبَها الفقيرُ إلى اللهِ تعالىٰ عبدُ الكريمِ بنُ هَوازِنَ القشيريُّ إلىٰ جماعةِ الصوفيَّةِ ببلدانِ الإسلامِ ، في سنةِ سبعٍ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ .

أمَّا بعدُ ـ رضيَ اللهُ عنكُمْ ـ :

فقدْ جعلَ اللهُ هٰذهِ الطائفةَ صفوةَ أوليائِهِ ، وفضَّلَهُمْ على الكافَّةِ مِنْ عبادِهِ بعدَ رسلِهِ وأنبيائِهِ صلواتُ اللهِ عليهِمْ ، وجعلَ قلوبَهُمْ معادنَ أسرارِهِ [1] ، واختصَّهُمْ مِنْ بينِ الأمَّةِ بطوالِعِ أنوارِهِ ، فهُمُ الغياثُ للخلْقِ [2] ، والدائرونَ في عمومِ أحوالِهِمْ معَ الحقِّ بالحقِّ .

صفَّاهُمْ مِنْ كدوراتِ البشريَّةِ ، ورقَّاهُمْ إلىٰ محالِّ المشاهداتِ بما تجلَّىٰ لهُمْ منْ حقائقِ الأحديَّةِ [3] ، ووفَّقَهُمْ للقيامِ بآدابِ العبوديَّةِ ، وأشهدَهُمْ مجاريَ أحكامِ الربوبيَّةِ ، فقاموا بأداءِ ما عليهِمْ مِنْ واجباتِ التكليفِ ، وتحقَّقُوا بما منهُ سبحانَهُ لهُمْ مِنَ التقليبِ والتصريفِ .

ثُمَّ رجعوا إلى اللهِ تعالىٰ بصدقِ الافتقارِ ، ونعتِ الانكسارِ ، ولمْ يتَّكلوا علىٰ ما حصلَ لهُمْ مِنَ الأعمالِ ، أوْ صفا لهُمْ مِنَ الأحوالِ ؛ علماً منهُمْ بأنَّهُ جلَّ وعلا يفعلُ ما يريدُ ، ويختارُ مَنْ يشاءُ مِنَ العبيدِ ، لا يحكمُ عليهِ خلقٌ ،

---

(١) أي : خصَّهم بالإلهام الصحيح والفراسة الصادقة . « الدلالة » للخمي .

(٢) أي : يرجعون إليهم في مهامِّهم ، وينتفعون بقبول دعواتهم ، ويدفع الله تعالىٰ عن الخلق بهم البليات . « الدلالة » للخمي .

(٣) في (ج) : (المشاهدات ، وهداهم إلىٰ مجال المجاهدات بما . . .) ، وفي (أ ، ب) : (محلّ) بدل (محالّ) ، ومحالُّ المشاهدات : منازلها ، والمراد بها : وظائف العبادات « نتائج الأفكار » (١/٣٢) .

ولا يتوجَّهُ عليهِ لمخلوقٍ حقٌّ ، ثوابُهُ ابتداءُ فضْلٍ ، وعذابُهُ حُكْمٌ بعدْلٍ ، وأمرُهُ قضاءٌ فصلٌ .

❀ ❀ ❀

ثُـمَّ اعلمـوا ـ رحمَكُـمُ اللهُ ـ : أنَّ المتحقِّقينَ مِـنْ هٰذهِ الطائفةِ انقرضَ أكثرُهُمْ ، ولمْ يبقَ في زمانِنا هٰذا مِنْ هٰذهِ الطائفةِ إلا أَثَرُهُمْ .

كما قيلَ : [من الكامل]

أَمَّـا ٱلْخِيَـامُ فَإِنَّهَـا كَخِيَامِهِـمْ ... وَأَرَىٰ نِسَـاءَ ٱلْحَـيِّ غَيْـرَ نِسَـائِهَا (١)

حصلَتِ الفترةُ في الطريقةِ ، لا بلِ اندرسَتِ الطريقةُ بالحقيقةِ .

مضى الشيوخُ الذينَ كانَ لهُمُ اهتداءٌ (٢) ، وقلَّ الشبابُ الذينَ كانَ لهُمْ بسيرتِهِمْ وسنَّتِهِمُ اقتداءٌ .

زالَ الورعُ وطُوِيَ بساطُهُ ، واشتدَّ الطمعُ وقَوِيَ رباطُهُ ، فارتحلَ عنِ القلوبِ حرمةُ الشريعةِ ، فعدُّوا قِلَّةَ المبالاةِ بالدِّينِ أوثقَ ذريعةٍ ، ورفضوا التمييزَ بينَ الحلالِ والحرامِ ، ودانوا بتركِ الاحترامِ وطرحِ الاحتشامِ ، واستخفُّوا بأداءِ العباداتِ ، واستهانوا بالصومِ والصَّلَواتِ ، وركضوا في ميدانِ الغَفَلاتِ ، وركنوا إلى اتباعِ الشهواتِ وقلةِ المبالاةِ بتعاطي المحظوراتِ ، والارتفاقِ بما يأخذونَهُ مِنَ السُّوقةِ والنِّسوانِ ، وأصحابِ السلطانِ .

ثمَّ لمْ يرضَوا بما تعاطَوهُ مِنْ سوءِ هٰذهِ الأفعالِ ، حتَّىٰ أشاروا إلىٰ أعلى الحقائقِ والأحوالِ ، وادَّعَوا أنَّهُمْ تحرَّرُوا عنْ رقِّ الأغلالِ ، وتحقَّقُوا بحقائقِ

---

(١) بيت سائر ، نسبه الإمام أبو طالب في « قوت القلوب » (١٧١/١) لمجنون ليلىٰ ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/٦٦) للشبلي ، وفي هامش (هـ) لحقٌ غير مصحح ؛ وهو زيادة بيتين :

لا والـذي حجَّـت قريـشٌ بيتَـهُ ... مسـتقبلينَ الركـنَ مِـنْ بطحائِهـا

مـا أبصـرَتْ عينـي خيـامَ قبيلـةٍ ... إلَّا ذكـرتُ أحبَّتـي بفِنائِهـا

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي نسخة في « إحكام الدلالة » (٣٦/١) : (بهم) بدل (لهم) .

الوصالِ ، وأنَّهُمْ قائمونَ بالحقِّ تجري عليهِمْ أحكامُهُ ، وهمْ محوٌ[1] ، وليسَ للهِ عليهِمْ فيما يؤثرونَهُ أوْ يذرونَهُ عَتْبٌ ولا لومٌ ، وأنَّهُمْ كُوشفوا بأسرارِ الأحديَّةِ ، واختُطفوا عنهُمْ بالكليَّةِ ، وزالَتْ عنهُمْ أحكامُ البشريَّةِ ، وبقُوا بعدَ فَنائِهِمْ عنهُمْ بأنوارِ الصمديَّةِ ، القائلُ عنهُمْ غيرُهُمْ إذا نطقوا ، والنائبُ عنهُمْ سواهُمْ فيما تصرَّفُوا بلْ صُرِّفوا .

❁ ❁ ❁

ولمَّا طالَ الابتلاءُ فيما نحنُ فيهِ مِنَ الزمانِ بما لوَّحتُ ببعضِهِ مِنْ هٰذهِ القصَّةِ ، وكنتُ لا أبسطُ إلىٰ هٰذهِ الغايةِ لسانَ الإنكارِ ؛ غيرةً علىٰ هٰذهِ الطريقةِ أنْ يُذكرَ أهلُها بسوءٍ ، أوْ يجدَ مخالفٌ لثَلْبِهِمْ مساغاً ؛ إذِ البلوىٰ في هٰذهِ الديارِ بالمخالفينَ لهٰذهِ الطريقةِ والمنكرينَ عليها شديدٌ[2] ، ولِما كنتُ أؤمِّلُ مِنْ مادَّةِ هٰذهِ الفترةِ أنْ تنحسمَ[3] ، ولعلَّ الحقَّ سبحانَهُ يجودُ بلطفِهِ في التنبيهِ لمَنْ حادَ عنِ السنَّةِ المُثلىٰ في تضييعِ آدابِ هٰذهِ الطريقةِ .

ولمَّا أبى الوقتُ إلا استصعاباً ، وأكثرُ أهلِ العصرِ بهٰذه الديارِ إلا تمادياً فيما اعتادوهُ ، واغتراراً بما ارتادوهُ . . أشفقتُ على القلوبِ أنْ تحسَبَ أنَّ هٰذا الأمرَ علىٰ هٰذهِ الجملةِ بُنِيَ قواعدُهُ ، وعلىٰ هٰذا النحوِ سارَ سلفُهُ ؛ فعلَّقتُ هٰذهِ الرسالةَ إليكُمْ أكرمَكُمُ اللهُ تعالىٰ ، وذكرتُ فيها بعضَ سيرِ شيوخِ هٰذهِ الطائفةِ ؛ في آدابِهِمْ وأخلاقِهِمْ ومعاملاتِهِمْ ، وعقائدِهِمْ بقلوبِهِمْ ، وما أشاروا إليهِ مِنْ مواجيدِهِمْ ، وكيفيةِ ترقِّيهِمْ مِنْ بدايتِهِمْ إلىٰ نهايتِهِمْ ؛ لتكونَ لمريدي هٰذهِ الطريقةِ قوَّةٌ ، ومنكُمْ لي بتصحيحِهِ شهادةٌ[4] ، ولي

---

(١) هٰذا من جملة دعاويهم ؛ أي : رُفع عنهم التكليف !

(٢) انظر المقدمة (ص ٢٣) .

(٣) قوله : (ولما كنت . . .) معطوف علىٰ قوله : (غيرةً علىٰ هٰذه . . .) .

(٤) الضمير في (بتصحيحه) يعود علىٰ ما ذكر مجملاً . أفاده الشيخ زكريا في « إحكام الدلالة » (١/ ٣٩) ، وفي هامش (هـ) : (وفي نسخة : « بتصحيحها » ؛ أي : هٰذه الطريقة) .

في نشرِ هٰذهِ الشكوىٰ سلوةٌ ، ومِنَ اللهِ الكريمِ فضلٌ ومثوبةٌ[1] .

وأستعينُ باللهِ سبحانَهُ فيما أذكرُهُ وأستكفيهِ ، وأستعصمُهُ مِنَ الخطاءِ فيهِ[2] ، وأستغفرُهُ وأستعفيهِ ، وهوَ بالفضلِ جديرٌ ، وعلىٰ ما يشاءُ قديرٌ[3] .

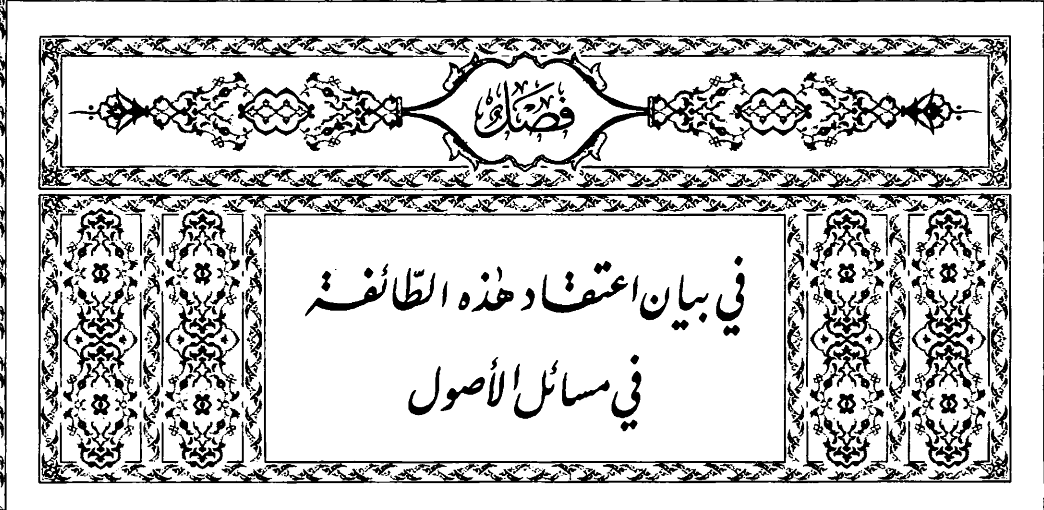
* * *

---

(١) كذا بالرفع في (قوة ، شهادة ، سلوة ، فضل ومثوبة) في النسخ الأصول (أ ، ب ، ج ، هـ) ، وفي « الدلالة » للعلامة اللخمي ، علماً أنه سقط من (د ، ل) ، علىٰ أن (تكون) تامة ؛ بمعنىٰ : (توجد) ، وفي (ح ، ي) وقعت جميعاً بالنصب ، وهو مختار شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٣٩/١) حيث قال : (« فضلاً ومثوبةً » أي : ثواباً ، واللام في المواضع الثلاثة متعلقة بالمنصوب بعدها بـ « تكون ») .

(٢) الخطاءُ والخَطَأُ والخطْءُ بمعنىً .

(٣) وقع في هامش (أ) : (بلغ أولاً) .



اعلموا ـ رحمَكُمُ اللهُ ـ : أنَّ شيوخَ هٰذهِ الطائفةِ بنَوا قواعدَ أمرِهِمْ علىٰ أصولٍ صحيحةٍ في التوحيدِ ؛ صانوا عقائِدَهُمْ عنِ البدعِ ، ودانوا بما وجدوا عليهِ السلفَ وأهلَ السنَّةِ مِنْ توحيدٍ ليسَ فيهِ تمثيلٌ ولا تعطيلٌ ، عرفوا ما هوَ حقُّ القدمِ ، وتحقَّقُوا بما هوَ نعتُ الموجودِ عنِ العدمِ[١] ، ولذٰلكَ قالَ سيِّدُ هٰذهِ الطريقةِ الجنيدُ رحمَهُ اللهُ : (التوحيدُ : إفرادُ القِدَمِ مِنَ الحَدَثِ ، فأحكِموا أصولَ العقائدِ بواضحِ الدلائلِ ولائحِ الشواهدِ)[٢] .

كما قالَ أبو محمدٍ الجُرَيريُّ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ لَمْ يقفْ علىٰ علمِ التوحيدِ بشاهدٍ مِنْ شواهدِهِ . . زلَّتْ بهِ قدمُ الغرورِ في مَهْواةٍ مِنَ التلفِ)[٣] .

يريدُ بذٰلكَ : أنَّ مَنْ ركنَ إلى التقليدِ ، ولمْ يتأمَّلْ دلائلَ التوحيدِ . . سقطَ عنْ سَنَنِ النجاةِ ، ووقعَ في أسْرِ الهلاكِ .

❀ ❀ ❀

ومَنْ تأمَّلَ ألفاظَهُمْ ، وتصفَّحَ كلامَهُمْ . . وجدَ في مجموعِ أقاويلِهِمْ

---

(١) الموجودُ عن العدم : هو كلُّ ما سوى الله تعالىٰ ، ونعتُهُ الافتقارُ المطلق لمولاه الغني .

(٢) أورده الإمام الباقلاني في « الإنصاف » (ص ٣١) ، وعبارته : (إفراز القدم عن الحدوث ، فأحكموا . . .) ، توفي الإمام الباقلاني سنة (٤٠٣ هـ) ، فقول المصنف الآتي : (كما قال . . .) شرح لمقالة الجنيد ، وفي أكثر النسخ : (وأحكَموا) بدل (فأحكِموا) ، وهي توهم العطف علىٰ قوله قبلُ : (عرفوا) .

(٣) أورده الباقلاني في « الإنصاف » (ص ٣٢) ، والمهواة : ما بين الجبلين ونحو ذٰلك .

ومتفرِّقاتِها ما يثقُ بتأمُّلِهِ بأنَّ القومَ لمْ يقصِّروا في التحقيقِ عنْ شأوٍ[١] ، ولمْ يعرِّجوا في الطلبِ علىٰ تقصيرٍ .

ونحنُ نذكرُ في هـٰذا الفصلِ جُملاً مِنْ متفرِّقاتِ كلامِهِمْ فيما يتعلَّقُ بمسائلِ الأصولِ ، ثمَّ نحرِّرُ على الترتيبِ بعدَها ما يشتملُ علىٰ ما يُحتاجُ إليهِ في الاعتقادِ علىٰ وجهِ الإيجازِ والاختصارِ إنْ شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ محمدَ بنَ الحسينِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ موسى السَّلاميَّ يقولُ : سمعتُ الشِّبْليَّ يقولُ : (جلَّ الواحدُ المعروفُ ، قبلَ الحدودِ وقبلَ الحروفِ)[٢] ، هـٰذا صريحٌ مِنَ الشِّبْليِّ أنَّ القديمَ سبحانَهُ لا حدَّ لذاتِهِ ، ولا حروفَ لكلامِهِ .

سمعتُ أبا حاتمٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الطوسيَّ يقولُ : سُئِلَ رُوَيمٌ عَنْ أَوَّلِ فرضٍ افترضَ[٣] اللهُ علىٰ خلقِهِ ما هوَ ؟ فقالَ : المعرفةُ ؛ لقولِهِ جلَّ ذكرُهُ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤] ، قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهما : إلَّا ليعرفونِ[٥] .

وقالَ الجنيدُ : (إنَّ أوَّلَ ما يحتاجُ إليهِ مِنْ عَقْدِ الحكمةِ : معرفةُ المصنوعِ صانعَهُ ، والمحدَثِ كيفَ كانَ إحداثُهُ ، فيعرفُ صفةَ الخالقِ مِنَ المخلوقِ ، وصفةَ القديمِ مِنَ المحدَثِ ، فيَذِلُّ لدعوتِهِ ، ويعترفُ بوجوبِ طاعتِهِ ؛ فإنَّ مَنْ لمْ يعرفْ مالكَهُ .. لمْ يعترفْ بالملكِ لمَنِ استوجبَهُ)[٦] .

أخبرَني محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ

---

(١) الشأو : الغاية والأمد ، ويأتي بمعنى السبق ، والمراد الأول .

(٢) ونقله أيضاً ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/٦٦) .

(٣) في (ي ، ك) : (افترضه) بدل (افترض) ، واتفقت النسخ علىٰ ما أثبت .

(٤) سورة الذاريات : (٥٦) .

(٥) الخبر بتمامه عند أبي نصر السراج في « اللمع » (ص ٦٣) ، وسياقه يوحي أنه لأبي الحسين النوري ، وتفسير ابن عباس رضي الله عنهما رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٢٥) ، والمعرفة أول دَرَجِ الإيمان كما سيأتي (ص ٤٣٢) .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٦/١٠) ، وصدره عند الباقلاني في « الإنصاف » (ص ٣٢) .

أبا الطَّيِّبِ المَرَاغيَّ يقولُ : (للعقلِ دلالةٌ ، وللحكمةِ إشارةٌ ، وللمعرفةِ شهادةٌ ؛ فالعقلُ يدلُّ ، والحكمةُ تشيرُ ، والمعرفةُ تشهدُ : أنَّ صفاءَ العباداتِ لا يُنالُ إلا بصفاءِ التوحيدِ)[١] .

وسُئلَ الجنيدُ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : (إفرادُ الموحَّدِ بتحقيقِ وحدانيتِهِ بكمالِ أحديَّتِهِ أنَّهُ الواحدُ ، الذي لمْ يلدْ ولمْ يُولدْ ، بنفيِ الأضدادِ والأندادِ والأشباهِ ، بلا تشبيهٍ ولا تكييفٍ ، ولا تصويرٍ ولا تمثيلٍ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾)[٢] .

أخبرَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ يحيى الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ التميميُّ الصوفيُّ يحكي عنِ الحسنِ بنِ عليٍّ الدَّامَغانيِّ قالَ : سُئلَ أبو بكرٍ الزاهرآباديُّ عنِ المعرفةِ ، فقالَ : (المعرفةُ اسمٌ ، ومعناهُ : وجودُ تعظيمٍ في القلبِ يمنعُكَ عنِ التعطيلِ والتشبيهِ)[٣] .

وقالَ أبو الحسنِ البُوشَنجيُّ : (التوحيدُ : أنْ تعلمَ أنَّهُ غيرُ مُشْبِهٍ للذواتِ ، ولا منفيِّ الصفاتِ)[٤] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلميُّ قالَ : سمعتُ محمدَ بنَ محمدِ بنِ غالبٍ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بنَ سعيدٍ الإِسْفِيجابيَّ يقولُ : قالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (ألزمِ الكلَّ الحَدَثَ[٥] ؛ لأنَّ القدمَ لهُ ، فالذي بالجسمِ ظهورُهُ فالعرضُ يلزمُهُ ، والذي بالأدواتِ اجتماعُهُ فقواها تمسكُهُ[٦] ، والذي

---

(١) محمد بن عبد الله : هو الرازيُّ ، وصفاء العبادات : خلوصها لوجه الله تعالىٰ من أسباب العوائق ، كما أفاده العلامة العروسي في « نتائج الأفكار » (١/٤٤) باتفاق العلماء والحكماء والعارفين .

(٢) أورده السراج في « اللمع » (ص ٤٩) ، والآية من سورة الشورىٰ : (١١) .

(٣) ورواه السراج في « اللمع » (ص ٦٤) وهو عبد الله بن علي الصوفي في سند المصنف ، والتعطيل : نفي الصفات ؛ كما قال العلامة العروسي في « نتائج الأفكار » (١/٤٥) ، والزاهرآبادي : في (ج ، و) : (الزاهدآبادي) وآباد بالفارسية : مدينة ، أو عامر من الأرض ، ويكثر استعمالها بالذال كما وقع في بعض النسخ كذلك .

(٤) رواه ابن عساكر عن حفيد المصنف بسنده إلى الإمام البوشنجي في « تاريخ دمشق » (٤١/٢١٥) ، إذ الحمدُ علامة إثبات الصفات ، والتسبيحُ علامة التنزيه .

(٥) في (هـ ، ح ، ل) : (ألزَمَ) كذا ضبطت ، والفاعل هو الله تعالىٰ ، والإسفيجابي : نسبة لإسفيجاب من ثغور الترك .

(٦) الأدوات : الأسباب ؛ كالحياة المفاضة عليه من المولى العظيم . « نتائج الأفكار » (١/٤٥) ، والمراد : ←

يؤلِّفُـهُ وقتٌ يفرِّقُهُ وقتٌ ، والذي يقيمُهُ غيرُهُ فالضرورةُ تمَسُّـهُ ، والذي الوهمُ يظفرُ بِهِ فالتصويرُ يرتقي إليهِ ، ومَنْ آواهُ محلٌّ أدركَهُ أينٌ ، ومَنْ كانَ لهُ جنسٌ طالبُهُ مُكيِّفٌ (١) .

إنَّهُ سبحانَهُ لا يظلُّهُ فوقٌ ، ولا يقلُّهُ تحتٌ (٢) ، ولا يقابلُهُ حدٌّ ، ولا يزاحمُهُ عندٌ ، ولا يأخذُهُ خلفٌ ، ولا يحدُّهُ أمامٌ ، ولمْ يظهرْهُ قبلٌ ، ولمْ يفنِهِ بعْدٌ (٣) ، ولمْ يجمعْهُ كلٌّ ، ولمْ يوجدْهُ كانَ ، ولمْ يفقِدْهُ ليسَ (٤) .

وصفُهُ لا صفةَ لهُ ، وفعلُهُ لا علَّةَ لهُ ، وكونُهُ لا أمدَ لهُ .

تنزَّهَ مِنْ أحوالِ خلقِهِ ، ليسَ لهُ مِنْ خلقِهِ مزاجٌ (٥) ، ولا في فعلِهِ علاجٌ ، باينَهُمْ بقدمِهِ كما باينوهُ بحدوثِهِمْ (٦) .

إنْ قلتَ : متىٰ ؟ فقدْ سبقَ الوقتَ كونُهُ ، وإنْ قلتَ : هوَ . . فالهاءُ والواوُ خلقُهُ ! وإنْ قلتَ : أينَ ؟ فقدْ تقدَّمَ المكانَ وجودُهُ .

فالحروفُ آياتُهُ ، ووجودُهُ إثباتُهُ ، ومعرفتُهُ توحيدُهُ ، وتوحيدُهُ تمييزُهُ مِنْ خلقِهِ (٧) ، ما تُصُوِّرَ في الأوهامِ فهوَ بخلافِهِ .

كيفَ يحُلُّ بِهِ ما منهُ بدا ؟ أوْ يعودُ إليهِ ما هوَ أنشأَهُ ؟ لا تماقلُهُ العيونُ (٨) ، ولا تقابلُهُ الظنونُ (٩) .

← تنقيصُ من يتَّصف بصفات الأبعاض ؛ كاليد والرجل ونحوهما ، بخلاف الوصف بما ذُكر علىٰ أنها صفات ذات .

(١) أي : فطالبُهُ مُكَيِّفٌ له ، كما في « إحكام الدلالة » (١/٤٦) ، وفي (ز) : (طالِبُهُ بكيف) ، قال العلامة العروسي في « نتائج الأفكار » (١/٤٦) : (أي : اسأله بما يميِّز ما تحته من الأنواع ؛ كالفصول مثلاً) .

(٢) في (أ ، ج ، ح) ونسخة بهامش (ي) : (يقطعه) بدل (يقلُّهُ) ، ومفادها لطيف ؛ فما أقلَّ قطعَ .

(٣) بل هو باقٍ بعد وجود العالم وقبله . « إحكام الدلالة » (١/٤٦) ، وفي (أ) : (يعينْهُ) بدل (يفنِهِ) .

(٤) ولا غيرها من أدوات النفي ؛ وذلك لأن وجوده تعالىٰ لا يقبل الانتفاء . « نتائج الأفكار » (١/٤٦) .

(٥) أي : خلافاً لمن قال بالحلول أو بالطبع أو العلة .

(٦) فإذا ورد الشرعُ بأنه تعالىٰ بائنٌ من خلقه . . فهـٰذا معنى البينونة .

(٧) ووقعت التعدية في بعض النسخ بـ (عن) ، قال تعالىٰ في سورة الأنفال (٣٧) : ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ .

(٨) تماقله العيون : أي : لا تراه بالمقلة في جهة . « إحكام الدلالة » (١/٤٨) .

(٩) أي : لا يمكن أن تتعلَّق به تعلُّق إدراك ؛ لقصور الحادث عن إدراك القديم . « نتائج الأفكار » (١/٤٧) .

قربُهُ كرامتُهُ ، وبعدُهُ إهانتُهُ ، علُوُّهُ مِنْ غيرِ توقُّلٍ[1] ، ومجيئُهُ مِنْ غيرِ تنقُّلٍ .

هوَ الأوَّلُ والآخرُ ، والظاهرُ والباطنُ ، القريبُ البعيدُ ، الذي ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ)[2] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الطوسيَّ السرَّاجَ يحكي عنْ يوسفَ بنِ الحسينِ قالَ : قامَ رجلٌ بينَ يدي ذي النونِ المصريِّ فقالَ : أخبرْني عنِ التوحيدِ ما هوَ ؟ فقالَ : هوَ أنْ تعلمَ أنَّ قدرةَ اللهِ تعالىٰ في الأشياءِ بلا مزاجٍ ، وصنعَهُ للأشياءِ بلا علاجٍ ، وعلَّةَ كلِّ شيءٍ صنعُهُ ، ولا علَّةَ لصنعِهِ ، وليسَ في السماواتِ العُلا ولا في الأرَضينَ السُّفلىٰ مدبِّرٌ غيرُ اللهِ تعالىٰ ، وكلُّ ما تصوَّرَ في وهمِكَ فاللهُ تعالىٰ بخلافِ ذٰلكَ[3] .

وقالَ الجنيدُ : (التوحيدُ : علمُكَ وإقرارُكَ بأنَّ اللهَ تعالىٰ فرْدٌ في أزليَّتِهِ ، لا ثانيَ معَهُ ، ولا شيءَ يفعلُ فعلَهُ)[4] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (الإيمانُ : تصديقُ القلوبِ بما أعلمَهُ الحقُّ مِنَ الغيوبِ)[5] .

وقالَ أبو العبَّاسِ السَّيَّاريُّ : (عطاؤُهُ علىٰ نوعينِ : كرامةٌ واستدراجٌ ؛ فما أبقاهُ عليكَ فهوَ كرامةٌ ، وما أزالَهُ عنكَ فهوَ استدراجٌ ، فقلْ : أنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ)[6] .

---

(١) توقَّل الجبل : علاه ، وفيه : تصعَّد . انظر « الصحاح » (و ق ل) .

(٢) الحسين بن منصور : هو الحلاج ، وقد نقل عنه هٰذا القول الإمام الباقلاني في « الإنصاف » (ص ٤٠) حيث قال : (وقال بعض أهل التحقيق) ، وبعض جمله أوردها ابن الساعي متفرقة في « أخبار الحلاج » .

(٣) قاله الإمام السرَّاج في « اللمع » (ص ٤٩) عن يوسف بن الحسين بلاغاً .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٦/١٠) ضمن خبر طويل .

(٥) أورده له أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٦/١٠) ، وما أعلمه الحق من الغيوب : هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) تعليق الإيمان بالمشيئة بالنظر لجهالة الخاتمة ، ثم قوله : (فقل : أنا مؤمن) قدَّر له شيخ الإسلام زكريا متعلَّقاً ، فقال في سياقه كما في « إحكام الدلالة » (٤٩/١) : (وإذا أخبرت عن نفسك بالإيمان . . « فقل : أنا ←

وأبو العبَّاسِ السَّيَّاريُّ كانَ شيخَ وقتِهِ [1] ، سمعتُ الأستاذَ أبا عليِّ الحسنَ بنَ عليِّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : غمزَ رجلٌ رِجْلَ أبي العبَّاسِ السيَّاريِّ ، فقالَ : تغمزُ رِجْلاً ما نقلتُهَا قطُّ في معصيةِ اللهِ تعالىٰ ؟!

وقالَ أبو بكرٍ الواسطيُّ : (مَنْ قالَ : أنا مؤمنٌ باللهِ حقّاً . . قيلَ لهُ : الحقيقةُ تشيرُ إلىٰ إشرافٍ أوِ اطِّلاعٍ وإحاطةٍ ، فمَنْ فقدَهُ . . بطلَ دعواهُ فيها) [2] .

يريدُ بذٰلك : ما قالَهُ أهلُ السنَّةِ : إنَّ المؤمنَ الحقيقيَّ : مَنْ كانَ محكوماً لهُ بالجنَّةِ ، فمَنْ لمْ يعلمْ ذٰلكَ مِن سِرِّ حكمِهِ تعالىٰ [3] . . فدعواهُ بأنَّهُ مؤمنٌ حقّاً غيرُ صحيحةٍ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ العنبريَّ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ التُّسْتَرِيَّ يقولُ : (ينظرُ إليهِ تعالى المؤمنونَ بالأبصارِ مِنْ غيرِ إحاطةٍ ولا إدراكِ نهايةٍ) .

وقالَ أبو الحسينِ النُّوريُّ : (شاهدَ الحقُّ القلوبَ ، فلمْ يرَ قلباً أشوقَ إليهِ مِنْ قلبِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأكرمَهُ بالمعراجِ تعجيلاً للرؤيةِ والمكالمةِ) [4] .

سمعتُ الإمامَ أبا بكرٍ محمدَ بنَ الحسنِ بنِ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ المحبوبِ خادمَ أبي عثمانَ المغربيِّ يقولُ : قالَ لي أبو عثمانَ المغربيُّ يوماً : يا محمدُ ؛ لوْ قالَ لكَ أحدٌ : أينَ معبودُكَ ؟ أيْشٍ تقولُ ؟

قالَ : فقلتُ : أقولُ : حيثُ لمْ يزلْ .

← مؤمن ») ، وقد روى السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٣١) عنه نحو ما هنا ؛ قال : (كيف السبيل إلىٰ ترك ذنب كان عليك في اللوح المحفوظ محفوظاً ، أو إلىٰ صرف قضاء كان به العبد مربوطاً ؟) .

(١) ستأتي ترجمته (ص ٢١٤) .

(٢) في (ج) : (إشراف أو اطلاع أو إحاطة . . .) ، وقوله : (فقده) أراد واحداً منها .

(٣) في (هـ ، ي ، ك ، ل) : (حكمة الله تعالىٰ) بدل (حكمه تعالىٰ) .

(٤) والمعنىٰ : أنه تعالىٰ فطرَ قلبه صلى الله عليه وسلم علىٰ هٰذه الحال ، كما أفاده العروسي في « نتائج الأفكار » (١/٥١) .

قالَ : فإنْ قالَ لكَ : **فأينَ كانَ في الأزلِ ؟ فأيْشٍ تقولُ ؟**

قالَ : قلتُ : أقولُ : حيثُ هوَ الآنَ . يعني : أنَّهُ كما كانَ ولا مكانَ ، فهوَ الآنَ علىٰ ما كانَ .

قالَ : فارتضىٰ منِّي ذٰلكَ ، ونزعَ قميصَهُ وأعطانيهِ [1] .

وسمعتُ الإمامَ أبا بكرِ ابنَ فُورَكَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (كنتُ أعتقدُ شيئاً مِنْ حديثِ الجهةِ [2] ، **فلمَّا قدمتُ بغدادَ . . زالَ ذٰلكَ عنْ قلبي ، فكتبتُ إلىٰ أصحابِنا بمكَّةَ أنِّي أسلمتُ جديداً**) [3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ **وقدْ سُئِلَ عنِ الخَلْقِ ؟** فقالَ : قوالبُ وأشباحٌ تجري عليهِمْ أحكامُ القدرةِ [4] .

وقالَ الواسطيُّ : (**لمَّا كانتِ الأرواحُ والأجسادُ قامَتا باللهِ وظهرَتا بهِ لا بذواتِها** . . فكذٰلكَ قامتِ الخَطَراتُ والحركاتُ باللهِ لا بذواتِها ؛ إذِ الحركاتُ والخَطَراتُ فروعُ الأجسادِ والأرواحِ) ، **صرَّحَ بهٰذا الكلامِ** أنَّ أكسابَ العبادِ مخلوقةٌ للهِ تعالىٰ ؛ **وكما أنَّهُ لا خالقَ للجواهرِ إلا اللهُ تعالىٰ** . . فكذٰلكَ لا خالقَ للأعراضِ إلا اللهُ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الصيدلانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الخرَّازَ يقولُ : (**مَنْ ظنَّ أنَّهُ ببذلِ الجُهْدِ يَصِلُ . . فمُتعنٍ ، ومَنْ ظنَّ أنَّهُ بغيرِ الجُهْدِ يَصِلُ . . فمُتمنٍ**) [5] .

---

(١) أورده الإمام الباقلاني في « الإنصاف » (ص ٤٠) ، أَيْشٍ : في (أ) : (أيُّ شيء) بدلها ، وقول الإمام القشيري : (كما كان ولا مكان . . .) نفيٌ للمحايثة ، فلا يرد عليه استعمالُ لفظ (حيث) .

(٢) في هامش (ج) : (كنت أعتقد بمكة شيئاً . . .) ، وفي (أ) : (سمعت أبا عثمان المغربي يقول بمكة) .

(٣) وأورده الباقلاني في « الإنصاف » (ص ٤٠) ، وفي (ي) : (أسلمت الآن إسلاماً جديداً) .

(٤) ورواه من طريق المصنف عصريُّهُ الإمام الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٩/١١٤) .

(٥) ورواه الماليني في « الأربعين في شيوخ الصوفية » (ص ١١١) ، وعنه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٢٩) ، **والمتعنِّي** : من يتعب نفسه ولا يصل ، **والمتمنِّي** : المغرور .

وقالَ الواسطيُّ : (أقسامٌ قُسِّمَتْ ونعوتٌ أُجرِيَتْ ، كيفَ تُستجلبُ بحركاتٍ ، أوْ تُنالُ بسعاياتٍ ؟!) .

وسُئِلَ الواسطيُّ عنِ الكفرِ : باللهِ أوْ للهِ ؟ فقالَ : الكفرُ والإيمانُ والدنيا والآخرةُ مِنَ اللهِ وإلى اللهِ وباللهِ وللهِ ؛ مِنَ اللهِ ابتداءً وإنشاءً ، وإلى اللهِ مرجعاً وانتهاءً ، وباللهِ بقاءً وفناءً ، وللهِ مُلْكاً وخَلْقاً .

وقالَ الجنيدُ : سُئِلَ بعضُ العلماءِ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : هوَ اليقينُ ، فقالَ السائلُ : بيِّنْ لي ما هوَ ؟ فقالَ : هوَ معرفتُكَ أنَّ حركاتِ الخلقِ وسكونَهُمْ فعلُ اللهِ عزَّ وجلَّ وحدَهُ ، لا شريكَ لهُ ، فإذا فعلتَ ذٰلك . . فقدْ وحَّدتَهُ[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ القاسمَ بنَ القاسمِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ موسى الواسطيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ الجوهريَّ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ وجاءَهُ رجلٌ فقالَ : ادعُ اللهَ تعالىٰ لي ، فقالَ : إنْ كنتَ قدْ أُيِّدتَ في علمِ الغيبِ بصدقِ التوحيدِ . . فكمْ مِنْ دعوةٍ مجابةٍ قدْ سبقَتْ لكَ ، وإلَّا . . فإنَّ النداءَ لا يُنقذُ الغرقىٰ ![2] .

وقالَ الواسطيُّ : (ادَّعىٰ فرعونُ الربوبيَّةَ على الكشْفِ ، وادَّعتِ المعتزلةُ على السَّتْرِ ، تقولُ : ما شئتَ فعلتَ)[3] .

وقالَ أبو الحسينِ النُّوريُّ : (التوحيدُ : كلُّ خاطرٍ يشيرُ إلى اللهِ بعدَ ألا تزاحمَهُ خواطرُ التشبيهِ)[4] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥٦) ، ومعنىٰ (فإذا فعلت) : فإذا عرفت .

(٢) ورواه ابن عساكر عن ابن المصنف عنه في « تاريخ دمشق » (١٧/٤٠٦) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (وهٰذا يحتمل وجهين : أن الشيخ غلب علىٰ قلبه في هٰذا الوقت النظر إلى السوابق . . . ، أو أن يكون هٰذا السائل ممن يميل إلى القدر) ، وفي هامش (ج) : (ادعُ الله لي حتىٰ يجيب دعوتي . . .) .

(٣) في (ب ، ج ، ل) : (السر) بدل (الستر) ، وفي (أ ، ب ، ج) : (ما شئتُ . . فعلتُ) .

(٤) قوله : (كل خاطر . . .) : فيه تبرُّؤهم من إنشاء التوحيد وإضافته لأكسابهم ، كما أفاد العلامة اللخمي في « الدلالة » .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قالَ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكـرٍ يقولُ : سـمعتُ هلالَ بنَ أحمدَ يقولُ : سُـئِلَ أبو علـيٍّ الرُّوذْباريُّ عنِ التوحيـدِ ، فقالَ : التوحيدُ : اسـتقامةُ القلبِ بإثباتِ مفارقـةِ التعطيلِ وإنكارِ التشـبيهِ ، والتوحيدُ في كلمةٍ واحـدةٍ : كلُّ ما صوَّرَهُ الأوهامُ والأفكارُ . . فاللهُ سبحانَهُ بخلافِهِ ؛ لقولِهِ : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (١) .

وقالَ أبو القاسمِ النصراباذيُّ : (الجنَّةُ باقيةٌ بإبقائِهِ ، وذكرُهُ لكَ ورحمتُهُ ومحبَّتُهُ لكَ باقيةٌ ببقائِهِ ، فشتَّانَ بينَ ما هوَ باقٍ ببقائِهِ ، وبينَ ما هوَ باقٍ بإبقائِهِ) .

وهـٰذا الذي قالَهُ الشيخُ أبو القاسمِ النصراباذيُّ هوَ غايةُ التحقيقِ ؛ فإنَّ أهلَ الحقِّ قالوا : صفاتُ ذاتِ القديمِ سبحانَهُ باقياتٌ ببقائِهِ تعالىٰ ؛ فنبَّهَ علىٰ هـٰذهِ المسألةِ ، وبيَّنَ أنَّ الباقيَ باقٍ ببقاءٍ ، خلافَ ما قالَهُ مخالفو أهلِ الحقِّ (٢) .

أخبرَنا محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (أنتَ متردِّدٌ بينَ صفاتِ الفعلِ وصفاتِ الذاتِ ، وكلاهما صفتُهُ على الحقيقةِ ، فإذا هيَّمَكَ في مقامِ التفرقةِ . . قرنَكَ بصفاتِ فعلِهِ ، وإذا بلَّغَكَ إلىٰ مقامِ الجمعِ . . قرنَكَ بصفاتِ ذاتِهِ) (٣) ، وأبو القاسمِ النصراباذيُّ شيخُ وقتِهِ (٤) .

سـمعتُ الأستاذَ الإمامَ أبا إسـحاقَ الإسـفرايِنِيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : لمَّا قدمتُ مِنْ بغدادَ . . كنتُ أدرّسُ في جامعِ نيسـابورَ مسـألةَ الروحِ ، وأشرحُ القـولَ فـي أنَّها مخلوقـةٌ ، وكانَ أبو القاسـمِ النصراباذيُّ قاعـداً متباعداً عنَّـا يصغي إلـىٰ كلامي ، فاجتـازَ بنا بعـدَ ذٰلك يوماً بأيـامٍ قلائلَ (٥) ،

---

(١) سورة الشورىٰ : (١١) .

(٢) في (ي) زيادة : (فخالفوا الحق) ، وفيه جعل صفة البقاء من المعاني ، وسيأتي (ص ٩٧) .

(٣) ورواه ابن عساكر عن ابن المصنف عنه في « تاريخ دمشق » (١٠٨/٧) ، وفيه في الموضعين : (قرَّبك) بدل (قرنك) .

(٤) ستأتي ترجمته (ص ٢٢٦) .

(٥) في « إحكام الدلالة » (٥٦/١) : (« بعد ذٰلك يوماً » متراخياً عن ذٰلك « بأيام ») .

فقالَ لمحمدٍ الفرَّاءِ : (اشـهدْ أنِّي أسـلمتُ علىٰ يدِ هـٰذا الرجلِ) وأشـارَ إليَّ [١] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ فاتكٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (متىٰ يتَّصلُ مَنْ لا شبيهَ لهُ ولا نظيرَ بما لهُ شبيهٌ ونظيرٌ ؟! هيهاتَ ! هـٰذا ظنٌّ عجيبٌ ، إلا بما لطفَ اللطيفُ مِنْ حيثُ لا دركَ ولا وهْمَ ولا إحاطةَ إلا إشارةُ اليقينِ وتحقيقُ الإيمانِ) [٢] .

وأخبرَنا محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكرٍ يقولُ : حدَّثَني أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ البَرْدَعيُّ [٣] قالَ : حدَّثَنا طاهرُ بنُ إسماعيلَ الرازيُّ قالَ : قيلَ ليحيى بنِ معاذٍ : أخبِرْنا عنِ اللهِ ؟ فقالَ : إلـٰهٌ واحدٌ ، فقيلَ لهُ : كيفَ هوَ ؟ فقالَ : مَلِكٌ قادرٌ ، فقيلَ له : أينَ هوَ ؟ فقالَ : بالمرصادِ ، فقالَ السائلُ : لمْ أسألْكَ عنْ هـٰذا ! فقال : ما كانَ غيرَ هـٰذا . . كانَ صفةَ المخلوقِ ، فأمَّا صفتُهُ . . فما أخبرتُكَ عنهُ [٤] .

وأخبرَنا محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : سـمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سـمعتُ أبـا علـيٍّ الرُّوذْبـاريَّ يقـولُ : (كلُّ مـا توهَّـمَ متوهِّـمٌ بالجهـلِ أنَّـهُ كـذٰلكَ . . فالعقلُ يدلُّ أنَّهُ بخلافِهِ) [٥] .

---

(١) ورواه ابن عساكر عن ابن المصنف عنه في « تاريخ دمشق » (١٠٧/٧) ، وانظر « اللمع » (ص ٥٥٤) ، حيث عقد باباً في ذكر من غلط في الروح .

(٢) مفاده : القرب من الله ليس بالحسِّ والقرب المعهود ، وإنما هو بكمال اليقين والمعرفة بالله تعالىٰ ، ودوام الذكر له وقلَّة الغفلات . « الدلالة » للعلامة اللخمي .

(٣) في بعض النسخ : (البرذعي) بالذال ، وكلاهما صواب ؛ نسبةً إلىٰ بردعة بالدال والذال ، والدال أفصح وأكثر ، وهي مدينة آخر حدود أذربيجان ، وكذا لو كان منسوباً لصناعة البراذع ، فيجوز الإهمال فيها أيضاً والإعجام أكثر .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦٠/١٠) ، والسُّلمي في « طبقاته » (ص ١٠٢) ، وصرَّح ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢٩٧/٢) بعد روايته أن السائل كان ملحداً .

(٥) الباء في (بالجهل) للملابسة ؛ أي : ملتبساً بالجهل ، وهو توهُّم الأجسام والأحياز ، وفي (ج ، هـ ، ي) : (علىٰ أنه بخلافه) بدل (بخلافه) .

وسألَ ابنُ شاهينَ الجنيدَ عنْ معنىٰ (مع) ، فقالَ : (مع) علىٰ معنيينِ : معَ الأنبياءِ بالنصرةِ والكلاءةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[1] ، ومعَ العامَّةِ بالعلمِ والإحاطةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ ﴾[2] ، فقالَ ابنُ شاهينَ : مثلُكَ يصلُحُ دالّاً للأمَّةِ على اللهِ ![3] .

وسُئِلَ ذو النونِ المصريُّ عنْ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[4] ، فقالَ : أثبتَ ذاتَهُ ونفىٰ مكانَهُ ، فهوَ موجودٌ بذاتِهِ ، والأشياءُ موجودةٌ بحكمِهِ كما شاءَ[5] .

وسُئِلَ الشبليُّ عنْ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ ، فقالَ : الرحمـٰنُ لمْ يزلْ ، والعرشُ محدثٌ ، والعرشُ بالرحمـٰنِ استوىٰ[6] .

وسُئِلَ جعفرُ ابنُ نُصيرٍ عنْ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ ، فقالَ : استوىٰ علمُهُ بكلِّ شيءٍ ، فليسَ شيءٌ أقربَ إليهِ مِنْ شيءٍ[7] .

وقالَ جعفرٌ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ زعمَ أنَّ اللهَ في شيءٍ ، أوْ مِنْ شيءٍ ، أوْ علىٰ شيءٍ . . فقدْ أشركَ ؛ لوْ كانَ علىٰ شيءٍ . . لكانَ محمولاً ، ولوْ كانَ في شيءٍ . . لكانَ محصوراً ، ولوْ كانَ مِنْ شيءٍ . . لكانَ محدَثاً)[8] .

---

(١) سورة طه : (٤٦) .
(٢) سورة المجادلة : (٧) .
(٣) فنخرج من مجموع ذلك : أن المعية بمعنى المجاورة والمقارنة والمداناة في وصفه محالٌ . « الدلالة » للخمي ، وابن شاهين المذكور ليس هو المحدث صاحب التصانيف ؛ إذ هـٰذا وُلد سنة وفاة الجنيد (٢٩٧ هـ) ، بل ذكر اسمه شيخ الإسلام زكريا أنه : أبو إسحاق إبراهيم بن شاهين كما في « إحكام الدلالة » (١/٨٤) .
(٤) سورة طه : (٥) .
(٥) أثبت ذاته بدلالة قوله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ ، ونفىٰ مكانه بدلالة العقل . « إحكام الدلالة » (١/٥٨) ، ويضاف لدلالة العقل دلالة النقل ؛ كقوله تعالىٰ في سورة الإخلاص (١ ـ ٣) : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ... ﴾ السورة ، وقوله تعالىٰ في سورة الشورىٰ (١١) : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ ، وسورة الإخلاص من أوائل ما أنزل .
(٦) قوله : (والعرش بالرحمـٰن استوىٰ) يعني : بقدرته وإرادته . « الدلالة » للخمي .
(٧) أي : استوىٰ علمه بكل شيء ؛ يعني : بكل مخلوق ، والعرش من جملة مخلوقاته ، فأشار إلى الفرق بين الصانع والمصنوع ، والقديم والمحدث . « الدلالة » للخمي .
(٨) ونقله أيضاً العارف بالله أحمد الرفاعي في « البرهان المؤيد » (ص ٢٤) .

وقالَ أيضاً في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾[١] : **مَنْ توهَّمَ أنَّهُ دنا بنفسِهِ** . . جعلَ ثَمَّ مسافةً ، **إنَّما التدلِّي أنَّهُ كُلَّما قرُبَ منهُ** . . بَعَّدَهُ عنْ أنواعِ المعارفِ ؛ إذْ لا دنوَّ ولا بُعْدَ[٢] .

ورأيتُ بخطِّ الأستاذِ أبي عليٍّ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قيلَ لصوفيٍّ : **أينَ اللهُ ؟** فقالَ : أسحقَكَ اللهُ ؛ **تطلبُ معَ العينِ أينَ ؟!**[٣] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : سمعتُ أبا العباسِ بنَ الخشَّابِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ موسىٰ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ الأنصاريَّ يقولُ : سمعتُ الخرَّازَ يقولُ : (**حقيقةُ القرْبِ : فقْدُ** حسِّ الأشياءِ مِنَ القلبِ ، وهدوُّ الضميرِ إلى اللهِ تعالىٰ)[٤] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ الحافظَ يقولُ : سمعتُ أبا معاذٍ القَزْوينيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الدَّلَّالَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ قَهْرَمَانَ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاصَ يقولُ : **انتهيتُ إلىٰ رجلٍ وقدْ صرعَهُ الشيطانُ ، فجعلتُ أُؤَذِّنُ في أذنِهِ ، فناداني الشيطانُ مِنْ جوفِهِ : دعْني أقتلْهُ ؛ فإنَّهُ يقولُ : القرآنُ مخلوقٌ**[٥] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (**إنَّ اللهَ تعالىٰ لمَّا خلقَ الأحرفَ** . . جعلَها سرّاً لهُ ، **فلمَّا خلقَ آدمَ عليهِ السلامُ** . . بثَّ فيهِ ذٰلكَ السرَّ ، ولمْ يبُثَّ ذٰلكَ السرَّ في أحدٍ مِنْ ملائكتِهِ ، **فجرَتِ الأحرفُ علىٰ لسانِ آدمَ عليهِ السلامُ بفنونِ الجريانِ**

---

(١) سورة النجم : (٨) .

(٢) قوله : (بعَّدَه . . .) كمالُ اشتغال بالله تعالىٰ ، وقرب قلبه من رؤيته ومناجاته ، وذكره حتىٰ غاب عن سائر المخلوقات ، فإنه بعدٌ عن غيره لكمال شغله به . « الدلالة » للخمي .

(٣) السحق في اصطلاحهم : أن يشغله الله بذكره عن نفسه ، فهو دعاء له بخير ، وهـٰذا الصوفي المسؤول كان في حالة حضور مع الله ، و(أين) للسؤال عن الغائب ، فقد يكون دعاؤه لإبداء العجب منه ، كما يفيده العلامة اللخمي في « الدلالة » .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٠) وفي جميع النسخ : (أبا القاسم بن موسىٰ) وسيأتي (ص ٣٥٣) : (ابن أبي موسىٰ) باتفاق النسخ أيضاً .

(٥) وحكاه الرافعي في « التدوين » (١٤٠/٤) بسند المصنف ، وروىٰ نحوه الخطيب في « تاريخه » (٣٨٣/٥) .

وفنونِ اللُّغاتِ ، فجعلَها اللهُ تعالىٰ صوراً لها)[١] ، صرَّحَ ابنُ عطاءٍ القولَ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ[٢] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (إنَّ الحروفَ لسانُ فعلٍ لا لسانُ ذاتٍ ؛ لأنها فعلٌ في مفعولٍ)[٣] ، وهـٰذا أيضاً صريحٌ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ .

وقالَ الجنيدُ في « جواباتِ مسائلِ الشاميّينَ » : (التوكُّلُ : عملُ القلبِ ، والتوحيدُ : قولُ القلبِ) ، وهـٰذا قولُ أهلِ الأصولِ : إنَّ الكلامَ : هوَ المعنى الذي قامَ بالقلبِ مِنْ معنى الأمرِ والنهْيِ والخبرِ والاستخبارِ .

وقالَ الجنيدُ في « مسائلِ الشاميّينَ »[٤] أيضاً : (تفرَّدَ الحقُّ بعلمِ الغيوبِ ، فعلمَ ما كانَ ، وما يكونُ ، وما لا يكونُ أنْ لوْ كانَ كيفَ كانَ يكونُ) .

وقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (مَنْ عرفَ الحقيقةَ في التوحيدِ . . سقطَ عنهُ « لِمَ » و« كيفَ ») .

أخبرَنا محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدٍ يقولُ : قالَ الجنيدُ : (أشرفُ المجالسِ وأعلاها : الجلوسُ معَ الفكرةِ في ميدانِ التوحيدِ) .

وقالَ الواسطيُّ : (ما أحدثَ اللهُ تعالىٰ شيئاً أكرمَ مِنَ الروحِ) ، صرَّحَ بأنَّ الروحَ مخلوقٌ .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : دلَّتْ هـٰذهِ الحكاياتُ : علىٰ أنَّ عقائدَ مشايخِ الصوفيةِ توافقُ أقاويلَ أهلِ الحقِّ في مسائلِ الأصولِ ، وقدِ اقتصرْنا علىٰ هـٰذا المقدارِ خشيةَ خروجِنا عمَّا آثرْناهُ مِنَ الإيجازِ والاختصارِ .

* * *

(١) والمعنىٰ : جعل الله تعالى الحروف مباني لتلك المعاني دالّة عليها ، كما أفاده العلامة اللخمي .
(٢) يقال : صرَّح الشيءَ وأصرحَهُ ؛ إذا بيَّنه وأظهره ، فهو متعدٍّ بنفسه .
(٣) الحروف دلّت علىٰ فاعلها ومحدثها ، لا علىٰ أنها صفة له وقائمة بذاته . « الدلالة » للخمي .
(٤) في (ك) : (في « جوابات مسائل الشاميين ») .



قالَ الأستاذُ الإمامُ : وهٰذهِ فصولٌ تشتملُ علىٰ بيانِ عقائدِهِمْ في مسائلِ التوحيدِ ذكرْناها علىٰ وجهِ الترتيبِ :

قالَ شيوخُ هٰذهِ الطائفةِ علىٰ ما يدلُّ عليهِ متفرِّقاتُ كلامِهِمْ ومجموعاتُها ومصنفاتُهُمْ في التوحيدِ[1] :

إنَّ الحقَّ سبحانَهُ وتعالىٰ موجودٌ قديمٌ ، واحدٌ حكيمٌ ، قادرٌ عليمٌ ، قاهرٌ رحيمٌ ، مريدٌ سميعٌ ، مجيدٌ رفيعٌ ، متكلِّمٌ بصيرٌ ، متكبِّرٌ قديرٌ[2] ، حيٌّ أحدٌ ، باقٍ صمدٌ .

وأنَّهُ عالمٌ بعلْمٍ ، قادرٌ بقدرةٍ ، مريدٌ بإرادةٍ ، سميعٌ بسمْعٍ ، بصيرٌ ببصرٍ ، متكلِّمٌ بكلامٍ ، حيٌّ بحياةٍ ، باقٍ ببقاءٍ[3] .

ولهُ يدانِ هما صفتانِ[4] ، يخلقُ بهما ما يشاءُ على التخصيصِ ، ولهُ الوجهُ .

وصفاتُ ذاتِهِ مختصَّةٌ بذاتِهِ ، لا يُقالُ : هيَ هوَ ، ولا هيَ أغيارٌ لهُ[5] ، بلْ هيَ صفاتٌ لهُ أزليةٌ ، ونعوتٌ سرمديَّةٌ .

وأنَّهُ[6] أحديُّ الذاتِ ، ليسَ يشبهُ شيئاً مِنَ المصنوعاتِ ، ولا يشبهُهُ شيءٌ مِنَ المخلوقاتِ ، ليسَ بجسمٍ ولا جوهرٍ ، ولا صفاتُهُ أعراضٌ .

لا يُتصوَّرُ في الأوهامِ ، ولا يتقدَّرُ في العقولِ ، ولا لهُ جهةٌ ومكانٌ ، ولا

---

(١) قال الإمام السراج في « اللمع » (ص ٥٥) : (ولمشايخنا في التوحيد مصنفاتٌ) .

(٢) ليس بين القادر والقدير تكرار ؛ لجواز أن تكون الأولىٰ بمعنى المقدِّر من التقدير .

(٣) فيه جعل بعض صفات السلوب من صفات المعاني ، وهو اختيار لبعضهم .

(٤) لا من جنس واحد على التحقيق ؛ لاتِّصاف صفات المعاني بالصفات السلبية ومنها الوحدانية .

(٥) فهي عينه من حيث الوجود ، غير ذاته من حيث المفهوم .

(٦) في (أ) : (إلٰهٌ) بدل (وأنه) .

يجري عليه وقتٌ وزمانٌ ، ولا يجوزُ في وصفِهِ زيادةٌ ولا نقصانٌ ، ولا يخصُّهُ هيئةٌ وقَدٌّ ، ولا يقطعُهُ نهايةٌ وحدٌّ ، ولا يحلُّهُ حادثٌ ، ولا يحملُهُ على الفعلِ باعثٌ ، ولا يجوزُ عليهِ لونٌ ولا كونٌ ، ولا ينصرُهُ مدَدٌ ولا عونٌ ، ولا يخرجُ عنْ قدرتِهِ مقدورٌ ، ولا ينفكُّ عنْ حكمِهِ مفطورٌ ، ولا يعزُبُ عنْ علمِهِ معلومٌ ، ولا هوَ علىٰ فعلِهِ كيفَ يصنعُ وما يصنعُ ملومٌ .

لا يُقالُ لهُ : أينَ ولا حيثُ ولا كيفَ ، ولا يستفتحُ لهُ وجودٌ فيُقالُ : متىٰ كانَ ، ولا ينتهي لهُ بقاءٌ فيُقالُ : استوفى الأجلَ والزمانَ ، ولا يُقالُ : لِمَ فعلَ ما فعلَ ؛ إذْ لا علَّةَ لأفعالِهِ ، ولا يُقالُ : ما هوَ ؛ إذْ لا جنسَ لهُ فيتميَّزَ بأمارةٍ عنْ أشكالِهِ .

يَرىٰ لا عنْ مقابلةٍ ، ويُرىٰ لا عنْ مماقلةٍ[١] ، ويصنعُ لا بمباشرةٍ ومزاولةٍ .

لهُ الأسماءُ الحسنىٰ ، والصفاتُ العُلا ، يفعلُ ما يريدُ ، ويَذِلُّ لحكمِهِ العبيدُ ، لا يجري في سلطانِهِ إلا ما يشاءُ ، ولا يحصلُ في ملكِهِ غيرُ ما سبقَ بِهِ القضاءُ ، ما علمَ أنَّهُ يكونُ مِنَ الحادثاتِ . . أرادَ أنْ يكونَ ، وما علمَ أنَّهُ لا يكونُ ممَّا جازَ أنْ يكونَ . . أرادَ ألَّا يكونَ .

خالقُ أكسابِ العبادِ ؛ خيرِها وشرِّها ، ومبدعُ ما في العالَمِ مِنَ الأعيانِ والآثارِ ؛ قُلِّها وكُثْرِها .

ومرسلُ الرُّسلِ إلى الأممِ مِنْ غيرِ وجوبٍ عليهِ ، ومتعبِّدُ الأنامِ علىٰ لسانِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ بما لا سبيلَ لأحدٍ باللومِ والاعتراضِ إليهِ ، ومؤيِّدُ نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالمعجزاتِ الظاهرةِ والآياتِ الزاهرةِ بما أزاحَ بِهِ العذْرَ[٢] ، وأوضحَ بِهِ اليقينَ والذِّكرَ ، وحافظُ بيضةِ الإسلامِ بعدَ وفاتِهِ

---

(١) كذا في (ط) ، وفي (ز) وهامش (هـ) : (لا عن مماثلة) ، وفي غيرها : (لا علىٰ مقابلة) ، وكلٌّ صحيح ، والمثبت بمعنىٰ قوله السابق : (لا تماقله العيون) بمعنىٰ : لا تراه بالمُقلة في جهة .

(٢) في هامش (ي) وحدها : (الباهرة) بدل (الزاهرة) ، وإزاحة العذر كما في قوله تعالىٰ في سورة النساء (١٦٥) : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بخلفائِهِ ، ثمَّ حارسُ الحقِّ وناصرُهُ بما يوضحُهُ مِنْ حُجَجِ الدينِ علىٰ ألسنةِ أوليائِهِ .

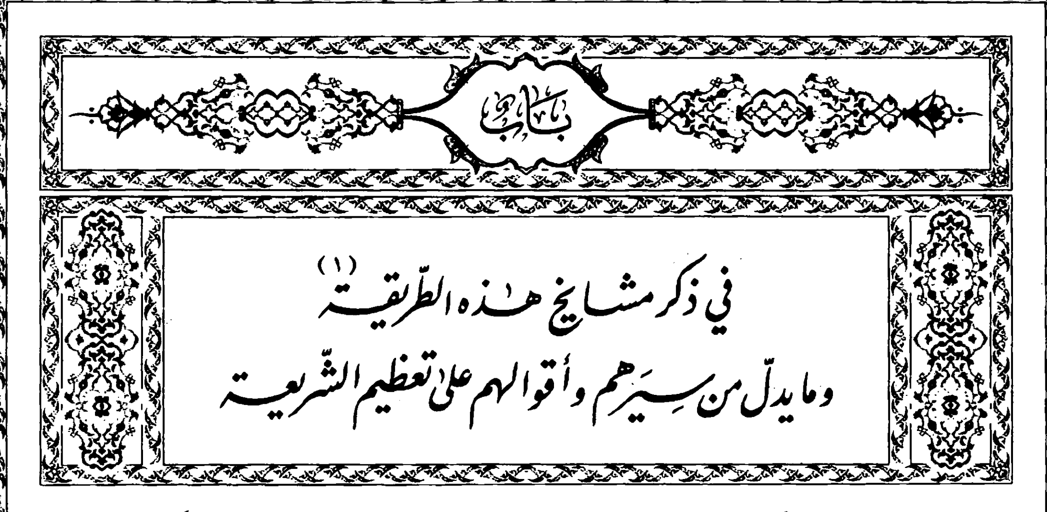
عصمَ الأمَّةَ الحنيفيَّةَ عنِ الاجتماعِ على الضلالةِ ، وحسمَ مادَّةَ الباطلِ بما نصبَ مِنَ الدلالةِ ، وأنجزَ ما وعدَ مِنْ نصرةِ الدينِ بقولهِ تعالىٰ : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1] .

فـهـٰذهِ فصولٌ تشـيرُ إلىٰ أصولِ المشـايخِ علـىٰ وجهِ الإيجـازِ ، وباللهِ التوفيقُ .

* * *

---

(١) سورة التوبة : (٣٣) .



اعلموا ـ رحمَكُمُ اللهُ تعالىٰ ـ : أنَّ المسلمينَ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمْ يتسمَّ أفاضلُهُمْ في عصرِهِمْ بتسميةِ علمٍ سوىٰ صحبةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ إذْ لا فضيلةَ فوقَها ، فقيلَ لهُمُ : الصحابةُ ، ولمَّا أدركَ أهلُ العصرِ الثاني (٢) . . سُمِّيَ مَنْ صحبَ الصحابةَ : التابعينَ ، ورأَوا ذٰلك أشرفَ سِمةٍ ، ثمَّ قيلَ لمَنْ بعدَهُمْ : أتباعُ التابعينَ .

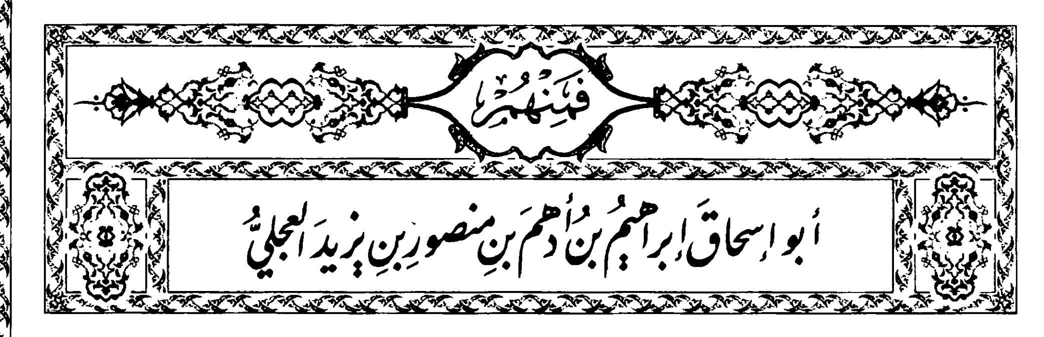
ثمَّ اختلفَ الناسُ وتباينَتِ المراتبُ ، فقيلَ لخواصِّ الناسِ ممَّنْ لهُمْ شدَّةُ عنايةٍ بأمرِ الدينِ : الزُّهادُ والعبَّادُ .

ثمَّ ظهرَتِ البدعُ ، وحصلَ التداعي بينَ الفِرَقِ ، فكلُّ فريقٍ ادَّعَوا أنَّ فيهِمْ زهَّاداً ، فانفردَ خواصُّ أهلِ السنَّةِ المراعونَ أنفاسَهُمْ معَ اللهِ تعالى ، الحافظونَ قلوبَهُمْ عنْ طوارقِ الغفلةِ . . باسمِ التصوُّفِ ، واشتهرَ هٰذا الاسمُ لهٰؤلاءِ الأكابرِ قبلَ المئتينِ مِنَ الهجرةِ (٣) .

ونحنُ نذكرُ في هٰذا البابِ أسامي جماعةٍ مِنْ شيوخِ هٰذهِ الطائفةِ مِنَ الطبقةِ الأُولىٰ إلىٰ وقتِ المتأخِّرينَ منهُمْ ، ونذكرُ جُمَلاً مِنْ سِيَرِهِمْ وأقاويلِهِمْ بما يكونُ فيهِ تنبيهٌ علىٰ أُصولِهِمْ وآدابِهِمْ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

---

(١) في (أ) : (الطائفة) بدل (الطريقة) .
(٢) يقال : أدركَ الشيءُ ؛ إذا بلغ وقتَهُ وانتهىٰ . « تاج العروس » (د ر ك) .
(٣) هٰذه القطعة خلاصة ما ذكره الإمام السرَّاج في « اللمع » (ص ٤٢) في نشوء هٰذه التسمية وتاريخها .



مِنْ كُورَةِ بَلْخَ(١) ، كانَ مِنْ أبناءِ الملوكِ(٢) ، فخرجَ يوماً متصيّداً ، فأثارَ ثعلباً أوْ أرنباً وهوَ في طلبِهِ ، فهتفَ بِهِ هاتفٌ : ألهذا خُلقتَ ، أمْ بهٰذا أُمرتَ ؟!

ثمَّ هتفَ بهِ مِنْ قَرَبُوسِ سَرْجِهِ(٣) : واللهِ ؛ ما لهٰذا خُلقتَ ، ولا بهٰذا أُمرتَ !

فنزلَ عنْ دابّتِهِ ، وصادفَ راعياً لأبيهِ ، فأخذَ جُبّةَ الراعي مِنْ صوفٍ فلبِسَها(٤) ، وأعطاهُ فرسَهُ وما معَهُ(٥) .

ثمَّ إنَّهُ دخلَ الباديةَ ، ثمَّ دخلَ مكّةَ ، وصحبَ بها سفيانَ الثوريَّ والفضيلَ بنَ عياضٍ ، ودخلَ الشامَ وماتَ بها .

وكانَ يأكلُ مِنْ عملِ يدِهِ ؛ مثلَ الحصادِ وحفظِ البساتينِ وغيرِ ذٰلكَ .

وإنَّهُ رأىٰ في الباديةِ رجلاً علَّمَهُ اسمَ اللهِ الأعظمَ ، فدعا بهِ بعدَهُ ، فرأى الخضرَ عليهِ السلامُ وقالَ : إنَّما علَّمَكَ أخي داوودُ اسمَ اللهِ الأعظمَ(٦) .

---

(١) الكُورة : المدينة ، وبلْخ : من أشهر مدن خراسان ، قريبة اليوم من مدينة مزار شريف .

(٢) يعني : أمراء مدينة بلخ ، كما صرَّح الحافظ الزبيدي في « التاج » (ب ث ر) .

(٣) القربوس : ما انحنىٰ من السرج ، فلكل سرج قَرَبوسان ، في مقدمه ومؤخره .

(٤) في (أ) : (فأخذ جبّة صوف من الراعي . . .) .

(٥) الخبر رواه ابن منده في « مسند إبراهيم بن أدهم » (٢) مختصراً ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٦٨/٧) مفصَّلاً .

(٦) هو داوود البلخي كما روىٰ ذٰلك أبو نعيم في « الحلية » (٤٤/١٠) ، وفي (ب) نسخة : (إلياس عليه السلام) بدل (داوود) .

أخبرَني بذلك الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلميُّ رحمَهُ اللهُ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ الخشَّابِ قالَ : حدَّثَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدٍ المصريُّ قالَ : حدَّثَني أبو سعيدٍ الخرَّازُ قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ بشَّارٍ قالَ : صحبتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ ، فقلتُ : خبِّرْني عنْ بُدُوِّ أمرِكَ ، فذكرَ هٰذا[1] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ كبيرَ الشأنِ في بابِ الورعِ .

يُحكىٰ عنهُ أنَّهُ قالَ : (أطِبْ مطعمَكَ ، ولا عليكَ ألَّا تقومَ بالليلِ ولا تصومَ بالنهارِ)[2] .

وقيلَ : كانَ عامَّةُ دعائِهِ : اللهمَّ ؛ انقُلْني مِنْ ذُلِّ معصيتِكَ إلىٰ عزِّ طاعتِكَ[3] .

وقيلَ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : إنَّ اللحمَ قدْ غلا ، فقالَ : أرخصوهُ ؛ أيْ : لا تشتروهُ[4] .

أخبرَنا محمدُ بنُ الحسينِ رحمةُ اللهِ عليهِ قالَ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ حامدٍ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ خضرويهِ يقولُ : قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ لرجلٍ في الطوافِ : (اعلمْ أنَّكَ لا تنالُ درجةَ الصالحينَ حتَّىٰ تجوزَ ستَّ عِقابٍ :

أوَّلُها : تغلقُ بابَ النعمةِ ، وتفتحُ بابَ الشدَّةِ .

والثاني : تغلقُ بابَ العزِّ ، وتفتحُ بابَ الذلِّ .

والثالثُ : تغلقُ بابَ الراحةِ ، وتفتحُ بابَ الجهدِ .

---

(١) ورواه السلمي في « طبقاته » (ص ٢٩) ، وفي جميع النسخ خلا (ل) : (محمد بن الحسين بن الخشاب) ، وعند السلمي وأبي نعيم و(ل) ونسخة في هامش (ي) : (محمد بن الحسن بن الخشاب) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٢٤٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١/٨) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « التوبة » (٥٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١/٨) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١٧٣/٢) ، وفي (ط ، ي) زيادة بيتٍ لمحمود الوراق هو :

وإذا غلا شيءٌ عليَّ تركتُهُ ... فيكونُ أرخصَ ما يكونُ إذا غلا

والرابعُ : تغلقُ بابَ النومِ ، وتفتحُ بابَ السهرِ .

والخامسُ : تغلقُ بابَ الغنىٰ ، وتفتحُ بابَ الفقرِ .

والسادسُ : تغلقُ بابَ الأملِ ، وتفتحُ بابَ الاستعدادِ للموتِ)[١] .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يحفظُ كَرْماً ، فمرَّ بهِ جنديٌّ فقالَ : أعطِنا مِنْ هٰذا العنبِ ، فقالَ : ما أمرَ بهِ صاحبُهُ ، فأخذَ يضربُهُ بسَوْطِهِ ، فطأطأَ رأسَهُ وقالَ : اضربْ رأساً طالما عصى اللهَ تعالىٰ ، فأعجَزَ الرجلَ ومضىٰ[٢] .

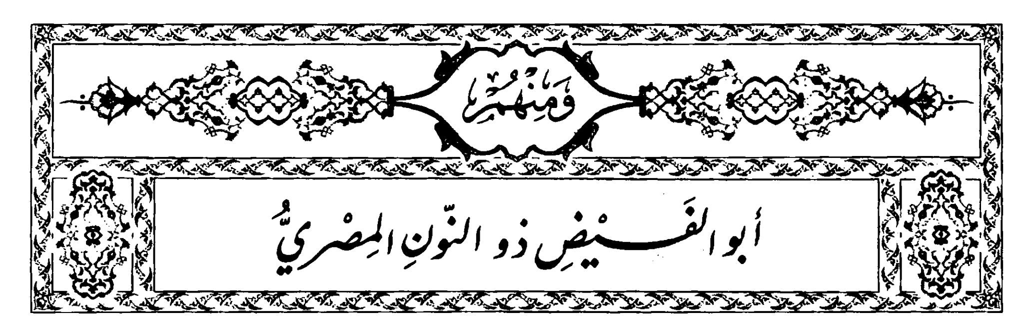
وقالَ سهلُ بنُ إبراهيمَ : صحبتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ ، فمرضتُ ، فأنفقَ عليَّ نفقتَهُ ، فاشتهيتُ شهوةً ، فباعَ حمارَهُ وأنفقَ عليَّ [ثمنَهُ] ، فلمَّا تماثلتُ . . قلتُ : يا إبراهيمُ ؛ أينَ الحمارُ ؟ فقالَ : بعناهُ ، فقلتُ : فعلىٰ ماذا أركبُ ؟! فقالَ : يا أخي ؛ علىٰ عنقي ، فحملَني ثلاثَ منازلَ[٣] .

* * *

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٧) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤٩٧) من طريقه ، وفي عامة النسخ غير (ي) ما أثبت ، وفيها : (أولاها ، والثانية ، والثالثة . . .) ، وسيأتي (ص ٣٠٧) ، والعِقاب : جمع عَقَبة ؛ كرِقاب ورقبة ؛ وهي مرقىً صعب من الجبال .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٣٧٩) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٣٨١) ، توفي المترجم له سنة (١٦٢ هـ) .



واسمُهُ : ثوبانُ بنُ إبراهيمَ ، وقيلَ : الفيضُ بنُ إبراهيمَ ، وأبوهُ كانَ نُوبيّاً [1] .

توفِّيَ سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومئتينِ .

فاتقُ هٰذا اللسانِ [2] ، وأوحدُ وقتِهِ علماً وورعاً ، وحالاً وأدباً .

سعَوا بهِ إلى المتوكِّلِ ، فاستحضرَهُ مِنْ مصرَ ، فلمَّا دخلَ عليهِ . . وعظَهُ ، فبكى المتوكِّلُ ، وردَّهُ مكرَّماً ، وكانَ المتوكِّلُ إذا ذُكِرَ بينَ يديهِ أهلُ الورعِ . . يبكي ويقولُ : إذا ذُكرَ أهلُ الورعِ . . فحيَّهلا بذي النونِ [3] .

وكانَ رجلاً نحيفاً ، تعلوهُ حمرةٌ ، ليسَ بأبيضِ اللحيةِ .

قالَ ذو النونِ : (مدارُ الكلامِ علىٰ أربعٍ : حبُّ الجليلِ ، وبغضُ القليلِ ، واتِّباعُ التنزيلِ ، وخوفُ التحويلِ) [4] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ أحمدَ ابنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سهلٍ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ عثمانَ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : (مِنْ علاماتِ

---

(١) النُّوبة ـ وواحدها : نُوبي ـ : جيلٌ من السودان .

(٢) وكذا عند ابن عساكر في « تاريخه » (٤٠١/١٧) عن المصنِّف ، بمعنىٰ أنه من أوائل من دبَّج عبارات القوم ، وفي باقي النسخ : (فائق هٰذا الشان) ، ومعناها ظاهر .

(٣) روىٰ خبر حمله إلى المتوكل مطوَّلاً أبو نعيم في « الحلية » (٣٣٧/٩) .

(٤) سقط القول من غير (أ ، ب ، د ، ح ، ط) ، وفي (ي ، ك) مسنداً بقوله : (سمعت أحمد بن محمد يقول : سمعت سعيد بن عثمان يقول : سمعت ذا النون . . .) ، والقول رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١٤/٨) عن الحلاَّج .

المحبِّ للهِ : متابعةُ حبيبِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أخلاقِهِ وأفعالِهِ وأوامرِهِ وسننِهِ)[1] .

وسُئِلَ ذو النونِ عنِ السَّفِلَةِ ، فقالَ : مَنْ لا يعرفُ الطريقَ إلى اللهِ ولا يتعرَّفُهُ[2] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : حضرتُ مجلسَ ذي النونِ يوماً ، وجاءَهُ سالمٌ المغربيُّ فقالَ لهُ : يا أبا الفيضِ[3] ؛ ما كانَ سببَ توبتِكَ ؟ قالَ : عجبٌ لا تطيقُهُ ، فقالَ سالمٌ : بمعبودِكَ ؛ إلا أخبرْتَني ، فقالَ ذو النونِ : أردتُ الخروجَ مِنْ مصرَ إلىٰ بعضِ القرىٰ ، فنمتُ في الطريقِ في بعضِ الصحارىٰ ، ففتحتُ عينيَّ ، فإذا أنا بقُنْبُرَةٍ عمياءَ سقطتْ مِنْ وَكْرِها على الأرضِ ، فانشقَّتِ الأرضُ ، فخرجَ منها سُكُرُّجَتانِ ؛ إحداهُما ذهبٌ والأخرىٰ فضَّةٌ ، وفي إحداهُما سِمْسِمٌ وفي الأخرىٰ ماءٌ ؛ فجعلتْ تأكلُ مِنْ هٰذا وتشربُ مِنْ هٰذا ، فقلتُ : حسبي ! قدْ تبتُ ، ولزمتُ البابَ إلىٰ أنْ قبلَني[4] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عمرَ الحافظَ يقولُ : سمعتُ ابنَ رَشيقٍ يقولُ : سمعتُ أبا دُجانةَ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : (لا تسكنُ الحكمةُ معدةً مُلِئَتْ طعاماً)[5] .

---

(١) ورواه السلمي في « طبقاته » (ص ٢١) ، وفي (أ ، ب) : (من علامات المحبة لله . . .) .
(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٧٢) .
(٣) في عامة النسخ بإسقاط همزة (أبا) في النداء ، وهي لغة مشهورة فاشية ، وهي كذٰلك في كثير من المواطن ، وقد تم إثباتها .
(٤) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٤٠٢) ومن طريق البحيري أيضاً ، والسُّكُرُّجَة : إناء صغير يُؤكل فيه الشيء القليل ، لفظة فارسية .
(٥) رواه الدارقطني في « المؤتلف والمختلف » (٢/١٠٠٠) ، وابن رشيق : هو الحسن ، وأبو دجانة : أحمد بن إبراهيم المَعَافري ، وعلَّق علىٰ هٰذا الموضع العلامة محمد بن محمد المبارك في هامش (ي) : (قوله : « لا تسكن الحكمة . . . » إلىٰ آخره : يشهد له حديث ـ رواه الترمذي [٢٣٨٠] من حديث ←

وسُئِلَ ذو النونِ عنِ التوبةِ ، فقالَ : (توبةُ العوامِّ مِنَ الذنوبِ ، وتوبةُ الخواصِّ مِنَ الغفلةِ)[1] .

* * *

← المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه ـ : « ما ملأ ابن آدم ـ نسخة : آدمي ـ وعاءً شرّاً من بطنٍ ، بحسب المسلم أُكُلاتٌ يُقمنَ صُلْبه ، فإن كان لا محالة . . فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسه) .

(١) أورده السراج في « اللمع » (ص ٦٨) ، ووقع هنا في هامش (أ) : (بلغ) .



خراسانيٌّ مِنْ ناحيةِ مَرْوَ ، وقيلَ : إنَّهُ وُلِدَ بسمرقندَ ، ونشأَ بأَبِيوَرْدَ .

ماتَ بمكَّةَ في المحرَّمِ سنةَ سبعٍ وثمانينَ ومئةٍ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرٍ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ العسكريُّ قالَ : حدَّثَنا ابنُ أخي أبي زرعةَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ راهويهِ قالَ : حدَّثَنا أبو عمارٍ ، عنِ الفضْلِ بنِ موسىٰ قالَ : كانَ الفضيلُ شاطراً يقطعُ الطريقَ بينَ أَبِيوَرْدَ وسَرَخْسَ ، وكانَ سببُ توبتِهِ : أنَّهُ عشقَ جاريةً ، فبينَما هوَ يرتقي الجدرانَ إليها . . سمعَ تالياً يتلو : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[1] ، فقالَ : يا ربِّ ؛ قدْ آنَ ، فرجعَ ، فآواهُ الليلُ إلىٰ خَرِبَةٍ ، فإذا فيها رُفقةٌ ، فقالَ بعضُهُمْ : نرتحلُ ، وقالَ قومٌ : حتَّىٰ نصبحَ ؛ فإنَّ فضيلاً على الطريقِ يقطعُ علينا ، فتابَ الفضيلُ وأمَّنَهُمْ ، وجاورَ الحرمَ حتَّىٰ ماتَ[2] .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ : (إذا أحبَّ اللهُ عبداً . . أكثرَ غمَّهُ ، وإذا أبغضَ اللهُ عبداً . . أوسعَ عليهِ دنياهُ)[3] .

وقالَ ابنُ المباركِ : (إذا ماتَ الفضيلُ . . ارتفعَ الحزنُ)[4] .

---

(١) سورة الحديد : (١٦) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٣٨٢/٤٨) ، وابن أخي أبي زرعة : هو عبد الله بن محمد أبو القاسم الرازي ، وأبو عمّار : هو الحسين بن حريث الخزاعي ، وأمَّنهم وآمَنهم بمعنىً .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨٨/٨) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤١/١١) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨٧/٨) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣٩٠/٤٨) .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ : (لوْ أنَّ الدنيا بحذافيرِها عُرِضَتْ عليَّ لا أُحاسَبُ بها . . لكنتُ أتقذَّرُها كما يتقذَّرُ أحدُكُمُ الجيفةَ إذا مرَّ بها أنْ تصيبَ ثوبَهُ)[١] .

وقالَ الفضيلُ : (لوْ حلفتُ أنِّي مُراءٍ . . أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أحلفَ أنِّي لستُ بمراءٍ)[٢] .

وقالَ الفضيلُ : (تركُ العملِ لأجلِ الناسِ : هوَ الرياءُ ، والعملُ لأجلِ الناسِ : هوَ الشركُ)[٣] .

وقالَ أبو عليٍّ الرازيُّ : صحبتُ الفضيلَ ثلاثينَ سنةً ما رأيتُهُ ضاحكاً ولا متبسِّماً ، إلَّا يومَ ماتَ ابنُهُ عليٌّ ، فقلتُ لهُ في ذٰلك ! فقالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ أحبَّ أمراً ، فأحببتُ ذٰلك[٤] .

وقالَ الفضيلُ : (إنِّي لأعصي اللهَ فأعرفُ ذٰلكَ في خُلُقِ حماري وخادمي)[٥] .

* * *

---

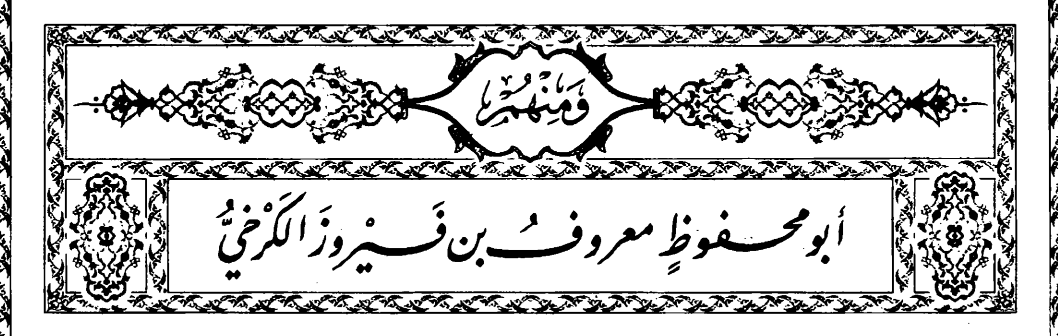
(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٠٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٨٩) ، وفي هامش (ح) وهي مقروءة على الإمام الشعراني تعليقاً : (من إملاء سيدنا ومولانا الشيخ عبد الوهاب الأنصاري : هٰذا كان في بدوِّ أمره ؛ فإن هٰذه الحالة من أحوال أهل البدايات ، وكذٰلك ما بعدها ؛ فإن الإنسان يتخلَّص عن الرياء بشهود أن أعماله خلقاً لله عز وجل ، ليس له في إيجادها مدخل ، وهٰذا يكون للعبد في حال بدايته) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٩٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٩٥) وفي هامش (ح) تعليقاً : (كأن يريد التقرُّب إلى الله بطاعة وهناك ملأٌ من الناس ، فيطرقه أنهم ينسبونه إلى الرياء في تلك الطاعة ، ويتركها خوفاً من نسبة النقص إليه . من إملاء سيدنا الشيخ عبد الوهاب الأنصاري) يعني : الإمام الشعراني .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٠٠) ، وهٰذا كان حال طلحة بن مصرِّف .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٠٩) ، ومطلع الخبر : (أصلح ما أكون أفقر ما أكون ، وإني . . .) .



كانَ مِنَ المشايخِ الكبارِ ، مجابَ الدعوةِ ، يُستشفىٰ بقبرِهِ ، يقولُ البغداديونَ : قبرُ معروفٍ ترياقٌ مجرَّبٌ(١) .

وهوَ مِنْ موالي عليِّ بنِ موسى الرضا عليهما السلامُ(٢) .

ماتَ سنةَ مئتينِ ، وقيلَ : إحدىٰ ومئتينِ .

وكانَ أستاذَ سَرِيٍّ السَّقَطِيِّ ، وقدْ قالَ لهُ يوماً : إذا كانَتْ لكَ إلى اللهِ حاجةٌ . . فأقسِمْ عليهِ بي(٣) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : كانَ معروفٌ أبواهُ نصرانيينِ(٤) ، فسلَّموا معروفاً إلىٰ مؤدِّبِهِمْ وهوَ صبيٌّ(٥) ، فكانَ المؤدِّبُ يقولُ لهُ : قُلْ : ثالثُ ثلاثةٍ ، ويقولُ معروفٌ : بلْ هوَ الواحدُ ، فضربَهُ المعلِّمُ يوماً ضرباً مبرِّحاً ، فهربَ معروفٌ ، فكانَ أبواهُ يقولانِ : ليتَهُ يرجعُ إلينا علىٰ أيِّ دينٍ يشاءُ فنوافقَهُ .

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٣٤/١) عن الإمام الحافظ إبراهيم الحربي ، وعبد الرحمٰن بن محمد الزهري ، وأبي عبد الله المحاملي ، وسياق المصنف مع الرواية عند السلمي في « طبقاته » (ص ٨٥) ، وفي (ج ، ح ، ط ، ل ، و) : (يستسقىٰ) بدل (يستشفىٰ) .

(٢) في (ل ، و ، ز) : وقع الترضي بدل التسليم .

(٣) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٤/٨) عن يعقوب ابنِ أخي معروف الكرخي قال : قال لي عمّي : (يا بنيَّ ؛ إذا كانت لك إلى الله حاجة . . فسَلْهُ بي) ، وفي هامش (ح) تعليقاً : (في هٰذا منقبة عظيمة للسري في حال بدايته ؛ فإن الشيخ لمَّا اطلع علىٰ قلبه فوجده قد وَفَّى الاعتقاد فيه والتعظيم له حقه ؛ بحيث لم يبق في قلب السري أحدٌ من الخلق أعظم من شيخه . . قال له ما ذكر ، وليس في ذٰلك دعوىٰ من معروف كما تتبادر إليه الأفهام . من إملاء سيدنا ومولانا الشيخ عبد الوهاب الأنصاري) يعني : الإمام الشعراني .

(٤) قوله : (أبواه) هو بدلٌ مما قبله . « إحكام الدلالة » (٨٠/١) .

(٥) قوله : (فسلَّموا) بناه علىٰ أن أقل الجمع اثنان . « إحكام الدلالة » (٨٠/١) ، وفي (ج) وحدها : (فسلَّما) .

ثمَّ إنَّهُ أسلمَ علىٰ يدَيْ عليّ بنِ موسى الرضا ، ورجعَ إلىٰ منزلِهِ ، فدقَّ البابَ ، فقيلَ : مَنْ بالبابِ ؟ فقالَ : معروفٌ ، فقالوا : علىٰ أيِّ دينٍ ؟ فقالَ : على الدينِ الحنيفيِّ ، فأسلمَ أبواهُ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الحربيَّ يقولُ : سمعتُ سريّاً السقطيَّ يقولُ : رأيتُ معروفاً الكَرْخيَّ في النومِ كأنَّهُ تحتَ العرشِ ، يقولُ اللهُ لملائكتِهِ : مَنْ هـٰذا ؟ فيقولونَ : أنتَ أعلمُ يا ربَّنا ، فيقولُ : هـٰذا معروفٌ الكرخيُّ ، سكِرَ مِنْ حبِّي ، فلا يفيقُ إلَّا بلقائي[1] .

وقال معروفٌ : قالَ لي بعضُ أصحابِ داوودَ الطائيِّ : إيَّاكَ أنْ تتركَ العملَ ؛ فإنَّ ذٰلكَ الذي يقرِّبُكَ إلىٰ رضاءِ مولاكَ ، فقلتُ : وما ذاكَ العملُ ؟ فقالَ : دوامُ طاعةِ ربِّكَ ، وخدمةُ المسلمينَ ، والنصيحةُ لهُمْ[2] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ محمدٍ الدلَّالَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ[3] يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : رأيتُ معروفاً الكَرْخيَّ في النومِ بعدَ موتِهِ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي ، فقلتُ : بزهدِكَ وورعِكَ ؟ فقالَ : لا ، بلْ بقبولي موعظةَ ابنِ السمَّاكِ ، ولزومي الفقرَ ، ومحبَّتي للفقراءِ .

وموعظةُ ابنِ السمَّاكِ ما قالَ معروفٌ : كنتُ مارّاً بالكوفةِ ، فوقفتُ علىٰ رجلٍ يُقالُ لهُ : ابنُ السمَّاكِ وهوَ يعظُ الناسَ ، فقالَ في خلالِ كلامِهِ : مَنْ أعرضَ عنِ اللهِ بكليَّتِهِ . . أعرضَ اللهُ عنهُ جملةً ، ومنْ أقبلَ على اللهِ

---

(١) وبنحوه رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٦٦) عن عبد الله بن سعيد الأنصاري ، وهو الرائي .

(٢) في (ب ، ج ، هـ ، و ، ز ، ح ، ل) ونسخة « إحكام الدلالة » (١/٨٢) : (وحرمة) بدل (وخدمة) أي : معرفة منزلتهم في الدين والشفقة عليهم ؛ كما قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري .

(٣) في (ي ، ك) : (الحسين) بدل (الحسن) .

بقلبِهِ . . أقبلَ اللهُ إليهِ برحمتِهِ ، وأقبلَ بجميعِ وجوهِ الخلقِ إليهِ ، ومَنْ كانَ مرَّةً ومرَّةً . . فاللهُ يرحمُهُ وقتاً ما .

فوقعَ كلامُهُ علىٰ قلبي[1] ، وأقبلتُ على اللهِ تعالىٰ ، وتركتُ جميعَ ما كنتُ عليهِ إلا خدمةَ مولايَ عليِّ بنِ موسى الرضا .

وذكرتُ هـٰذا الكلامَ لمولايَ ، فقالَ : يكفيكَ بهـٰذا موعظةً إنِ اتَّعظتَ .

أخبرَني بهـٰذهِ الحكايةِ محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : سمعتُ عبدَ الرحيمِ بنَ عليٍّ الحافظَ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عمرَ بنِ الفضلِ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عيسىٰ يقولُ : سمعتُ سريّاً السقطيَّ يقولُ : سمعتُ معروفاً يقولُ ذٰلكَ[2] .

وقيلَ لمعروفٍ في مرضِ موتِهِ : أوصِ ، فقالَ : إذا مُتُّ . . فتصدَّقوا بقميصي ؛ فإنِّي أُريدُ أنْ أخرجَ مِنَ الدنيا عُرْياناً كما دخلتُهَا عُرْياناً .

ومرَّ بسقَّاءٍ يقولُ : رحمَ اللهُ مَنْ يشربُ ، فتقدَّمَ وشربَ ، فقيلَ لهُ : ألَمْ تكُ صائماً ؟! فقالَ : بلىٰ ، ولـٰكنِّي رجوتُ دعاءَهُ[3] .

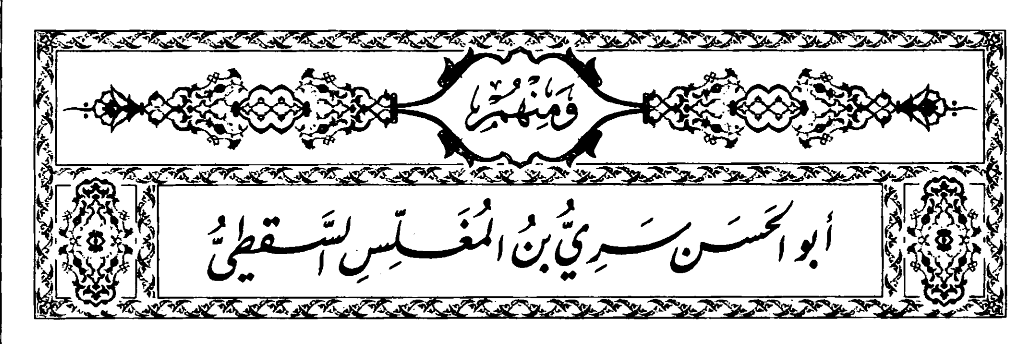
* * *

---

(١) في (ج ، ي) : (فوقع كلامه في قلبي) .

(٢) ورواية معروف رحمه الله عن ابن السماك عند الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٣٨/٥) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٥/٨) .



خالُ الجنيدِ وأستاذُهُ ، وكانَ تلميذَ معروفِ الكرخيِّ ، كانَ أوحدَ زمانِهِ في الورعِ والأحوالِ السنيَّةِ وعلومِ التوحيدِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الطُّوسيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرو بنَ عُلْوانَ(١) يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ ابنَ مسروقٍ يقولُ : بلغَني أنَّ السريَّ السقطيَّ كانَ يكونُ في السوقِ وهوَ مِنْ أصحابِ معروفٍ الكرخيِّ ، فجاءَهُ معروفٌ يوماً ومعَهُ صبيٌّ يتيمٌ فقالَ : أكْسُ هٰذا اليتيمَ ، قالَ سريٌّ : فكسوتُهُ ، ففرحَ بهِ معروفٌ وقالَ : بغَّضَ اللهُ إليكَ الدنيا ، وأراحَكَ ممَّا أنتَ فيهِ ، فقمتُ مِنَ الحانوتِ وليسَ شيءٌ أبغضَ إليَّ مِنَ الدنيا ، وكلُّ ما أنا فيهِ مِنْ بركاتِ معروفٍ(٢) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأنماطيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (ما رأيتُ أعبدَ مِنَ السَّريِّ ؛ أتتْ عليهِ ثمانٍ وتسعونَ سنةً ما رُئِيَ مضطجعاً إلَّا في علَّةِ الموتِ)(٣) .

ويُحكىٰ عنِ السريِّ أنَّهُ قالَ : (التصوُّفُ اسمٌ لثلاثةِ معانٍ : وهوَ الذي لا يطفئُ نورُ معرفتِهِ نورَ ورعِهِ ، ولا يتكلَّمُ بباطنٍ مِنْ علمٍ ينقضُهُ عليهِ ظاهرُ الكتابِ ، ولا تحملُهُ الكراماتُ علىٰ هتكِ أستارِ محارمِ اللهِ)(٤) .

---

(١) ضبطت (علوان) بالنسخة (ج) المقروءة على الحافظ العلائي : (عَلْوان) بفتح العين .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخه » (١٨٧/٩) ، وابن عساكر من طريق المصنف في « تاريخه » (١٦٩/٢٠) .

(٣) ورواه ابن الجوزي في « المنتظم » (٦٣/٧) من طريق الخطيب في « تاريخه » .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٤/٢٠) ، وفي (ج) : (ظاهر الكتاب والسنة) ، وعلَّق عليه ←

ماتَ السريُّ سنةَ سبعٍ وخمسينَ ومئتينِ [١] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يحكي عنِ الجنيدِ رحمَهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : سألَني السريُّ يوماً عنِ المحبَّةِ ، فقلتُ : قالَ قومٌ : هيَ الموافقةُ ، وقالَ قومٌ : الإيثارُ ، وقالَ قومٌ : كذا وكذا ، فأخذَ السريُّ جلدةَ ذراعِهِ ومدَّها فلمْ تمتدَّ ، ثمَّ قالَ : وعزَّتِهِ ؛ لوْ قلتُ : إنَّ هـٰذهِ الجلدةَ يبسَتْ علىٰ هـٰذا العظمِ مِنْ محبَّتِهِ . . لصدقتُ ، ثمَّ غُشِيَ عليهِ ، فدارَ وجهُهُ كأنَّهُ قمرٌ مشرقٌ ، وكانَ السريُّ بهِ أُدْمةٌ [٢] .

ويُحكىٰ عنِ السريِّ أنَّهُ قالَ : منذُ ثلاثينَ سنةً أنا في الاستغفارِ عنْ قولي : الحمدُ للهِ مرَّةً ، قيلَ : وكيفَ ذاكَ ؟! قالَ : وقعَ ببغدادَ حريقٌ ، فاستقبلَني واحدٌ فقالَ لي : نجا حانوتُكَ ، فقلتُ : الحمدُ للهِ ! فمنذُ ثلاثينَ سنةً أنا نادمٌ علىٰ ما قلتُ ؛ حيثُ أردتُ لنفسي خيراً ممَّا للمسلمينَ .

أخبرَني بهِ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الحربيَّ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ ذٰلكَ [٣] .

ويُحكىٰ عنِ السريِّ أنَّهُ قالَ : (أنا أنظرُ في أنفي في اليومِ كذا وكذا مرَّةً ؛ مخافةَ أنْ يكونَ قدِ اسودَّ ؛ خوفاً مِنَ اللهِ أنْ يسوِّدَ صورتي لما أتعاطاهُ) [٤] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ بنِ الخشَّابِ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : أعرفُ طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنةِ ،

← الإمام الشعراني في هامش (ح) وهي مقروءة عليه : (هـٰذه الثلاث خصال من أحوال الكُمَّل ، لا يَشَمُّها غيرهم) وفي (ج) : (بباطنٍ في علم) .

(١) وبهامش النسخة (ي) بخط العلامة محمد بن محمد المبارك : (والأصح سنة ثلاث وخمسين) .

(٢) أوردها السراج في « اللمع » (ص ٣٨٢) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (١٨٨/٢٠) من طريق المصنف .

(٣) ورواه الخطيب في « تاريخه » (١٨٧/٩) ، وابن عساكر من طريق المصنف في « تاريخه » (١٧٥/٢٠) ، وفي (ي) : (ممَّا حصل للمسلمين) .

(٤) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (١٨٢/٢٠) .

فقلتُ لهُ : ما هوَ ؟ فقالَ : لا تسألْ مِنْ أحدٍ شيئاً ، ولا تأخذْ مِنْ أحدٍ شيئاً ، ولا يكنْ معَكَ شيءٌ تعطي أحداً[١] .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ الطوسيَّ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : أشتهي أنْ أموتَ ببلدٍ غيرِ بغدادَ ، فقيلَ لهُ : ولِمَ ذٰلكَ ؟ فقالَ : أخافُ ألَّا يقبلَني قبري فأَفْتَضِحَ[٢] .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ بنَ عبدِ اللهِ الفُوَطِيَّ الطَّرَسُوسيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (اللهمَّ ؛ مهما عذَّبتَني بشيءٍ . . فلا تعذِّبْني بذلِّ الحجابِ)[٣] .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : دخلتُ يوماً على السريِّ وهوَ يبكي ، فقلتُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : جاءَتْني البارحةُ الصبيَّةُ فقالَتْ : يا أبتِ ؛ هٰذهِ ليلةٌ حارَّةٌ ، وهٰذا الكوزُ أُعلِّقُهُ ها هنا ، ثمَّ إنَّهُ حملَتْني عينايَ فنمتُ ، فرأيتُ جاريةً مِنْ أحسنِ الخلْقِ قدْ نزلَتْ مِنَ السماءِ ، فقلتُ : لمَنْ أنتِ ؟ فقالَتْ : لمَنْ لا يشربُ الماءَ المبرَّدَ في الكيزانِ[٤] ، فتناولتُ الكوزَ فضربتُ بهِ الأرضَ[٥] .

قالَ الجنيدُ : فرأيتُ الخزفَ المكسورَ لمْ يرفعْهُ ولمْ يمسَّهُ حتَّىٰ عفا عليهِ الترابُ[٦] .

* * *

---

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٤٩) ، والقصد : المستقيم ، وهو أخصر الطرق ، ورواية الخبر مثبتة من (ل) ، وفي غيرها من الأصول وقعت (لا) نافية لا جازمة .

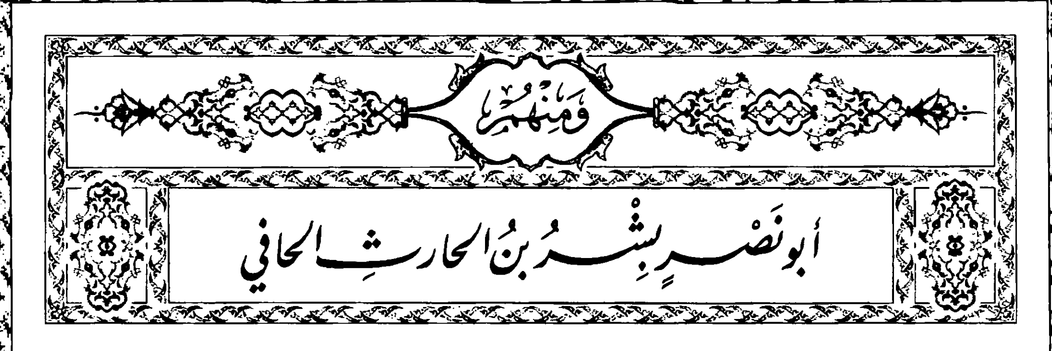
(٢) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٠/١٨٢) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٥١) .

(٤) الكيزان : جمع كُوز ، الإناء المعروف .

(٥) في (ج) النسخة المقروءة على الحافظ العلائي : (وتناولَتِ الكوزَ فضربَتْ) علىٰ أنه من تمام الرؤيا .

(٦) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥/١٩٧) .



أصلُـهُ من مَرْوَ ، سـكنَ بغـدادَ ومـاتَ بها ، وهـوَ ابنُ أخـتِ عليِّ بنِ خَشْرَمٍ .

ماتَ سنةَ سبعٍ وعشرينَ ومئتينِ ، وكانَ كبيرَ الشأنِ .

وكانَ سببُ توبتِهِ : أنَّهُ أصابَ في الطريقِ كاغدةً مكتوباً عليها اسمُ اللهِ وَطِئَتْهَا الأقدامُ ، فأخذَها ، واشترىٰ بدرهمٍ كانَ معَهُ غاليةً ، فطيَّبَ بها الكاغدةَ ، وجعلَها في شَقِّ حائطٍ ، فرأىٰ فيما يرى النائمُ كأنَّ قائلاً قالَ لهُ : يا بشرُ ؛ طيَّبتَ اسمي ! لأطيِّبَنَّ اسمَكَ في الدنيا والآخرةِ (١) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : مرَّ بشرٌ ببعضِ الناسِ ، فقالوا : هٰذا الرجلُ لا ينامُ الليلَ كلَّهُ ، ولا يفطرُ إلَّا في كلِّ ثلاثةِ أيامٍ مرَّةً ، فبكىٰ بشرٌ ، فقيلَ لهُ في ذٰلك ، فقالَ : إنِّي لا أذكرُ أنِّي سهِرتُ ليلةً كاملةً ، ولا أنِّي صمتُ يوماً ثمَّ لمْ أفطرْ مِنْ ليلتِهِ ، ولٰكنَّ اللهَ سبحانَهُ يلقي في القلوبِ أكثرَ ممَّا يفعلُهُ العبدُ ؛ لطفاً منهُ سبحانَهُ وكرماً ، ثمَّ ذكرَ ابتداءَ أمرِهِ كيفَ كانَ علىٰ ما ذكرناهُ (٢) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرحمٰنِ بنَ أبي حاتمٍ يقولُ : بلغَني أنَّ بشرَ بنَ الحارثِ الحافي قالَ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقالَ لي :

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٢٦) .

(٢) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠/٢٠١) من طريق المصنف .

يا بشرُ ؛ تدري لِمَ رفعَكَ اللهُ مِنْ بينِ أقرانِكَ ؟ قلتُ : لا يا رسولَ اللهِ ، قالَ : باتِّباعِكَ لسنَّتي ، وخدمتِكَ للصالحينَ (١) ، ونصيحتِكَ لإخوانِكَ ، ومحبَّتِكَ لأصحابي وأهلِ بيتي ، هوَ الذي بلَّغَكَ منازلَ الأبرارِ (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ بلالاً الخوَّاصَ يقولُ : كنتُ في تيهِ بني إسرائيلَ ، فإذا رجلٌ يماشيني ، فتعجَّبتُ منهُ ، ثمَّ أُلهمتُ أنَّهُ الخضرُ عليهِ السلامُ ، فقلتُ لهُ : بحقِّ الحقِّ ؛ مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : أخوكَ الخضرُ ، فقلتُ لهُ : أريدُ أنْ أسألَكَ ، فقالَ : سلْ ، فقلتُ : ما تقولُ في الشافعيِّ رحمةُ اللهِ عليه ؟ فقالَ : هوَ مِنَ الأوتادِ ، فقلتُ : فما تقولُ في أحمدَ ابنِ حنبلٍ ؟ فقالَ : رجلٌ صدِّيقٌ (٣) ، قلتُ : فما تقولُ في بشرِ بنِ الحارثِ ؟ فقالَ : لمْ يخلفْ بعدَهُ مثلُهُ ، فقلتُ : بأيِّ وسيلةٍ رأيتُكَ ؟ فقالَ : ببرِّكَ بأمِّكَ (٤) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : أتىٰ بشرٌ الحافي بابَ المُعافى بنِ عمرانَ ، فدقَّ عليهِمُ البابَ ، فقيلَ : مَنْ ؟ فقالَ : بشرٌ الحافي ، فقالتْ بنتُهُ مِنْ داخلِ الدارِ : لوِ اشتريتَ نعلاً بدانقينِ . . لذهبَ عنكَ اسمُ الحافي !

أخبرَني بهٰذهِ الحكايةِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الشِّيرازيُّ قالَ : حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ قالَ : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ المَغازليَّ يقولُ : سمعتُ بشراً يذكرُ هٰذهِ الحكايةَ .

وسمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الحَجَّاجيَّ يقولُ :

---

(١) في (ج ، د ، ح) : (وحرمتك) بدل (وخدمتك) كما تقدم نحوه .

(٢) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٣/١٠) من طريق المصنف ، وفي (هـ) : (وهو) بدل (هو) .

(٣) في (ج) وحدها زيادة : (قلت : ما تقول في مالك ؟ فقال : هو إمام الأئمة) .

(٤) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٨٧/٩) بنحوه ، وابن عساكر من طريق المصنف في « تاريخه » (١٨٩/١٠) ، ويجوز في (يخلف) التخفيف والتشديد .

سمعتُ المَحَامليَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ المُسُوحيَّ يقولُ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يحكي هـٰذهِ الحكايةَ [١] .

وسمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الفضلِ العطَّارَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ الدمشقيَّ يقولُ : قالَ لي أبو عبدِ اللهِ ابنُ الجَلَّا : (رأيتُ ذا النونِ وكانَتْ لهُ العبارةُ ، ورأيتُ سهلاً وكانَتْ لهُ الإشارةُ ، ورأيتُ بشرَ بنَ الحارثِ وكانَ لهُ الورعُ) .

فقيلَ لهُ : فإلىٰ مَنْ كنتَ تميلُ ؟ فقالَ : بشرُ بنُ الحارثِ أستاذُنا [٢] .

وقيلَ : إنه اشتهى الباقلَّىٰ سنينَ ، فلمْ يأكلْهُ ، فرُئِيَ في المنامِ بعدَ وفاتِهِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي وقالَ : كُلْ يا مَنْ لمْ يأكلْ ، واشربْ يا مَنْ لمْ يشربْ [٣] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا عبيدُ اللهِ بنُ عثمانَ بنِ يحيىٰ قالَ : حدَّثَنا أبو عمرٍو ابنُ السمَّاكِ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ العباسِ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ ابنُ بنتِ معاويةَ قالَ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ عفَّانَ يقولُ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : إنِّي لأشتهي الشِّواءَ منذُ أربعينَ سنةً ما صفا لي ثمنُهُ [٤] .

وقيلَ لبشرٍ : بأيِّ شيءٍ تأكلُ الخبزَ ؟ فقالَ : أذكرُ العافيةَ وأجعلُها إداماً .

أخبرَنا بهِ محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : أخبرَنا عبيدُ اللهِ بنُ عثمانَ قالَ : أخبرَنا

---

(١) ورواها الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧٣/٧) ، وتعداد الطرق لهـٰذا الخبر دلَّ أن بشراً وجدَ في نفسه لهـٰذه الكلمة وجداً كبيراً ، فأكثر ذكرها منبّهاً علىٰ طلب ستر الحال . « الدلالة » للخمي .

(٢) ورواه من طريق المصنف الخطيبُ في « تاريخه » (٧٧/٧) وقال : (هـٰكذا قال في هـٰذه الحكاية ، وأحمد بن يحيى الجلَّا لم يرَ بشراً ولم يدركه ، وإنما أبوه يحيىٰ أدركه وصحبه ، فالله أعلم) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٢٣/١٠) ، وبنحوه رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٨٩/٩) .

(٤) ورواه السلمي في « طبقاته » (ص ٤٥) ، وفيه : (درهمه) بدل (ثمنه) .

أبو عمرٍو ابنُ السمَّاكِ قالَ : حدَّثَنا عمرُ بنُ سعيدٍ[١] قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي الدنيا قالَ : قالَ رجلٌ لبشرٍ . . . الحكايةَ[٢] .

وقالَ بشرٌ : (لا يحتملُ الحلالُ السرفَ)[٣] .

ورُئِيَ بشرٌ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي ، وأباحَ لي نصفَ الجنةِ ، وقالَ لي : يا بشرُ ؛ لوْ سجدتَ لي على الجمرِ . . ما أدَّيتَ شكرَ ما جعلتُهُ لكَ في قلوبِ عبادي[٤] .

وقالَ بشرٌ : (لا يجدُ حلاوةَ الآخرةِ رجلٌ يحبُّ أنْ يعرفَهُ الناسُ)[٥] .

* * *

---

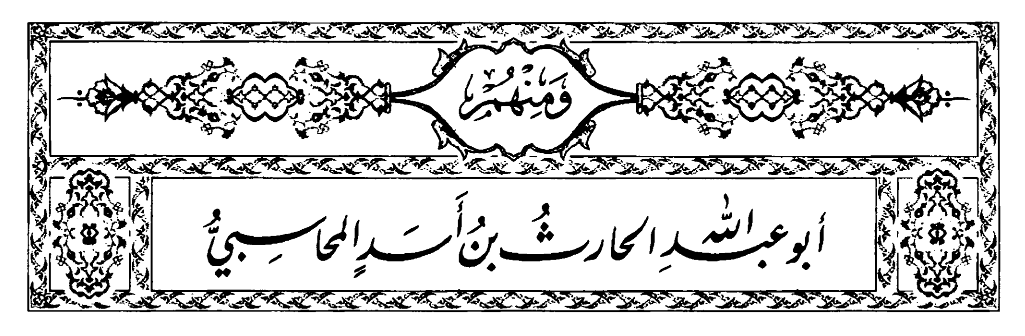
(١) كذا في النسخ ، وإنما هو : (عمر بن سعد) ، وهو أبو بكر القراطيسي ، أشهر رواة كتب ابن أبي الدنيا .

(٢) ورواها السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥) ، وفيه : قال رجل لبشر : لا أدري بأي شيء آكلُ خبزتي ، فقال : اذكرِ العافية واجعلْها إدامك ، وفي (ل) قريب من رواية السلمي .

(٣) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٤٦) ، والخطيب في « تاريخه » (٢٩٩/١١) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٢٧٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٣٦/٨) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٧٢) وفي (ج) : (وقال لي : يا بشر ؛ لا يجد . . .) .



عديمُ النظيرِ في زمانِهِ علماً وورعاً ومعاملةً وحالاً .

بصريُّ الأصلِ ، ماتَ ببغدادَ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ ومئتينِ .

قيلَ : إنَّهُ ورثَ من أبيه سبعينَ ألفَ درهمٍ ، فلمْ يأخذْ منها شيئاً ؛ قيلَ : لأنَّ أباهُ كانَ يقولُ بالقدَرِ ، فرأىٰ في الورعِ ألَّا يأخذَ مِنْ ميراثِهِ شيئاً ، وقالَ : صحَّتِ الروايةُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لا يتوارثُ أهلُ ملَّتينِ شتَّىٰ »[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ ابنَ مسروقٍ يقولُ : (ماتَ الحارثُ المحاسبيُّ وهوَ محتاجٌ إلىٰ درهمٍ ، وخلَّفَ أبوهُ ضياعاً وعقاراً فلمْ يأخذْ منهُ شيئاً)[2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (كانَ الحارثُ المُحاسِبيُّ إذا مدَّ يدَهُ إلىٰ طعامٍ فيهِ شبهةٌ . . تحرَّكَ علىٰ إصبَعِهِ عرْقٌ ، فكانَ يمتنعُ منهُ)[3] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (اقتدوا بخمسةٍ مِنْ شيوخِنا ، والباقونَ

---

(١) رواه أبو داوود (٢٩١١) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٣٥١) بلفظه هنا ، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، ومعنىٰ (شتَّىٰ) هنا : متفرِّقين ، حال من الفاعل .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٧٥) ، وفي الخبر أن أباه كان واقفيّاً ، والواقفة : من سكتوا في مسائل الخلاف بين أهل السنة وفرق الأهواء ، فلم يقطعوا فيها قولاً ، وقال العلامة الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١١/٢٥٧) : (أي : يقف في القرآن ، فلا يقول : هو مخلوق ، ولا غير مخلوق) .

(٣) سيأتي قريباً ما يشهد له .

سلِّموا لهُـمْ حالَهُـمُ : الحارثُ بـنُ أسـدِ المُحاسِـبيُّ ، والجنيدُ بـنُ محمـدٍ ، وأبو محمـدٍ رويمٌ ، وأبو العباسِ ابنُ عطاءٍ ، وعمرُو بنُ عثمانَ المكيُّ ؛ لأنَّهُمْ جمعوا بينَ العلمِ والحقائقِ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الطوسيَّ يقولُ : سمعتُ جعفراً الخُلْديَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ البَلَديَّ يقولُ : قالَ الحارثُ المُحاسِبيُّ : (مَنْ صحَّحَ باطنَهُ بالمراقبةِ والإخلاصِ . . زيَّنَ اللهُ ظاهِرَهُ بالمجاهدةِ واتِّباعِ السنَّةِ)[1] .

ويُحكىٰ عنِ الجنيدِ أنَّهُ قالَ : مرَّ بي يوماً الحارثُ المُحاسِبيُّ ، فرأيتُ فيهِ أثرَ الجوعِ ، فقلتُ : يا عمُّ ؛ تدخلُ الدارَ تتناولُ شيئاً ؟ فقالَ : نعمْ .

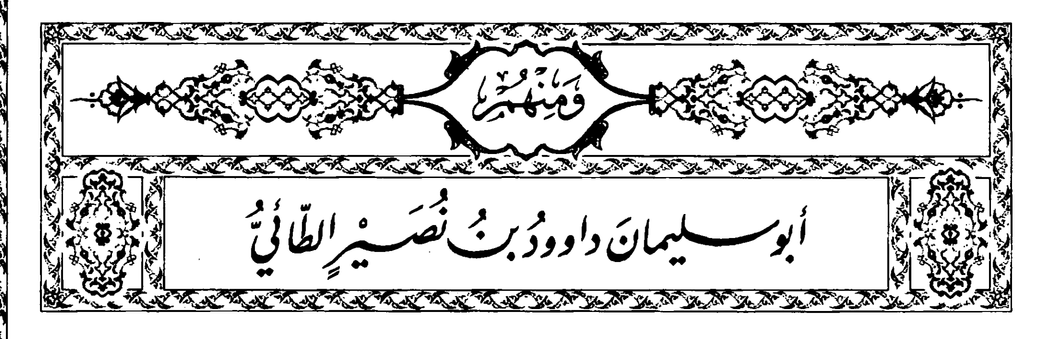
فدخلتُ الدارَ وطلبتُ شيئاً أقدِّمُهُ إليهِ ، وكانَ في البيتِ شيءٌ مِنْ طعامٍ حُمِلَ إليَّ منْ عُرسِ قومٍ ، فقدَّمتُ إليهِ ، فأخذَ لقمةً ، فأدارَها في فمِهِ مرَّاتٍ ، ثمَّ إنَّهُ قامَ وألقاها في الدِّهليزِ ومرَّ .

فلمَّا رأيتُهُ بعدَ ذٰلك بأيامٍ . . قلتُ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : إنِّي كنتُ جائعاً ، وأردتُ أنْ أسُرَّكَ بأكلي وأحفظَ قلبَكَ ، ولٰكنْ بيني وبينَ اللهِ علامةٌ ألَّا يسوِّغَني طعاماً فيهِ شبهةٌ ، فلمْ يمكنِّي ابتلاعُهُ ، فمِنْ أينَ كانَ لكَ ذٰلكَ الطعامُ ؟ فقلتُ : إنَّهُ حُمِلَ مِنْ دارِ قريبٍ لي مِنَ العُرسِ ، ثمَّ قلتُ : تدخلُ اليومَ ؟ فقالَ : نعمْ ، فقدَّمتُ إليهِ كِسَراً كانَتْ لنا ، فأكلَ وقالَ : إذا قدَّمتَ إلىٰ فقيرٍ شيئاً . . فقدِّمْ مثلَ هٰذا[2] .

* * *

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٧٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٧٤) .



وَمِنْهُمْ

أبو سليمانَ داوودُ بنُ نُصَيْرٍ الطَّائيُّ

وكانَ كبيرَ الشأنِ .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا أبو عمرِو ابنُ مطرٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ المسيَّبِ قالَ : حدَّثَنا ابنُ خُبيقٍ قالَ : قالَ يوسفُ[1] : ورِثَ داوودُ الطائيُّ عشرينَ ديناراً ، فأكلَها في عشرينَ سنةً[2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : كانَ سببُ زهدِ داوودَ الطائيِّ : أنَّهُ كانَ يمرُّ ببغدادَ يوماً ، فنحَّاهُ المطرِّقونَ بينَ يدي حُميدٍ الطوسيِّ ، فالتفتَ داوودُ فرأىٰ حُميداً ، فقالَ داوودُ : أُفٍّ لدنيا سبقَكَ بها حُميدٌ[3] ، فلزِمَ البيتَ وأخذَ في الجهدِ والعبادةِ .

وسمعتُ ببغدادَ بعضَ الفقراءِ يقولُ : إنَّ سببَ زهدِهِ : أنَّهُ سمعَ نائحةً تنوحُ : [من السريع]

بِأَيِّ خَدَّيْكَ تَبَدَّى ٱلْبِلَىٰ ... وَأَيُّ عَيْنَيْكَ إذاً سَالَا[4]

وقيلَ : كانَ سببُ زهدِهِ : أنَّهُ كانَ يجالسُ أبا حنيفةَ رحمةُ اللهِ عليهِ ، فقالَ لهُ أبو حنيفةَ يوماً : يا أبا سليمانَ ؛ أمَّا الأداةُ .. فقدْ أحكمناها ، فقالَ لهُ داوودُ : فأيُّ شيءٍ بقيَ ؟ فقالَ : العملُ بهِ .

قالَ داوودُ : فنازعتْني نفسي إلى العُزلةِ ، فقلتُ لنفسي : حتَّىٰ تجالسَهُمْ

---

(١) هو يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده ابن حبان في « الثقات » (٣/٣٤٠) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٣٤٧) .

(٣) في هامش (ح) علّق الإمام الشعراني : (وكان حميد مسخرة للخليفة يضحكه) .

(٤) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/٣٠٢) ، و(إذاً) ظرف ؛ أي : حين البلىٰ .

ولا تتكلَّمَ في مسألةٍ ، قالَ : فجالستُهُمْ سنةً لا أتكلَّمُ في مسألةٍ ، وكانَتِ المسألةُ تمرُّ بي وأنا إلى الكلامِ فيها أشدُّ نزاعاً مِنَ العطشانِ إلى الماءِ ولا أتكلمُ بهِ[1] ، ثمَّ صارَ أمرُهُ إلىٰ ما صارَ .

وقيلَ : حجمَ جنيدٌ الحجَّامُ يوماً داوودَ الطائيَّ ، فأعطاهُ ديناراً ، فقيلَ لهُ : هٰذا إسرافٌ ! فقالَ : لا عبادةَ لمَنْ لا مروءةَ لهُ[2] .

وكانَ يقولُ في الليلِ : (إلٰهي ؛ همُّكَ عطَّلَ عليَّ الهمومَ ، وحالَ بيني وبينَ الرُّقادِ)[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : حدَّثَنا محمدُ بنُ يوسفَ قالَ : حدَّثَنا سعيدُ بنُ عمرٍو قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ حرْبٍ المَوْصِليُّ قالَ : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ زيادٍ الطائيُّ قالَ : قالَتْ دايةُ داوودَ الطائيِّ لهُ : أما تشتهي الخبزَ ؟ فقالَ : بينَ مضغِ الخبزِ وشربِ الفتيتِ قراءةُ خمسينَ آيةً[4] .

ولمَّا تُوفِّيَ . . رآهُ بعضُ الصالحينَ في المنامِ وهوَ يعدو ، فقالَ لهُ : ما لكَ ؟ فقالَ : الساعةَ تخلَّصتُ مِنَ السجنِ ، فاستيقظَ الرجلُ ، فارتفعَ الصياحُ : ماتَ داوودُ الطائيُّ[5] .

وقالَ لهُ رجلٌ : أوصِني ، فقالَ لهُ : عسكرُ الموتىٰ ينتظرونَكَ[6] .

ودخلَ عليهِ بعضُهُمْ ، فرأىٰ جرَّةَ ماءٍ انبسطَتْ عليها الشمسُ ، فقالَ لهُ : ألا تحوِّلُها مِنَ الشمسِ ؟ فقالَ : حيث وضعتُها لمْ تكنْ شمسٌ ، وأنا أستحيي أنْ يراني اللهُ أمشي لما فيهِ حظُّ نفسي .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤١/٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٤/٧) ، وفي الخبر تنبيهٌ : أن إمساكه الدنانيرَ العشرين التي ورثها لم يكن شحّاً . انظر : « إحكام الدلالة » (٩٨/١) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (١٧٤) ، والسُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٥) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٠/٧) ، وفي « إحكام الدلالة » (٩٩/١) : (« الداية » أي : جارية . . .) ، والذي في عموم كتب اللغة أن الداية هي الحاضنة أو الظئر .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٥/٧) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٣٣٨) .

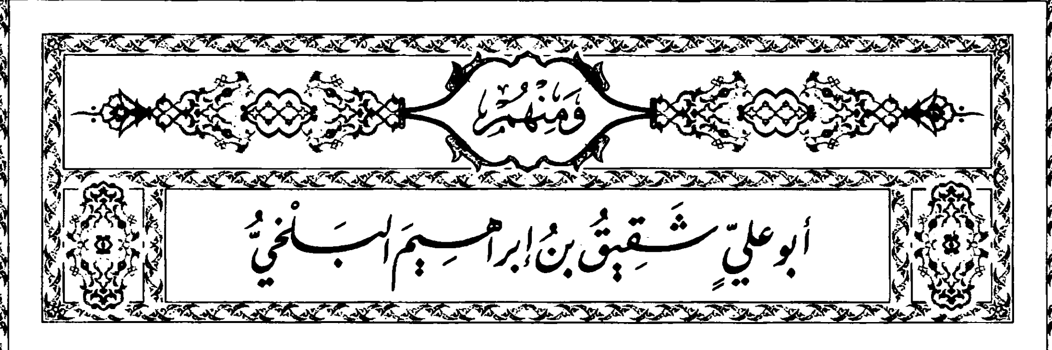
(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٦/٧) .

ودخلَ بعضُهُم عليهِ ، فجعلَ ينظرُ إليهِ ، فقالَ : أما علمتَ أنَّهُمْ كانوا يكرهونَ فضولَ النظرِ كما يكرهونَ فضولَ الكلامِ ؟![1] .

أخبرَنـا عبدُ اللهِ بـنُ يوسـفَ الأصبهانيُّ قـالَ : أخبرَنا أبو إسـحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بـنِ يحيى المُزكِّي قالَ : حدَّثَني قاسـمُ بنُ أحمدَ قالَ : سـمعتُ ميموناً الغزَّالَ قالَ : قالَ أبو الربيعِ الواسطيُّ : قلتُ لداوودَ الطائيِّ : أوصِنـي ، فقالَ : صُمِ الدنيـا[2] ، واجعلْ فطرَكَ الموتَ ، وفِـرَّ مِنَ الناسِ كفرارِكَ مِنَ الأسدِ[3] .

* * *

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٩٧٣) ، وابن أبي الدنيا في « الورع » (٦٠) بنحوه ، وليس فيه ذكر فضول الكلام .
(٢) كذا في (أ ، ل) والمعنى : صم مدة دوامك في الدنيا ، وفي (ب ، ج ، د) : (صم عن الدنيا) ومعناها جلي .
(٣) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٤٧/٨) ، توفي داوود الطائي سنة (١٦٠ هـ) .



مِنْ مشايخِ خراسانَ ، لهُ لسانٌ في التوكُّلِ ، وكانَ أستاذَ حاتِمٍ الأصمِّ .

قيلَ : كانَ سببُ توبتِهِ : أنَّهُ كانَ مِنْ أبناءِ الأغنياءِ ، خرجَ للتجارةِ إلىٰ أرضِ التُّرْكِ وهوَ حَدَثٌ ، فدخلَ بيتاً للأصنامِ ، فرأىٰ خادماً للأصنامِ قدْ حلقَ رأسَهُ ولحيتَهُ ولبسَ ثياباً أُرْجُوانيَّةً ، فقالَ شَقيقٌ للخادمِ : إنَّ لك صانعاً حيّاً عالماً [قادراً] ، فاعبدْهُ ولا تعبدْ هٰذهِ الأصنامَ التي لا تضرُّ ولا تنفعُ ، فقالَ : إنْ كانَ كما تقولُ . . فهوَ قادرٌ علىٰ أنْ يرزقَكَ ببلدِكَ ، فلِمَ تعنَّيْتَ إلىٰ ها هنا للتجارةِ ؟! فانتبهَ شَقيقٌ ! وأخذَ في طريقِ الزهدِ(١) .

وقيلَ : كانَ سببُ زهدِهِ : أنَّهُ رأىٰ مملوكاً يلعبُ ويمرحُ في زمانِ قحطٍ كانَ الناسُ بهِ مهتمِّينَ ، فقالَ لهُ شَقيقٌ : ما هٰذا النشاطُ الذي فيكَ ؟ أَمَا ترىٰ ما فيهِ الناسُ مِنَ الحُزْنِ والقحطِ ؟! فقالَ ذٰلكَ المملوكُ : وما عليَّ مِنْ ذٰلكَ ولمولايَ قريةٌ خالصةٌ يدخلُ لهُ منها ما نحتاجُ نحنُ إليهِ .

فانتبهَ شَقيقٌ وقالَ : إنْ كانَ لمولاهُ قريةٌ ومولاهُ مخلوقٌ فقيرٌ ، ثمَّ إنَّهُ ليسَ يهتمُّ لرزقِهِ . . فكيفَ ينبغي أنْ يهتمَّ المسلمُ لأجلِ الرزقِ ومولاهُ غنيٌّ ؟!(٢) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ بنَ أحيدَ العطَّارَ البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدٍ البخاريَّ يقولُ : قالَ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥٩/٨) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٦/٢٣) .

حاتِمٌ الأصمُّ : كانَ شَقيقُ بنُ إبراهيمَ موسراً ، وكانَ يتفتَّىٰ ويعاشرُ الفتيانَ [١] ، وكانَ عليُّ بنُ عيسى بنِ ماهانَ أميرَ بَلْخَ ، وكانَ يحبُّ كلابَ الصيدِ ، ففقدَ كلباً مِنْ كلابِهِ ، فسُعِيَ برجلٍ أنَّهُ عندَهُ ، وكانَ الرجلُ في جوارِ شَقيقٍ ، فطُلِبَ الرجلُ ، فهربَ [٢] ، ودخلَ دارَ شَقيقٍ مستجيراً ، فمضىٰ شَقيقٌ إلى الأميرِ وقالَ : خلُّوا سبيلَهُ ؛ فإنَّ الكلبَ عندي أردُّه إليكُمْ إلىٰ ثلاثةِ أيامٍ ، فخلَّوا سبيلَهُ ؛ وانصرفَ شَقيقٌ مهتمّاً لما صنعَ .

فلمَّا كانَ اليومُ الثالثُ . . كانَ رجلٌ مِنْ أصدقاءِ شَقيقٍ غائباً مِنْ بلخَ رجعَ [إليها] ، فوجدَ في الطريقِ كلباً عليهِ قلادةٌ ، فأخذَهُ وقالَ : أهديهِ إلىٰ شَقيقٍ ؛ فإنَّهُ يشتغلُ بالتَّفتّي ، فحملَهُ إليهِ ، فنظرَ شَقيقٌ فإذا هوَ كلبُ الأميرِ ! فسُرَّ بهِ ، وحملَهُ إلى الأميرِ ، وتخلَّصَ مِنَ الضمانِ ، فرزقَهُ اللهُ الانتباهَ ، وتابَ ممَّا كانَ فيهِ ، وسلكَ طريقَ الزهدِ [٣] .

وحكىٰ حاتِمٌ الأصمُّ قالَ : كنَّا معَ شَقيقٍ في مصافَّ نحاربُ التركَ في يومٍ لا نرىٰ إلا رؤوساً تندُرُ ورماحاً تقصِفُ وسيوفاً تنقطعُ ، فقالَ لي شَقيقٌ : كيفَ ترىٰ نفسَكَ يا حاتِمُ في هـٰذا اليومِ ؟ تراهُ مثلَ ما كنتَ في الليلةِ التي زُفَّتْ إليكَ امرأتُكَ ؟ فقلتُ : لا واللهِ ، فقالَ : لـٰكنِّي واللهِ أرىٰ نفسي في هـٰذا اليومِ مثلَ ما كنتُ تلكَ الليلةَ ، ثمَّ نامَ بينَ الصفَّينِ ودَرَقَتُهُ تحتَ رأسِهِ حتَّىٰ سمعتُ غطيطَهُ [٤] .

وقالَ شَقيقٌ : (إنْ أردتَ أنْ تعرفَ الرجلَ . . فانظرْ إلىٰ ما وعدَهُ اللهُ ووعدَهُ الناسُ بأيِّهما يكونُ قلبُهُ أوثقَ) [٥] .

---

(١) يتفتّىٰ : من الفتوة ، بذل المال والجاه صيانةً لكمال المروءة .

(٢) في (أ ، ب ، ح) : (وضُرب) بدل (فهرب) .

(٣) وساقها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٤/٢٣) من طريق المصنف ، وعنده : (القطان) بدل (العطار) .

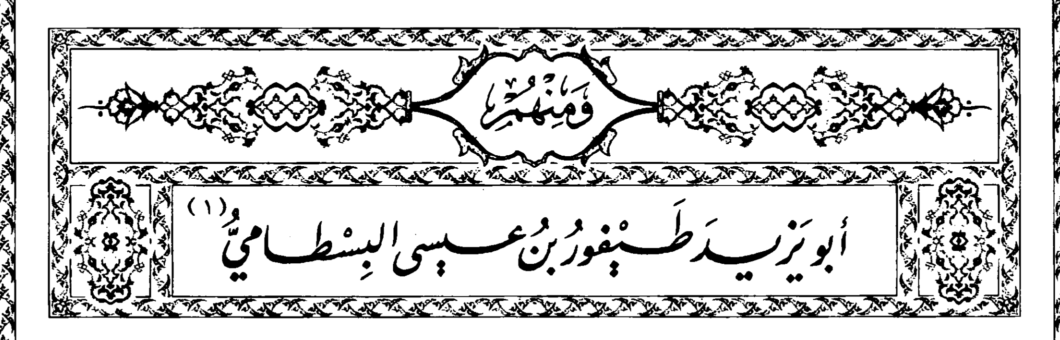
(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦٤/٨) ، والمصافُّ : جمع مِصَفٍّ ، موضع الحرب . والدَّرَقَة ـ بالتحريك ـ : الترس المتخذ من الجلد .

(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٦٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦٤/٨) .

وقالَ شَقيقٌ : (تُعرفُ تقوى الرجلِ في ثلاثةِ أشياءَ : في أخذِهِ ، ومنعِهِ ، وكلامِهِ)(١) .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٦٣) ، توفي شقيق سنة (١٩٤ هـ) في غزوة كولان ، وفي هامش (أ) هنا : (بلغ) .



وكانَ جدُّهُ مجوسيّاً أسلمَ ، وكانوا ثلاثةَ إخوةٍ ؛ آدمُ وطَيْفُورُ وعليٌّ ، وكلُّهُمْ كانوا زهَّاداً عُبَّاداً ، وأبو يزيدَ كانَ أجلَّهُمْ حالاً .

قيلَ : ماتَ سنةَ إحدىٰ وستينَ ومئتينِ ، وقيلَ : أربعٍ وثلاثينَ ومئتينِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عليٍّ يقولُ : **سُئِلَ أبو يزيدَ البِسْطاميُّ : بأيِّ شيءٍ وجدتَ هٰذهِ المعرفةَ ؟ فقالَ : ببطنٍ جائعٍ ، وبدنٍ عارٍ** [2] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ عمِّي البِسْطاميَّ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ أبا يزيدَ يقولُ : **(عملتُ في المجاهدةِ ثلاثينَ سنةً ، فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عليَّ مِنَ العلمِ ومتابعتِهِ ، ولولا اختلافُ العلماءِ . . لتعبتُ [3] ، واختلافُ العلماءِ رحمةٌ ، إلا في تجريدِ التوحيدِ)** [4] .

وقيلَ : لمْ يخرجْ أبو يزيدَ مِنَ الدنيا حتَّى استظهرَ القرآنَ .

---

(١) كذا بكسر الباء نسبة إلىٰ (بِسْطام) كما في « معجم البلدان » (١/٤٢١) ، وهي بلدة كبيرة بقومس علىٰ جادة الطريق إلىٰ نيسابور ، وعند السمعاني في « الأنساب » (٢/٢٢٩) ذكرها بالباء المفتوحة ، وكذا في « اللباب » لابن الأثير (١/١٥٢) ، وقال الإمام السيوطي في « لب اللباب » (ص ٣٧) : (قلت : قال ياقوت : بالكسر ، وإلىٰ بسطام بالفتح والكسر جدٌّ) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٤) ، وفيه : (الحسن بن علويه) ، وهو الحسن بن علي .

(٣) في (ج ، هـ ، ح ، ي) : (لبقيت) ، وفي (ح) زيادة : (متحيِّراً) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٦) من طريقه ، وعمي البسطامي : هو أبو عمران موسى بن عيسىٰ ، وشُكِلَ في طبعة « طبقات السلمي » بـ (عُمَيّ) ، ووقع في هامش (ج) : (سمعت عَمِياً . . .) .

أخبرَنا أبو حاتِمٍ السِّجِسْتانيُّ قالَ : أخبرَنا أبو نصرٍ السرَّاجُ قالَ : سمعتُ طيفورَ البِسْطاميَّ يقولُ : سمعتُ المعروفَ بعمِّي البِسْطاميِّ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : قالَ أبو يزيدَ : قُمْ بنا حتَّىٰ ننظرَ إلىٰ هٰذا الرجلِ الذي قدْ شَهَرَ نفسَهُ بالولايةِ ، وكانَ رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهدِ ، فمضَينا ، فلمَّا خرجَ مِنْ بيتِهِ ودخلَ المسجدَ . . رمىٰ ببزاقِهِ تُجاهَ القبلةِ ، فانصرفَ أبو يزيدَ ولمْ يسلِّمْ عليهِ ، وقالَ : هٰذا غيرُ مأمونٍ علىٰ أدبٍ مِنْ آدابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكيفَ يكونُ مأموناً علىٰ ما يدَّعيهِ ؟![1] .

وبهٰذا الإسنادِ قالَ أبو يزيدَ : لقدْ هممتُ أنْ أسألَ اللهَ تعالىٰ أنْ يكفيَني مؤنةَ الأكلِ ومؤنةَ النساءِ ، ثمَّ قلتُ : كيفَ يجوزُ لي أنْ أسألَ اللهَ هٰذا ولمْ يسألْهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟! فلمْ أسألْهُ ، ثمَّ إنَّ اللهَ سبحانَهُ كفاني مؤنةَ النساءِ ، حتَّىٰ لا أبالي أستقبلتْني امرأةٌ أوْ حائطٌ[2] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ عمِّي البِسْطاميَّ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سألتُ أبا يزيدَ عنِ ابتدائِهِ وزهدِهِ ، فقالَ : ليسَ للزهدِ منزلةٌ ، فقلتُ : لماذا ؟ فقالَ : لأنِّي كنتُ ثلاثةَ أيامٍ في الزهدِ ، فلمَّا كانَ اليومُ الرابعُ . . خرجتُ منْهُ ؛ اليومَ الأوَّلَ زهدتُ في الدنيا وما فيها ، واليومَ الثانيَ زهدتُ في الآخرةِ وما فيها ، واليومَ الثالثَ زهدتُ فيما سوى اللهِ ، فلمَّا كانَ اليومُ الرابعُ . . لمْ يبقَ لي سوى اللهِ ، فهِمتُ ، فسمعتُ هاتفاً يقولُ : يا أبا يزيدَ ؛ لا تقوىٰ معَنا ، فقلتُ : هٰذا الذي أريدُهُ ، فسمعتُ قائلاً يقولُ : وجدتَ وجدتَ .

وقيلَ لأبي يزيدَ : ما أشدُّ ما لقيتَ في سبيلِ اللهِ تعالىٰ ؟ فقالَ : لا يمكنُ وصفُهُ ، فقيلَ لهُ : ما أهونُ ما لقيَتْ نفسُكَ منكَ ؟ فقالَ : أمَّا هٰذا . . فنعمْ ، دعوتُها إلىٰ شيءٍ مِنَ الطاعاتِ فلمْ تجبْنِي ، فمنعتُها الماءَ سنةً .

---

(١) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ١٤٤) .

(٢) رواه السراج في « اللمع » (ص ١٤٥) ، وفي الخبرين تنبيهٌ علىٰ شدة اتباع القوم للسنَّة .

وقالَ أبو يزيدَ : (منذُ ثلاثينَ سنةً أصلِّي واعتقادي في نفسي في كلِّ صلاةٍ كأنِّي مجوسيٌّ أريدُ أنْ أقطعَ زُنَّاري)[١] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ موسى بنَ عيسىٰ يقولُ[٢] : قالَ أبي : قالَ أبو يزيدَ : (لوْ نظرتُمْ إلىٰ رجلٍ أُعطِيَ مِنَ الكراماتِ حتَّىٰ تربَّعَ في الهواءِ . . فلا تغترُّوا بهِ حتَّىٰ تنظروا كيفَ تجدونَهُ عندَ الأمرِ والنهْيِ ، وحفظِ الحدودِ وأداءِ الشريعةِ)[٣] .

وحكىٰ عمِّي البِسْطاميُّ عنْ أبيهِ أنَّهُ قالَ : ذهبَ أبو يزيدَ ليلةً إلى الرباطِ ليذكرَ اللهَ علىٰ سورِ الرباطِ ، فبقيَ إلى الصباحِ لمْ يذكرْ ، فقلتُ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : تذكَّرتُ كلمةً جرَتْ علىٰ لساني في حالِ صِباي ، فاحتشمتُ أنْ أذكرَهُ سبحانَهُ .

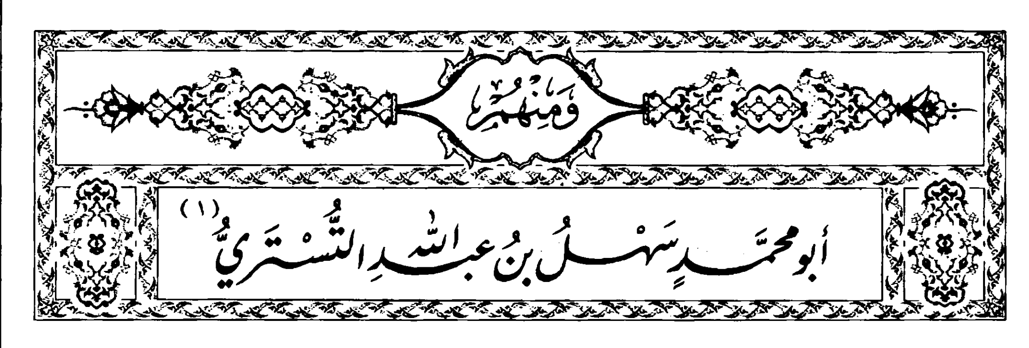
* * *

---

(١) بنحوه مختصراً في « الحلية » (١٠/٤٠) .

(٢) المعروف بعمي البسطامي ، ووقع من كلام ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » (ص ٣٠٥) أنه ابن أخ أبي يزيد البسطامي .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٠) .



أحدُ أئمَّةِ القومِ ؛ ومَنْ لمْ يكنْ لهُ في وقتِهِ نظيرٌ في المعاملاتِ والورعِ ، وكانَ صاحبَ كراماتٍ .

لقيَ ذا النونِ المصريَّ بمكَّةَ سنةَ خروجهِ إلى الحجِّ .

تُوفِّي رحمَهُ اللهُ ـ كما قيلَ ـ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ ومئتينِ ، وقيلَ : ثلاثٍ وسبعينَ .

وقالَ سَهْلٌ : كنتُ ابنَ ثلاثِ سنينَ ، وكنتُ أقومُ بالليلِ أنظرُ إلىٰ صلاةِ خالي محمَّدِ بنِ سوَّارٍ ، وكانَ يقومُ بالليلِ ، فربَّما كانَ يقولُ : يا سَهْلُ ؛ اذهبْ فنَمْ ، فقدْ شغلْتَ قلبي .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الفتحِ يوسفَ بنَ عمرَ الزاهدَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عبدِ الحميدِ يقولُ : سمعتُ عبيدَ اللهِ بنَ لؤلؤٍ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ واصلٍ البصريَّ يحكي عنْ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ لي خالي يوماً : ألا تذكرُ اللهَ الذي خلقَكَ ؟ فقلتُ : كيفَ أذكرُهُ ؟ فقالَ : قلْ بقلبِكَ عندَ تقلُّبِكَ في ثيابِكَ ثلاثَ مرَّاتٍ مِنْ غيرِ أنْ تحرِّكَ بهِ لسانَكَ : اللهُ معي ، اللهُ ناظرٌ إليَّ ، اللهُ شاهدي ، فقلتُ ذٰلكَ لياليَ ثمَّ أعلمتُهُ ، فقالَ : قلْ في كلِّ ليلةٍ سبعَ مرَّاتٍ ، فقلتُ ذٰلكَ ثمَّ أعلمتُهُ (٢) ، فقالَ : قُلْ في كلِّ ليلةٍ إحدىٰ عشرةَ مرَّةً ، فقلتُ ذٰلكَ ، فوقعَ في قلبي حلاوةٌ .

---

(١) في هامش (ي) بخط العلامة محمد المبارك : (وتُسْتَر تعريب شُشْتَر) .

(٢) في (أ) : (فقلت ذٰلك سبع مرات ثم أعلمته) .

فلمَّا كانَ بعدَ سنةٍ . . قالَ لي خالي : احفظْ ما علَّمتُكَ ، ودُمْ عليهِ إلىٰ أنْ تدخلَ القبرَ ، فإنَّهُ ينفعُكَ في الدنيا والآخرةِ ، فلمْ أزلْ علىٰ ذٰلكَ سنينَ[1] ، فوجدتُ لها حلاوةً في سرِّي .

ثمَّ قالَ لي خالي يوماً : يا سهلُ ؛ مَنْ كانَ اللهُ معَهُ وهوَ ناظرٌ إليهِ وشاهدُهُ . . كيفَ يعصيهِ ؟! إيَّاكَ والمعصيةَ .

فكنتُ أخلو ، فبعثوني إلى الكُتَّابِ ، فقلتُ : إنِّي لأخشىٰ أنْ يتفرَّقَ عليَّ همِّي ، ولٰكنْ شارطوا المعلِّمَ أنِّي أذهبُ إليهِ ساعةً فأتعلَّمُ ثمَّ أرجعُ .

فمضَيتُ إلى الكتَّابِ ، وحفظتُ القرآنَ وأنا ابنُ ستِّ سنينَ أوْ سبعِ سنينَ ، وكنتُ أصومُ الدهرَ وقوتي خبزُ الشعيرِ اثنتي عشرَةَ سنةً ، فوقعَتْ لي مسألةٌ وأنا ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً ، فسألتُ أهلي أنْ يبعثوا بي إلى البصرةِ أسألُ عنها ، فجئتُ البصرةَ وسألتُ علماءَها ، فلمْ يشفِ عنِّي أحدٌ شيئاً .

فخرجتُ إلىٰ عَبَّادانَ إلىٰ رجلٍ يُعرفُ بأبي حبيبٍ حمزةَ بنِ عبدِ اللهِ العبَّادانيِّ ، فسألتُهُ عنها ، فأجابَني ، فأقمتُ عندَهُ مدَّةً أنتفعُ بكلامِهِ وأتأدَّبُ بآدابِهِ .

ثمَّ رجعتُ إلىٰ تُسْتَرَ ، فجعلتُ قوتي اقتصاراً علىٰ أنْ يُشترىٰ لي بدرهمٍ مِنَ الشعيرِ العَزْقِ[2] ، فيُطحنَ ويُخبزَ لي ، فأفطرَ عندَ السحرِ كلَّ ليلةٍ علىٰ أُوقيَّةٍ واحدةٍ بَحْتاً بغيرِ ملحٍ ولا إدامٍ[3] ، فكانَ يكفيني ذٰلكَ الدرهمُ سنةً .

---

(١) في (أ) : (سنتين) بدل (سنين) .

(٢) العَزق : المقشور ، كذا وقع في هامش (ج) تفسيره ، وفي كتب اللغة : المِعْزَقَة : المذراة يذرىٰ بها الطعام ، والعُزَق : مذرُّو الحنطة ، وفي (ح) : (العزق الصحيح) وتحتمل (الفرق) ، وهي كذٰلك في عامة النسخ ، والفرق ـ بسكون الراء وفتحها ـ : مكيال ، وهو ستة عشر رطلاً ، وقيل بالتفريق بين المحرَّك والساكن ، وقال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (٣٦٨/٧) : (ووجدت في بعض نسخ « الرسالة » : « من الشعير الغرق » بالغين ، صفة للشعير ؛ وهو الذي قد أصابه البلل من الأرض ، وهو رخيص الثمن) .

(٣) البَحْت : الشيء الخالص ، الصِّرْف .

ثمَّ عزمتُ علىٰ أنْ أطويَ ثلاثَ ليالٍ ، ثمَّ أفطرَ ليلةً ، ثمَّ خمساً ، ثمَّ سبعاً ، ثمَّ خمساً وعشرينَ ليلةً ، وكنتُ عليهِ عشرينَ سنةً .

ثمَّ خرجتُ أسيحُ في الأرضِ سنينَ [1] ، ثمَّ رجعتُ إلىٰ تُسْتَرَ ، وكنتُ أقومُ الليلَ كلَّهُ [2] .

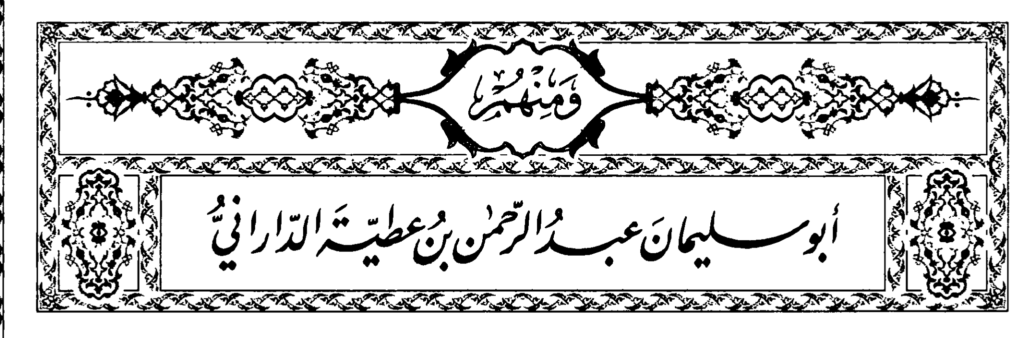
سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ فراسٍ يقولُ : سمعتُ نصرَ بنَ أحمدَ يقولُ : قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (كُلُّ فعلٍ يفعلُهُ العبدُ بغيرِ اقتداءٍ طاعةً كانَ أوْ معصيةً فهوَ عيشُ النفسِ ، وكلُّ فعلٍ يفعلُهُ بالاقتداءِ فهوَ عذابٌ على النفسِ) .

* * *

---

(١) في (ج) : (سنتين) بدل (سنين) .

(٢) طرف يسير من الخبر عند السراج في « اللمع » (ص ٢٦٩) .



وداريَّا[١] قريةٌ مِنْ قرىٰ دمشقَ .

ماتَ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئتينِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الرازيَّ يقولُ : أخبرَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي حسَّانَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحواريِّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الدارانيَّ يقولُ : (مَنْ أحسنَ في نهارِهِ . . كُوفئَ في ليلِهِ ، ومَنْ أحسنَ في ليلِهِ . . كُوفئَ في نهارِهِ ، ومَنْ صدقَ في تركِ شهوةٍ . . ذهبَ اللهُ بها مِنْ قلبِهِ ، واللهُ تعالىٰ أكرمُ مِنْ أنْ يعذِّبَ قلباً بشهوةٍ تُرِكَتْ لهُ)[٢] .

وبهٰذا الإسنادِ قالَ : (إذا سكنتِ الدنيا القلبَ . . ترحَّلَتْ منْهُ الآخرةُ)[٣] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (ربما تقعُ في قلبي النكتةُ مِنْ نُكَتِ القومِ أياماً ، فلا أقبلُ منْهُ إلَّا بشاهدينِ عَدْلَيْنِ مِنَ الكتابِ والسنةِ)[٤] .

وقالَ أبو سليمانَ : (أفضلُ الأعمالِ : خلافُ هوى النفسِ)[٥] .

---

(١) كذا في (ج ، ح ، ط) ، وهو الصواب ، وصُحِّح في هامش (ي) ، ووقع في (أ ، ب) : (دارا) ، وفي (ز ، ي ، ك ، ل) : (داران) ، وانظر « بستان العارفين » (ص ١١٥) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٧) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/٢٦٠) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٨) ، والضمير في (منه) : يعود على القلب .

(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٨١) .

وقالَ : (لكلِّ شيءٍ عَلَمٌ ، وعَلَمُ الخِذْلانِ : تركُ البكاءِ)[1] .

وقالَ : (لكلِّ شيءٍ صدأٌ ، وصدأُ نورِ القلبِ : شبعُ البطنِ)[2] .

وقالَ : (كلُّ ما شغلَكَ عنِ اللهِ تعالىٰ مِنْ أهلٍ أوْ مالٍ أوْ ولدٍ . . فهوَ عليكَ مشؤومٌ)[3] .

وقالَ أبو سليمانَ : كنتُ ليلةً باردةً في المحرابِ ، فأقلقَني البرْدُ ، فخبأْتُ إحدىٰ يديَّ مِنَ البردِ وبقيتِ الأخرىٰ ممدودةً ، فغلبتْني عيني ، فهتفَ بي هاتفٌ : يا أبا سليمانَ ؛ قدْ وضعْنا في هٰذهِ ما أصابَها ، ولوْ كانتِ الأخرىٰ . . لوضعْنا فيها ، فآليتُ علىٰ نفسي ألَّا أدعوَ إلا ويدايَ خارجتانِ حرّاً كانَ أوْ برداً[4] .

وقالَ أبو سليمانَ : نمتُ عنْ وردي ، فإذا أنا بحوراءَ تقولُ لي : تنامُ وأنا أُربَّىٰ لكَ في الخدورِ منذُ خمسِ مئةِ عامٍ ؟![5] .

أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ قالَ : أخبرَنا أبو عمرٍو الجُولَسْتيُّ قالَ : أخبرَنا محمدُ بنُ إسماعيلَ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ قالَ : دخلتُ علىٰ أبي سليمانَ يوماً وهوَ يبكي ، فقلتُ لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : يا أحمدُ ؛ وكيفَ لا أبكي ؟! إذا جَنَّ الليلُ ، ونامَتِ العيونُ ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِهِ ، وافترشَ أهلُ المحبَّةِ أقدامَهُمْ[6] ، وجرَتْ دموعُهُمْ علىٰ خدودِهِمْ ، وتقطَّرَتْ في محاريبِهِمْ . . أشرفَ الجليلُ سبحانَهُ فنادىٰ : يا جبريلُ ؛ بعيني مَنْ تلذَّذَ بكلامي ، واستراحَ إلىٰ ذكري ، وإنِّي لمطَّلعٌ عليهم في خلواتِهِمْ ، أسمعُ أنينَهُم ، وأرىٰ بكاءَهُمْ ، فلِمَ لا تنادي فيهِمْ يا جبريلُ : ما هٰذا البكاءُ ؟

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٨١) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٨١) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٤/٩) ، والخطيب في « تاريخه » (٢٤٨/١٠) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/٩) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/٩) .

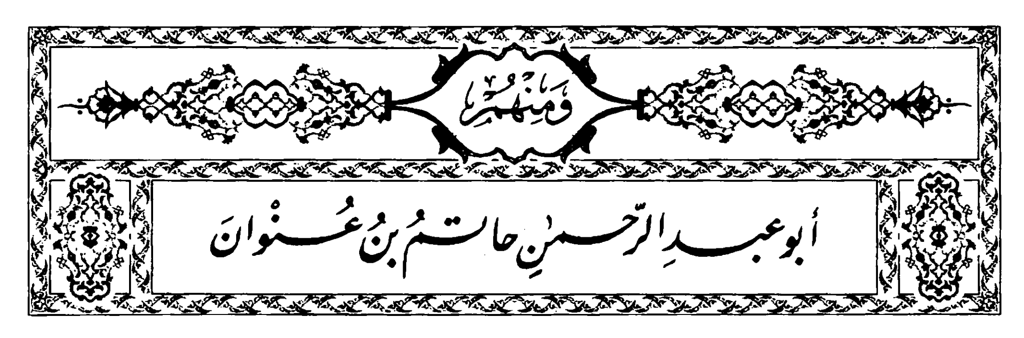
(٦) كذا في (ي) و« إحكام الدلالة » (١١٦/١) ، وفي سائر النسخ : (افترش . . .) .

هـلْ رأيتُـمْ حبيبـاً يعـذِّبُ أحبَّـاءَهُ ؟! أمْ كيفَ يجمـلُ بي أنْ آخُـذَ قوماً إذا جَنَّهُمُ الليلُ . . تملَّقوا ؟! فبي حلفتُ ؛ إذا وردوا عليَّ القيامةَ . . لأكشـفَنَّ لهُمْ عنْ وجهي الكريمِ حتَّىٰ ينظروا إليَّ وأنظرَ إليهِمْ[1] .

* * *

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٦) .



ويُقالُ : حاتِمُ بنُ يوسفَ الأصمُّ[1] ، مِنْ أكابرِ مشايخِ خراسانَ ، وكانَ تلميذَ شَقيقٍ ، وأستاذَ أحمدَ بنِ خِضْرُويهِ .

قيلَ : لمْ يكنْ أصمَّ ، وإنَّما تصامَمَ مرَّةً فسُمِّيَ بهِ[2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : جاءَتِ امرأةٌ فسألَتْ حاتِماً عن مسألةٍ ، فاتفقَ أنَّهُ خرجَ منها صوتٌ في تلكَ الحالةِ ، فخجِلَتْ ، فقالَ حاتِمٌ : ارفعي صوتَكِ ، فأرىٰ مِنْ نفسِهِ أنَّهُ أصمُّ ، فسُرَّتِ المرأةُ بذٰلكَ وقالَتْ : إنَّهُ لمْ يسمعِ الصوتَ ، فغلبَ عليهِ اسمُ الصممِ[3] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ سعيدَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدٍ يقولُ : سمعتُ خالي محمدَ بنَ الليثِ يقولُ : سمعتُ حامداً اللفَّافَ يقولُ : سمعتُ حاتِماً الأصمَّ يقولُ : ما مِنْ صباحٍ إلَّا والشيطانُ يقولُ لي : ما تأكلُ ؟ وما تلبَسُ ؟ وأين تسكنُ ؟ فأقولُ : آكلُ الموتَ ، وألبَسُ الكفنَ ، وأسكنُ القبرَ[4] .

وبإسنادِهِ : قيلَ لهُ : ألا تشتهي ؟ فقالَ : أشتهي عافيةَ يومٍ إلى الليلِ ، فقيلَ لهُ : أليسَتِ الأيامُ كلُّها عافيةً ؟ فقالَ : إنَّ عافيةَ يومي ألَّا أعصيَ اللهَ فيهِ[5] .

---

(١) وقيل : حاتم بن عُنْوان بن يوسف ، وهو مولىً للمثنى بن يحيىٰ . انظر « طبقات السلمي » (ص ٩١) ، ويقال : عُلْوان ـ كما في (ز) ـ وعنوان ، وكلاهما صحيح ، يقال : عُلْوان الكتاب وعُنْوانه ، وقد عَلْونته وعَنْونته .

(٢) في هامش (ز) : (مات حاتم بواشَجِرْدَ سنة « ٢٣٧ هـ » في موضع يقال له : رأس شروند علىٰ جبل فوق بواشجرد) .

(٣) ورواه من طريق المصنف الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٣٨/٨) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٩٦) .

(٥) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٩٦) .

وحُكِـيَ عـنْ حاتِـمٍ أنَّـهُ قـالَ : كنتُ فـي بعضِ الغـزواتِ ، فأخذَنـي تركيٌّ وأضجعَني للذبحِ ، فلمْ يشتغلْ بهِ قلبي ، بلْ كنتُ أنظرُ ماذا يحكُمُ اللهُ ، فبينَا هوَ يطلبُ السـكينَ مِنْ خُفِّهِ . . أصابَهُ سـهْمٌ غرْبٌ فقتلَهُ ، وطرحَهُ عنِّي وقمتُ سالماً[١] .

سـمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ منصورَ بنَ محمدِ بنِ إبراهيمَ الفقيهَ يقولُ : سـمعتُ أبا محمدٍ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقـولُ : رُويَ عـنْ حاتِـمٍ أنَّهُ قـالَ : (مَنْ دخلَ في مذهبِنـا هـٰذا . . فليجعلْ في نفسِـهِ أربعَ خصالٍ مِنَ الموتِ : موتاً أبيضَ ؛ وهوَ الجوعُ ، وموتاً أسـودَ ؛ وهوَ احتمالُ الأذىٰ مِنَ الناسِ[٢] ، وموتاً أحمرَ ؛ وهوَ العملُ[٣] في مخالفةِ الهوىٰ ، وموتاً أخضرَ ؛ وهوَ طرحُ الرِّقاعِ بعضِها علىٰ بعضٍ)[٤] .

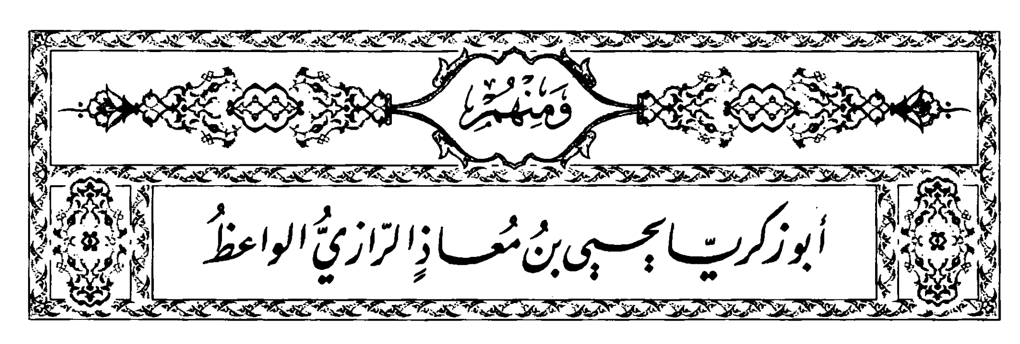
* * *

(١) رواه الخطيب في « تاريخه » (٨/٢٣٩) ، وابن الجوزي في « الثبات عند الممات » (ص ٤١) ، وفيهما لمَّا أخِذَ للذبح : (فوَحَقِّ سيدي ؛ ما كان قلبي عنده ولا عند سكِّينه ، إنما كان قلبي عند سيدي ، أنظرُ ماذا ينزلُ به القضاءُ منه ، فقلتُ : سيدي ؛ قضيت أنْ يذبحني هـٰذا . . فعلى الرأس والعين ، إنما أنا لك وملكُكَ ، فبينما أنا أخاطب سيدي . . . ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيِّد حتىٰ ترون من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات) .

(٢) كذا في (أ) ، وفي غيرها : (الخلق) بدل (الناس) .

(٣) في هامش (ج) نسخة فيها زيادة : (الخالص من الشوب ومخالفة . . .) وكذا في عامة النسخ غير (ب ، ي) : (وهو العمل ومخالفة الهوىٰ) ، وفي « الحلية » : (والموت الأحمر مخالفة النفس) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٧٨) .



نسيجُ وحدِهِ في وقتِهِ ، لهُ لسانٌ في الرجاءِ خصوصاً ، وكلامٌ في المعرفةِ .

خرجَ إلىٰ بَلْخَ ، فأقامَ بها مدَّةً ، ورجعَ إلىٰ نيسابورَ ، وماتَ رحمَهُ اللهُ بها سنةَ ثمانٍ وخمسينَ ومئتينِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبيدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ حمدانَ العُكْبَرِيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ السَّرِيِّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ ابنَ عيسىٰ يقولُ : سمعتُ يحيىٰ يقولُ : (كيفَ يكونُ زاهداً مَنْ لا ورعَ لهُ ؟! تورَّعْ عمَّا ليسَ لكَ ، ثمَّ ازهدْ فيما لكَ)[1] .

وبهٰذا الإسنادِ قالَ : (جوعُ التوَّابينَ تجرِبةٌ ، وجوعُ الزاهدينَ سياسةٌ ، وجوعُ الصِّدِّيقينَ تَكْرِمةٌ)[2] .

وقالَ يحيى : (الفوتُ أشدُّ مِنَ الموتِ ؛ لأنَّ الفوتَ انقطاعٌ عنِ الحقِّ ، والموتَ انقطاعٌ عنِ الخلْقِ)[3] .

وقالَ يحيى : (الزهدُ ثلاثةُ أشياءَ : القلَّةُ ، والخلوةُ ، والجوعُ)[4] .

وقالَ يحيىٰ : (لا تربحُ علىٰ نفسِكَ بشيءٍ أجلَّ مِنْ أنْ تشغلَها في كلِّ وقتٍ بما هوَ أولىٰ بها)[5] .

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٠) وعبيد الله : هو ابن بطة الحنبلي ، واسم جده (محمد) ، وفي النسخ : (أحمد) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٦٧) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٢) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٣) .

(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٤) .

وقيلَ : إنَّ يحيى بنَ معاذٍ تكلَّمَ ببلْخَ في تفضيلِ الغنىٰ على الفقرِ (١) ، فأُعطيَ ثلاثينَ ألفَ درهمٍ ، فقالَ بعضُ المشايخِ : لا باركَ اللهُ تعالىٰ لهُ في هٰذا المالِ ، فخرجَ إلىٰ نيسابورَ ، فوقعَ عليه اللصُّ وأخذَ ذٰلكَ المالَ منهُ (٢) .

أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ قالَ : أخبرَنا أبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ الحسينِ بنِ بالَوَيْهِ الصوفيُّ قالَ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عَلَّويهِ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ معاذٍ الرازيَّ يقولُ : (مَنْ خانَ اللهَ في السرِّ . . هتكَ اللهُ سترَهُ في العلانيةِ) (٣) .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ محمدَ بنَ عبدِ العزيزِ المؤذِّنَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ محمدٍ الجُرْجانيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ معاذٍ يقولُ : (تزكيةُ الأشرارِ هُجنةٌ بكَ ، وحبُّهُمْ لكَ عيبٌ عليكَ ، وهانَ عليكَ مَنِ احتاجَ إليكَ) .

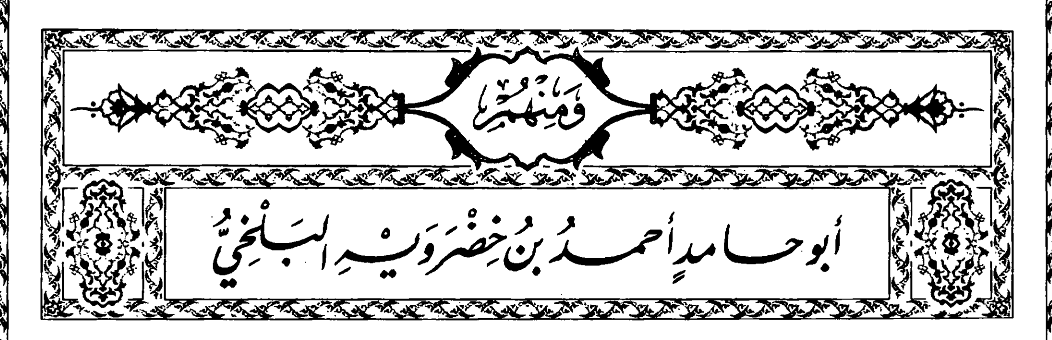
* * *

---

(١) في (أ ، ج) : (في تفضيل الغني على الفقير) .

(٢) فيه تنبيه على فضيلة يحيىٰ رحمه الله ؛ حيث خار الله له التجريد .

(٣) ورواه ابن الجوزي في « المنتظم » (١١٧/٧) .



مِنْ كبارِ مشايخِ خُراسانَ ، صحبَ أبا ترابٍ النَّخْشَبيَّ .

قدمَ نيسابورَ ، وزارَ أبا حفْصٍ [1] ، وخرجَ إلىٰ بِسطامَ في زيارةِ أبي يزيدَ البِسْطاميِّ ، وكانَ كبيرَ الشأنِ في الفتوَّةِ رحمَهُ اللهُ .

وقالَ أبو حفصٍ : (ما رأيتُ أحداً أكبرَ همَّةً ولا أصدقَ حالاً مِنْ أحمدَ بنِ خِضْرَويهِ) [2] .

وكانَ أبو يزيدَ يقولُ : (أستاذُنا أحمدُ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ حامدٍ يقولُ : كنتُ جالساً عندَ أحمدَ بنِ خِضْرويهِ وهوَ في النزعِ ، وكانَ قدْ أتىٰ عليهِ خمسٌ وتسعونَ سنةً ، فسألَهُ بعضُ أصحابِهِ عنْ مسألةٍ ، فدمعَتْ عيناهُ وقالَ :

يا بنيَّ ؛ بابٌ كنتُ أدقُّهُ منذُ خمسٍ وتسعينَ سنةً ، هوَ ذا يُفتحُ لي الساعةَ ، لا أدري بالسعادةِ أمْ بالشقاوةِ ؟ أنَّىٰ لي أوانُ الجوابِ ؟! [3] .

قالَ : وكانَ عليهِ سبعُ مئةِ دينارٍ ديناً ، وغرماؤُهُ عندَهُ ، فنظرَ إليهِمْ وقالَ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ جعلتَ الرُّهونَ وثيقةً لأربابِ الأموالِ ، وأنتَ تأخذُ عنهُمْ وثيقتَهُمْ ،

---

(١) يعني : عمر بن سلم الحداد ، ستأتي ترجمته (ص ١٤٣) .
(٢) قال هـٰذا وقد سُئِلَ : من أجلُّ من رأيت من هـٰذه الطبقة ؟ انظر « طبقات السُّلمي » (ص ١٠٣) .
(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٢) .

فأدِّ عنِّي ، قالَ : فدقَّ داقٌّ البابَ وقالَ : أينَ غرماءُ أحمدَ ؟ فقضىٰ عنهُ ، ثُمَّ خرجَتْ روحُهُ[1] .

ماتَ رحمَهُ اللهُ سنةَ أربعينَ ومئتينِ .

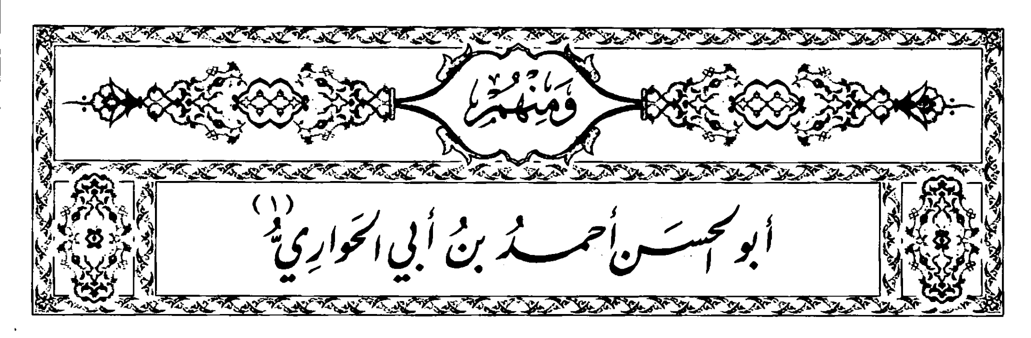
وقالَ أحمدُ بنُ خِضْرويهِ : (لا نومَ أثقلُ مِنَ الغفلةِ[2] ، ولا رقَّ أملكُ مِنَ الشهوةِ ، ولولا ثقلُ الغفلةِ . . لما ظفِرَتْ بكَ الشهوةُ)[3] .

* * *

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٢) .

(٢) في (أ ، ج ، ل) : (السهو) بدل (الغفلة) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٠٦) .



أبو الحسن أحمد بن أبي الحواري [1]

مِنْ أهلِ دمشقَ ، صحبَ أبا سليمانَ الدارانيَّ وغيرَهُ .

ماتَ سنةَ ثلاثينَ ومئتينِ .

وكانَ الجنيدُ يقولُ : (أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ ريحانةُ الشامِ) [2] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ الحافظَ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ عبدِ العزيزِ الحَلَبيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحَواريِّ يقولُ : (مَنْ نظرَ إلى الدنيا نظرَ إرادةٍ وحبٍّ لها .. أخرجَ اللهُ تعالىٰ نورَ اليقينِ والزهدِ مِنْ قلبِهِ) [3] .

وبهـٰذا الإسنادِ يقولُ : (مَنْ عملَ عملاً بلا اتِّباعِ سنَّةٍ .. فباطلٌ عملُهُ) [4] .

وبهـٰذا الإسنادِ قالَ أحمدُ : (أفضلُ البكاءِ : بكاءُ العبدِ علىٰ ما فاتَهُ مِنْ أوقاتِهِ علىٰ غيرِ الموافقةِ) [5] .

وقالَ أحمدُ : (ما ابتلى اللهُ تعالىٰ عبداً بشيءٍ أشدَّ مِنَ الغفلةِ والقسوةِ) [6] .

* * *

---

(١) قال الإمام النووي في « بستان العارفين » (ص ١١٤) : (يقال بفتح الراء ـ يعني : كَسَكَارىٰ ـ وكسرها ، والكسر أشهر ، والفتح سمعته مرات من شيخنا الحافظ أبي البقاء يحكيه عن أهل الإتقان أو عن بعضهم ، والله أعلم) ، وقال في « التبيان » (ص ٢٣١) : (واسم أبي الحواري : عبد الله بن ميمون بن عباس بن الحارث) .

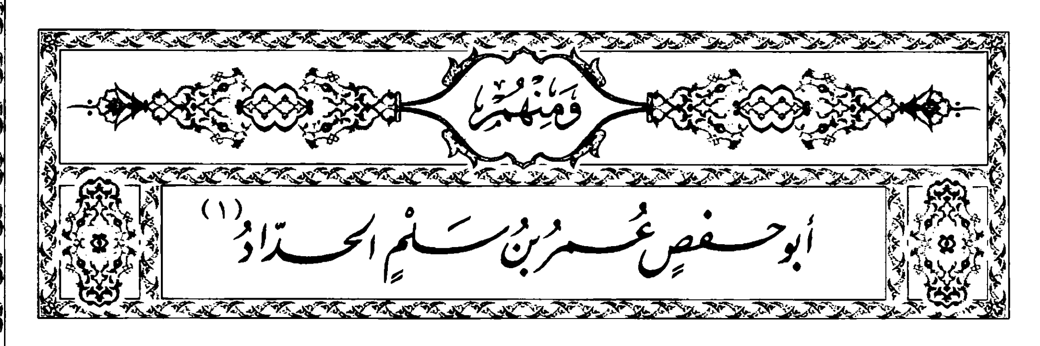
(٢) كذا في « تاريخ دمشق » (٢٤٥/٧١) ، ونقل الحافظ المزي روايته عن السلمي كما في « تهذيب الكمال » (٣٧٣/١) ، وروى ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٧/٢) عن يحيى بن معين الحافظ العَلَم قال : (أهل الشام به يمطرون) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/١٠) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٠١) .

(٥) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٠٠) .

(٦) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٠١) ، وقد روىٰ أبو داوود وابن ماجه عن ابن أبي الحواريِّ مباشرة .



ومنهم
أبو حفص عمر بن سلم الحداد [1]

مِنْ قريةٍ يُقالُ لهـا : كُورَداباذُ ، علىٰ بـابِ مدينةِ نيسـابورَ علىٰ طريقِ بخارىٰ ، أحدُ الأئمَّةِ والسادةِ .

ماتَ رحمَهُ اللهُ سنةَ نيِّفٍ وستينَ ومئتينِ [2] .

قـالَ أبـو حفـصٍ : (المعاصي بريـدُ الكفـرِ ، كمـا أنَّ الحُمَّـىٰ بريدُ الموتِ) [3] .

وقالَ أبو حفصٍ : (إذا رأيتَ المريدَ يحبُّ السماعَ . . فاعلمْ أنَّ فيهِ بقيَّةً مِنَ البطالةِ) [4] .

وقالَ : (حُسْنُ أدبِ الظاهرِ عُنوانُ حسنِ أدبِ الباطنِ) [5] .

وقالَ : (الفتوَّةُ : أداءُ الإنصافِ ، وترْكُ مطالبةِ الانتصافِ) [6] .

سـمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ محمدَ بنَ موسىٰ

---

(١) كذا في جميع النسخ : (عمر) ، وعند السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٥) : (واسمه عمرو بن سلم ، ويقال : عمرو بن سلمة ، وهو الأصح إن شاء الله) ، وانظر « الأنساب » للسمعاني (٧٨/٤) .

(٢) في « تاريخ الإسلام » للذهبي (٣٧٨/٦) : (سنة أربع وستين ، وقيل : خمس وستين ، ووهم من قال ـ وهو السُّلمي ـ : سنة سبعين ومئتين) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٦) وجادةً ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٢٩/١٠) ، والبريد هنا : الرسل والمقدمات . كما في « إحكام الدلالة » (١٢٨/١) .

(٤) وسيأتي الخبر مسنداً (ص ٦٨٨) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

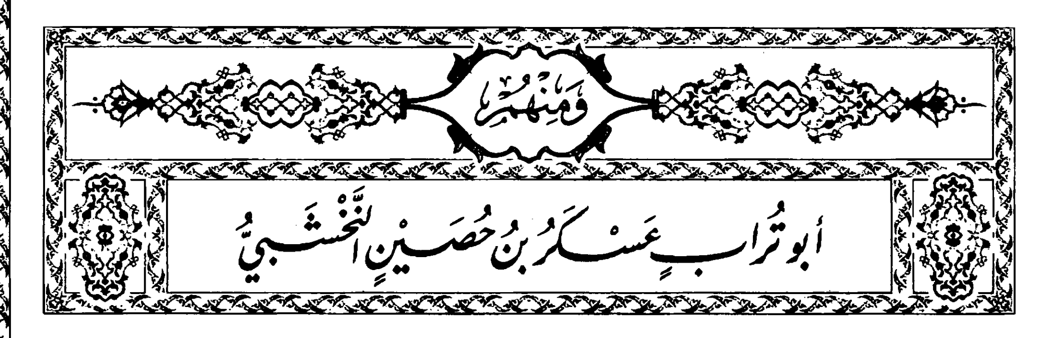
(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٢) ، وتمامه : (لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو خشعَ قلبُهُ . . لخشعت جوارحه ») وانظر تخريج الحديث (ص ٣٨٠) .

(٦) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٨) ، والإنصاف : العدل ، وترك مطالبة الانتصاف : ألا يرىٰ حقاً له علىٰ غيره .

يقـولُ : سـمعتُ أبـا علـيٍّ الثقفيَّ يقـولُ : كانَ أبو حفصٍ يقولُ : (مَـنْ لمْ يزنْ أفعالَهُ وأحوالَهُ في كلِّ وقتٍ بالكتابِ والسنَّةِ ، ولمْ يتَّهمْ خواطرَهُ .. فلا نعدُّهُ في ديوانِ الرجالِ)[1] .

* * *

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٠) ، وفي (ب ، ح ، ز ، ل ، ي) : (تعدُّهُ) بدل (نعدُّهُ) .



صحبَ حاتِماً الأصمَّ وأبا حاتِمٍ العطَّارَ البصريَّ .

ماتَ سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومئتينِ ، قيلَ : ماتَ بالباديةِ ، نهشتْهُ السباعُ [1] .

قالَ ابنُ الجَلَّا : (صحبتُ ستَّ مئةِ شيخٍ ، ما لقيتُ فيهِمْ مثلَ أربعةٍ ، أَوَّلُهُمْ : أبو ترابٍ النَّخشبيُّ) [2] .

قالَ أبو ترابٍ : (الفقيرُ قوتُهُ ما وجدَ ، ولباسُهُ ما سترَ ، ومسكنُهُ حيثُ نزلَ) [3] .

وقالَ أبو ترابٍ : (إذا صدقَ العبدُ في العملِ . . وجدَ حلاوتَهُ قبلَ أنْ يعملَهُ ، فإذا أخلصَ فيهِ . . وجدَ حلاوتَهُ وقتَ مباشرةِ العملِ) [4] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدِّي إسماعيلَ بنَ نُجيدٍ يقولُ : كانَ أبو ترابٍ إذا رأىٰ مِنْ أصحابِهِ ما يكرهُ . . زادَ في اجتهادِهِ وجدَّدَ توبتَهُ ، ويقولُ : بشؤمي دُفعوا إلىٰ ما دُفعوا إليهِ ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [5] .

قالَ : وسمعتُهُ يقولُ لأصحابِهِ : (مَنْ لبِسَ منكُمْ مرقَّعةً . . فقدْ سألَ ، ومَنْ

---

(١) روىٰ أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٩) عن إبراهيم الخوَّاص قال : (مات أبو تراب بين مكة والمدينة ، نهشته السباع) ، وفي (ج) : (فنهشته) .
(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٧) .
(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٩) .
(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٩) بنحوه مجتزءاً .
(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٦) ، والآية من سورة الرعد : (١١) .

قعدَ في خانَقاهٍ أوْ مسجدٍ . . فقدْ سألَ ، ومَنْ قرأَ القرآنَ مِنْ مصحفٍ أوْ كيما يسمعَ الناسَ . . فقدْ سألَ الناسَ)(١) .

قالَ : وسمعتُهُ يقولُ : كانَ أبو ترابٍ يقولُ : (بيني وبينَ اللهِ تعالىٰ عهدٌ ألَّا أمُدَّ يدي إلىٰ حرامٍ إلا قَصُرَتْ يدي عنهُ)(٢) .

ونظرَ أبو ترابٍ يوماً إلىٰ صوفيٍّ مِنْ تلامذتِهِ مدَّ يدَهُ إلىٰ قشْرِ بطيخٍ وقدْ طوىٰ ثلاثةَ أيامٍ ، فقالَ لهُ أبو ترابٍ : تمُدُّ يدَكَ إلىٰ قشرِ بِطِّيخٍ ؟! أنتَ لا يصلحُ لكَ التصوُّفُ ، الزمِ السوقَ(٣) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ الفارسيِّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا ترابٍ النَّخْشبيَّ يقولُ : ما تمنَّتْ نفسي عليَّ قطُّ إلا مرَّةً واحدةً ؛ تمنَّتْ عليَّ خبزاً وبيضاً وأنا في سفري ، فعدلتُ عنِ الطريقِ إلىٰ قريةٍ ، فوثبَ رجلٌ وتعلَّقَ بي وقالَ : كانَ هـٰذا معَ اللصوصِ ، فبطحوني وضربوني سبعينَ خشبةً ، فوقفَ علينا رجلٌ فصرخَ وقالَ : هـٰذا أبو ترابٍ النَّخشبيُّ ! فخلَّوني واعتذروا إليَّ ، وأدخلَني الرجلُ منزلَهُ وقدَّمَ إليَّ خبزاً وبيضاً ، فقلتُ : كُلْها بعدَ سبعينَ جلدةً(٤) .

وحكى ابنُ الجَلَّا قالَ : دخلَ أبو ترابٍ مكَّةَ طيِّبَ النفسِ ، فقلتُ : أينَ أكلْتَ أيُّها الأستاذُ ؟ فقالَ : أكلةً بالبصرةِ ، وأكلةً بالنِّباجِ ، وأكلةً ها هنا(٥) .

* * *

---

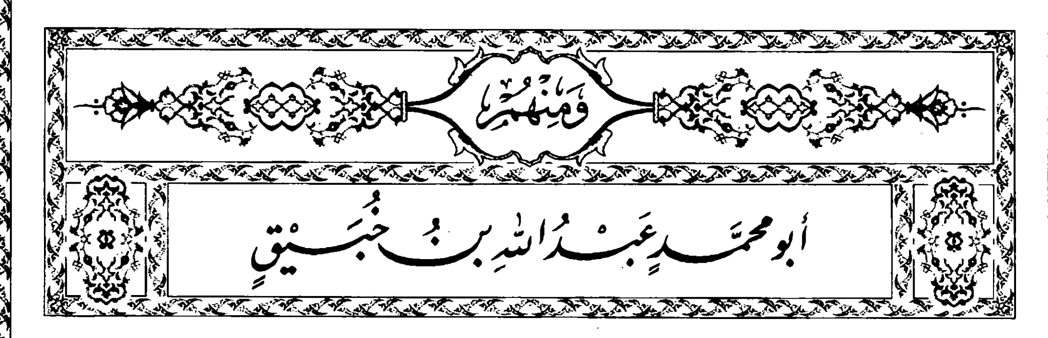
(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤٦/١٠) ، والخانَقاه ـ وفي (أ) : (خانكه) ـ : معرَّب (خانه كاه) بالفارسية ، بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية ، حدثت في حدود الأربع مئة . انظر « تاج العروس » (خ ن ق ، خ ن ق هـ) ، وهي مصروفة لعدم العلمية ، وفي (أ ، ب ، ج ، ل) : (أو كما يسمعُ الناس) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤٧/١٠) ، وقصرت بفتح عينه : عجزت ، وبضمها : خلاف طالت .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤٩/١٠) .

(٤) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤٧/١٠) ، والخطيب في « تاريخه » (٣١٢/١٢) ، وفي (ي) : (فوقف علينا رجل صوفي فصرخ وقال : ويحكم ! هـٰذا . . .) ، وفي (أ) : (كليها) بدل (كُلْها) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٤٩/١٠) ، والنِّباج : منزلٌ لحجَّاج البصرة ، وقيل : بين مكة والبصرة .



من زُهَّادِ المتصوِّفةِ ، صحبَ يوسفَ بنَ أسباطٍ ، كوفيُّ الأصلِ ، ولٰكنَّهُ سكنَ أنْطاكيةَ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ الوَرْثانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الأزهرِ المَيَّافارِقِينيَّ يقولُ : سمعتُ فتحَ بنَ شخرفٍ يقولُ : حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ خُبيقٍ أوَّلَ ما لقيتُهُ ، قالَ : (يا خراسانيُّ ؛ إنَّما هيَ أربعٌ لا غيرُ : عينُكَ ، ولسانُكَ ، وقلبُكَ ، وهواكَ ، فانظرْ عينَكَ لا تنظرْ بها إلىٰ ما لا يحلُّ ، وانظرْ لسانَكَ لا تقلْ بهِ شيئاً يعلمُ اللهُ تعالىٰ خلافَهُ مِنْ قلبِكَ ، وانظرْ قلبَكَ لا يكنْ فيهِ غلٌّ ولا حقدٌ علىٰ أحدٍ منَ المسلمينَ ، وانظرْ هواكَ لا تهوَ شيئاً مِنَ الشرِّ ، فإذا لمْ يكنْ فيكَ هٰذهِ الأربعُ مِنَ الخصالِ . . فاجعلِ الرمادَ علىٰ رأسِكَ ؛ فقد شقِيتَ)[1] .

وقالَ ابنُ خُبيقٍ : (لا تغتمَّ إلَّا مِنْ شيءٍ يضرُّكَ غداً ، ولا تفرحْ بشيءٍ إلَّا بشيءٍ يسرُّكَ غداً)[2] .

وقالَ ابنُ خُبيقٍ : (وَحشةُ العبادِ عن الحقِّ أوحشَ منهُمُ القلوبَ ، ولوْ أنسوا بربِّهِمْ . . لاستأنسَ بهِمْ كلُّ أحدٍ)[3] .

وقالَ : (أنفعُ الخوفِ : ما حجزَكَ عنِ المعاصي ، وأطالَ منكَ الحزنَ علىٰ

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٣) .
(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٦٩) .
(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٦٩) .

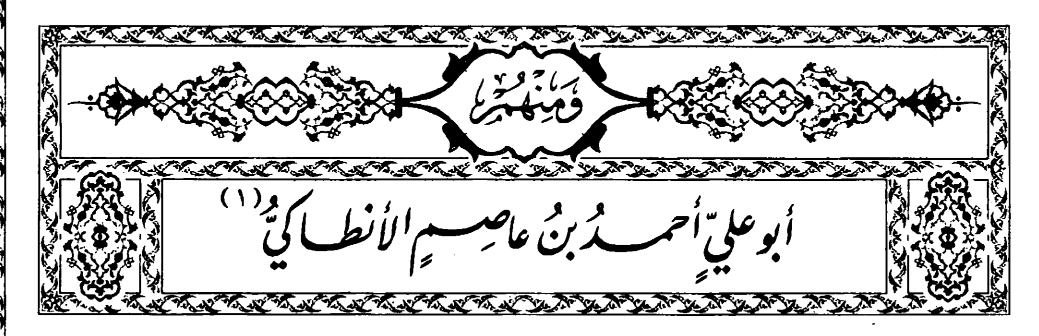
ما فاتَ ، وألزَمَكَ الفكرةَ في بقيَّة عُمرِكَ ، وأنفعُ الرجاءِ : ما سهَّلَ عليكَ العملَ)[١] .

وقالَ : (طولُ الاستماعِ إلى الباطلِ يطفئُ حلاوةَ الطاعةِ مِنَ القلبِ)[٢] .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/٢٨٢) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٥) .



مِنْ أقرانِ بشرِ بنِ الحارثِ والسَّريِّ والحارثِ المحاسبيِّ .

كانَ أبو سليمانَ الدارانيُّ يسمِّيهِ جاسوسَ القلوبِ ؛ لحدَّةِ فراستِهِ .

وقالَ أحمدُ بنُ عاصمٍ : (إذا طلبتَ صلاحَ قلبِكَ . . فاستعنْ عليهِ بحفظِ لسانِكَ)[2] .

وقالَ أحمدُ بنُ عاصمٍ : (قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[3] ، ونحنُ نستزيدُ مِنَ الفتنةِ)[4] .

* * *

(١) وزاد السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٣٧) : (ويقال : أبو عبد اللهِ ، وهو الأصح) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٣٩) .

(٣) سورة التغابن : (١٥) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٤٠) .



ومنهم
أبو السَّرِيِّ منصورُ بنُ عمَّارٍ

مِنْ أهلِ مرْوَ مِنْ قريةِ دَنْدانَقانَ ، ويُقالُ : إنَّهُ مِنْ بُوشَنْجَ [١] ، أقامَ بالبصرةِ ، وكانَ مِنَ الواعظينَ الأكابرِ .

قالَ منصورُ بنُ عمَّارٍ : (مَنْ جَزِعَ مِنْ مصائبِ الدنيا .. تحوَّلَتْ مصيبتُهُ في دينِهِ) [٢] .

وقالَ منصورٌ : (أحسنُ لباسِ العبدِ : التواضعُ والانكسارُ ، وأحسنُ لباسِ العارفينَ : التقوىٰ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾) [٣] .

وقيلَ : سببُ توبتِهِ : أنَّهُ وجدَ في الطريقِ رُقعةً مكتوباً عليها : بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ ، فأخذَها ، فلمْ يجدْ لها موضعاً ، فأكلَها ، فأُرِيَ في المنامِ كأنَّ قائلاً قالَ لهُ : فتحَ اللهُ عليكَ بابَ الحكمةِ باحترامِكَ لتلكَ الرُّقعةِ [٤] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ القاصَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ الشعرانيَّ يقولُ : رأيتُ منصورَ بنَ عمَّارٍ في المنامِ ، فقلتُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : قالَ لي : أنتَ منصورُ بنُ عمَّارٍ ؟ قلتُ : بلىٰ يا ربِّ ، قالَ : أنتَ الذي كنتَ تزهِّدُ الناسَ في الدنيا وترغبُ فيها ؟! قلتُ : قدْ كانَ ذٰلكَ ، ولٰكنِّي ما اتَّخذتُ مجلساً إلَّا

---

(١) بخط العلامة محمد المبارك في هامش (ي) : (معرَّب بُوشَنْكَ ، بلدة من هراة) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٣٤) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٣٦) ، والآية من سورة الأعراف : (٢٦) .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠/٣٢٧) من طريق عبد الغافر الفارسي والمصنِّف .

بدأتُ بالثناءِ عليكَ ، وثنَّيتُ بالصلاةِ علىٰ نبيِّكَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وثلَّثتُ بالنصيحةِ لعبادِكَ ، فقالَ : صدقَ ؛ ضعوا لهُ كرسيّاً يمجِّدُني في سمائي بينَ ملائكتي كما مجَّدَني في أرضي بينَ عبادي[1] .

* * *

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٤٣/٦٠) من طريق المصنف ، توفي ـ رحمه الله ـ في حدود المئتين .



أبو صالح حَمْدونُ بنُ أحمدَ بنِ عمارةَ القصّارُ [1]

نيسابوريٌّ ، منهُ انتشرَ مذهبُ المَلامَتيَّةِ بنيسابورَ [2] ، صحبَ سَلْماً البارُوسيَّ [3] وأبا ترابٍ النخشبيَّ .

ماتَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ ومئتينِ [4] رحمَهُ اللهُ .

سُئِلَ حَمْدونٌ : متىٰ يجوزُ للرجلِ أنْ يتكلَّمَ على الناسِ ؟ فقالَ : إذا تعيَّنَ عليهِ أداءُ فرضٍ مِنْ فرائضِ اللهِ في علمِهِ ، أوْ خافَ هلاكَ إنسانٍ في بدعةٍ يرجو أنْ ينجيَهُ اللهُ تعالىٰ منها [5] .

وقالَ : (مَنْ ظنَّ أنَّ نفسَهُ خيرٌ مِنْ نفسِ فرعونَ . . فقدْ أظهرَ الكبرَ) [6] .

وقالَ : (منذُ علمتُ أنَّ للسلطانِ فِراسةً في الأسرارِ ما خرجَ خوفُ السلطانِ مِنْ قلبي) [7] .

---

(١) حَمدون : بفتح الحاء كزيدون ، ولا مانع له من الصرف إن كان علماً لمذكر ، ومن منعه فللعلمية وشبه العجمة . انظر « نسيم الرياض » (٥/١٣٠) .

(٢) ويقال : الملامِيَّة وهو أقيس ، نسبة إلى الملامة ؛ قوم أظهروا للخلق قبائح الأفعال التي هم فيها ، وستروا عنهم محاسن ما هم فيه ، عقد الإمام الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٥) باباً للحديث عنهم .

(٣) الباروسي : نسبة إلىٰ باروسَ ، قرية علىٰ باب نيسابور ، وإليها نُسب سَلْم بن الحسن الباروسي . انظر « الأنساب » (٢/٣٢) ، وفي (ج) وقعت نسبة المترجم له إليها أيضاً .

(٤) في (أ) : (إحدىٰ وتسعين ومئتين) ، ومحتملة أن تكون كالمثبت .

(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٥) ، وفيه زيادة : (. . . منها بعلمه) .

(٦) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٥) ، وذلك لأمنِهِ من الخاتمةِ وتقلبات الحال .

(٧) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٦) ، وفيه أنه عدَّ نفسه ـ رحمه الله ـ منهم اتهاماً لنفسه ، وفي (ب) : (منذ علمت أن للشيطان فراسة في الأسرار . . ما خرج خوف الشيطان من قلبي) .

وقالَ : (إذا رأيتَ الرجلَ سكرانَ . . فتمايلْ ؛ لئلا تبغيَ عليهِ ، فتُبتلىٰ بمثلِ ذٰلكَ)(١) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ مَنازلَ : قلتُ لأبي صالحٍ : أوصِني ، فقالَ : إنِ استطعتَ ألَّا تغضبَ لشيءٍ مِنَ الدنيا . . فافعلْ(٢) .

وماتَ صديقٌ لهُ وهوَ عندَ رأسِهِ ، فلمَّا ماتَ . . أطفأَ حَمْدونٌ السراجَ ، فقالوا : في مثلِ هٰذا الوقتِ يُزادُ في السراجِ ! فقالَ : إلىٰ هٰذا الوقتِ كانَ الدهنُ لهُ ، ومِنْ هٰذا الوقتِ صارَ الدهنُ للورثةِ .

وقالَ حَمْدونٌ : (مَنْ نظرَ في سيرِ السلفِ . . عرفَ تقصيرَهُ وتخلُّفَهُ عنْ درجاتِ الرجالِ)(٣) .

وقالَ : (لا تفشِ علىٰ أحدٍ ما تحبُّ أنْ يكونَ مستوراً منكَ)(٤) .

* * *

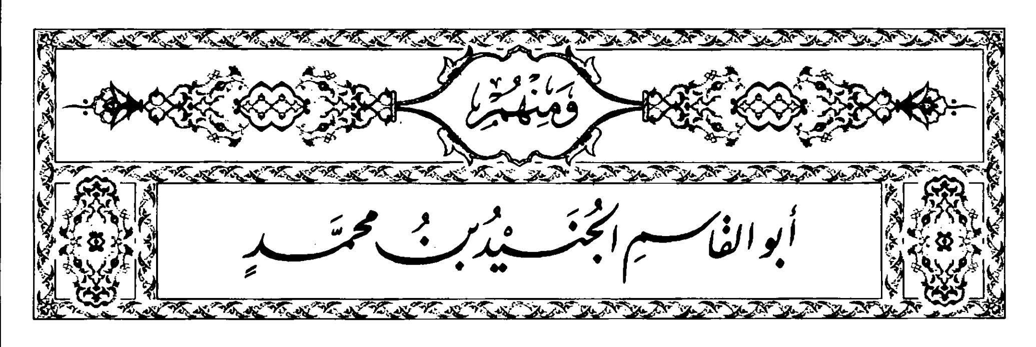
---

(١) ووقع في عامة النسخ غير (أ) : (سكراناً) علىٰ لغة بني أسد ، والخبر رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٦) ، وفي (أ) : (فتمايل ليلاً فلا تبغي) ، وفي (ب) : (سكراناً يتمايل . . فلا تبغي) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٦) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٢٩) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٧) ، وفي (ي) : (عن دَرَك درجات الرجال) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٢٨) ، وفي (ج) : (لا تفتش عن أحد . . .) .



سيّدُ الطائفةِ وإمامُهُمْ .

أصلُهُ مِنْ نَهاوَنْدَ ، ومنشؤُهُ ومولدُهُ بالعراقِ ، وأبوهُ كانَ يبيعُ الزجاجَ ، فلذٰلكَ يُقالُ لهُ : القواريريُّ .

وكانَ فقيهاً علىٰ مذهبِ أبي ثورٍ ، صحبَ السَّريَّ والحارثَ المحاسبيَّ ومحمدَ بنَ عليٍّ القصابَ .

ماتَ سنةَ سبعٍ وتسعينَ ومئتينِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ وقدْ سُئلَ : مَنِ العارفُ ؟ قال : مَنْ نطقَ عنْ سرِّكَ وأنتَ ساكتٌ (١) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ قالَ : سمعتُ أبا محمدٍ الجُريريَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (ما أخذْنا التصوُّفَ عنِ القيلِ والقالِ ، لٰكنْ عنِ الجوعِ ، وتركِ الدنيا ، وقطعِ المألوفاتِ والمستحسناتِ) (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُريريَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ لرجلٍ ذكرَ المعرفةَ وقالَ : أهلُ المعرفةِ باللهِ يصلونَ إلىٰ تركِ الحركاتِ مِنْ بابِ البرِّ والتقرُّبِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ! فقالَ

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٥٧) .
(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٥٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٧٧) .

الجنيدُ : إنَّ هـٰذا قولُ قومٍ تكلَّموا بإسقاطِ الأعمالِ ، وهوَ عندي عظيمةٌ ، والذي يسرقُ ويزني أحسنُ حالاً مِنَ الذي يقولُ هـٰذا ، وإنَّ العارفينَ باللهِ أخذوا الأعمالَ عنِ اللهِ ، وإليهِ رجعوا فيها ، ولوْ بقِيتُ ألفَ عامٍ . . لمْ أنقُصْ مِنْ أعمالِ البرِّ ذرَّةً إلَّا أنْ يُحالَ بي دونَها[١] .

وقالَ الجنيدُ : (إنْ أمكنَكَ ألَّا تكونَ آلةُ بيتِكَ إلَّا خزَفاً . . فافعلْ)[٢] .

وقالَ الجنيدُ : (الطرقُ كلُّها مسدودةٌ على الخلقِ ، إلَّا علىٰ مَنِ اقتفىٰ أثرَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[٣] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأَنْماطيَّ يقول : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (لوْ أقبلَ صادقٌ على اللهِ تعالىٰ ألفَ ألفِ سنةٍ ثمَّ أعرضَ عنهُ لحظةً . . كانَ ما فاتَهُ أكثرَ ممَّا نالَهُ)[٤] .

وقالَ الجنيدُ : (مَنْ لمْ يحفظِ القرآنَ ، ولمْ يكتبِ الحديثَ . . لا يُقتدىٰ بهِ في هـٰذا الأمرِ ؛ لأنَّ علمَنا هـٰذا مقيَّدٌ بالكتابِ والسنةِ)[٥] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ عنِ الجنيدِ : (مذهبُنا هـٰذا مقيَّدٌ بالأصولِ ؛ الكتابِ والسنَّةِ) .

وقالَ الجنيدُ : (علمُنا هـٰذا مشيَّدٌ بحديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٥٨ ـ ١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٧٨/١٠) ، وقوله : (يصلون إلىٰ ترك الحركات من باب البر . . .) يعني : يتركون أعمال البر والقربى التي كانوا عليها في ابتداء أمرهم .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٥٩) ، قال الراوي : (وكذٰلك كانت آلة بيته) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥٧/١٠) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٦١) ، وسببه كما قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (فإن ما ناله وسيلةٌ لحمل ما لم ينله) ، والوسيلة دون المتوسَّل إليه .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٥/١٠) .

أخبرَنـا محمدُ بـنُ الحسـينِ قالَ : سـمعتُ أبا الحسـينِ بنَ فـارسٍ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ عليَّ بنَ إبراهيمَ الحدادَّ يقولُ : حضرتُ مجلسَ أبي العباسِ ابنِ سُـريجٍ ، فتكلَّـمَ في الفروعِ والأصولِ بكلامٍ حسـنٍ أُعجبـتُ بهِ ، فلمَّا رأىٰ إعجابـي . . قـالَ : تـدري مِـنْ أينَ هـٰذا ؟ قلـتُ : يقولُ القاضـي ، فقالَ : هـٰذا ببركةِ مجالسةِ أبي القاسمِ الجنيدِ [1] .

وقيلَ للجنيدِ : ممَّنِ استفدتَ هـٰذا العلمَ ؟ فقالَ : مِنْ جلوسي بينَ يديِ اللهِ عزَّ وجلَّ ثلاثينَ سنةً تحتَ تلكَ الدرجةِ ، وأومأَ إلىٰ درجةٍ في دارِهِ [2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يحكي ذٰلكَ ، وسمعتُهُ يقولُ : رُئِيَ في يدِهِ سُبحةٌ ، فقيلَ لهُ : أنتَ معَ شرفِكَ تأخذُ بيدِكَ سُبحةً ؟! فقالَ : طريقٌ بهِ وصلتُ إلىٰ ربِّي لا أفارقُهُ [3] .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : كانَ الجنيدُ يدخلُ كلَّ يومٍ حانوتَهُ ويسبِلُ السِّترَ ، ويصلي أربعَ مئةِ ركعةٍ ، ثمَّ يعودُ إلىٰ بيتِهِ [4] .

وقالَ أبو بكرٍ العَطَويُّ : (كنتُ عندَ الجنيدِ حينَ ماتَ ؛ ختمَ القرآنَ ، ثمَّ ابتدأَ مِنَ البقرةِ ، وقرأَ سبعينَ آيةً ، ثمَّ ماتَ رحمَهُ اللهُ) [5] .

* * *

---

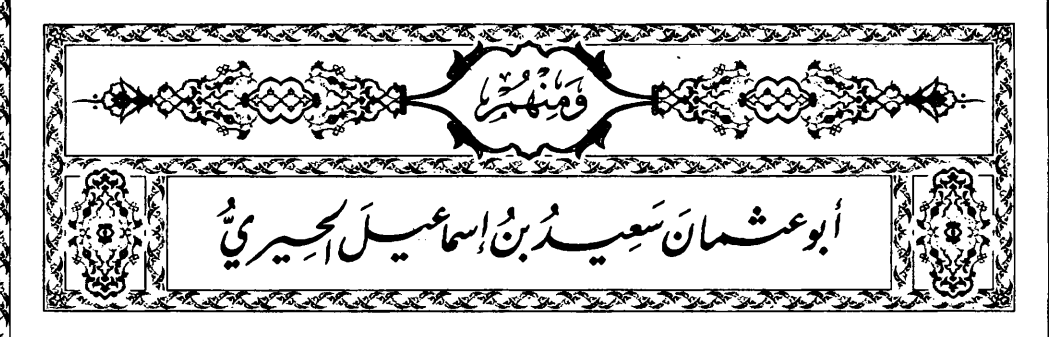
(١) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/٢٥١) .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/٢٥٣) .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٧٠) .

(٤) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧/٢٥٣) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٦٤) .



المقيمُ بنيسابورَ ، وكانَ مِنَ الرَّيِّ .

صحبَ شاهاً الكِرْمانيَّ ويحيى بنَ معاذٍ ، ثمَّ وردَ نيسابورَ معَ شاهِ الكِرْمانيِّ علىٰ أبي حفصٍ الحدادِ وأقامَ عندَهُ ، وتخرَّجَ بهِ[1] ، وزوَّجَهُ أبو حفصٍ ابنتَهُ .

ماتَ سنةَ ثمانٍ وتسعينَ ومئتينِ ، وعاشَ بعدَ أبي حفصٍ نيفاً وثلاثينَ سنةً .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا عمرٍو ابنَ حمدانَ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : (لا يكمُلُ الرجلُ حتَّىٰ يستويَ في قلبِهِ أربعةُ أشياءَ : المنعُ والعطاءُ ، والعزُّ والذلُّ)[2] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرحمـٰنِ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ بعضَ أصحابِ أبي عثمانَ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : صحبتُ أبا حفصٍ وأنا شابٌّ ، فطردَني مرَّةً وقالَ : لا تجلسْ عندي ، فقمتُ ولمْ أولِّهِ ظهري ، وانصرفتُ إلىٰ ورائي ووجهي إلىٰ وجهِهِ حتَّىٰ غبتُ عنهُ ، وجعلتُ في[3] نفسي أنْ أحفِرَ علىٰ بابِهِ حُفيرةً لا أخرجُ منها إلَّا بأمرِهِ ، فلمَّا رأىٰ ذٰلكَ .. أدناني ، وجعلَني مِنْ خواصِّ أصحابِهِ .

وكانَ يُقالُ : في الدنيا ثلاثةٌ لا رابعَ لهُمْ : أبو عثمانَ بنيسابورَ ، والجنيدُ ببغدادَ ، وأبو عبدِ اللهِ ابنُ الجَلَّا بالشامِ[4] .

---

(١) في (أ) : (وتأدَّبَ به) بدل (وتخرَّج به) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٤) .

(٣) في (د) من الأصول : (علىٰ) بدل (في) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٧٦) .

وقالَ أبو عثمانَ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامَني اللهُ تعالىٰ في حالٍ فكرهتُهُ ، ولا نقلَني إلىٰ غيرِهِ فسخطتُهُ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الشعرانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ ذٰلك[1] .

ولمَّا تغيَّرَ علىٰ أبي عثمانَ الحالُ[2] . . مزَّقَ ابنُهُ أبو بكرٍ قميصاً كانَ علىٰ نفسِهِ ، ففتحَ أبو عثمانَ عينَهُ وقالَ : خلافُ السنَّةِ يا بُنيَّ في الظاهرِ . . علامةُ رياءٍ في الباطنِ[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ المَلامَتيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الورَّاقَ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : (الصحبةُ معَ اللهِ تعالىٰ بحسنِ الأدبِ ودوامِ الهيبةِ والمراقبةِ ، والصحبةُ معَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ باتِّباعِ سنَّتِهِ ولزومِ ظاهرِ العلمِ ، والصحبةُ معَ أولياءِ اللهِ تعالىٰ بالاحترامِ والخدمةِ ، والصحبةُ معَ الأهلِ بحسْنِ الخُلُقِ ، والصحبةُ معَ الإخوانِ بدوامِ البِشْرِ ما لمْ يكنْ إثماً ، والصحبةُ معَ الجُهَّالِ بالدعاءِ لهُمْ والرحمةِ عليهِمْ)[4] .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرِو بنَ نُجيدٍ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : (مَنْ أمَّرَ السنَّةَ علىٰ نفسِهِ قولاً وفعلاً . . نطقَ بالحكمةِ ، ومَنْ أمَّرَ الهوىٰ علىٰ نفسِهِ . . نطقَ بالبدعةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾)[5] .

* * *

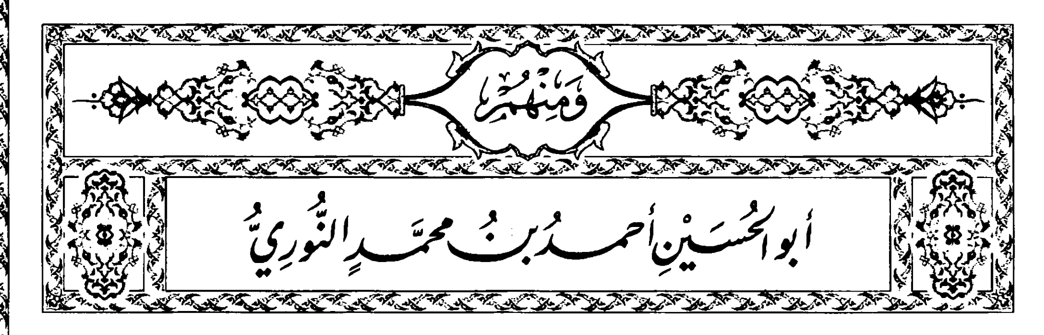
(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٤) .

(٢) في مرضه ؛ حيث غشي عليه . « إحكام الدلالة » (١/١٤٧) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٥) .

(٤) رواه السُّلمي في « آداب الصحبة » (٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٥) .

(٥) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٤) ، والبيهقي في « الزهد » (٣١٩ ، ٣٧٥) ، والآية من سورة النور : (٥٤) .



بغداديُّ المولِدِ والمنشأ، بَغَويُّ الأصلِ[1]، صحبَ السريَّ وابنَ أبي الحَواريِّ، وكانَ مِنْ أقرانِ الجنيدِ.

ماتَ رحمَهُ اللهُ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومئتينِ.

وكانَ كبيرَ الشأنِ، حسنَ المعاملةِ واللسانِ.

قالَ النُّوريُّ: (التصوُّفُ: تركُ كلِّ حظٍّ للنفسِ)[2].

وقالَ النُّوريُّ: (أعزُّ الأشياءِ في زمانِنا شيئانِ: عالمٌ يعملُ بعلمِهِ، وعارفٌ ينطقُ عنْ حقيقتِهِ)[3].

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ: سمعتُ أحمدَ بنَ محمدٍ البَرْدَعيَّ يقولُ: سمعتُ المرتعشَ يقولُ: سمعتُ النُّوريَّ يقولُ: (مَنْ رأيتَهُ يدَّعي معَ اللهِ تعالىٰ حالةً تخرجُهُ عنْ حدِّ العلمِ الشرعيِّ .. فلا تقربَنَّ منهُ)[4].

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقول: سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ: سمعتُ الفَرْغانيَّ يقولُ: سمعتُ الجنيدَ يقولُ: (منذُ ماتَ النُّوريُّ لمْ يخبرْ عنْ حقيقةِ الصدقِ أحدٌ).

وقالَ أبو أحمدَ المَغَازليُّ: ما رأيتُ أعبدَ مِنَ النُّوريِّ، قيلَ: ولا الجنيدِ؟ قالَ: ولا الجنيدِ.

---

(١) من مدينة بَغْشُور بين هَراة وسَرَخس، والنسبة إليها بغوي علىٰ غير قياس.

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٦٦).

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٦٩).

(٤) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥٢) ضمن عشر وصايا.

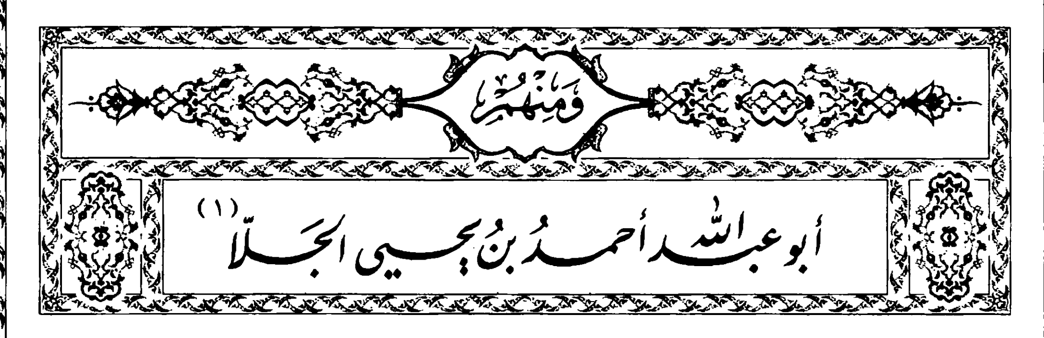
وقالَ النُّوريُّ : (كانَتِ المراقعُ غطاءً على الدُّرِّ ، فصارَتْ مزابلَ علىٰ جِيَفٍ)[1] .

وقيلَ : كانَ يخرجُ كلَّ يومٍ مِنْ دارِهِ ويحملُ الخبزَ معَهُ ، ثمَّ يتصدَّقُ بهِ في الطريقِ ، ويدخلُ مسجداً يصلِّي فيهِ إلىٰ قريبٍ مِنَ الظهرِ ، ثمَّ يفتحُ بابَ حانوتِهِ ، ويصومُ .

فكانَ أهلُهُ يتوهَّمونَ أنَّهُ يأكلُ في السوقِ ، وأهلُ السوقِ يتوهَّمونَ أنَّهُ كانَ يأكلُ في بيتِهِ ، فبقيَ علىٰ هـٰذا في ابتدائِهِ عشرينَ سنةً .

* * *

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥١) ، وفسَّر المراقع بقوله : (أي : خرقة الصوفية) وزاد : (لمَّا لبسها غير أهلها) .



بغداديُّ الأَصلِ ، أقامَ بالرَّملةِ ودمشقَ .

مِنْ أكابرِ مشـايخِ الشـامِ ، صحبَ أبا ترابٍ النخشبيَّ ، وذا النونِ ، وأبا عبيدٍ البُسْريَّ ، وأباه يحيى الجلَّا .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ ابنَ عبدِ العزيزِ الطبريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الدمشقيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ الجلَّا يقولُ : قلتُ لأبي وأمِّي : **أحبُّ أنْ تهباني للهِ عزَّ وجلَّ** ، فقالا : قدْ وهبناكَ للهِ عزَّ وجلَّ ، فغبتُ عنهما مدَّةً ، فلمَّا رجعتُ كانَتْ ليلةٌ مطيرةٌ ، فدققتُ البابَ ، فقالَ أبي : مَنْ ذا ؟ قلتُ : ولدُكَ أحمدُ ، قالَ : **كانَ لنا ولدٌ ووهبْناهُ للهِ عزَّ وجلَّ ، ونحنُ مِنَ العربِ لا نسترجعُ ما وهبْنا** ، ولمْ يفتحِ البابَ (٢) .

وقالَ ابنُ الجلَّا : (**مَنِ استوىٰ عندَهُ المدحُ والذمُّ** . . فهوَ زاهدٌ ، **ومَنْ حافظَ على الفرائـضِ فـي أوَّلِ مواقيتِها** . . فهوَ عابدٌ ، **ومَنْ رأى الأفعالَ كلَّها مِنَ اللهِ تعالىٰ** . . فهوَ موحِّدٌ) (٣) .

---

(١) كذا (الجلَّا) بالقصر ، جاء في هامش (ي) بخط العلامة محمد المبارك : (« وابن الجَلَّا مشدَّدة مقصورة : من كبار الصوفية » كذا بنصِّ « القاموس » [ج ل و] ، فقال في « التاج » [ج ل و] بعد هـٰذه الجملة : « هو أبو عبد الله أحمد بن يحيى ابن الجَلَّا البغدادي ، نزيل الشام ، وسكن الرملة ، وصحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي ، توفي سنة ست وثلاث مئة » . انتهىٰ بحروفه) ، وكذا هو بالقصر أيضاً في « تبصير المنتبه » لابن حجر (٣٨١/١) ، و« توضيح المشتبه » لابن ناصر الدين (٥٦٦/٢) وفيه : (وأبوه كان يتكلَّم على الناس فيجلو القلوب ، فسُمِّي الجَلَّا ، ذكره ابنه) ووقع هـٰذا التنبيه بهامش (ز) ، وكذا رُسِمَ بالقصر في جميع النسخ إلا (أ ، ب ، ط) فجاء ممدوداً .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣١٥/١٠) ، وفي (أ) : (ووهبناه من الله) وانظر تعليقاً (ص ٣٦٥) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٧٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١٤/١٠) .

ولمَّا ماتَ ابنُ الجلَّا . . نظروا إليهِ وهوَ يضحكُ ، فقالَ الطبيبُ : إنَّهُ حيٌّ ! ثمَّ نظرَ إلىٰ مَجَسِّهِ فقالَ : إنَّهُ ميتٌ ، ثمَّ كشفَ عنْ وجهِهِ فقالَ : لا أدري هوَ ميتٌ أمْ حيٌّ ؟!(١) .

وكانَ في داخلِ جلدِهِ عِرْقٌ علىٰ شكْلِ (لله)(٢) .

وقالَ ابنُ الجلَّا : كنتُ أمشي معَ أستاذي ، فرأيتُ حَدَثاً جميلاً ، فقلتُ : يا أستاذُ ؛ تُرَىٰ يعذِّبُ اللهُ هـٰذهِ الصورةَ ؟ فقالَ : أونظرتَ ؟! سترىٰ غِبَّهُ .

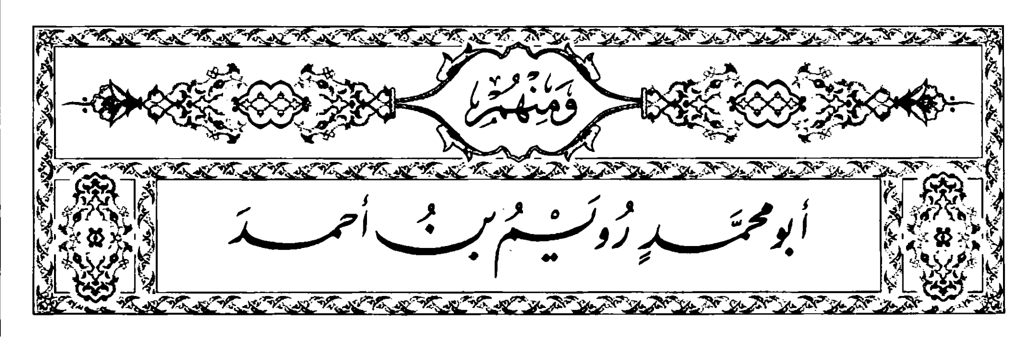
قالَ : فنسيتُ القرآنَ بعدَهُ بعشرينَ سنةً(٣) .

* * *

(١) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩٢/٦) ، ونسب هـٰذه الفضائل لأبيه يحيىٰ .

(٢) في (أ) : (علىٰ شكل اسم « الله ») .

(٣) رواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٠/٢٢) ، وغِبُّ الأمر ومغبته : عاقبته ، وقال الإمام السمعاني في « الأنساب » (١٦٠/٣) : (وحكىٰ أبو الديان قال : كنت مع أستاذي أبي بكر الزقاق ، فمرَّ حدثٌ ، فنظرت إليه ، فرآني أستاذي فقال : يا بنيَّ ؛ لتجدنَّ غبَّهُ ولو بعد حين ، فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي ما أجدُ ذلك الغبَّ ، فنمت ليلةً وأنا متفكِّر فيه ، فأصبحت وقد نسيت القرآن كلَّه) .



بغداديٌّ ، مِنْ جِلَّةِ المشايخِ .

ماتَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثِ مئةٍ رحمَهُ اللهُ .

وكانَ مقرئاً فقيهاً علىٰ مذهبِ داوودَ .

قالَ رويمٌ : (مِنْ حكمِ الحكيمِ أنْ يوسِّعَ علىٰ إخوانِهِ في الأحكامِ ، ويضيِّقَ علىٰ نفسِهِ فيها ؛ فإنَّ التوسعةَ عليهِمُ اتِّباعُ العلمِ ، والتضييقَ علىٰ نفسِهِ مِنْ حكمِ الورعِ)[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكرٍ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ يقولُ : سألتُ رويماً فقلتُ : أوصِني ، فقالَ : ما هـٰذا الأمرُ إلَّا بذلُ الروحِ ، فإنْ أمكنَكَ الدخولُ فيهِ معَ هـٰذا ، وإلَّا . . فلا تشتغلْ بتُرَّهاتِ الصوفيةِ[2] .

وقالَ رويمٌ : (قعودُكَ معَ كلِّ طبقةٍ مِنَ الناسِ أسلمُ مِنْ قعودِكَ مَعَ الصوفيةِ ؛ فإنَّ كلَّ الخلقِ قعدوا على الرسومِ ، وقعدَتْ هـٰذِهِ الطائفةُ على الحقائقِ ، وطالبَ الخلقُ كلُّهُمْ أنفسَهُمْ بظواهرِ الشرعِ ، وطالبَ هـٰؤلاءِ أنفسَهُمْ بحقيقةِ الورعِ ومداومةِ الصدقِ ، فمَنْ قعدَ معَهُمْ وخالَفَهُمْ في شيءٍ ممَّا يتحقَّقونَ بهِ . . نزعَ اللهُ نورَ الإيمانِ مِنْ قلبِهِ)[3] .

---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٨١) ، وفي غير (د) : (نفسك) بدل (نفسه) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٩٧) ، وزاد : (فإن أمرها هـٰذا مبني على الأصول) ، والتُّرَّهات : جمع تُرَّهة ؛ وهي الباطل ، أو الطريق غير الجادة .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٨٢) ، وفيه تعظيم شأن الصوفية ، وبيان المراد من الخبر الذي قبله .

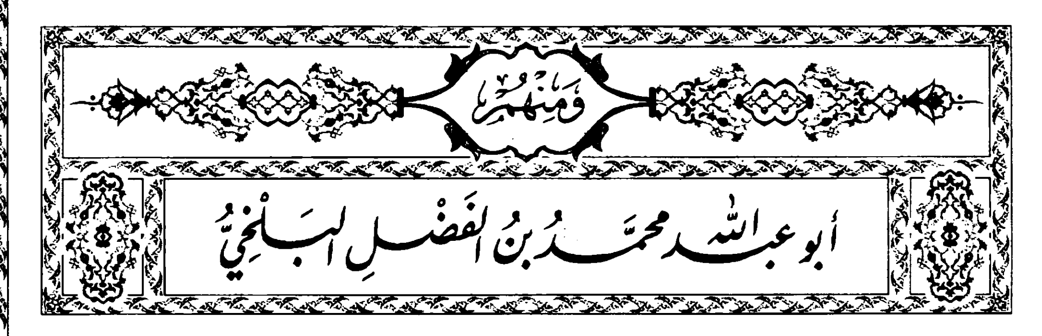
وقالَ رويمٌ : اجتزتُ ببغدادَ وقتَ الهاجرةِ ببعضِ السِّكَكِ وأنا عطشانُ ، فاستسقيتُ مِنْ دارٍ ، ففتحَتْ صبيَّةٌ بابَها ومعَها كوزٌ ، فلمَّا رأتْني . . قالَتْ : صوفيٌّ يشربُ بالنهارِ !! فما أفطرتُ بعدَ ذٰلكَ قطُّ[1] .

وقالَ رويمٌ : إذا رزقَكَ اللهُ المقالَ والفَعالَ ، فأخذَ منكَ المقالَ وأبقىٰ عليك الفَعالَ . . فإنَّها نعمةٌ ، وإذا أخذَ منكَ الفَعالَ وأبقىٰ عليكَ المقالَ . . فإنَّها مصيبةٌ ، وإذا أخذَ منكَ كليهِما . . فهيَ نقمةٌ .

* * *

---

(١) رواه الطوسي في « اللمع » (ص ٢١٧) .



ومنهم

أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي

ساكنُ سمرقندَ ، بَلْخيُّ الأصلِ ، أُخرجَ منها فدخلَ سمرقندَ وماتَ بها رحمَهُ اللهُ .

صحبَ أحمدَ بنَ خِضْرويهِ وغيرَهُ ، وكانَ أبو عثمانَ الحِيريُّ يميلُ إليهِ جدّاً .

ماتَ سنةَ تسعَ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الفرَّاءَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ عثمانَ [1] [الحيريَّ] يقولُ : كتبَ أبو عثمانَ [الحيريُّ] إلىٰ محمدِ بنِ الفضلِ يسألُهُ : **ما علامةُ الشقاوةِ ؟ فقالَ : ثلاثةُ أشياءَ : يُرزقُ العلمَ ويُحرمُ العملَ ، ويُرزقُ العملَ ويُحرمُ الإخلاصَ ، ويُرزقُ صحبةَ الصالحينَ ولا يحترمُهُمْ** [2] .

وكانَ أبو عثمانَ الحِيريُّ يقولُ : (**محمدُ بنُ الفضلِ سِمْسارُ الرجالِ**) [3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الفضلِ يقولُ : (**الراحةُ في السجنِ مِنْ أمانيِّ النفوسِ**) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الفضلِ يقولُ : (**ذهابُ الإسلامِ مِنْ أربعةٍ : لا يعملونَ بما يعلمونَ ،**

---

(١) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : (سمعت أبا بكر بن أبي عثمان) ، كما تقدم ذكر ابنه (ص ١٥٨) ، وسيأتي (ص ٦٣٤) .

(٢) كذا (يحترمهم) مصححاً في (أ) ، وفي سائر النسخ الأصول : (يحترم لهم) .

(٣) أي : يعرف رتبهم في الدين . « إحكام الدلالة » (١/١٥٥) .

ويعملونَ بما لا يعلمونَ ، ولا يتعلَّمونَ ما لا يعلمونَ ، ويمنعونَ الناسَ مِنَ التعلُّمِ)[١] .

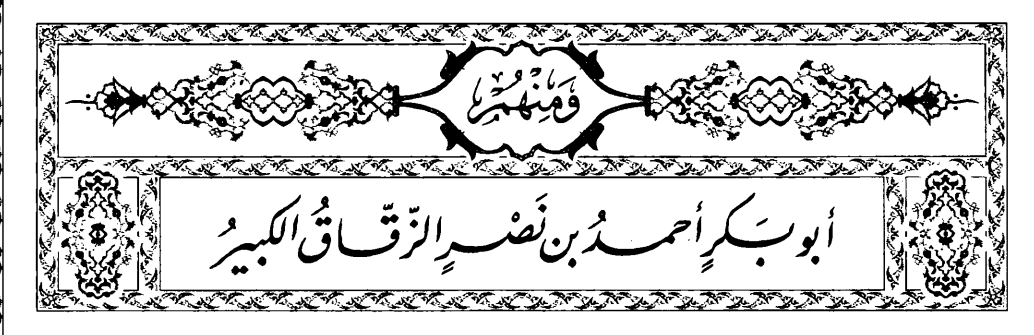
وبهٰذا الإسنادِ قالَ : (العجبُ ممَّنْ يقطعُ المفاوزَ ليصلَ إلىٰ بيتِهِ ويرىٰ آثارَ النبوَّةِ[٢] ، كيفَ لا يقطعُ نفسَهُ وهواهُ ليصلَ إلىٰ قلبِهِ فيرىٰ آثارَ ربِّهِ عزَّ وجلَّ ؟!)[٣] .

وقالَ : (إذا رأيتَ المريدَ يستزيدُ مِنَ الدنيا .. فذٰلكَ مِنْ علاماتِ إدبارِهِ)[٤] .

وسُئِلَ عنِ الزهدِ ، فقالَ : النظرُ إلى الدنيا بعينِ النقصِ ، والإعراضُ عنها تعزُّزاً وتظرُّفاً وتشرُّفاً[٥] .

* * *

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٣٢/١٠) .
(٢) أراد بيته سبحانه ؛ بنحو الحج والعمرة والزيارة .
(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢١٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٣٢/١٠) .
(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢١٦) .
(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢١٦) ، وتمامه : (فمن استحسن من الدنيا شيئاً .. فقد نبَّه عن قدرها) ، والزهد فيها تعززاً لأنها دنية ، وتظرُّفاً وتشرُّفاً لأنها قذرة ، كما يفهم من كلام العلامة العروسي في « نتائج الأفكار » (١٥٦/١) .



كانَ مِنْ أقرانِ الجنيدِ ، مِنْ أكابرِ مصرَ [1] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ الكتَّانيَّ يقولُ : (لمَّا ماتَ الزَّقَّاقُ . . انقطعَتْ حُجَّةُ الفقراءِ في دخولِهِمْ مصرَ) [2] .

وقالَ الزَّقَّاقُ : (مَنْ لمْ يصحبْهُ التقىٰ في فقرِهِ . . أكلَ الحرامَ المحضَ) [3] .

وسمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبد اللهِ بنِ عبدِ العزيزِ يقولُ : سمعتُ الزَّقَّاقَ يقولُ : (تِهْتُ في تِيهِ بني إسرائيلَ مقدارَ خمسةَ عشرَ يوماً ، فلمَّا وقعتُ على الطريقِ . . استقبلَني إنسانٌ جنديٌّ ، فسقاني شَربةً مِنْ ماءٍ ، فعادَتْ قسوتُها علىٰ قلبي ثلاثينَ سنةً) [4] .

* * *

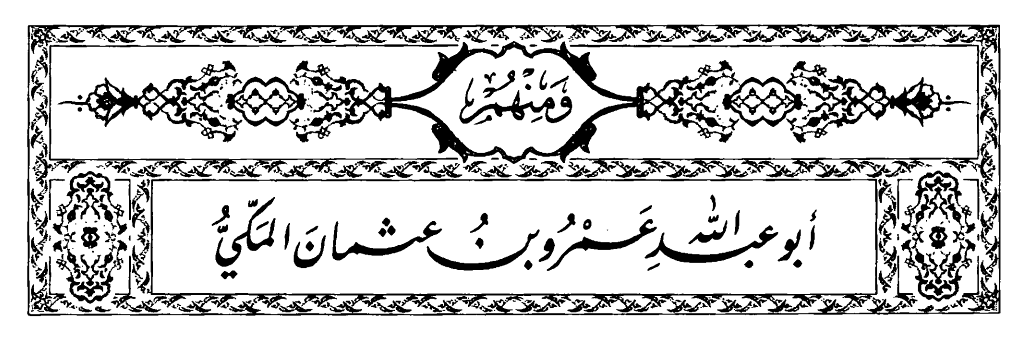
---

(١) قبره بمصر معروف ، واشتبه في كثير من كتب الترجمات اسمه ؛ فتارة ينعت بالدقاق ، وتارة يذكر في ترجمة محمد بن عبد الله الزقاق بعضُ أخباره ، وقد وقف علىٰ قبره العلامة موفق الدين الشارعي وذكر أخباره في « مرشد الزوار إلىٰ قبور الأبرار » (١/٤٧٠) .

(٢) أورده الشارعي في « مرشد الزوار » (١/٤٧٠) ، وقال : (لأن الفقراء كانوا يقصدون ديار مصر لما فيها من الأرزاق وكثرة الرخاء في الأسعار ، ويزعمون أنهم إنما قصدوا مصر لزيارته) .

(٣) بنحوه رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٦٩/٢٣٩) ، وسيأتي عن ابن الجَلَّا (ص ٣٢٧) .

(٤) نقله الشارعي في « مرشد الزوار » (١/٤٧١) ، توفي الزقاق الكبير سنة (٢٩٢ هـ) .



لقيَ أبا عبدِ اللهِ النِّباجيَّ ، وصحبَ أبا سعيدٍ الخرَّازَ وغيرَهُ .

شيخُ القومِ وإمامُ الطائفةِ في الأصولِ والطريقةِ .

ماتَ ببغدادَ سنةَ إحدىٰ وتسعينَ ومئتينِ رحمَهُ اللهُ(١) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ عمرَو بنَ عثمانَ المكيَّ يقولُ : (**كلُّ ما توهَّمَهُ قلبُكَ ، أوْ سنحَ في مجاري فكرِكَ ، أوْ خطرَ في معارضاتِ قلبِكَ** ؛ مِنْ حسنٍ أوْ بهاءٍ ، أوْ أنسٍ أوْ ضياءٍ ، أوْ جمالٍ أوْ شبحٍ ، أوْ نورٍ أوْ شخصٍ أوْ خيالٍ . . **فاللهُ تعالىٰ بعيدٌ مِنْ ذٰلكَ** ، ألا تسمعُ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٢) ، وقالَ : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ؟!(٣))(٤) .

وبهٰذا الإسنادِ قالَ : (**العلمُ قائدٌ ، والخوفُ سائقٌ** ، والنفسُ حَرونٌ بينَ ذٰلكَ ، جَموحٌ خدَّاعةٌ روَّاغةٌ ، **فاحذَرْها وراعِها بسياسةِ العلمِ ، وسُقْها بتهديدِ الخوفِ** . . يتمَّ لكَ ما تريدُ)(٥) .

وقالَ : (**لا يقعُ على الوجدِ عبارةٌ ؛ لأنَّهُ سرُّ اللهِ عندَ المؤمنينَ**)(٦) .

---

(١) قال الحافظ البغدادي في « تاريخه » (١٢/٢٢٠) ذاكراً سنة وفاته : (بل سنة سبع وتسعين أصح ؛ لأن أبا محمد بن حيَّان ذكر قدومه أصبهان سنة ست وتسعين ، وكان ابن حبان حافظاً ثبتاً ضابطاً متقناً) .

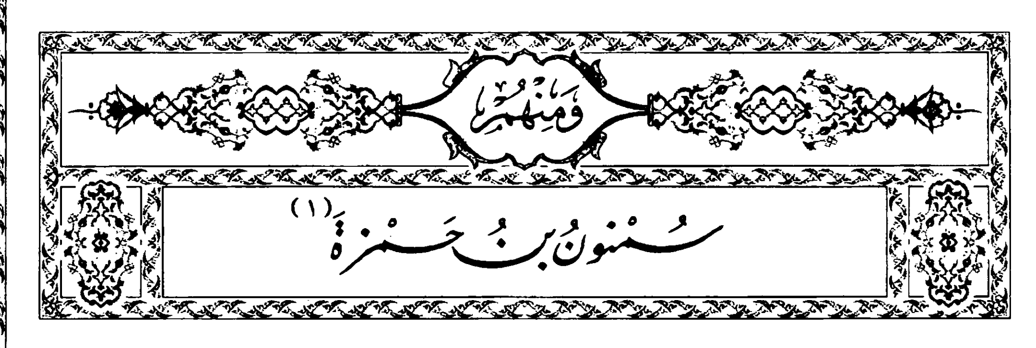
(٢) سورة الشورىٰ : (١١) .

(٣) سورة الإخلاص : (٣ ـ ٤) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٩١) .

(٥) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٠٣) .

(٦) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٠٢) .



ومنهم

سُمنونُ بنُ حمزةَ [1]

وكنيتُهُ أبو الحسنِ ، ويُقالُ : أبو القاسمِ [2] .

صحبَ السَّريَّ ، وأبا أحمدَ القلانسيَّ ، ومحمدَ بنَ عليٍّ القصَّابَ وغيرَهُمْ .

قيلَ : إنَّهُ أنشدَ : [من مخلَّع البسيط]

وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ فَكَيْفَمَا شِئْتَ فَٱخْتَبِرْنِي

فأخذَهُ الأُسْرُ مِنْ ساعتِهِ [3] ، فكانَ يدورُ على المكاتبِ ويقولُ للصبيانِ : ادعوا لعمِّكُمُ الكذَّابِ [4] .

وقيلَ : بلْ أنشدَ هٰذهِ الأبياتَ ، فقالَ بعضُ أصحابِهِ لبعضٍ : سمعتُ البارحةَ وكنتُ بالرُّستاقِ صوتَ أستاذِنا سُمنونٍ يدعو اللهَ ويتضرَّعُ إليهِ ويسألُ الشفاءَ ، فقالَ آخرُ : وأنا أيضاً كنتُ سمعتُ هٰذا البارحةَ وكنتُ بالموضعِ الفلانيِّ ، فقالَ ثالثٌ ورابعٌ مثلَ هٰذا ، فأُخبرَ سُمنونٌ وكانَ قدِ امتُحنَ بعلَّةِ الأُسْرِ ، وكانَ يصبرُ ولا يجزعُ ، فلمَّا سمعَهُمْ يقولونَ هٰذا ولمْ يكنْ هوَ قدْ دعا ولا نطقَ بشيءٍ مِنْ ذٰلكَ . . علمَ أنَّ المقصودَ منهُ إظهارُ الجزعِ تأدُّباً بالعبوديةِ [5] وستراً لحالِهِ ، فأخذَ يطوفُ على المكاتبِ ويقولُ : ادعوا لعمِّكُمُ الكذَّابِ .

---

(١) المشهور ضم السين ، والعمدة الرواية ، ويجوز فتحها كزَيدون وحَمدون ، ويقال في إعرابه ما قيل في حَمدون ، وقد تقدم (ص ١٥٢) تعليقاً .

(٢) ويقال : أبو بكر ، ولقبه المحبُّ كما في « الأنساب » للسمعاني (١٢/١٠٩) .

(٣) الأسْرُ ـ ويجوز ضم السين ـ : احتباس البول .

(٤) حكاه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٠٩) .

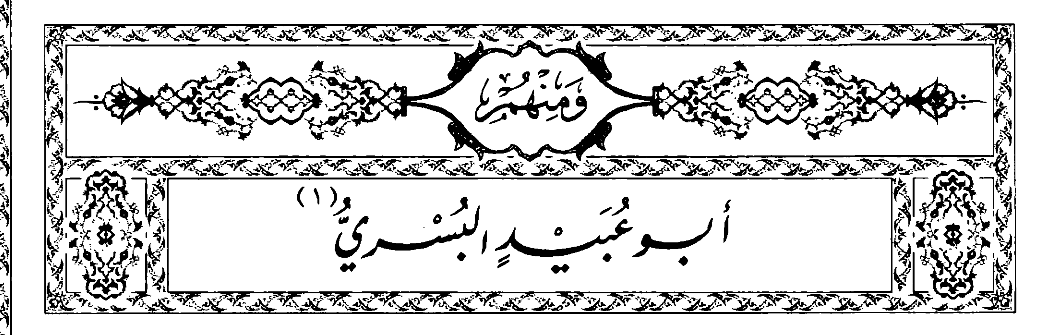
(٥) في (أ) : (تأدياً للعبودية) بدل (تأدباً بالعبودية) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ محمدَ بنَ الحسنِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ جعفراً الخُلْديَّ يقولُ : قالَ لي أبو أحمدَ المَغَازليُّ : كانَ ببغدادَ رجلٌ فرَّقَ على الفقراءِ أربعينَ ألفَ درهمٍ ، فقالَ لي سُمنونٌ : يا أبا أحمدَ ؛ أما ترىٰ ما قدْ أنفقَ هـٰذا وما قدْ عملَهُ ونحنُ ما نجدُ شيئاً ! فامضِ بنا إلىٰ موضعٍ نصلِّي فيهِ بكلِّ درهمٍ أنفقَهُ ركعةً ، فمضَينا إلى المدائنِ ، فصلَّينا أربعينَ ألفَ صلاةٍ[١] .

وكانَ سُمنونٌ ظريفَ الخُلُقِ ، أكثرُ كلامِهِ في المحبَّةِ ، وكانَ كبيرَ الشأنِ . ماتَ قبلَ الجنيدِ كما قيلَ[٢] .

* * *

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣١١) ، وعنده (القلانسي) بدل (المغازلي) .
(٢) وعند السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٩٥) : (مات بعد الجنيد) .



مِنْ قدماءِ المشايخِ ، صحبَ أبا ترابِ النَّخْشبيَّ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ الجلَّا يقولُ : (لقيتُ ستَّ مئةِ شيخٍ ، ما رأيتُ مثلَ أربعةٍ : ذي النونِ المصريِّ ، وأبي ، وأبي ترابِ النَّخْشبيِّ ، وأبي عُبيدٍ البُسْريِّ) [٢] .

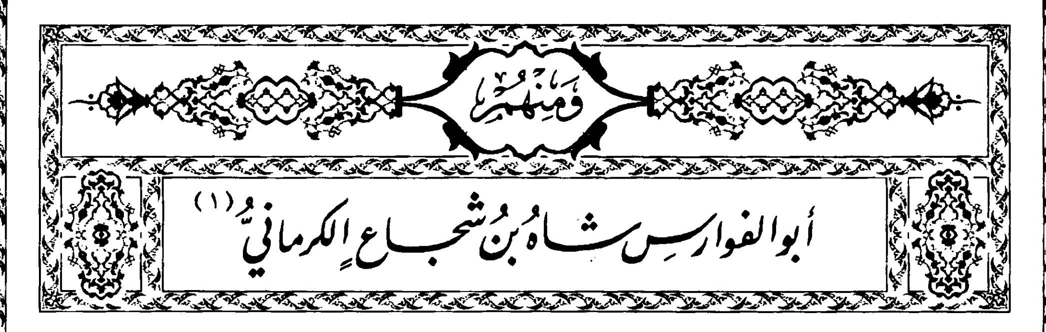
سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ [السُّلميَّ] يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدٍ الثَّغْريَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ معمرٍ يقولُ : سمعتُ أبا زرعةَ الجَنْبيَّ يقولُ : كانَ أبو عُبيدٍ البُسْريُّ يوماً علىٰ جَرْجَرٍ يدوسُ قمحاً لهُ وبينَهُ وبينَ الحجِّ ثلاثةُ أيامٍ ؛ إذْ أتاهُ رجلانِ فقالا : يا أبا عُبيدٍ ؛ تنشَطُ للحجِّ ؟ فقالَ : لا ، ثمَّ التفتَ إليَّ وقالَ : شيخُكَ علىٰ هـٰذا أقدرُ منهما ! يعني نفسَهُ [٣] .

* * *

(١) منسوب إلىٰ بُصرىٰ في حوران بالشام ، وأبدلت الصاد سيناً كما في الصراط والسراط ، وقيل : منسوب إلىٰ بُسْر قرية من قرىٰ حوران أيضاً .

(٢) ورواه من طريق المصنف الخطيبُ في « تاريخ بغداد » (٢٠٧/١٤) ، وفيه : (الرقي) بدل (الدقي) .

(٣) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٨٧/٥٢) ، وأبو زرعة هنا : هو عبد الرحمـٰن بن واصل الحاجب ، والجرجر : ما يُداس به ، آلة من حديد ، وقوله : (علىٰ هـٰذا أقدر) أراد طيَّ الأرض كرامةً ، وفيه تسكين لقلب المريد .



كانَ مِنْ أولادِ الملوكِ .

صحبَ أبا ترابٍ النَّخْشبيَّ وأبا عُبيدٍ البُسْريَّ وأولـئكَ الطبقةَ .

وكانَ أحدَ الفتيانِ ، كبيرَ الشأنِ ، ماتَ قبلَ الثلاثِ مئةٍ رحمَهُ اللهُ .

وقالَ شاهٌ : (علامةُ التقوى : الورعُ ، وعلامةُ الورعِ : الوقوفُ عندَ الشبهاتِ)(٢) .

وكانَ يقولُ لأصحابِهِ : (اجتنبوا الكذبَ والخيانةَ والغِيبةَ ، ثمَّ اصنعوا ما بدا لكُمْ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدِّي ابنَ نُجيدٍ يقولُ : قالَ شاهٌ : (مَنْ غضَّ بصرَهُ عنِ المحارمِ ، وأمسكَ نفسَهُ عنِ الشهواتِ ، وعَمَرَ باطنَهُ بدوامِ المراقبةِ وظاهرَهُ باتِّباعِ السنَّةِ ، وعوَّدَ نفسَهُ أكلَ الحلالِ . . لمْ تُخطِ لهُ فِراسةٌ)(٣) .

* * *

(١) نسبة إلىٰ كرمان بفتح الكاف وكسرها ؛ إقليم بين فارس ومكران وسجستان . انظر « النسبة » لبامخرمة (ص ٤٩٤) ، وشاه : قال في « التاج » (ش و ه) : (« يمنع ويصرف » قال شيخنا : أما الصرف . . فظاهر ، وأما منعه . . فلعله للعلمية والعجمة) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٩٣) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥٠) من طريقه .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٧) ، وقوله : (تخطِ) عومل المهموز بعد التسهيل معاملة الناقص ، وفي (ي) : (تخطئ) ، والمثبت من سائر النسخ .



شيخُ الرَّيِّ والجبالِ في وقتِهِ[1] ، وكانَ نسيجَ وحدِهِ في إسقاطِ التصنُّعِ ، وكانَ عالماً أديباً .

صحبَ ذا النونِ المصريَّ ، وأبا ترابٍ النَّخْشبيَّ ، ورافقَ أبا سعيدٍ الخرَّازَ .

ماتَ سنةَ أربعٍ وثلاثِ مئةٍ رحمَهُ اللهُ .

قالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : (لأَنْ ألقى اللهَ عزَّ وجلَّ بجميعِ المعاصي أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ ألقاهُ بذرَّةٍ مِنَ التصنُّعِ)[2] .

وقالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : (إذا رأيتَ المريدَ يشتغلُ بالرُّخَصِ .. فاعلمْ أنَّهُ لا يجيءُ منهُ شيءٌ)[3] .

وكتبَ إلى الجنيدِ : (لا أذاقَكَ اللهُ طعمَ نفسِكَ ؛ فإنَّكَ إنْ ذُقْتَها .. لا تذوقُ بعدَها خيراً أبداً) .

وقالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : (رأيتُ آفاتِ الصوفيَّةِ في صحبةِ الأحداثِ ، ومعاشرةِ الأضدادِ ، ورِفْقِ النِّسوانِ)[4] .

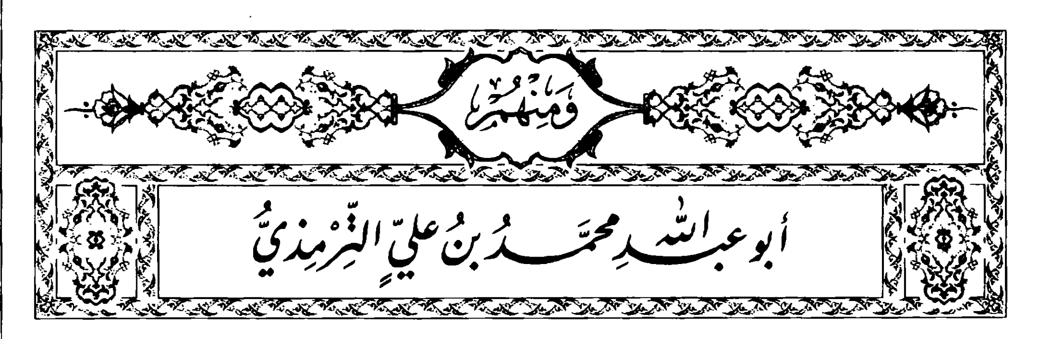
* * *

(١) وإلى الرَّيِّ نسبته ، فقيل : يوسف الرازي ، ويُكنىٰ بأبي يعقوب ، والجبال : ناحية مشهورة يقال لها : قهستان ، شرقها مفازة خراسان وفارس ، وغربها أذربيجان ، وشمالها بحر الخزر ، وجنوبها العراق وخوزستان . انظر « آثار البلاد » للقزويني (ص ٣٤١) .

(٢) وأورده ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٢/٧٤ ، ٢٢٧) من طريق المصنف وغيره .

(٣) سيسنده المصنف رحمه الله تعالىٰ (ص ٤٦٩) ، وفي (أ) : (مشتغلاً) بدل (يشتغل) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٩٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٤٠/١٠) ، وفيهما : (إرفاق) بدل (رفق) ، والمراد ما ينتفع به من سدِّ خلة ونحو ذٰلك .



مِنْ كبارِ الشيوخِ ، ولهُ تصانيفُ في علومِ القومِ[1] .

صحبَ أبا ترابٍ النَّخْشبيَّ ، وأحمدَ بنَ خِضْرويهِ ، وابنَ الجلَّا وغيرَهُمْ رحمَهُمُ اللهُ .

سُئِلَ محمدُ بنُ عليٍّ عنْ صفةِ الخَلْقِ ، فقالَ : ضَعْفٌ ظاهرٌ ، ودعوىٰ عريضةٌ[2] .

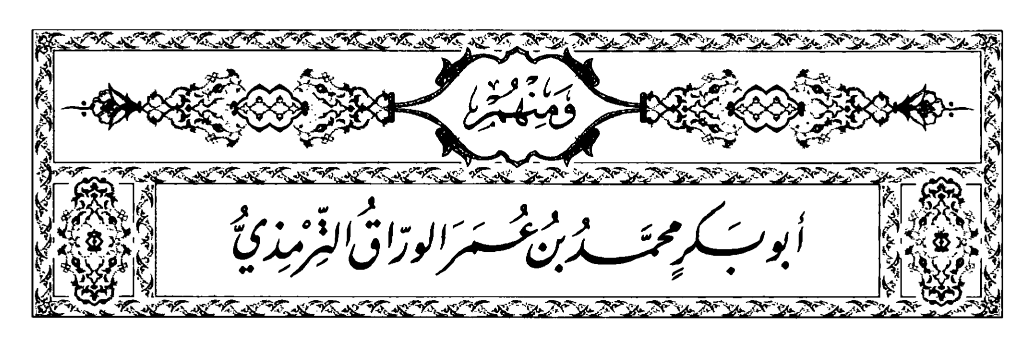
وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ : (ما صنَّفْتُ حرفاً عنْ تدبيرٍ ، ولا لينسبَ إليَّ شيءٌ منهُ ، ولكنْ كانَ إذا اشتدَّ عليَّ وقتي . . أتسلَّىٰ بهِ)[3] .

* * *

(١) من أجلّ تصانيفه « نوادر الأصول » ، وقد خرج بحمد الله تعالىٰ مسنداً محققاً في « دار المنهاج » ، وشُهِرَ بين أهل الحديث وغيرهم بالحكيم الترمذي المؤذن .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٢٠) .

(٣) نقله الحافظ في « لسان الميزان » (٣٨٧/٧) نقلاً عن السُّلمي في « طبقاته » .



أقـامَ ببَلْخَ ، وصحـبَ أحمدَ بـنَ خِضْرويهِ وغيـرَهُ ، ولـهُ تصانيفُ في الرياضاتِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ محمدٍ البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الورَّاقَ يقولُ : (مَنْ أرضى الجوارحَ بالشهواتِ . . غرسَ في قلبهِ شجرَ النداماتِ)(١) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ البَلْخيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الورَّاقَ يقولُ : (لوْ قيلَ للطمعِ : مَنْ أبوكَ ؟ قالَ : الشكُّ في المقدورِ ، ولوْ قيلَ : ما حِرْفتُكَ ؟ قالَ : اكتسابُ الذُّلِّ ، ولوْ قيلَ : ما غايتُكَ ؟ قالَ : الحِرمانُ)(٢) .

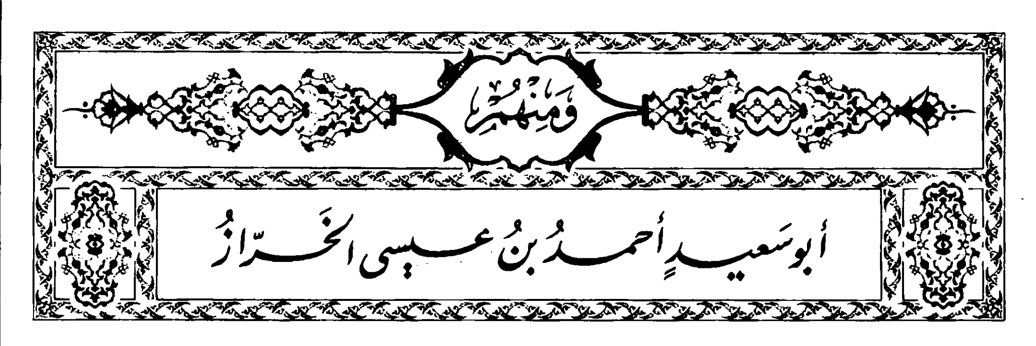
وكانَ أبو بكرٍ الورَّاقُ يمنعُ أصحابَهُ عنِ الأسفارِ والسياحاتِ ويقولُ : (مفتاحُ كلِّ بركةٍ الصبرُ في موضعِ إرادتِكَ إلىٰ أنْ تصحَّ لكَ الإرادةُ ، فإذا صحَّتْ لكَ الإرادةُ . . فقدْ ظهرَتْ عليكَ أوائلُ البركةِ)(٣) .

* * *

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٥٦) من طريق السُّلمي أيضاً .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٢٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٦) .

(٣) في (أ) : (ظهر لك) بدل (ظهرت عليك) .



مِنْ أهلِ بغدادَ ، صحبَ ذا النونِ المصريَّ ، والنِّباجيَّ ، وأبا عُبيدِ البُسْرِيَّ ، والسَّريَّ ، وبِشْراً ، وغيرَهُم .

ماتَ سنةَ سبعٍ وسبعينَ ومئتينِ .

قالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (**كلُّ باطنٍ يخالفُهُ ظاهرٌ . . فهوَ باطلٌ**) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ الصيَّادَ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الخرَّازَ يقولُ : رأيتُ إبليسَ في النومِ وهوَ يمرُّ عنِّي ناحيةً ، فقلتُ : تعالَ [١] ، فقالَ : أيشٍ أعملُ بكُمْ ؟! أنتمْ طرحتُمْ عنْ نفوسِكُمْ ما أُخادعُ بهِ الناسَ ، قلتُ : وما هوَ ؟ قالَ : الدنيا .

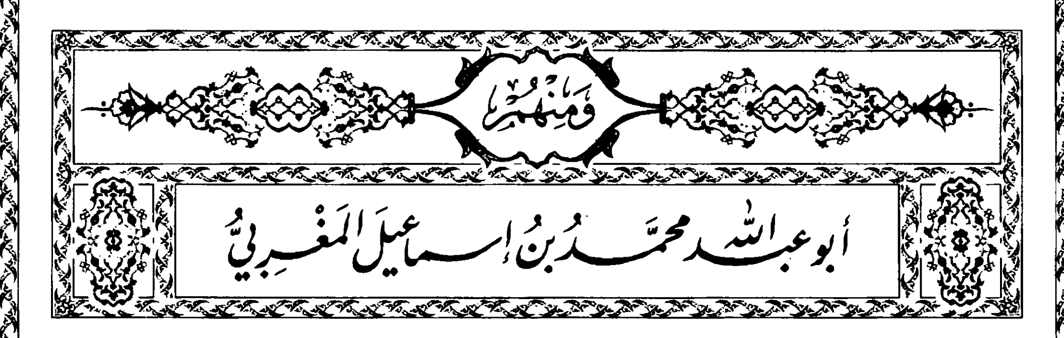
فلمَّا ولَّىٰ عني . . التفتَ إليَّ وقالَ : غيرَ أنَّ لي فيكُمْ لطيفةً ، قلتُ : وما هيَ ؟ قالَ : صحبةُ الأحداثِ [٢] .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : صحبتُ الصوفيةَ ما صحبتُ ، فما وقعَ بيني وبينَهُمْ خلافٌ ، قالوا : لِمَ ؟ قالَ : لأنِّي كنتُ معَهُمْ علىٰ نفسي [٣] .

* * *

---

(١) في (ي) زيادة : (ما لكَ ؟!) .
(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٣٢) ، وزاد : (قال أبو سعيد : وقلَّ من يتخلَّص من هـٰذا من الصوفية) .
(٣) أورده من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/١٣٠) .



أستاذُ إبراهيمَ بنِ شيبانَ ، وتلميذُ عليِّ بنِ رَزِينٍ .

عاشَ مئةً وعشرينَ سنةً ، وماتَ سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومئتينِ رحمَهُ اللهُ (١) .

كانَ عجيبَ الشأنِ ، لمْ يأكلْ ممَّا وصلَتْ إليهِ يدُ بني آدمَ سنينَ كثيرةً ، كانَ يتناولُ مِنْ أصولِ الحشيشِ أشياءَ تعوَّدَ أكلَها .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ المغربيُّ : (أفضلُ الأعمالِ : عمارةُ الأوقاتِ بالموافقاتِ) (٢) .

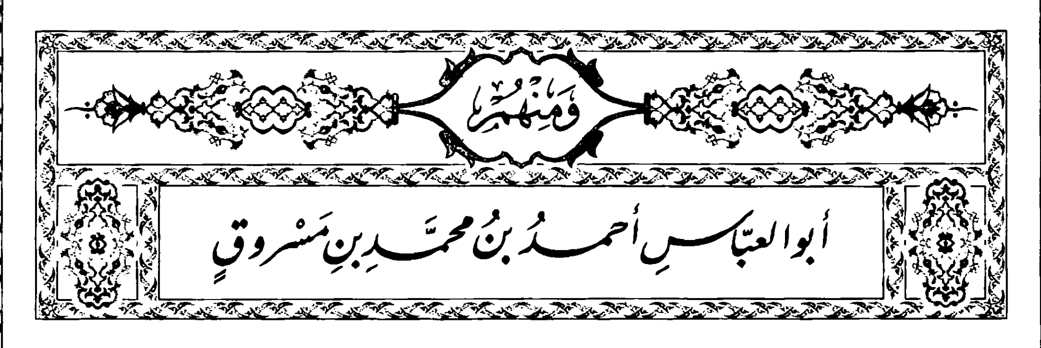
وقالَ : (أعظمُ الناسِ ذُلّاً : فقيرٌ داهنَ غنياً وتواضعَ لهُ ، وأعظمُ الناسِ عزّاً : غنيٌّ تذلَّلَ للفقراءِ وحفظَ حرمتَهُمْ) (٣) .

* * *

(١) في « طبقات الصوفية » للسُّلمي (ص ٢٤٢) : (مات سنة تسع وسبعين ومئتين ، وقيل : تسع وتسعين ، وهاذا أصحُّ إن شاء الله) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤٣) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤٤) .



مِنْ أهلِ طوسَ ، سكنَ بغدادَ .

صحبَ الحارثَ المحاسبيَّ ، والسريَّ السقطيَّ رحمَهُمُ اللهُ .

توفي ببغدادَ سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومئتينِ (١) .

قالَ ابنُ مسروقٍ : (مَنْ راقبَ اللهَ في خَطَراتِ قلبِهِ .. عصمَهُ اللهُ في حركاتِ جوارحِهِ) (٢) .

وقالَ : (تعظيمُ حرماتِ المؤمنينَ مِنْ تعظيمِ حرماتِ اللهِ تعالىٰ ، وبهِ يصلُ العبدُ إلىٰ محلِّ حقيقةِ التقوىٰ) (٣) .

وقالَ : (شجرةُ المعرفةِ تُسقىٰ بماءِ الفكرةِ ، وشجرةُ الغفلةِ تُسقىٰ بماءِ الجهلِ ، وشجرةُ التوبةِ تُسقىٰ بماءِ الندامةِ ، وشجرةُ المحبَّةِ تُسقىٰ بماءِ الاتفاقِ والموافقةِ) (٤) .

وقالَ : (متىٰ طمعتَ في المعرفةِ ولم تُحكمْ قبلَها مدارجَ الإرادةِ .. فأنتَ في جهلٍ ، ومتىٰ ما طلبتَ الإرادةَ قبلَ تصحيحِ مقامِ التوبةِ .. فأنتَ في غفلةٍ ممَّا تطلبُهُ) (٥) .

* * *

(١) في (ي) : (توفي ببغداد سنة تسع ـ وقيل : ثمان ـ وتسعين ومئتين) .
(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤٠) .
(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤١) ، وفيه : (مجمل) بدل (محل) .
(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢١٤/١٠) بزيادة : (والإيثار) .
(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢١٤/١٠) .



مِنْ أقرانِ الجنيدِ ، قصدَهُ عمرُو بنُ عثمانَ المكيُّ في دَيْنٍ ركبَهُ ، فقضاهُ عنهُ ، وهوَ ثلاثونَ ألفَ درهمٍ (١) .

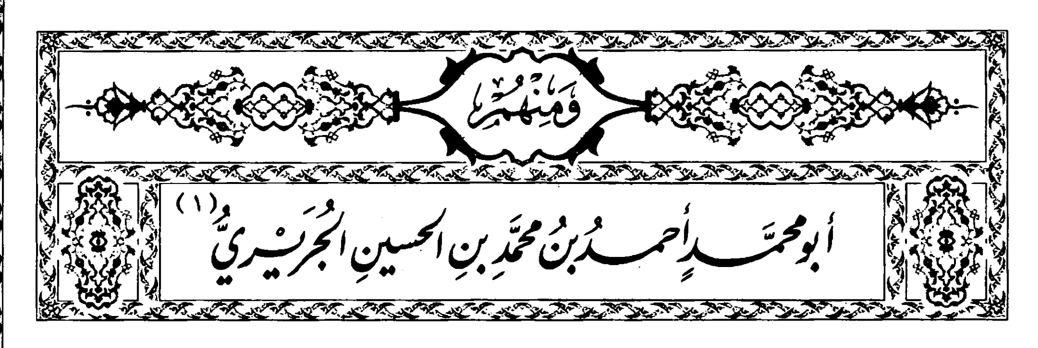
لقيَ أبا ترابٍ النَّخْشبيَّ والطبقةَ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الطبريَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ سهلٍ يقولُ : (**المبادرةُ إلى الطاعاتِ مِنْ علاماتِ التوفيقِ ، والتقاعدُ عنِ المخالفاتِ مِنْ علاماتِ حسْنِ الرعايةِ ، ومراعاةُ الأسرارِ مِنْ علاماتِ التيقُّظِ ، وإظهارُ الدعاوىٰ مِنْ رُعوناتِ البشريَّةِ ، ومَنْ لمْ تصحَّ مبادي إرادتِهِ . . لا يسلمُ في منتهىٰ عواقبِهِ**) (٢) .

* * *

(١) كذا عند السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٣٣) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٣٤) ، وفيه : (ومن لم يصحِّح مبادئ إرادته . . .) .



ومنهم

أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجُرَيْرِيُّ [1]

مِنْ كبارِ أصحابِ الجنيدِ ، صحبَ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ .

أُقعِـدَ بعـدَ الجنيدِ في مكانِـهِ ، وكانَ عالماً بعلـومِ هٰذهِ الطائفةِ ، كبيرَ الحالِ .

ماتَ رحمَهُ اللهُ سنةَ إحدىٰ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ الرُّوذْباريَّ يقولُ : (ماتَ الجُرَيريُّ سنةَ الهَبِيرِ [2] ، فجُزتُ بهِ بعدَ سنةٍ ، فإذا هوَ مستندٌ جالسٌ وركبتُهُ إلىٰ صدرِهِ وهوَ مشيرٌ بإصبعِهِ إلى اللهِ) [3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ الجُرَيريَّ يقولُ : (مَنِ استولَتْ عليهِ النفسُ .. صارَ أسيراً في حكْمِ الشهواتِ ، محصوراً في سجنِ الهوىٰ ، حرَّمَ اللهُ علىٰ قلبِهِ الفوائدَ ، فلا يستلذُّ بكلامِ الحقِّ تعالىٰ ولا يستحليهِ وإنْ كثُرَ تردادُهُ علىٰ لسانِهِ ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾) [4] .

---

(١) كذا ضبطه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (١٧٢/١) نسبة إلىٰ جُرَير بن عباد .

(٢) قال ابن الجوزي في « المنتظم » (٤٥/٨ ـ ٤٦) : (الهبير : اسم موضع عارضَ فيه أبو سعيد الجنابي القرمطيُّ الحاجَّ ، فأصاب منهم جماعة فتفرَّقوا ، فعاد وعارضهم في محرَّم سنة اثنتي عشرة وفتك بهم الفتك القبيح ، فجائز أن يكون الجريري قد هلك في المعارضة الأولىٰ ، وإنما هلك في الطريق وبقي علىٰ حاله) ، ثم روى الخبر عن المصنف .

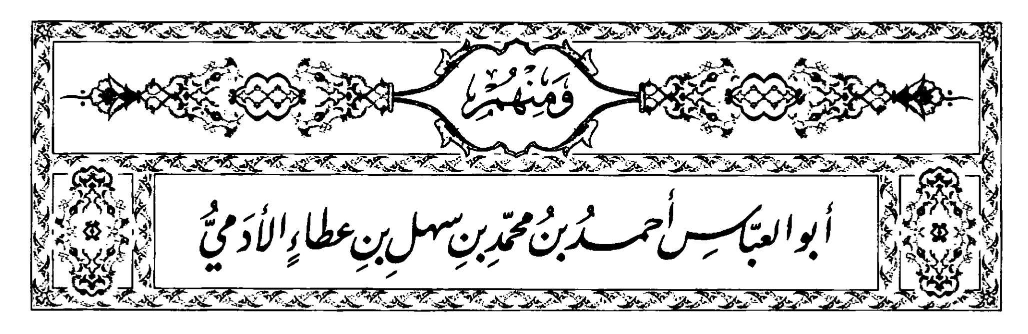
(٣) ورواه الخطيب في « تاريخه » (١٩٩/٥) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (وقوله : « بإصبعه » ليس مشيراً إلى الجهة ، بل إلى الوحدانية) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٦٢) ، قوله : (كثر ترداده) يعني : ولو قرأ كل يوم ختمة ، والآية من سورة الأعراف : (١٤٦) .

وقالَ الجُرَيريُّ : (رؤيةُ الأصولِ باستعمالِ الفروعِ ، وتصحيحُ الفروعِ بمعارضةِ الأصولِ ، ولا سبيلَ إلىٰ مقامِ مشاهدةِ الأصولِ إلا بتعظيمِ ما عظَّمَ اللهُ مِنَ الوسائطِ والفروعِ)[1] .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٦٣) ، والأصول : هي الكتاب والسنة والإجماع ، فكلما أراد الإنسان أن يعمل عملاً ؛ من صلاته وصومه ، وسكوته وكلامه .. فلا بد أن يلتفت لأصوله ، ويعرف حكمه منها في حلِّه وتحريمه ؛ فبهٰذا الاعتبار تكون الفروع مذكرة للأصول من جهة احتياجها إليها ، والوسائط هنا : الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء الوارثون عنه دينه ، فلا يمكنه تعظيم الأصول إلا بتعظيم الناقلين لها والمبلغين ، كما أفاده العلامة اللخمي في « الدلالة » .



مِنْ كبارِ مشايخِ الصوفيةِ وعلمائِهِمْ ، كانَ الخرَّازُ يعظِّمُ شأنَهُ ، وهوَ مِنْ أقرانِ الجنيدِ ، وصحبَ إبراهيمَ المارِستانيَّ رحمَهُمُ اللهُ .

ماتَ سنةَ تسعٍ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ القرشيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ يقولُ : (مَنْ ألزمَ نفسَهُ آدابَ السنةِ . . نوَّر اللهُ قلبَهُ بنورِ المعرفةِ ، ولا مقامَ أشرفُ مِنْ مقامِ متابعةِ الحبيبِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أوامرِهِ وأفعالِهِ وأخلاقِهِ)[١] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (أعظمُ الغفلةِ : غفلةُ العبدِ عنْ ربِّهِ عزَّ وجلَّ ، وغفلتُهُ عنْ أوامرِهِ ، وغفلتُهُ عنْ آدابِ معاملتِهِ)[٢] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرحمـٰنِ بنَ أحمدَ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ ابنَ عطاءٍ يقولُ : (كلُّ ما سُئِلتَ عنهُ . . فاطلبْهُ في مفازةِ العلْمِ[٣] ، فإنْ لمْ تجدْهُ . . ففي ميدانِ الحكمةِ ، فإنْ لمْ تجدْهُ . . فزِنْهُ بالتوحيدِ ، فإنْ لمْ تجدْهُ في هـٰذهِ المواضعِ الثلاثةِ . . فاضربْ بهِ وجهَ الشيطانِ)[٤] .

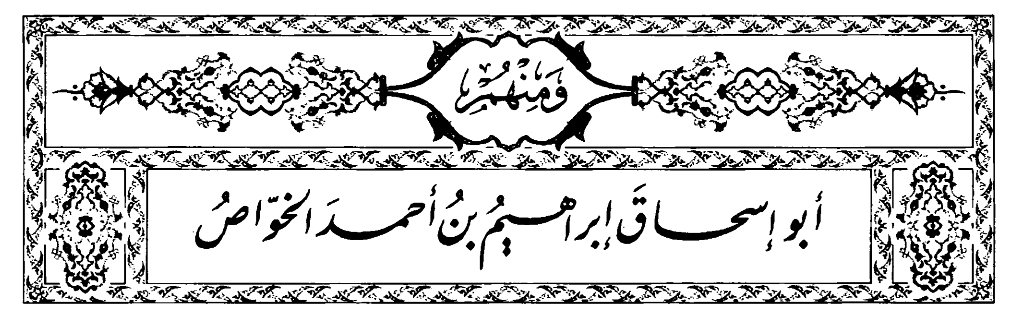
* * *

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٦٨) ، وتمامه : (والتأدُّب بآدابه قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونية) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٧١) ، وفي (ي) : (وغفلته عن أوامره ونواهيه) .

(٣) في (أ ، ج) : (مفارة) بدل (مفازة) .

(٤) قوله : (فزنه بالتوحيد) يعني : هل يليق نسبته إلى الله تعالى صفة أو فعلاً ؟ كذا عند العلامة اللخمي في « الدلالة » .



مِنْ أقرانِ الجنيدِ والنُّوريِّ ، ولهُ في التوكُّلِ والرياضاتِ حظٌّ كبيرٌ .

ماتَ بالرَّيِّ سنةَ إحدىٰ وتسعينَ ومئتينِ .

كانَ مبطوناً ، وكانَ كلَّما قامَ . . توضَّأَ وعادَ إلى المسجدِ وصلَّىٰ ركعتينِ ، فدخلَ مرَّةً الماءَ (١) ، فماتَ فيهِ رحمَهُ اللهُ (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الخوَّاصَ يقولُ : (ليسَ العلمُ بكثرةِ الروايةِ ، إنَّما العالمُ : مَنِ اتَّبعَ العلمَ واستعملَهُ واقتدىٰ بالسننِ وإنْ كانَ قليلَ العلمِ) (٣) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ الأَزْديَّ يقولُ : سمعتُ الخوَّاصَ يقولُ : (دواءُ القلبِ خمسةُ أشياءَ : قراءةُ القرآنِ بالتدبُّرِ ، وخلاءُ البطنِ ، وقيامُ الليلِ ، والتضرُّعُ عندَ السَّحرِ ، ومجالسةُ الصالحينَ) (٤) .

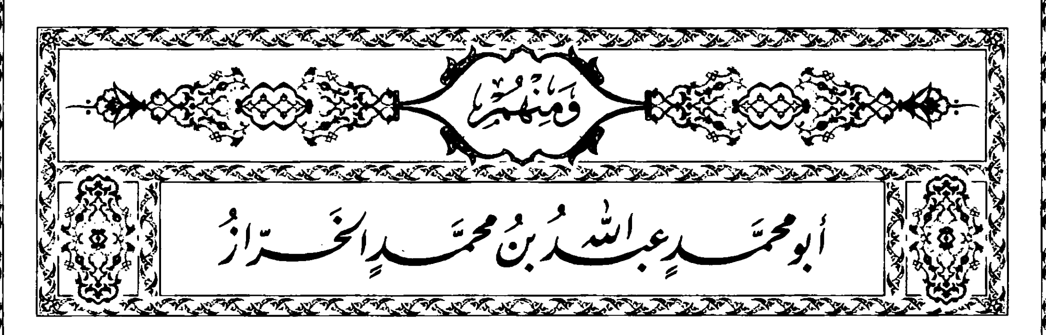
* * *

(١) في (هـ) : (بيت الماء) بدل (الماء) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٨٤) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٨٥) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٨٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٢٧) .



مِنْ أهلِ الرَّيِّ ، جاورَ بمكةَ .

صحبَ أبا حفصٍ ، وأبا عمرانَ الكبيرَ ، وكانَ مِنَ المتورِّعينَ .

ماتَ قبلَ العشرِ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الطوسيَّ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : دخلتُ علىٰ عبدِ اللهِ الخرَّازِ ولي أربعةُ أيامٍ لمْ آكلْ ، فقالَ : يجوعُ أحدُكُمْ أربعةَ أيامٍ فيصبحُ ينادي عليهِ الجوعُ !

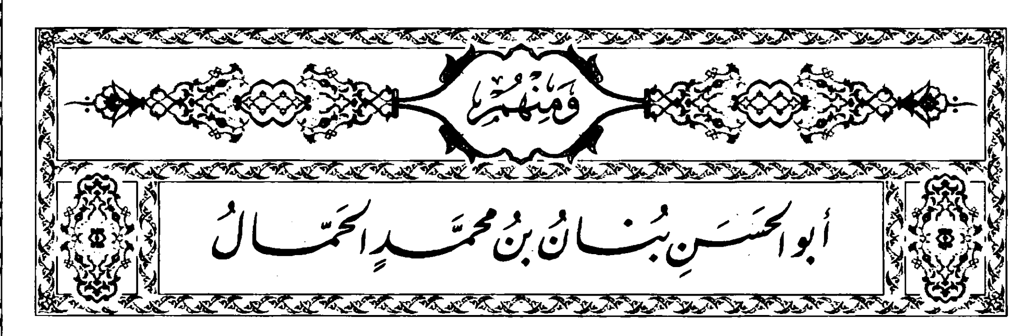
ثمَّ قالَ : أيشٍ يكونُ لوْ أنَّ كلَّ نفسٍ منفوسةٍ تلفَتْ فيما تُؤمِّلُهُ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟ أترىٰ يكونُ ذٰلكَ كثيراً ؟![1] .

وقالَ عبدُ اللهِ الخرَّازُ : (الجوعُ طعامُ الزاهدينَ ، والذكرُ طعامُ العارفينَ)[2] .

* * *

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٨٩) ، ومنفوسة : مولودة .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٨٩) .



واسطيُّ الأصلِ ، أقامَ بمصرَ ، وماتَ بها سنةَ ستَّ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ .

كبيرُ الشأنِ ، صاحبُ الكراماتِ .

سُئِلَ بُنانٌ عنْ أجلِّ أحوالِ الصوفيَّةِ ، فقالَ : الثقةُ بالمضمونِ ، والقيامُ بالأوامرِ ، ومراعاةُ السِّرِّ ، والتخلِّي مِنَ الكونينِ (١) .

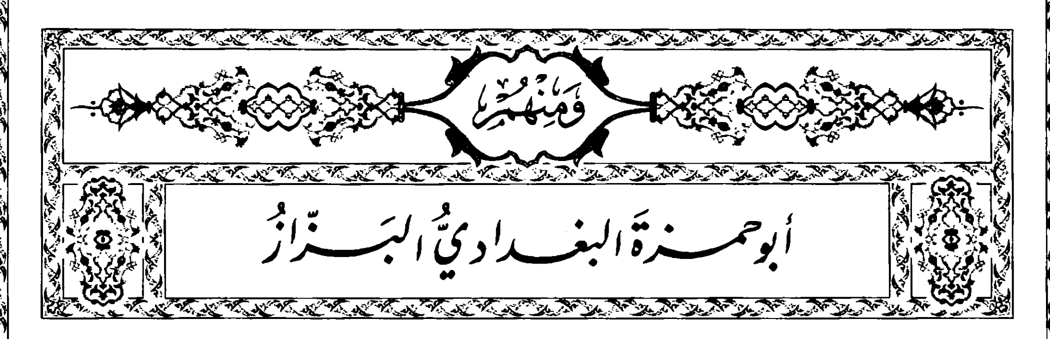
سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : أُلقيَ بُنانٌ الحمَّالُ بينَ يدي السبعِ ، فجعلَ السبعُ يشَمُّهُ ولا يضرُّهُ .

فلمَّا أُخرجَ . . قيلَ لهُ : ما الذي كانَ في قلبِكَ حيثُ شمَّكَ السبعُ ؟ قالَ : كنتُ أفكِّرُ في اختلافِ العلماءِ في سؤرِ السباعِ (٢) .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٩٣) ، بزيادة : (بالتشبُّث بالحق) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٢٤) ، وابن طولون هو من أمر بإلقائه .



مات قبلَ الجنيدِ ، وكانَ مِنْ أقرانِهِ .

صحبَ السَّريَّ ، والحسنَ المُسُوحيَّ [1] .

وكانَ عالماً بالقراءاتِ ، فقيهاً ، وكانَ مِنْ أولادِ عيسى بنِ أبانٍ [2] ، وكانَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ يقولُ لهُ في المسائلِ : ما تقولُ فيها يا صوفيُّ ؟ [3] .

قيلَ : كانَ يتكلَّمُ في مجلسِهِ يومَ الجمعةِ [4] ، فتغيَّرَ عليهِ الحالُ ، فسقطَ مِنْ كرسيِّهِ ، وماتَ في الجمعةِ الثانيةِ ، وقيلَ : ماتَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ ومئتينِ .

قالَ أبو حمزةَ : (مَنْ علمَ طريقَ الحقِّ . . سهُلَ عليهِ سلوكُهُ ، ولا دليلَ على الطريقِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ إلَّا متابعةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في أحوالِهِ وأفعالِهِ وأقوالِهِ) [5] .

وقالَ أبو حمزةَ : (مَنْ رُزِقَ ثلاثةَ أشياءَ . . فقدْ نجا مِنَ الآفاتِ : بطنٌ خالٍ معَ قلبٍ قانعٍ ، وفقرٌ دائمٌ معَهُ زهدٌ حاضرٍ ، وصبرٌ كاملٌ معَهُ ذكرٍ دائمٍ) [6] .

* * *

---

(١) وكان ينتمي إليه كما هو عند السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٩٥) .

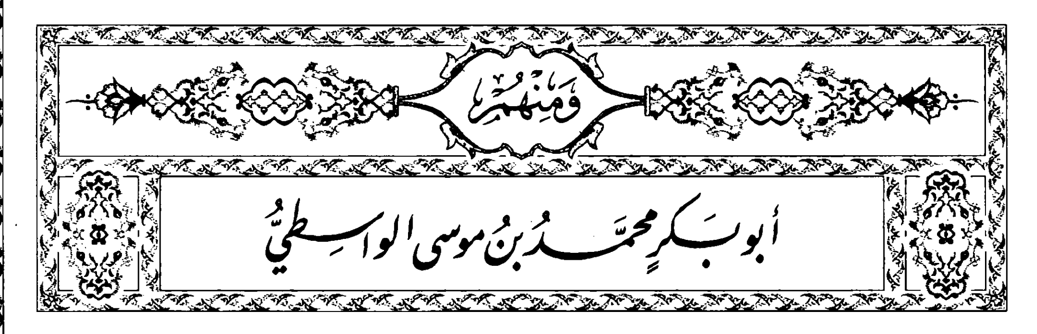
(٢) عند أبي نعيم في « الحلية » (٣٢٠/١٠) ، ونقله عنه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٠٧/١) أنه مولىً للقاضي عيسى بن أبان ، وهو الأولى ، واسم المترجم له عنده : محمد بن إبراهيم .

(٣) كذا في « طبقات السُّلمي » (ص ٢٩٥) .

(٤) في (د ، ل) : (جمعةٍ) بدل (الجمعةِ) .

(٥) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٥/٥١) .

(٦) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٩٦) .



خُراسانيُّ الأصلِ ، مِنْ فَرْغانةَ [1] ، صحبَ الجنيدَ والنُّوريَّ .

عالمٌ كبيرٌ ، أقامَ بمروَ ، وماتَ بها بعدَ العشرينَ وثلاثِ مئةٍ .

قالَ الواسطيُّ : (الخوفُ والرجاءُ زِمامانِ يمنعانِ مِنْ سوءِ الأدبِ) [2] .

وقالَ : (مطالعةُ الأعواضِ على الطاعاتِ مِنْ نسيانِ الفضْلِ) [3] .

وقالَ : (إذا أرادَ اللهُ هوانَ عبدٍ . . ألقاهُ إلىٰ هـٰؤلاءِ الأنتانِ والجِيَفِ) ، يريدُ بهِ : صحبةَ الأحداثِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبدِ العزيزِ المَرْوزيَّ يقولُ : سمعتُ الواسطيَّ يقولُ : (جعلوا سوءَ آدابِهِمْ إخلاصاً ، وشَرَهَ نفوسِهِمُ انبساطاً ، ودناءةَ الهممِ جلادةً ، فعَمُوا عنِ الطريقِ وسلكوا فيهِ المضيقَ ، فلا حياةَ تنمو في شواهِدِهِمْ ، ولا عبادةَ تزكو في محاضرتِهِمْ ، إنْ نطقوا . . فبالغضبِ ، وإنْ خُوطبوا [4] . . فبالكِبْرِ ، توثُّبُ أنفسِهِمْ ينبئُ عنْ ضمائرِهِمْ [5] ، وشَرَهُهُمْ في المأكولِ يظهِرُ ما في سويداءِ أسرارِهِمْ ، قاتلَهُمُ اللهُ أنَّىٰ يُؤفكونَ) [6] .

---

(١) وعند السُّلمي في « طبقاته » (٣٠٢) : (وكان يعرف بابن الفَرْغاني) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٠٣) ، وفي (ب) : من الأصول : (يمنعان العبد من سوء الأدب) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٠٦) ، وفيه غمزٌ على القدرية .

(٤) في (د) من الأصول : (خاطبوا) بدل (خوطبوا) .

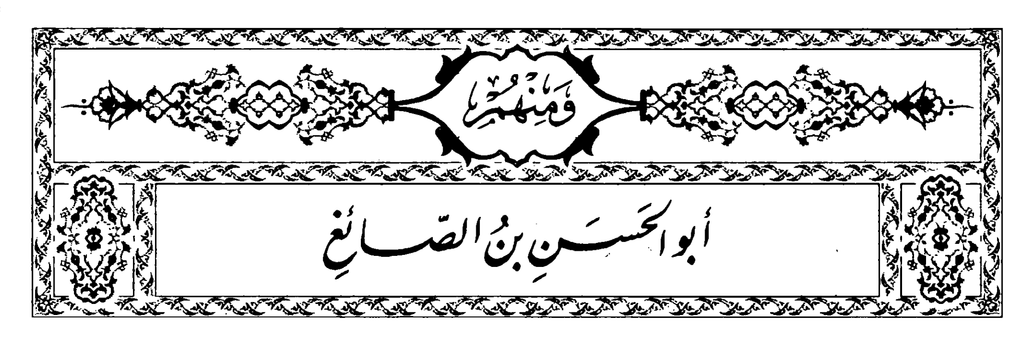
(٥) أي : استيلاء أنفسهم على الأمور ظلماً ينبوع عن خبث ضمائرهم . « إحكام الدلالة » (١/١٨٠) .

(٦) قال العلامة اللخمي في « فوائد الرسالة » : (وهـٰذه الحكاية والكلمات التي تضمَّنتها المرادُ بها ذمُّ قوم تشبَّهوا بأهل طريق الحق وليسوا منهم ، فذكر صفاتهم ليُتَّقَوا ويُبعدَ منهم) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدَّقَّاقَ يقولُ : سمعَ بعضُ المراوزةِ إنساناً صيدلانياً يقولُ[1] : اجتازَ الواسطيُّ يومَ جمعةٍ ببابِ حانوتيٍّ قاصداً إلى الجامعِ ، فانقطعَ شِسعُ نعلِهِ ، فقلتُ : أيُّها الشيخُ ؛ أتأذَنُ لي أنْ أُصلحَ نعلَكَ ؟ فقالَ : أصلحْ ، فأصلحتُ شِسعَهُ ، فقالَ لي : تدري لمَ انقطعَ شِسعُ نعلي ؟ فقلتُ : حتَّىٰ تقولَ ، فقالَ : لأنِّي ما اغتسلتُ للجمعةِ ، فقلتُ : يا سيِّدي ؛ ها هنا حمَّامٌ ، تدخلُهُ ؟ فقالَ : نعمْ ، فأدخلتُهُ الحمَّامَ فاغتسلَ .

* * *

(١) كذا في (ب) ونسخة هامش (د) ، وفي عامة النسخ : (سمعتُ بعضَ المراوزة إنساناً . . .) على أنه بدل مما قبله .



ومنهم
أبو الحسن بن الصائغ

واسمُهُ : عليُّ بنُ محمدِ بنِ سَهْلِ الدِّينَوَريُّ .

أقامَ بمصرَ ، وماتَ بها رحمَهُ اللهُ .

مِنْ كبارِ المشايخِ .

قالَ أبو عثمانَ المغربيُّ : (ما رأيتُ مِنَ المشايخِ أنورَ مِنْ أبي يعقوبَ النَّهْرَجُوريِّ ، ولا أكثرَ هيبةً مِنْ أبي الحسنِ بنِ الصائغِ الدِّينَوَريِّ)[1] .

ماتَ سنةَ ثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ .

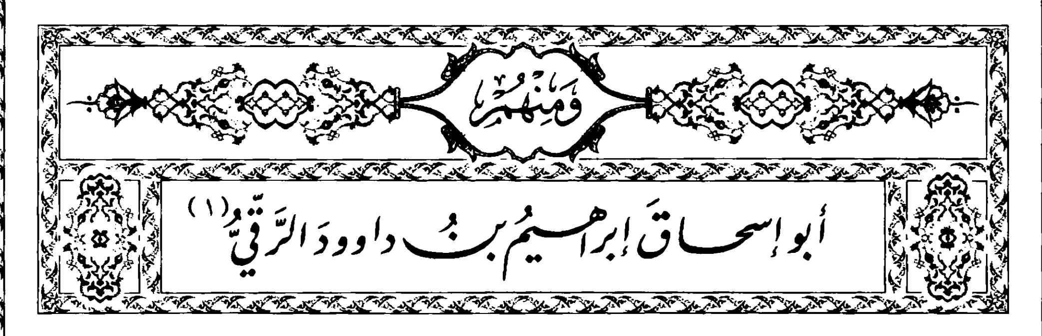
سُئِلَ ابنُ الصائغِ عنِ الاستدلالِ بالشاهدِ على الغائبِ ، فقالَ : كيفَ يُستدلُّ بصفاتِ مَنْ لهُ مثلٌ على مَنْ لا مثلَ لهُ ولا نظيرَ ؟![2] .

وسُئِلَ عنْ صفةِ المريدِ ، فقالَ : ما قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾[3] .

وقالَ : (الأحوالُ كالبروقِ ، فإذا ثبتَتْ .. فهوَ حديثُ النفسِ وملاءمةُ الطبعِ)[4] .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣١٢) ، وفيه وفي (ب) : (أكبر همَّةً) بدل (أكثر هيبة) .
(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣١٥) بنحوه .
(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣١٣) ، والآية من سورة التوبة : (١١٨) .
(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣١٥) ، وفي (أ ، ج ، د) : (وملاومة) بدل (وملاءمة) .



مِنْ كبارِ مشايخِ الشَّامِ ، منْ أقرانِ الجنيدِ وابنِ الجَلَّا .

وقدْ عُمِّرَ وعاشَ إلىٰ سنةِ ستٍّ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ .

قالَ إبراهيمُ الرَّقِّيُّ : (المعرفةُ : إثباتُ الحقِّ خارجاً عَنْ كلِّ موهومٍ)[2] .

وقالَ : (القدرةُ ظاهرةٌ ، والأعينُ مفتوحةٌ ، ولـٰكنَّ أنوارَ البصائرِ قدْ ضعُفَتْ)[3] .

وقالَ : (أضعفُ الخلْقِ : مَنْ ضعُفَ عنْ ردِّ شهواتِهِ ، وأقوى الخلْقِ : مَنْ قويَ علىٰ ردِّها)[4] .

وقالَ : (علامةُ محبَّةِ اللهِ تعالىٰ : إيثارُ طاعتِهِ ، ومتابعةُ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[5] .

* * *

---

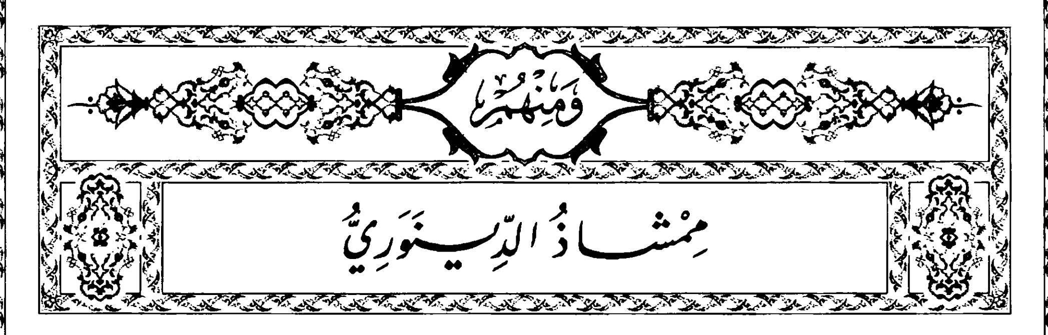
(١) وعُرف أيضاً بإبراهيم القصَّار .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٠) ، قال العلامة اللخمي : (ومن توهَّم شيئاً من مكان أو زمان أو هيئة أو صفة . . فلم يعرفه تعالىٰ ، ولم يسمَّ عارفاً) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٠) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢١) .

(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢١) .



مِنْ كبارِ مشايخِهِمْ .

ماتَ سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومئتينِ .

قالَ مِمشاذُ : (أدبُ المريدِ : في التزامِ حرماتِ المشايخِ ، وخدمةِ الإخوانِ ، والخروجِ عنِ الأسبابِ ، وحفظِ آدابِ الشرعِ علىٰ نفسِهِ)[1] .

وقالَ مِمْشاذُ : (ما دخلتُ قطُّ علىٰ أحدٍ مِنْ شيوخي إلَّا وأنا خالٍ مِنْ جميعِ ما لي ، أنتظرُ بركاتِ ما يردُ عليَّ مِنْ رؤيتِهِ وكلامِهِ ؛ فإنَّ مَنْ دخلَ علىٰ شيخٍ بحظِّهِ . . انقطعَ عنْ بركاتِ رؤيتِهِ ومجالستِهِ وكلامِهِ)[2] .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣١٨) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣١٧) .



صحبَ أبا حمزةَ البغداديَّ ، ولقيَ السريَّ ، وكانَ مِنْ أقرانِ النُّوريِّ ، إلَّا أنَّهُ عُمِّرَ طويلاً ، وعاشَ ـ كما قيلَ ـ مئةً وعشرينَ سنةً ، وتابَ في مجلسِهِ الشِّبليُّ والخوَّاصُ ، وكانَ أستاذَ الجماعةِ .

وقيلَ : كانَ اسمُهُ محمدَ بنَ إسماعيلَ ، مِنْ سامرَّا[1] .

وإنَّما سُمِّيَ خيراً النَّساجَ ؛ لأنَّهُ خرجَ إلى الحجِّ ، فأخذَهُ رجلٌ على بابِ الكوفةِ وقالَ : أنتَ عبدي ، واسمُكَ خيرٌ ، وكانَ أسودَ ، فلمْ يخالفْهُ ، واستعملَهُ الرجلُ في نسجِ الخزِّ ، وكانَ يقولُ : يا خيرُ ؛ فيقولُ : لبَّيكَ ، ثمَّ قالَ لهُ الرجلُ بعدَ سنينَ : غلِطتُ ، لا أنتَ عبدي ، ولا اسمُكَ خيرٌ ، فمضىٰ وقالَ : لا أغيِّرُ اسماً سمَّاني بهِ رجلٌ مسلمٌ[2] .

وقالَ : (الخوفُ سَوْطُ اللهِ يقوِّمُ بهِ أنفساً قدْ تعوَّدَتْ سوءَ الأدبِ)[3] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ القَزوينيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ المالكيَّ يقولُ : سألتُ مَنْ حَضَرَ موتَ خيرٍ النسَّاجِ عنْ أمرِهِ ، فقالَ : لمَّا حضرَتْ صلاةُ المغربِ . . غُشِيَ عليهِ ، ثمَّ فتحَ عينيهِ وأومأَ إلىٰ ناحيةِ البيتِ وقالَ : قِفْ عافاكَ اللهُ ؛ فإنَّما أنتَ عبدٌ مأمورٌ وأنا عبدٌ

---

(١) ويقال لها : سامُرَّة أيضاً كما وقع في غير (أ) ، ويقال لها : سامرَّاء بالمد ، مدينة بالقرب من بغداد ، وكان يكنىٰ بأبي الحسن ، كما في « طبقات السلمي » (ص ٣٢٢) .
(٢) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٢) .
(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٥) .

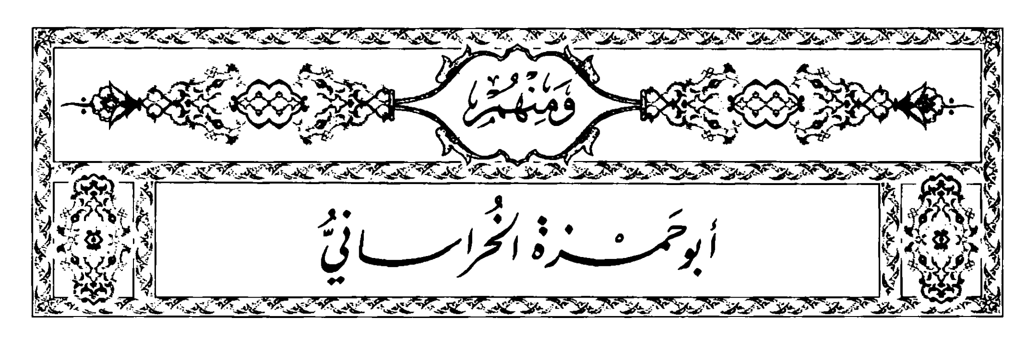
مأمورٌ ، وما أُمرتَ بهِ لا يفوتُكَ ، وما أُمرتُ بهِ يفوتُني ، ودعا بماءٍ فتوضَّأَ للصلاةِ وصلَّىٰ ، ثمَّ تمدَّدَ وغمَّضَ عينيهِ وتشهَّدَ .

فرُئيَ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : لا تسألْني عنْ هـٰذا ، ولـٰكنِّي استرحتُ مِنْ دنياكُمُ الوَضِرةِ [1] .

* * *

---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٠٧) ، والخطيب في « تاريخه » (٢/٤٧) بتفصيل ، والوَضِرة : الوسخة كما في هامش (أ) ، أو ذات الرائحة الكريهة .



أبو حمزة الخراسانيّ

نيسابوريٌّ ، مِنْ محلَّةِ مُلْقاباذَ .

مِنْ أقرانِ الجنيدِ والخرَّازِ وأبي ترابِ النَّخْشبيِّ ، وكانَ وَرِعاً ديِّناً .

قالَ أبو حمزةَ : (مَنِ استشعرَ ذكرَ الموتِ . . حبَّبَ اللهُ إليهِ كلَّ باقٍ ، وبغَّضَ إليهِ كلَّ فانٍ)(١) .

وقالَ : (العارفُ يدافعُ عيشَهُ يوماً بيومٍ ، ويأخذُ عيشَهُ يوماً ليومٍ)(٢) .

وقالَ لهُ رجلٌ : أوصِني ، فقالَ : هيِّئْ زادَكَ للسفرِ الذي بينَ يديكَ(٣) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الطيِّبِ العَكِّيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ المصريَّ يقولُ : سمعتُ أبا حمزةَ الخُراسانيَّ يقولُ : (كنتُ قدْ بقِيتُ مُحْرِماً في عَباءٍ أسافرُ كلَّ سنةٍ ألفَ فرسخٍ ، تطلُعُ عليَّ الشمسُ وتغربُ ، كلَّما أحللتُ . . أحرمتُ)(٤) .

توفيَ سنةَ تسعينَ ومئتينِ رحمَهُ اللهُ .

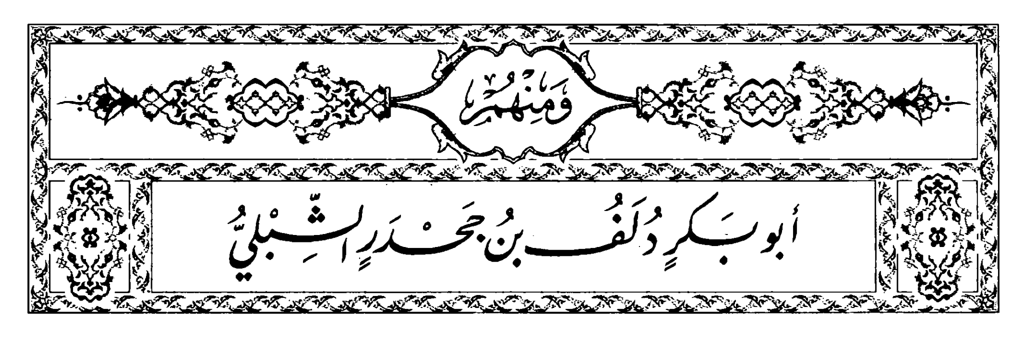
* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٦) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٣) كلاهما عن محمد بن الفضل البلخي ، ومعنىٰ (يدافع عيشه . . .) : يقتات ما يكفيه ليومه فقط .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٢٧) بزيادة .

(٤) وكان أبو عبد الله المغربي علىٰ هاذه الحالة كما سيأتي (ص ٦٠٤) ، ومع هاذا لم يتسخ له ثوب ، ولا طال له ظفر ولا شعر .



بغداديُّ المولدِ والمنشأ ، أصلُهُ مِنْ أُشْرُوسَنةَ (١) .

صحبَ الجنيدَ ومَنْ في عصرِهِ ، وكانَ نسيجَ وحدِهِ حالاً وظَرْفاً وعلماً .

مالكيُّ المذهبِ .

عاشَ سبعاً وثمانينَ سنةً ، وماتَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، وقبرُهُ ببغدادَ (٢) .

ولمَّا تابَ الشِّبليُّ في مجلسِ خيرٍ النسَّاجِ . . أتىٰ دُماوَندَ (٣) وقالَ : كنتُ واليَ بلدِكُمْ ، فاجعلوني في حلٍّ (٤) .

ومجاهداتُهُ في بدايتِهِ فوقَ الحدِّ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدَّقَّاقَ يقولُ : بلغَني أنَّهُ اكتحلَ بكذا وكذا مِنَ المِلحِ ليعتادَ السهرَ ولا يأخذَهُ النومُ .

ولوْ لمْ يكنْ مِنْ تعظيمِهِ للشرعِ إلَّا ما حكاهُ بكرانُ الدِّينَوَريُّ في آخرِ عمرِهِ . . لكانَ كثيراً (٥) .

---

(١) أُشْرُوسنةَ : بلدة كبيرة بين سيحون وسمرقند ، ويقال : أَسْرُوشنة ، والمثبت أشهر . انظر « معجم البلدان » (١/١٩٧) .

(٢) في مقبرة الخيزران ، والسياق عند السلمي في « طبقاته » (ص ٣٣٧) .

(٣) دُماوند : بلدة بين الرَّيِّ وطبرستان ، ويقال لها : دُباوند ودنباوند أيضاً .

(٤) قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (وهـٰذا من كمال الصدق ، وعدم الالتفات لحظ النفس ، والتذلل في استحلال الخصوم ؛ لأن غالب الولاة عدم جريان أحوالهم علىٰ مقتضى العلم) ، فجمع بين التوبة من حقوق الخالق والمخلوقين .

(٥) سيأتي خبر له (ص ٦٣٢) ، وبكران المذكور كان خادماً للشبلي رحمهما الله تعالىٰ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : كانَ الشِّبليُّ يقولُ في آخرِ أيامِهِ : [من الوافر]

وَكَمْ مِنْ مَوْضِعٍ لَوْ مُتُّ فِيهِ لَكُنْتُ بِهِ نَكَالاً فِي ٱلْعَشِيرَهْ[1]

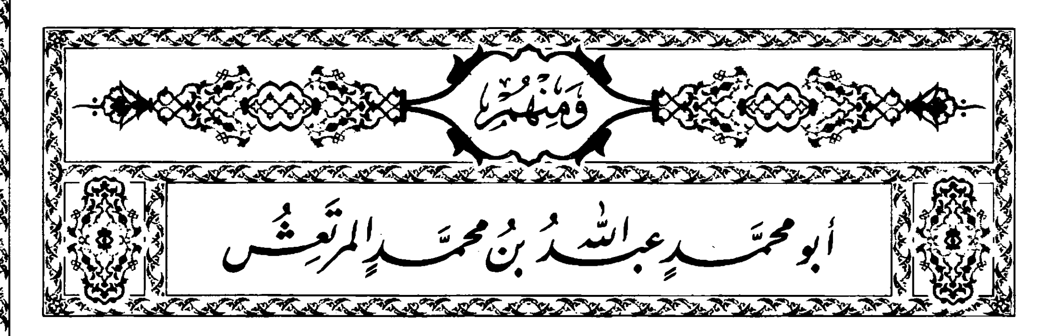
وكانَ الشِّبليُّ إذا دخلَ شهرُ رمضانَ .. جدَّ في الطاعاتِ ، ويقولُ : هـٰذا شهرٌ عظَّمَهُ ربّي ، فأنا أَوْلىٰ مَنْ يعظِّمُهُ[2] .

سمعتُ الأستاذ أبا عليٍّ يحكي ذٰلكَ .

* * *

(١) البيت أنشده ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٢٣) لأحمد بن موسى الثقفي ضمن قصيدة له ، ونكالاً : عبرة .

(٢) ممَّن عاصرني . « إحكام الدلالة » (١٨٩/١) ، وفيها : (جدَّ في الطاعات فوق جدِّ من عاصره) ، وفي (ي) : (أوَّل) بدل (أولىٰ) .



نيسابوريٌّ ، مِنْ محلَّةِ الحِيرةِ ، وقيلَ : مِنْ مُلْقاباذَ .

صحبَ أبا حفصٍ وأبا عثمانَ ، ولقيَ الجنيدَ .

وكانَ كبيرَ الشأنِ ، وكانَ يقيمُ في مسجدِ الشُّونيزيَّةِ .

ماتَ رَحِمَهُ اللهُ ببغدادَ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ .

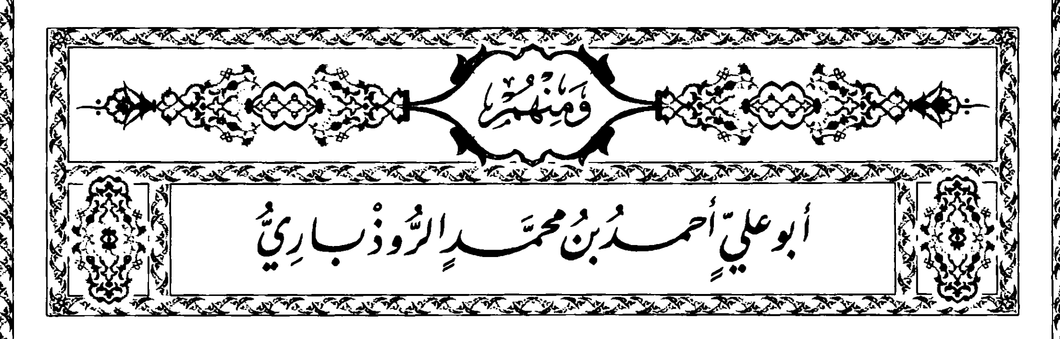
قالَ المرتعشُ : (الإرادةُ : حبسُ النفسِ عنْ مراداتِها ، والإقبالُ على أوامرِ اللهِ تعالى ، والرضا بمواردِ القضاءِ عليهِ)(١) .

وقيلَ لهُ : إنَّ فلاناً يمشي على الماءِ ! فقالَ : عندي مَنْ مكَّنَهُ اللهُ تعالى مِنْ مخالفةِ هواهُ . . فهوَ أعظمُ مِنَ المشيِ في الهواءِ(٢) .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٥١) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٥١) .



بغداديٌّ ، أقامَ بمصرَ ، وماتَ بها سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ .

صحبَ الجنيدَ والنُّوريَّ وابنَ الجَلَّا والطبقةَ .

أظرفُ المشايخِ وأعلمُهُمْ بالطريقةِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الدمشقيَّ يقولُ : سُئِلَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ عمَّنْ يسمعُ الملاهيَ ويقولُ : هيَ لي حلالٌ ؛ لأنِّي قدْ وصلتُ إلىٰ درجةٍ لا يؤثِّرُ فيَّ اختلافُ الأحوالِ ، فقالَ : نعمْ ، قدْ وصلَ ولـٰكنْ إلىٰ سَقَرَ (١) .

وسُئِلَ عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : هـٰذا مذهبٌ كلُّهُ جدٌّ ، فلا تخلِطوهُ بشيءٍ مِنَ الهزْلِ (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : (مِنَ الاغترارِ : أنْ تسيءَ فيحسنَ إليكَ ، فتتركَ الإنابةَ والتوبةَ توهُّماً أنَّكَ تُسامحُ في الهفواتِ ، وترىٰ أنَّ ذٰلكَ مِنْ بسْطِ الحقِّ لكَ) (٣) .

وقالَ : (كانَ أستاذي في التصوُّفِ الجنيدُ ، وفي الفقهِ أبو العباسِ ابنُ سُريجٍ ، وفي الأدبِ ثعلبٌ ، وفي الحديثِ إبراهيمُ الحربيُّ) (٤) .

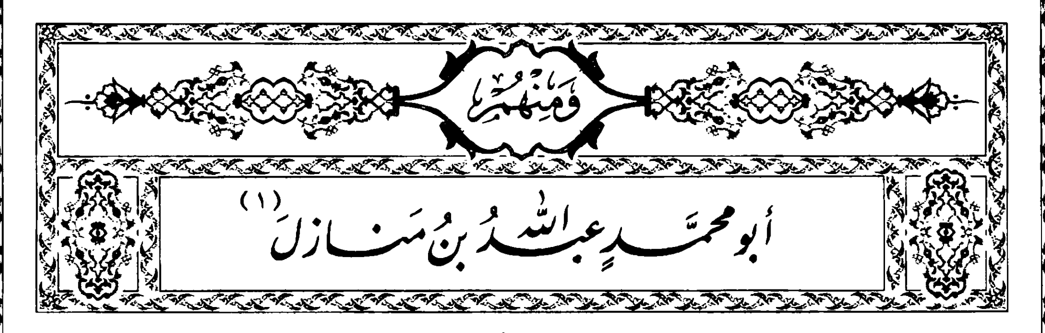
---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٥٦) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٥٧) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٥٩) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٦٠) ، وأعظم بمن تخرَّج بهـٰؤلاء !



شيخُ المَلامَتيَّةِ ، وأوحدُ وقتِهِ .

صحبَ حَمْدوناً القصَّارَ ، وكانَ عالماً ، كتبَ الحديثَ الكثيرَ .

ماتَ رحمَهُ اللهُ بنيسابورَ سنةَ تسعٍ وعشرينَ ـ أو ثلاثينَ ـ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ المعلِّمَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ مَنازلَ يقولُ : (لمْ يضيِّعْ أحدٌ فريضةً مِنَ الفرائضِ إلَّا ابتلاهُ اللهُ بتضييعِ السُّننِ ، ولمْ يُبْتَلَ أحدٌ بتضييعِ السُّننِ إلَّا يُوشكُ أنْ يُبتلىٰ بالبدعِ)(٢) .

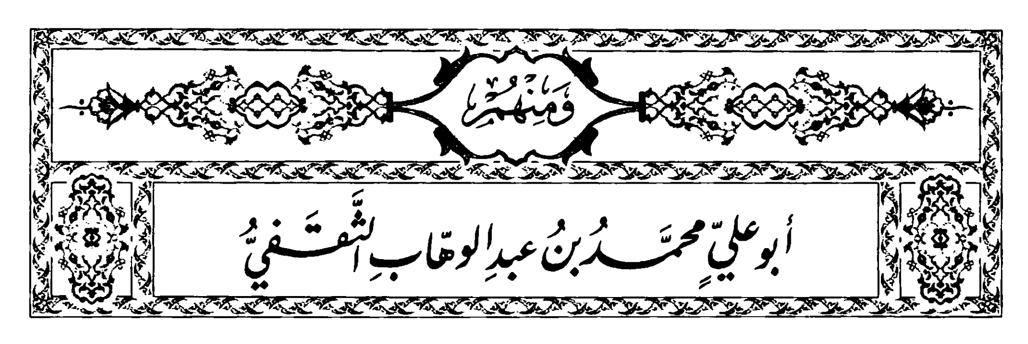
سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ بنَ عيسىٰ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ مَنازلَ يقولُ : (أفضلُ أوقاتِكَ : وقتٌ تسلمُ فيهِ مِنْ هواجسِ نفسِكَ ، ووقتٌ يسلمُ الناسُ فيهِ مِنْ سوءِ ظنِّكَ) .

* * *

---

(١) ذكره الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (ن ز ل) وضبطه بوزان (مَساجد) ، وذكر سنة وفاته (٣٣١ هـ) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٦٩) .



إمامُ الوقتِ ، صحبَ أبا حفصٍ وحَمْدوناً القصَّارَ ، وبهِ ظهرَ التصوُّفُ بنيسابورَ .

ماتَ رحمَهُ اللهُ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الثقفيَّ يقولُ : (لوْ أنَّ رجلاً جمعَ العلومَ كلَّها وصحبَ طوائفَ الناسِ . . لا يبلغُ مبلغَ الرجالِ إلَّا بالرياضةِ مِنْ شيخٍ أوْ إمامٍ أوْ مؤدِّبٍ ناصحٍ ، ومَنْ لمْ يأخذْ أدبَهُ مِنْ أستاذٍ يريهِ عيوبَ أعمالِهِ ورُعوناتِ نفسِهِ . . لا يجوزُ الاقتداءُ بهِ في تصحيحِ المعاملاتِ)(١) .

وقالَ أبو عليٍّ : (يأتي علىٰ هـٰذهِ الأمَّةِ زمانٌ لا تطيبُ المعيشةُ فيهِ لمؤمنٍ إلَّا بعدَ استنادِهِ إلىٰ منافقٍ)(٢) .

وقالَ : (أفٍّ مِنْ أشغالِ الدنيا إذا أقبلَتْ ، وأفٍّ مِنْ حَسَراتِها إذا أدبرَتْ ، والعاقلُ مَنْ لا يركنُ إلىٰ شيءٍ إذا أقبلَ . . كانَ شغلاً ، وإذا أدبرَ . . كانَ حسرةً)(٣) .

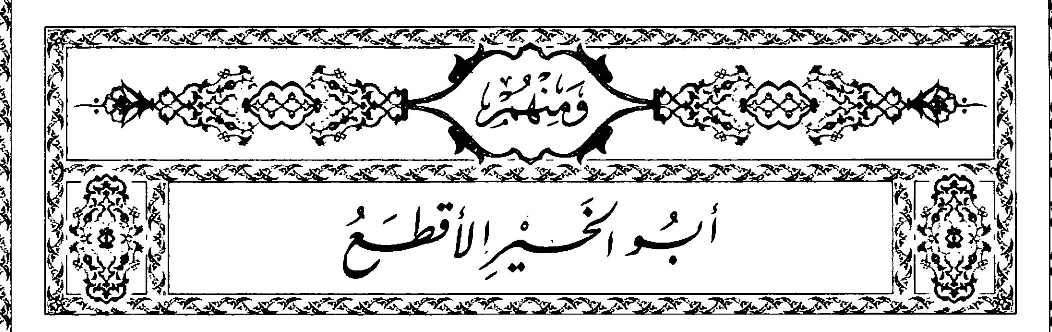
* * *

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٦٥) بنحوه .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٦٥) ، وسبب استناده إلى المنافق : سقوط الديانة ، وذهاب المروءة ، وغياب الرغبة ، فيكون استناده إليه أعون علىٰ قضاء الحاجات ، كما يفيده العلامة اللخمي .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٦٤) .



مغربيُّ الأصلِ ، سكنَ تِيناتَ[1] .

ولهُ كراماتٌ وفراسةٌ حادَّةٌ ، كانَ كبيرَ الشأنِ .

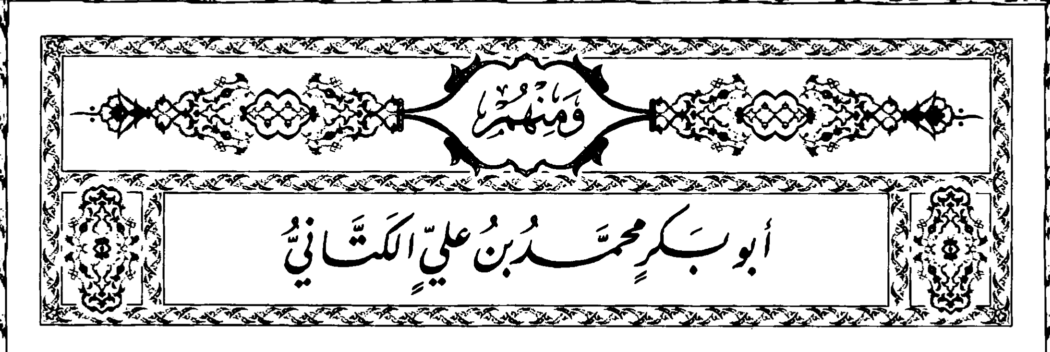
ماتَ سنةَ نيفٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

قالَ أبو الخيرِ : (ما بلغَ أحدٌ إلىٰ حالةٍ شريفةٍ إلَّا بملازمةِ الموافقةِ ، ومعانقةِ الأدبِ ، وأداءِ الفرائضِ ، وصحبةِ الصالحينَ)[2] .

* * *

(١) بلدة على البحر الأبيض من أعمال حلب ، واسم أبي الخير : حمَّاد بن عبد الله ، كما في « تاريخ دمشق » (٦٦/١٦٠) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٧١) .



بغداديُّ الأصلِ .

صحبَ الجنيدَ والخرَّازَ والنُّوريَّ .

جاورَ بمكَّةَ إلىٰ أنْ ماتَ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ .

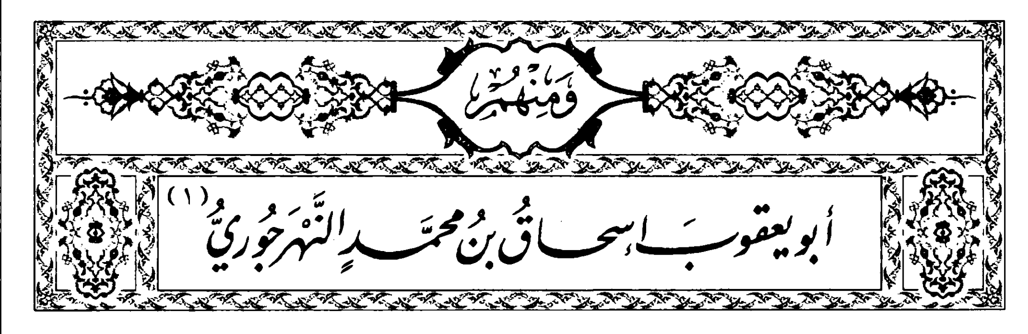
سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : نظرَ الكَتَّانيُّ إلىٰ شيخٍ أبيضِ الرأسِ واللحيةِ يسألُ ، فقالَ : هـٰذا رجلٌ أضاعَ حقَّ اللهِ في صغرِهِ ، فضيَّعَهُ اللهُ في كبرِهِ [1] .

وقالَ الكَتَّانيُّ : (الشهوةُ زِمامُ الشيطانِ ، مَنْ أخذَ بزِمامِهِ .. كانَ عبدَهُ) [2] .

* * *

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٧٥) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٧٤) ، والمعنىٰ : من أخذ الشيطان بزمامه .. كان عبد الشيطان .



أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري[1]

صحبَ عَمْراً المكيَّ وأبا يعقوبَ السُّوسيَّ والجنيدَ وغيرَهُمْ رحمَهُمُ اللهُ .

ماتَ بمكَّةَ مجاوراً سنةَ ثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ النَّهْرَجُوريَّ يقولُ : (الدنيا بحرٌ ، والآخرةُ ساحلٌ ، والمركبُ التقوىٰ ، والناسُ سَفْرٌ)[2] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ النَّهْرَجُوريَّ يقولُ : رأيتُ رجلاً في الطوافِ بفردِ عينٍ يقولُ : أعوذُ بكَ منكَ ، فقلتُ : ما هٰذا الدعاءُ ؟ فقالَ : نظرتُ يوماً إلىٰ شخصٍ فاستحسنتُهُ ، فإذا لطمةٌ وقعَتْ علىٰ بصري ، فسالَتْ عيني ، فسمعتُ هاتفاً يقولُ : لطمةٌ بلحْظةٍ ، ولوْ زدتَ . . لزدناكَ[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ النَّهْرَجُوريَّ يقولُ : (أفضلُ الأحوالِ : ما قارنَ العلمَ) .

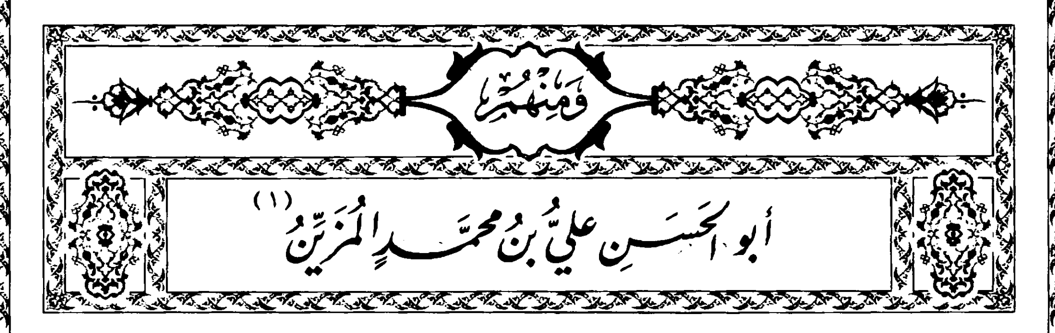
* * *

---

(١) نسبة إلىٰ نهرجور ، بين الأهواز وميسان كما في « معجم البلدان » (٥/٣١٩) ، وسياقه أنها مركبة من (نهر) و(جور) دون مزج ، وعليه تضمُّ الراء الأولىٰ .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٠) قال : (سمعت أبا الحسين يقول : سمعت إبراهيم بن فاتك يقول : سمعت النهرجوري . . .) ، وفي (ب) : (سمعت أبا الحسن أحمد بن علي . . .) ، وفي (أ ، ج) : (أبا الحسين بن أحمد . . .) ، والمثبت من (ل) .

(٣) أورده الشارعي في « مرشد الزوار » (١/٢٦٢) ، واللحظة : النظرة بطرف العين .



مِنْ أهلِ بغدادَ .

مِنْ أصحابِ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ والجنيدِ والطبقةِ .

ماتَ بمكةَ مجاوراً سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ .

وكانَ وَرِعاً كبيراً .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ المزيّنَ يقولُ : (الذنبُ بعدَ الذنبِ عقوبةُ الذنبِ ، والحسنةُ بعدَ الحسنةِ ثوابُ الحسنةِ) (٢) .

وسُئِلَ المزيّنُ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : أنْ تعلمَ أنَّ أوصافَهُ بائنةٌ لأوصافِ خلقِهِ ؛ باينَهُمْ بصفاتِهِ قِدَماً كما باينوهُ بصفاتِهِمْ حَدَثاً (٣) .

وقالَ : (مَنْ لمْ يستغنِ باللهِ .. أحوجَهُ اللهُ إلى الخلْقِ ، ومَنِ استغنىٰ باللهِ .. أحوجَ اللهُ الخلقَ إليهِ) (٤) .

* * *

---

(١) ذكر في « الحلية » (١٠/٣٤٠) : أن من عرف بالمزيّن اثنان ؛ أبو جعفر المزين الكبير ، وأبو الحسن المزين الصغير ، وفي « تاريخ بغداد » (١٢/٧٢) نقلاً عن السلمي : أن أبا الحسن هو الكبير ، ولم يذكر الثاني .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٢) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٤) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٣) ، دون قوله : (من لم يستغنِ بالله .. أحوجه الله إلى الخلق) ، وسقطت هـٰذه الزيادة من (أ ، ب ، ل) من الأصول .



أبو عليّ بنُ الكاتبِ

واسمُهُ : الحسنُ بنُ أحمدَ .

صحبَ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ وأبا بكرٍ المصريَّ وغيرَهما ، كانَ كبيراً في حالِهِ .

ماتَ رحمَهُ اللهُ سنةَ نيفٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

قالَ ابنُ الكاتبِ : (إذا سكنَ الخوفُ القلبَ .. لمْ ينطقِ اللسانُ إلَّا بما يعنيهِ)[١] .

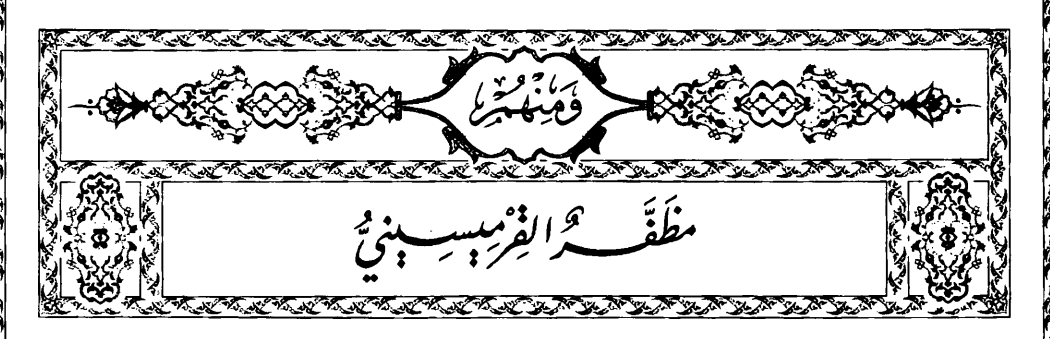
وقالَ ابنُ الكاتبِ : (المعتزلةُ نزَّهوا اللهَ عزَّ وجلَّ مِنْ حيثُ العقلُ فأخطؤوا ، والصوفيَّةُ نزَّهوهُ مِنْ حيثُ العلمُ فأصابوا)[٢] .

* * *

---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٧) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٦) ، فلا حكم قبل ورود الشرع ، ودائرة العلم أوسع من دائرة العقل ، ووقع هنا في هامش (أ) : (بلغ) .



مِنْ مشايخِ الجبلِ[1] .

صحبَ عبدَ اللهِ الخرَّازَ وغيرَهُ .

قالَ مظفَّرٌ القِرْمِيسينيُّ : (الصومُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ : صومُ الروحِ بقصرِ الأملِ ، وصومُ العقلِ بخلافِ الهوىٰ ، وصومُ النفسِ بالإمساكِ عنِ الطعامِ والمحارمِ)[2] .

وقالَ : (أخسُّ الإرفاقِ : إرفاقُ النُّسوانِ علىٰ أيِّ وجهٍ كانَ)[3] .

وقالَ : (الجوعُ إذا ساعدَهُ القناعةُ . . فهوَ مزرعةُ الفكرِ ، ويَنبوعُ الحكمةِ ، وحياةُ الفطنةِ ، ومصباحُ القلبِ)[4] .

وقالَ : (أفضلُ أعمالِ العبيدِ : حفظُ أوقاتِهم ؛ وهوَ ألَّا يقصِّروا في أمرٍ ، ولا يتجاوزوا عنْ حدٍّ)[5] .

وقالَ : (مَنْ لمْ يأخذِ الأدبَ عنْ حكيمٍ . . لمْ يتأدَّبْ بهِ مريدٌ)[6] .

* * *

(١) في مطبوعة « إحكام الدلالة » (١٩٧/١) : (أي : جبل سفح قاسون) ، ولعله أراد جبل قاسيون بالشام ، وتقدم بيان إقليم الجبال (ص ١٧٣) .

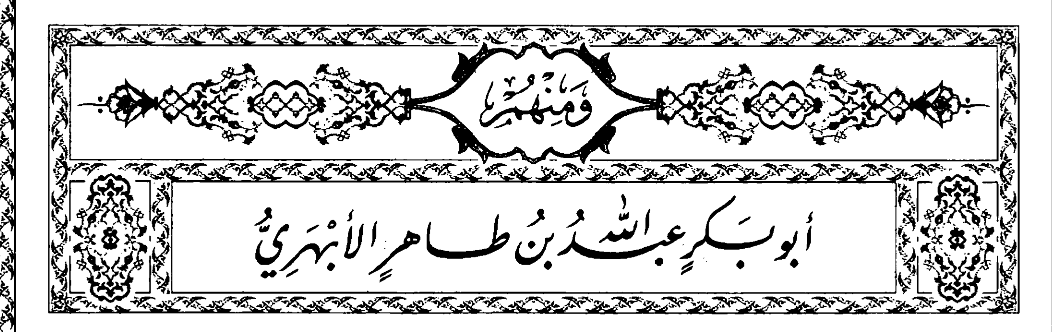
(٢) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٦) .

(٣) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٦) ، والإرفاق ـ بكسر الهمزة ، وضبط في (ي) بفتحها على أنه جمع ـ : الإحسان ، مصدر أرفق ، ومفاده : مخالطتهن .

(٤) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٧) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦١/١٠) ، وأورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٨) .

(٦) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٨) .



مِنْ أقرانِ الشِّبليِّ ، مِنْ مشايخِ الجبلِ .

عالمٌ وَرِعٌ ، صحبَ يوسفَ بنَ الحسينِ وغيرَهُ .

ماتَ بقربِ الثلاثينَ والثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ طاهرٍ يقولُ : (مِنْ حكْمِ الفقيرِ ألَّا يكونَ لهُ رغبةٌ ، فإنْ كانَ ولا بدَّ . . فلا تجاوزُ رغبتُهُ كفايتَهُ)[1] .

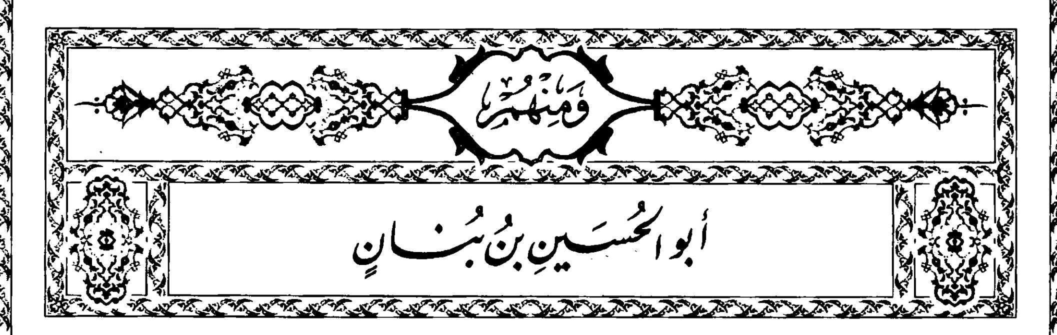
وبهٰذا الإسنادِ قالَ : (إذا أحببتَ أخاً في اللهِ . . فأقِلَّ مخالطتَهُ في الدنيا)[2] .

* * *

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٤) ، قال العلامة اللخمي : (كفايته : يعني المحتاج إليه) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٤) .



أبو الحُسَين بن بُنانٍ

ينتمي إلىٰ أبي سعيدٍ الخرَّازِ .

مِنْ كبارِ مشايخِ مصرَ .

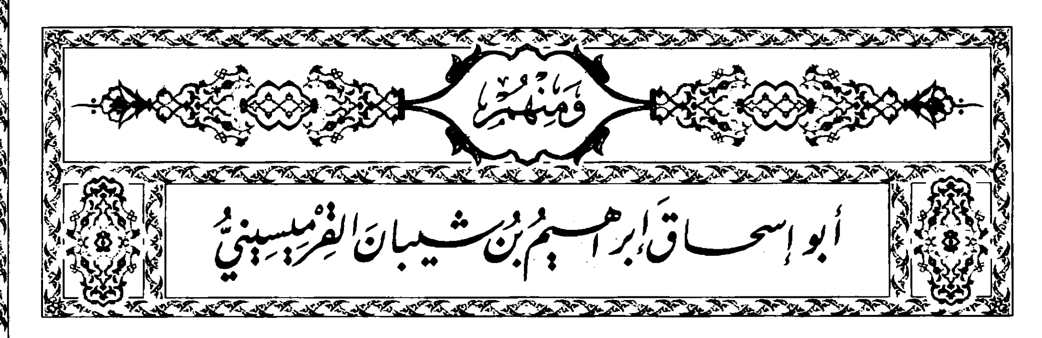
قالَ ابنُ بُنانٍ : (كلُّ صوفيٍّ كانَ همُّ الرزقِ قائماً في قلبِهِ . . فلزومُ العملِ أقربُ لهُ ، وعلامةُ سكونِ القلبِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ : أنْ يكونَ بما في يدِ اللهِ أوثقَ منهُ بما في يدِهِ)[1] .

وقالَ : (اجتنبوا دناءةَ الأخلاقِ كما تجتنبونَ الحرامَ)[2] .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٩) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٠) .



شيخُ وقتِهِ .

صحبَ أبا عبدِ اللهِ المغربيَّ والخوَّاصَ وغيرَهما .

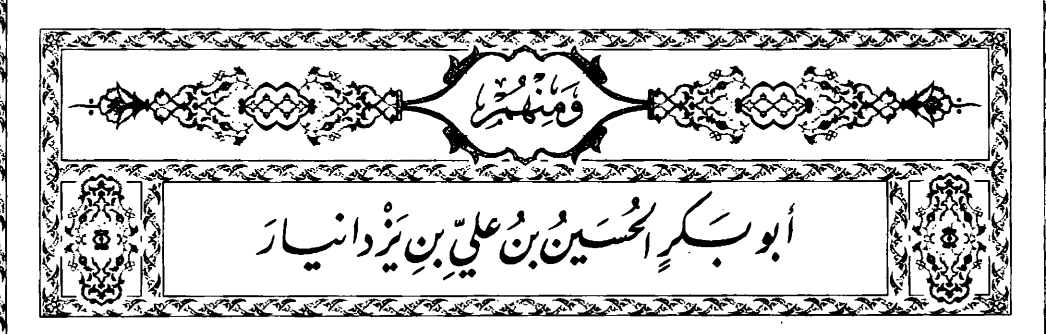
سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا زيدٍ المَرْوزيَّ الفقيهَ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ شيبانَ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ يتعطَّلَ ويتبطَّلَ .. فليلزمِ الرُّخَصَ)(١) .

وبهٰذا الإسنادِ قالَ : (علمُ الفناءِ والبقاءِ يدورُ علىٰ إخلاصِ الوحدانيةِ وصحَّةِ العبوديةِ ، وما كانَ غيرَ هٰذا فهوَ المغاليطُ والزندقةُ)(٢) .

وقالَ إبراهيمُ : (السَّفِلَةُ : مَنْ يعصي اللهَ عزَّ وجلَّ)(٣) .

* * *

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٠٣) .
(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٠٤) .
(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٠٤) .



مِنْ أهلِ أُرْمِيَةَ(١) .

لهُ طريقةٌ يختصُّ بها في التصوُّفِ .

وكانَ عالماً ورعاً .

وكانَ ينكرُ على بعضِ العراقيينَ في الإطلاقاتِ في الخلافاتِ وألفاظٍ لهُمْ(٢) .

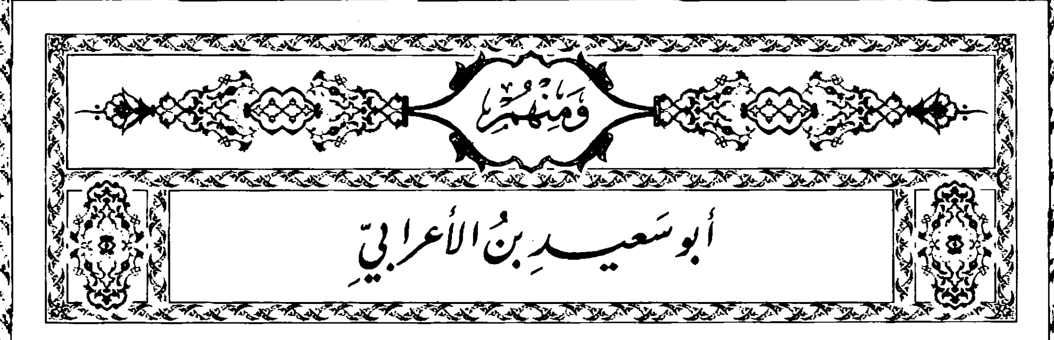
قالَ ابنُ يَزْدانيارَ : (إيَّاكَ أنْ تطمعَ في الأُنسِ باللهِ وأنتَ تحبُّ الأنسَ بالناسِ ، وإيَّاكَ أنْ تطمعَ في حبِّ اللهِ وأنتَ تحبُّ الفضولَ ، وإيَّاكَ أنْ تطمعَ في المنزلةِ عندَ اللهِ وأنتَ تحبُّ المنزلةَ عندَ الناسِ)(٣) .

* * *

(١) أُرمية : بلدة عظيمة قديمة بأذرَبيجان ، النسبة إليها : أُرْمَوي على غير القياس ، وفي (ي) : (إرمينية) .

(٢) انظر « اللمع » (ص ٥٠٢ ، ٥٠٤) ، واسمه عند الإمام السرَّاج : علي بن الحسن .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٠٧) .



واسمُهُ : أحمدُ بنُ محمدِ بنِ زيادٍ البصريُّ .

جاورَ الحرمَ بمكَّةَ ، وماتَ بها سنةَ إحدىٰ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

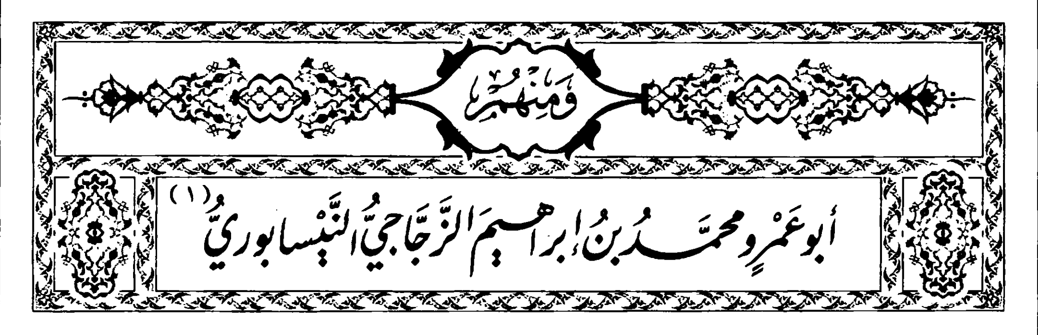
صحبَ الجنيدَ وعمرَو بنَ عثمانَ المكيَّ والنُّوريَّ وغيرَهُمْ [١] .

قالَ ابنُ الأعرابيِّ : (أخسرُ الخاسرينَ : مَنْ أبدىٰ للناسِ صالحَ أعمالِهِ ، وبارزَ بالقبيحِ مَنْ هوَ أقربُ إليهِ مِنْ حبلِ الوريدِ) [٢] .

* * *

(١) قال السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٢٧) : (صنف للقوم كتباً كثيرة) ، منها ما لخَّصه السراج في « اللمع » (ص ٣٨٥) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٢٨) ، ووقع هنا في هامش (أ) : (بلغ) .



جاورَ بمكَّةَ سنينَ كثيرةً ، وماتَ بها رحمَهُ اللهُ .

صحبَ الجنيدَ وأبا عثمانَ والنُّوريَّ والخوَّاصَ ورُويماً .

ماتَ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدِّي أبا عمرِو بنَ نُجيدٍ يقولُ : سُئِلَ أبو عمرٍو الزَّجَّاجيُّ : ما بالُك تتغيَّرُ عندَ التكبيرةِ الأولىٰ في الفرائضِ ؟ فقالَ : لأنَّني أخشىٰ أفتتحُ فريضتي بخلافِ الصدقِ ؛ فمنْ يقولُ : (اللهُ أكبرُ) وفي قلبِهِ شيءٌ أكبرُ منهُ ، أوْ قدْ كبَّرَ شيئاً سواهُ علىٰ مرورِ الأوقاتِ . . فقدْ كذَّبَ نفسَهُ علىٰ لسانِهِ (٢) .

وقالَ : (مَنْ تكلَّمَ عنْ حالٍ لمْ يصلْ إليها . . كانَ كلامُهُ فتنةً لمَنْ يسمعُهُ ، ودعوىٰ تتولَّدُ في قلبِهِ ، وحرَمَهُ اللهُ الوصولَ إلىٰ تلكَ الحالِ) (٣) .

جاورَ بمكَّةَ سنينَ كثيرةً لمْ يتطهَّرْ في الحرمِ (٤) ، كانَ يخرجُ إلى الحِلِّ يتطهَّرُ ؛ احتراماً للحرمِ .

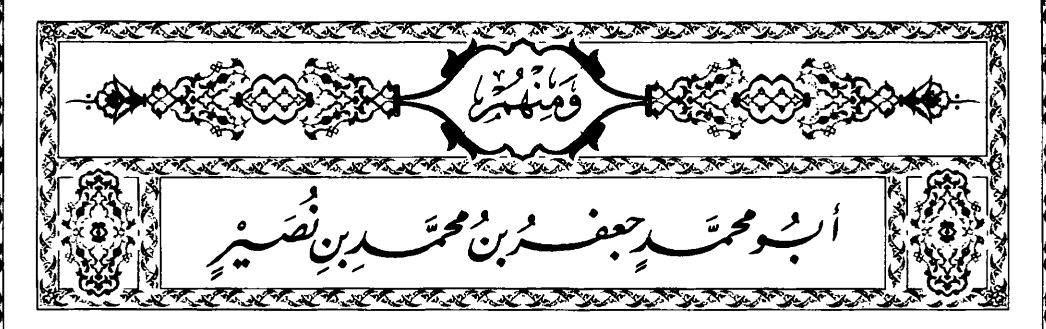
* * *

(١) ويقال : الزُّجاجي بضم الزاء وتخفيف الجيم نسبة إلى الزجاج لا إلىٰ عمله . انظر « إحكام الدلالة » (٢٠٢/١) ، وضبط اللقب بهما معاً في (ي) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٣١) ، وفيها وفي غير (أ) : (لأني أفتتح) بإسقاط (أخشىٰ) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٣٢) .

(٤) في (ب) : (ولم يتطهر) بزيادة واو .



بغداديُّ المولدِ والمنشأ .

صحبَ الجنيدَ وانتمىٰ إليهِ ، وصحبَ النُّوريَّ ورُويماً وسُمْنوناً والطبقةَ .

ماتَ ببغدادَ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

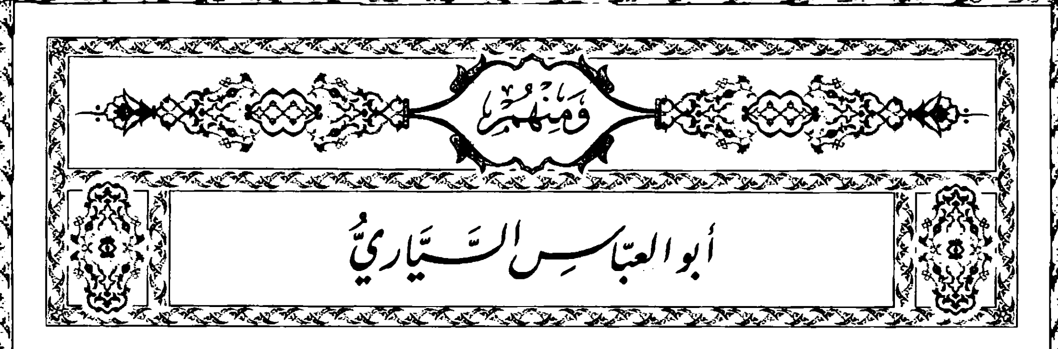
قالَ جعفرٌ : (لا يجدُ العبدُ لذَّةَ المعاملةِ معَ لذَّةِ النفسِ ؛ لأنَّ أهلَ الحقائقِ قطعوا العلائقَ التي تقطعُهُمْ عنِ الحقِّ قبلَ أنْ تقطعَهُمُ العلائقُ)(١) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : (إنَّ ما بينَ العبدِ وبينَ الوجودِ أنْ تسكنَ التقوىٰ قلبَهُ ، فإذا سكنَ التقوىٰ قلبَهُ . . نزلَ عليهِ بركاتُ العلمِ ، وزالَ عنهُ رغبةُ الدنيا)(٢) .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٣٦) ، يُعرف المترجم له بجعفر الخُلْدي ، روى الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٣٥/٧) أنه قال : كنت يوماً عند الجنيد بن محمد وعنده جماعة من أصحابه يسألونه عن مسألة ، فقال لي : يا أبا محمد ؛ أجبهم ، قال : فأجبتهم ، فقال : يا خُلْدي ؛ من أين لك هـٰذه الأجوبة ؟! فجرى اسم الخلدي عليَّ إلىٰ يومي هـٰذا .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٣٨) .



واسمُهُ : القاسمُ بنُ القاسمِ ، مِنْ مروَ .

صحبَ الواسطيَّ وانتمىٰ إليهِ في علومِ هـٰذهِ الطائفةِ .

وكانَ عالماً .

ماتَ رحمَهُ اللهُ سنةَ اثنتينِ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

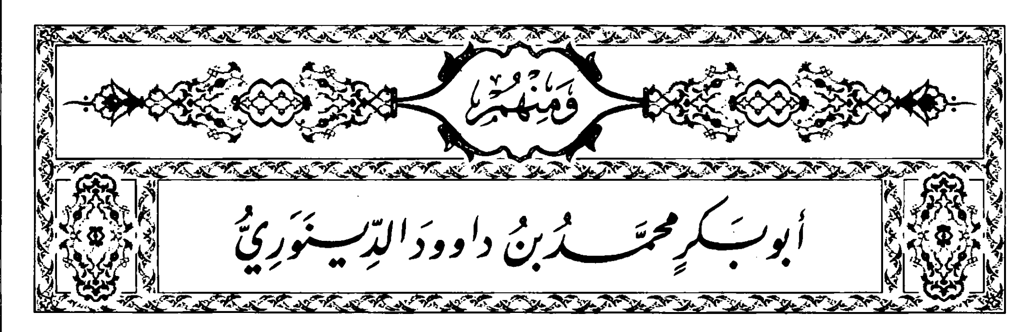
سُئِلَ أبو العبَّاسِ السَّيَّاريُّ : بماذا يروضُ المريدُ نفسَهُ ؟ فقالَ : بالصبرِ على الأوامرِ ، واجتنابِ النواهي ، وصحبةِ الصالحينَ ، وخدمةِ الفقراءِ[1] .

وقالَ : (ما التذَّ عاقلٌ بمشاهدةٍ قطُّ ؛ لأنَّ مشاهدةَ الحقِّ فناءٌ ليسَ فيهِ لذَّةٌ)[2] .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٤٤) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٤٤) .



المعروفُ بالدُّقِّيِّ .

أقامَ بالشامِ .

وعاشَ أكثرَ مِنْ مئةِ سنةٍ .

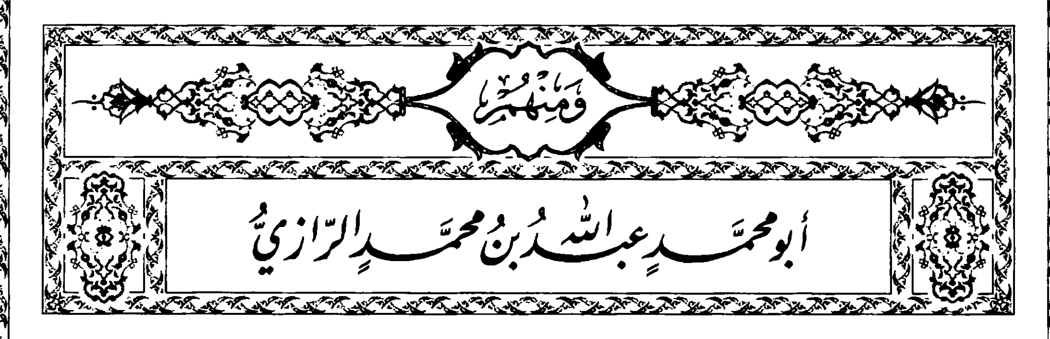
ماتَ بعدَ الخمسينَ وثلاثِ مئةٍ .

صحبَ ابنَ الجَلّا والزَّقّاقَ .

قالَ أبو بكرٍ الدُّقيُّ : (المعدةُ موضعٌ يجمعُ الأطعمةَ ، فإذا طرحْتَ فيها الحلالَ . . صدرَتِ الأعضاءُ بالأعمالِ الصالحةِ ، وإذا طرحْتَ فيها الشبهةَ . . اشتبهَ عليكَ الطريقُ إلى اللهِ تعالىٰ ، وإذا طرحْتَ فيها التبعاتِ . . كانَ بينَكَ وبينَ أمرِ اللهِ تعالىٰ حجابٌ)(١) .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٤٩) ، والتبعاتُ : الحرامُ كما هي الرواية عنده .



مولدُهُ ومنشؤُهُ بنيسابورَ .

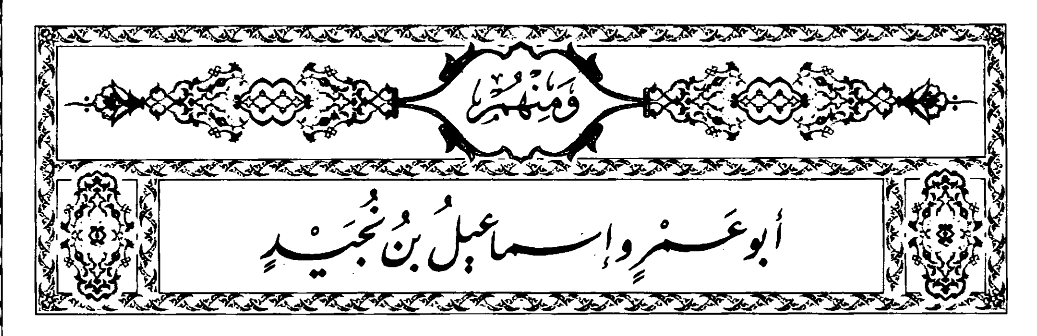
صحبَ أبا عثمانَ الحِيريَّ ، والجنيدَ ، ويوسفَ بنَ الحسينِ ، ورُويماً ، وسُمْنوناً ، وغيرَهُمْ رحمَهُمُ اللهُ .

ماتَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الصائغَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ وقدْ سُئِلَ : ما بالُ الناسِ يعرفونَ عيوبَهُمْ ولا يرجعونَ إلى الصوابِ ؟ فقالَ : لأنَّهُمُ اشتغلوا بالمباهاةِ بالعلمِ ولمْ يشتغلوا باستعمالِهِ ، واشتغلوا بالظواهرِ ولمْ يشتغلوا بآداب البواطنِ ، فأعمى اللهُ قلوبَهُمْ عنِ النظرِ إلى الصوابِ ، وقيَّدَ جوارحَهُمْ عنِ العباداتِ (١) .

* * *

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥٢) كذا عن الصائغ عن الرازي ، والسُّلمي يروي عن عبد الله الرازي مباشرة كما جاء في عامة النسخ ، وبواسطة كما هنا .



صحبَ أبا عثمانَ [1] ، ولقيَ الجنيدَ ، وكانَ كبيرَ الشأنِ ، آخرُ مَنْ ماتَ مِنْ أصحابِ أبي عثمانَ .

توفي سنةَ ستٍّ وستينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدِّي أبا عمرِو بنَ نُجيدٍ يقولُ : (كلُّ حالٍ لا يكونُ عنْ نتيجةِ علمٍ . . فإنَّ ضررَهُ علىٰ صاحبِهِ أكثرُ مِنْ نفعِهِ) [2] .

وقالَ : وسمعتُهُ يقولُ : (مَنْ ضيَّعَ في وقتٍ مِنْ أوقاتِهِ فريضةً افترضَ اللهُ تعالىٰ عليهِ . . حُرِمَ لذَّةَ تلكَ الفريضةِ إلَّا بعدَ حينٍ) [3] .

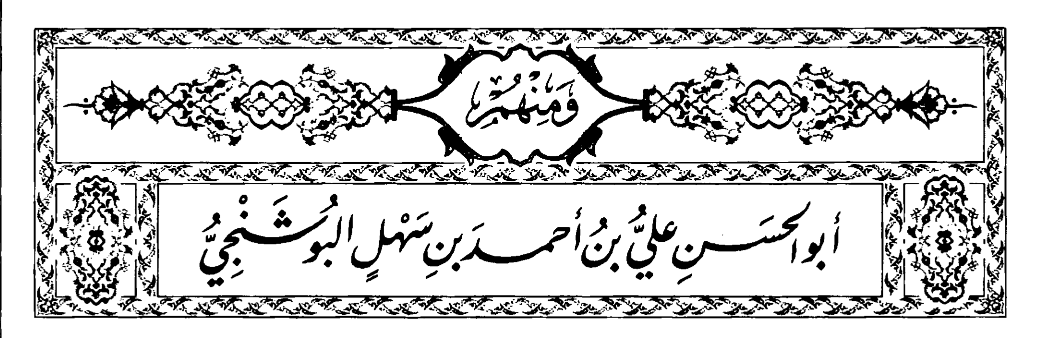
قالَ : وسُئِلَ عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : الصبرُ تحتَ الأمرِ والنهيِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُهُ يقولُ ذٰلكَ [4] .

وسمعتُ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدِّي يقولُ : (آفةُ العبدِ : رضاهُ مِنْ نفسِهِ بما هوَ فيهِ) [5] .

* * *

(١) يعني : الحِيريَّ كما صرَّح به سبطه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥٤) .
(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥٥) ، والمترجم له جدُّ السُّلميِّ لأمِّه كما صرَّح .
(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥٥) ، قوله : (إلا بعد حين) يعني : إلا أن يعفو عنه فيعيد له لذَّتها ، وفي (ي) : (ولو بعد حين) .
(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥٤) .
(٥) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٣٢) .



أحدُ فتيانِ خُراسانَ .

لقيَ أبا عثمانَ ، وابنَ عطاءٍ ، والجُرَيريَّ ، وأبا عمرَ الدمشقيَّ .

ماتَ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وثلاثِ مئةٍ (١) .

سُئِلَ البُوشَنجيُّ عنِ المروءةِ ، فقالَ : تركُ استعمالِ ما هوَ محرَّمٌ عليكَ معَ الكرامِ الكاتبينَ (٢) .

وقالَ لهُ إنسانٌ : ادعُ اللهَ لي ، فقالَ : أعاذَكَ اللهُ مِنْ فتنتِكَ (٣) .

وقالَ البُوشَنجيُّ : (أوَّلُ الإيمانِ منوطٌ بآخرِهِ) (٤) .

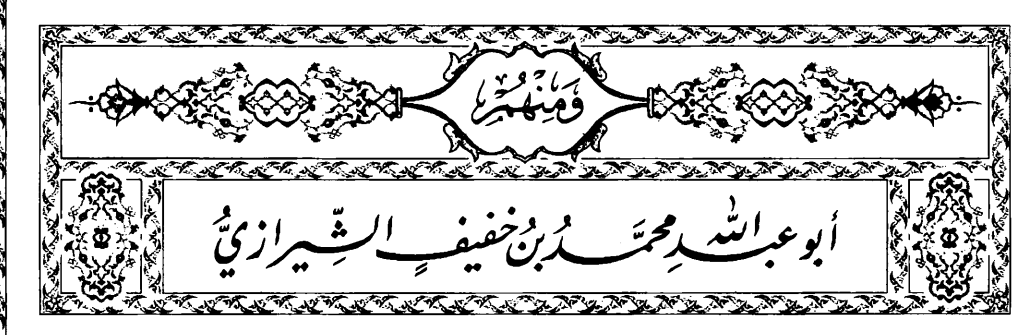
* * *

(١) في (أ) وحدها من الأصول : (مات سنة أربعين وثلاث مئة) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٠) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦١) بزيادة : (وبلائك) ، وقال : (لأن الفتنة والبلاء ليسا إلا من نفسه) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦١) ، وتمامه : (ألا ترى أن عقد الإيمان « لا إله إلا الله » ، والإسلامُ منوطٌ بأداء الشريعة بالإخلاص ، قال الله تعالى في سورة البينة (٥) : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾) .



صحبَ رُويماً ، والجُرَيريَّ ، وابنَ عطاءٍ ، وغيرَهُمْ .

ماتَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ .

شيخُ الشيوخِ وأوحدُ وقتِهِ .

قالَ ابنُ خَفيفٍ : (الإرادةُ : استدامةُ الكدِّ ، وتركُ الراحةِ)[1] .

وقالَ : (ليسَ شيءٌ أضرَّ بالمريدِ مِنْ مسامحةِ النفسِ في ركوبِ الرُّخَصِ وقَبولِ التأويلاتِ)[2] .

وسُئِلَ عنِ القربِ ، فقالَ : (قربُكَ منهُ تعالىٰ بملازمةِ الموافقاتِ ، وقربُهُ منكَ بدوامِ التوفيقِ)[3] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ باكويهِ الشيرازيَّ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ يقولُ : (ربَّما كنتُ أقرأُ في ابتداءِ أمري في ركعةٍ واحدةٍ عشرةَ آلافِ مرَّةٍ « قُلْ هوَ اللهُ أحدٌ » ، وربَّما كنتُ أقرأُ في ركعةٍ واحدةٍ القرآنَ كلَّهُ ، وربَّما كنتُ أصلِّي مِنَ الغداةِ إلى العصرِ ألفَ ركعةٍ)[4] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ باكويهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ الصغيرَ يقولُ : دخلَ يوماً مِنَ الأيامِ فقيرٌ ، فقالَ للشيخِ أبي عبدِ اللهِ بنِ خَفيفٍ : بي

---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٥) ، والمترجم له من أعيان تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري ، وروىٰ عنه القاضي الباقلاني ، كذا في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » لابن السبكي (٣/١٥٠) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٥) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٦) .

(٤) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/٤١٤) .

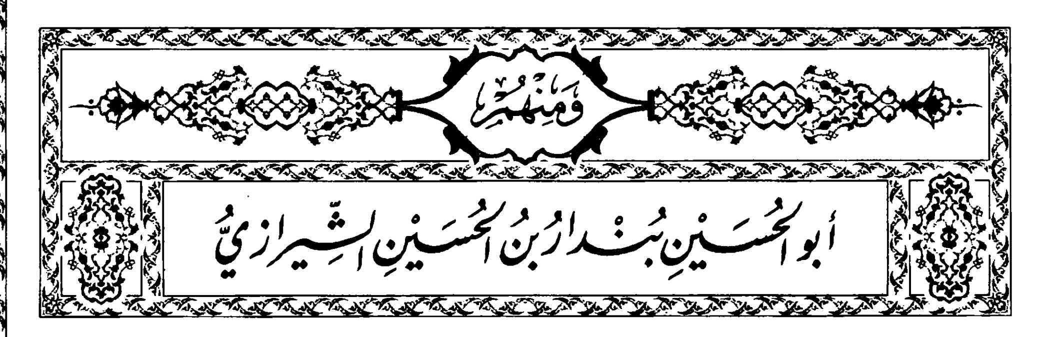
وسوسةٌ ، فقالَ الشيخُ : عهدي بالصوفيَّةِ يسخرونَ مِنَ الشيطانِ ، والآنَ الشيطانُ يسخرُ بهِمْ ![1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ الكَرْخيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ يقولُ : (ضعُفتُ عنِ القيامِ في النوافلِ ، فجعلتُ بدلَ كلِّ ركعةٍ مِنْ أورادي ركعتينِ قاعداً ؛ للخبرِ : « صلاةُ القاعدِ على النصفِ مِنْ صلاةِ القائمِ »)[2] .

* * *

(١) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠٩/٥٢) ، و(سخر) يتعدَّىٰ بالباء ومِنْ ، وفي (و ، ي) وهامش (ب) : (منهم) بدل (بهم) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٥/٥٢) ، والحديث الوارد في الخبر رواه البخاري (١١١٥) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما ، وبلفظه هنا النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٣٦٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .



كانَ عالماً بالأصولِ ، كبيراً في الحالِ .

صحبَ الشِّبليَّ .

ماتَ بأَرَّجَانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ .

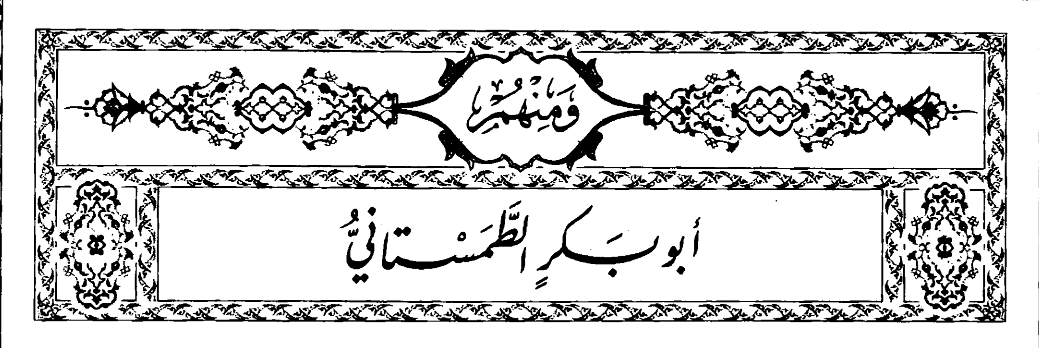
قالَ بُندارُ بنُ الحسينِ : (لا تخاصمْ لنفسِكَ ؛ فإنَّها ليسَتْ لكَ ، دعْهَا لمالكِها يفعلُ بها ما يريدُ)(١) .

وقالَ بُندارٌ : (صحبةُ أهلِ البدعِ تورثُ الإعراضَ عنِ الحقِّ)(٢) .

وقالَ بُندارٌ : (اتركْ ما تهوىٰ لما تأمُلُ)(٣) .

* * *

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٨) .
(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٩) .
(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٨) .



صحبَ إبراهيمَ الدَّباغَ وغيرَهُ .

وكانَ أوحدَ وقتِهِ علماً وحالاً .

ماتَ رحمَهُ اللهُ بنيسابورَ بعدَ سنةِ أربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

قالَ أبو بكرٍ الطَّمَسْتانيُّ : (النعمةُ العظمى : الخروجُ مِنَ النفسِ ، والنفسُ أعظمُ حجابٍ بينَكَ وبينَ اللهِ تعالىٰ)[1] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الطَّمَسْتانيَّ يقولُ : (إذا همَّ القلبُ .. عوقبَ في الوقتِ) .

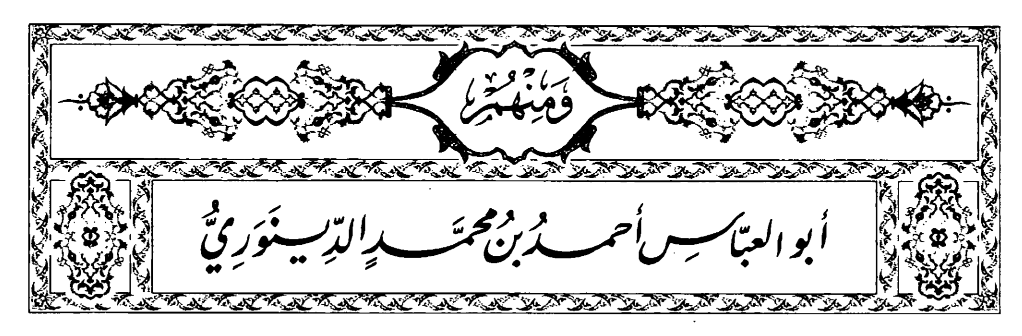
وقالَ : (الطريقُ واضحٌ ، والكتابُ والسنَّةُ قائمٌ بينَ أظهُرِنا[2] ، وفضْلُ الصحابةِ معلومٌ لسبقِهِمْ إلى الهجرةِ ولصحبتِهِمْ ، فمَنْ صحِبَ منَّا الكتابَ والسنَّةَ ، وتغرَّبَ عنْ نفسِهِ والخلْقِ ، وهاجرَ بقلبِهِ إلى اللهِ تعالىٰ .. فهوَ الصادقُ المصيبُ)[3] .

* * *

(١) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٧٢) .

(٢) أي : الدليل عليه منهما كما في « إحكام الدلالة » (٩/٢) ، وفي هامش (ي) : (قائمان) .

(٣) رواه بنحوه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٧٣) .



صحبَ يوسفَ بنَ الحسينِ ، وابنَ عطاءٍ ، والجُرَيريَّ ، وكانَ عالماً فاضلاً .

وردَ نيسابورَ وأقامَ بها مدَّةً ، وكانَ يعظُ الناسَ ويتكلَّمُ علىٰ لسانِ المعرفةِ ، ثمَّ ذهبَ إلىٰ سمرقندَ ، وماتَ بها بعدَ الأربعينَ وثلاثِ مئةٍ .

قالَ أبو العبَّاسِ الدِّينَوَريُّ : (أدنى الذكرِ : أنْ تنسىٰ ما دونَهُ ، ونهايةُ الذكرِ : أنْ يغيبَ الذاكرُ في الذكرِ عنِ الذكرِ)(١) .

وقالَ أبو العبَّاسِ : (لباسُ الظاهرِ لا يغيِّرُ حكمَ الباطنِ)(٢) .

وقالَ أبو العبَّاسِ : (نقضوا أركانَ التصوُّفِ ، وهدموا سبيلَها ، وغيَّرُوا معانيَها بأسامٍ أحدثوها ؛ سمَّوا الطمعَ زيادةً ، وسوءَ الأدبِ إخلاصاً(٣) ، والخروجَ عنِ الحقِّ شَطْحاً ، والتلذُّذَ بالمذمومِ طِيبَةً ، واتِّباعَ الهوى ابتلاءً ، والرجوعَ إلى الدنيا وصولاً ، وسوءَ الخُلُقِ صَوْلَةً ، والبخلَ جَلادةً ، والسؤالَ عملاً ، وبذاءةَ اللسانِ ملامةً ، وما كانَ هـٰذا طريقَ القومِ !)(٤) .

* * *

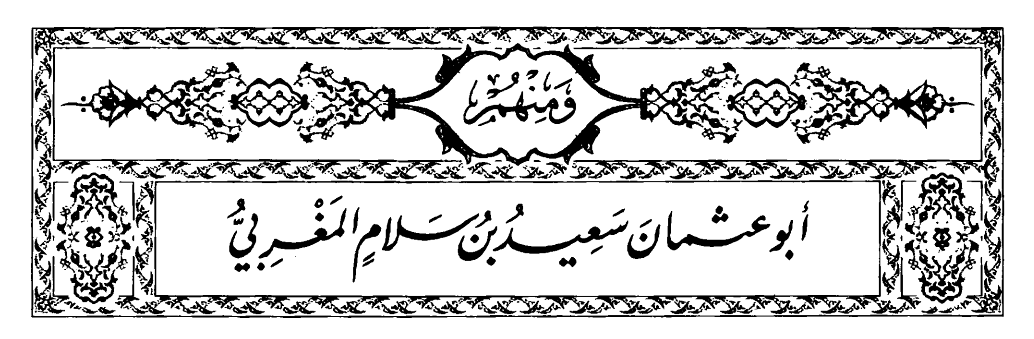
---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٧٧) ، قال العلامة اللخمي في « فوائد الرسالة » : (يعني بلسان الظاهر : ما أثبتته الأدلة الشرعية من الحلال والحرام والمكروه والمندوب والمباح ، وأن هـٰذه الأحكام لا تنافي ما وقع في القلوب من مواهب الله تعالىٰ والإلهام الصحيح وخوارق العادات) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٧٧) ، وفي غير (أ) من الأصول : (لسان) بدل (لباس) .

(٣) كذا في (د) ، وفي سائر نسخ الأصول : (الإخلاصَ) بدل (إخلاصاً) .

(٤) قال العلامة اللخمي في « فوائد الرسالة » : (هـٰذا ذمٌّ للمتشبّهين بأهل التحقيق وليسوا منهم ، فأخذوا الأسماء الدالة على الأخلاق المحمودة فوضعوها علىٰ رديء الأخلاق ؛ ليمشي لهم ما هم عليه من الفساد بين العباد) .



ومنهم

أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي

واحدُ عصرِهِ ، لمْ يُوصفْ مثلُهُ قبلَهُ .

صحبَ ابنَ الكاتبِ ، وحبيباً المغربيَّ ، وأبا عمرٍو الزَّجَّاجيَّ ، ولقيَ النَّهْرَجُوريَّ وابنَ الصائغِ وغيرَهُم رحمَهُمُ اللهُ .

ماتَ بنيسابورَ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ .

أوصىٰ بأنْ يُصليَ عليهِ الإمامُ أبو بكرِ ابنُ فُورَكَ رحمةُ اللهِ عليهِ [١] .

سمعتُ الأستاذَ الإمامَ أبا بكرِ ابنَ فُورَكَ يقولُ : كنتُ عندَ الأستاذِ الإمامِ أبي عثمانَ المغربيِّ حينَ قرُبَ أجلُهُ وعليٌّ القوَّالُ الصغيرُ يقولُ شيئاً ، فلمَّا تغيَّرَ عليهِ الحالُ . . أشرْنا علىٰ عليٍّ بالسكوتِ ، ففتحَ الشيخُ أبو عثمانَ عينيهِ وقالَ : لِمَ لا يقولُ عليٌّ شيئاً ؟ فقلتُ لبعضِ الحاضرينَ : سلوهُ وقولوا [٢] : علامَ يسمعُ المستمعُ ؟ فإنِّي أحتشمُهُ في تلكَ الحالةِ ، فسألوهُ ، فقالَ : إنَّما يَسْمَعُ مِنْ حيثُ يُسْمَعُ [٣] .

وكانَ في الرياضةِ كبيرَ الشأنِ .

وقالَ أبو عثمانَ : (التقوىٰ : هوَ الوقوفُ معَ الحدودِ ، لا يقصِّرُ فيها ولا يتعدَّاها) [٤] .

---

(١) ودفن بجانب أبي عثمان الحيري . « إحكام الدلالة » (١٣/٢) .

(٢) في (هـ) : (وقولوا له) .

(٣) في « إحكام الدلالة » (١٣/٢) : (أي : من حيث يُسْمِعُهُ الله تعالىٰ ؛ لاختلاف مقامات الناسِ) ، فقد يسمع العبد من الخوف ، وقد يسمع من الرجاء ، وقد يسمع من المحبة ، وكل واحد من هـٰؤلاء الثلاثة علىٰ درجات كما في « الدلالة » ، وفي هامش (ي) نسخة : (من حيث يُسْمَعُ) .

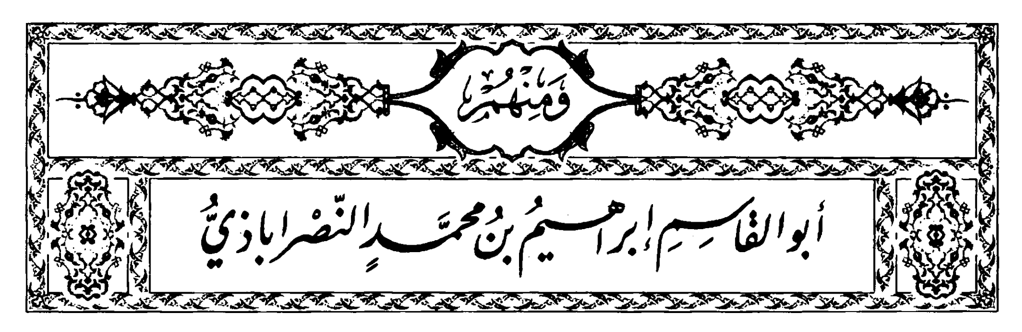
(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨١) وفي (ي) : (هي الوقوف . . .) ، وفيها نسخة موافقة لسائر النسخ .

وقالَ : (مَنْ آثرَ صحبةَ الأغنياءِ علىٰ مجالسةِ الفقراءِ . . ابتلاهُ اللهُ بموتِ القلبِ)[1] .

* * *

---

(١) قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (وهاذا صحيح ؛ لأنه لا يؤثر صحبة الأغنياء إلا لمحبته للدنيا ، وكل محب للدنيا أكثر شغله بها ، وذكره لها ، والنظر في فوائدها وأرباحها ، ودوام حفظه لها مما يتلفها ، وهاذا القدر هو الذي يشغل القلب عن الآخرة ويغفله عنها ، وإذا اشتغل القلب عن الآخرة وغفل . . عُبِّرَ عنه بالموت ؛ لأن حياة القلب إنما هي حركته واشتغاله بما خُلِقَ له ؛ من تحصيل العلوم والأعمال . . . ، وقد قال تعالىٰ في سورة النحل (٢١) في حق الغافلين : ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ وإن كانوا لم تخرج أرواحهم من أجسادهم) .



شيخُ خُراسانَ في وقتِهِ ، صحبَ الشبليَّ ، وأبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ ، والمرتعشَ .

جاورَ بمكَّةَ سنةَ ستٍّ وستينَ وثلاثِ مئةٍ[1] ، وماتَ بها سنةَ سبعٍ وستينَ وثلاثِ مئةٍ ، وكانَ عالماً بالحديثِ ، كثيرَ الروايةِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (إذا بدا لكَ شيءٌ مِنْ بوادي الحقِّ . . فلا تلتفتْ معَهُ إلىٰ جنَّةٍ ولا إلىٰ نارٍ ، فإذا رجعتَ عنْ تلكَ الحالِ . . فعظِّمْ ما عظَّمَهُ اللهُ)[2] .

وسمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : قيلَ للنصراباذيِّ : إنَّ بعضَ الناسِ يجالسُ النِّسوانَ ويقولُ : أنا معصومٌ في رؤيتِهِنَّ ، فقالَ : ما دامَتِ الأشباحُ باقيةً فإنَّ الأمرَ والنهْيَ باقٍ ، والتحليلَ والتحريمَ مخاطبٌ بهِ ، ولنْ يجترئَ على الشبهاتِ إلَّا مَنْ تعرَّضَ المحرماتِ[3] .

وسمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : قالَ النصراباذيُّ : (أصلُ التصوُّفِ : ملازمةُ الكتابِ والسنةِ ، وتركُ الأهواءِ والبدعِ ، وتعظيمُ حرماتِ المشايخِ ، ورؤيةُ أعذارِ الخلقِ ، والمداومةُ على الأورادِ ، وتركُ ارتكابِ الرُّخَصِ والتأويلاتِ)[4] .

* * *

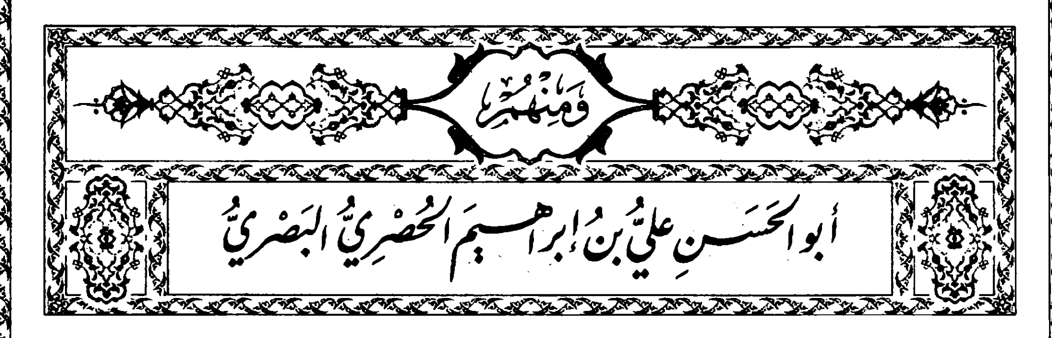
---

(١) وعند السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨٤) : (سنة ست وثلاثين وثلاث مئة) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨٥) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨٧) ، و(تعرَّض) يتعدىٰ بنفسه وباللام كما في (أ ، ي) : (للمحرمات) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨٨) .



سكنَ بغدادَ .

عجيبُ الحالِ واللسانِ ، شيخُ وقتِهِ ، ينتمي إلى الشِّبليِّ .

ماتَ ببغدادَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ .

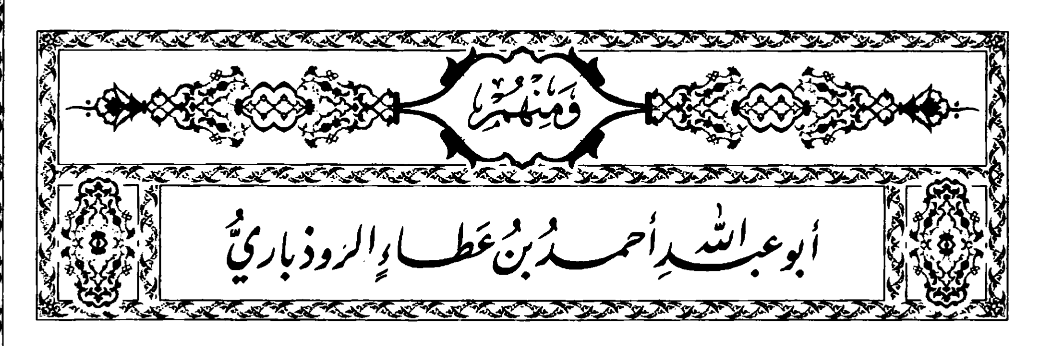
قالَ الحُصْريُّ : (الناسُ يقولونَ : الحُصْريُّ لا يقولُ بالنوافلِ ! وعليَّ أورادٌ مِنْ حالِ الشبابِ لوْ تركتُ ركعةً منها[1] .. لعوتبْتُ) .

وقالَ : (مَنِ ادَّعىٰ في شيءٍ مِنَ الحقيقةِ .. كذَّبَتْهُ شواهدُ كشفِ البراهينِ)[2] .

* * *

(١) في (أ) وحدها من الأصول زيادة : (منها) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٩٠) ، فمن ادَّعى الحقيقة .. قيل له : إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولك ؟ فإن أظهر أعلامها بأنواع القُربات والمجاهدات .. قيل له : عبدٌ نوَّر الله قلبه ، عرفتَ فالزمْ .



ابنُ أختِ أبي عليِّ الرُّوذْباريِّ ، شيخُ الشامِ في وقتِهِ .

ماتَ رحمَهُ اللهُ بصورَ سنةَ تسعٍ وستينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ سعيدٍ المصِّيصيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ الرُّوذْباريَّ يقولُ : كنتُ راكباً جملاً ، فغاصَتْ رجلا الجملِ في الرملِ ، فقلتُ : جلَّ اللهُ ، فقالَ الجملُ : جلَّ اللهُ (١) .

وكانَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ إذا دُعِيَ أصحابُهُ إلىٰ دعوةٍ في دُورِ السوقةِ ومَنْ ليسَ مِنْ أهلِ التصوُّفِ . . لا يخبرُ الفقراءَ ، وكانَ يطعمُهُمْ شيئاً ، فإذا فرغوا . . أخبرَهُمْ ومضىٰ بهِمْ ، فكانوا قدْ أكلوا في الوقتِ ولا يمكنُهُمْ أنْ يمُدُّوا أيديَهُمْ إلىٰ طعامِ الدعوةِ إلَّا بالتعزُّزِ ، وإنَّما كانَ يفعلُ ذٰلكَ لئلَّا يسوءَ ظنونُ الناسِ بهٰذهِ الطائفةِ فيأثمونَ بسببِهِمْ (٢) .

وقيلَ : كانَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ يمشي علىٰ أثرِ الفقراءِ يوماً ـ وكذا كانَتْ عادتُهُ أنْ يمشيَ علىٰ أثرِهِمْ ـ وكانوا يمضونَ إلىٰ دعوةٍ ، فقالَ إنسانٌ بقَّالٌ : هٰؤلاءِ المستحلُّونَ ، وبسطَ لسانَهُ فيهِمْ ، وقالَ في أثناءِ كلامِهِ : إنَّ واحداً منهُمْ قدِ استقرضَ منِّي مئةَ درهمٍ ولمْ يردَّها عليَّ ، ولستُ أدري أينَ أطلبُهُ .

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩/٥) ، وتسبيح الجمل إما أنه بلفظ بني آدم على الحقيقة ، أو أن الله فهَّمَ الروذباري منطقه فأعرب عنه باللسان العربي ، كذا أفاد العلامة اللخمي في « الدلالة » .

(٢) كذا رواه عن المصنف ابنُ عساكر في « تاريخه » (٢٠/٥) .

فلمَّا دخلوا دارَ الدعوةِ . . قالَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ لصاحبِ الدارِ وكانَ مِنْ محبِّي هـٰذهِ الطائفةِ : ائتِني بمئةِ درهمٍ إنْ أردتَ سكونَ قلبي ، فأتاهُ بها في الوقتِ ، فقالَ لبعضِ أصحابِهِ : احملْ هـٰذهِ المئةَ إلى البقَّالِ الفلانيِّ وقُلْ لهُ : هـٰذهِ المئةُ التي استقرضَ منكَ بعضُ أصحابِنا[1] ، وقدْ وقعَ لهُ في التأخيرِ عذرٌ ، وقدْ بعثَها الآنَ فاقبلْ عذرَهُ ، فمضى الرجلُ ففعلَ ، فلمَّا رجعوا مِنَ الدعوةِ . . اجتازوا بحانوتِ البقَّالِ ، فأخذَ البقَّالُ في مدحِهِمْ ويقولُ[2] : هـٰؤلاءِ السادةُ الثقاتُ الأمناءُ الصلحاءُ ، وما في هـٰذا البابِ[3] .

وقال أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ : (أقبحُ مِنْ كلِّ قبيحٍ : صوفيٌّ شحيحٌ)[4] .

* * *

---

(١) في (ي) : (استقرضها) بدل (استقرض) .

(٢) في « إحكام الدلالة » (٢/١٧) : (وفي نسخة : وقال) .

(٣) رواه عن المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٥/٢٠) ، وفي (هـ) زيادة : (من المدح) .

(٤) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٩٨) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ القشيريُّ رحمةُ اللهِ عليهِ :

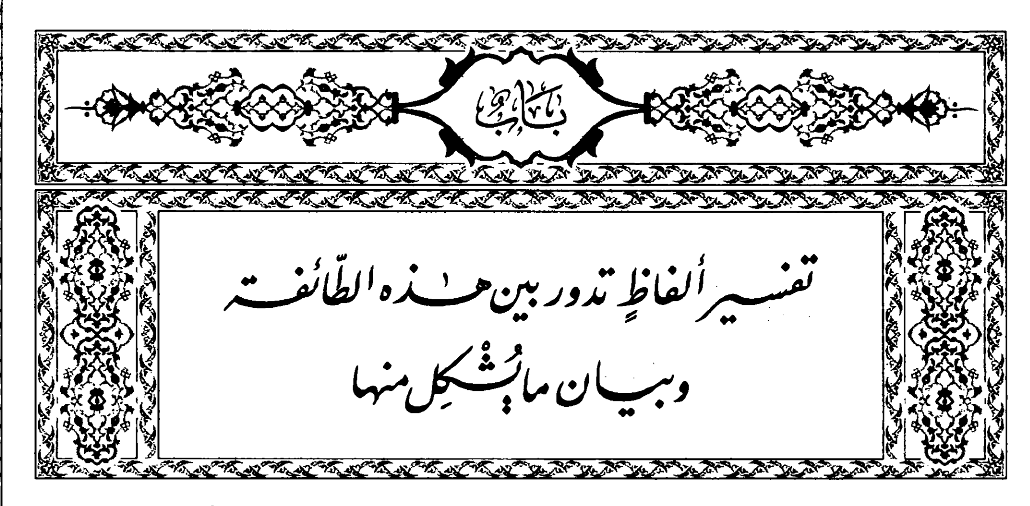
هٰذا ذكرُ جماعةٍ مِنْ شيوخِ هٰذهِ الطائفةِ ، كانَ الغرضُ في ذكرِهِمْ في هٰذا الموضعِ : التنبيهَ علىٰ أنَّهُمْ كانوا مجتمعينَ علىٰ تعظيمِ الشريعةِ ، متَّصفينَ بسلوكِ طُرُقِ الرياضةِ ، مقيمينَ علىٰ متابعةِ السنةِ ، غيرَ مُخلِّينَ بشيءٍ مِنْ آدابِ الديانةِ ، متَّفقينَ علىٰ أنَّ مَنْ خلا مِنَ المعاملاتِ والمجاهداتِ ولمْ يبنِ أمرَهُ علىٰ أساسِ الورعِ والتقوىٰ . . كانَ مفترياً على اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ فيما يدعيهِ ، مفتوناً ، هلكَ في نفسِهِ ، وأهلكَ مَنِ اغترَّ بهِ ممَّنْ ركنَ إلىٰ أباطيلِهِ .

ولوْ تقصَّينا ما وردَ عنهُمْ مِنْ ألفاظِهِمْ وحكاياتِهِمْ ، ووصفِ سيرِهِمْ وما يدُلُّ علىٰ أحوالِهِمْ . . لطالَ بهِ الكتابُ ، وحصلَ منهُ المَلالُ ، وفي هٰذا القدرِ الذي لوَّحْنا بهِ في تحصيلِ المقصودِ غُنْيةٌ ، وباللهِ التوفيقُ .

فأمَّا المشايخُ الذينَ أدركْناهُمْ وعاصرْناهُمْ ، وإنْ لمْ يتفقْ لنا لُقياهُمْ ؛ مثلُ الأستاذِ الشهيدِ ، لسانِ وقتِهِ وأوحدِ عصرِهِ ؛ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ عليٍّ الدَّقَّاقِ ، والشيخِ نسيجِ وحدِهِ في وقتِهِ ؛ أبي عبدِ الرحمٰنِ السُّلميِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ ابنِ جَهْضَمٍ مجاورِ الحرمِ ، والشيخِ أبي العبَّاسِ القصَّابِ بَطَبَرِستانَ ، وأحمدَ الأسودِ بالدِّينورِ ، وأبي القاسمِ الصَّيرفيِّ بنيسابورَ ، وأبي سهلٍ الخشَّابِ الكبيرِ بها ، ومنصورِ بنِ خلفٍ المغربيِّ ، وأبي سعيدٍ المالِينيِّ ، وأبي طاهرٍ الخُجَنْديِّ [1] ـ قدَّس اللهُ أرواحَهُمْ ـ وغيرِهِمْ . . فلوِ اشتغلنا بذكرِهِمْ ، وتفصيلِ أحوالِهِمْ . . لخرجْنا عنِ المقصودِ في الإيجازِ ، وغيرُ ملتبسٍ مِنْ أحوالِهِمْ حسنُ سيرِهِمْ في معاملاتِهِمْ ، وسيمُرُّ بكَ مِنْ حكاياتِهِمْ طرفٌ في مواضعَ مِنْ هٰذهِ الرسالةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

* * *

(١) في (ي) : (الخوزندي) ، وفي أكثر النسخ : (الخزندي) والخُجَنْدي : نسبة إلىٰ خُجَنْدة علىٰ شاطئ سيحون .



اعلمْ : أنَّ مِنَ المعلومِ أنَّ كلَّ طائفةٍ مِنَ العلماءِ لهُمْ ألفاظٌ يستعملونَها انفردوا بها عمَّنْ سواهُمْ ، تواضعوا عليها لأغراضٍ لهُمْ فيها ؛ مِنْ تقريبٍ على المخاطبينَ بها ، أوْ تسهيلٍ علىٰ أهلِ تلكَ الصنعةِ في الوقوفِ علىٰ معانيهِمْ بإطلاقِها .

وهٰذهِ الطائفةُ يستعملونَ ألفاظاً فيما بينَهُمْ قصدوا بها الكشفَ عنْ معانيهِمْ لأنفسِهِمْ بعضِهِمْ معَ بعضٍ ، والإجمالَ والسَّتْرَ علىٰ مَنْ باينَهُمْ في طريقتِهِمْ ؛ لتكونَ معاني ألفاظِهِمْ مشتبهةً على الأجانبِ (١) ؛ غيرةً منهُمْ علىٰ أسرارِهِمْ أنْ تشيعَ في غيرِ أهلِها ؛ إذْ ليسَتْ حقائقُهُمْ مجموعةً بنوعِ تكلُّفٍ ، أوْ مجلوبةً بضرْبِ تصرُّفٍ ، بلْ هيَ معانٍ أودعَها اللهُ قلوبَ قومٍ ، واستخلصَ لحقائقِها أسرارَ قومٍ (٢) .

ونحنُ نريدُ بشرحِ هٰذهِ الألفاظِ تسهيلَ الفهمِ علىٰ مَنْ يريدُ الوقوفَ علىٰ معانيهِمْ مِنْ سالكي طرقِهِمْ ومتَّبعي سنَنِهِمْ .

* * *

---

(١) في (ي) : (مستبهمة) بدل (مشتبهة) ، لا يقال : ذٰلك نوع من أنواع كتم العلوم وعدم إيضاحها لمحتاجها ؛ لأن الغرض الستر عن غير الأهل ممن لا انتفاع لهم بها ، بل ربما أضرَّت بهم . « نتائج الأفكار » (٢/٢١) .
(٢) في (أ ، ب) : (أودع الله قلوب قوم ، واستخلص بحقائقها أسرار قوم) ، وكلٌّ مناسب .



حقيقةُ الوقتِ عندَ أهلِ التحقيقِ : حادثٌ متوهَّمٌ عُلِّقَ حصولُهُ علىٰ حادثٍ متحقِّقٍ [1] ، فالحادثُ المتحقِّقُ وقتٌ للحادثِ المتوهَّمِ ، تقولُ : (آتيكَ رأسَ الشهرِ) ، فالإتيانُ متوهَّمٌ ، ورأسُ الشهرِ حادثٌ متحقِّقٌ ، فرأسُ الشهرِ وقتٌ للإتيانِ [2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدَّقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الوقتُ : ما أنتَ بهِ ؛ إنْ كنتَ بالدنيا . . فوقتُكَ الدنيا ، وإنْ كنتَ بالعقبىٰ . . فوقتُكَ العقبىٰ ، وإنْ كنتَ بالسرورِ . . فوقتُكَ السرورُ ، وإنْ كنتَ بالحزنِ . . فوقتُكَ الحزنُ) ، يريدُ بهٰذا : أنَّ الوقتَ ما كانَ الغالبَ على الإنسانِ .

وقدْ يعنونَ بالوقتِ : ما هوَ فيهِ مِنَ الزمانِ ؛ فإنَّ قوماً قالوا : (الوقتُ : ما بينَ الزمانينِ) يعني : الماضيَ والمستقبلَ .

ويقولونَ : (الصوفيُّ ابنُ وقتِهِ) يريدونَ بذٰلكَ : أنَّهُ مشتغلٌ بما هوَ أولىٰ بهِ في الحالِ ، قائمٌ بما هوَ مطالَبٌ بهِ في الحينِ .

وقيلَ : (الفقيرُ لا يهمُّهُ ماضي وقتِهِ وآتيهِ ، بلْ يهمُّهُ وقتُهُ الذي هوَ فيهِ) .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٢/٢٢) : (صوابه : حادث متحقِّق علِّق عليه حصولُ حادث متوهم ؛ بدليل قوله : « فالحادث المتحقق . . . ») ، علَّق العلامة العروسي : (محصَّله : أنه لما كان المعلَّق عليه هو المتحقِّق من الوقت ، والمعلَّق هو المتوهم من غيره . . لزم أن الصواب ما ذكره الشارح نفعنا الله به ، وما في الأصل من سبق القلم) ، فالحادث المتحقِّق هو الوقتُ للمتوهَّم ، وما في عبارة المصنف عكسه ، علماً أن الذي في « شرح المواقف » (٥/١١٣) : (أنه متجدد معلوم ـ هو المتحقِّق هنا ـ يقدر به متجدد مبهم إزالة لإبهامه ، وقد يتعاكس التقدير بين المتجددات ، فيقدر تارة هٰذا بذاك ، وأخرىٰ ذاك بهٰذا ، وإنما يتعاكس بحسب ما هو متصور ومعلوم للمخاطب) .

(٢) فظهر أن الوقت هو الزمن عند المتكلمين ، ولٰكن سترىٰ تخصيصاً عند إضافته للقوم .

وقيلَ : (الاشتغالُ بفواتِ وقتٍ ماضٍ تضييعُ وقتٍ ثانٍ) .

وقدْ يريدونَ بالوقتِ : ما يصادفُهُمْ مِنْ تصريفِ الحقِّ لهُمْ دونَ ما يختارونَ لأنفسِهِمْ ، ويقولونَ : (فلانٌ بحكْمِ الوقتِ) أي : إنَّهُ مستسلمٌ لما يبدو مِنَ الغيبِ مِنْ غيرِ اختيارٍ .

وهٰذا فيما ليسَ للهِ عليهِمْ أمرٌ أوِ اقتضاءٌ بحقِّ شرعٍ ؛ إذِ التضييعُ لما أُمرتَ بهِ ، وإحالةُ الأمرِ فيهِ على التقديرِ ، وتركُ المبالاةِ بما يحصلُ منكَ مِنَ التقصيرِ . . خروجٌ عنِ الدينِ .

ومِنْ كلامِهِمْ : (الوقتُ سيفٌ)[1] ؛ أي : كما أنَّ السيفَ قاطعٌ . . فالوقتُ بما يمضيهِ الحقُّ ويجريهِ غالبٌ .

وقيلَ : (السيفُ ليّنٌ مسُّهُ ، قاطعٌ حدُّهُ ؛ فمَنْ لاينَهُ . . سلِمَ ، ومَنْ خاشنَهُ . . اصطُلمَ ، وكذٰلكَ الوقتُ ؛ مَنِ استسلمَ لحكمِهِ . . نجا ، ومَنْ عارضَهُ بتركِ الرضا . . انتكسَ وتردَّىٰ) .

وأنشدوا : [من الطويل]

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَسُّهُ ... وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ[2]

ومَنْ ساعدَهُ الوقتُ . . فالوقتُ لهُ وقتٌ ، ومَنْ ناكدَهُ الوقتُ . . فالوقتُ عليهِ مقتٌ .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدَّقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الوقتُ مِبْرَدٌ يسحقُكَ ولا يمحقُكَ) يعني : لوْ محاكَ وأفناكَ . . لتخلَّصتَ حينَ فنِيتَ ، لٰكنَّهُ يأخذُ منكَ ولا يمحوكَ بالكلِّيَّةِ .

---

(١) رواه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٢٠٨) ، قال الشافعي : (صحبت الصوفية عشر سنين ، ما استفدت منهم إلا هٰذين الحرفين : الوقت سيف ، ومن العصمة ألا تقدر) .

(٢) البيت متنازع النسبة ، ونسبه الثعالبي في « الإعجاز والإيجاز » (ص ١٥٧) لأبي الشيص وقال : (لم يسبق إليه) وفي هامش (ل) : (وأوله :

كريمٌ يغضُّ الطرفَ فضلَ حيائِهِ ... ويدنو وأطرافُ الرماحِ دواني)

و(فضلَ) منصوب على نزع الخافض ؛ أي : لتناهي فضلِ حيائه .

وكانَ ينشدُ : [من الخفيف]

كُلُّ يَــوْمٍ يَمُــرُّ يَأْخُــذُ بَعْضِــي يُـورِثُ ٱلْقَلْـبَ حَسْـرَةً ثُـمَّ يَمْضِـي

وكانَ ينشدُ : [من الوافر]

كَأَهْــلِ ٱلنَّــارِ إِذْ نَضِجَـتْ جُلُــودٌ أُعِيــدَتْ لِلشَّــقَاءِ لَهُــمْ جُلُــودُ (١)

وفي معناهُ : [من الخفيف]

لَيْـسَ مَــنْ مَـاتَ فَٱسْـتَرَاحَ بِمَيْـتٍ إِنَّمَــا ٱلْمَيْــتُ مَيِّــتُ ٱلْأَحْيَــاءِ (٢)

والكَيِّسُ مَنْ كانَ بحكْمِ وقتِهِ ؛ إنْ كانَ وقتُهُ الصحوَ . . فقيامُهُ بالشريعةِ ، وإنْ كانَ وقتُهُ المحوَ . . فالغالبُ عليهِ أحكامُ الحقيقةِ .

* * *

(١) هو لمجنون ليلى . انظر « ديوانه » (ص ١٠٤) ، وفي (ك) : (إنْ) بدل (إذْ) .

(٢) هو لابن الرَّعْلاء الغساني . انظر « معجم الشعراء » للمرزباني (ص ١١٦) .



والمُقامُ : ما يتحقَّقُ العبدُ بمُنازلتِهِ مِنَ الآدابِ ممَّا يُتوصَّلُ إليهِ بنوعِ تصرُّفٍ ، ويُتحقَّقُ بهِ بضربِ تطلُّبٍ ومقاساةِ تكلُّفٍ (١) .

فمُقامُ كلِّ أحدٍ : موضعُ إقامتِهِ عندَ ذٰلكَ ، وما هوَ مشتغلٌ بالرياضةِ لهُ .

وشرطُهُ : ألَّا يرتقيَ مِنْ مقامٍ إلىٰ مقامٍ آخرَ ما لمْ يستوفِ أحكامَ ذٰلكَ المقامِ ؛ فإنَّ مَنْ لا قناعةَ لهُ . . لا يصحُّ لهُ التوكُّلُ ، ومَنْ لا توكُّلَ لهُ . . لا يصحُّ لهُ التسليمُ ، وكذٰلكَ مَنْ لا توبةَ لهُ . . لا تصحُّ لهُ الإنابةُ ، ومَنْ لا ورعَ لهُ . . لا يصحُّ لهُ الزهدُ .

والمُقامُ ـ بضمِّ الميمِ ـ : هوَ الإقامةُ ؛ كالمُدْخَلِ بمعنى الإدخالِ ، والمُخْرَجِ بمعنى الإخراجِ (٢) .

ولا يصحُّ لأحدٍ مُنازلةُ مقامٍ إلا بشهودِ إقامةِ اللهِ إيَّاهُ بذٰلكَ المقامِ ؛ ليصحَّ بناءُ (٣) أمرِهِ علىٰ قاعدةٍ صحيحةٍ .

---

(١) انظر « اللمع » (ص ٦٥ ، ٤١١) ، نبَّه شيخ الإسلام زكريا في « إحكام الدلالة » (٢/٢٦) إلىٰ ضبطه بالفتح والضم ، وهو بلغتيه مستعمل عند القوم كما نبَّه عليه كذٰلك .

(٢) وعليه يكون مصدراً ميمياً ، قال تعالىٰ في سورة الإسراء (٨٠) : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ ، وقد قُرئ بفتح الميم وضمها ، والمعنىٰ : أدخلني المدينة إدخالاً حسناً ، وأخرجني من مكة إخراجاً حسناً ، ومع هٰذا فقد قال العلامة الجوهري في « صحاحه » (ق و م) : (وأما المَقام والمُقام . . فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنىٰ موضع القيام ؛ لأنك إذا جعلته من « قام يقوم » . . فمفتوح ، وإن جعلته من « أقام يقيم » . . فمضموم) .

(٣) في (أ) من الأصول : (بقاء) بدل (بناء) .

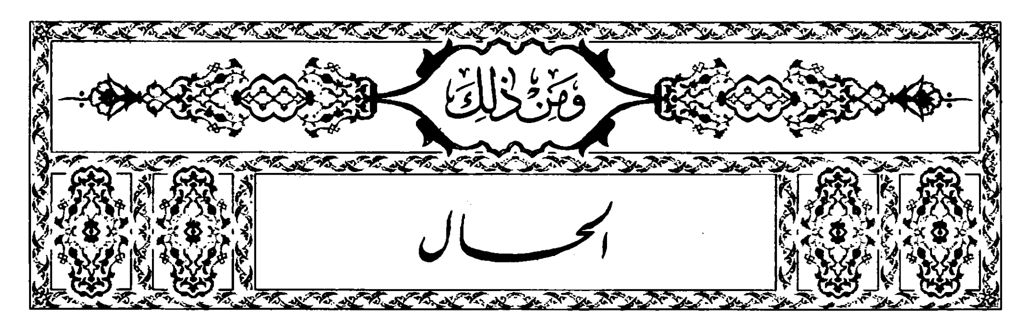
سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدَّقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : لمَّا دخلَ الواسطيُّ نيسابورَ . . سألَ أصحابَ أبي عثمانَ[1] : بماذا كانَ يأمرُكُمْ شيخُكُمْ ؟ فقالوا : كانَ يأمرُنا بالتزامِ الطاعاتِ ورؤيةِ التقصيرِ فيها ، فقالَ : أمرَكُمْ بالمجوسيَّةِ المحضةِ ، هلَّا أمرَكُمْ بالغَيْبَةِ عنها برؤيةِ مُنشئِها ومُجريها ؟!

وإنَّما أرادَ الواسطيُّ بهٰذا : صيانتَهُمْ عنْ محلِّ الإعجابِ ، لا تعريجاً في أوطانِ التقصيرِ ، أوْ تجويزاً للإخلالِ بأدبٍ مِنَ الآدابِ[2] .

* * *

(١) سعيد بن سلام المغربي . « إحكام الدلالة » (٢/٢٨) .

(٢) ووجه تعلُّقِ هٰذه الحكاية بما تقدَّم : تنبيهٌ علىٰ أن الشخص ينبغي أن يرىٰ نفسه مُقاماً في كل مقام يتطلبه مُعاناً عليه ، فيبرأ من المجوسية ورأي القدرية الذين أثبتوا لأنفسهم أفعالاً ، وبهٰذا الاعتبار قيل : « القدرية مجوس هٰذه الأمة » . العلامة اللخمي في « الدلالة » .



والحالُ عندَ القومِ : معنىً يردُ على القلبِ مِنْ غيرِ تعمُّلٍ منهُمْ [1] ، ولا اجتلابٍ ولا اكتسابٍ لهُمْ ؛ مِنْ طَرَبٍ أوْ حَزْبٍ [2] ، أوْ قبضٍ أوْ بسطٍ ، أوْ شوقٍ أوِ انزعاجٍ ، أوْ هيبةٍ أوِ اهتياجٍ .

فالأحوالُ مواهبُ ، والمقاماتُ مكاسبُ ، والأحوالُ تأتي مِنْ عينِ الجودِ ، والمقاماتُ تحصلُ ببذلِ المجهودِ .

فصاحبُ المقامِ ممكَّنٌ في مقامِهِ ، وصاحبُ الحالِ مُرَقّىً عنْ حالِهِ [3] .

سُئِلَ ذو النونِ المصريُّ عنِ العارفِ ، فقالَ : كانَ ها هنا فذهبَ [4] .

وقالَ المشايخُ : (الأحوالُ كالبروقِ ، فإنْ بقيَ . . فحديثُ نفسٍ) [5] .

وقالوا : (الأحوالُ كاسمِها) يعني : أنَّها كما تحُلُّ بالقلبِ . . تزولُ في الوقتِ [6] .

---

(١) في غير (أ ، ج ، د) : (تعمُّد) بدل (تعمُّل) ، وكلاهما مناسب .

(٢) يقال : حَزَبَهُ الأمر حَزْباً ؛ أصابه واشتدَّ عليه ، أو ضغطه فجأة ، وفي الحديث ـ الذي رواه أبو داوود (١٣١٩) من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً ـ : « كان إذا حزبه أمرٌ . . صلَّىٰ » أي : نزل به مهمٌّ وأصابه غمٌّ . « تاج العروس » (ح ز ب) ، وفي « إحكام الدلالة » (٢/٢٩) : (بكسر الحاء وإسكان الزاي ؛ أي : وِرْد) ، وفي (أ ، د) : (خوف) ، وفي (ج ، ي) : (حُزْن) .

(٣) في (ب) : (مُرَقّىً عن حال الحال) .

(٤) السؤال عن حال العارف ، والمعنىٰ : كان الحال في العارف فذهب عنه لاشتغاله عنه بمن خصَّه به وتولاه . « إحكام الدلالة » (٢/٣٠) .

(٥) في (ج) من الأصول : (وقال بعض المشايخ . . .) ، وتقدم (ص ١٨٩) ، والقول لأبي الحسن الصائغ .

(٦) وهـٰذه الكاف ـ في قوله : كما ـ تسمىٰ كاف المباغتة والمبادرة ، ولا حاجة لقوله : في الوقت . « إحكام الدلالة » (٢/٣١) ، وفي (أ) : (أنها كما تحل بالقلب ، وتزول في الوقت) .

وأنشدوا : [من السريع]

لَـوْ لَـمْ تَحُـلْ مَـا سُـمِّيَتْ حَـالَا وَكُلُّ مَـا حَـالَ فَقَـدْ زَالَا
أُنظُـرْ إِلَـى ٱلْفَـيْءِ إِذَا مَـا ٱنْتَهَـىٰ يَأْخُـذُ فِـي ٱلنَّقْـصِ إِذَا طَـالَا [1]

وأشارَ قومٌ إلىٰ بقاءِ الأحوالِ ودوامِها ، وقالوا : إنَّها إذا لمْ تدمْ ولمْ تتوالَ . . فهيَ لوائحُ وبوادِهُ [2] ، ولمْ يصلْ صاحبُها بعدُ إلى الأحوالِ ، فإذا دامَتْ تلكَ الصفةُ . . فعندَ ذٰلكَ تُسمَّىٰ حالاً .

هٰذا أبو عثمانَ الحِيريُّ يقولُ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامَنيَ اللهُ في حالٍ فكرهتُهُ) [3] ، أشارَ إلىٰ دوامِ الرّضا ، والرضا مِنْ جملةِ الأحوالِ .

والواجبُ في هٰذا أنْ يُقالَ : إنَّ مَنْ أشارَ إلىٰ بقاءِ الأحوالِ . . فصحيحٌ ما قالَ ؛ فقدْ يصيرُ المعنىٰ شِرْباً لأحدٍ فيربَّىٰ فيهِ [4] ، ولٰكنْ لصاحبِ هٰذهِ الحالِ أحوالٌ هيَ طوارقُ لا تدومُ فوقَ أحوالِهِ التي صارَتْ شِرْباً لهُ ، فإذا دامتْ هٰذهِ الطوارقُ لهُ كما دامَتِ الأحوالُ المتقدِّمةُ . . ارتقىٰ إلىٰ أحوالٍ أُخَرَ فوقَ هٰذهِ ، وألطفَ مِنْ هٰذهِ ، فأبداً يكونُ في الترقِّي .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ في معنىٰ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّهُ لَيُغانُ علىٰ قلبي ، حتَّىٰ أستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعينَ مرَّةً » [5] : إنَّهُ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أبداً في الترقِّي مِنْ أحوالِهِ ، فإذا ارتقىٰ عنْ حالةٍ إلىٰ حالةٍ أعلىٰ ممَّا كانَ فيها . . فرُبَّما حصلَ لهُ ملاحظةٌ إلىٰ

---

(١) البيتان في « يتيمة الدهر » (١/٣٣٤) للخليع ، علىٰ شكٍّ في نسبتهما له .
(٢) يعني : لاح له المعنىٰ وبدهه ، ولم يثبت له . « فوائد الرسالة » للخمي .
(٣) تقدم (ص ١٥٨) ، وفي (و ، ل) : (فكرهتها) بدل (فكرهته) .
(٤) الشِّرب : الحظ والنصيب ، والمعنىٰ : إذا توالت الأحوال من جنس واحد . . صارت مقاماً ، ووقع في (أ) : (فيرقىٰ منه) بدل (فيربَّىٰ فيه) .
(٥) رواه مسلم (٢٧٠٢) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٢٠٣) بلفظه هنا من حديث سيدنا الأغر المزني رضي الله عنه ، والرفع في (أستغفر) أجود ، وقوله : « ليغان » من المتشابه في النبوات ، الواجب التأويل بنحو (غين الأنوار ، لا غين الأغيار) المروي عن الأستاذ الإمام الشاذلي .

ما ارتقىٰ عنها ، فكانَ يعدُّها غيناً بالإضافةِ إلىٰ ما حصلَ فيها ، فأبداً كانَتْ أحوالُهُ في التزايدِ .

ومقدوراتُ الحقِّ سبحانَهُ مِنَ الألطافِ لا نهايةَ لها ، وإذا كانَ حقُّ الحقِّ العزَّ ، والوصولُ إليهِ بالتحقيقِ محالاً . . فالعبدُ أبداً في ارتقاءِ أحوالِهِ .

فلا معنىٰ يُوصلُ إليهِ إلَّا وفي مقدورِهِ سبحانَهُ ما هوَ فوقَهُ يقدرُ أنْ يوصلَهُ إليهِ ، وعلىٰ هٰذا يُحملُ قولُهُمْ : (حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبينَ)[1] .

وسُئِلَ الجنيدُ عنْ هٰذا ـ أعني : عنْ قولِهِمْ : (سيِّئاتُ المقرَّبينَ) ـ فأنشدَ : [من الطويل]

طَوَارِقُ أَنْوارٍ تَلُوحُ إِذَا بَدَتْ فَتُظْهِرُ كِتْمَاناً وَتُخْبِرُ عَنْ جَمْعِ[2]

* * *

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخه » (٣٢/٥) عن أبي سعيد الخرَّاز رحمه الله تعالىٰ بلفظ : (ذنوبُ المقربين حسنات الأبرار) ، ونحوه ما سيأتي عن رويم (ص ٤٧٩) : (رياءُ العارفين أفضل من إخلاص المريدين) .

(٢) أي : المقامات أوَّلُها طوارق تلوح إذا ظهرت ، ونهايتها أنها إذا قويت بعد ظهورها . . أظهرت الجمع وكمال الحال وكتمان السر . « إحكام الدلالة » (٣٣/٢) ، وبهٰذا يفهم ما ينسب للصدِّيق رضي الله عنه : (ليتني شهدتُ ما استغفر منه صلى الله عليه وسلم) كما في « حاشية الأمير علىٰ عبد السلام » (ص ٥١) .



ومن ذلك

القبض والبسط

وهما حالتانِ بعدَ ترقِّي العبدِ عنْ حالِ الخوفِ والرجاءِ .

فالقبضُ للعارفِ بمنزلةِ الخوفِ للمستأنفِ ، والبسْطُ للعارفِ بمنزلةِ الرجاءِ للمستأنفِ [1] .

ومِنَ الفصْلِ بينَ القبضِ والخوفِ والبسطِ والرجاءِ [2] : أنَّ الخوفَ مِنْ شيءٍ في المستقبلِ ؛ إمَّا يخافُ فوتَ محبوبٍ ، أوْ هجومَ محذورٍ ، وكذلكَ الرجاءُ ؛ إنَّما يكونُ بتأميلِ محبوبٍ في المستقبلِ ، أوْ بتطلُّعِ زوالِ محذورٍ وكفايةِ مكروهٍ في المستأنفِ .

وأما القبضُ . . فلمعنىً حاصلٍ في الوقتِ ، وكذلكَ البسطُ .

فصاحبُ الخوفِ والرجاءِ : تعلَّقَ قلبُهُ في حالتيهِ بآجلِهِ ، وصاحبُ القبضِ والبسطِ : أَخِيذُ وقتِهِ بواردٍ غلبَ عليهِ في عاجلِهِ [3] .

ثمَّ تتفاوتُ نعوتُهُمْ في القبضِ والبسطِ علىٰ حسَبِ تفاوتِهِمْ في أحوالِهِمْ .

فمِنْ واردٍ يوجبُ قبضاً ولٰكنْ في صاحبِهِ مساغٌ للأشياءِ الأُخَرِ ؛ لأنَّهُ غيرُ مستوفٍ ، ومِنْ مقبوضٍ لا مساغَ لغيرِ واردِهِ فيهِ ؛ لأنَّهُ مأخوذٌ عنهُ بالكليَّةِ بوارِدِهِ ، كما قالَ بعضُهُمْ : (أنا رَدْمٌ) أيْ : لا مساغَ فيَّ [4] .

---

(١) وعند الإمام الجنيد القبض والبسط بمعنى الخوف والرجاء . انظر « اللمع » للطوسي . (ص ٤٢٠) ، والمستأنف : المبتدئ ؛ وهو المريد . كذا في « إحكام الدلالة » (٣٤/٢) .

(٢) في هامش (ج ، ي) : (الفرق) بدل (الفصل) .

(٣) الأخيذ : الأسير ، والأخيذة : المسبيَّة .

(٤) قاله لمن طلب منه كلامَهُ كما أفاده العلامة اللخمي في « الدلالة » ، ومنه قول سهل بن عبد الله التستري : (لا تسألوني ؛ فإنكم لا تنتفعون في هٰذا الوقت بكلامي) . انظر « اللمع » (ص ٣٨١) .

وكذٰلكَ المبسوطُ ؛ قدْ يكونُ بسطٌ يسعُ الخلقَ ، فلا يستوحشُ مِنْ أكثرِ الأشياءِ ، ويكونُ مبسوطاً لا يؤثِّرُ فيهِ شيءٌ بحالٍ مِنَ الأحوالِ[1] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : دخلَ بعضُهُمْ علىٰ أبي بكرٍ القَحْطَبيِّ ، وكانَ لـهُ ابنٌ يتعاطىٰ ما يتعاطاهُ الشبَّانُ ، وكانَ ممرُّ هٰذا الداخلِ علىٰ هٰذا الابنِ ، فإذا هوَ معَ أقرانِهِ في اشتغالِهِ ببطالتِهِ ، فرقَّ قلبُهُ للقَحْطَبيِّ وقالَ : مسكينٌ هٰذا الشيخُ كيفَ ابتُليَ بمقاساةِ هٰذا !

فلمَّا دخلَ على القَحْطَبيِّ . . وجدَهُ كأنَّهُ لا خبرَ لهُ عمَّا يجري مِنَ الملاهي ، فتعجَّبَ منهُ وقالَ : فديتُ مَنْ لا تؤثِّرُ فيهِ الجبالُ الرواسي !

فقالَ القَحْطَبيُّ : إنَّا قدْ حُرِّرْنا عنْ رقِّ الأشياءِ في الأزلِ[2] .

ومِنْ أدنىٰ موجِباتِ القبضِ : أنْ يردَ علىٰ قلبِهِ واردٌ موجِبُهُ إشارةٌ إلىٰ عتابٍ ، أوْ رمزٌ باستحقاقِ تأديبٍ ، فيحصلَ في القلبِ ـ لا محالةَ ـ قبضٌ .

وقدْ يكونُ موجِبَ بعضِ الوارداتِ إشارةٌ إلىٰ تقريبٍ أوْ إقبالٍ بنوعِ لطفٍ وترحيبٍ ، فيحصلُ للقلبِ بسْطٌ .

وفي الجملةِ : قبْضُ كلِّ أحدٍ علىٰ حسَبِ بسطِهِ ، وبسْطُهُ علىٰ حسَبِ قبضِهِ .

وقدْ يكونُ قبْضٌ يشكِلُ علىٰ صاحبِهِ سببُهُ ، يجدُ في قلبِهِ قَبْضاً لا يدري ما موجِبُهُ وما سببُهُ ، فسبيلُ صاحبِ هٰذا القَبضِ التسليمُ حتَّىٰ يمضيَ ذٰلكَ الوقتُ ؛ لأنَّهُ لوْ تكلَّفَ نفيَهُ ، أوِ استقبلَ الوقتَ قبلَ هجومه عليهِ باختيارِهِ . . زادَ في قبضِهِ ، ولعلَّهُ يُعْتَدُّ ذٰلكَ منهُ سوءَ أدبٍ[3] ، وإذا استسلمَ لحكمِ

---

(١) في (أ ، ج ، و ، ل) : (ويكون مبسوطٌ) علىٰ أن (يكون) تامة .

(٢) ووقع في (ط ، ي) : (القحطي) بدل (القحطبي) ، وأراد بقوله هٰذا التبرّي .

(٣) يعتدُّ : يعدُّ ، كما أشار في « إحكام الدلالة » (٢/٣٧) .

الوقتِ . . فعنْ قريبٍ يزولُ القبضُ ؛ فإنَّ الحقَّ سبحانَهُ قالَ : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾[1] .

وقدْ يكونُ بسطٌ يردُ بغتةً ، ويصادفُ صاحبَهُ فلتةً ، لا يعرفُ لهُ سبباً ، يهُزُّ صاحبَهُ ويستفزُّهُ ، فسبيلُ صاحبِهِ السكونُ ومراعاةُ الأدبِ ؛ فإنَّ في هـٰذا الوقتِ لهُ خطراً عظيماً ، فليحذرْ صاحبُهُ مكْراً خفيّاً .

كذا قالَ بعضُهُمْ : (فُتِحَ عليَّ بابٌ مِنَ البسْطِ ، فزلَلْتُ زلَّةً ، فحُجبتُ عنْ مقامي) .

ولهـٰذا قالوا : (قفْ على البساطِ ، وإيَّاكَ والانبساطَ) .

وقدْ عدَّ أهلُ التحقيقِ حالتيِ القبْضِ والبسْطِ مِنْ جملةِ ما استعاذوا منهُ ؛ لأنَّهما بالإضافةِ إلىٰ ما فوقَهُما مِنِ استهلاكِ العبدِ واندراجِهِ في الحقيقةِ . . فقرٌ وضرٌّ[2] .

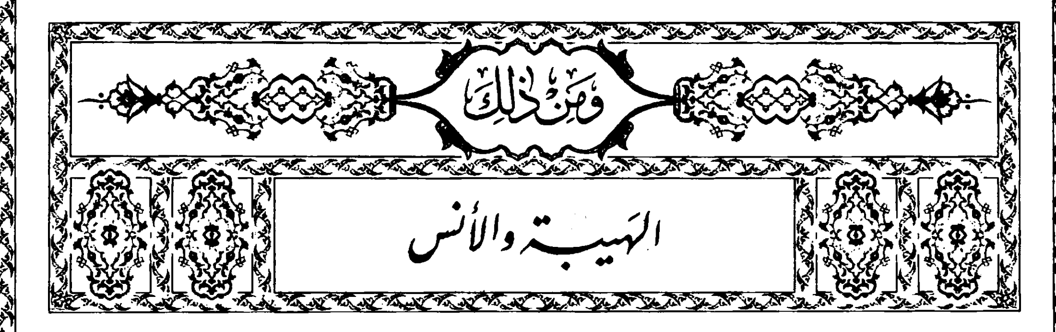
سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (الخوفُ يقبِضُني ، والرجاءُ يبسُطُني ، والحقيقةُ تجمعُني ، والحقُّ يفرِّقُني ، إذا قبضَني بالخوفِ . . أفناني عنِّي ، وإذا بسطَني بالرجاءِ . . ردَّني عليَّ ، وإذا جمعَني بالحقيقةِ . . أحضرَني ، وإذا فرَّقَني بالحقِّ . . أشهدَني غيري ، فغطَّاني عنهُ ، فهوَ في ذٰلكَ كلِّهِ محرِّكي غيرُ ممسكي ، وموحشي غيرُ مؤنسي ، بحضوري أذوقُ طعمَ وجودي ، فليتَهُ أفناني عنِّي فمتَّعَني ، أوْ غيَّبَني عنِّي فروَّحَني)[3] .

* * *

(١) سورة البقرة : (٢٤٥) .

(٢) في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٨٥) : (أولاً القبض ، ثم البسط ، ثم لا قبض ولا بسط ، وهو محل التمكين) .

(٣) صدره أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٨٥) ، وفي (أ ، ج ، ل) : (فمنمني) بدل (فمتَّعني) ، ويناسبه ما تقدَّم أن حال الفناء لا لذة فيه .



وهما فوقَ القبضِ والبسْطِ ، فكما أنَّ القبضَ فوقَ رتبةِ الخوفِ ، والبسطَ فوقَ منزلةِ الرجاءِ . . فالهيبةُ أعلىٰ مِنَ القبضِ ، والأنسُ أتمُّ مِنَ البسطِ .

وحقُّ الهيبةِ الغَيْبةُ ؛ فكلُّ هائبٍ غائبٌ ، ثمَّ يتفاوتونَ في الهيبةِ حسَبَ تباينِهِمْ في الغَيبةِ ؛ فمنهُمْ ومنهُمْ[1] .

وحقُّ الأنسِ صحوٌ بحقٍّ ؛ فكلُّ مستأنسٍ صاحٍ ، ثمَّ يتباينونَ حسَبَ تباينِهِمْ في الشِّرْبِ .

قالوا : أدنىٰ محلِّ الأنسِ : أنَّهُ لو طُرِحَ في لظىٰ . . لمْ يتكدَّرْ أنسُهُ عليهِ .

قالَ الجنيدُ : كنتُ أسمعُ السَّريَّ يقولُ : يبلغُ العبدُ إلىٰ حدٍّ لوْ ضُرِبَ وجهُهُ بالسيفِ . . لمْ يشعرْ ، وكانَ في قلبي منهُ شيءٌ ، حتَّىٰ بانَ لي أنَّ الأمرَ كذٰلكَ[2] .

وحُكِيَ عنْ أبي مقاتلِ العَكِّيِّ[3] قالَ : دخلتُ على الشِّبليِّ وهوَ ينتِفُ الشَّعَرَ مِنْ حاجبِهِ بمنقاشٍ ، فقلتُ : يا سيدي ؛ أنتَ تفعلُ هٰذا بنفسِكَ ويعودُ ألمُهُ إلىٰ قلبي ! فقالَ : ويلَكَ ، الحقيقةُ ظاهرةٌ لي ولستُ أطيقُها[4] ، فهوَ ذا ،

---

(١) فمنهم : من تطول غيبته ، ومنهم : من تقصر غيبته ، علىٰ حسَبِ هيبته ممن اشتغل به وإجلاله له . « إحكام » (٣٩/٢) ، وفي (ي) : (ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة علىٰ حسب . . .) .

(٢) « اللمع » (ص ٣٨١) ، وكان قد راجعه في ذٰلك ، فأصرَّ السريُّ عليه .

(٣) كذا في النسخ ، وإنما صاحب الشبلي هو أبو الطيب أحمد بن مقاتل العكي .

(٤) يعني : ولست أطيق ألم الحقيقة ، فهو ينتف الشَّعَر طلباً لتخفيف ألمها ، ولٰكن دون جدوىٰ .

أدخِلُ الألَمَ علىٰ نفسي لعلِّي أحسُّ بهِ فيستترُ عنِّي ، فلستُ أجدُ الألَمَ ، وليسَ يستترُ عنِّي ، وليسَ لي بهِ طاقةٌ .

وحالُ الهيبةِ والأنسِ وإنْ جلَّتا فأهلُ الحقيقةِ يعدُّونَهما نقصاً ؛ لتضمُّنِهما تغيُّرَ العبدِ ؛ فإنَّ أهلَ التمكينِ سمَتْ أحوالُهُمْ عنِ التغيُّرِ ، وهمْ محْوٌ في وجودِ العينِ ، فلا هيبةَ لهُمْ ولا أنسَ ، ولا علمَ ولا حسَّ .

والحكايةُ معروفةٌ عنْ أبي سعيدٍ الخرَّازِ أنَّهُ قالَ : تِهتُ في الباديةِ مرَّةً ، فكنتُ أقولُ : [من الطويل]

أَتِيـهُ فَـلَا أَدْرِي مِـنَ ٱلتِّيـهِ مَـنْ أَنَـا ... سِوَىٰ مَا يَقُولُ ٱلنَّاسُ فِيَّ وَفِي جِنْسِي

أَتِيـهُ عَلَـىٰ جِـنِّ ٱلْبِـلَادِ وَإِنْسِـهَا ... فَإِنْ لَمْ أَجِدْ شَخْصاً أَتِيهُ عَلَىٰ نَفْسِي

قالَ : فسمعتُ هاتفاً يهتِفُ بي : [من الطويل]

أَيَـا مَنْ يَرَى ٱلأَسْبَابَ أَعْلَـىٰ وُجُودِهِ ... وَيَفْـرَحُ بِٱلتِّيـهِ ٱلدَّنِـيِّ وَبِٱلأُنْـسِ (١)

فَلَـوْ كُنْتَ مِـنْ أَهْـلِ ٱلْوُجُـودِ حَقِيقَةً ... لَغِبْتَ عَنِ ٱلأَكْوَانِ وَٱلْعَرْشِ وَٱلْكُرْسِيِّ

وَكُنْـتَ بِـلَا حَـالٍ مَـعَ ٱللهِ وَاقِفـاً ... تُصَـانُ عَـنِ ٱلتَّـذْكَارِ لِلْجِـنِّ وَٱلإِنْسِ

وإنَّما يرتقي العبدُ عنْ هٰذهِ الحالةِ بالوجودِ .

* * *

---

(١) الخبر رواه ابن عساكر في « تاريخه » (١٣٩/٥) ، وفيه أن قائل البيتين جنِّيٌّ ، والثلاثة للخرَّاز ردّاً عليه .



فالتواجدُ : استدعاءُ الوَجْدِ بضربِ اختيارٍ ، وليسَ لصاحبِهِ كمالُ الوجدِ ؛ إذْ لوْ كانَ . . لكانَ واجداً ، وبابُ التفاعلِ أكثرُهُ علىٰ إظهارِ الصفةِ وليسَتْ كذلكَ ، قالَ الشاعرُ : [من الرجز]

إِذَا تَخَـازَرْتُ وَمَـا بِـي مِـنْ خَـزَزْ ثُـمَّ كَسَـرْتُ ٱلْعَيْـنَ مِـنْ غَيْـرِ عَـوَزْ (١)

فقومٌ قالوا : التواجدُ غيرُ مسلَّمٍ لصاحبِهِ ؛ لما يتضمَّنُ مِنَ التكلُّفِ ، ويبعدُ عنِ التحقُّقِ (٢) .

وقومٌ قالوا : إنَّهُ مسلَّمٌ للفقراءِ والمجرَّدينَ الذينَ ترصَّدوا لوِجدانِ هٰذهِ المعاني .

وأصلُهُمْ : خبرُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ابكوا ، فإنْ لمْ تبكوا . . فتباكَوا » (٣) .

والحكايةُ المعروفةُ لأبي محمدٍ الجُرَيريِّ أنَّهُ قالَ : كُنتُ عندَ الجنيدِ وهناكَ ابنُ مسروقٍ وغيرُهُ ، وثَمَّ قوَّالٌ ، فقامَ ابنُ مسروقٍ وغيرُهُ والجنيدُ ساكنٌ ، فقلتُ : يا سيدي ؛ ما لكَ في السَّماعِ شيءٌ ؟ فقالَ الجنيدُ : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا

---

(١) رجز متنازع النسبة ، ونسب للأغلب العجلي ، وانظر « شرح أدب الكاتب » للجواليقي (ص ٢٣٤) ، والخزر : ضيق العين وصغرها ، وتخازرت : أظهرت الخَزَر ، وهو للتداهي ، وقوله : (وما بي من خزر) دليل المصنف علىٰ مجيء (تفاعل) لإظهار الصفة وهي معدومة .

(٢) ولهم نحو ما روى البخاري (٧٢٩٣) عن سيدنا عمر رضي الله عنه موقوفاً : (نهينا عن التكلُّف) ، وما رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٧٨/٣٥) عن سيدنا الزبير بن أبي هالة رضي الله عنه مرفوعاً : « إني بريءٌ من التكلُّف وصالحو أمتي » .

(٣) رواه ابن ماجه (٤١٩٦) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

﴿جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[1] ، ثمَّ قالَ : وأنتَ يا أبا محمدٍ ؛ ما لكَ في السَّماعِ شيءٌ ؟ فقلتُ : يا سيدي ؛ أنا إذا حضرتُ موضعاً فيهِ سماعٌ وهناكَ مُحتشَمٌ . . أمسكتُ علىٰ نفسي وجدي ، فإذا خلوتُ . . أرسلتُ وجدي فتواجدتُ[2] .

فأطلقَ في هٰذهِ الحكايةِ التواجدَ ولمْ ينكرْ عليهِ الجنيدُ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ ـ رحمَهُ اللهُ ـ يقولُ : لمَّا راعى الأدبَ للأكابرِ في حالِ السماعِ . . حفظَ اللهُ عليهِ وقتَهُ ببركاتِ الأدبِ ، حتَّىٰ يقولُ : (أمسكتُ علىٰ نفسي وجدي ، فإذا خلوتُ . . أرسلتُ وجدي فتواجدتُ) لأنَّهُ لا يمكنُ إرسالُ الوجدِ ـ إذا شئتَ[3] ـ بعدَ ذهابِ الوقتِ وغلباتِهِ ، ولٰكنَّهُ لمَّا كانَ صادقاً في مراعاةِ حرمةِ الشيوخِ . . حفظَ اللهُ عليهِ وقتَهُ حتَّىٰ أرسلَ وجدَهُ عندَ الخلوةِ .

فالتواجدُ ابتداءُ الوجدِ على الوصفِ الذي جرىٰ ذكرُهُ ، وبعدَ هٰذا الوجدُ .

والوجدُ : ما يصادفُ قلبَكَ ، ويردُ عليكَ بلا تعمُّلٍ وتكلُّفٍ .

ولهٰذا قالَ المشايخُ : (الوجدُ المصادفةُ ، والمواجيدُ ثمراتُ الأورادِ[4] ؛ فكلُّ مَنِ ازدادَتْ وظائفُهُ . . ازدادَتْ مِنَ اللهِ لطائفُهُ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الوارداتُ منْ حيثُ الأورادُ ، مَنْ لا وردَ لهُ بظاهرِهِ . . لا واردَ لهُ في سرائرِهِ ، وكلُّ وجدٍ فيهِ مِنْ صاحبِهِ شيءٌ فليسَ بوجْدٍ) .

وكما أنَّ ما يتكلَّفُهُ العبدُ مِنْ معاملاتٍ ظاهرةٍ يوجبُ لهُ حلاوةَ الطاعاتِ . . فما ينازلُهُ العبدُ مِنْ أحكامِ باطنِهِ يوجبُ لهُ المواجيدَ ، فالحلاواتُ ثمراتُ المعاملاتِ ، والمواجيدُ نتائجُ المنازلاتِ .

---

(١) سورة النمل : (٨٨) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٧١) .

(٣) في هامش (ي) نسخة : (شَيِّبَ) بدل (شئت) .

(٤) تفضُّلاً لا بالاكتساب . « إحكام الدلالة » (٢/٤٦) .

وأما الوجودُ : فهوَ بعدَ الارتقاءِ عنِ الوجدِ ، ولا يكونُ وجودُ الحقِّ إلَّا بعدَ خمودِ البشريَّةِ ؛ لأنَّهُ لا يكونُ للبشريَّةِ بقاءٌ عندَ ظهورِ سلطانِ الحقيقةِ .

وهٰذا معنىٰ قولِ أبي الحسينِ النُّوريِّ : (أنا منذُ عشرينَ سنةً بينَ الوجْدِ والفقدِ ؛ إذا وجدتُ ربِّي . . فقدتُ قلبي ، وإذا وجدتُ قلبي . . فقدتُ ربِّي) .

وهٰذا معنىٰ قولِ الجنيدِ : (علمُ التوحيدِ مباينٌ لوجودِهِ ، ووجودُهُ مباينٌ لعلمِهِ) .

وفي هٰذا المعنىٰ أنشدوا : [من الوافر]

وُجُودِي أَنْ أَغِيبَ عَنِ ٱلْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ ٱلشُّهُودِ [1]

فالتواجدُ بدايةٌ ، والوجودُ نهايةٌ ، والوجدُ واسطةٌ بينَ البدايةِ والنهايةِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : التواجدُ يوجبُ استيعابَ العبدِ ، والوجدُ يوجبُ استغراقَ العبدِ ، والوجودُ يوجبُ استهلاكَ العبدِ ، فهوَ كمَنْ شهدَ البحرَ ، ثمَّ ركبَ البحرَ ، ثمَّ غرقَ في البحرِ .

وترتيبُ هٰذا الأمرِ [2] : قصودٌ ، ثمَّ ورودٌ ، ثمَّ شهودٌ ، ثمَّ وجودٌ ، ثمَّ خمودٌ ، وبمقدارِ الوجودِ يحصلُ الخمودُ .

وصاحبُ الوجودِ لهُ صحْوٌ ومحْوٌ ؛ فحالُ صحوِهِ بقاؤُهُ بالحقِّ ، وحالُ محوِهِ فناؤُهُ بالحقِّ ، وهاتانِ الحالتانِ أبداً متعاقبتانِ عليهِ .

فإذا غلبَ عليهِ الصحوُ بالحقِّ . . فبهِ يصولُ ، وبهِ يقولُ ؛ قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فيما أخبرَ عنِ الحقِّ : « فبي يسمعُ ، وبي يبصرُ » [3] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ

---

(١) البيت عند الخطيب في « تاريخه » (١٢٦/١٨) ضمن خبر .

(٢) وهو الانتقال من حال إلىٰ حال . « إحكام الدلالة » (٤٨/٢) .

(٣) من حديث رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به » ، وفي « فتح الباري » (٣٤٤/١١) أن ما أثبته المصنف رواية ، وعند أحمد في « المسند » (٣٣٢/٤) من حديث سيدنا علي كرم الله وجهه مرفوعاً : « اللهم ؛ بك أصول ، وبك أجول ، وبك أسير » .

يقولُ : وقفَ رجلٌ على الشِّبليِّ ، فسألَهُ : هلْ يظهرُ آثارُ صحَّةِ الوجودِ على الواجدينَ ؟ فقالَ : نورٌ يزهَرُ مقارناً لنيرانِ اشتياقٍ ، فتلوحُ على الهياكلِ آثارُهُما ؛ كما قالَ ابنُ المعتزِّ : [من البسيط]

وَأَمْطَرَ ٱلْكَأْسَ مَاءً مِنْ أَبَارِقِهَا ... فَأَنْبَتَ ٱلدُّرَّ فِي أَرْضٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ
وَسَبَّحَ ٱلْقَوْمُ لَمَّا أَنْ رَأَوْا عَجَباً ... نُوراً مِنَ ٱلْمَاءِ فِي نَارٍ مِنَ ٱلْعِنَبِ
سُلَافَةٌ وَرِثَتْهَا عَادُ عَنْ إِرَمٍ ... كَانَتْ ذَخِيرَةَ كِسْرَىٰ عَنْ أَبٍ فَأَبِ (١)

وقيلَ لأبي بكرٍ الدُّقِّيِّ : إنَّ جَهْماً الدُّقِّيَّ أخذَ شجرةً بيدِهِ في حالِ السماعِ في ثورانِهِ ، فقلعَها مِنْ أصلِها .

فاجتمعا في دعوةٍ ، وكانَ الدُّقيُّ كُفَّ بصرُهُ ، فقامَ جَهْمٌ الدُّقيُّ يدورُ في هيجانِهِ ، فقالَ الدُّقيُّ : إذا قرُبَ منِّي . . أرُونيهِ ، وكانَ الدُّقيُّ ضعيفاً بمرَّةٍ ، فلمَّا قرُبَ منهُ . . قالوا لهُ : هٰذا هوَ ، فأخذَ الدُّقيُّ بساقِ جهمٍ فوقفَهُ ، فلمْ يمكنْهُ أنْ يتحرَّكَ ، فقالَ جهمٌ : أيُّها الشيخُ ؛ التوبةَ التوبةَ ، فخلَّاهُ .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رحمَهُ اللهُ : فكانَ ثورانُ جهْمٍ في حقٍّ ، وإمساكُ الدُّقيِّ بساقِهِ بحقٍّ ، ولمَّا علمَ جهمٌ أنَّ حالَ الدُّقيِّ فوقَ حالِهِ . . رجعَ إلى الإنصافِ واستسلمَ ، وكذا مَنْ كانَ بحقٍّ لا يستعصي عليهِ شيءٌ .

وأمَّا إذا كانَ الغالبُ عليهِ المحوَ . . فلا علمَ ولا عقلَ ، ولا فهمَ ولا حسَّ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يذكرُ بإسنادِهِ أنَّ أبا عِقالٍ المغربيَّ أقامَ بمكَّةَ أربعَ سنينَ لمْ يأكلْ ولمْ يشربْ إلىٰ أنْ ماتَ (٢) .

ودخلَ بعضُ الفقراءِ علىٰ أبي عِقالٍ فقالَ لهُ : السلامُ عليكُمْ ، فقالَ أبو عِقالٍ : وعليكُمُ السلامُ ، فقالَ الرجلُ : أنا فلانٌ ، فقالَ أبو عِقالٍ : أنتَ

---

(١) انظر « ديوانه » (١٥٦/٢) ، وفاعل (أمطر) : هو الساقي المذكور قبلُ .

(٢) هو أبو عقال بن علوان القيرواني المغربي ، لُقِّب بحمامة الحرم . انظر خبره في « الأنساب » (٥٣٥/١٠) .

فلانٌ ؟ كيفَ أنتَ ؟ وكيفَ حالُكَ ؟ وغابَ عنْ حالتِهِ ، قالَ هـٰذا الرجلُ : فقلتُ : سلامٌ عليكُمْ ، فقالَ : عليكُمُ السلامُ ، كأنَّهُ لمْ يرني قطُّ ، فقلتُ : أنا فلانٌ ، فقالَ : أنتَ فلانٌ ؟ كيفَ أنتَ ؟ وكيفَ كنتَ ؟ وغابَ كأنَّهُ لمْ يرني ، ففعلتُ مثلَ هـٰذا غيرَ مرَّةٍ ، فعلمتُ أنَّ الرجلَ غائبٌ ، فتركتُهُ ، وخرجتُ .

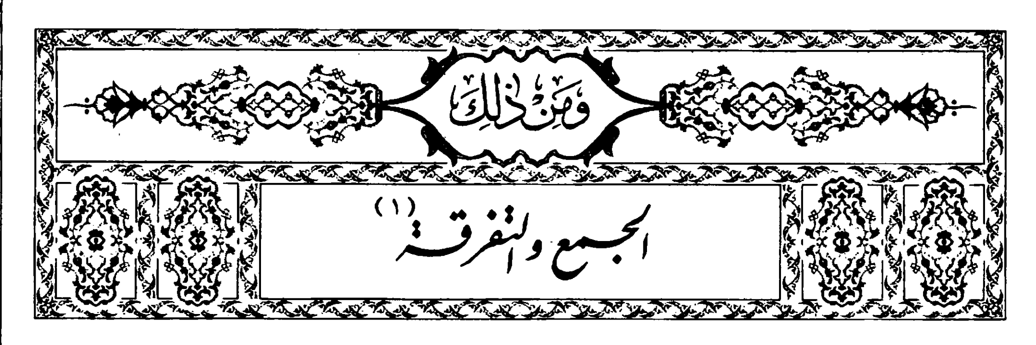
سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ محمدِ بنِ أحمدَ يقولُ : سمعتُ امرأةَ أبي عبدِ اللهِ التُّرُوغْبَذيِّ [1] تقولُ : لمَّا كانَ أيامُ المجاعةِ والناسُ يموتونَ مِنَ الجوعِ . . دخلَ أبو عبدِ اللهِ التُّرُوغْبَذيُّ بيتَهُ ، فرأىٰ فيه مقدارَ مَنَوينِ حنطةً ، فقالَ : الناسُ يموتونَ مِنَ الجوعِ وفي بيتي حنطةٌ ؟! فخُولطَ في عقلِهِ ، فما كانَ يفيقُ إلَّا في أوقاتِ الصلاةِ ، يصلِّي الفريضةَ ثمَّ يعودُ إلىٰ حالتِهِ ، فلمْ يزلْ كذٰلكَ إلىٰ أنْ ماتَ .

قالَ الأستاذُ قدَّس اللهُ روحَهُ : دلَّتْ هـٰذهِ الحكايةُ علىٰ أنَّ هـٰذا الرجلَ كانَ محفوظاً عليهِ آدابُ الشريعةِ عندَ غلباتِ أحكامِ الحقيقةِ ، وهـٰذا هوَ صفةُ أهلِ الحقيقةِ ، ثمَّ كانَ سببُ غيبتِهِ عنْ تمييزِهِ شفقتَهُ على المسلمينَ ، وهـٰذه أقوىٰ سِمَةٍ لتحقُّقِهِ في حالِهِ .

* * *

---

(١) نسبة إلىٰ تُرُوغْبَذ ، بلدة من بلاد طوس ، وانظر « طبقات السُّلمي » (ص ٤٩٤) ، و« معجم البلدان » (٢٨/٢) .



لفظُ : (الجمعِ والتفرقةِ) يجري في كلامِهِمْ كثيراً .

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ الدقَّاقُ يقولُ : (الفرقُ : ما نُسِبَ إليكَ ، والجمعُ : ما سُلِبَ عنكَ) .

ومعناهُ : أنَّ ما يكونُ كسباً للعبدِ ؛ مِنْ إقامةِ العبوديةِ ، وما يليقُ بأحوالِ البشريَّةِ . . فهوَ فرْقٌ ، وما يكونُ مِنْ قبلِ الحقِّ ؛ مِنْ إبداءِ معانٍ ، وإسداءِ لطْفٍ وإحسانٍ . . فهوَ جمعٌ .

هٰذا أدنىٰ أحوالِهِمْ في الجمعِ والفرقِ ؛ لأنَّهُ في شهودِ الأفعالِ .

فمَنْ أشهدَهُ الحقُّ سبحانَهُ أفعالَهُ مِنْ طاعتِهِ ومخالفاتِهِ . . فهوَ عبدٌ بوصْفِ التفرقةِ ، ومَنْ أشهدَهُ الحقُّ سبحانَهُ ما يوليهِ مِنْ أفعالِ نفسِهِ سبحانَهُ . . فهوَ عبدٌ بشاهدِ الجمعِ (٢) .

فإثباتُ الخلْقِ مِنْ بابِ التفرقةِ ، وإثباتُ الحقِّ مِنْ نعتِ الجمعِ .

ولا بدَّ للعبدِ مِنَ الجمعِ والفرقِ ؛ فإنَّ مَنْ لا تفرقةَ لهُ . . فلا عبوديةَ لهُ ، ومَنْ لا جمعَ لهُ . . لا معرفةَ لهُ ، فقولُهُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ : إشارةٌ إلى الفرْقِ ، وقولُهُ : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٣) : إشارةٌ إلى الجمعِ .

وإذا خاطبَ العبدُ الحقَّ سبحانَهُ بلسانِ نجواهُ ؛ إمَّا سائلاً ، أوْ داعياً ،

---

(١) في (د ، ي ، ك ، ل) : (الجمع والفرق) ، وفي (ج) : (الفرق والجمع) .
(٢) في غير (ب) من الأصول : (يشاهدُ الجمعَ) ، والمثبت أولىٰ .
(٣) سورة الفاتحة : (٥) .

أوْ مثنياً ، أوْ شاكراً ، أوْ متنصِّلاً ، أوْ مبتهلاً . . قامَ في محلِّ التفرقةِ[1] .

وإذا أصغىٰ بسرِّهِ إلىٰ ما يناجيهِ مولاهُ ، واستمعَ بقلبِهِ ما يخاطبُهُ بهِ فيما ناداهُ ، أوْ ناجاهُ ، أوْ عرَّفَهُ معناهُ ، أوْ لوَّحَ لقلبِهِ وأراهُ . . فهوَ بشاهدِ الجمعِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : أنشدَ قوَّالٌ بينَ يديِ الأستاذِ أبي سهْلٍ الصُّعْلُوكيِّ رحمَهُ اللهُ : [من الوافر]

جَعَلْتُ تَنَزُّهِي نَظَرِي إِلَيْكَا ....

وكانَ أبو القاسمِ النصراباذيُّ حاضراً ، فقالَ الأستاذُ أبو سهْلٍ : (جعَلْتَ) بنصبِ التاءِ ، فقالَ النصراباذيُّ : بلْ (جَعَلْتُ) بضمِّ التاءِ ، فقالَ الأستاذُ أبو سهلٍ : أليسَ عينُ الجمعِ أتمَّ ؟! فسكتَ النصراباذيُّ .

وسمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ أيضاً يحكي هٰذهِ الحكايةَ علىٰ هٰذا الوجهِ .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ : ومعنىٰ هٰذا : أنَّ مَنْ قالَ : (جعلتُ) بضمِّ التاءِ . . يكونُ إخباراً عنْ حالِ نفسِهِ ، فكأنَّ العبدَ يقولُ هٰذا ، وإذا قالَ : (جعلتَ) بالفتحِ . . فكأنَّهُ يتبرَّأُ مِنْ أنْ يكونَ ذٰلكَ بتكلُّفِهِ ، بلْ يخاطبُ مولاهُ فيقولُ : أنتَ الذي خصصْتَني بهٰذا ، لا أنا بتكلُّفي .

فالأوَّلُ علىٰ خطرِ الدعوىٰ ، والثاني بوصْفِ التبرّي مِنَ الحولِ ، والإقرارِ بالفضْلِ والطَّوْلِ ، وفرقٌ بينَ مَنْ يقولُ : بجهدي أعبدُكَ ، وبينَ مَنْ يقولُ : بفضلِكَ ولطفِكَ أشهدُكَ .

وجمعُ الجمعِ فوقَ هٰذا .

ويختلفُ الناسُ في هٰذهِ الجملةِ علىٰ حسبِ تباينِ أحوالِهِمْ وتفاوتِ درجاتِهِمْ :

---

(١) وإن رأىٰ ذٰلك من فضل ربه ؛ لكونه يرىٰ نفسه سائلاً أو داعياً أو غيره . « إحكام الدلالة » (٢/٥٦) .

فمَنْ أثبتَ نفسَهُ ، وأثبتَ الخلْقَ ، ولٰكنْ شاهدَ الكلَّ قائماً بالحقِّ . . فهٰذا هوَ جمعٌ[(١)] .

وإذا كانَ مختطفاً عنْ شهودِ الخلْقِ ، مصطلماً عنْ نفسِهِ ، مأخوذاً بالكلِّيَّةِ عنِ الإحساسِ بكلِّ غيرٍ بما ظهرَ واستولىٰ مِنْ سلطانِ الحقيقةِ . . فذاكَ جمعُ الجمعِ .

فالتفرقةُ : شهودُ الأغيارِ للهِ عزَّ وجلَّ ، والجمعُ : شهودُ الأغيارِ باللهِ عزَّ وجلَّ ، وجمعُ الجمعِ : الاستهلاكُ بالكلِّيَّةِ ، وفَناءُ الإحساسِ بما سوى اللهِ عزَّ وجلَّ عندَ غَلَباتِ الحقيقةِ .

وبعدَ هٰذا حالةٌ عزيزةٌ يسمِّيها القومُ الفرقَ الثانيَ ؛ وهوَ أنْ يُردَّ إلى الصحوِ عندَ أوقاتِ أداءِ الفرائضِ ليَجْرِيَ عليهِ القيامُ بالفرائضِ في أوقاتِها ، فيكونُ رجوعاً للهِ باللهِ ، لا للعبدِ بالعبدِ ، فالعبدُ يطالعُ نفسَهُ في هٰذهِ الحالةِ في تصريفِ الحقِّ سبحانَهُ ، يشهدُ مبدأَ ذاتِهِ وعينِهِ بقدرتِهِ ، يُجري أحوالَهُ وأفعالَهُ عليهِ بعلمِهِ ومشيئتِهِ[(٢)] .

وأشارَ بعضُهُمْ بلفظِ (الجمعِ والفرقِ) إلىٰ تصريفِ الحقِّ سبحانَهُ جميعَ الخلْقِ ، فجمعَ الكلَّ في التقليبِ والتصريفِ مِنْ حيثُ إنَّهُ منشئُ ذواتِهِمْ ومُجْري صفاتِهِمْ ، ثمَّ فرَّقَهُمْ في التنويعِ ؛ ففريقاً أسعدَهُمْ ، وفريقاً أبعدَهُمْ ، وفريقاً هداهُمْ ، وفريقاً أضلَّهُمْ فأعماهُمْ[(٣)] ، وفريقاً حجبَهُمْ ، وفريقاً جذَبَهُمْ ، وفريقاً آنَسَهُمْ بوُصْلتِهِ ، وفريقاً آيسَهُمْ مِنْ رحمتِهِ ، وفريقاً أكرمَهُمْ بتوفيقِهِ ، وفريقاً اصطلَمَهُمْ عندَ رؤيتِهِمْ لتحقيقِهِ[(٤)] ، وفريقاً أصحاهُمْ ، وفريقاً محاهُمْ ، وفريقاً قرَّبَهُمْ ، وفريقاً غيَّبَهُمْ ، وفريقاً

---

(١) أي : نوع آخر من الجمع . « إحكام الدلالة » (٢/٥٧) .

(٢) في (ي) العبارة : (يشهد مُبدِئَ ذاته وعينِهِ بقدرته ، ومُجْري أفعاله وأحواله . . .) .

(٣) في (ج) : (وفريقاً أضلهم ، وفريقاً أغواهم ، وفريقاً أنجاهم ، وفريقاً أعماهم) .

(٤) في (ي) : (رَوْمهم) بدل (رؤيتهم) .

أدناهُمْ وأحضرَهُمْ ، ثمَّ سقاهُمْ فأسكرَهُمْ ، وفريقاً أشقاهُمْ وأخَّرَهُمْ ، ثمَّ أقصاهُمْ وهجرَهُمْ [١] .

وأنواعُ أفعالِهِ سبحانَهُ لا يحيطُ بها حصرٌ ، ولا يأتي علىٰ تفصيلِها شرحٌ وذكرٌ .

وأنشدوا للجنيدِ في معنى الجمعِ والتفرقةِ : [من مجزوء الرمل]

وَتَحَقَّقْتُكَ فِي سِرِّي ... فَنَاجَاكَ لِسَانِي
فَٱجْتَمَعْنَا لِمَعَانٍ ... وَٱفْتَرَقْنَا لِمَعَانِ
إِنْ يَكُنْ غَيَّبَكَ ٱلتَّعْـ ... ـظِيمُ عَنْ لَحْظِ عِيَانِي
فَلَقَدْ صَيَّرَكَ ٱلْوَجْـ ... ـدُ مِنَ ٱلْأَحْشَاءِ دَانِ [٢]

وأنشدوا : [من المتقارب]

إِذَا مَا بَدَا لِي تَعَاظَمْتُهُ ... فَأَصْدُرُ فِي حَالِ مَنْ لَمْ يَرِدْ
جُمِعْتُ وَفُرِّقْتُ عَنِّي بِهِ ... فَفَرْدُ ٱلتَّوَاصُلِ مَثْنَى ٱلْعَدَدْ [٣]

* * *

(١) في (أ ، ل) : (ثم أقمأَهُمْ وهجرَهُمْ) ، يقال : أقمأته ؛ إذا صغَّرته وذلَّلته ، وفي (ج) : (ثم أفناهم وهجرهم) .

(٢) رواها الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١٥/٨) للحلاج .

(٣) أي : الفرد الذي هو محل التواصل بينه وبين مولاه اثنان من العدد ؛ باعتبار كونه مفرَّقاً ومجموعاً ، وهما الحالان . « إحكام الدلالة » (٥٩/٢) .



أشارَ القومُ بالفناءِ إلىٰ سقوطِ الأوصافِ المذمومةِ ، وأشاروا بالبقاءِ إلىٰ قيامِ الأوصافِ المحمودةِ .

فإذا كانَ العبدُ لا يخلو عنْ أحدِ هـٰذينِ القسمينِ . . فمِنَ المعلومِ أنَّهُ إذا لمْ يكنْ أحدُ القسمينِ . . كانَ القسمُ الآخرُ لا محالةَ ؛ فمَنْ فنيَ عنْ أوصافِهِ المذمومةِ . . ظهرَتْ عليهِ الخصالُ المحمودةُ ، ومَنْ غلبَتْ عليهِ الخصالُ المذمومةُ . . استترَتْ عنهُ الصفاتُ المحمودةُ .

واعلمْ : أنَّ الذي يتَّصفُ بهِ العبدُ أفعالٌ ، وأخلاقٌ ، وأحوالٌ ؛ فالأفعالُ تصرُّفاتُهُ باختيارِهِ ، والأخلاقُ جِبلَّةٌ فيهِ ، ولـٰكنْ تتغيَّرُ بمعالجتِهِ علىٰ مستمرِّ العادةِ ، والأحوالُ تردُ على العبدِ علىٰ وجهِ الابتداءِ ، لـٰكنْ صفاؤُها بعدَ زكاءِ الأعمالِ ، فهيَ كالأخلاقِ مِنْ هـٰذا الوجهِ(١) ؛ لأنَّ العبدَ إذا نازلَ الأخلاقَ بقلبِهِ ، فينفي بجهدِهِ سَفسافَها(٢) . . مَنَّ اللهُ عليهِ بتحسينِ أخلاقِهِ ، وكذٰلكَ إذا واظبَ علىٰ تزكيةِ أعمالِهِ ببذلِ وُسْعِهِ . . مَنَّ اللهُ عليهِ بتصفيةِ أحوالِهِ ، بلْ بتوفيةِ أحوالِهِ(٣) .

فمَنْ تركَ مذمومَ أفعالِهِ بلسانِ الشريعةِ(٤) . . يُقالُ : إنَّهُ فَنِيَ عنْ شهوتِهِ ، فإذا فنيَ عنْ شهوتِهِ . . بقيَ بنيَّتِهِ وإخلاصِهِ في عبوديَّتِهِ(٥) .

---

(١) وهو تمكُّن العبد من تغييرهما . « إحكام الدلالة » (٦٣/٢) أراد الخُلُقَ والحالَ .
(٢) أي : دنيئها ؛ كالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق . « إحكام الدلالة » (٦٣/٢) .
(٣) أي : باستيفائها وبلوغه إياها كاملة مستوفاة . « نتائج الأفكار » (٦٣/٢) .
(٤) في (ج) : (أفعاله وأحواله) .
(٥) في (أ) : (بقي يقينُهُ وإخلاصُهُ في عبوديته) ، والمثبت أولىٰ .

وَمَنْ زهدَ في دنياهُ بقلبِهِ . . يُقالُ : فنيَ عنْ رغبتِهِ ، فإذا فنيَ عنْ رغبتِهِ . . بقيَ بصدقِ إنابتِهِ .

ومَنْ عالجَ أخلاقَهُ ؛ فنفىٰ عنْ قلبِهِ الحسدَ والحقدَ ، والبخلَ والشحَّ ، والغضبَ والكبْرَ ، وأمثالَ هـٰذا مِنْ رعوناتِ النفسِ . . يُقالُ : فنيَ عنْ سوءِ الخُلُقِ ، فإذا فنيَ عنْ سوءِ الخُلُقِ . . بقيَ بالفتوَّةِ والصدقِ .

ومَنْ شاهدَ جريانَ القدرةِ في تصاريفِ الأحكامِ . . يُقالُ : فنيَ عنْ حُسْبانِ الحَدَثانِ مِنَ الخلْقِ [1] ، فإذا فنيَ عنْ توهُّمِ الآثارِ مِنَ الأغيارِ . . بقيَ بصفاتِ الحقِّ .

ومَنِ استولىٰ عليهِ سـلطانُ الحقيقةِ حتَّىٰ لمْ يشهدْ مِنَ الأغيارِ لا عيناً ولا أثراً ، ولا رَسْماً ولا طَلَلاً . . يُقالُ : إنَّهُ فنيَ عنِ الخلْقِ وبقيَ بالحقِّ .

ففناءُ العبدِ عنْ أفعالِهِ الذميمةِ وأحوالِهِ الخسيسةِ : بعدمِ هـٰذهِ الأفعالِ ، وفناؤُهُ عنْ نفسِهِ وعنِ الخلْقِ : بزوالِ إحساسِهِ بنفسِهِ وبهِمْ .

فإذا فنيَ عنِ الأفعالِ والأخلاقِ والأحوالِ . . فلا يجوزُ أنْ يكونَ ما فنيَ عنهُ مِنْ ذٰلكَ موجوداً [2] .

وإذا قيلَ : فنيَ عنْ نفسِهِ وعنِ الخلْقِ . . فتكونُ نفسُهُ موجودةً والخلقُ موجودينَ ، ولـٰكنَّهُ لا علمَ لهُ بهِمْ ولا بهِ ، ولا إحساسَ ولا خبرَ ، فتكونُ نفسُهُ موجودةً والخلْقُ موجودينَ ولـٰكنَّهُ غافلٌ عنْ نفسِهِ وعنِ الخلْقِ أجمعينَ ، غيرُ محسٍّ بنفسِهِ وبالخلْقِ .

وقدْ ترى الرجلَ يدخلُ علىٰ ذي سلطانٍ أوْ محتشَمٍ ، فيذهَلُ عنْ نفسِهِ وعنْ أهلِ مجلسِهِ ، وربَّما يذهَلُ عنْ ذٰلكَ المحتشَمِ ، حتَّىٰ إذا سُئِلَ بعدَ

---

(١) يعني : فني عن عدِّ الحدوث من الخلق . « إحكام الدلالة » (٦٣/٢) .

(٢) أي : موجوداً عنده ؛ إذ لا يتحقق فناؤه عنه إلا بانسلاخه عنه ببقائه مع الأخلاق الحميدة . « إحكام الدلالة » (٦٣/٢) .

خروجِهِ مِنْ عندِهِ عنْ أهلِ مجلسِهِ وهيئاتِ ذٰلكَ الصدْرِ وهيئاتِ نفسِهِ . . لمْ يمكنْهُ الإخبارُ عنْ شيءٍ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ (١) ، لمْ يجدْنَ عندَ لقاءِ يوسفَ عليهِ السلامُ على الوَهْلةِ ألمَ قطعِ الأيدي وهُنَّ أضعفُ الناسِ ، وقلْنَ : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ ولقدْ كانَ بشراً ، وقلْنَ : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ ولمْ يكنْ مَلَكاً .

فهٰذا تغافلُ مخلوقٍ عنْ أحوالِهِ عندَ لقاءِ مخلوقٍ ، فما ظنُّكَ بمَنْ يُكاشَفُ بشهودِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ؟! فلوْ تغافلَ عنْ إحساسِهِ بنفسِهِ وأبناءِ جنسِهِ . . فأيُّ أعجوبةٍ فيهِ ؟!

فمَنْ فَنِيَ عنْ جهلِهِ . . بقيَ بعلمِهِ ، ومَنْ فنيَ عنْ شهوتِهِ . . بقيَ بإنابتِهِ ، ومَنْ فنيَ عنْ رغبتِهِ . . بقيَ بزهادتِهِ ، ومَنْ فنيَ عنْ مُنْيَتِهِ . . بقيَ بإرادتِهِ .

وكذٰلكَ القولُ في جميعِ صفاتِهِ ، فإذا فنيَ العبدُ عنْ صفتِهِ بما جرىٰ ذكرُهُ . . يرتقي عنْ ذٰلكَ بفنائِهِ عنْ رؤيةِ فَنائِهِ ، وإلىٰ هٰذا أشارَ قائلُهُمْ : [من الوافر]

وَقَوْمٌ تَاهَ فِي أَرْضٍ بِقَفْرٍ ... وَقَوْمٌ تَاهَ فِي مَيْدَانِ حُبِّهْ
فَأُفْنُوا ثُمَّ أُفْنُوا ثُمَّ أُفْنُوا ... وَأُبْقُوا بِالْبَقَا مِنْ قُرْبِ قُرْبِهْ (٢)

فالأوَّلُ فناءٌ عنْ نفسِهِ وصفاتِهِ ببقائِهِ بصفاتِ الحقِّ ، ثمَّ فناؤُهُ عنْ صفاتِ الحقِّ بشهودِ الحقِّ ، ثمَّ فناؤُهُ عنْ شهودِ فنائِهِ باستهلاكِهِ في وجودِ الحقِّ (٣) .

* * *

---

(١) سورة يوسف : (٣١) .

(٢) البيتان لذي النون المصري كما ذكر الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٨٩) بزيادة ، أفرد ضمير القوم تارة باعتبار لفظه ، وجمعه أخرىٰ باعتبار معناه . « إحكام الدلالة » (٢/٦٦) ، وفي بعض النسخ : (بالبقاء بقرب ربه) والمثبت من (هـ) وصحح في (ي) .

(٣) وثلاثة أنواع من البقاء : يبقون ببقاء المعرفة ، ثم ببقاء الأنس ، ثم ببقاء الرؤية . « تهذيب الأسرار » (ص ٥٨٩) .



فالغَيبةُ : غَيبةُ القلبِ عنْ علْمِ ما يجري مِنْ أحوالِ الخلْقِ ؛ لاشتغالِ الحسِّ بما وردَ عليهِ .

ثمَّ قدْ يغيبُ عنْ إحساسِهِ بنفسِهِ وغيرِهِ بواردٍ ؛ مِنْ تذكُّرِ ثوابٍ ، أوْ تفكُّرٍ في عقابٍ .

كما رُويَ أنَّ الربيعَ بنَ خُثَيمٍ كانَ يذهبُ إلى ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فمرَّ بحانوتِ حدَّادٍ ، فرأى الحديدةَ المحمَّاةَ في الكيرِ ، فغُشِيَ عليهِ ولمْ يفقْ إلى الغدِ ، فلمَّا أفاقَ . . سُئِلَ عنْ ذٰلكَ ، فقالَ : تذكَّرتُ كونَ أهلِ النارِ في النارِ[١] .

فهٰذهِ غيبةٌ زادَتْ علىٰ حدِّها حتَّىٰ صارتْ غَشيةً .

ورُويَ عنْ عليِّ بنِ الحسينِ أنَّهُ كانَ في سجودِهِ ، فوقعَ حريقٌ في دارِهِ ، فلمْ ينصرفْ عنْ صلاتِهِ ، فسُئِلَ عنْ حالِهِ ، فقالَ : ألهتْني النارُ الكبرىٰ عنْ هٰذهِ النارِ[٢] .

وربَّما تكونُ الغَيبةُ عنْ إحساسِهِ بمعنىً يُكاشَفُ بهِ مِنَ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ .

ثمَّ إنهُمْ مختلفونَ في ذٰلكَ علىٰ حسَبِ أحوالِهِمْ .

ومِنَ المشهورِ أنَّ ابتداءَ حالِ أبي حفصٍ النيسابوريِّ الحدَّادِ في تركِهِ الحرفةَ أنَّهُ كانَ علىٰ حانوتِهِ ، فقرأَ قارئٌ آيةً مِنَ القرآنِ ، فوردَ علىٰ قلبِ

---

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٩٤٥) بنحوه .

(٢) رواه ابن الجوزي في « المنتظم » (٤/٤٥٨) .

أبـي حفصٍ واردٌ تغافلَ عنْ إحساسِـهِ ، **فأدخلَ يدَهُ في النارِ وأخرجَ الحديدةَ المحمَّاةَ بيدِهِ** ! فرأىٰ تلميذُهُ ذٰلكَ ، فقالَ : يا أستاذُ ؛ ما هٰذا ؟! فنظرَ أبو حفصٍ إلىٰ ما ظهرَ عليهِ ، فتركَ الحرفةَ وقامَ مِنْ حانوتِهِ(١) .

وكانَ الجنيدُ قاعداً وعندَهُ امرأتُهُ ، فدخلَ الشِّبليُّ ، فأرادتِ امرأتُهُ أنْ تستترَ ، فقالَ لها الجنيدُ : **لا خبرَ للشِّبليِّ عنكِ** ، فاقعدي .

فلمْ يزلْ يكلمُهُ الجنيدُ ، فبكى الشِّبليُّ ، فلمَّا أخذَ الشِّبليُّ في البكاءِ . . قالَ الجنيدُ لامرأتِهِ : استتري ؛ **فقدْ أفاقَ الشِّبليُّ مِنْ غَيبتِهِ**(٢) .

سمعتُ أبا نصرٍ المؤذِّنَ بنَسا وكانَ رجلاً صالحاً قالَ : كنتُ أقرأُ القرآنَ في مجلسِ الأستاذِ أبي عليٍّ الدقَّاقِ بنَسا وقتَ كونِهِ هناكَ ، وكانَ يتكلَّمُ في الحجِّ كثيراً ، فأثَّرَ في قلبي كلامُهُ ، وخرجتُ إلى الحجِّ تلكَ السنةَ ، وتركتُ الحانوتَ والحرفةَ ، وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ رحمَهُ اللهُ خرجَ إلى الحجِّ أيضاً في تلكَ السنةِ .

وكنتُ مدَّةَ كونِهِ بنَسا أخدمُهُ وأواظبُ على القراءةِ في مجلسِهِ ، فرأيتُهُ يوماً في الباديةِ تطهَّرَ ونسيَ قُمْقُمةً كانَتْ بيدِهِ ، فحملتُها ، فلما عادَ إلىٰ رحلِهِ . . وضعتُهَا عندَهُ ، فقالَ : جزاكَ اللهُ خيراً حيثُ حملتَ هٰذا ، **ثمَّ نظرَ إليَّ طويلاً كأنَّهُ لمْ يرَني قطُّ** ، وقالَ : رأيتُكَ مرَّةً ؟! مَنْ أنتَ ؟ فقلتُ : المستغاثُ باللهِ ! صحبتُكَ مدَّةً ، وخرجتُ عنْ مسكني ومالي بسببِكَ ، وقطعتُ المفازةَ بكَ ، الساعةَ تقولُ : رأيتُكَ مرَّةً !!

وأمَّا الحضورُ : فقدْ يكونُ حاضراً بالحقِّ ؛ **لأنَّهُ إذا غابَ عنِ الخلْقِ** . . حضرَ بالحقِّ ؛ علىٰ معنىٰ أنْ يكونَ كأنَّهُ حاضرٌ ؛ وذٰلكَ لاستيلاءِ ذكرِ الحقِّ علىٰ قلبِهِ ، فهوَ حاضرٌ بقلبِهِ بينَ يدي ربِّهِ ، فعلىٰ حسَبِ غَيبتِهِ عنِ الخلْقِ يكونُ حضورُهُ بالحقِّ ، **فإنْ غابَ بالكلِّيَّةِ** . . كانَ الحضورُ علىٰ حسَبِ الغَيبةِ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٠) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٦٧) بنحوه ، ويطلق الاستتار علىٰ زيادة الحشمة .

فإذا قيلَ : فلانٌ حاضرٌ . . فمعناهُ : أنَّهُ حاضرٌ بقلبِهِ لربِّهِ ، غيرُ غافلٍ عنهُ ولا ساهٍ ، مستديمٌ لذكرِهِ ، ثمَّ يكونُ مكاشَفاً في حضورِهِ علىٰ حسَبِ رتبتِهِ بمعانٍ يخصُّهُ الحقُّ سبحانَهُ بها .

وقدْ يُقالُ لرجوعِ العبدِ إلىٰ إحساسِهِ بأحوالِ نفسِهِ وأحوالِ الخلْقِ : إنَّهُ حضرَ ؛ أيْ : رجعَ عنْ غَيبتِهِ ، فهـٰذا يكونُ حضوراً بخلْقٍ وحضوراً بحقٍّ[١] ، والأوَّلُ حضورٌ بحقٍّ .

وقدْ تختلفُ أحوالُهُمْ في الغَيبةِ ؛ فمنهُمْ مَنْ لا تمتدُّ غَيبتُهُ ، ومنهُمْ مَنْ تدومُ غَيبتُهُ .

وقدْ حُكيَ أنَّ ذا النونِ المصريَّ بعثَ إنساناً مِنْ أصحابِهِ إلىٰ أبي يزيدَ لينقلَ إليهِ صفةَ أبي يزيدَ ، فلمَّا جاءَ الرجلُ إلىٰ بِسطامَ . . سألَ عنْ دارِ أبي يزيدَ ، فدخلَ عليهِ ، فقالَ لهُ أبو يزيدَ : ما تريدُ ؟ فقالَ : أريدُ أبا يزيدَ ، فقالَ : مَنْ أبو يزيدَ ؟ وأينَ أبو يزيدَ ؟ أنا في طلبِ أبي يزيدَ !

فخرجَ الرجلُ ، وقالَ : هـٰذا مجنونٌ ، ورجعَ إلىٰ ذي النونِ فأخبرَهُ بما شهدَ ، فبكىٰ ذو النونِ وقالَ : أخي أبو يزيدَ ذهبَ في الذَّاهبينَ إلى اللهِ تعالىٰ .

* * *

(١) في (أ) : (فهـٰذا يكون حضوراً بحقٍ ، وحضوراً بخلق) ، وفي (ك) سقط : (وحضوراً بحقٍ) ، وفي (ي) : (فهـٰذا يكون حضوراً بخلق ، والأول حضوراً بحق) ، وكذا في « إحكام الدلالة » (٦٨/٢) وقال : (فالحاضر بالمعنى الأول غائب حاضر بالنسبة إلىٰ شيئين ، وبالمعنى الثاني غائب حاضر بالنسبة إلىٰ شيء واحد في وقتين . . .) ، فمن غاب عمَّا سوى الله تعالىٰ . . فهو غائب عمَّا سواه ، حاضرٌ بالله ؛ فهـٰذه غيبة وحضور بالنسبة لشيئين ، ومن رُدَّ إلىٰ أحوال نفسه ، فاشتغل بالأخلاق المحمودة . . فهو غائب عن الأخلاق المذمومة ، حاضر مع أخلاقه المحمودة ، فإن اشتغل بالمذمومة . . فهو غائب عن الأخلاق المحمودة ، حاضر مع الأخلاق المذمومة ، فقد بان أنه غائب عن المذمومة تارة ، حاضر بها تارة أخرىٰ ، وهـٰذا حضور وغيبة بالنسبة إلىٰ شيء واحد . أفاده العلامة اللخمي في « فوائد الرسالة » .



فالصحوُ : رجوعٌ إلى الإحساسِ بعدَ الغَيبةِ ، والسكْرُ : غَيبةٌ بواردٍ قويٍّ .

والسكْرُ زيادةٌ على الغَيبةِ مِنْ وجهٍ ؛ وذلكَ أنَّ صاحبَ السكْرِ قدْ يكونُ مبسوطاً إذا لمْ يكنْ مستوفىً في سكْرِهِ ، وقدْ يسقطُ إخطارُ الأشياءِ عنْ قلبِهِ في حالِ سكْرِهِ[1] ، وتلكَ حالُ التساكرِ الذي لمْ يستوفِهِ الواردُ ، فيكونُ للإحساسِ فيهِ مساغٌ .

وقدْ يقوىٰ سكرُهُ حتَّىٰ يزيدَ على الغَيبةِ ؛ فربَّما يكونُ صاحبُ السكْرِ أشدَّ غَيبةً مِنْ صاحبِ الغَيبةِ إذا قويَ سكرُهُ ، وربَّما يكونُ صاحبُ الغَيبةِ أتمَّ في الغَيبةِ مِنْ صاحبِ السكرِ إذا كانَ متساكراً غيرَ مستوفىً .

والغَيبةُ قدْ تكونُ للعبادِ بما يغلبُ علىٰ قلوبِهِمْ مِنْ موجَبِ الرغبةِ والرهبةِ ، ومقتضياتِ الخوفِ والرجاءِ ، والسكرُ لا يكونُ إلَّا لأصحابِ المواجيدِ .

فإذا كُوشفَ العبدُ بنعتِ الجمالِ . . حصلَ السكرُ ، وطربَ الروحُ ، وهامَ القلبُ ، وفي معناهُ أنشدوا : [من الطويل]

فَصَحْوُكَ مِنْ لَفْظِي هُوَ ٱلْوَصْلُ كُلُّهُ ... وَسُكْرُكَ مِنْ لَحْظِي يُبِيحُ لَكَ ٱلشُّرْبَا

ويتقدَّمُهُ :

فَمَا مَلَّ سَاقِيهَا وَمَا مَلَّ شَارِبٌ ... عُقَارَ لِحَاظٍ كَأْسُهُ يُسْكِرُ ٱللُّبَّا[2]

---

(١) فهي حالة ثانية ، فيكون مستوفىً فيه ، وقوله الآتي : (وتلك حال التساكر) عائد للصورة الأولىٰ .

(٢) هما لأبي عبد الله أحمد بن عطاء الرُّوذْباري ، أنشدهما ضمن أبيات رواها السُّلمي في « طبقاته » (ص ٥٠٠) بألفاظ مقاربة ، وقوله : (فصحوك . . .) هو من كلام الساقي صاحب الطرف الفاتر في بيت سكت عنه هنا .

وأنشدوا : [من مخلع البسيط]

فَأَسْـــكَرَ ٱلْقَـــوْمَ دَوْرُ كَأْسٍ وَكَانَ سُـــكْرِي مِـــنَ ٱلْمُدِيـــرِ (١)

وأنشدوا : [من البسيط]

لِـي سَـكْرَتَانِ وَلِلنُّدْمَـانِ وَاحِـدَةٌ شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي (٢)

وأنشدوا : [من الكامل]

سُكْرَانِ سُكْرُ هَـوىً وَسُكْرُ مُدَامَـةٍ فَمَتَـىٰ يُفِيـقُ فَتـىً بِـهِ سُـكْرَانِ (٣)

قالَ الأستاذُ رضيَ اللهُ عنهُ : واعلمْ : أنَّ الصحْوَ علىٰ حسَبِ السكرِ ؛ فكلُّ مَنْ كانَ سكرُهُ بحقٍّ . . كانَ صحوُهُ بحقٍّ ، ومَنْ كانَ سكرُهُ بحظٍّ مَشوباً . . كانَ صحوُهُ بحظٍّ مصحوباً ، ومَنْ كانَ محقّاً في حالِهِ (٤) . . كانَ محفوظاً في سكرِهِ .

والسكرُ والصحوُ يشيرانِ إلىٰ طرَفٍ مِنَ التفرقةِ ، فإذا ظهرَ مِنْ سلطانِ الحقيقةِ عَلَمٌ . . فصفةُ العبدِ الثبورُ والقهرُ ، وفي معناهُ أنشدوا : [من الوافر]

إِذَا طَلَـعَ ٱلصَّبَـاحُ لِنَجْـمِ رَاحٍ تَسَـاوَىٰ فِيـهِ سَـكْرَانٌ وَصَـاحِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ (٥) .

هٰذا مَعَ رسالتِهِ خرَّ صَعِقاً ، وهٰذا معَ صلابتِهِ وقوَّتِهِ [صارَ] دكّاً متكسِّراً ! (٦) .

والعبدُ في حالِ سكرِهِ بشاهدِ الحالِ ، وفي حالِ صحوِهِ بشرطِ

---

(١) البيت دون نسبة في « المحب والمحبوب والمشموم والمشروب » (٢٦٢/٤) آخر قصيدة .

(٢) هو للشبلي رحمه الله تعالىٰ ، رواه عنه ابن عساكر في « تاريخه » (٧١/٦٦) .

(٣) هو لديك الجن ضمن أبيات . انظر « ديوانه » (ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦) .

(٤) في هامش (ي) نسخة : (في حال صحوه) بدل (في حاله) .

(٥) سورة الأعراف : (١٤٣) .

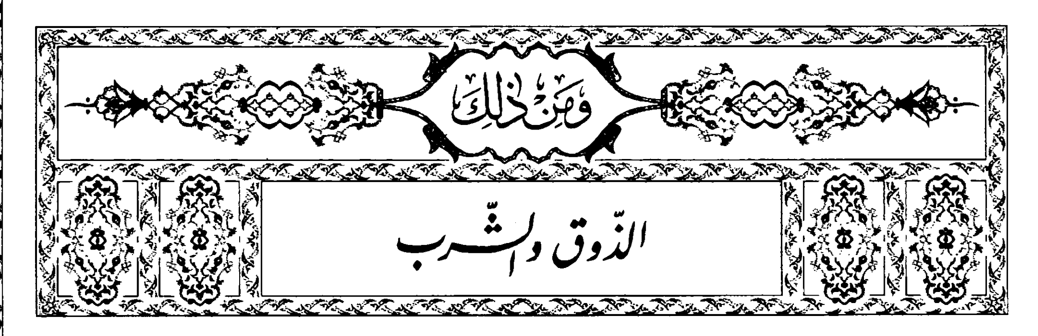
(٦) في (ج) وهامش (ي) : (منكسراً) بدل (متكسراً) ، وفي سائر النسخ غير (ي) : (ظل) بدل (صار) .

العلـــمِ [1] ، إلَّا أنَّهُ في حالِ سـكرِهِ محفوظٌ لا بتكلُّفِــهِ ، وفي حالِ صحوِهِ متحفِّظٌ بتصرُّفِهِ .

والصحوُ والسكْرُ بعدَ الذوقِ والشربِ .

* * *

(١) كذا في سائر النسخ غير (ي) ، وفيها : (بشاهد) بدل (بشرط) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (والعبد في حال سكره مع غلبة الحقيقة ، وفي حال صحوه بشاهد العلم ، فإذا كان بشاهد العلم . . لزمه حسن العمل والأدب ، وإذا كان بشاهد الحقيقة . . لزمه السكون تحت ما فتح عليه ووهب) .



ومن ذلك: الذوق والشرب

ومن جملةِ ما يجري في كلامِهِمْ : الذوقُ والشربُ ، ويعبّرونَ بذلك عمَّا يجدونَهُ مِنْ ثمراتِ التجلِّي ، ونتائجِ الكشوفاتِ ، وبوادِهِ الوارداتِ ، وأوَّلُ ذلكَ : الذوقُ ، ثمَّ الشربُ ، ثمَّ الرِّيُّ .

فصفاءُ معاملاتِهِمْ يوجبُ لهُمْ ذوقَ المعاني ، ووفاءُ منازلاتِهِمْ يوجبُ لهُمُ الشربَ ، ودوامُ مواصلاتِهِمْ يقتضي لهُمُ الرِّيَّ .

فصاحبُ الذوقِ متساكرٌ ، وصاحبُ الشربِ سكرانُ ، وصاحبُ الرِّيِّ صاحٍ .

ومَنْ قويَ حبُّهُ[1] .. تسرمدَ شربُهُ ، فإذا دامَتْ بِهِ تلكَ الصفةُ .. لمْ يورثْهُ الشربُ سكراً ، فكانَ صاحياً بالحقِّ ، فانياً عنْ كلِّ حظٍّ ، لمْ يتأثَّرْ بما يردُ عليهِ ، ولا يتغيَّرُ عمَّا هوَ بِهِ .

ومَنْ صفا سرُّهُ .. لمْ يتكدَّرْ عليهِ الشربُ ، ومنْ صارَ الشرابُ لهُ غذاءً .. لمْ يصبرْ عنهُ ، ولمْ يبقَ دونَهُ ، وأنشدوا : [من الرمل]

إِنَّمَا ٱلْكَأْسُ رَضَاعٌ بَيْنَنَا ... فَإِذَا مَا لَمْ نَذُقْهَا لَمْ نَعِشْ

وأنشدوا : [من الوافر]

شَرِبْتُ ٱلْحُبَّ كَأْساً بَعْدَ كَأْسٍ ... فَمَا نَفِدَ ٱلشَّرَابُ وَلَا رَوِيتُ[2]

ويُقالُ : كتبَ يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ إلى أبي يزيدَ البسطاميِّ رحمَهُما اللهُ :

---

(١) في النسخ غير (ي ، ك) : (وإن من قوي حبه . . .) .

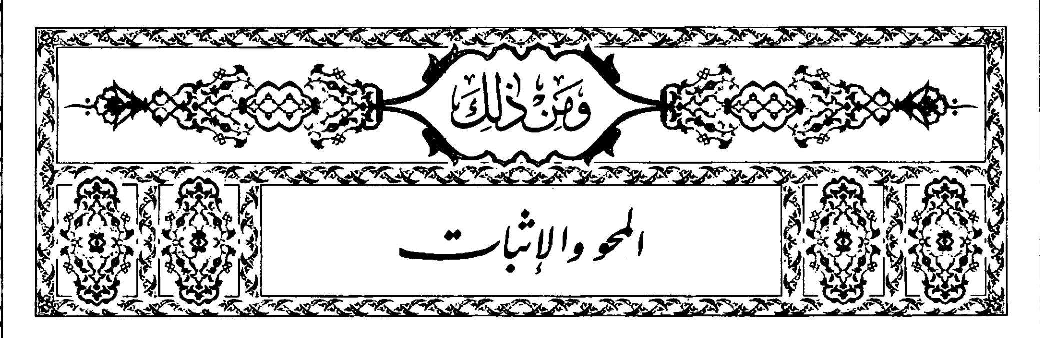
(٢) كذا وقع البيت مفرداً في جميع النسخ عدا (ي) ، وسيأتي خبره ضمن أبيات (ص ٦٥٨) .

ها هنا مَنْ شربَ كأساً لمْ يظمأْ بعدَها ، فكتبَ إليهِ أبو يزيدَ : عجبتُ مِنْ ضعفِ حالِهِ ! ها هنا مَنْ تحسَّىٰ بحارَ الكونِ وهوَ فاغرٌ يستزيدُ .

واعلمْ : أنَّ كاساتِ القرْبِ تبدو مِنَ الغيبِ ، ولا تُدارُ إلَّا علىٰ أسرارٍ مُعْتَقةٍ[1] ، وأرواحٍ عنْ رقِّ الأشياءِ محرَّرةٍ .

* * *

(١) كذا ضبطت في (ب ، ي) ، وعليه جرىٰ في « إحكام الدلالة » (٢/٧٥) حيث قال : (أي : لا ترد إلا علىٰ أرباب القلوب الزاهدة في الدنيا ، المعتقة عن رقِّ الشهوات ، المحررة عن التعلق بالعادات الجارية في عموم الأوقات) .



فالمحوُ : رفعُ أوصافِ العادةِ ، والإثباتُ : إقامةُ أحكامِ العبادةِ .

فمَنْ نفىٰ عنْ أحوالِهِ الخصالَ الذميمةَ ، وأتىٰ بدلَها بالأفعالِ والأحوالِ الحميدةِ . . فهوَ صاحبُ محْوٍ وإثباتٍ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قالَ بعضُ المشايخِ لواحدٍ : أيشٍ تمحو وأيْشٍ تثبتُ ؟ فسكتَ الرجلُ : فقالَ : أما علمتَ أنَّ الوقتَ محْوٌ وإثباتٌ ؟! فمَنْ لا محوَ لهُ ولا إثباتَ لهُ . . فهوَ معطَّلٌ مهمَلٌ .

وينقسمُ المحوُ : إلىٰ محوِ الزلَّةِ عنِ الظواهرِ ، ومحوِ الغفلةِ عنِ الضمائرِ ، ومحوِ العلَّةِ عنِ السرائرِ ؛ ففي محوِ الزلَّةِ إثباتُ المعاملاتِ ، وفي محوِ الغفلةِ إثباتُ المنازلاتِ ، وفي محوِ العلَّةِ إثباتُ المواصلاتِ .

هٰذا محْوٌ وإثباتٌ بشرطِ العبوديةِ .

فأمَّا حقيقةُ المحوِ والإثباتِ . . فصادرانِ عنِ القدرةِ (١) ؛ فالمحوُ : ما سترَهُ الحقُّ ونفاهُ ، والإثباتُ : ما أظهرَهُ الحقُّ وأبداهُ .

والمحوُ والإثباتُ مقصورانِ على المشيئةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ (٢) ، قيلَ : يمحُو عنْ قلوبِ العارفينَ ذكرَ غيرِ اللهِ ، ويثبتُ علىٰ ألسنةِ المريدينَ ذكرَ اللهِ (٣) .

---

(١) الأولىٰ : (فصادرة) بالإفراد ، كما ذكر في « إحكام الدلالة » (٢/٧٥) .

(٢) سورة الرعد : (٣٩) .

(٣) انظر « لطائف الإشارات » (٢/٢٣٤) .

ومحْوُ الحقِّ لكلِّ أحدٍ وإثباتُهُ علىٰ ما يليقُ بحالِهِ[1] .

ومَنْ محاهُ الحقُّ سبحانَهُ عنْ شاهِدِه . . أثبتَهُ بحقِّ حقِّهِ ، ومَنْ محاهُ عنْ إثباتِهِ بهِ . . ردَّهُ إلىٰ شهودِ الأغيارِ ، وأثبتَهُ في أوديةِ التفرقةِ .

وقالَ رجلٌ للشِّبليِّ : ما لي أراكَ قلقاً ؟ أليسَ هوَ معَكَ وأنتَ معَهُ ؟! فقالَ الشبليُّ : لوْ كنتُ أنا معَهُ . . كنتُ أنا ، ولٰكنِّي محْوٌ فيما هوَ[2] .

والمحْقُ فوقَ المحوِ ؛ لأنَّ المحْوَ يبقي أثراً ، والمحقُ لا يبقي أثراً .

وغايةُ همَّةِ القومِ : أنْ يمحقَهُمُ الحقُّ سبحانَهُ عنْ شاهدِهِمْ[3] ، ثمَّ لا يردَّهُمْ إليهِمْ بعدَما محقَهُمْ عنهُمْ .

❋ ❋ ❋

(١) أي : علىٰ حسَبِ استعداده بمقتضىٰ سابق القسمة والحكمة . « نتائج الأفكار » (٧٦/٢) .

(٢) والمعنىٰ كما ذكر العلامة اللخمي في « الدلالة » : لو كنت معه بنفسي . . لكنت ثابتاً مختاراً لما أنا فيه ، وإنما أنا محو تجري عليَّ أحكام القدرة بالتصرُّف كيف شاء ، فكلَّمه السائل من طريق العبودية ، وأجابه الشبلي بأحكام الربوبية .

(٣) أي : عن مشاهدتهم لأنفسهم . « إحكام الدلالة » (٧٦/٢) .



ومن ذلك
السَّتر والتجلِّي

العوامُّ في غطاءِ السَّتْرِ ، والخواصُّ في دوامِ التجلِّي .

وفي الخبرِ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ إذا تجلَّىٰ لشيءٍ . . خشعَ لهُ »(١) .

فصاحبُ السترِ أبداً بوصفِ شهودِهِ ، وصاحبُ التجلِّي أبداً بنعتِ خشوعِهِ(٢) .

والسَّترُ للعوامِّ عقوبةٌ ، وللخواصِّ رحمةٌ ؛ إذْ لولا أنَّهُ يسترُ عليهِمْ ما يكاشفُهُمْ به . . لتلاشَوْا عندَ سلطانِ الحقيقةِ ، ولـٰكنَّهُ كما يظهرُ لهُمْ يسترُ عليهِمْ .

سمعتُ منصوراً المغربيَّ يقولُ : وافىٰ بعضُ الفقراءِ حيّاً مِنْ أحياءِ العربِ ، فأضافَهُ شابٌّ ، فبينا الشابُّ في خدمةِ هـٰذا الفقيرِ . . إذْ غُشِيَ عليهِ ، فسألَ الفقيرُ عنْ حالِهِ ، فقالوا : لهُ بنتُ عمٍّ وقدْ عَلِقَها ، فمشَتْ في خيمتِها ، فرأى الشابُّ غبارَ ذيلِها ، فغُشِيَ عليه !

فمضى الفقيرُ إلىٰ بابِ الخيمةِ وقالَ : إنَّ للغريبِ فيكُمْ حُرمةً وذِماماً ، وقدْ جئتُ متشفِّعاً إليكِ في أمرِ هـٰذا الشابِّ ، فتعطَّفي عليهِ فيما بهِ مِنْ هواكِ ، فقالَتِ المرأةُ : سبحانَ اللهِ ! أنتَ سليمُ القلبِ ،

---

(١) بعض حديث رواه النسائي (٣/١٤١) ، وابن ماجه (١٢٦٢) من حديث سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٢) قوله : (فصاحب الستر . . .) أي : فيكون دائماً متحققاً بما منَّ الله عليه به ، وقوله : (وصاحب التجلي . . .) أي : فيكون في دائم أوقاته خاشعاً هائباً خانساً ؛ لأن هواتف الحقيقة إذا بدت لعبد . . خشع لها وخنس وتلاشىٰ متبرئاً من نفسه وما لها . « نتائج الأفكار » (٢/٧٨) .

إنَّهُ لا يطيقُ شـهودَ غبارِ ذيلي ، كيفَ يطيقُ صحبتي ؟!(١) .

وعـوامُّ هٰذهِ الطائفةِ عيشُـهُمْ في التجلِّـي ، وبلاؤُهُمْ في السَّـتْرِ ، وأمَّا الخـواصُّ . . فهُـمْ بينَ طيشٍ وعيشٍ ؛ إذا تجلَّىٰ لهُمْ . . طاشـوا ، وإذا سَـتَرَ عليهِمْ . . رُدُّوا إلى الحظِّ فعاشوا .

وقيلَ : إنَّما قيلَ لموسـىٰ عليهِ السلامُ : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾(٢) ليسـترَ عليـهِ ببعضِ مـا يعلِّلُهُ بعضَ مـا أثَّرَ فيـهِ مِنَ المكاشـفةِ بفجأةِ السماعِ(٣) .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّهُ لَيغانُ علىٰ قلبي ، حتَّىٰ أستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعينَ مرَّةً »(٤) ، والاستغفارُ طلبُ السترِ ؛ لأنَّ الغَفْرَ هوَ السترُ ، ومنهُ : غَفْرُ الثوبِ ، والمِغْفَرُ وغيرُهُ(٥) ، فكأنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أخبرَ أنَّهُ يطلبُ السترَ علىٰ قلبِهِ عندَ سَطَواتِ الحقيقةِ ؛ إذِ الخلْقُ لا بقاءَ لهُمْ معَ وجودِ الحقِّ سبحانَهُ ، وفي الخبرِ : « لوْ كَشَفَ عنْ وجهِهِ . . لَأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ ما أدركَ بصرُهُ »(٦) .

* * *

(١) في الحكاية تنبيه علىٰ أن الستر قد يكون رحمة ، وذٰلك بالنسبة لمن لا يقوىٰ علىٰ سطوع نور التجلي . « نتائج الأفكار » (٢/٧٨) .

(٢) سورة طه : (١٧) .

(٣) انظر « لطائف الإشارات » (٢/٤٥٠) .

(٤) تقدم (ص ٢٣٨) ، وفي « اللمع » (ص ٤٥١) : (الغين الذي كان يعارض قلب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يتوب منه . . مثله مثل المرآة إذا تنفَّس فيها الناظر ، فينقص من ضوئها ثم يعود إلىٰ حالة ضوئها ، وقال قوم : هٰذا محال ؛ لأن قلب النبي صلى الله عليه وسلم لا يلحقه قهرٌ من الخلق ؛ لأنه مخصوص بالرؤية) ، وبه ندين الحق تعالىٰ .

(٥) غَفْرُ الثوبِ : ما يعلو الثوب الجديد من درن ونحوه ، والمِغْفَرُ : زردٌ من الدرع علىٰ قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة .

(٦) رواه مسلم (١٧٩) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .



المحاضرةُ ابتداءٌ(١) ، والمكاشفةُ بعدَهُ ، ثمَّ المشاهدةُ .

فالمحاضرةُ : حضورُ القلبِ ، وقدْ يكونُ بتواترِ البرهانِ ، وهوَ بعدُ وراءَ السِّترِ ، وإنْ كانَ حاضراً باستيلاءِ سلطانِ الذكرِ(٢) .

ثمَّ بعدَهُ : المكاشفةُ ؛ وهوَ حضورُهُ بنعتِ البيانِ غيرَ مفتقرٍ في هٰذهِ الحالةِ إلىٰ تأمُّلِ الدليلِ وتطلُّبِ السبيلِ ، ولا مستجيرٍ مِنْ دواعي الريبِ ، ولا محجوبٍ عنْ نعتِ الغيبِ .

ثمَّ المشاهدةُ ؛ وهيَ وجودُ الحقِّ مِنْ غيرِ بقاءِ تُهْمَةٍ .

وإذا أصحَتْ سماءُ السرِّ عنْ غيومِ السَّترِ . . فشمسُ الشهودِ مشرقةٌ عنْ بُرْجِ الشَرَفِ .

وحقُّ المشاهدةِ : ما قالَهُ الجنيدُ : وجودُ الحقِّ معَ فقدانِكَ(٣) .

فصاحبُ المحاضرةِ مربوطٌ بآياتِهِ ، وصاحبُ المكاشفةِ مبسوطٌ بصفاتِهِ ، وصاحبُ المشاهدةِ ملقىً بذاتِهِ ، وصاحبُ المحاضرةِ يهديهِ عقلُهُ ، وصاحبُ المكاشفةِ يدنيهِ علمُهُ ، وصاحبُ المشاهدةِ تمحوهُ معرفتُهُ .

ولمْ يزدْ في بيانِ تحقيقِ المشاهدةِ أحدٌ علىٰ ما قالَهُ عمرُو بنُ

---

(١) ولو نصبت (ابتداء) لم يبعد ؛ كقولك : المحاضرة أولاً .

(٢) والمحاضرة : المداناة والقرب ، ومنه قوله تعالىٰ في سورة الأعراف (١٦٣) : ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٣٥) .

عثمانَ المكيُّ [1] ، ومعنىٰ ما قالَهُ : أنَّهُ تتوالىٰ أنوارُ التجلِّي علىٰ قلبِهِ مِنْ غيرِ أنْ يتخلَّلَها سَتْرٌ وانقطاعٌ ، كما لوْ قُدِّرَ اتصالُ البروقِ ، فكما أنَّ الليلةَ الظلماءَ بتوالي البروقِ واتصالِها إذا قُدِّرَتْ تصيرُ في ضوءِ النهارِ ؛ فكذٰلكَ القلبُ إذا دامَ بهِ دوامُ التجلِّي . . مَتَعَ نهارُهُ فلا ليلَ [2] ، وأنشدوا : [من مجزوء الكامل]

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظَلَامُهُ فِي ٱلنَّاسِ سَارِي
وَٱلنَّاسُ فِي سُدَفِ ٱلظَّلَا مِ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ ٱلنَّهَارِ [3]

وقالَ النُّوريُّ : (لا يصحُّ للعبدِ المشاهدةُ وقدْ بقيَ لهُ عِرْقٌ قائمٌ) .

وقالوا : (إذا طلعَ الصباحُ . . استُغنِيَ عنِ المصباحِ) [4] .

وتوهَّمَ قومٌ أنَّ المشاهدةَ تشيرُ إلىٰ طرفٍ مِنَ التفرقةِ ؛ لأنَّ بابَ المفاعلةِ في العربيةِ بينَ اثنينِ .

وهٰذا وَهْمٌ مِنْ صاحبِهِ ؛ فإنَّ في ظهورِ الحقِّ ثبورَ الخلْقِ ، وبابُ المفاعلةِ جملتُها لا تقتضي مشاركةَ الاثنينِ ؛ نحوَ : سافرَ ، وطارقَ النعلَ ، وأمثالِهِ .

وأنشدوا : [من الطويل]

فَلَمَّا ٱسْتَبَانَ ٱلصُّبْحُ أَدْرَجَ ضَوْءُهُ بِأَنْوَارِهِ أَنْوَارَ ضَوْءِ ٱلْكَوَاكِبِ
يُجَرِّعُهُمْ كَأْساً لَوِ ٱبْتُلِيَتْ لَظَىٰ بِتَجْرِيعِهِ طَارَتْ كَأَسْرَعِ ذَاهِبِ [5]

كأسٌ وأيُّ كأسٍ ؟! كأسٌ تصطلمُهُمْ عنهُمْ وتفنيهِمْ ، وتختطفُهُمْ منهُمْ

---

(١) وله كتاب في المشاهدة كما ذكر السراج في « اللمع » (ص ١٠١) .

(٢) متع : ارتفع غاية الارتفاع ، يقال : متعَ النهارُ مُتُوعاً ؛ ارتفع وطال ، وهو ما قبل الزوال . انظر : « أساس البلاغة » (٢/٣٦٥) ، و« تاج العروس » (م ت ع) ، وفي (أ ، ب) من الأصول : (ارتفع) بدل (متع) .

(٣) السَّدَف : الظلمة هنا ؛ إذ هو ضدٌّ ، والظَّلام : أول الليل ، ويطلق على الليل ، فالمعنىٰ : والناس في ظلام الليل ؛ ليناسب ما بعده ، وفي (ي) : (سُدَف) علىٰ أنه جمع .

(٤) في « ربيع الأبرار » للزمخشري (٢/٣٣٥) : (سئل صوفي عن الدليل علىٰ أن الله واحد ، فقال : أغنى الصباح عن المصباح) .

(٥) وفي غير (أ) : (لو ابتلي اللظىٰ) ، وأدرج هنا : بمعنى استهلك وغيَّب .

ولا تبقيهِمْ ، كأسٌ لا تبقي ولا تذرُ ، تمحو بالكلِّيَّةِ ، ولا تبقي شظيَّةً مِنْ آثارِ البشريَّةِ ؛ كما قالَ قائلُهُمْ : [من البسيط]

سَـــارُوا فَلَـــمْ يَبْـــقَ لَا رَسْـــمٌ وَلَا أَثَـــرُ [1]

❋ ❋ ❋

(١) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٢/٨٢) : (واعلم : أن معانيَ هـٰذه الألفاظ وراء طور العقل ، لا يعرفها إلا أهل العنايات ؛ لأنها تتعلق بتوحيد اللهِ ، وتوحيدُه تعالى المتعلقُ بذاته وصفاته لا يصح أن يكون من مدركات كل العقول) .



ومن ذلك

اللوائح واللوامع والطوالع

قالَ الأستاذُ الإمامُ رحمةُ اللهِ عليهِ : هـٰذهِ الألفاظُ متقاربةُ المعنىٰ ، لا يكادُ يحصلُ بينَها كثيرُ فرقٍ ، وهيَ مِنْ صفاتِ أصحابِ البداياتِ في الترقّي بالقلبِ ، فلمْ يدمْ لهُمْ بعدُ ضياءُ شموسِ المعارفِ ، لـٰكنَّ الحقَّ سبحانَهُ يؤتي رزقَ قلوبِهِمْ في كلِّ حينٍ ؛ كما قالَ : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (١) .

فكلَّما أظلمَ عليهِمْ سماءُ القلوبِ بسحابِ الحظوظِ .. سنحَ لهُمْ فيها لوائحُ الكشفِ (٢) ، وتلألأَ لوامعُ القربِ ، وهمْ في زمانِ سَترِهِمْ يرقُبونَ فَجْأَةَ اللوائحِ ، فهُمْ كما قالَ القائلُ : [من السريع]

يَـا أَيُّهَـا ٱلْبَـرْقُ ٱلَّـذِي يَلْمَـعُ ... مِـنْ أَيِّ أَكْنَـافِ ٱلسَّـمَا تَسْـطَعُ (٣)

فتكونُ أوَّلاً لوائحُ ، ثمَّ لوامعُ ، ثمَّ طوالعُ .

فاللوائحُ كالبروقِ ، ما ظهرَتْ حتَّى استترَتْ ، كما قالَ القائلُ : [من الخفيف]

اِفْتَرَقْنَـا حَـوْلاً فَلَمَّـا ٱلْتَقَيْنَـا ... كَانَ تَسْـلِيمُهُ عَلَـيَّ وَدَاعَـا (٤)

وأنشدوا : [من السريع]

يَـا ذَا ٱلَّـذِي زَارَ وَمَـا زَارَا ... كَأَنَّـهُ مُقْتَبِـسٌ نَـارَا

---

(١) في (هـ ، ح ، ي ، ل) : (كبير فرق) بدل (كثير فرق) ، والآية من سورة مريم : (٦٢) .

(٢) سنح : عرض لهم وظهر .

(٣) وفي (هـ) و« إحكام الدلالة » (٢/٨٣) بعده :

هـٰذا ولـو يُقضىٰ لنـا فرقـةٌ ... قـل لـي فيومَ البيـن مـا تصنـع

إن كان إبراقُـكَ داعـي قلـىً ... فـإن قلبـي بالقِلـىٰ موجـع

(٤) نسبه ياقوت في « معجم الأدباء » (٤/٢٤٤) لوجيه الدولة الحمداني .

مَــرَّ بِبَــابِ ٱلــدَّارِ مُسْــتَعْجِلاً   مَــا ضَــرَّهُ لَــوْ دَخَــلَ ٱلــدَّارَا[1]

والَّلوامعُ أظهرُ مِنَ اللوائحِ ، وليسَ زوالُها بتلكَ السرعةِ ، فقدْ تبقىٰ وقتينِ وثلاثةً ، ولـٰكنْ كما قالوا : [من البسيط]

وَٱلْعَيْــنُ بَاكِيَــةٌ لَــمْ تَشْــبَعِ ٱلنَّظَــرَا

أوْ كما قالوا : [من الخفيف]

لَــمْ تَــرِدْ مَــاءَ وَجْهِــهِ ٱلْعَيْــنُ إِلَّا   شَــرِقَتْ قَبْــلَ رَيِّهَــا بِرَقِيــبِ[2]

فإذا لمعَ . . قطعَكَ عنكَ ، وجمعَكَ بهِ ، لـٰكنْ لمْ يسفرْ نورُ نهارِهِ حتَّىٰ كرَّ عليهِ عساكرُ الليلِ ، فهـٰؤلاءِ بينَ رَوْحٍ ونَوحٍ ؛ لأنهُمْ بينَ كشفٍ وسَترٍ ، كما قالوا : [من الكامل]

فَٱللَّيْــلُ يَشْــمَلُنَا بِفَاضِــلِ بُــرْدِهِ   وَٱلصُّبْــحُ يُلْحِفُنَــا رِدَاءً مُذْهَبَــا

والطوالعُ أبقىٰ وقتاً ، وأقوىٰ سلطاناً ، وأدومُ مكثاً ، وأذهبُ للظلمةِ ، وأنفىٰ للتُّهْمَةِ ، لـٰكنها موقوفةٌ علىٰ خطرِ الأفولِ ، ليسَتْ برفيعةِ الأوجِ ، ولا بدائمةِ المكثِ ، ثمَّ أوقاتُ حصولِها وشيكةُ الارتحالِ ، وأحوالُ أفولِها طويلةُ الأذيالِ .

وهـٰذهِ المعاني ـ التي هيَ اللوائحُ واللوامعُ والطوالعُ ـ تختلفُ في القضايا ؛ فمنها ما إذا فاتَ . . لمْ يبقَ عنها أثرٌ ؛ كالشوارقِ إذا أفلَتْ فكأنَّ الليلَ كانَ دائماً[3] ، ومنها ما يبقىٰ عنهُ أثرٌ ؛ فإنْ زالَ رَقْمُهُ . . بقيَ أَلَمُهُ ، وإنْ غربَ أنوارُهُ . . بقيَ آثارُهُ[4] ، فصاحبُهُ بعدَ سكونِ غَلَباتِهِ يعيشُ في ضياءِ بَرَكاتِهِ ، فإلىٰ أنْ يلوحَ ثانياً يزجِّي وقتَهُ على انتظارِ عَوْدِهِ[5] ، ويعيشُ بما وجدَ في حينِ كونِهِ .

* * *

---

(١) هما لأبي الشيص الخزاعي . انظر « ديوانه » (ص ٥٧) .

(٢) هو لابن المعتز . انظر « ديوانه » (١/٩٤) ، والشَّرَق : الشجا والغُصَّة .

(٣) وهـٰذا شامل للوائح واللوامع ، وأما الطوالع . . فما سيأتي ذكره . « إحكام الدلالة » (٢/٨٤) والشوارق : الكواكب التي تظهر بالليل هنا .

(٤) كذا في جميع الأصول ، وفي بعض نسخ الاستئناس : (وإن غربت أنواره . . بقيت آثاره) .

(٥) يقال : أزجيت أيامي وزجَّيتها ؛ أي : دافعتها بقوت قليل . « اللسان » (ز ج ا) .



والبوادهُ : ما يفجأُ قلبَكَ مِنَ الغيبِ على سبيل الوهلةِ ؛ إمَّا موجبُ فرحٍ ، أوْ موجبُ ترحٍ .

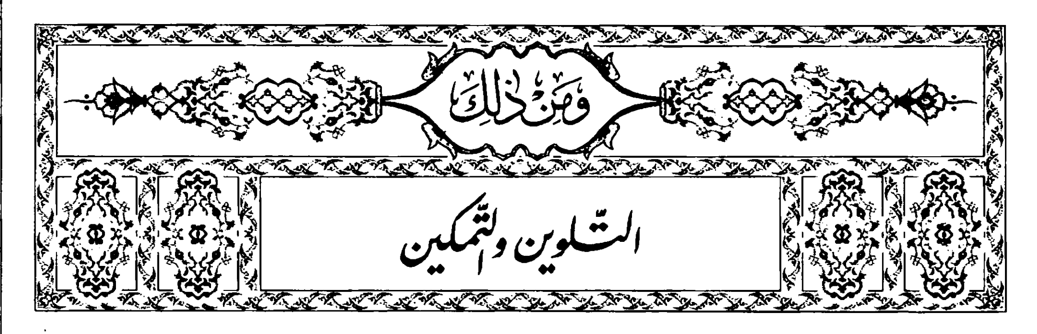
والهجومُ : ما يردُ على القلبِ بقوَّةِ الوقتِ مِنْ غيرِ تصنُّعٍ منكَ (١) .

ويختلفُ في الأنواعِ علىٰ حسَبِ قوَّةِ الواردِ وضعفِهِ ؛ فمنهُمْ مَنْ تغيِّرُهُ البوادهُ وتصرفُهُ الهواجمُ ، ومنهُمْ مَنْ يكونُ فوقَ ما يفجؤُهُ حالاً وقوَّةً ، أولـٰئكَ ساداتُ الوقتِ ؛ كما قيلَ : [من الكامل]

لَا تَهْتَـدِي نُـوَبُ ٱلزَّمَـانِ إِلَيْهِـمُ   وَلَهُـمْ عَلَـى ٱلْخَطْـبِ ٱلْجَلِيـلِ لِجَـامُ

* * *

(١) في (أ ، ب) من الأصول : (بغير تصنع منك) بدل (من غير تصنع منك) .



التلوينُ : صفةُ أربابِ الأحوالِ ، والتمكينُ : صفةُ أهلِ الحقائقِ .

فما دامَ العبدُ في الطريقِ فهوَ صاحبُ تلوينٍ ؛ لأنَّهُ يرتقي مِنْ حالٍ إلىٰ حالٍ ، وينتقلُ مِنْ وصفٍ إلىٰ وصفٍ ، ويخرجُ مِنْ مَرْحَلٍ ويحصلُ في مَرْبَعٍ ، فإذا وصلَ . . تمكَّنَ ، وأنشدوا : [من الكامل]

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ فِي وِدَادِكَ مَنْزِلاً تَتَحَيَّرُ ٱلْأَلْبَابُ دُونَ نُزُولِهِ [1]

وصاحبُ التلوينِ أبداً في الزيادةِ ، وصاحبُ التمكينِ وصلَ ثمَّ اتصلَ [2] ، وأمارةُ أنَّهُ اتصلَ : أنَّهُ بالكلِّيَّةِ عنْ كلِّيَّتِهِ بطلَ [3] .

وقالَ المشايخُ : (انتهىٰ سفرُ الطالبينَ إلى الظفرِ بنفوسِهِمْ ، فإذا ظفِروا بنفوسِهِمْ . . فقدْ وصلوا) [4] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رحمةُ اللهِ عليهِ : يريدُ بهِ : انخناسَ أحكامِ البشريَّةِ ، واستيلاءَ سلطانِ الحقيقةِ ، فإذا دامَ للعبدِ هٰذهِ الحالةُ . . فهوَ صاحبُ تمكينٍ .

كانَ الشيخُ أبو عليٍّ الدَّقَّاقُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : كانَ موسىٰ عليهِ السلامُ صاحبَ تلوينٍ ، فرجعَ مِنْ سماعِ الكلامِ واحتاجَ إلىٰ سَترِ وجهِهِ ؛ لأنَّهُ أثَّرَ

---

(١) أورده السراج في « اللمع » (ص ٢٨١) ضمن خبر لطيف سيأتي (ص ٦٣٠) .

(٢) يعني : اتصل بحال الحق ؛ بأن غلب علىٰ قلبه حاله حتىٰ لم يلتفت إلىٰ غيره . « إحكام الدلالة » (٨٥/٢) .

(٣) والمعنىٰ كما في « إحكام الدلالة » (٨٥/٢) : أنه خنست نفسه وكلَّت عن طلب شيء آخر ؛ لخمودها وذبولها تحت سلطان الحقيقة .

(٤) وظفرهم : بملكها ، ومعرفة قدرها وحقها ، فتوصَّلوا بذٰلك إلىٰ معرفة عظمة الله وجلاله وحقه عليهم . « نتائج الأفكار » (٨٥/٢) .

فيهِ الحالُ [١] ، ونبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ صاحبَ تمكينٍ ، فرجعَ كما ذهبَ ؛ لأنَّهُ لمْ يؤثِّرْ فيهِ ما شاهدَ تلكَ الليلةَ .

وكانَ يستشهدُ علىٰ هٰذا بقصَّةِ يوسفَ عليهِ السلامُ ؛ أنَّ النسوةَ اللاتي رأينَ يوسفَ عليهِ السلامُ قطَّعْنَ أيديَهُنَّ لما وردَ عليهِنَّ مِنْ شهودِ يوسفَ علىٰ وجهِ الفجأةِ ، وامرأةُ العزيزِ كانَتْ أتمَّ في بلاءِ يوسفَ منهُنَّ ، ثمَّ لمْ يتغيَّرْ عليها شعرةٌ ذٰلكَ اليومَ ؛ لأنَّها كانَتْ صاحبةَ تمكينٍ في حديثِ يوسفَ .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رحمةُ اللهِ عليهِ : واعلمْ : أنَّ التغيُّرَ إنَّما يردُ على العبدِ لأحدِ أمرينِ ؛ إمَّا لقوَّةِ الواردِ ، أوْ لضعفِ صاحبِهِ ، والسكونَ مِنْ صاحبِهِ لأحدِ أمرينِ ؛ إمَّا لقوَّتِهِ ، أوْ لضعفِ الواردِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : أصولُ القومِ في جوازِ دوامِ التمكينِ [٢] تتخرَّجُ علىٰ وجهينِ :

أحدُهُما : لا سبيلَ إليهِ ؛ لأنَّهُ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ بقيتُمْ علىٰ ما كنتُمْ عليهِ عندي . . لصافحَتْكُمُ الملائكةُ » [٣] ، ولأنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لي وقتٌ لا يسعُني فيهِ غيرُ ربِّي عزَّ وجلَّ » [٤] ، أخبرَ عن وقتٍ مخصوصٍ .

والوجهُ الثاني : أنَّهُ يصحُّ دوامُ الأحوالِ ؛ لأنَّ أهلَ الحقائقِ ارتقَوا عنْ وصفِ التأثُّرِ بالطوارقِ ، والذي في الخبرِ أنَّهُ قالَ : « لصافحَتْكُمُ الملائكةُ » ، فلمْ يعلِّقِ الأمرَ فيهِ علىٰ أمرٍ مستحيلٍ ، ومصافحةُ الملائكةِ دونَ ما أثبتَ لأهلِ

---

(١) روىٰ هٰذا الحاكم في « المستدرك » (٥٧٦/٢) عن عبد الرحمٰن بن معاوية رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي : وعدم دوامه كما يفهم من بقية كلامه . « نتائج الأفكار » (٨٦/٢) .

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٠) من حديث سيدنا حنظلة الأسيدي رضي الله عنه .

(٤) انظر « المقاصد الحسنة » (٩٢٦) ، وفيه عزوه إلى « الرسالة القشيرية » ، وشهد له بما رواه الترمذي في « الشمائل » (٣٤٢) من حديث سيدنا علي كرم الله وجهه : أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أتىٰ منزله . . جزأ دخوله ثلاثة أجزاء ، جزءاً لله تعالىٰ ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه . . . الحديث ، وقد ذكره قبل الإمام القشيري الحافظ الكلاباذي في « بحر الفوائد » (٢٢٥/١) وقال : (هٰذا حال النبي صلى الله عليه وسلم ، وحاله أرفع من أن يعلم أو يعبر عنه) ، وقال (٩٢٩/٢) : (وهو يظلُّ عنده سبحانه ويبيت ؛ إذاً فلا وقت له يسعه فيه غيره) .

البدايةِ مِنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الملائكةَ لَتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضاً بما يصنعُ »[١] ، وما قالَ : « لي وقتٌ » فإنَّما قالَ علىٰ حسَبِ فهمِ السامعِ[٢] ، وفي جميعِ أحوالِهِ كانَ قائماً بالحقيقةِ .

والأولىٰ أنْ يقالَ : إنَّ العبدَ ما دامَ في الترقِّي . . فصاحبُ تلوينٍ يصحُّ في نعتِهِ الزيادةُ في الأحوالِ والنقصانُ منها ، فإذا وصلَ إلى الحقِّ بانخناسِ أحكامِ البشريَّةِ . . مكَّنَهُ الحقُّ سبحانَهُ بألَّا يردَّهُ إلىٰ معلولاتِ النفسِ ، فهوَ ممكَّنٌ في حالِهِ علىٰ حسَبِ محلِّهِ واستحقاقِهِ ، ثمَّ ما يتحفُهُ الحقُّ سبحانَهُ في كلِّ نَفَسٍ ؛ فلا حدَّ لمقدوراتِهِ ، فهوَ في الزياداتِ متلوِّنٌ ، بلْ ملوَّنٌ وفي أصلِ حالِهِ ممكَّنٌ ؛ فأبداً يتمكَّنُ في حالةٍ أعلىٰ ممَّا كانَ فيها قبلَهُ ، ثمَّ يرقىٰ عنها إلىٰ ما فوقَ ذٰلكَ ؛ إذْ لا غايةَ لمقدوراتِ الحقِّ سبحانَهُ في كلِّ جنسٍ .

فأمَّا المصطلَمُ عنْ شاهدِهِ ، المستوفىٰ عنْ إحساسِهِ بالكلِّيَّةِ . . فللبشريةِ ـ لا محالةَ ـ حدٌّ ، فإذا بطلَ عنْ جملتِهِ ونفسِهِ وحسِّهِ ، وكذٰلكَ عنِ المكوَّناتِ بأسرِها ، ثمَّ دامَتْ بهِ هٰذهِ الغَيبةُ . . فهوَ محوٌ ، فلا تمكينَ إذاً ولا تلوينَ ، ولا مُقامَ ولا حالَ ، وما دامَ بهٰذا الوصفِ . . فلا تشريفَ ولا تكليفَ ، اللهمَّ ؛ إلَّا أنْ يُرَدَّ بما يجري عليهِ مِنْ غيرِ شيءٍ منهُ[٣] ، فذٰلكَ متصرَّفٌ في ظنونِ الخلْقِ ، مصرَّفٌ في التحقيقِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾[٤] ، وباللهِ التوفيقُ .

* * *

(١) رواه أبو داوود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) ، وابن ماجه (٢٢٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) قوله : (وما قال) : (ما) فيه موصولة ، وفي هامش (ل) : (الصواب : وإنما قال : « لي وقت » تنزلاً علىٰ حسب فهم السامع) ، وما تقدم من كلام الحافظ الكلاباذي يوضِّحه .

(٣) بأن يدرك ما يجريه الحقُّ عليه ويصرفه فيه . « إحكام الدلالة » (٢/٨٨) .

(٤) سورة الكهف : (١٨) .



ومن ذلك

القرب والبعد

أَوَّلُ رتبةٍ في القربِ : القربُ مِنْ طاعتِهِ ، والاتصافُ في دوامِ الأوقاتِ بعبادتِهِ .

وأمَّا البعدُ : فهوَ التدنُّسُ بمخالفتِهِ ، والتجافي عنْ طاعتِهِ .

فأوَّلُ البعدِ : بعدٌ عنِ التوفيقِ ، ثمَّ بعدٌ عنِ التحقيقِ ، بلِ البعدُ عنِ التوفيقِ هوَ البعدُ على التحقيقِ ، قَالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مخبراً عنِ الحقِّ سبحانَهُ : « ما تقرَّبَ إليَّ المتقرّبونَ بمثلِ أداءِ ما افترضتُ عليهِمْ ، ولا يزالُ العبدُ يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّىٰ يحبَّني وأحبَّهُ ، فإذا أحببتُهُ . . كنتُ لهُ سمعاً وبصراً ، فبي يسمعُ ، وبي يبصرُ . . . » الخبرَ[1] .

فقربُ العبدِ أولاً قربٌ بإيمانِهِ وتصديقِهِ ، ثمَّ قربٌ بإحسانِهِ وتحقيقِهِ ، وقربُ الحقِّ سبحانَهُ مِنَ العبدِ ما يخصُّهُ اليومَ بهِ مِنَ العرفانِ ، وفي الآخرةِ ما يكرمُهُ بهِ مِنَ الشهودِ والعيانِ ، وفيما بينَ ذٰلكَ بوجوهِ اللطفِ والامتنانِ .

ولا يكونُ قربُ العبدِ مِنَ الحقِّ إلَّا ببعدِهِ عنِ الخلْقِ ، فهٰذا مِنْ صفاتِ القلوبِ ، دونَ أحكامِ الظواهرِ والكونِ[2] .

وقربُ الحقِّ سبحانَهُ بالعلمِ والقدرةِ عامٌّ للكافَّةِ ، وباللطفِ والنصرةِ خاصٌّ بالمؤمنينَ ، ثمَّ بخصائصِ التأنيسِ مختصٌّ بالأولياءِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) بلفظ : « وما تقرَّب إلي عبدي . . . » على الإفراد ، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وتقدم بعضه (ص ٢٤٧) وبيان أن ما عند المصنف رواية .

(٢) أي : الوجود ؛ من القرب بالأبدان ؛ لاستحالته في حقه . « إحكام الدلالة » (٢/٩٠) .

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[1] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[2] ، وقالَ سبحانَهُ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[3] ، وقالَ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[4] .

ومَنْ تحقَّقَ بقربِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ . . فأدونُهُ دوامُ مراقبتِهِ إيَّاهُ[5] ؛ لأنَّ عليهِ رقيبَ التقوىٰ ، ثمَّ عليهِ رقيبَ الحِفاظِ والوفاءِ[6] ، ثمَّ رقيبَ الحياءِ .

وأنشدوا : [من الطويل]

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرْعَىٰ خَوَاطِرِي ... وَآخَرَ يَرْعَىٰ نَاظِرِي وَلِسَانِي
فَمَا رَمَقَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَراً ... يَسُوءُكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
وَلَا بَدَرَتْ مِنْ فِيَّ دُونَكَ لَفْظَةٌ ... بِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ سَمِعَانِي[7]
وَلَا خَطَرَتْ فِي ٱلسِّرِّ بَعْدَكَ خَطْرَةٌ ... لِغَيْرِكَ إِلَّا عَرَّجَا بِعِنَانِي
وَإِخْوَانُ صِدْقٍ قَدْ سَئِمْتُ حَدِيثَهُمْ ... وَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ نَاظِرِي وَلِسَانِي
وَمَا ٱلزُّهْدُ أَسْلَىٰ عَنْهُمُ غَيْرَ أَنَّنِي ... وَجَدْتُكَ مَشْهُودِي بِكُلِّ مَكَانِ[8]

وكانَ بعضُ المشايخِ يخصُّ واحداً مِنْ تلامذتِهِ بإقبالِهِ عليهِ[9] ، فقالَ أصحابُهُ لهُ في ذٰلكَ ، فدفعَ إلىٰ كلِّ واحدٍ منهُمْ طيراً وقالَ : اذبحوهُ حيثُ لا يراهُ أحدٌ .

فمضىٰ كلُّ واحدٍ وذبحَ الطيرَ بمكانٍ خالٍ ، وجاءَ هٰذا الإنسانُ والطيرُ

---

(١) سورة قٓ : (١٦) .
(٢) سورة الواقعة : (٨٥) .
(٣) سورة الحديد : (٤) .
(٤) سورة المجادلة : (٧) .
(٥) في (ي) نسخة : (فأدبه) بدل (فأدونه) .
(٦) الحِفاظ : المحافظة ، يقال : حافظت على الرجل محافظة وحِفاظاً ، إذا حفظته في مغيبه . « الصحاح » (ح ف ظ) .
(٧) في (ج ، ي) : (لغيرك) بدل (بغيرك) وكلاهما مناسب .
(٨) الأبيات رواها السرَّاج القاري في « مصارع العشاق » (١٩٥/٢) للبحتري ، والضمير في (رمقاني ، سمعاني ، عرَّجا) : عائد على الرقيبين في البيت الأول .
(٩) في « الإبريز » للإمام السجلماسي (ص ٣٠٦) : أن الشيخ هو أبو العباس البستي دفين مراكش .

معَـهُ غيرُ مذبوحٍ ، فسـألَهُ الشيـخُ ، فقالَ : أمرتَني أنْ أذبحَـهُ بحيثُ لا يراهُ أحدٌ ، ولمْ يكنْ موضعٌ إلّا والحقُّ سبحانَهُ وتعالىٰ يراهُ ! فقالَ الشيخُ : لهٰذا أقـدِّمُ هٰذا عليكُمْ ؛ الغالـبُ عليكُمْ حديثُ الخلْـقِ ، وهٰذا غيرُ غافلٍ عنِ الحقِّ (١) .

ولبعضِهِمْ : [من الطويل]

إِذَا شِئْتِ أَنْ تَرْضَيْ وَأَرْضَىٰ وَتَمْلِكِي ... زِمَـامَ قِيَـادِي فِـي ٱلْهَـوَىٰ وَعِنَانِـي
أَلَا فَٱنْظُـرِي ٱلدُّنْيَـا بِعَيْنِـيَ وَٱسْمَعِي ... بِأُذْنِـيَ فِيهَـا وَٱنْطِقِـي بِلِسَـانِي (٢)

ورؤيةُ القربِ حجابٌ عنِ القربِ ؛ فمَنْ شاهدَ لنفسِهِ محلّاً أوْ نفساً . . فهوَ ممكورٌ بهِ ، ولهٰذا قالوا : (أوحشَكَ اللهُ مِنْ قربِهِ) أيْ : مِنْ شهودِكَ لقربِهِ ؛ فإنَّ الاستئناسَ بقربِهِ مِنْ سماتِ الغِرَّةِ بهِ ؛ إذِ الحقُّ سبحانَهُ وراءَ كلِّ أُنسٍ ؛ فإنَّ مواضعَ الحقيقةِ توجبُ الدَّهَشَ والمحوَ .

وفي قريبٍ مِنْ هٰذا قالوا : [من مجزوء الخفيف]

[مِحْنَتِـي فِيـكَ أَنَّنِـي ... مَـا أُبَالِـي بِمِحْنَتِـي]
قُرْبُكُـمْ مِثْـلُ بُعْدِكُـمْ ... فَمَتَـىٰ وَقْـتُ رَاحَتِـي (٣)

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ الدقّاقُ رحمَهُ اللهُ كثيراً ما ينشدُ : [من الطويل]

وِدَادُكُـمُ هَجْـرٌ وَحُبُّكُـمُ قِلًـىً ... وَقُرْبُكُـمُ بُعْـدٌ وَسِلْمُكُمْ حَـرْبُ (٤)

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٦٤) ، وفي « الإبريز » للإمام السجلماسي (ص ٣٠٦) : أن الشيخ هو أبو العباس البستي دفين مراكش .
(٢) أوردهما المصنف أيضاً في « لطائف الإشارات » (٩٩/١) ، وسقطا من غير (أ ، ب) .
(٣) هما ضمن أبيات رواها السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٦٨) للشبلي ضمن خبر ، وسقط البيت الأول من جميع النسخ غير (ي ، ك) .
(٤) في « الحلية » (٣٦٩/١٠) أن الشبلي كان ينشده كثيراً ، والبيت للعباس بن الأحنف كما في « ديوانه » (ص ١٩) ضمن قصيدة ، وبعده فيها وهو زيادة في (ج) :
وأنتـم بحمـدِ اللهِ فيكـم فظاظـةٌ ... فـكلُّ ذلـولٍ فـي جوانبِكـم صعـبُ

ورأىٰ أبو الحسينِ النُّوريُّ بعضَ أصحابِ أبي حمزةَ فقالَ : أنتَ مِنْ أصحابِ أبي حمزةَ الذي يشيرُ إلى القرْبِ ؟ إذا لقيتَهُ . . فقلْ لهُ : إنَّ أبا الحسينِ النُّوريَّ يقرئُكَ السلامَ ويقولُ : قرْبُ القربِ فيما نحنُ فيهِ بُعْدُ البُعْدِ[1] .

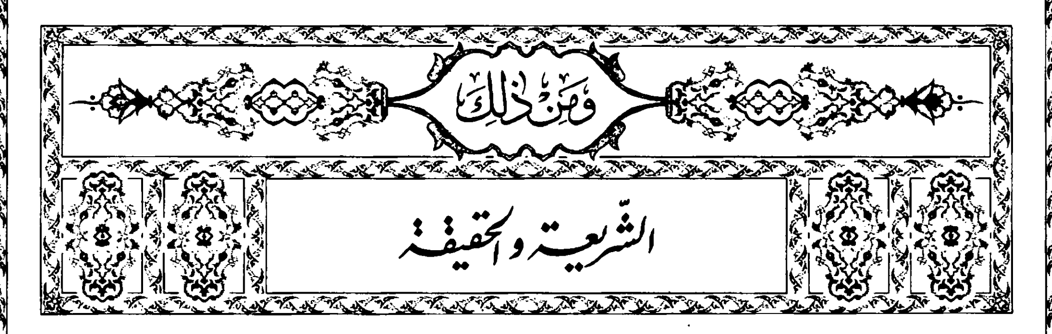
فأما القرْبُ بالذاتِ . . فتعالى اللهُ الملكُ عنهُ ؛ فإنَّهُ متقدِّسٌ عنِ الحدودِ والأقطارِ ، والنهايةِ والمقدارِ ، ما اتصلَ بهِ مخلوقٌ ، ولا انفصلَ عنهُ حادثٌ مسبوقٌ ، جلَّتِ الصمديةُ عنْ قَبولِ الوصلِ والفصْلِ .

فقرْبٌ هوَ في نعتِهِ محالٌ ؛ وهو تداني [الذاتِ][2] ، وقرْبٌ هوَ واجبٌ في نعتِهِ ؛ وهوَ قرْبٌ بالعلمِ والرؤيةِ ، وقرْبٌ هوَ جائزٌ في وصفِهِ يخصُّ بهِ مَنْ يشاءُ مِنْ عبادِهِ ؛ وهوَ قرْبُ الفعلِ باللطفِ .

* * *

(١) أورده السراج في « اللمع » (ص ٨٥) ، وعبارته : (قرب القرب في معنىٰ ما نحن نشير إليه بعد البعد) .

(٢) كذا في نسخة علىٰ هامش (ي) صححها العلامة محمد المبارك ، وفي سائر النسخ : (الذوات) بالجمع ، والمعنىٰ عليها : تداني ذوات الحادثات من ذاته التي لا توصف بالدنو الحسي ، والله أعلم .



ومن ذلك

الشّريعة والحقيقة

الشريعةُ : أمرٌ بالتزامِ العبوديةِ ، والحقيقةُ : مشاهدةُ الربوبيةِ .

فكلُّ شريعةٍ غيرِ مؤيَّدةٍ بالحقيقةِ فغيرُ مقبولٍ ، وكلُّ حقيقةٍ غيرِ مقيَّدةٍ بالشريعةِ فغيرُ محصولٍ .

فالشريعةُ جاءَتْ بتكليفِ الخلْقِ ، والحقيقةُ إنبأَتْ عنْ تصريفِ الحقِّ (١) .

والشريعةُ أنْ تعبدَهُ ، والحقيقةُ أنْ تشهدَهُ .

والشريعةُ قيامٌ بما أمرَ ، والحقيقةُ شهودٌ لما قضىٰ وقدَّرَ ، وأخفىٰ وأظهرَ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قولُهُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ : حفظٌ للشريعةِ ، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٢) : إقرارٌ بالحقيقةِ .

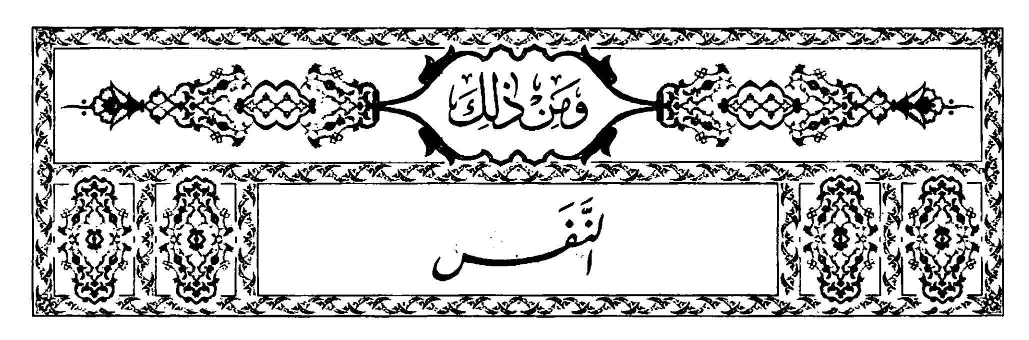
واعلمْ : أنَّ الشريعةَ حقيقةٌ مِنْ حيثُ إنَّها وجبَتْ بأمرِهِ ، والحقيقةُ أيضاً شريعةٌ مِنْ حيثُ إنَّ المعارفَ بهِ سبحانَهُ أيضاً وجبَتْ بأمرِهِ (٣) .

* * *

(١) أي : بأن يشاهد ثم يخبر عنه . « إحكام الدلالة » (٩٣/٢) ، وفي غير (أ) من الأصول : (والحقيقة إنباءٌ . . .) .

(٢) سورة الفاتحة : (٥) .

(٣) فحقيقة التوحيدِ في القلب ثمرة الشريعة ، وهاذه الحقيقة عينُها أُمرنا بها وبتحصيلها ؛ فهي شريعة .



النَّفَسُ : ترويحُ القلوبِ بلطائفِ الغيوبِ [١] .

وصاحبُ الأنفاسِ أرقُّ وصفاً مِنْ صاحبِ الأحوالِ [٢] ، فكأنَّ صاحبَ الوقتِ مبتدِئٌ ، وصاحبَ الأنفاسِ منتهٍ ، وصاحبَ الأحوالِ بينَهما .

فالأحوالُ وسائطُ ، والأنفاسُ نهايةُ الترقِّي .

فالأوقاتُ لأصحابِ القلوبِ ، والأحوالُ لأربابِ الأرواحِ ، والأنفاسُ لأهلِ السرائرِ .

وقالوا : أفضلُ العباداتِ : عدُّ الأنفاسِ معَ اللهِ تعالىٰ .

وقالوا : خلقَ اللهُ تعالى القلوبَ وجعلَها معادنَ المعرفةِ ، وخلقَ الأسرارَ وراءَها وجعلَها محلاًّ للتوحيدِ ، فكلُّ نَفَسٍ حصلَ مِنْ غيرِ دلالةِ المعرفةِ وإشارةِ التوحيدِ علىٰ بساطِ الاضطرارِ . . فهوَ ميتٌ ، وصاحبُهُ مسؤولٌ عنهُ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (العارفُ لا يسلمُ لهُ النَّفَسُ ؛ لأنَّهُ لا مسامحةَ تجري معَهُ ، والمحبُّ لا بدَّ لهُ مِنْ نَفَسٍ ؛ إذْ لولا أنْ يكونَ لهُ نفسٌ . . لتلاشىٰ ؛ لعدمِ طاقتِهِ علىٰ تركِهِ) [٣] .

* * *

---

(١) في (أ ، ب ، ج) : (ترويحٌ للقلوبِ) .
(٢) في (ط ، ي) : (وأصفىٰ) بدل (وصفاً) .
(٣) قوله : (علىٰ تركه) زيادة من (أ) من الأصول .



والخواطرُ : خطابٌ يردُ على الضمائرِ ؛ فقدْ يكونُ بإلقاءِ مَلَكٍ ، ويكونُ بإلقاءِ الشيطانِ ، ويكونُ أحاديثَ النفسِ ، ويكونُ مِنْ قِبَلِ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ .

فإذا كانَ مِنَ الملَكِ . . فهوَ الإلهامُ ، وإذا كانَ مِنْ قِبَلِ النفسِ . . قيلَ لهُ : الهواجسُ ، وإذا كانَ مِنْ قِبَلِ الشيطانِ . . فهوَ الوسواسُ ، وإذا كانَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالىٰ وإلقائِهِ في القلبِ . . فهوَ خاطرُ حقٍّ ، وجملةُ ذٰلكَ مِنْ قَبيلِ الكلامِ (١) .

فإذا كانَ مِنْ قِبَلِ الملَكِ . . فإنَّما يُعلمُ صدقُهُ بموافقةِ العلمِ ، ولهٰذا قالوا : كلُّ خاطرٍ لا يشهدُ لهُ ظاهرٌ (٢) . . فهوَ باطلٌ .

وإذا كانَ مِنْ قِبَلِ الشيطانِ . . فأكثرُهُ يدعو إلى المعاصي .

وإذا كانَ مِنْ قِبَلِ النفسِ . . فأكثرُهُ يدعو إلى اتباعِ شهوةٍ ، أوِ استشعارِ كِبْرٍ ، أوْ ما هوَ مِنْ خصائصِ أوصافِ النفسِ .

واتفقَ المشايخُ علىٰ أنَّ مَنْ كانَ أكلُهُ مِنَ الحرامِ . . لمْ يفرِّقْ بينَ الإلهامِ والوسوسةِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : مَنْ كانَ قوتُهُ معلوماً . . لمْ يفرِّقْ بينَ الإلهامِ والوسوسةِ ، وإنَّ مَنْ سكنَتْ عنهُ هواجسُ نفسِهِ بصدقِ مجاهدتِهِ . . نطقَ بيانُ قلبِهِ بحكمِ مكابدتِهِ (٣) .

---

(١) أي : جميع ما تقدم في معنى الخاطر هو من قبيل الكلام النفسي الكائن في الضمائر . « نتائج الأفكار » (٩٧/٢) ، وقد عقد الإمام الخركوشي فصلاً عن الخواطر في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٩٧) .

(٢) في (ب ، د ، ط) زيادة : (من الشرع) ، وهو مفهوم الظاهر .

(٣) في (ط) : (نطق ببيان) ، وفي (أ ، ل) من الأصول : (وإن من سكت عنه هواجس . . .) .

وأجمعَ الشيوخُ علىٰ أنَّ النَّفْسَ لا تَصْدُقُ ، وأنَّ القلبَ لا يكذبُ [1] .

وقالَ بعضُ المشايخِ : (إنَّ نفسَكَ لا تصدقُ ، وقلبَكَ لا يكذبُ ، ولوِ اجتهدتَ كلَّ الجهدِ أنْ تخاطبَكَ روحُكَ . . لمْ تخاطبْكَ) .

وفرَّقَ الجنيدُ بينَ هواجسِ النفسِ ووساوسِ الشيطانِ : بأنَّ النفسَ إذا طالبتْكَ بشيءٍ . . ألحَّتْ ، فلا تزالُ تعاودُ ولوْ بعدَ حينٍ حتَّىٰ تصلَ إلىٰ مرادِها وتحصِّلَ مقصودَها ، اللهمَّ إلَّا أنْ يدومَ صدقُ المجاهدةِ ، ثمَّ إنَّها تعاودُ وتعاودُ .

وأمَّا الشيطانُ إذا دعا إلىٰ زلَّةٍ فخالفتَهُ . . يتركُ ذٰلكَ ويوسوسُ بزلَّةٍ أخرىٰ ؛ لأنَّ جميعَ المخالفاتِ لهُ سواءٌ ، وإنَّما يريدُ أنْ يكونَ داعياً أبداً إلىٰ زلَّةٍ ما ، ولا غرضَ لهُ في تخصيصِ واحدٍ دونَ واحدٍ .

وقيلَ : كلُّ خاطرٍ يكونُ مِنَ المَلَكِ . . فربَّما يوافقُهُ صاحبُهُ وربَّما يخالفُهُ ، فأمَّا خاطرٌ يكونُ مِنَ الحقِّ سبحانَهُ . . فلا يحصلُ خلافٌ مِنَ العبدِ لهُ .

وتكلَّمَ الشيوخُ في الخاطرِ الثاني إذا كانَ الخاطرانِ مِنَ الحقِّ سبحانَهُ : هلْ هوَ أقوىٰ مِنَ الأولِ ؟

فقالَ الجنيدُ : الخاطرُ الأولُ أقوىٰ [2] ؛ لأنَّهُ إذا بقيَ . . رجعَ صاحبُهُ إلى التأمُّلِ ، وهٰذا بشرطِ العلمِ ، فتركُ الأولِ يضعفُ الثانيَ [3] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : الثاني أقوىٰ ؛ لأنَّهُ ازدادَ قوَّةً بالأولِ .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ مِنَ المتأخِّرينَ : هما سواءٌ ؛ لأنَّ كليهِما مِنَ الحقِّ سبحانَهُ ، فلا مزيةَ لأحدِهِما على الآخرِ ؛ والأوَّلُ لا يبقىٰ في حالِ الثاني [4] ؛ لأنَّ الآثارَ لا يجوزُ عليها البقاءُ .

* * *

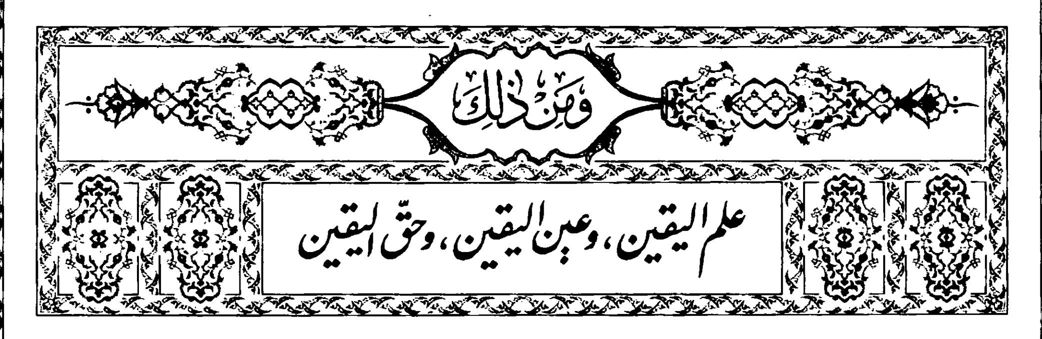
---

(١) قال تعالىٰ في سورة النجم (١١) : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ ، وعليه مدار اليقين .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٤١٨) .

(٣) في (أ ، ب ، و) : (وهٰذا شرطُ العلم ، فترك) يعني : الثاني ، والمثبت من (ط ، ي) .

(٤) في (ي) : (في حال وجود الثاني) .



وهـٰذهِ عباراتٌ عنْ علومٍ جليَّةٍ .

فاليقينُ : هوَ العلمُ الذي لا يتداخلُ صاحبَهُ رَيْبٌ علىٰ مطلقِ العرْفِ ، ولا يطلقُ في وصفِ الحقِّ سبحانَهُ ؛ لعدمِ التوقيفِ .

فعلمُ اليقينِ هوَ اليقينُ ، وكذٰلكَ عينُ اليقينِ نفسُ اليقينِ ، وحقُّ اليقينِ نفسُ اليقينِ (١) .

فعلمُ اليقينِ علىٰ موجَبِ اصطلاحِهِمْ : ما كانَ بشرطِ البرهانِ ، وعينُ اليقينِ : ما كانَ بحكمِ البيانِ ، وحقُّ اليقينِ : ما كانَ بنعتِ العيانِ .

فعلمُ اليقينِ لأربابِ العقولِ ، وعينُ اليقينِ لأصحابِ العلومِ ، وحقُّ اليقينِ لأصحابِ المعارفِ .

وللكلامِ في الإفصاحِ عنْ هـٰذا مجالٌ (٢) ، وتحقيقُهُ يعودُ إلىٰ ما ذكرْناهُ ، فاقتصرْنا علىٰ هـٰذا القدرِ علىٰ جهةِ التنبيهِ .

* * *

---

(١) في (أ) وحدها من الأصول : (وحق اليقين يقينُ اليقين) .

(٢) أي : آخر ، كذا في « إحكام الدلالة » (٢/١٠٠) ، وفي (أ) من الأصول وبعض النسخ المستأنس بها : (والكلامُ في الإفصاح عن هـٰذا محال) ، وفي (ك) : (محالٌ) بدل (مجال) وفي هامشها نسخة كالمثبت .



ويجري في كلامِهِمْ ذكرُ الوارداتِ كثيراً .

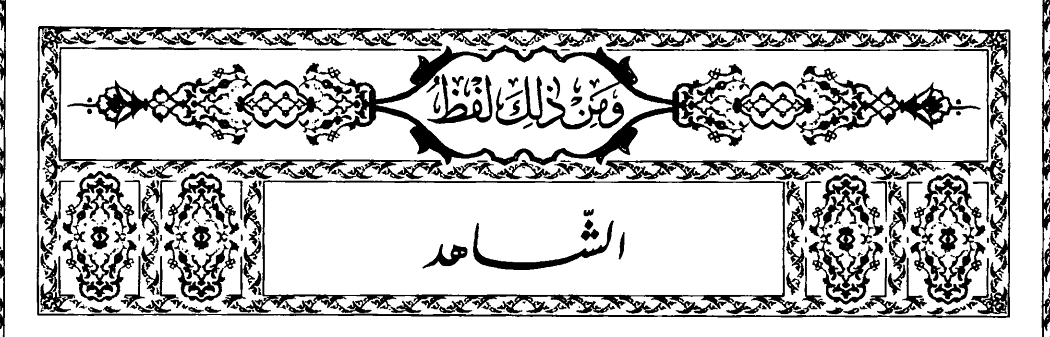
والواردُ : ما يردُ على القلوبِ مِنَ الخواطرِ المحمودةِ ممَّا لا يكونُ بتعمُّلِ العبدِ[1] ، وكذلكَ ما لا يكونُ مِنْ قبيلِ الخواطرِ فهوَ أيضاً واردٌ .

ثمَّ يكونُ واردٌ مِنَ الحقِّ ، ووارِدٌ مِنَ العلمِ .

فالوارداتُ أعمُّ مِنَ الخواطرِ ؛ لأنَّ الخواطرَ تختصُّ بنوعِ الخطابِ أو ما يتضمَّنُ معناهُ ، والوارداتُ تكونُ واردَ سرورٍ وواردَ حزنٍ ، وواردَ قبضٍ وواردَ بسطٍ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ المعاني .

* * *

(١) في (ي) وهامش (ج) : (بتعمد) بدل (بتعمُّل) .



الشّاهد

كثيراً ما يجري في كلامِهِمْ : فلانٌ بشاهدِ العلمِ ، وفلانٌ بشاهدِ الوجدِ ، وفلانٌ بشاهدِ الحالِ .

ويريدونَ بلفظِ (الشاهدِ) : ما يكونُ حاضرَ قلبِ الإنسانِ ؛ وهوَ ما كانَ الغالبَ عليهِ ذكرُهُ ، حتَّىٰ كأنَّهُ يراهُ ويبصرُهُ وإنْ كانَ غائباً عنهُ ، فكلُّ ما يستولي علىٰ قلبِ صاحبِهِ ذكرُهُ . . فهوَ شاهدُهُ[1] ، فإنْ كانَ الغالبَ عليهِ العلمُ . . فهوَ بشاهدِ العلمِ ، وإنْ كانَ الغالبَ عليهِ الوجدُ . . يقالُ : إنَّهُ بشاهدِ الوجدِ .

ومعنى الشاهدِ : الحاضرُ ؛ فكلُّ ما هوَ حاضرُ قلبِكَ فهوَ شاهدُكَ .

وسُئِلَ الشِّبليُّ رحمَهُ اللهُ عنِ المشاهدةِ ، فقالَ : مِنْ أينَ لنا مشاهدةُ الحقِّ ؟! لنا شاهدُ الحقِّ[2] .

أشارَ بشاهدِ الحقِّ : إلى المستولي علىٰ قلبِهِ ، والغالبِ عليهِ مِنْ ذكرِ الحقِّ ، والحاضرِ في قلبِهِ دائماً من ذكرِ الحقِّ .

ومَنْ حصلَ لهُ معَ مخلوقٍ تعلُّقٌ بالقلبِ . . يُقالُ : إنَّهُ شاهدُهُ ؛ يعني : أنَّهُ حاضرُ قلبِهِ ؛ فإنَّ المحبةَ توجبُ دوامَ ذكرِ المحبوبِ واستيلاءَهُ عليهِ .

وبعضُهُمْ تكلَّفَ في مراعاةِ هـٰذا الاشتقاقِ فقالَ : إنَّما سُمِّيَ الشاهدَ مِنَ الشهادةِ ، فكأنَّهُ إذا طالعَ شخصاً بوصفِ الجمالِ ؛ فإنْ كانَتْ بشريَّتُهُ

(١) في (ي) : (بشاهده) ، وبهامشها نسخة كالمثبت .
(٢) في (ي) : (الحق لنا شاهد) .

ساقطةً عنهُ ، ولمْ يشغلْهُ شهودُ ذٰلكَ الشخصِ عمَّا بهِ مِنَ الحالِ ، ولا أثَّرَتْ فيهِ صحبتُهُ بوجهٍ . . فهوَ شاهدٌ لهُ علىٰ فَناءِ نفسِهِ ، ومَنْ أثَّرَ فيهِ ذٰلكَ . . فهوَ شاهدٌ عليهِ في بقاءِ نفسِهِ وقيامِهِ بأحكامِ بشريَّتِهِ ، فهوَ إمَّا شاهدٌ لهُ أوْ شاهدٌ عليهِ[1] .

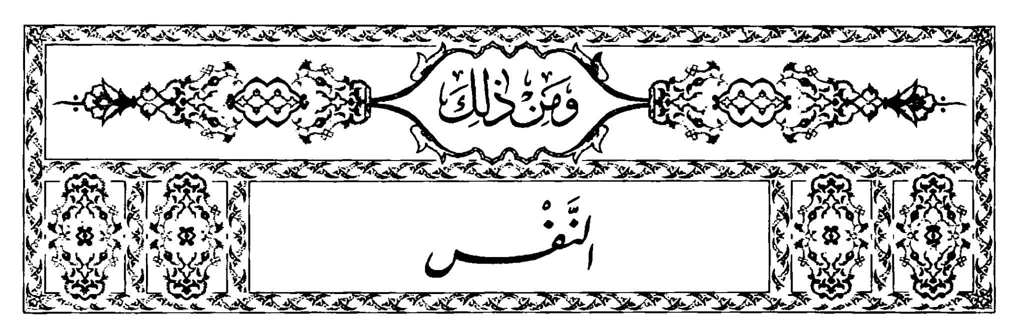
وعلىٰ هٰذا حُمِلَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رأيتُ ربِّي ليلةَ المعراجِ في أحسنِ صورةٍ »[2] ؛ أيْ : أحسنُ صورةٍ رأيتُها تلكَ الليلةَ لمْ تشغلْني عنْ رؤيتِهِ تعالىٰ ، بلْ رأيتُ المصوِّرَ في الصورةِ ، والمنشِئَ في الإنشاءِ ، ويريدُ بهِ رؤيةَ العلمِ ، لا إدراكَ البصرِ .

* * *

---

(١) جرىٰ هٰذا البعض علىٰ عادة طائفة كانوا يأخذون أجمل شابٍ ، ويُجمِّلونه بأجمل الثياب والهيئات ، ويُوقد بيده شمعة في حال السماع ، ويمتحن كل منهم حال نفسه ؛ هل هو مشغول بجمالِهِ وبشريتُهُ ملتفتةٌ إليه ، أو مشغول عنه بما هو فيه من حال السماع بحيث سقطت بشريتُهُ عنه ؟ « إحكام الدلالة » (١٠٣/٢) .

(٢) رواه الترمذي (٣٢٣٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، من غير ذكر المعراج ، وبعض العارفين جعل متعلَّق الجار والمجرور بمحذوف حال من فاعل (رأيت) .



نَفْسُ الشيءِ في اللغةِ : وجودُهُ ، وعندَ القومِ : ليسَ المرادُ مِنْ إطلاقِ لفظِ النفسِ الوجودَ ولا القالبَ الموضوعَ ، وإنَّما أرادوا بالنَّفْسِ : ما كان معلولاً مِنْ أوصافِ العبدِ ، ومذموماً مِنْ أخلاقِهِ وأفعالِهِ .

ثمَّ إنَّ المعلولاتِ مِنْ أوصافِ العبدِ علىٰ ضربينِ :

أحدُهُما : يكونُ كسباً لهُ ؛ كمعاصيهِ ومخالفاتِهِ .

والثاني : أخلاقُهُ الدنيَّةُ ، فهيَ في أنفسِها مذمومةٌ ، فإذا عالجَها العبدُ ونازلَها . . تنتفي عنهُ بالمجاهدةِ تلكَ الأخلاقُ علىٰ مُسْتَمِرِّ العادةِ .

فالقسمُ الأوَّلُ مِنْ أحكامِ النفسِ ما نُهِيَ عنهُ نهيَ تحريمٍ أوْ نهيَ تنزيهٍ ، وأمَّا القسمُ الثاني مِنْ قسمي النفسِ . . فسَفْسافُ الأخلاقِ والدنيُّ منها .

هٰذا حدُّهُ على الجملةِ ، ثمَّ تفصيلُها : فكالكبرِ ، والغضبِ ، والحسدِ ، والحقدِ ، وسوءِ الخُلُقِ ، وقلَّةِ الاحتمالِ ، وغيرِ ذٰلكَ مِنَ الأخلاقِ المذمومةِ .

وأشدُّ أحكامِ النفسِ وأصعبُها : توهُّمُها أنَّ شيئاً منها حسنٌ ، أوْ أنَّ لها استحقاقَ قدرٍ ، ولهٰذا عُدَّ ذٰلكَ مِنَ الشركِ الخفيِّ .

ومعالجةُ الأخلاقِ في تركِ النفسِ وكسرِها أتمُّ مِنْ مقاساةِ الجوعِ والعطشِ والسهرِ ، وغيرِ ذٰلكَ مِنَ المجاهداتِ التي تتضمنُ سقوطَ القوَّةِ وإنْ كانَ ذٰلكَ أيضاً مِنْ جملةِ تركِ النفسِ .

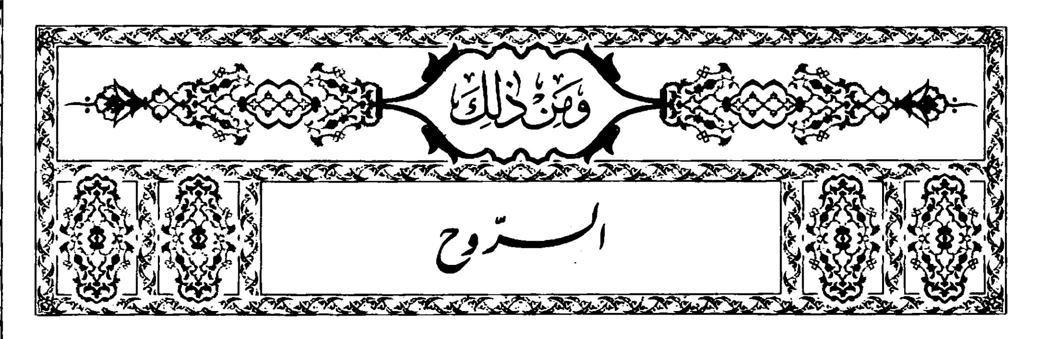
ويحتملُ أنْ تكونَ النفسُ : لطيفةً مودعةً في هٰذا القالبِ هيَ محلُّ الأخلاقِ المعلولةِ ، كما أنَّ الرُّوحَ : لطيفةٌ في هٰذا القالبِ هيَ محلُّ الأخلاقِ

المحمودةِ ، وتكونُ الجملةُ[1] مسخَّراً بعضُها لبعضٍ ، والجميعُ إنسانٌ واحدٌ .

وكونُ النفسِ والروحِ مِنَ الأجسامِ اللطيفةِ في الصورةِ . . ككونِ الملائكةِ والشياطينِ بصفةِ اللطافةِ ، وكما يصحُّ أنْ يكونَ البصرُ محلَّ الرؤيةِ ، والأذنُ محلَّ السمعِ ، والأنفُ محلَّ الشمِّ ، والفمُ محلَّ الذوقِ ، والسميعُ والبصيرُ والشامُّ والذائقُ إنَّما هيَ الجملةُ التي هيَ الإنسانُ . . فكذٰلكَ محلُّ الأوصافِ الحميدةِ : القلبُ أوِ الروحُ ، ومحلُّ الأوصافِ المذمومةِ : النفسُ ، والنفسُ جزءٌ مِنْ هٰذهِ الجملةِ ، والقلبُ جزءٌ مِنْ هٰذهِ الجملةِ ، والحكمُ والاسمُ راجعٌ إلى الجملةِ .

* * *

(١) وقع من هنا سقط من النسخة الأم (أ) ، وسيُشار إلىٰ موضع انتهائه (ص ٣٢٦) .



والأرواحُ مختلفٌ فيها عندَ أهلِ التحقيقِ مِنْ أهلِ السنةِ .

فمنهُمْ مَنْ يقولُ : إنَّها الحياةُ[1] .

ومنهُمْ مَنْ يقولُ : إنَّها أعيانٌ مودَعةٌ في هٰذهِ القوالبِ لطيفةٌ أجرى اللهُ العادةَ بخلقِ الحياةِ في القالبِ ما دامَتِ الأرواحُ في الأبدانِ[2] ؛ فالإنسانُ حيٌّ بالحياةِ ، ولٰكنِ الأرواحُ مودَعةٌ في القوالبِ ، ولها ترقٍّ في حالِ النومِ ، ومفارقةٌ للبدنِ ثمَّ رجوعٌ إليهِ[3] .

وإنَّ الإنسانَ هوَ الروحُ والجسدُ ؛ لأنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ سخَّرَ هٰذهِ الجملةَ بعضَها لبعضٍ ، والحشرُ يكونُ للجملةِ ، والمثابُ والمعاقبُ الجملةُ .

والأرواحُ مخلوقةٌ ، ومَنْ قالَ بقدمِها .. فهوَ مخطئٌ خطأً عظيماً[4] ، والأخبارُ تدلُّ علىٰ أنَّها أعيانٌ لطيفةٌ .

* * *

---

(1) ورُدَّ بأن الحياة عرضٌ ، وهو لا يبقىٰ زمانين عند المحققين .

(2) وهو ما جرىٰ عليه المصنف رحمه الله تعالىٰ ، وقوله : (لطيفة) صفة لأعيان ، لا تفريع .

(3) كذا في (و ، ي) ونسخة هامش (د) ، وفي عامة النسخ : (إليها) ، والضمير راجع للقوالب .

(4) قال الإمام السراج في « اللمع » (ص ٥٥٥) : (والذي عليه أهل الحق والإصابة عندي والله أعلم : أن الأرواح كلها مخلوقة ، وهي أمرٌ من أمرِ اللهِ تعالىٰ ، ليس بينها وبين اللهِ تعالىٰ سبب ولا نسبة . . .) ، وتقدَّم (ص ٩٢) كلام الإمام أبي إسحاق الإسفراييني في حدوثها .



يحتملُ أنَّها لطيفةٌ مودَعةٌ في القالبِ كالأرواحِ .

وأصولُهُمْ تقتضي : أنَّها محلُّ المشاهدةِ ، كما أنَّ الأرواحَ محلٌّ للمحبةِ ، والقلوبَ محلٌّ للمعارفِ .

وقالوا : السرُّ : ما لكَ عليهِ إشرافٌ ، وسرُّ السرِّ : ما لا اطِّلاعَ عليهِ لغيرِ الحقِّ سبحانَهُ .

وعندَ القومِ علىٰ موجَبِ مواضعتِهِمْ ومقتضىٰ أصولِهِمْ : السرُّ ألطفُ مِنَ الروحِ [1] ، والروحُ أشرفُ من القلبِ .

ويقولونَ : الأسرارُ مُعْتَقَةٌ عنْ رقِّ الأغيارِ ؛ مِنَ الآثارِ والأطلالِ .

ويُطلَقُ لفظُ (السرِّ) : علىٰ ما يكونُ مصوناً مكتوماً بينَ العبدِ والحقِّ سبحانَهُ في الأحوالِ [2] ، وعليهِ يُحمَلُ قولُ مَنْ قالَ : أسرارُنا بِكْرٌ لمْ يفتضَّها وهْمُ واهمٍ .

ويقولونَ : صدورُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ [3] .

وقالوا : لوْ عَرَفَ زِرِّي سِرِّي . . لطرحتُهُ .

* * *

---

(١) بحيث يخفىٰ على الإنس والجن والمَلَك . « إحكام الدلالة » (١٠٨/٢) .

(٢) أي : الواردات على العبد ، قالوا : فمن لم يكن بينه وبين اللهِ سرٌّ . . فهو مصرٌّ . « إحكام الدلالة » (١٠٨/٢) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٧٧/٩) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ :

فهٰذا طرفٌ مِنْ تفسيرِ إطلاقاتِهِمْ ، وبيانِ عباراتِهِمْ فيما انفردوا بهِ مِنْ ألفاظٍ ، ذكرْناها علىٰ شرطِ الإيجازِ .

ونذكرُ الآنَ أبواباً في شرحِ المقاماتِ التي هيَ مدارجُ أربابِ السلوكِ ، ثمَّ بعدَها أبواباً في تفصيلِ الأحوالِ على الحدِّ الذي يسهِّلُ اللهُ تعالىٰ بفضلِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ (١) .

* * *

---

(١) في (ل) : (بلغت المعارضة على الأصل مع السماع ، والحمد لله وحده) .

بابُ التّوبة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١) .

حدَّثَنا الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ محمودِ ابنِ خُرَّزاذَ الأهوازيُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الفضلِ بنِ جابرٍ قالَ : حدَّثَنا سعيدُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ زكريَّا قالَ : حدَّثَنا أبي قالَ : سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « التائبُ مِنَ الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ لهُ ، وإذا أحبَّ اللهُ عبداً . . لمْ يضرُّهُ ذنبٌ ، ثمَّ تلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(٢) » ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ وما علامةُ التوبةِ ؟ قالَ : « الندامةُ »(٣) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ الأهوازيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ أحمدُ بنُ عبيدٍ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الفضلِ بنِ جابرٍ قالَ : حدَّثَنا الحكمُ بنُ موسىٰ قالَ : حدَّثنا غسَّانُ بنُ عبيدٍ ، عنْ أبي عاتكةَ طَريفِ بنِ سلمانَ(٤) ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ما مِنْ شيءٍ أحبُّ إلى اللهِ مِنْ شابٍ تائبٍ »(٥) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : التوبةُ أوَّلُ منزلٍ مِنْ منازلِ السالكينَ ، وأوَّلُ مقامٍ مِنْ مقاماتِ الطالبينَ .

---

(١) سورة النور : (٣١) .

(٢) سورة البقرة : (٢٢٢) .

(٣) الخبر تفرَّد به المصنف رحمه الله تعالىٰ عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، ورواه من طريق المصنف ابنُ النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٨/٥٥ ـ ٥٦) ، وهو عند الديلمي في « الفردوس » (٢٤٣٢) ، والحديث رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٨/٥٠٦) .

(٤) في (ج) : (سليمان) بدل (سلمان) ، وكلاهما واردٌ . انظر « الكامل » لابن عدي (٤/١١٨) .

(٥) ورواه ابن عدي في « الكامل » (٥/١٨٩) ، ومن طريق المصنف رواه ابن عساكر في « التوبة » (١١) ، وطريف يقال له : ابن سلمان وابن سليمان كما ذكر ابن عدي .

وحقيقةُ التوبةِ في لغةِ العربِ : الرجوعُ ، يُقالُ : تابَ ؛ أيْ : رجعَ .

فالتوبــةُ : الرجــوعُ عمَّــا كانَ مذموماً في الشــرعِ إلىٰ ما هــوَ محمودٌ في الشرعِ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الندمُ توبةٌ »(١) .

فأربــابُ الأصولِ مِنْ أهلِ الســنَّةِ قالوا : شــرطُ التوبةِ حتَّــىٰ تصحَّ ثلاثةُ أشياءَ :

- الندمُ علىٰ ما عملَ مِنَ المخالفاتِ .

- وتركُ الزَّلةِ في الحالِ .

- والعزمُ علىٰ ألَّا يعودَ إلىٰ مثلِ ما عملَ مِنَ المعاصي .

فهٰذهِ الأركانُ لا بدَّ منها حتَّىٰ تصحَّ توبتُهُ(٢) .

قالَ هٰؤلاءِ : وما في الخبرِ أنَّ الندمَ توبةٌ إنَّما نصَّ علىٰ معظمِهِ ؛ كما قالَ عليهِ الســلامُ : « الحجُّ عرفةُ »(٣) ؛ أيْ : معظــمُ أركانِهِ عرفةُ ؛ أيِ : الوقوفُ بهــا ، لا أنَّهُ لا ركنَ في الحجِّ ســوى الوقوفِ بعرفاتٍ ، ولٰكنْ معظمُ أركانِهِ الوقــوفُ ، كذٰلكَ قولُــهُ صلَّى اللهُ عليهِ وســلَّمَ : « الندمُ توبــةٌ » أيْ : معظمُ أركانِها الندمُ .

ومِنْ أهلِ التحقيقِ مَنْ قالَ : يكفي الندمُ في تحقيقِ ذٰلكَ ؛ لأنَّ الندمَ يستتبعُ الركنينِ الآخرينِ ؛ فإنَّهُ يستحيلُ تقديرُ أنْ يكونَ نادماً علىٰ ما هوَ مصرٌّ علىٰ مثلِهِ ، أوْ عازمٌ على الإتيانِ بمثلِهِ .

هٰذا معنى التوبةِ علىٰ جهةِ التحديدِ والإجمالِ .

فأمَّا علىٰ جهةِ الشرحِ والإبانةِ : فإنَّ للتوبةِ أسباباً وترتيباً وأقساماً :

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥٢) من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) مع إرضاء الآدمي في ظلامته إن كانت . « إحكام الدلالة » (١١١/٢) .

(٣) رواه الترمذي (٨٨٩) ، والنسائي (٢٥٦/٥) ، وابن ماجه (٣٠١٥) من حديث سيدنا عبد الرحمٰن بن يعمر رضي الله عنه .

فأَوَّلُ ذٰلكَ : انتباهُ القلبِ عنْ رَقدةِ الغفلةِ ، ورؤيةُ العبدِ ما هوَ عليهِ مِنْ سوءِ الحالةِ .

ويصلُ إلىٰ هٰذهِ الجملةِ بالتوفيقِ للإصغاءِ إلىٰ ما يخطرُ ببالِهِ مِنْ زواجرِ الحقِّ سبحانَهُ بسمعِ قلبِهِ ؛ فإنَّ في الخبرِ : « واعظُ اللهِ في قلبِ كلِّ امرئٍ مسلمٍ »[1] ، وفي الخبرِ : « إنَّ في بدنِ المرءِ لمضغةً ؛ إذا صلَحَتْ . . صلَحَ جميعُ البدنِ ، وإذا فسَدَتْ . . فسَدَ جميعُ البدنِ ، ألا وهيَ القلبُ »[2] .

فإذا تفكَّرَ بقلبِهِ في سوءِ ما يصنعُهُ ، وأبصرَ ما هوَ عليهِ مِنْ قبيحِ الأفعالِ . . سنحَ في قلبِهِ إرادةُ التوبةِ[3] ، والإقلاعُ عنْ قبيحِ المعاملةِ ، فيمدُّهُ الحقُّ سبحانَهُ بتصحيحِ العزيمةِ ، والأخذِ في جميلِ الرجعىٰ ، والتأهُّبِ لأسبابِ التوبةِ .

فأَوَّلُ ذٰلكَ : هِجرانُ أخدانِ السوءِ[4] ؛ فإنَّهُمْ همُ الذينَ يحملونَهُ علىٰ ردِّ هٰذا القصدِ ، ويشوِّشونَ عليهِ صحَّةَ هٰذا العزمِ .

ولا يتمُّ ذٰلكَ إلَّا بالمواظبةِ على المشاهدةِ التي تزيدُ رغبتَهُ في التوبةِ[5] ، وتوفِّرُ دواعيَهُ علىٰ إتمامِ ما عزمَ عليهِ ، ممَّا يقوِّي خوفَهُ ورجاءَهُ ، فعندَ ذٰلكَ تنحلُّ مِنْ قلبِهِ عُقدةُ الإصرارِ علىٰ ما هوَ عليهِ مِنْ قبيحِ الأفعالِ ، فيقفُ عنْ تعاطي المحظوراتِ ، ويكبحُ لجامَ نفسِهِ عنْ متابعةِ الشهواتِ ، فيفارقُ الزلَّةَ في الحالِ ، ويبرمُ العزيمةَ علىٰ ألَّا يعودَ إلىٰ مثلِهِ في الاستقبالِ .

---

(١) قطعة من حديث رواه أحمد في « المسند » (١٨٢/٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٧٣/١) من حديث سيدنا النواس بن سمعان رضي الله عنهما .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري (٥٢) ، ومسلم (١٥٩٩) من حديث سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما بنحوه ، وفي (ي) : (البدن) بدل (بدن المرء) .

(٣) سنح : عرض له وخطر علىٰ باله .

(٤) في (د ، ي) : (إخوان) بدل (أخدان) ، وهما بمعنىً .

(٥) في (د ، ط ، ل) : (المشاهد) بدل (المشاهدة) ، والمراد : مشاهد الخير .

فإنْ مضىٰ علىٰ موجَبِ قصدِهِ ، ونفذَ بمقتضىٰ عزمِهِ . . فهوَ الموفَّقُ صِدْقاً ، وإنْ نقضَ التوبةَ مرَّةً أوْ مرَّاتٍ ، وتحملُهُ إرادتُهُ علىٰ تجديدِها . . فقدْ يكونُ مثلُ هـٰذا أيضاً كثيراً ، فلا ينبغي قطعُ الرجاءِ عنْ توبةِ أمثالِ هـٰؤلاءِ ؛ فإنَّ لكلِّ أجلٍ كتاباً .

حُكِيَ عنْ أبي سليمانَ الدارانيِّ أنَّهُ قالَ : اختلفتُ إلىٰ مجلسِ قاصٍّ ، فأثَّرَ كلامُهُ في قلبي ، فلمَّا قمتُ . . لمْ يبقَ في قلبي شيءٌ ، فعدتُ ثانياً فسمعتُ كلامَهُ ، فبقيَ كلامُهُ في قلبي في الطريقِ ، ثمَّ زالَ عنْ قلبي ، قالَ : ثمَّ عدتُ ثالثاً ، فبقيَ أثرُ كلامِهِ في قلبي ، حتَّىٰ رجعتُ إلىٰ منزلي وكسَّرتُ آلاتِ المخالفاتِ ، ولزمتُ الطريقَ .

فحكىٰ هـٰذهِ الحكايةَ ليحيى بنِ معاذٍ فقالَ : عصفورٌ اصطادَ كُرْكِيّاً .

أرادَ بالعصفورِ : ذٰلكَ القاصَّ ، وبالكُرْكِيِّ : أبا سليمانَ الدارانيَّ[1] .

ويُحكىٰ عنْ أبي حفصٍ الحدَّادِ أنَّهُ قالَ : (تركتُ العملَ كذا وكذا مرَّةً ، فعُدتُ إليهِ ، ثمَّ تركَني العملُ ، فلمْ أعُدْ بعدَهُ إليهِ)[2] .

وقيلَ : إنَّ أبا عمرِو بنَ نُجيدٍ في ابتداءِ أمرِهِ اختلفَ إلىٰ مجلسِ أبي عثمانَ ، فأثَّرَ في قلبِهِ كلامُهُ ، فتابَ علىٰ يدِهِ ، ثمَّ إنَّهُ وقعَتْ لهُ فترةٌ ، فكانَ يهربُ مِنْ أبي عثمانَ إذا رآهُ ، ويتأخَّرُ عنْ مجلسِهِ ، فاستقبلَهُ أبو عثمانَ يوماً ، فحادَ أبو عمرٍو عنْ طريقِهِ ، وسلكَ طريقاً آخرَ ، فتبعَهُ أبو عثمانَ ، فما زالَ بِهِ يقفو أثرَهُ حتَّىٰ لحقَهُ ، ثمَّ قالَ لهُ : يا بنيَّ ؛ لا تصحبْ مَنْ لا يحبُّكَ إلَّا معصوماً ، إنَّما ينفعُكَ أبو عثمانَ في مثلِ هـٰذهِ الحالةِ .

قالَ : فتابَ أبو عمرِو بنُ نجيدٍ ، وعادَ إلى الإرادةِ ونفذَ[3] .

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٥/٣٤) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٨) ، ومعنىٰ (تركني العمل) : نفرت نفسي عنه ، كما قال العلامة اللخمي .

(٣) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠٢/٩) ، ونفذ : مضىٰ في أمره ، وفي (ج) : (وتعبد) .

سمعتُ الشيخَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : تابَ بعضُ المريدينَ ، ثمَّ وقعَتْ لهُ فترةٌ ، فكانَ يفكِّرُ وقتاً : لوْ عادَ إلى التوبةِ . . كيفَ حكمُهُ ؟ فهتفَ بهِ هاتفٌ : يا أبا فلانٍ ؛ أطعتَنا فشكرْناكَ ، ثمَّ تركْتَنا فأمهلْناكَ ، فإنْ عدتَ إلينا . . قبلناكَ . فعادَ الفتىٰ إلى الإرادةِ ونفذَ .

فإذا تركَ المعاصيَ ، وحلَّ عنْ قلبِهِ عُقدةَ الإصرارِ ، وعزمَ علىٰ ألَّا يعودَ إلىٰ مثلِهِ . . فعندَ ذٰلكَ يخلُصُ إلىٰ قلبِهِ صادقُ الندمِ ، فيتأسَّفُ علىٰ ما عملَهُ ، ويأخذُ في التحسُّرِ علىٰ ما ضيَّعَهُ مِنْ أحوالِهِ ، وارتكبَهُ مِنْ قبيحِ أعمالِهِ ، فتتِمُّ توبتُهُ ، وتصدقُ مجاهدتُهُ ، ويستبدلُ بمخالطتِهِ العزلةَ ، وبصحبتِهِ معَ أخدانِ السوءِ التوحُّشَ عنهُمْ ، والخلوةَ دونَهُمْ ، ويصلُ ليلَهُ بنهارِهِ في التلهُّفِ ، ويعتنقُ في عمومِ أحوالِهِ صدقَ التأسُّفِ ، يمحو بصَوبِ عَبرتِهِ آثارَ عثرتِهِ ، ويأسو بحسنِ توبتِهِ كُلومَ حوبتِهِ (١) ، يُعرفُ مِنْ بينِ أمثالِهِ بذبولِهِ ، ويُستدلُّ علىٰ صحةِ حالِهِ بنحولِهِ .

ولنْ يتِمَّ لهُ شيءٌ مِنْ هٰذا إلَّا بعدَ فراغِهِ مِنْ إرضاءِ خصومِهِ ، والخروجِ عمَّا لزمَهُ مِنْ مظالمِهِ ؛ فإنَّ أولَ منزلةٍ في التوبةِ إرضاءُ الخصومِ بما أمكنَهُ ، فإنِ اتسعَ ذاتُ يدِهِ لإيصالِ حقوقِهِمْ إليهِمْ ، أوْ سمحَتْ نفوسُهُمْ بإحلالِهِ والبراءةِ عنهُ (٢) ، وإلَّا . . فالعزمُ بقلبِهِ علىٰ أنْ يخرجَ من حقوقِهِمْ عندَ الإمكانِ ، والرجوعُ إلى اللهِ تعالىٰ بصدقِ الابتهالِ والدعاءِ لهُمْ (٣) .

وللتائبينَ صفاتٌ وأحوالٌ هيَ مِنْ خصالِهِمْ ، يُعدُّ ذٰلكَ مِنْ جملةِ التوبةِ لكونِها مِنْ صفاتِهِمْ ، لا لأنَّها مِنْ شرطِ صحَّتِها ، وإلىٰ ذٰلكَ تشيرُ أقاويلُ الشيوخِ في معنى التوبةِ .

---

(١) يأسو : يداوي ويعالج ، والأَسْوُ : علاج الطبيب ، والكلوم : الجراحات ، والحوبة : الإثم .

(٢) الأولىٰ : عنها ؛ أي : بأن يحللوه أو يبرئوه منها فذاك . « إحكام الدلالة » (٢/١١٥) .

(٣) في هامش (ح) وهي مقروءة على الإمام الشعراني : (قال بعض العارفين : لا يصحُّ لأحد دخولُ حضرة الحق تعالىٰ وعليه حقٌّ لآدمي ؛ لأن الفتح الإلـٰهي متوقف علىٰ ذٰلك ، فإن حصل فتحٌ لمريد قبل وفاء الحقوق . . علمنا أن الله تعالىٰ أرضىٰ عنه خصومه في عالم الغيب) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (التوبةُ علىٰ ثلاثةِ أقسامٍ : أوَّلُها : التوبةُ ، وأوسطُها : الإنابةُ ، وآخرُها : الأوبةُ) .

فجعلَ التوبةَ بدايةً ، والأوبةَ نهايةً ، والإنابةَ واسطتَهما .

فكلُّ مَنْ تابَ لخوفِ العقوبةِ . . فهوَ صاحبُ توبةٍ ، ومَنْ تابَ طمعاً في الثوابِ . . فهوَ صاحبُ إنابةٍ ، ومَنْ تابَ مراعاةً للأمرِ ، لا لرغبةٍ في الثوابِ أوْ رهبةٍ مِنَ العقابِ . . فهوَ صاحبُ أوبةٍ .

ويُقالُ أيضاً : التوبةُ صفةُ المؤمنينَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(١) ، والإنابةُ صفةُ الأولياءِ والمقرَّبينَ ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾(٢) ، والأوبةُ صفةُ الأنبياءِ والمرسلينَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(٣) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (التوبةُ علىٰ ثلاثةِ معانٍ : أوَّلُها : الندمُ ، والثاني : العزمُ علىٰ تركِ المعاودةِ إلىٰ ما نهى اللهُ عنهُ ، والثالثُ : السعْيُ في أداءِ المظالمِ) .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (التوبةُ : تركُ التسويفِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ الحارثَ يقولُ : (ما قلتُ قطُّ : اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ التوبةَ ، ولـٰكنِّي أقولُ : أسألُكَ شهوةَ التوبةِ) .

أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الشِّيرازيُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ مصلحٍ بالأهوازِ يقولُ : سمعتُ ابنَ زيزىٰ يقولُ(٤) : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : دخلتُ

---

(١) سورة النور : (٣١) .

(٢) سورة قٓ : (٣٣) .

(٣) سورة صٓ : (٣٠) .

(٤) كذا في (ج ، ي) ، وفي غيرها : (سـمعت ابن زَبْرىٰ) ، وفي (ط) : (سـمرة بن زيزىٰ) ، وفي « الأربعين ←

علىٰ السريِّ يوماً ، فرأيتُهُ متغيِّراً ، فقلتُ لهُ : ما لكَ ؟ فقالَ : دخلَ عليَّ شابٌّ فسألَني عنِ التوبةِ ، فقلتُ لهُ : ألَّا تنسىٰ ذنبَكَ ، فعارضَني وقالَ : بلِ التوبةُ أنْ تنسىٰ ذنبكَ !

فقلتُ : إنَّ الأمرَ عندي ما قالَهُ الشابُّ ، فقالَ : لِمَ ؟ قلتُ : لأنِّي إذا كنتُ في حالِ الجفاءِ فنقلَني إلىٰ حالِ الوفاءِ . . فذكرُ الجفاءِ في حالِ الصفاءِ جفاءٌ ، فسكتَ .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ الصوفيَّ يقولُ : سُئِلَ سهْلُ بنُ عبدِ اللهِ عنِ التوبةِ ، فقالَ : ألَّا تنسىٰ ذنبَكَ ، وسُئِلَ الجنيدُ عنِ التوبةِ ، فقالَ : أنْ تنسىٰ ذنبَكَ .

قالَ أبو نصرٍ السرَّاجُ : أشارَ سهلٌ إلىٰ أحوالِ المريدينَ والمتعرِّضينَ تارةً لهُمْ وتارةً عليهِمْ ، وأمَّا الجنيدُ . . فإنَّهُ أشارَ إلىٰ توبةِ المتحقِّقينَ ، لا يذكرونَ ذنوبَهُمْ ممَّا غلبَ علىٰ قلوبِهِمْ مِنْ عظمةِ اللهِ ودوامِ ذكرِهِ .

قالَ : وهوَ مثلُ ما سُئِلَ رُويمٌ عنِ التوبةِ ، فقالَ : (التوبةُ مِنَ التوبةِ) .

وسُئِلَ ذو النُّونِ المصريُّ عنِ التوبةِ ، فقالَ : (توبةُ العوامِّ مِنَ الذنوبِ ، وتوبةُ الخواصِّ مِنَ الغفلةِ) .

وقالَ النُّوريُّ : (التوبةُ : أنْ تتوبَ مِنْ كلِّ شيءٍ سوى اللهِ عزَّ وجلَّ)[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليِّ بنِ محمدٍ التميميَّ يقولُ : (شتَّانَ ما بينَ تائبٍ يتوبُ مِنَ الزلَّاتِ ، وتائبٍ يتوبُ مِنَ الغَفَلاتِ ، وتائبٍ يتوبُ مِنْ رؤيةِ الحسناتِ)[2] .

وقالَ الواسطيُّ : (التوبةُ النصوحُ لا تبقي علىٰ صاحبِها أثراً مِنَ

← في شيوخ الصوفية » للماليني (ص ٩٦) قال : (سمعت علي بن إبراهيم البصري يقول : سمعت أبا الحسين أحمد بن زيزي يقول للجنيد : من أصحب بعدك ؟ قال : اصحب بعدي من تأمنه سر الله فيك) كذا فيه بالياء .

(١) حكىٰ ذلك كله أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٦٨) ، وانظر « قوت القلوب » (١٩٠/١) .

(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٦٩/٢) عن بُنان الحمَّال .

المعصيةِ ، سـرّاً ولا جهراً ، ومَنْ كانت توبتُهُ نصوحاً . . لا يبالي كيفَ أمسىٰ وأصبحَ)[1] .

سـمعتُ الشيخَ أبـا عبـدِ الرحمـٰنِ السُّـلميَّ يقـولُ : سـمعتُ محمدَ بـنَ إبراهيمَ بنِ الفضلِ الهاشـميَّ يقولُ : سـمعتُ محمدَ بنَ الروميِّ يقولُ : سمعتُ يحيـى بـنَ معـاذٍ يقـولُ : (إلـٰهي ؛ لا أقـولُ : تبـتُ ولا أعـودُ ؛ لما أعـرفُ مِنْ خُلُقـي ، ولا أضمـنُ تركَ الذنـوبِ ؛ لما أعرفُ مِنْ ضعفي ، ثـمَّ إنِّي أقولُ : لا أعودُ ، لعلِّي أموتُ قبلَ أنْ أعودَ)[2] .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (الاستغفارُ مِنْ غيرِ إقلاعٍ توبةُ الكذَّابينَ)[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ يَزْدانيارَ يقولُ وقدْ سُئِلَ عنِ العبدِ إذا خرجَ إلى اللهِ علىٰ أيِّ أصلٍ يخرجُ ؟ فقالَ : علىٰ ألَّا يعودَ إلىٰ ما منهُ خرجَ ، ولا يراعيَ غيرَ مَنْ إليهِ خرجَ ، ويحفظَ سرَّهُ عنْ ملاحظةِ ما تبرَّأَ منهُ .

فقيـلَ لهُ : هـٰذا حكمُ مَنْ خـرجَ عنْ وجودٍ ، فكيفَ حكـمُ مَنْ خرجَ عنْ عدمٍ ؟ فقالَ : وجودُ الحلاوةِ في المستأنفِ عوضاً عنِ المرارةِ في السالفِ[4] .

وسُئِلَ البوشَنْجيُّ عنِ التوبةِ ، فقالَ : إذا ذكرتَ الذنبَ ثمَّ لا تجدُ حلاوتَهُ عندَ ذكرِهِ . . فهوَ التوبةُ .

وقالَ ذو النونِ : (حقيقةُ التوبةِ : أنْ تضيقَ عليكَ الأرضُ بما رحُبتْ حتَّىٰ لا يكونَ لكَ قرارٌ ، ثمَّ تضيقَ عليكَ نفسُكَ كما أخبرَ اللهُ تعالىٰ في كتابهِ

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٣٣٧/٢) إلىٰ قوله : (ولا جهراً) .

(٢) قوله : (ثم إني أقول : لا أعود . . .) يقوله عند رجائه الحفظ والمعونة من الله ، كما أفاده العلامة اللخمي .

(٣) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٣١٢/١) عن بعضهم .

(٤) المستأنف : المستقبل ، السالف : الزمن الماضي ، قال العلامة اللخمي في « فوائد الرسالة » : فقيل له : هـٰذا حكم من خرج عن وجود ؛ يعني : عن مال ، فما حكم من خرج إلى الله تعالىٰ ولم يكن ذا مال ؟ فقال : دليل صدقه في خروجه : وجود الحلاوة فيما يستقبل من الزمان بفقره كما كان يجد المرارة قبل ذٰلك ؛ كما قيل :

إذا افتقـروا عضُّـوا علـى الفقـرِ ضِنَّـةً وإن أيسـروا عـادوا سـراعاً إلـى الفقـرِ

بقولِهِ : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾[1]) .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (التوبةُ توبتانِ : توبةُ الإنابةِ ، وتوبةُ الاستجابةِ ؛ فتوبةُ الإنابةِ : أنْ يتوبَ العبدُ خوفاً مِنْ عقوبتِهِ ، وتوبةُ الاستجابةِ : أنْ يتوبَ حياءً مِنْ كرمِهِ)[2] .

وقيلَ لأبي حفصٍ : لِمَ يبغضُ التائبُ الدنيا ؟ فقالَ : لأنَّها دارٌ باشرَ فيها الذنوبَ .

فقيلَ لهُ : فهيَ أيضاً دارٌ أكرمَهُ اللهُ تعالىٰ فيها بالتوبةِ ! فقالَ : إنَّهُ مِنَ الذنبِ علىٰ يقينٍ ، ومِنْ قَبولِ توبتِهِ علىٰ خطرٍ[3] .

وقالَ الواسطيُّ : (طربُ داوودَ عليهِ السلامُ وما هوَ فيهِ مِنْ حلاوةِ الطاعةِ . . أوقعَهُ في أنفاسٍ متصاعدةٍ ، وهوَ في حالِهِ الثانيةِ أتمُّ منهُ في وقتِ ما سُتِرَ عليهِ أمرُهُ)[4] .

وقالَ بعضُهُمْ : (توبةُ الكذَّابينَ علىٰ أطرافِ ألسنتِهِمْ)[5] ؛ يعني : قولَ : أستغفرُ اللهَ .

وسُئِلَ أبو حفصٍ عنِ التوبةِ ، فقالَ : ليسَ للعبدِ في التوبةِ شيءٌ ؛ لأنَّ التوبةَ إليهِ لا منهُ[6] .

وقيلَ : أوحى اللهُ سبحانَهُ إلىٰ آدمَ عليهِ السلامُ : يا آدمُ ؛ ورَّثْتَ ذرّيتَكَ التعبَ والنصبَ ، وورَّثْتَهُمُ التوبةَ ؛ مَنْ دعاني منهُمْ بدعوتِكَ . . لبَّيْتُهُ

---

(١) سورة التوبة : (١١٨) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤٨) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٥٥) .

(٤) يعني : طربه وهو مستغرق بشهود مظاهر الجلال أورثه الحزن ، وحالة الحزن خير له من حالة السرور ، وتمام أحوال الأنبياء هو كمال فوق كمال .

(٥) بنحوه أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤٩) عن رابعة العدوية رحمها الله تعالىٰ .

(٦) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢٩١/١) .

كتلبيتِكَ ، يا آدمُ ؛ أحشرُ التائبينَ مِنَ القبورِ مستبشرينَ ضاحكينَ ، ودعاؤُهُمْ مستجابٌ .

وقالَ رجلٌ لرابعةَ : إنِّي قدْ أكثرتُ مِنَ الذنوبِ والمعاصي ، فلوْ تُبتُ .. هلْ يتوبُ عليَّ ؟ فقالَتْ : لا ، بلْ لوْ تابَ عليكَ .. لتُبتَ[1] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : واعلمْ : أنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[2] ، ومَنْ قارفَ الزلَّةَ .. فهوَ مِنْ خطيئِهِ علىٰ يقينٍ ، فإذا تابَ .. فإنَّهُ مِنَ القَبولِ علىٰ شكٍّ ، لا سيَّما إذا كانَ مِنْ شرطِهِ وحقِّهِ أنْ يكونَ مستحقّاً لمحبةِ الحقِّ ، وإلىٰ أنْ يبلغَ العاصي محلّاً يجدُ في أوصافِهِ أمارةَ محبةِ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ .. مسافةٌ بعيدةٌ !

فالواجبُ إذاً على العبدِ إذا علمَ أنَّهُ ارتكبَ ما تجبُ عنهُ التوبةُ .. دوامُ الانكسارِ ، وملازمةُ التنصُّلِ والاستغفارِ ؛ كما قالوا : استشعارُ الوَجَلِ إلى الأجلِ .

وقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3] ، وكانَ مِنْ سنَّتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دوامُ الاستغفارِ ؛ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّهُ لَيُغانُ علىٰ قلبي ، حتَّىٰ أستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعينَ مرَّةً »[4] .

سمعتُ أبا عبدِ الرحمٰنِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ سهلٍ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ معاذٍ يقولُ : (زلَّةٌ واحدةٌ بعدَ التوبةِ .. أقبحُ مِنْ سبعينَ قبلَها) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٥٢) .

(٢) سورة البقرة : (٢٢٢) .

(٣) سورة آل عمران : (٣١) .

(٤) تقدم (ص ٢٣٨) .

أبا عثمانَ يقولُ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴾ [1] ، قالَ : رجوعَهُمْ ، وإنْ تمادىٰ بهمُ الجَوَلانُ في المخالفاتِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأنماطيَّ يقولُ : ركبَ عليُّ بنُ عيسى الوزيرُ في موكبٍ عظيمٍ ، فجعلَ الغرباءُ يقولونَ : مَنْ هـٰذا ؟ مَنْ هـٰذا ؟ فقالتِ امرأةٌ قائمةٌ على الطريقِ : إلىٰ متىٰ تقولونَ مَنْ هـٰذا ؟! مَنْ هـٰذا ؟! هـٰذا عبدٌ سقطَ مِنْ عينِ اللهِ ، فابتلاهُ اللهُ بما ترونَ .

فسمعَ عليُّ بنُ عيسىٰ ذٰلكَ ، فرجعَ إلىٰ منزلِهِ ، واستعفىٰ مِنَ الوزارةِ ، وذهبَ إلىٰ مكةَ وجاورَ بها .

* * *

---

(1) سورة الغاشية : (٢٥) .

بابُ المجاهدة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾[1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأهوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصَّفارُ قالَ : حدَّثَنا العباسُ بنُ الفضلِ الأسْفاطيُّ قالَ : حدَّثَنا ابنُ كاسبٍ قالَ : حدَّثَنا ابنُ عيينةَ ، عنْ عليِّ بنِ زيدٍ ، عنْ أبي نضرةَ ، عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ أفضلِ الجهادِ ، فقالَ : « كلمةُ عدْلٍ عندَ سلطانٍ جائرٍ » ، ودمِعَتْ عينا أبي سعيدٍ[2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (مَنْ زَيَّنَ ظاهرَهُ بالمجاهدةِ . . حسَّنَ اللهُ سرائرَهُ بالمشاهدةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رحمةُ اللهِ عليهِ : واعلمْ : أنَّ مَنْ لمْ يكنْ في بدايتِهِ صاحبَ مجاهدةٍ . . لمْ يجدْ مِنْ هٰذهِ الطريقةِ شَمَّةً .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (مَنْ ظنَّ أنَّهُ يُفتحُ عليهِ شيءٌ مِنْ هٰذهِ الطريقةِ ، أوْ يُكشفُ لهُ عنْ شيءٍ منها إلَّا بلزومِ المجاهدةِ . . فهوَ في غلطٍ)[3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : (مَنْ لمْ تكنْ لهُ في بدايتِهِ قَومةٌ . . لمْ تكنْ لهُ في نهايتِهِ جَلسةٌ)[4] .

---

(١) سورة العنكبوت : (٦٩) .

(٢) رواه أبو داوود (٤٣٤٤) ، والترمذي (٢١٧٤) ، وابن ماجه (٤٠١١) ، أورده المصنف بياناً لسَعَةِ معنى الجهادِ .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٣٠) ، وفيه رواية السلمي عن أبي بكر الرازي عن أبي عثمان المغربي ، ولٰكن السُّلمي يروي عن أبي عثمان مباشرة ؛ فهو من جملة أشياخه .

(٤) أي : من لم يذق المشقَّات في طريق السلوك إلىٰ ملك الملوك في بدايته . . لم يشرب من راحة الوصول في نهايته ؛ إذ من جدَّ . . وجد ، ومن توانىٰ . . يُخشىٰ عليه العطب . « نتائج الأفكار » (٢/١٢٥) .

وسمعتُهُ يقولُ : (قولُهُمْ : « الحركةُ بركةٌ » حركاتُ الظواهرِ توجبُ بركاتِ السرائرِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عَلَّويهِ يقولُ : قالَ أبو يزيدَ : (كنتُ اثنتَيْ عشرةَ سنةً حدَّادَ نفسي ، وخمسَ سنينَ كنتُ مرآةَ قلبي ، وسنةً أنظرُ فيما بينَهما ؛ فإذا في وسطي زُنَّارٌ ظاهرٌ ، فعملتُ في قطعِهِ ثنتَيْ عشرةَ سنةً ، ثمَّ نظرتُ ؛ فإذا في باطني زُنَّارٌ ، فعملتُ في قطعِهِ خمسَ سنينَ أنظرُ كيفَ أقطعُ ، فكُشِفَ لي ، فنظرتُ إلى الخلقِ ، فرأيتُهُمْ موتىٰ ، فكبَّرتُ عليهِمْ أربعَ تكبيراتٍ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : يا معشرَ الشبابِ ؛ جِدُّوا قبلَ أنْ تبلغوا مبلغي فتضعُفوا وتقصِّروا كما قصَّرتُ . وكانَ السريُّ في ذٰلكَ الوقتِ لا يلحقُهُ الشبابُ في العبادةِ [1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ العزيزِ النجرانيَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ القزَّازَ يقولُ : (بُنِيَ هٰذا الأمرُ علىٰ ثلاثةِ أشياءَ : ألَّا تأكلَ إلَّا عندَ الفاقةِ ، ولا تنامَ إلَّا عندَ الغلبةِ ، ولا تتكلَّمَ إلَّا عندَ الضرورةِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ حامدٍ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ خِضْرويهِ يقولُ : عنْ إبراهيمَ بنِ أدهمَ يقولُ [2] : (لنْ ينالَ الرجلُ درجةَ الصالحينَ حتَّىٰ يجوزَ ستَّ عقابٍ :

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧٨/٢٠) ، وقد سبق في ترجمته أنه أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئي مضطجعاً إلا في علة الموت .

(٢) في (ج ، هـ ، ي) : (سمعت إبراهيم) بدل (عن إبراهيم) ، والصواب المثبت ، وهو كذٰلك عند السلمي ، قال الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٤٨٨/١١) : (يقال : إن ابن خضرويه صحب إبراهيم بن أدهم ، قلت : لم يدركه أبداً) .

أوَّلُها : يغلقُ بابَ النعمةِ ، ويفتحُ بابَ الشدَّةِ .

والثاني : يغلقُ بابَ العزّ ، ويفتحُ بابَ الذلِّ .

والثالثُ : يغلقُ بابَ الراحةِ ، ويفتحُ بابَ الجهدِ .

والرابعُ : يغلقُ بابَ النومِ ، ويفتحُ بابَ السهرِ .

والخامسُ : يغلقُ بابَ الغنىٰ ، ويفتحُ بابَ الفقرِ .

والسادسُ : يغلقُ بابَ الأملِ ، ويفتحُ بابَ الاستعدادِ للموتِ)[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدّي أبا عمرِو بنَ نُجيدٍ يقولُ : (مَنْ كرُمَتْ عليهِ نفسُهُ . . هانَ عليهِ دينُهُ)[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : (إذا قالَ الصوفيُّ بعدَ خمسةِ أيامٍ : أنا جائعٌ . . فألزموهُ السوقَ ، وأمُرُوهُ بالكسبِ) .

واعلمْ : أنَّ أصلَ المجاهدةِ ومَلاكَها[3] : فطْمُ النفسِ عنِ المألوفاتِ ، وحملُها علىٰ خلافِ هواها في عمومِ الأوقاتِ .

وللنفسِ صفتانِ[4] : انهماكٌ في الشهواتِ ، وامتناعٌ عَنِ الطاعاتِ ، فإذا جمحَتْ عندَ ركوبِ الهوىٰ . . يجب كبحُها بلجامِ التقوىٰ ، وإذا حَرَنَتْ عندَ القيامِ بالموافقاتِ . . يجبُ سوقُها علىٰ خلافِ الهوىٰ ، وإذا ثارَتْ عندَ غضبِها . . فمِنَ الواجبِ مراعاةُ حالِها ، فما مِنْ منازلةٍ أحسنَ عاقبةً مِنْ غضبٍ يُكسرُ سلطانُهُ بخُلُقٍ حسنٍ ، وتُخمدُ نيرانُهُ برفقٍ ، وإذا استحلَتْ شرابَ الرعونةِ فضاقَتْ إلَّا عنْ إظهارِ مناقبِها ، والتزيُّنِ لمَنْ ينظرُ إليها ويلاحظُها . .

---

(١) تقدم (ص ١٠٣) وكذا جاء العدُّ في عامة النسخ حتىٰ (ي) .

(٢) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥٥) .

(٣) مَلاك الأمر ـ بالفتح ويكسر ـ : قوامُه الذي يملك به وصلاحُه وما يعتمد عليه .

(٤) في « إحكام الدلالة » (٢/١٣٠) زيادة ليست في النسخ : (مانعتان لها من الخير) .

فمِنَ الواجبِ كسرُ ذٰلكَ عليها ، وإحلالُها بعَقْوَةِ الذُّلِّ[1] ، بما يذكِّرُها مِنْ حقارةِ قدرِها ، وخساسةِ أصلِها ، وقذارةِ فعلِها .

وجَهدُ العوامِّ في توفيةِ الأعمالِ[2] ، وقصدُ الخواصِّ إلىٰ تصفيةِ الأحوالِ ؛ فإنَّ مقاساةَ الجوعِ والسهرِ سهلٌ يسيرٌ ، ومعالجةَ الأخلاقِ والتنقِّي مِنْ سَفْسافِها صعبٌ شديدٌ .

ومِنْ غوامضِ آفاتِ النفسِ : ركونُها إلى استحلاءِ المدحِ ؛ فإنَّ مَنْ تحسَّىٰ منهُ جرعةً . . حملَ السماواتِ والأرَضينَ مثلاً علىٰ أشفارِهِ[3] ، وأمارةُ ذٰلكَ : أنَّهُ إذا انقطعَ عنهُ ذٰلكَ الشِّرْبُ . . آلَ حالُهُ إلى الكسلِ والفشلِ .

كانَ بعضُ المشايخِ يصلِّي في مسجدِهِ في الصفِّ الأولِ سنينَ كثيرةً ، فعاقَهُ يوماً عنِ الابتكارِ إلى المسجدِ عائقٌ ، فصلَّىٰ في الصفِّ الأخيرِ ، فلمْ يُرَ بعدَ ذٰلكَ مدةً ، فسُئِلَ عنِ السببِ ، فقالَ : كنتُ أقضي صلاةَ كذا وكذا سنةً صلَّيتُها في الصفِّ الأولِ وعندي أنِّي مخلصٌ فيها للهِ عزَّ وجلَّ ، فداخلَني يومَ تأخُّري عنِ المسجدِ مِنْ شهودِ الناسِ إيَّايَ في الصفِّ الأخيرِ نوعُ خجلٍ ، فعلمتُ أنَّ نشاطي طولَ عمري إنَّما كانَ علىٰ رؤيتِهِمْ ، فقضَيتُ صلواتي .

ويُحكىٰ عنْ أبي محمدٍ المرتعشِ أنَّهُ قالَ : حججتُ كذا وكذا حجةً على التجريدِ ، فبانَ لي أنَّ جميعَ ذٰلكَ كانَ مشوباً بحظِّي ؛ وذٰلكَ أنَّ والدتي سألَتْني يوماً أنْ أستقيَ لها جرَّةَ ماءٍ ، فثقُلَ ذٰلكَ علىٰ نفسي ، فعلمتُ أنَّ مطاوعةَ نفسي في الحجَّاتِ كانَتْ لحظٍّ وشوبٍ لنفسي[4] ؛ إذْ لوْ كانَتْ نفسي فانيةً . . لمْ يصعُبْ عليها ما هوَ حقٌّ في الشرعِ .

---

(١) العَقْوة : الساحة ، وفي (د) : (بعَنْوة) ، وهي القهر ، وفي (ج ، هـ ، ح ، ي ، ل) وهامش (د) : (بعقوبة) ، ولعل المثبت أولىٰ .

(٢) أي : تمامها وتكثيرها . « إحكام الدلالة » (١٣١/٢) .

(٣) في (ي) : (علىٰ شُفُر من أشفاره) ، وهي حروفُ الأجفان النابتُ عليها الهُدْبُ .

(٤) في (ب ، ل) : (وشِرْب) بدل (وشوب) ، والشِّرْب كما مرَّ غير مرة : الحظ .

وكانَتِ امرأةٌ قدْ طعنَتْ في السنِّ ، فسُئِلَتْ عنْ حالِها ، فقالَتْ : كنتُ في حالِ الشبابِ أجدُ مِنْ نفسي أحوالاً أظنُّها قوَّةَ الحالِ ، فلما كَبِرْتُ زالَتْ عنِّي ، فعلمتُ أنَّ ذٰلكَ كانَ قوَّةَ الشبابِ ، فتوهَّمْتُها أحوالاً .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : ما سمعَ هٰذهِ الحكايةَ أحدٌ مِنَ الشيوخِ إلَّا رقَّ لهٰذهِ العجوزِ وقالَ : إنَّها كانَتْ منصفةً .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : (ما أعزَّ اللهُ عبداً بعزٍّ هوَ أعزُّ لهُ مِنْ أنْ يدلَّهُ على ذُلِّ نفسِهِ ، وما أذلَّ اللهُ عبداً بذلٍّ هوَ أذلُّ لهُ مِنْ أنْ يحجبَهُ عنْ ذُلِّ نفسِهِ)[١] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاصَ يقولُ : (ما هالَني شيءٌ إلَّا ركبتُهُ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ[٢] : سمعتُ محمدَ بنَ الفضلِ يقولُ : (الراحةُ هوَ الخلاصُ مِنْ أمانيِّ النفسِ)[٣] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : دخلَتِ الآفةُ مِنْ ثلاثٍ : سقمُ الطبيعةِ ، وملازمةُ العادةِ ، وفسادُ الصحبةِ .

فسألتُهُ : ما سقمُ الطبيعةِ ؟ فقالَ : أكلُ الحرامِ .

فقلتُ : ما ملازمةُ العادةِ ؟ فقالَ : النظرُ ، والاستماعُ بالحرامِ ، والغِيبةُ .

قلتُ : فما فسادُ الصحبةِ ؟ قالَ : كلَّما هاجَ في النفسِ شهوةٌ . . تتبَّعْتَها[٤] .

---

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٧٤) .

(٢) كذا في النسخ الرواية عن عبد الله بن محمد الشعراني الرازي المتوفى سنة (٣٥٣ هـ) ، وعند السلمي في « طبقاته » (ص ٤٥١) التصريح بالرواية عنه ، والله أعلم .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٣٩) .

(٤) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٤٠٠) ، وفيه : (قلت : ما ملازمة العادة ؟ قال : النظر في العينين ←

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (سجنُكَ نفسُكَ ، إذا خرجْتَ منها . . وقعتَ في راحةِ الأبدِ)[١] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمداً الفرَّاءَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الورَّاقَ يقولُ : (كانَتْ أحكامُنا في مبادئِ أمرِنا في مسجدِ أبي عثمانَ الحيريِّ . . الإيثارَ بما يُفتحُ علينا ، وألَّا نبيتَ علىٰ معلومٍ ، ومَنِ استقبلَنا بمكروهٍ . . لا ننتقمُ لأنفسِنا ، بلْ نعتذرُ إليهِ ونتواضعُ لهُ ، وإذا وقعَ في قلوبِنا حقارةٌ لأحدٍ . . قمْنا بخدمتِهِ والإحسانِ إليهِ حتَّىٰ تزولَ) .

وقالَ أبو حفصٍ : (النفسُ ظلمةٌ كلُّها ، وسراجُها سرُّها ، ونورُ سراجِها التوفيقُ ، فمَنْ لمْ يصحبْهُ في سرِّهِ توفيقٌ مِنْ ربِّهِ . . كانَ ظلمةً كلُّهُ) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : معنىٰ قولِهِ : (سراجُها سرُّها) : يريدُ سرَّ العبدِ الذي بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ ، وهوَ محلُّ إخلاصِهِ ، وبهِ يعرفُ أنَّ الحادثاتِ باللهِ لا بنفسِهِ ولا مِنْ نفسِهِ ؛ ليكونَ متبرِّئاً مِنْ حولِهِ وقوَّتِهِ على استدامةِ أوقاتِهِ ، ثمَّ بالتوفيقِ يعتصمُ مِنْ شرورِ نفسِهِ ؛ فإنَّ مَنْ لمْ يدركْهُ التوفيقُ . . لمْ ينفعْهُ علمُهُ بنفسِهِ ولا بربِّهِ ، ولهـٰذا قالَ الشيوخُ : (مَنْ لمْ يكنْ لهُ سِرٌّ . . فهوَ مصرٌّ) .

وقالَ أبو عثمانَ الحيريُّ : (لا يرىٰ أحدٌ عيبَ نفسِهِ وهوَ مستحسنٌ مِنْ نفسِهِ شيئاً ، وإنَّما يرىٰ عيوبَ نفسِهِ مَنْ يتَّهمُهَا في جميعِ الأحوالِ)[٢] .

وقالَ أبو حفصٍ : (ما أسرعَ هلاكَ مَنْ لا يعرفُ عيبَهُ ؛ فإنَّ المعاصيَ بريدُ الكفرِ)[٣] .

← والاستماع بالأذنين ما لا يليق بالحق ، والغيبة والبهتان) ، وفي (ج) : (والاستمتاع) بدل (والاستماع) .

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٣٥) ، ومن طريق المصنف الخطيبُ في « تاريخه » (١٦٧/٦) .

(٢) في (ج ، د) : (يستحسن) بدل (مستحسن) .

(٣) تقدم بنحوه عنه (ص ١٤٣) .

وقال أبو سليمانَ : (ما استحسنتُ مِنْ نفسي عملاً فاحتسبْتُ بِهِ)[1] .

وقالَ السريُّ : (إيَّاكُمْ وجيرانَ الأغنياءِ ، وقرَّاءَ الأسواقِ ، وعلماءَ الأمراءِ)[2] .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (إنَّما دخلَ الفسادُ على الخلْقِ مِنْ ستةِ أشياءَ :

أَوَّلُها[3] : ضعفُ النيَّةِ بعملِ الآخرةِ .

والثاني : صارَتْ أبدانُهُمْ رهينةً لشهواتِهِمْ .

والثالثُ : غلبَهُمْ طولُ الأملِ معَ قربِ الأجلِ .

والرابعُ : آثروا رضا المخلوقينَ علىٰ رضا الخالقِ .

والخامسُ : اتَّبعوا أهواءَهُم ، ونبذوا سنَّةَ نبيِّهِمْ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وراءَ ظهورِهِمْ .

والسادسُ : جعلوا قليلَ زلَّاتِ السلفِ حجَّةً لأنفسِهِم ، ودفنوا كثيرَ مناقبِهِمْ)[4] .

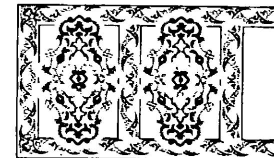
* * *

(١) قوله : (فاحتسبتُ) أي : فاعتددت ، والمعنى : الغالب على الاستحسان غير الشرعي فسادُ الأعمال . « إحكام الدلالة » (٢/١٣٥) .

(٢) أي : إياكم ومجاورة الأغنياء ، وقرّاءُ الأسواق لا يعظِّمون كتاب الله تعالىٰ ؛ إذ جعلوه سبباً لطلب الدنيا .

(٣) كذا في (ج ، و) ، وفي (ط) : (أوله) ، وسقط العدُّ هنا من باقي النسخ .

(٤) حكاه الشارعي في « مرشد الزوار » (١/٣٨٣) .



بابُ الخلوةِ والعزلةِ

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ معاويةَ قالَ : حدَّثَنا القَعْنبيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي حازمٍ ، عنْ أبيهِ ، عنْ بَعْجَةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بدرٍ الجُهَنيِّ ، عنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ مِنْ خيرِ معايشِ الناسِ لهُمْ : رجلاً آخذاً بعِنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللهِ ؛ إنْ سمعَ فَزْعةً أوْ هَيْعةً . . كانَ علىٰ متنِ فرسِهِ ، يبتغي الموتَ أوِ القتلَ في مكانِهِ ، أوْ رجلاً في غُنيمةٍ لهُ في رأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هٰذهِ الشِّعافِ أوْ بطنِ وادٍ مِنْ هٰذهِ الأوديةِ ، يقيمُ الصلاةَ ، ويؤتي الزكاةَ ، ويعبدُ ربَّهُ حتَّىٰ يأتيَهُ اليقينُ ، ليسَ مِنَ الناسِ إلَّا في خيرٍ »(١) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رحمَهُ اللهُ : الخلوةُ صفةُ أهلِ الصفوةِ ، والعزلةُ مِنْ أَماراتِ الوُصْلَةِ .

ولا بدَّ للمريدِ في ابتداءِ حالِهِ مِنَ العزلةِ عنْ أبناءِ جنسِهِ ، ثمَّ في نهايتِهِ مِنَ الخلوةِ لتحقُّقِهِ بأُنْسِهِ .

ومِنْ حقِّ العبدِ إذا آثرَ العُزلةَ : أنْ يعتقدَ باعتزالِهِ عنِ الخلْقِ سلامةَ الناسِ مِنْ شرِّهِ ، ولا يقصدَ سلامتَهُ مِنْ شرِّ الخلْقِ ؛ فإنَّ الأوَّلَ مِنَ القسمينِ نتيجةُ استصغارِ نفسِهِ ، والثانيَ شهودُ مزيَّتِهِ على الخلْقِ ، ومَنِ استصغرَ نفسَهُ . . فهوَ متواضِعٌ ، ومَنْ رأىٰ لنفسِهِ مزيَّةً علىٰ أحدٍ . . فهوَ متكبِّرٌ .

ورُئِيَ بعضُ الرهبانِ ، فقيلَ لهُ : إنَّكَ راهبٌ ؟ فقالَ : لا ، بلْ أنا حارسُ

---

(١) ورواه مسلم (١٨٨٩) ، والفَزْعة : النهوض إلى العدو ، وتأتي بمعنى الروع ، والهَيْعة : الصوت عند حضور العدو ، وكلُّ ما أفزعك من صوت وغيره ، والشِّعاف : رؤوس الجبال ، والغُنيمة : قطعة صغيرة من الغنم .

كلبٍ ؛ إنَّ نفسي كلبٌ يعقرُ الخلْقَ ، أخرجتُها مِنْ بينِهِمْ ليسلموا منها .

ومرَّ إنســانٌ ببعــضِ الصالحينَ ، فجمعَ ذٰلكَ الشــيخُ ثيابَــهُ منهُ ، فقالَ الرجلُ : لِمَ تجمعُ عنِّي ثيابَكَ ؟! ليسَــتْ ثيابي نجسةً ! فقالَ الشيخُ : وهمتَ في ظنِّكَ ، ثيابي هيَ النجســةُ ، جمعتُهــا عنكَ لئلَّا تنجِّسَ ثيابَكَ ، لا لكيلا تنجِّسَ ثيابي .

ومِنْ آدابِ العُزلةِ : أنْ يحصِّلَ مِنَ العلومِ ما يصحِّحُ بِهِ عقْدَ توحيدِهِ ؛ لكيلا يستهويَهُ الشيطانُ بوسواسِهِ ، ثمَّ يحصِّلَ مِنْ علومِ الشرعِ ما يؤدِّي بِهِ فرضَهُ ؛ ليكونَ بناءُ أمرِهِ علىٰ أساسٍ محكمٍ .

والعُزلةُ في الحقيقةِ : اعتزالُ الخصالِ المذمومةِ ، فالتأثيرُ لتبديلِ الصفاتِ ، لا للتنائي عنِ الأوطانِ ، ولهٰذا قيلَ : مَنِ العارفُ ؟ قالوا : كائنٌ بائنٌ ؛ يعني : كائنٌ معَ الخلقِ ، بائنٌ عنهُمْ بالسرِّ (١) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (البَسْ معَ الناسِ ما يلبَسونَ ، وتناولْ ممَّا يأكلونَ ، وانفردْ عنهُمْ بالسرِّ) .

وسمعتُهُ يقولُ : جاءَني إنسانٌ وقالَ : جئتُكَ مِنْ مسافةٍ بعيدةٍ ، فقلتُ لهُ : ليسَ هٰذا الحديثُ (٢) مِنْ حيثُ قطعُ المسافاتِ ومقاساةُ الأسفارِ ، فارِقْ نفسَكَ بخطوةٍ وقدْ حصلَ مقصودُكَ .

ويُحكىٰ عنْ أبي يزيدَ قالَ : رأيتُ ربِّي في المنامِ ، فقلتُ : كيفَ أجدُكَ ؟ قالَ : فارِقْ نفسَكَ وتعالَ (٣) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (مَنِ اختارَ الخلوةَ على الصحبةِ ينبغي أنْ يكونَ خالياً عنْ جميعِ الأذكارِ إلَّا ذكرَ ربِّهِ ، وخالياً عنْ جميعِ الإراداتِ إلَّا رضا ربِّهِ ،

---

(١) وحكاه المصنف في « لطائف الإشارات » (٣/٥١) ، وفي (ل) : (وإيثار تبديل الصفات ، لا التنائي . . .) .
(٢) يعني : حديث الطريق إلى الله تعالىٰ وعلم السادة الصوفية فيه .
(٣) وحكاه المصنف في « لطائف الإشارات » (٢/١٣) .

وخالياً مِنْ مطالبةِ النفسِ مِنْ جميعِ الأسبابِ ؛ فإنْ لمْ يكنْ بهٰذهِ الصفةِ . . فإنَّ خلوتَهُ توقعُهُ في فتنةٍ أوْ بليةٍ)(١) .

وقيلَ : الانفرادُ في الخلوةِ أجمعُ لدواعي السَّلوةِ .

وقالَ يحيىٰ بنُ معاذٍ الرازيُّ : (انظرْ : أُنسُكَ بالخلوةِ ، أوْ أُنسُكَ معَهُ في الخلوةِ ؟ فإنْ كانَ أُنسُكَ بالخلوةِ . . ذهبَ أُنسُكَ إذا خرجتَ منها ، وإنْ كانَ أُنسُكَ بهِ في الخلوةِ . . استوَتْ بكَ الأماكنُ في الصحاري والبراري) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ حامدٍ يقولُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ زيارةِ أبي بكرٍ الورَّاقِ ، فلمَّا أرادَ أنْ يرجعَ . . قالَ لهُ : أوصِني ، فقالَ : وجدتُ خيرَ الدنيا والآخرةِ في الخلوةِ والقلَّةِ ، وشرَّهُما في الكثرةِ والاختلاطِ .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ وقدْ سُئِلَ عنِ العُزلةِ ، فقالَ : هيَ الدخولُ بينَ الزِّحامِ وتحفظُ سرَّكَ ألَّا يزاحموكَ ، وتعزلُ نفسَكَ عنِ الآثامِ ، ويكونُ سرُّكَ مربوطاً بالحقِّ(٢) .

وقيلَ : مَنْ آثرَ العُزلةَ . . حصلَ العزُّ لهُ .

وقالَ سهلٌ : (لا تصحُّ الخلوةُ إلَّا بأكلِ الحلالِ ، ولا يصحُّ أكلُ الحلالِ إلَّا بأداءِ حقِّ اللهِ عزَّ وجلَّ) .

وقالَ ذو النونِ : (لمْ أرَ شيئاً أبعثَ على الإخلاصِ مِنَ الخلوةِ)(٣) .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ الرَّمليُّ : (ليكنْ خِدْنُكَ الخلوةَ ، وطعامُكَ الجوعَ ، وحديثُكَ المناجاةَ ؛ فإمَّا أنْ تموتَ ، وإمَّا أنْ تصلَ إلى اللهِ تعالىٰ) .

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٦) .

(٢) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٧) ، وقال : (رُوي معنىٰ هٰذا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٠) .

وقالَ ذو النونِ : (ليسَ مَنِ احتجبَ عنِ الخلْقِ بالخلوةِ كمَنِ احتجبَ عنهُمْ باللهِ عزَّ وجلَّ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (مكابدةُ العُزلةِ أيسرُ مِنْ مداراةِ الخِلطةِ)[١] .

وقالَ مكحولٌ : (إنْ كانَ في مخالطةِ الناسِ خيرٌ .. فإنَّ في العُزلةِ السلامةَ)[٢] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الوَحدةُ جليسُ الصدِّيقينَ)[٣] .

سمعتُ الشيخَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : سُمِعَ الشِّبليُّ يقولُ : الإفلاسَ الإفلاسَ يا ناسُ ، فقيلَ لهُ : يا أبا بكرٍ ؛ ما علامةُ الإفلاسِ ؟ فقالَ : مِنْ علاماتِ الإفلاسِ : الاستئناسُ بالناسِ[٤] .

وقالَ يحيى بنُ أبي كثيرٍ : (مَنْ خالطَ الناسَ .. داراهُمْ ، ومَنْ دارَاهُمْ .. راءاهُمْ)[٥] .

وقالَ شعيبُ بنُ حربٍ : دخلتُ علىٰ مالكِ بنِ مِغْولٍ بالكوفةِ وهوَ في دارِهِ وحدَهُ ، فقلتُ لهُ : أما تستوحشُ وحدَكَ ؟! فقالَ : ما كنتُ أرىٰ أنَّ أحداً يستوحشُ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ[٦] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ

---

(١) وحكاه ابن السبكي في « طبقات الشافعية » (٢/٢٦٧) .

(٢) أورده الجاحظ في « البيان والتبيين » (٣/١٦٨) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٢) بلفظ : (الوحدة مُنية الصديقين ، والأنس بالناس وحشتهم) .

(٤) أورده الخطابي في « العزلة » (ص ١٧) عن بعضهم ، وعن الشبلي بنحوه الخركوشيُّ في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٢) ، وهـٰذا خلاف ما شاع علىٰ ألسنة الناس : جنَّة بلا ناس لا تُداس .

(٥) رواه ابن حبان في « الثقات » (٩/٢١٦) ، والخطابي في « العزلة » (ص ٢٧) ، ولـٰكن عن نصر بن يحيى بن أبي كثير .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٥٢) .

يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأنماطيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ يسلمَ لهُ دينُهُ ، ويستريحَ بدنُهُ وقلبُهُ . . فليعتزلِ الناسَ ؛ فإنَّ هـٰذا زمانُ وَحشةٍ ، والعاقلُ مَنِ اختارَ فيهِ الوَحدةَ)[١] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : قالَ أبو يعقوبَ السُّوسيُّ : (الانفرادُ لا يقوىٰ عليهِ إلَّا الأقوياءُ ، ولأمثالِنا الاجتماعُ أوفقُ وأنفعُ ، يعملُ بعضُهُمْ علىٰ رؤيةِ بعضٍ)[٢] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ سعيدَ بنَ أبي سعيدٍ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ الدامَغانيَّ يقولُ : أوصاني الشِّبليُّ وقالَ : (الزمِ الوَحدةَ ، وامحُ اسمَكَ عنِ القومِ ، واستقبلِ الجدارَ حتَّىٰ تموتَ)[٣] .

وجاءَ رجلٌ إلىٰ شعيبِ بنِ حربٍ ، فقالَ لهُ : ما جاءَ بكَ ؟ فقالَ : أكونُ مَعَك ، قالَ : يا أخي ؛ إنَّ العبادةَ لا تكونُ بالشِّرْكةِ ، ومَنْ لمْ يستأنسْ باللهِ . . لمْ يأنسْ بشيءٍ[٤] .

وقيلَ لبعضِهِمْ : ها هنا أحدٌ تستأنسُ بهِ ؟ فقالَ : نعمْ ، ومدَّ يدَهُ إلىٰ مصحفِهِ في حجرِهِ وقالَ : هـٰذا .

وفي معناه أنشدوا : [من الطويل]

وَكُتْبُكَ حَوْلِي مَا تُفَارِقُ مَضْجَعِي ... وَفِيهَا شِفَاءٌ لِلَّذِي أَنَا كَاتِمُ

وقالَ رجلٌ لذي النونِ المصريِّ : متىٰ تصحُّ ليَ العُزلةُ ؟ فقالَ : إذا قويتَ علىٰ عُزلةِ النفسِ .

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧٧/٢٠) ولـٰكن عن الجنيد عن خاله السري السقطي .

(٢) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٥) ، وبلفظه عند السراج في « اللمع » (ص ٢٧٧) .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٠) .

(٤) بنحوه عند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٣) عن ابن الصياد ، ووقع في (ي) بعد هـٰذا الخبر : (حُكي أن بعضهم قيل له : ما أعجب ما لقيت في سياحتك ؟ فقال له : لقيني الخضر ، فطلب مني الصحبة ، فخشيت أن يفسد علي توكلي) ، وسيأتي هـٰذا الخبر في باب التوكل (ص ٤١٣) .

وقيلَ لابنِ المباركِ : ما دواءُ القلبِ ؟ فقالَ : قلَّةُ الملاقاةِ[1] .

وقيلَ : إذا أرادَ اللهُ أنْ ينقلَ العبدَ مِنْ ذلِّ المعصيةِ إلىٰ عزِّ الطاعةِ . . آنَسَهُ بالوَحدةِ ، وأغناهُ بالقناعةِ ، وبصَّرَهُ عيوبَ نفسِهِ ؛ فمَنْ أُعطيَ ذٰلكَ . . فقدْ أُعطيَ خيرَ الدنيا والآخرةِ[2] .

* * *

(١) في (ي) زيادة : (للناس) .

(٢) بنحوه ضمن خبر طويل رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٢٠٨) .

بابُ التّقوى

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] .

أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : حدَّثنا أحمدُ بنُ عبيدِ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الفضلِ بنِ جابرٍ قالَ : حدَّثنا عبدُ الأعلى النَّرسِيُّ قالَ : حدَّثَنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عنْ ليثٍ ، عنْ مجاهدٍ ، عنْ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ أوصِني ، فقالَ : « **عليكَ بتقوى اللهِ ؛ فإنَّهُ جِماعُ كلِّ خيرٍ ، وعليكَ بالجهادِ ؛ فإنَّهُ رهبانيةُ المسلمِ ، وعليكَ بذكرِ اللهِ ؛ فإنَّهُ نورٌ لكَ** »[2] .

وأخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا عباسُ بنُ الفضلِ الأَسْفاطيُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ ابنُ يونسَ قالَ : حدَّثنا أبو هُرْمُزَ نافعُ بنُ هُرمُزَ قالَ : سمعتُ أنساً يقولُ : قيلَ : يا محمدُ ؛ **مَنْ آلُ محمدٍ ؟** قالَ : « **كلُّ تقيٍّ** »[3] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ : **التقوىٰ جِماعُ الخيراتِ**[4] .

وحقيقةُ الاتقاءِ : التحرُّزُ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ عنْ عقوبتِهِ ، يُقالُ : اتَّقىٰ فلانٌ بتُرْسِهِ .

وأصلُ التقوى : اتقاءُ الشركِ ، ثمَّ بعدَهُ اتقاءُ المعاصي والسيئاتِ ، ثمَّ بعدَهُ اتقاءُ الشبهاتِ ، ثمَّ يدعُ بعدَهُ الفضلاتِ ، كذٰلكَ سمعتُ

---

(١) سورة الحجرات : (١٣) .

(٢) ورواه البيهقي في « آدابه » (٨٣٥) عن شيخ المصنف أيضاً ، والطبراني في « المعجم الصغير » (٢/٦٦) .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » (٣٣٣٢) ، و« الصغير » (١/١١٥) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٢/٨٣) ، وتمام في « فوائده » (١٥٦٧) ، قال الحافظ السخاوي في « مقاصده » (٣) : (شواهده كثيرة) .

(٤) يقال : قِدْرٌ جِماعٌ ؛ أي : جامعةٌ لنحو جزور ، والخمرُ جِماع الإثم ؛ أي : تجمع أفراده .

الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ ، ولكلِّ قِسْمٍ مِنْ ذٰلك بابٌ .

وجاءَ في تفسيرِ قولِ اللهِ تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ (١) أنْ يُطاعَ فلا يُعصىٰ ، ويُذكرَ فلا يُنسىٰ ، ويُشكرَ فلا يُكفرَ (٢) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ ابنَ عصامٍ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : (لا معينَ إلَّا اللهُ ، ولا دليلَ إلَّا رسولُ اللهِ ، ولا زادَ إلَّا التقوىٰ ، ولا عملَ إلَّا الصبرُ عليهِ) (٣) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الكتَّانيَّ يقولُ : (قُسمَتِ الدنيا على البلوىٰ ، وقُسمَتِ الجنةُ على التقوىٰ) (٤) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : (مَنْ لمْ يُحكِمْ بينَهُ وبينَ اللهِ التقوىٰ والمراقبةَ . . لمْ يصلْ إلى الكشفِ والمشاهدةِ) (٥) .

وقالَ النصراباذيُّ : (التقوىٰ : أنْ يتقيَ العبدُ ما سواهُ تعالىٰ) .

وقالَ سهلٌ : (مَنْ أرادَ أنْ تصحَّ لهُ التقوىٰ . . فليتركِ الذنوبَ كلَّها) (٦) .

وقالَ النصراباذيُّ : (مَنْ لزمَ التقوىٰ . . اشتاقَ إلىٰ مفارقةِ الدنيا ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾) (٧) .

---

(١) سورة آل عمران : (١٠٢) .
(٢) رواه النسائي في « الكبرىٰ » (١١٨٤٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢١١) ، وابن عصام اسمه : العباس .
(٤) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٠٣) ، وفي (ي) : (الآخرة) بدل (الجنة) .
(٥) ورواه السُّلمي في « تفسيره » (١٤١/٢) ، وضبط في (ي) بقلم العلامة محمد المبارك : (يُحْكِم) بالوجهين من أحكم وحكَّم .
(٦) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١٣٩/١) .
(٧) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١٩٦/١) ، والآية من سورة الأنعام : (٣٢) .

وقالَ بعضُهُمْ : (مَنْ تحقَّقَ في التقوىٰ . . هوَّنَ اللهُ علىٰ قلبِهِ الإعراضَ عنِ الدنيا)(١) .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ : (التقوىٰ : مجانبةُ ما يبعدُكَ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ)(٢) .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (التقيُّ : مَنْ لا يدنِّسُ ظاهرَهُ بالمعارضاتِ ، ولا باطنَهُ بالعُلالاتِ ، ويكونُ واقفاً معَ اللهِ تعالىٰ موقفَ الاتفاقِ)(٣) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ يقولُ : (للتقوىٰ ظاهرٌ وباطنٌ ؛ فظاهرُهُ : محافظةُ الحدودِ ، وباطنُهُ : النيَّةُ والإخلاصُ)(٤) .

وقالَ ذو النونِ : [من الطويل]

وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَعْ رِجَالٍ قُلُوبُهُمْ ... تَحِنُّ إِلَى ٱلتَّقْوَىٰ وَتَرْتَاحُ بِٱلذِّكْرِ
سُكُونٌ إِلَىٰ رَوْحِ ٱلْحَيَاةِ وَطِيبِهِ ... كَمَا سَكَنَ ٱلطِّفْلُ ٱلرَّضِيعُ إِلَى ٱلْحِجْرِ(٥)

وقيلَ : يُستدلُّ علىٰ تقوى الرجلِ بثلاثٍ : بحسنِ التوكُّلِ فيما لمْ ينلْ ، وحسنِ الرضا فيما قدْ نالَ ، وحسنِ الصبرِ علىٰ ما قدْ فاتَ .

وقالَ طَلْقُ بنُ حبيبٍ : (التقوىٰ : عملٌ بطاعةِ اللهِ ، علىٰ نورٍ مِنَ اللهِ ؛ مخافةَ عقابِ اللهِ)(٦) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الفرَّاءِ يحكي عنْ أبي حفصٍ أنَّهُ قالَ : (التقوىٰ في الحلالِ المحضِ لا غيرُ)(٧) .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٣٣٣) .
(٢) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٦٥) عن محمد بن خفيف رحمه الله تعالىٰ .
(٣) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٤٣١) ، والعُلالات : جمع عُلالة ؛ ما تتعلَّلُ به لتسكن .
(٤) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٢٤) .
(٥) سقط البيت الثاني من غير (د ، ي) ، وفي (ل) أورده في الهامش وقال : (هـٰذه ليس من الأصل) ، وفي هامش (د) : (روح اليقين ووعده) .
(٦) رواه هنَّاد في « الزهد » (٥٢٢) .
(٧) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٢٣) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الزَّنْجانيَّ يقولُ : (مَنْ كانَ رأسُ مالِهِ التقوىٰ . . كلَّتِ الألسنُ عنْ وصفِ ربحِهِ)[١] .

وقالَ الواسطيُّ : (التقوىٰ : أنْ يتقيَ مِنْ تقواهُ)[٢] ؛ يعني : مِنْ رؤيةِ تقواهُ .

والمُتَّقي مثلُ ابنِ سيرينَ ؛ اشترىٰ أربعينَ حُبّاً سمناً[٣] ، فأخرج غلامُهُ فأرةً مِنْ حُبٍّ ، فسألَهُ : مِنْ أيِّ حُبٍّ أخرجتَها ؟ فقالَ : لا أدري ، فصبَّها كلَّها .

ومثلُ أبي يزيدَ ؛ اشترىٰ بهمَذانَ حَبَّ القِرْطِمِ[٤] ، ففضلَ منهُ شيءٌ ، فلمَّا رجعَ إلىٰ بِسطامَ . . رأىٰ فيهِ نملتينِ ، فرجعَ إلىٰ همَذانَ ووضعَ النملتينِ .

ويُحكىٰ أنَّ أبا حنيفةَ كانَ لا يجلسُ في ظلِّ شجرةِ غريمِهِ ، ويقولُ : في الخبرِ : « كلُّ قرضٍ جرَّ نفعاً . . فهوَ رباً »[٥] .

وقيلَ : إنَّ أبا يزيدَ غسلَ ثوبَهُ في الصحراءِ معَ صاحبٍ لهُ ، فقالَ صاحبُهُ : نعلِّقُ الثيابَ منْ جدرانِ الكرومِ ؟ فقالَ : لا نغرزُ الوَتِدَ في جدارِ الناسِ ، فقالَ : نعلِّقُهُ مِنَ الشجرِ ؟ فقالَ : لا ؛ إنَّهُ يكسرُ الأغصانَ ، فقالَ : نبسطُهُ على الإذْخِرِ ؟ فقالَ : لا ؛ إنَّهُ علفُ الدوابِّ لا نسترُهُ عنها .

فولَّىٰ ظهرَهُ إلى الشمسِ والقميصُ علىٰ ظهرِهِ حتَّىٰ جفَّ جانبٌ ، ثمَّ قلبَهُ حتَّىٰ جفَّ الجانبُ الآخرُ .

وقيلَ : إنَّ أبا يزيدَ دخلَ يوماً الجامعَ ، فغرزَ عصاهُ في الأرضِ ، فسقطَتْ ووقعَتْ علىٰ عصا شيخٍ بجنبِهِ ركزَ عصاهُ في الأرضِ ، فانحنى الشيخُ وأخذَ عصاهُ ، فمضىٰ أبو يزيدَ إلىٰ بيتِ الشيخِ واستحلَّهُ وقالَ : كانَ السببُ في انحنائِكَ تفريطي في غرزِ عصايَ[٦] .

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٠٠) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/٨٠) .

(٣) الحُبُّ : الخابية ، فارسي معرب . انظر « المصباح » (ح ب ب) .

(٤) القرطم بكسرتين ويجوز بضمتين : حبُّ العصفر .انظر « المصباح المنير » (ق ر ط م) .

(٥) الخبر رواه الحارث كما في « بغية الباحث » (٤٣٧) من حديث علي كرم الله وجهه ، وانظر « البدر المنير » (٦/٦٢١) .

(٦) كذا في (ي) ، وفي النسخ : (كان السبب عصاي ؛ حيث احتجتَ إلىٰ أن تنحني) .

ورُئِيَ عتبةُ الغلامُ يتصبَّبُ عرقاً في الشتاءِ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : إنَّهُ مكانٌ عصَيتُ فيهِ ربِّي ، فسُئِلَ عنهُ ، فقالَ : كشطتُ مِنْ هٰذا الجدارِ قطعةَ طينٍ غسلَ بها ضيفٌ لي يدَهُ ولمْ أستحلَّ صاحبَهُ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ : بِتُّ ليلةً تحتَ الصخرةِ ببيتِ المقدسِ ، فلمَّا كانَ بعضُ الليلِ . . نزلَ مَلَكانِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : مَنْ ها هنا ؟ فقالَ الآخرُ : إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، فقالَ : ذاكَ الذي حطَّ اللهُ درجةً مِنْ درجاتِهِ ، فقالَ : لِمَ ؟ قالَ : لأنَّهُ اشترىٰ بالبصرةِ التمرَ ، فوقعَتْ تمرةٌ مِنْ تمرِ البقَّالِ علىٰ تمرِهِ ، فأخذَها ولمْ يردَّها علىٰ صاحبِها .

قالَ إبراهيمُ : فمضَيتُ إلى البصرةِ ، واشتريتُ التمرَ مِنْ ذٰلكَ الرجلِ ، وأوقعتُ تمرةً علىٰ تمرِهِ ، ورجعتُ إلىٰ بيتِ المقدسِ ، وبِتُّ في الصخرةِ ، فلمَّا كانَ بعضُ الليلِ . . إذا أنا بملَكَينِ نزلا مِنَ السماءِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : مَنْ ها هنا ؟ فقالَ الآخرُ : إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، فقالَ : ذٰلكَ الذي ردَّ الشيءَ مكانَهُ ورُفعَتْ درجتُهُ .

وقيلَ : التقوىٰ علىٰ وجوهٍ ؛ للعامَّةِ تقوى الشركِ ، وللخواصِّ تقوى المعاصي ، وللأولياءِ تقوى التوسُّلِ بالأفعالِ ، وللأنبياءِ تقواهُمْ منهُ إليهِ (١) .

وعنْ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ قالَ : (سادةُ الناسِ في الدنيا الأسخياءُ ، وسادةُ الناسِ في الآخرةِ الأتقياءُ) (٢) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأهوازيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا بشرُ بنُ موسىٰ قالَ : حدَّثَنا محمدٌ قالَ : حدَّثَنا ابنُ المباركِ ، عنْ يحيى بنِ أيوبَ ، عنْ عبيدِ اللهِ بنِ زَحْرٍ ، عنْ عليِّ بنِ يزيدَ ، عنِ القاسمِ ، عنْ أبي أمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « مَنْ نظرَ إلىٰ

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٥٨) عن بعضهم ، وفي (ي) : (وللأنبياء تقوىٰ نسبة الأفعال ؛ إذ تقواهم منه إليه) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (١٠٣٩٥) عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم .

محاسنِ امرأةٍ فغضَّ بصرَهُ في أولِ مرَّةٍ . . أحدثَ اللهُ لهُ عبادةً يجدُ حلاوتَها في قلبِهِ »[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ محمدَ بنَ الحسنِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الفَرْغانيَّ يقولُ : كانَ الجنيدُ جالساً مَعَ رُويمٍ والجُرَيريِّ وابنِ عطاءٍ ، فقالَ الجنيدُ : ما نجا مَنْ نجا إلَّا بصدقِ اللَّجا ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾[2] .

وقالَ رُويمٌ : ما نجا مَنْ نجا إلَّا بصدقِ التقىٰ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾[3] .

وقالَ الجُرَيريُّ : ما نجا مَنْ نجا إلَّا بمراعاةِ الوفا ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾[4] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : ما نجا مَنْ نجا إلَّا بتحقيقِ الحياءِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[5] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : ما نجا مَنْ نجا إلَّا بالحكمِ والقضاءِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[6] .

وقالَ أيضاً : ما نجا مَنْ نجا إلَّا بما سبقَ لهُ مِنَ الاجتباءِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[7] .

* * *

---

(١) ورواه أحمد في « المسند » (٥/٢٦٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/٢٠٨) ، ومحمد في سنده : هو ابن سعيد الأصبهاني .

(٢) سورة التوبة : (١١٨) .

(٣) سورة الزمر : (٦١) .

(٤) سورة الرعد : (٢٠) .

(٥) سورة العلق : (١٤) .

(٦) سورة الأنبياء : (١٠١) .

(٧) القول الأخير سقط من (ب ، ج ، هـ ، ح ، ل) ، والقولان بالنظر إلى إسقاط الأسباب ، ويجوز حذف الهمزة في (الحياء ، والقضاء ، والاجتباء) ؛ مراعاة للسجعة ، والآية من سورة الأنعام : (٨٧) .

بابُ الورع

أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ يحيى المُزَكِّي قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ داوودَ بنِ سليمانَ الزاهدُ قالَ : أخبرَنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ قتيبةَ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ الخراسانيُّ قالَ : حدَّثَنا يحيىٰ بنُ العَيْزارِ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ يوسفَ الفِرْيابيُّ ، عن سفيانَ ، عنِ الأجلحِ ، عنْ عبدِ اللهِ بنِ بُريدةَ ، عنْ أبي الأسودِ الدِّيليِّ ، عنْ أبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيهِ »[١] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : أمَّا الورعُ . . فإنَّهُ تركُ الشبهاتِ ، كذٰلكَ قالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ : (الورعُ : تركُ كلِّ شبهةٍ) ، وتركُ ما لا يعنيكَ[٢] : هوَ تركُ الفضلاتِ .

وقالَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ : (كنَّا نَدَعُ سبعينَ باباً مِنَ الحلالِ مخافةَ أنْ نقعَ في بابٍ مِنَ الحرامِ)[٣] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « كُنْ وَرِعاً . . تكنْ أعبدَ الناسِ »[٤] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ

---

(١) ورواه الشيرازي في « الألقاب » عن أبي ذر أيضاً كما في « فيض القدير » (٦/١٣) ، والترمذي (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والترمذي (٢٣١٨) عن علي بن الحسين رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) أي : المذكور في الحديث السابق . « إحكام الدلالة » (٢/١٥٦) ، وقد يكون القول من تمام قول إبراهيم بن أدهم ، والله أعلم .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٢/٢٩٦) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ١٨٠) .

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢١٧) ، من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (كانَ أهلُ الورعِ في أوقاتِهِمْ أربعةً : حذيفةُ المَرْعشيُّ ، ويوسفُ[١] بنُ أسباطٍ ، وإبراهيمُ بنُ أدهمَ ، وسليمانُ الخوَّاصُ ، فنظروا في الورعِ ، فلمَّا ضاقَتْ عليهِمُ الأمورُ . . فزِعوا إلى التقلُّلِ)[٢] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الدمشقيَّ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : (الورعُ : أنْ تتورَّعَ عنْ كلِّ ما سوى اللهِ)[٣] .

وسمعتُهُ يقولُ : أخبرَنا أبو جعفرٍ الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا العباسُ بنُ حمزةَ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ خلفٍ قالَ : (الورعُ في المنطقِ أشدُّ منهُ في الذهبِ والفضةِ ، والزهدُ في الرئاسةِ أشدُّ منهُ في الذهبِ والفضةِ ؛ لأنَّكَ تبذلُهُما في طلبِ الرئاسةِ)[٤] .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (الورعُ أوَّلُ الزهدِ ؛ كما أنَّ القناعةَ طرفٌ مِنَ الرضا)[٥] .

وقالَ أبو عثمانَ : (ثوابُ الورعِ : خفَّةُ الحسابِ) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الورعُ : الوقوفُ على حدِّ العلمِ مِنْ غيرِ تأويلٍ)[٦] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ داوودَ الدِّينوريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ الجَلَّا يقولُ : (أعرفُ مَنْ أقامَ بمكَّةَ ثلاثينَ سنةً لمْ يشربْ مِنْ ماءِ زمزمَ

---

(١) هنا انتهى السقط من النسخة (أ) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١١٦) .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥٧) .

(٤) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٦١) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٤٤) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٣٣) .

(٦) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٨) .

إلَّا ما استقاهُ بركْوتِهِ ورشائِهِ ، ولمْ يتناولْ مِنْ طعامٍ جُلِبَ مِنْ مصرٍ)[1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ موسى التاهَرْتيَّ يقولُ : وقعَ مِنْ عبدِ اللهِ بنِ مروانَ فَلْسٌ في بئرٍ قذرةٍ ، فاكترىٰ عليهِ بثلاثةَ عشرَ ديناراً حتَّىٰ أخرجَهُ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : كانَ عليهِ اسمُ اللهِ تعالىٰ[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عَلَّويهِ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ معاذٍ الرازيَّ يقولُ : (الورعُ علىٰ وجهينِ : ورعٌ في الظاهرِ ؛ وهوَ ألَّا تتحرَّكَ إلَّا للهِ ، وورعٌ في الباطنِ ؛ وهوَ ألَّا يدخلَ قلبَكَ سواهُ تعالىٰ)[3] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مَنْ لمْ ينظرْ في دقيقِ مِنَ الورعِ . . لمْ يصلْ إلى الجليلِ مِنَ العطاءِ) .

وقيلَ : (مَنْ دقَّ في الدينِ نظرُهُ . . جلَّ في القيامةِ خطرُهُ)[4] .

وقالَ ابنُ الجَلَّا : (مَنْ لمْ يصحبْهُ التقىٰ في فقرِهِ . . أكلَ الحرامَ النصَّ)[5] .

وقالَ يونسُ بنُ عبيدٍ : (الورعُ : الخروجُ مِنْ كلِّ شبهةٍ ، ومحاسبةُ النفسِ في كلِّ طرفةٍ) .

وقالَ سفيانُ الثوريُّ : (ما رأيتُ أسهلَ مِنَ الورعِ ؛ ما حاكَ في نفسِكَ . . تركتَهُ)[6] .

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٥٠) ، وقوله : (ولم يتناول . . .) يعني : يأكل من كسب يده .

(٢) رواه السُّلمي في « الفتوة » (ص ٢٠) ، ومن طريقه أيضاً البيهقي في « الشعب » (١٤٩٠) ، وفيه شكُّ التاهرتي ؛ حيث قال : (وقع من عبد الله أو قال : عبد الملك بن مروان) .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥٦) ، و(سوىٰ) : فاعل علىٰ أنها ظرف متمكن ، وهـٰذا موضع استُعملت فيه غير ظرف .

(٤) الخطر : القَدْر والمنزلة .

(٥) بنحوه رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٩/٦٩) عن الزقاق رحمه الله تعالىٰ ، ونصُّ كل شيء : أقصاه ومنتهاه ، وقد تقدم (ص ١٦٧) ، وفي هامش (ل) نسخة : (المحض) بدل (النص) .

(٦) هو عند صاحب « القوت » (٢٩١/٢) عن حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالىٰ .

وقالَ معروفٌ الكرخيُّ : (احفظْ لسانَكَ مِنَ المدحِ كما تحفظُهُ مِنَ الذمِّ) .

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ : (أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ : الجودُ في القلَّةِ ، والورعُ في الخلوةِ ، وكلمةُ الحقِّ عندَ مَنْ يُخافُ ويُرجىٰ)(١) .

وقيلَ : جاءَتْ أختُ بشرِ بنِ الحارثِ الحافي إلىٰ أحمدَ ابنِ حنبلٍ وقالَتْ : إنَّا نغزلُ علىٰ سطوحِنا ، فتمرُّ بنا مشاعلُ الطاهريةِ ، ويقعُ الشعاعُ علينا ، فيجوزُ لنا الغزلُ في شعاعِها ؟

فقالَ أحمدُ : مَن أنتِ عافاكِ اللهُ ؟! قالَتْ : أختُ بشرٍ الحافي .

فبكىٰ أحمدُ وقالَ : مِنْ بيتِكُمْ يخرجُ الورعُ الصادقُ ، لا تغزلي في شعاعِها(٢) .

وقالَ عليٌّ العطَّارُ : مررتُ بالبصرةِ في بعضِ الشوارعِ ، فإذا مشايخُ قعودٌ وصبيانٌ يلعبونَ ، فقلتُ : أما تستحيونَ مِنْ هـٰؤلاءِ المشايخِ ؟! فقالَ صبيٌّ مِنْ بينِهِمْ : هـٰؤلاءِ المشايخُ قلَّ ورعُهُمْ فقلَّتْ هيبتُهُمْ(٣) .

وقيلَ : إنَّ مالكَ بنَ دينارٍ مكثَ بالبصرةِ أربعينَ سنةً ، فلمْ يصحَّ لهُ أنْ يأكلَ مِنْ تمرِ البصرةِ ولا مِنْ رُطَبِها ، حتَّىٰ ماتَ ولمْ يذقْهُ ، وكانَ إذا انقضىٰ وقتُ الرُّطَبِ . . قالَ : يا أهلَ البصرةِ ؛ هـٰذا بطني ما نقصَ منهُ شيءٌ ، ولا زادَ فيكُمْ شيءٌ(٤) .

وقيلَ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : ألا تشربُ مِنْ ماءِ زمزمَ ؟ فقالَ : لوْ كانَ لي دلوٌ . . لشربتُ(٥) .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٧١) .

(٢) كذا عند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٧٢) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٥٣) ، وأخوات بشر ثلاث : مُخَّة وهي صاحبة الخبر ، ومضغة ، وزبدة ، وكلهنَّ عابدات زاهدات ورعات ، والطاهرية : أصحاب الأمير طاهر بن الحسين .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٧٣) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٧٧) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (١٥٤) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٢)

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : كانَ الحارثُ المحاسبيُّ إذا مدَّ يدَهُ إلىٰ طعامٍ فيهِ شبهةٌ . . ضربَ علىٰ رأسِ إصبعِهِ عرقٌ ، فيعلمُ أنَّهُ غيرُ حلالٍ [١] .

وقيلَ : إنَّ بشراً الحافيَ دُعِيَ إلىٰ دعوةٍ ، فوُضعَ بينَ يديهِ طعامٌ ، فجهدَ أنْ يمدَّ يَدَهُ إليهِ فلمْ تمتدَّ ، ففعلَ ذٰلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ ، فقالَ رجلٌ يعرفُ ذٰلكَ منهُ : إنَّ يدَهُ لا تمتدُّ إلىٰ طعامٍ فيهِ شبهةٌ ، ما كانَ أغنىٰ صاحبَ هٰذهِ الدعوةِ أنْ يدعوَ هٰذا الشيخَ ! [٢] .

أخبرَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ يحيى الصوفيُّ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليِّ ابنِ يحيى التميميَّ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدِ ابنِ سالمٍ بالبصرةِ يقولُ : سُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ عنِ الحلالِ ، فقالَ : الحلالُ الذي لا يُعصى اللهُ فيهِ [٣] .

وقالَ سهلٌ : (الحلالُ الصافي الذي لا يُنسى اللهُ فيهِ) [٤] .

ودخلَ الحسنُ البصريُّ مكةَ ، فرأىٰ غلاماً مِنْ أولادِ عليِّ بن أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ قدْ أسندَ ظهرَهُ إلى الكعبةِ يعظُ الناسَ ، فوقفَ عليهِ الحسنُ وقالَ : ما ملاكُ الدينِ ؟ فقالَ : الورعُ ، فقالَ : فما آفتُهُ ؟ فقالَ : الطمعُ ، فتعجَّبَ الحسنُ منهُ [٥] .

وقالَ الحسنُ : (مثقالُ ذرَّةٍ مِنَ الورعِ خيرٌ مِنْ ألفِ مثقالٍ مِنَ الصومِ والصلاةِ) [٦] .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٧٠) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٧٠) .

(٣) أورده في « اللمع » (ص ٧١) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٧١) .

(٥) ملاك الشيء : أصله وقوامه الذي يعتمد عليه ، وأورده مختصراً الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٣) .

(٦) في « إحكام الدلالة » (٢/١٦٠) : (من الورع السالم) بدل (من الورع) .

وأوحى اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : لا يتقرَّبُ إليَّ المتقرِّبونَ بمثلِ الورعِ[1] .

وقالَ أبو هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (جُلَساءُ اللهِ غداً أهلُ الورعِ والزهدِ)[2] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (مَنْ لمْ يصحبْهُ الورعُ . . أكلَ رأسَ الفيلِ ولمْ يشبعْ) .

وقيلَ : حُمِلَ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مسكٌ مِنَ الغنائمِ ، فقبضَ علىٰ مشامِّهِ وقالَ : إنَّما يُنتفعُ مِنْ هٰذا بريحِهِ ، وأنا أكرهُ أنْ أجدَ ريحَهُ دونَ المسلمينَ[3] .

وسُئِلَ أبو عثمانَ الحِيريُّ عنِ الورعِ ، فقالَ : كانَ أبو صالحٍ حَمْدونٌ عندَ صديقٍ لهُ وهوَ في النزعِ ، فماتَ الرجلُ ، فنفثَ أبو صالحٍ في السراجِ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : إلى الآنَ كانَ الدُّهنُ لهُ في المسرجةِ ، ومِنَ الآنَ صارَ للورثةِ ، اُطلبوا دُهناً غيرَهُ[4] .

وقالَ كَهْمَسٌ : أذنبتُ ذنباً أبكي عليهِ مِنْ أربعينَ سنةً ؛ وذٰلكَ أنَّهُ زارَني أخٌ لي ، فاشتريتُ بدانقٍ سمكةً مشويةً ، فلمَّا فرغَ . . أخذتُ قطعةَ طينٍ مِنْ جدارِ جارٍ لي حتَّىٰ غسلَ يدَهُ ولمْ أستحلَّهُ[5] .

وكانَ رجلٌ يكتبُ رقعةً وهوَ في بيتٍ بكراءٍ ، فأرادَ أنْ يُترِّبَ الكتابَ مِنْ جدارِ البيتِ[6] ، فخطرَ ببالِهِ أنَّ البيتَ بكراءٍ ، ثمَّ إنَّهُ خطرَ ببالِهِ : لا خطرَ لهٰذا ، فترَّبَ الكتابَ ، فسمعَ هاتفاً يقولُ : سيعلمُ المُستخِفُّ بالترابِ ما يلقاهُ غداً مِنْ طولِ الحسابِ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (ص ١٧) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠٤٧) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (ص ١٥) من حديث سيدنا سلمان رضي الله عنه مرفوعاً .
(٣) رواه ابن سعد في « طبقاته » (٣٦٨/٥) ، وابن أبي الدنيا في « الورع » (٨٧) .
(٤) تقدم (ص ١٥٣) .
(٥) تقدم بنحوه (ص ٣٢٣) ولٰكن عن عتبة الغلام رحمه الله تعالىٰ .
(٦) يعني : يجعل عليه التراب ليجفَّ الحبر وتثبت الكتابة .

ورهنَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ سَطْلاً لهُ عندَ بقَّالٍ بمكةَ ، فلما أرادَ فَكاكَهُ . . أخرجَ البقَّالُ إليهِ سَطلينِ وقالَ : خُذْ أيَّهُما لكَ ، فقالَ أحمدُ : أشكلَ عليَّ سَطلي ، فهوَ لكَ ، والدراهمُ لكَ ، فقالَ البقَّالُ : سَطلُكَ هٰذا ، وأنا أردتُ أنْ أُجرِّبَكَ ، فقالَ : لا آخذُ ، ومضىٰ وتركَ السَّطلَ عندَهُ[1] .

وقيلَ : سيَّبَ ابنُ المباركِ دابَّةً قيمتُها كثيرةٌ ، وصلَّىٰ صلاةَ الظهرِ ، فرتعتِ الدابَّةُ في قريةٍ سلطانيَّةٍ ، فتركَ ابنُ المباركِ الدابَّةَ ولمْ يركبْها .

وقيلَ : رجعَ ابنُ المباركِ مِنْ مروَ إلى الشامِ في قلمٍ استعارَهُ فلمْ يردُّهُ علىٰ صاحبِهِ .

واستأجرَ النَّخَعيُّ دابةً ، فسقطَ سَوطُهُ مِنْ يدِهِ ، فنزلَ وربطَ الدابَّةَ ، ورجعَ فأخذَ السَّوطَ ، فقيلَ لهُ : لوْ حوَّلتَ الدابَّةَ إلى الموضعِ الذي سقطَ فيهِ السَّوطُ فأخذتَهُ ، فقالَ : إنَّما استأجرتُها لأمضيَ هٰكذا ، لا هٰكذا .

وقالَ أبو بكرٍ الزقَّاقُ : تِهتُ في تيهِ بني إسرائيلَ خمسةَ عشرَ يوماً ، فلمَّا وافَيتُ الطريقَ . . استقبلَني جنديٌّ ، فسقاني شَرْبةً مِنْ ماءٍ ، فعادَتْ قسوتُها علىٰ قلبي ثلاثينَ سنةً[2] .

وقيلَ : خاطَتْ رابعةُ العدويَّةُ شقّاً في قميصِها في ضوءِ مَشعلةِ سلطانٍ ، ففقدَتْ قلبَها زماناً ، حتَّىٰ تذكَّرَتْ ، فشقَّتْ قميصَها ، فوجدَتْ قلبَها .

ورُئِيَ سفيانُ الثوريُّ في المنامِ ولهُ جناحانِ ، يطيرُ في الجنةِ مِنْ شجرةٍ إلىٰ شجرةٍ ، فقيلَ لهُ : بمَ نلتَ هٰذا ؟ فقالَ : بالورعِ ، بالورعِ[3] .

ووقفَ حسَّانُ بنُ أبي سنانٍ علىٰ أصحابِ الحسنِ ، فقالَ : أيُّ شيءٍ أشدُّ عليكُمْ ؟ قالوا : الورعُ ، فقالَ : ولا شيءَ أخفُّ عليَّ منهُ ،

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٩/٩) ، وفي (أ) وحدها من الأصول : (أختبرك) بدل (أجرِّبك) .
(٢) سقط الخبر من بعض النسخ ، وقد تقدم (ص ١٦٧) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٢٧٥) .

فقالوا : فكيفَ ؟! فقالَ : لمْ أَرْوَ مِنْ نهرِكُمْ منذُ أربعينَ سنةً[١] .

وكانَ حسَّانُ بنُ أبي سنانٍ لا ينامُ مضطجعاً ، ولا يأكلُ سميناً ، ولا يشربُ بارداً ستينَ سنةً ، فرُئِيَ في المنامِ بعدَما ماتَ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : خيراً ، إلَّا أنِّي محبوسٌ عنِ الجنةِ بإبرةٍ استعرتُها فلمْ أردَّها .

وكانَ لعبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ غلامٌ يخدمُهُ سنينَ ، وتعبَّدَ أربعينَ سنةً ، وكانَ في ابتداءِ أمرِهِ كيَّالاً ، فلمَّا ماتَ . . رُئِيَ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : خيراً ، غيرَ أنِّي محبوسٌ عنِ الجنةِ وقدْ أخرجَ عليَّ مِنْ غبارِ القفيزِ أربعينَ قفيزاً .

ومرَّ عيسى ابنُ مريمَ عليهِ السلامُ بمقبرةٍ ، فنادىٰ رجلاً منهُمْ ، فأحياهُ اللهُ تعالىٰ ، فقالَ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : كنتُ حمَّالاً أنقلُ للناسِ ، فنقلتُ يوماً لإنسانٍ حطباً ، فكسرتُ منهُ خِلالاً تخلَّلتُ بهِ ، فأنا مطالَبٌ بهِ منذُ متُّ[٢] .

وتكلَّمَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ في الورعِ ، فمرَّ بهِ عباسُ بنُ المهتدي ، فقالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ أما تستحيي ؟! تجلسُ تحت سقفِ أبي الدوانيقِ ، وتشربُ مِنْ بِرْكةِ زبيدةَ ، وتتعاملُ بالمُزيَّفةِ ، وتتكلَّمُ في الورعِ ؟![٣] .

* * *

---

(١) بنحوه رواه ابن أبي الدنيا في « الورع » (ص ٤٧) ، وبلفظه هنا أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٠) .

(٢) الخِلال : عود يرفع به ما بقي على الأسنان .

(٣) أبو الدوانيق : هي كنية أبي جعفر المنصور عند أهل عصره ، ولُقِّب بالدوانيقي أيضاً لبخله ، ووقع في (أ ، ب) من الأصول : (أبي جعفر الدوانيق) ، وزبيدة : ابنته ، وكانت قد احتفرت بركة على طريق مكة ، والمزيفة : المغشوشة .

بابُ الزّهد

أخبرَنا أبو القاسمِ حمزةُ بنُ يوسفَ السهميُّ الجُرْجانيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو الحسينِ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ يعقوبَ المقرئُ ببغدادَ قالَ : حدَّثَنا جعفرُ ابنُ مجاشعٍ قالَ : حدَّثَنا زيدُ بنُ إسماعيلَ قالَ : حدَّثَنا كثيرُ بنُ هشامٍ قالَ : حدَّثَنا الحكمُ بنُ هشامٍ ، عنْ يحيى بنِ سعيدٍ ، عنْ أبي فَرْوةَ ، عنْ أبي خلَّادٍ وكانَتْ لهُ صحبةٌ قالَ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إذا رأيتُمُ الرجلَ قدْ أُوتِيَ زهداً في الدنيا ، ومَنْطقاً . . فاقتربوا منهُ ؛ فإنَّهُ يُلقي الحكمةَ »(١) .

قالَ الأستاذُ : اختلفَ الناسُ في الزهدِ :

فمنهُمْ مَنْ قالَ : الزهدُ في الحرامِ ؛ لأنَّ الحلالَ مباحٌ مِنْ قبلِ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، فإذا أنعمَ اللهُ تعالىٰ علىٰ عبدٍ بمالٍ مِنْ حلالٍ ، وتعبَّدَهُ بالشكرِ عليهِ . . فتركُهُ باختيارِهِ لا يقدَّمُ علىٰ إمساكِهِ(٢) ؛ بحقِّ إذنِهِ ، فذٰلكَ منهُ تطوُّعٌ(٣) .

ومنهُمْ مَنْ قالَ : الزهدُ في الحرامِ واجبٌ ، وفي الحلالِ فضيلةٌ ؛ فإنَّ إقلالَ المالِ والعبدُ صابرٌ في حالِهِ ، راضٍ بما قسمَ اللهُ لهُ ، قانعٌ بما يعطيهِ . . أتمُّ مِنْ توسُّعِهِ وتبسُّطِهِ في الدنيا ، وإنَّ اللهَ سبحانَهُ زهَّدَ الخلقَ في الدنيا بقولِهِ : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾(٤) ، وغيرِ ذٰلكَ مِنَ الآياتِ الواردةِ في ذمِّ الدنيا والتزهيدِ فيها .

---

(١) ورواه ابن ماجه (٤١٠١) بلفظ : (وقلَّة منطق) وهي نسخة في هامش (ي) بدل (ومنطقاً) أي : لساناً في الوعظ ، ويجوز في الحديث : (يُلَقَّىٰ) أيضاً .

(٢) أي : فالأمران سواء ، لا أولوية لأحدهما على الآخر ، فتركه مثل إمساكه في الفضيلة . « نتائج الأفكار » (١٦٥/٢) .

(٣) قوله : (فذٰلك منه تطوعٌ) زيادة من (ب) ، أي : هو تطوعٌ وليس بزهد .

(٤) سورة النساء : (٧٧) .

ومنهُمْ مَنْ قالَ : إذا أنفقَ مالَهُ في الطاعةِ وعلمَ مِنْ حالِهِ الصبرَ وتَرْكَ التعرُّضِ لما نهاهُ الشرعُ في حالِ العسرِ . . فحينئذٍ يكونُ زهدُهُ في المالِ الحلالِ أتمَّ[1] .

ومنهُمْ مَنْ قالَ : ينبغي للعبدِ ألَّا يختارَ تركَ الحلالِ بتكلُّفِهِ ، ولا طلبَ الفضولِ ممَّا لا يحتاجُ إليهِ ، ويراعيَ القسمةَ ؛ فإنْ رزقَهُ اللهُ مالاً مِنْ حلالٍ . . شكرَهُ ، وإنْ وقفَهُ اللهُ تعالىٰ علىٰ حدِّ الكفافِ . . لمْ يتكلَّفْ في طلبِ ما هوَ فضولُ المالِ ، فالصبرُ أحسنُ بصاحبِ الفقرِ ، والشكرُ أليقُ بصاحبِ المالِ [الحلالِ][2] .

وتكلَّموا في معنى الزهدِ ؛ فكلٌّ نطقَ عنْ وقتِهِ ، وأشارَ إلىٰ حدِّهِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ إسماعيلَ الأَزْديُّ قالَ : حدَّثَنا عمرانُ بنُ موسى الإسفَنجيُّ قالَ : حدَّثَنا الدَّوْرَقيُّ قالَ : حدَّثَنا وكيعٌ قالَ : قالَ سفيانُ الثوريُّ : (الزهدُ في الدنيا : قصرُ الأملِ ، ليسَ بأكلِ الغليظِ ، ولا لبسِ العباءِ)[3] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ عبَّاسَ بنَ عصامٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (إنَّ اللهَ سلبَ الدنيا عنْ أوليائِهِ ، وحماها عنْ أصفيائِهِ ، وأخرجَها مِنْ قلوبِ أهلِ ودادِهِ ؛ لأنَّهُ لمْ يرضَها لهُمْ)[4] .

وقيلَ : الزهدُ مِنْ قولِهِ سبحانَهُ : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[5] ، فالزاهدُ لا يفرحُ بموجودٍ مِنَ الدنيا ، ولا يتأسَّفُ علىٰ مفقودٍ منها[6] .

---

(١) كذا في (ب ، د ، ي) ، وفي غيرها : (في المال عن الحلال أتم) .

(٢) كلمة (الحلال) زيادة من (ي) وحدها .

(٣) ورواه وكيع في « الزهد » (٦) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٠٩) .

(٤) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٦١) .

(٥) سورة الحديد : (٢٣) .

(٦) بنحوه في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٧) .

وقالَ أبو عثمانَ : (الزهدُ : أنْ تتركَ الدنيا ثمَّ لا تباليَ مَنْ أخذَها)[1] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (الزهدُ : أنْ تتركَ الدنيا كما هيَ ، لا تقولُ : أَبْنِي رباطاً ، ولا أَعْمُرُ مسجداً) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الزهدُ : يورثُ السخاءَ بالملكِ ، والحبُّ يورثُ السخاءَ بالروحِ)[2] .

وقالَ ابنُ الجَلَّا : (الزهدُ : هوَ النظرُ إلى الدنيا بعينِ الزوالِ ؛ لتصغرَ في عينِكَ ، فيسهلَ عليكَ الإعراضُ عنها)[3] .

وقالَ ابنُ خَفيفٍ : (علامةُ الزهدِ : وجودُ الراحةِ في الخروجِ مِنَ المالِ)[4] .

وقالَ أيضاً : (الزهدُ : سلوُّ القلبِ عنِ الأسبابِ ، ونفضُ الأيدي مِنَ الأملاكِ)[5] .

وقيلَ : الزهدُ : عزوفُ النفسِ عنِ الدنيا بلا تكلُّفٍ[6] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (الزاهدُ غريبٌ في الدنيا ، والعارفُ غريبٌ في الآخرةِ) .

وقيلَ : مَنْ صدقَ في زهدِهِ . . أتتْهُ الدنيا راغمةً .

ولهـٰذا قيلَ : لوْ سقطَتْ قَلَنْسُوةٌ مِنَ السماءِ . . لما وقعَتْ إلَّا علىٰ رأسِ مَنْ لا يريدُها[7] .

وقالَ الجنيدُ : (الزهدُ : خلوُّ القلبِ عمَّا خلَتْ منهُ اليدُ)[8] .

---

(١) بنحوه في « تهذيب الأسرار » (ص ١٩٢) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٦) .

(٣) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٩/٦) .

(٤) بنحوه في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٩) ، وفي غير (أ ، ب) : (الملك) بدل (المال) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٦/١٠) .

(٦) وهو نحو ما رُوِي عن سيدنا حارثة : (عزفت نفسي عن الدنيا . . .) أو سيدنا الحارث بن مالك رضي الله عنهما . انظر « شعب الإيمان » (١٠١٠٦ ، ١٠١٠٧) ، وهـٰذا الحدُّ اختاره المحاسبي في « الرعاية » (ص ٢٣٨) .

(٧) هو لبشر الحافي رحمه الله تعالىٰ كما رواه عنه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٤/٨) .

(٨) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢٦٤/٢) .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (الصُّوفُ عَلَمٌ مِنْ أعلامِ الزهدِ ، فلا ينبغي أنْ يلبسَ صوفاً بثلاثةِ دراهمَ وفي قلبِهِ رغبةُ خمسةِ دراهمَ) .

وقدِ اختلفَ السلفُ في الزهدِ :

فقالَ سفيانُ الثوريُّ وأحمدُ ابنُ حنبلٍ وعيسى بنُ يونسَ وغيرُهُمْ : الزهدُ في الدنيا : إنَّما هوَ قصرُ الأملِ [١] .

وهٰذا الذي قالوهُ يُحملُ علىٰ أنَّهُ مِنْ أَماراتِ الزهدِ ، والأسبابِ الباعثةِ عليهِ ، والمعاني المُوجبةِ لهُ .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (الزهدُ : هوَ الثقةُ باللهِ معَ حبِّ الفقرِ) ، وبهِ قالَ شقيقٌ ويوسفُ بنُ أسباطٍ [٢] ، وهٰذا أيضاً مِنْ أَماراتِ الزهدِ ؛ لأنَّهُ لا يقوى العبدُ على الزهدِ إلَّا بالثقةِ باللهِ عزَّ وجلَّ مع حبِّ الفقرِ .

وقالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ : (الزهدُ : تركُ الدينارِ والدرهمِ) [٣] .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (الزهدُ : تركُ ما يشغلُ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ) [٤] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ فاتكٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ وقدْ سألَهُ رُويمٌ عنِ الزهدِ ، فقالَ : استصغارُ الدنيا ، ومحوُ آثارِها مِنَ القلبِ [٥] .

وقالَ سريٌّ السقطيُّ : (لا يطيبُ عيشُ الزاهدِ إذا اشتغلَ عنْ نفسِهِ ، ولا يطيبُ عيشُ العارفِ إذا اشتغلَ بنفسِهِ) .

---

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٣) عن محمد بن يعقوب ابن الفرجي ، وانظر أيضاً في هٰذه المسألة « قوت القلوب » (١/٢٤٥) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٣) عن ابن الفَرَجي أيضاً .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٣) عن ابن الفَرَجي أيضاً .

(٤) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٣) عن ابن الفَرَجي أيضاً .

(٥) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٢٠) .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ الزهدِ ، فقالَ : خلوُّ اليدِ مِنَ الملكِ ، والقلبِ مِنَ التتبُّعِ [1] .

وسُئِلَ الشِّبليُّ عنِ الزهدِ ، فقالَ : أنْ تزهدَ فيما سوى اللهِ عزَّ وجلَّ .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (لا يبلغُ أحدٌ حقيقةَ الزهدِ حتَّىٰ يكونَ فيهِ ثلاثُ خصالٍ : عملٌ بلا علاقةٍ ، وقولٌ بلا طمعٍ ، وعزٌّ بلا رئاسةٍ) .

وقالَ أبو حفصٍ : (الزهدُ لا يكونُ إلَّا في الحلالِ ، ولا حلالَ في الدنيا ، فلا زهدَ) [2] .

وقالَ أبو عثمانَ : (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يعطي الزاهدَ فوقَ ما يريدُ ، ويعطي الراغبَ دونَ ما يريدُ ، ويعطي المستقيمَ موافقةَ ما يريدُ) [3] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الزاهدُ يُسْعِطُكَ الخلَّ والخردلَ ، والعارفُ يُشِمُّكَ المسكَ والعنبرَ) .

وقالَ الحسنُ البصريُّ [4] : (الزهدُ في الدنيا : أنْ تبغضَ أهلَها ، وتبغضَ ما فيها) .

وقيلَ لبعضِهِمْ : ما الزهدُ في الدنيا ؟ فقالَ : تركُ ما فيها علىٰ مَنْ فيها [5] .

وقالَ رجلٌ لذي النونِ المصريِّ : متىٰ أزهدُ في الدنيا ؟ فقالَ : إذا زهدتَ في نفسِكَ [6] .

وقالَ محمدُ بنُ الفضلِ : (إيثارُ الزهَّادِ عندَ الاستغناءِ ، وإيثارُ الفتيانِ عندَ الحاجةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [7]) .

---

(١) بنحوه عند السراج في « اللمع » (ص ٧٢) .

(٢) يعني : لا حلال خالص في الدنيا إلا نادراً ، لا سيما مع كثرة التخليط في التصرفات في هٰذه الأوقات ، فلا زهد إلا نادراً . « إحكام الدلالة » (١٧٣/٢) .

(٣) القول لأبي عثمان الحيري ، أورده الشعراني في « طبقاته » (٨٧/١) بنحوه .

(٤) كذا في (ب ، ي) ، وفي سائر النسخ : (وقال أبو الحسن البصري) ، وهي كنية لجماعة من أعلام العبَّاد والزهَّاد ؛ منهم : كهمس بن الحسن ، وروح بن عبد المؤمن ، ومسدَّدُ بن مسرهد ، والعطار ، وغيرهم الكثير .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٦) عن أبي عبد الله الحصري رحمه الله تعالىٰ .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٥) .

(٧) سورة الحشر : (٩) .

وقالَ الكَتانيُّ : (الشيءُ الذي لمْ يخالفْ فيهِ كوفيٌّ ولا مدنيٌّ ولا عراقيٌّ ولا شاميٌّ . . الزهدُ في الدنيا ، وسخاوةُ النفسِ ، والنصيحةُ للخلقِ)[1] ؛ يعني : أنَّ هـٰذهِ الأشياءَ لا يقولُ أحدٌ : إنَّها غيرُ محمودةٍ .

وقالَ رجلٌ ليحيى بنِ معاذٍ : متىٰ أدخلُ حانوتَ التوكُّلِ ، وألبَسُ رداءَ الزهدِ ، وأقعدُ مع الزاهدينَ ؟

فقالَ : إذا صرتَ مِنْ رياضتِكَ لنفسِك في السرِّ إلىٰ حدٍّ لوْ قطعَ اللهُ عنكَ الرزقَ ثلاثةَ أيامٍ . . لمْ تضعفْ في نفسِكَ ، فأمَّا ما لمْ تبلغْ هـٰذهِ الدرجةَ . . فجلوسُكَ علىٰ بساطِ الزاهدينَ جهلٌ ، ثمَّ لا آمنُ عليكَ أنْ تَفْتَضِحَ .

وقالَ بشرٌ الحافي : (الزهدُ ملكٌ لا يسكنُ إلَّا في قلبٍ مخلىً) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ محمدِ بنِ الأشعثِ البيكَنْديَّ يقولُ : (مَنْ تكلَّمَ في الزهدِ ووعظَ الناسَ ثمَّ رغبَ في مالِهِمْ . . رفعَ اللهُ حبَّ الآخرةِ مِنْ قلبِهِ)[2] .

وقيلَ : إذا زهدَ العبدُ في الدنيا . . وكَّلَ اللهُ بهِ مَلَكاً يغرسُ الحكمةَ في قلبِهِ .

وقيلَ لبعضِهِمْ : لِمَ زهدتَ في الدنيا ؟ فقالَ : لزهدِها فيَّ .

وقالَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ : (الزهدُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ :

الأولُ : تركُ الحرامِ ؛ وهوَ زهدُ العوامِّ .

والثاني : تركُ الفضولِ مِنَ الحلالِ ؛ وهوَ زهدُ الخواصِّ .

والثالث : تركُ ما يشغلُ العبدَ عنِ اللهِ تعالىٰ ؛ وهوَ زهدُ العارفينَ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : قيلَ لبعضِهِمْ : لِمَ زهدتَ في الدنيا ؟ فقالَ : لمَّا زهدَ فيَّ أكثرُها . . أنِفْتُ مِنَ الرغبةِ في أقلِّها .

---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٧٦) .

(٢) ورواه البيهقي في « الشعب » (١٦٩٩) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الدنيا كالعروسِ ، ومَنْ يطلبُها ماشطتُها ، والزاهدُ فيها يسخِّمُ وجهَها ، وينتِفُ شعرَها ، ويُخَرِّقُ ثوبَها ، والعارفُ مشتغلٌ باللهِ لا يلتفتُ إليها)[١] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الطيِّبِ السامَرِّيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (مارستُ كلَّ شيءٍ مِنْ أمرِ الزهدِ ، فنلتُ منهُ ما أريدُ ، إلَّا الزهدَ في الناسِ ؛ فإنِّي لمْ أبلغْهُ ولمْ أطقْهُ) .

وقيلَ : ما خرجَ الزاهدونَ إلَّا إلىٰ أنفسِهِمْ ؛ لأنَّهُمْ تركوا النعيمَ الفانيَ للنعيمِ الباقي .

وقالَ النصراباذيُّ : (الزهدُ حقنَ دماءَ الزاهدينَ ، وسفكَ دماءَ العارفينَ)[٢] .

وقالَ حاتمٌ الأصمُّ : (الزاهدُ يذيبُ كيسَهُ قبلَ نفسِهِ ، والمتزهِّدُ يذيبُ نفسَهُ قبلَ كيسِهِ)[٣] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ الحسنِ المَوْصليُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ الحسينِ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الحسنِ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ جعفرٍ قالَ : سمعتُ الفضيلَ بنَ عياضٍ يقولُ : (جعلَ اللهُ تعالى الشرَّ كلَّهُ في بيتٍ ، وجعلَ مفتاحَهُ حبَّ الدنيا ، وجعلَ الخيرَ كلَّهُ في بيتٍ ، وجعلَ مفتاحَهُ الزهدَ في الدنيا)[٤] .

❋ ❋ ❋

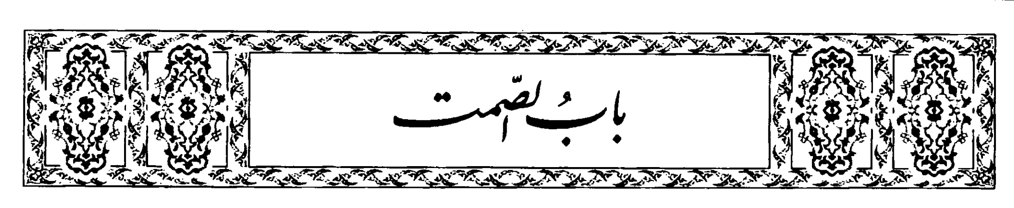
---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٧٣) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٥٣) ، وفي (ج) وحدها ونسخة هامش (ي) زيادةٌ قد تليق بالباب ؛ وهي : (وقالَ بعضُهُمْ : دخلتُ على الخليلِ بن أحمدَ البصريِّ وعندَهُ زحمةٌ مِنَ الناسِ ، فأجلسني إلىٰ جنبِهِ ، فقلتُ لهُ : ضَيَّقْتُ عليكَ ؟ فقالَ : إنَّ موضعَ شبرٍ لا يضيقُ للمتحابِّينَ ، والدنيا لا تنفسحُ للمتباغضينَ) .

(٢) حقن دماءَهم ؛ لبقاء بشريتهم ، وسفك دماء العارفين ؛ لغيابهم عنها . انظر « نتائج الأفكار » (٢/١٧٧) .

(٣) لأن المتزهِّد زهده علىٰ لسانه ، لا يخرج شيئاً من كيسه .

(٤) ورواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٧٩) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٢٤٥) .



باب الصمت

أخبرَنـا عبدُ اللهِ بنُ يوسـفَ الأصبهانيُّ قالَ : حدَّثَنا أبـو بكرٍ محمدُ بنُ الحسينِ القطَّانُ قـالَ : حدَّثَنـا أحمدُ بنُ يوسـفَ السُّلميُّ قـالَ : حدَّثَنا عبدُ الرزاقِ قالَ : أخبرَنا معمرٌ ، عنِ الزهريِّ ، عنْ أبي سلمةَ ، عنْ أبي هريرةَ رضـيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسـولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ : « مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليـومِ الآخرِ . . فلا يؤذِ جـارَهُ ، ومَنْ كانَ يؤمنُ بـاللهِ واليومِ الآخرِ . . فليكـرمْ ضيفَـهُ ، ومَـنْ كانَ يؤمـنُ بـاللهِ واليومِ الآخـرِ . . فليقلْ خيـراً أوْ ليصمتْ »[1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا بشرُ بنُ موسى الأسديُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ سعيدٍ الأصبهانيُّ ، عنِ ابنِ المباركِ ، عنْ يحيى بنِ أيوبَ ، عنْ عبيدِ اللهِ بنِ زَحْرٍ ، عنْ عليِّ بنِ يزيدَ ، عنِ القاسمِ ، عنْ أبي أمامةَ ، عنْ عقبةَ بنِ عامرٍ قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما النجاةُ ؟ قالَ : « احفظْ عليكَ لسانَكَ ، وليسعْكَ بيتُكَ ، وابكِ علىٰ خطيئتِكَ »[2] .

قالَ الأستاذُ : الصمتُ سلامةٌ ، وهوَ الأصلُ ، وعليهِ ندامةٌ إذا وردَ عنهُ الزجرُ ، فالواجبُ أنْ يُعتبرَ فيهِ الشرعُ ، والأمرُ والنهيُ[3] .

والسكوتُ في وقتِهِ صفةُ الرجالِ ، كما أنَّ النطقَ في موضعِهِ مِنْ أشرفِ الخصالِ .

---

(١) ورواه البخاري (٦٠١٨ ، ٦٤٧٥) ، ومسلم (٤٧) .

(٢) ورواه الترمذي (٢٤٠٦) وقالَ : (هٰذا حديث حسن) .

(٣) محصَّله : أن كلاًّ من الصمت والكلام يعتبر فيهما حكم الشرع أمراً ونهياً ، فيدور العبد مع حكم الشرع فيهما . « نتائج الأفكار » (٢/١٧٩) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (مَنْ سكتَ عنِ الحقِّ . . فهوَ شيطانٌ أخرسُ) .

والصمتُ مِنْ آدابِ الحضرةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾ (١) ، وقالَ خبراً عنِ الجنِّ بحضرةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ﴾ (٢) ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (٣) .

وكمْ بينَ عبدٍ يسكتُ تصاوناً عنِ الكذبِ والغِيبةِ ، وبينَ عبدٍ يسكتُ لاستيلاءِ سلطانِ الهيبةِ ، وفي معناهُ أنشدوا : [من الوافر]

أُفَكِّرُ مَا أَقُولُ إِذَا ٱفْتَرَقْنَا ... وَأُحْكِمُ دَائِباً حُجَجَ ٱلْمَقَالِ
فَأَنْسَاهَا إِذَا نَحْنُ ٱلْتَقَيْنَا ... فَأَنْطِقُ حِينَ أَنْطِقُ بِٱلْمُحَالِ (٤)

وأنشدوا : [من الطويل]

فَيَا لَيْلُ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مُهِمَّةٍ ... إِذَا جِئْتُكُمْ لَمْ أَدْرِ يَا لَيْلُ مَا هِيَا (٥)

وأنشدوا : [من السريع]

وَكَمْ حَدِيثٍ لَكِ حَتَّىٰ إِذَا ... مُكِّنْتُ مِنْ لُقْيَاكِ أُنْسِيتُ (٦)

وأنشدوا : [من المتقارب]

رَأَيْتُ ٱلْكَلَامَ يَزِينُ ٱلْفَتَىٰ ... وَلَلصَّمْتُ خَيْرٌ لِمَنْ قَدْ صَمَتْ
فَكَمْ مِنْ حُرُوفٍ تَجُرُّ ٱلْحُتُوفَ ... وَمِنْ نَاطِقٍ وَدَّ أَنْ لَوْ سَكَتْ (٧)

والسكوتُ علىٰ قسمينِ : سكوتٌ بالظاهرِ ، وسكوتٌ بالقلبِ والضمائرِ ،

---

(١) سورة الأعراف : (٢٠٤) .
(٢) سورة الأحقاف : (٢٩) .
(٣) سورة طه : (١٠٨) .
(٤) أوردهما بألفاظ مقاربة ابنُ داوود الظاهري في « الزهرة » (١/٨١) .
(٥) هو لمجنون ليلىٰ ضمن قصيدة . انظر « ديوانه » (ص ٢٩٣) .
(٦) في (ي) : (أنسيته) بدل (أنسيت) .
(٧) البيتان في (ج ، ي) وهامش (د ، ح) ، وسقطا من عامة النسخ .

فالمتوكِّلُ يسكتُ قلبُهُ عنْ تقاضي الأرزاقِ ، والعارفُ يسكتُ قلبُهُ مقابلةً للحكمِ بنعتِ الوفاقِ ، فهٰذا بجميلِ صنعِهِ واثقٌ (١) ، وهٰذا بجميعِ حكمِهِ قانِعٌ ، وفي معناهُ قالوا : [من مجزوء الكامل]

تَجْـــرِي عَلَيْـــكَ صُرُوفُـــهُ وَهُمُـــومُ سِـــرِّكَ مُطْرِقَـــهْ

وربَّما يكونُ سببَ السكوتِ حيرةُ البديهةِ ؛ فإنَّهُ إذا وردَ كشفٌ علىٰ وصفِ البغتةِ . . خرسَتِ العباراتُ عندَ ذٰلكَ ، فلا بيانَ ولا نطقَ ، وطُمِسَتِ الشواهدُ هنالكَ ، فلا علمَ ولا حسَّ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَا ﴾ (٢) .

فأمَّا إيثارُ أربابِ المجاهدةِ السكوتَ . . فلما علموا ما في الكلامِ مِنَ الآفاتِ ، ثمَّ ما فيهِ مِنْ حظِّ النفسِ ، وإظهارِ صفاتِ المدحِ ، والميلِ إلىٰ أنْ يتميَّزَ بينَ أشكالِهِ بحسنِ النطْقِ ، وغيرِ هٰذا مِنْ آفاتِ الخَلْقِ (٣) ، وذٰلكَ نعتُ أربابِ الرياضةِ ، وهوَ أحدُ أركانِهِمْ في حكمِ المنازلةِ وتهذيبِ الخُلُقِ .

وقيلَ : إنَّ داوودَ الطائيَّ لمَّا أرادَ أنْ يقعدَ في بيتِهِ . . اعتقدَ أنْ يحضرَ مجالسَ أبي حنيفةَ ـ إذْ كانَ تلميذاً لهُ ـ ويقعدَ بينَ أضرابِهِ مِنَ العلماءِ ، ولا يتكلَّمَ في مسألةٍ ، فلمَّا قويَتْ نفسُهُ علىٰ ممارسةِ هٰذهِ الخَصلةِ سنةً كاملةً . . قعدَ في بيتِهِ عندَ ذٰلكَ وآثرَ العزلةَ (٤) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إذا كتبَ كتاباً فاستحسنَ لفظَهُ . . مزَّقَ الكتابَ وغيَّرَهُ (٥) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ محمدٍ

(١) في (أ) العبارة : (فهٰذا بجميع صنعه موافق) ، وفي (ب) : (فهٰذا بجميع صنعه واثق) .
(٢) سورة المائدة : (١٠٩) .
(٣) كذا شُكِلَت بقلم العلامة ابن المبارك في (ي) .
(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٩٣/٩) ، وتقدم (ص ١٢١) .
(٥) خوفاً من العُجْب ، وأخذاً بقوله تعالىٰ في سورة النازعات (٤٠) : ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ . « إحكام الدلالة » (١٨٢/٢) .

الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ إسحاقَ السرَّاجُ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ الفتحِ يقولُ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : (**إذا أعجبَكَ الكلامُ . . فاصمُتْ ، وإذا أعجبَكَ الصمتُ . . فتكلَّمْ**)[1] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (**لا يصحُّ لأحدٍ الصمتُ حتَّىٰ يُلزِمَ نفسَهُ الخلوةَ ، ولا تصحُّ لهُ التوبةُ حتَّىٰ يُلزِمَ نفسَهُ الصمتَ**)[2] .

وقالَ أبو بكرٍ الفارسيُّ : (**مَنْ لمْ يكنِ الصمتُ وطنَهُ . . فهوَ في الفضولِ وإنْ كانَ صامتاً**)[3] .

والصمتُ ليسَ بمخصوصٍ على اللسانِ ، لٰكنَّهُ على القلبِ والجوارحِ كلِّها .

وقالَ بعضُهُمْ : مَنْ لمْ يستغنمِ السكوتَ ؛ فإذا نطقَ . . نطقَ بلغوٍ .

وسمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ مِمْشاذَ الدِّينَوَريَّ يقولُ : (**الحكماءُ وَرِثوا الحكمةَ بالصمتِ والتفكُّرِ**)[4] .

وسُئِلَ أبو بكرٍ الفارسيُّ عنْ صمتِ السرِّ ، فقالَ : تركُ الاشتغالِ بالماضي والمستقبلِ .

وقالَ أبو بكرٍ الفارسيُّ : (**إذا كانَ العبدُ ناطقاً فيما يعنيهِ وما لا بدَّ لهُ منهُ . . فهوَ في حدِّ الصمتِ**) .

ويُروىٰ عنْ معاذِ بنِ جبلٍ أنَّهُ قالَ : (**كلِّمِ الناسَ قليلاً ، وكلِّمْ ربَّكَ كثيراً ؛ لعلَّ قلبَكَ يرى اللهَ**) .

وقيلَ لـذي النونِ المصريِّ : مَنْ أَصْوَنُ الناسِ لنفسِـهِ ؟ فقـالَ : أملكُهُمْ للسانِهِ[5] .

---

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٤٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٦٩٨) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٩١) .

(٣) صدر الخبر عند السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٧٤) ، وهو الطمستاني .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٩١) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٨٦) .

وقالَ ابنُ مسعودٍ : (ما مِنْ شيءٍ بطولِ السجنِ أحقَّ مِنَ اللسانِ)[1] .

وقالَ عليُّ بنُ بكَّارٍ : (جعلَ اللهُ لكلِّ شيءٍ بابينِ ، وجعلَ للسانِ أربعةَ أبوابٍ ؛ فالشفتانِ مصراعانِ ، والأسنانُ مصراعانِ)[2] .

وقيلَ : إنَّ أبا بكرٍ الصديقَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يمسكُ في فيهِ حجراً كذا سنةً ليقلَّ كلامُهُ[3] .

وقيلَ : إنَّ أبا حمزةَ البغداديَّ كانَ حسنَ الكلامِ ، فهتفَ بهِ هاتفٌ : تكلَّمْتَ فأحسنتَ ، بقيَ أنْ تسكتَ فتحسنَ ، فما تكلَّمَ بعدَ ذٰلكَ حتَّىٰ ماتَ ، وماتَ قريباً مِنْ هٰذهِ الحالةِ علىٰ رأسِ أسبوعٍ أقلَّ أوْ أكثرَ[4] .

وربَّما يكونُ السكوتُ يقعُ على المتكلِّمِ تأديباً لهُ ؛ لأنَّهُ أساءَ أدبَهُ في شيءٍ .

وكانَ الشِّبليُّ رحمةُ اللهِ عليهِ إذا قعدَ في حلقتِهِ ولا يسألونَهُ . . يقولُ : ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾[5] .

وربَّما يقعُ السكوتُ على المتكلِّمِ لأنَّ في القومِ مَنْ هوَ أولىٰ منهُ بالكلامِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ يقولُ : سمعتُ ابنَ السمَّاكِ ببغدادَ يقولُ[6] : كانَ بينَ شاهِ الكِرمانيِّ ويحيى بنِ معاذٍ صداقةٌ ، فجمعَهُما بلدٌ ، فكانَ شاهٌ لا يحضرُ مجلسَهُ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : الصوابُ هٰذا ، فما زالوا بهِ حتَّىٰ حضرَ يوماً مجلسَهُ ، وقعدَ ناحيةً لا يشعرُ بهِ يحيى بنُ معاذٍ ، فلمَّا أخذَ يحيىٰ في الكلامِ . . سكتَ ، ثمَّ قالَ : ها هنا مَنْ هوَ أولىٰ بالكلامِ منِّي ، وأُرتجَ عليهِ ، فقالَ شاهٌ : قلتُ لكُمْ : الصوابُ ألَّا أحضرَ مجلسَهُ .

---

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٨٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٦٤٩) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٨٨) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٩٠) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٩٠) .

(٥) سورة النمل : (٨٥) .

(٦) كذا العبارة في (ل) ، وفي سائر النسخ : (سمعت ابنَ السماك) مباشرة ، أما (د) فساقطة الأسانيد .

وربَّما يقعُ السكوتُ على المتكلِّمِ لمعنىً في الحاضرينَ ؛ وهوَ أَنَّهُ يكونُ هناكَ مَنْ ليسَ بأهلٍ لسماعِ ذٰلكَ الكلامِ ، فيصونُ اللهُ لسانَ المتكلِّمِ ؛ غَيرةً وصيانةً لذٰلكَ الكلامِ عنْ غيرِ أهلِهِ .

وربَّما كانَ سببُ السكوتِ الذي يقعُ على المتكلِّمِ أنَّ بعضَ الحاضرينَ كانَ معلومُ اللهِ تعالىٰ مِنْ حالِهِ أنَّهُ يستمعُ ذٰلكَ الكلامَ فيكونُ فتنةً لهُ ؛ إمَّا لتوهُّمِهِ أنَّهُ وقتُهُ ولا يكونُ[1] ، أوْ لأنَّهُ يحمِّلُ نفسَهُ ما لا يطيقُ ، فيرحمُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بأنْ يحفظَ سمعَهُ عنْ ذٰلكَ الكلامِ ؛ إمَّا صيانةً لهُ ، أوْ عصمةً عنْ غلطِهِ .

وقالَ مشايخُ هٰذهِ الطريقةِ : ربَّما يكونُ السببُ فيهِ حضورَ مَنْ ليَس بأهلٍ لسماعِهِ مِنَ الجنِّ ؛ إذْ لا تخلو مجالسُ القومِ مِنْ حضورِ جماعةٍ مِنَ الجنِّ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : اعتللتُ مرَّةً بمروَ ، فاشتقتُ أنْ أرجعَ إلىٰ نيسابورَ ، فرأيتُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ لي : لا يمكنُكَ أنْ تخرجَ مِنْ هٰذا البلدِ ؛ فإنَّ جماعةً مِنَ الجنِّ استحلَوا كلامَكَ ، ويحضرونَ مجلسَكَ ، فلأجلِهِمْ تُحبَسُ ها هنا .

وقالَ بعضُ الحكماءِ : إنَّما خُلِقَ للإنسانِ لسانٌ واحدٌ وعينانِ وأذنانِ ؛ ليسمعَ ويبصرَ أكثرَ ممَّا يقولُ .

ودُعِيَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ إلىٰ دعوةٍ : فلمَّا جلسَ . . أخذوا في الغِيبةِ ، فقالَ : عندَنا يُؤكَلُ اللحمُ بعدَ الخبزِ ، وأنتُمُ ابتدأتُمْ بأكلِ اللحمِ ! أشارَ إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾[2] .

وقالَ بعضُهُم : الصمتُ لسانُ الحلْمِ[3] .

---

(١) فيكون في هٰذه الحالة متشبِّعاً بما لم ينل ، والمتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور .

(٢) سورة الحجرات : (١٢) .

(٣) في (أ) وهامش (ج) : (الحكمة) بدل (الحلم) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (إن الصمت عن إشفاء الغيظ دليل علىٰ حلم من أُوذي فلم يشفِ غيظه ، ولم يكافئ من آذاه) .

وقالَ بعضُهُمْ : تعلَّمِ الصمتَ كما تتعلَّمُ الكلامَ ؛ فإنْ كانَ الكلامُ يهديكَ . . فإنَّ الصمتَ يقيكَ .

وقيلَ : عفَّةُ اللسانِ صمتُهُ .

وقيلَ : مثلُ اللسانِ مثلُ السبعِ ؛ إنْ لمْ توثقْهُ . . عدا عليكَ .

وسُئِلَ أبو حفصٍ : أيُّ الحالتينِ للوليِّ أفضلُ : الصمتُ أوِ النطقُ ؟

فقالَ : لوْ علمَ الناطقُ ما آفةُ النطقِ . . لصمتَ إنِ استطاعَ عمرَ نوحٍ ، ولوْ علمَ الصامتُ ما آفةُ الصمتِ . . لسألَ اللهَ عزَّ وجلَّ ضعفَيْ عمرِ نوحٍ حتَّىٰ ينطقَ [1] .

وقيلَ : صمتُ العوامِّ بلسانِهِمْ ، وصمتُ العارفينَ بقلوبِهِمْ ، وصمتُ المحبِّينَ مِنْ خواطرِ أسرارِهِمْ .

وقيلَ لبعضِهِمْ : تكلَّمْ ، فقالَ : ليسَ لي لسانٌ فأتكلَّمَ ، فقيلَ لهُ : اسمعْ ، فقالَ : ليس فيَّ مكانٌ فأسمعَ [2] .

وقالَ بعضُهُمْ : مكثتُ ثلاثينَ سنةً لا يسمعُ لساني إلَّا مِنْ قلبي ، ثمَّ مكثتُ ثلاثينَ سنةً لا يسمعُ قلبي إلَّا مِنْ لساني [3] .

وقالَ بعضُهُم : لوْ سكتَ لسانُكَ [4] . . لمْ تنجُ مِنْ كلامِ قلبِكَ ، ولوْ صرتَ رميماً . . لمْ تتخلَّصْ مِنْ حديثِ نفسِكَ ، ولوْ جهدتَ كلَّ الجهدِ . . لمْ تكلمْكَ روحُكَ ؛ لأنَّها كاتمةٌ للسرِّ .

وقيلَ : لسانُ الجاهلِ مفتاحُ حتفِهِ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٨٩) .

(٢) أشار بذلك إما إلى التبري من الحول والقوة في سائر حركاته وسكناته ومعانيه القائمة به ، أو إلى استغراقه فيما أنعم الله به عليه حتىٰ شغله به عن غيره . « إحكام الدلالة » (١٨٦/٢) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٨/٤٩) لأبي الحارث الأولاسي رحمه الله تعالىٰ ، وسيأتي للمصنف (ص ٧٢١) .

(٤) في (هـ ، ح ، ل) : (أسكتَّ) بدل (سكت) .

وقيلَ : المحبُّ إذا سكتَ . . هلكَ ، والعارفُ إذا سكتَ . . ملكَ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ نصرٍ الصائغَ يقولُ : سمعتُ مردويهِ الصائغَ يقولُ : سمعتُ الفضيلَ بنَ عياضٍ يقولُ : (مَنْ عدَّ كلامَهُ مِنْ عملِهِ . . قلَّ كلامُهُ إلَّا فيما يعنيهِ)[1] .

* * *

(١) ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٨٣) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٣٥) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ .

بابُ الخوف

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ (١) .

أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدوسٍ الحِيريُّ العدْلُ قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ دلويهِ الدقَّاقُ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ يزيدَ قالَ : حدَّثَنا عامرُ بنُ أبي الفراتِ قالَ : حدَّثَنا المسعوديُّ ، عنْ محمدِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ ، عنْ عيسى بنِ طلحةَ ، عنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يدخلُ النارَ مَنْ بكىٰ مِنْ خشيةِ اللهِ حتَّىٰ يلجَ اللبنُ في الضَّرْعِ ، ولا يجتمعُ غبارٌ في سبيلِ اللهِ ودخانُ جهنمَ في مَنخِرَيْ عبدٍ أبداً » (٢) .

حدَّثَنا أبو نعيمٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ المهرجانيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ الشَّرْقيِّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ هاشمٍ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ سعيدٍ القطَّانُ قالَ : حدَّثَنا شعبةُ قالَ : حدَّثَنا قتادةُ ، عنْ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لوْ تعلمونَ ما أعلمُ . . لضحكتُمْ قليلاً ، ولبكيتُمْ كثيراً » (٣) .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ : الخوفُ معنىً متعلَّقُهُ في المستقبلِ ؛ لأنَّهُ إنَّما يخافُ أنْ يحلَّ بهِ مكروهٌ أوْ يفوتَهُ محبوبٌ ، ولا يكونُ هٰذا إلَّا لشيءٍ سيحصلُ في المستقبلِ ، فأمَّا ما يكونُ في الحالِ موجوداً . . فالخوفُ لا يتعلَّقُ بهِ .

والخوفُ مِنَ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : هوَ أنْ يخافَ أنْ يعاقبَهُ اللهُ إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرةِ .

---

(١) سورة السجدة : (١٦) .

(٢) ورواه الترمذي (١٦٣٣) ، والنسائي (٦/ ١٢) .

(٣) ورواه البخاري (٤٦٢١) ، ومسلم (٢٣٥٩) .

وقدْ فرضَ اللهُ سبحانَهُ على العبادِ أنْ يخافوهُ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] ، وقالَ : ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [2] ، ومدحَ المؤمنينَ بالخوفِ ، فقالَ : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (الخوفُ علىٰ مراتبَ : الخوفُ ، والخشيةُ ، والهيبةُ ؛ فالخوفُ مِنْ شرطِ الإيمانِ وقضيَّتِهِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [4] .

والخشيةُ مِنْ شرطِ العلمِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [5] .

والهيبةُ مِنْ شرطِ المعرفةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [6]) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ الحِيريَّ [7] يقولُ : سمعتُ محفوظاً يقولُ : سمعتُ أبا حفصٍ يقولُ : (الخوفُ سَوْطُ اللهِ ، يقوِّمُ بهِ الشاردينَ عنْ بابِهِ) [8] .

وقالَ أبو القاسمِ الحكيمُ : (الخوفُ علىٰ ضربينِ : رهبةٌ ، وخشيةٌ ؛ فصاحبُ الرهبةِ يلتجئُ إلى الهربِ إذا خافَ) [9] .

---

(١) سورة آل عمران : (١٧٥) .

(٢) سورة البقرة : (٤٠) .

(٣) سورة النحل : (٥٠) ، وفي (ج) : (الملائكة) بدل (المؤمنين) ، وكون المراد الملائكة هو مشهور كتب التفسير ، وقال الإمام ابن الجوزي في « زاد المسير » (٤/٤٥٤) : (فيه قولان : أحدهما : أنه من صفة الملائكة خاصَّة ، قاله ابن السائب ومقاتل ، والثاني : أنه عام في جميع المذكورات ، قاله أبو سليمان الدمشقي) .

(٤) سورة آل عمران : (١٧٥) .

(٥) سورة فاطر : (٢٨) .

(٦) سورة آل عمران : (٢٨) .

(٧) كذا في جميع النسخ إلا (ح) ففيها : (الجبري) بدل (الحيري) ، ولعله محمد بن علي بن عبد الله بن يعقوب السلمي الحِبْري (نسبة لبيع الحبر ببغداد) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٣/٣٠٢) .

(٨) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٥) .

(٩) كذا في جميع النسخ ، وفي « إحكام الدلالة » (٢/١٩١) زيادة : (وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب) ، وقوله : (يلتجئ إلى الهرب) أي : يرجع إلى الله إذا خاف وعيده ، كما في « نتائج الأفكار » (٢/١٩١) ، فهو من مشكاة قوله جل جلاله في سورة الذاريات (٥٠) : ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، وفي (أ) : (يلتجئ إلى القرب) .

ورَهِبَ وهَرَبَ يصحُّ أنْ يُقالَ : هما واحدٌ ؛ مثلُ : جَذَبَ وجَبَذَ .

فـإذا هـربَ . . انجـذبَ في مقتضـىٰ هـواهُ ؛ كالرهبـانِ الذيـنَ اتبعوا أهواءَهُـمْ ، فـإذا كبَحَهُـمْ لجـامُ العلـمِ وقامـوا بحـقِّ الشـرعِ . . فهـوَ الخشيةُ [١] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : سمعتُ أبا حفصٍ يقولُ : (**الخوفُ** سراجُ القلبِ ، بِهِ يبصرُ ما فيهِ مِنَ الخيرِ والشرِّ) [٢] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (**الخوفُ** : ألَّا تعلِّلَ نفسَكَ بعسىٰ وسوفَ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الدمشقيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الدمشقيَّ يقولُ : (**الخائفُ** : مَنْ يخافُ مِنْ نفسِهِ أكثرَ ممَّا يخافُ مِنَ الشيطانِ) [٣] .

وقالَ ابنُ الجلَّا : (**الخائفُ** : مَنْ تُؤَمِّنُهُ المَخُوفاتُ) [٤] .

وقيلَ : ليسَ الخائفُ الذي يبكي ويمسحُ عينيهِ ، إنَّما الخائفُ مَنْ يتركُ ما يخافُ أنْ يُعذَّبَ عليهِ [٥] .

وقيلَ للفضيلِ بنِ عياضٍ : ما لنا لا نرىٰ خائفاً ؟ فقالَ : لوْ كنتَ خائفاً . . لرأيتَ الخائفينَ ، إنَّ الخائفَ لا يراهُ إلَّا الخائفونَ ، وإنَّ الثكلىٰ هيَ التي تحبُّ أنْ ترى الثكلىٰ [٦] .

---

(١) أي : ما اتصفوا به من ذلك هو الخشية . « إحكام الدلالة » (٢/١٩١) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٥) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٦) .

(٤) أي : تجعله في أمان ؛ بأن يأمن منها في حال طروقها . « إحكام الدلالة » (٢/١٩٢) ، ورسمت (تُؤَمِّنُهُ) في النسخ : (تأمنه) .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/٢٠٦) عن إسحاق بن خلف رحمه الله تعالىٰ بنحوه .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٨) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مسكينٌ ابنُ آدمَ ، لوْ خافَ مِنَ النارِ كما يخافُ مِنَ الفقرِ .. لدخلَ الجنةَ)[١] .

وقالَ شاهٌ الكِرمانيُّ : (علامةُ الخوفِ : الحزنُ الدائمُ)[٢] .

وقالَ أبو القاسمِ الحكيمُ : (مَنْ خافَ مِنْ شيءٍ .. هربَ منهُ ، ومَنْ خافَ اللهَ .. هربَ إليهِ)[٣] .

وسُئِلَ ذو النونِ المصريُّ : متىٰ يتيسَّرُ على العبدِ سبيلُ الخوفِ ؟ فقالَ : إذا أنزلَ نفسَهُ منزلةَ السقيمِ ؛ يحتمي مِنْ كلِّ شيءٍ مخافةَ طولِ السَّقامِ[٤] .

وقالَ معاذُ بنُ جبلٍ : (إنَّ المؤمنَ لا يطمئنُّ قلبُهُ ولا تسكنُ روعتُهُ حتَّىٰ يخلِّفَ جسرَ جهنمَ وراءَهُ)[٥] .

وقالَ بشرٌ الحافي : (الخوفُ مَلَكٌ لا يسكنُ إلَّا في قلبِ متَّقٍ)[٦] .

وقالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (عيبُ الخائفِ في خوفِهِ السكونُ إلىٰ خوفِهِ ؛ لأنَّهُ أمنٌ خفيٌّ)[٧] .

وقالَ الواسطيُّ : (الخوفُ حجابٌ بينَ اللهِ وبينَ العبدِ)[٨] .

وهٰذا اللفظُ فيهِ إشكالٌ ، ومعناهُ : أنَّ الخائفَ متطلِّعٌ لوقتٍ ثانٍ ، وأبناءُ الوقتِ لا تطلُّعَ لهُمْ للمستقبلِ ، وحسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربينَ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ النهاونديَّ

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢١٥/١٤) .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٨) .
(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٤) دون نسبة بنحوه .
(٤) قطعة من خبر طويل رواه عنه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٥/٩) .
(٥) رواه عنه مرفوعاً الطبراني في « مسند الشاميين » (٣٥٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٦/١) .
(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٧) ، وفيه : (نقي) بدل (متقٍ) ، وفي (ل) : (منقىً) .
(٧) أورده بنحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٩) ، وعبارته فيه : (لأنه آمنٌ ، والأمنُ في الخوف أخفىٰ من الأمن في الرجا) .
(٨) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٠٣) .

يقولُ : سـمعتُ إبراهيمَ بنَ فاتكٍ يقولُ : سـمعتُ النُّـوريَّ يقولُ : (الخائفُ يهربُ مِنْ ربِّهِ إلىٰ ربِّهِ)(١) .

وقالَ بعضُهُم : علامةُ الخوفِ : التحيُّرُ علىٰ بابِ الغيبِ(٢) .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ إبراهيمَ العُكْبَريَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ وسُئِلَ عنِ الخوفِ فقالَ : توقُّعُ العقوبةِ معَ مجاري الأنفاسِ(٣) .

وسـمعتُ الشـيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سـمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الصفَّارَ يقولُ : سـمعتُ محمدَ بنَ المسـيَّبِ يقولُ : سمعتُ هاشمَ بنَ خالدٍ يقولُ : سـمعتُ أبا سـليمانَ الدارانيَّ يقولُ : (ما فارقَ الخوفُ قلباً إلَّا خَرِبَ)(٤) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ ابنِ عبدِ الرحمـٰنِ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : (صدقُ الخوفِ : هوَ الورعُ عنِ الآثامِ ظاهراً وباطناً)(٥) .

وقالَ ذو النونِ : (الناسُ على الطريقِ ما لمْ يَزُلْ عنهُمُ الخوفُ ، فإذا زالَ عنهُمُ الخوفُ . . ضلُّوا عنِ الطريقِ)(٦) .

وقالَ حاتِمٌ الأصمُّ : (لكلِّ شيءٍ زينةٌ ، وزينةُ العبادةِ : الخوفُ ، وعلامةُ الخوفِ : قصرُ الأملِ) .

وقالَ رجلٌ لبشرٍ الحافي : أراكَ تخافُ الموتَ ؟ فقالَ : القدومُ على اللهِ شديدٌ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٠) .

(٢) كذا في جميع النسخ ، ومعناه : القلق في الدعاء إذا سأل مولاه ، وفي نسخة « إحكام الدلالة » (٢/١٩٥) : (علامة الخوف : التحير ، والوقوف علىٰ باب الغيب) .

(٣) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٨/١٨) .

(٤) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣١) .

(٥) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٢) ، وتمامه : (وفيه الصلاح) .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٣) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : دخلتُ على الإمامِ أبي بكرِ ابنِ فُورك عائداً ، فلمَّا رآني . . دَمَعَتْ عيناهُ ، فقلتُ لهُ : إنَّ اللهَ تعالىٰ يعافيكَ ويشفيكَ ، فقالَ لي : تراني أخافُ مِنَ الموتِ ؟! إنَّما أخافُ ممَّا وراءَ الموتِ .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عثمانَ قالَ : حدَّثَنا القاسمُ بنُ محمدٍ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ يمانٍ ، عنْ مالكِ بنِ مِغْولٍ ، عنْ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ سعيدِ بنِ مَوْهَبٍ[1] ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أهوَ الرجلُ يسرقُ ويزني ويشربُ الخمرَ ؟ قالَ : « لا ، ولـٰكنِ الرجلُ يصومُ ويصلِّي ويتصدَّقُ ويخافُ ألَّا يقبلَ منهُ »[2] .

وقالَ ابنُ المباركِ : (الذي يُهيِّجُ الخوفَ حتَّىٰ يسكنَ في القلبِ : دوامُ المراقبةِ في السرِّ والعلانيةِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ أبي موسىٰ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ يقولُ : حدَّثَنا عليٌّ الرازيُّ قالَ : سمعتُ ابنَ المباركِ يقولُ ذٰلكَ .

وسمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ شيبانَ يقولُ : (إذا سكنَ الخوفُ القلبَ . . أحرقَ مواضعَ الشهواتِ منهُ ، وطردَ رغبةَ الدنيا عنهُ)[3] .

وقيلَ : **الخوفُ** : قوَّةُ العلمِ بمجاري الأحكامِ .

وقيلَ : **الخوفُ** : حركةُ القلبِ مِنْ جلالِ الربِّ .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وهو عبد الرحمـٰن بن سعيد بن وهب ، يروي عن الصديقة إرسالاً . انظر « جامع التحصيل » (ص ٢٧٠) ، و« تاريخ الإسلام » للذهبي (٤١٣/٧) .

(٢) ورواه الترمذي (٣١٧٥) ، وابن ماجه (٤١٩٨) ، والآية من سورة المؤمنون : (٦٠) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٠٤) .

وقالَ أبو سليمانَ [الدارانيُّ] : (ينبغي للقلبِ ألَّا يكونَ الغالبَ عليهِ إلَّا الخوفُ ؛ فإنَّهُ إذا غلبَ الرجاءُ على القلبِ . . فسدَ القلبُ) ، ثمَّ قالَ : (يا أحمدُ ؛ بالخوفِ ارتفعوا ، فإنْ ضيَّعوهُ . . نزلوا)[1] .

وقالَ الواسطيُّ : (الخوفُ والرجاءُ زِمامانِ على النفوسِ ؛ لئلَّا تخرجَ إلىٰ رُعُوناتِها)[2] .

وقالَ الواسطيُّ : (إذا ظهرَ الحقُّ على السرائرِ . . لا يبقىٰ فيها فضلةٌ لرجاءٍ ولا لخوفٍ) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : وهٰذا فيهِ إشكالٌ[3] ، ومعناهُ : إذا اصطلمَتْ شواهدُ الحقِّ بالأسرارِ . . ملكَتْها ، فلا يبقىٰ فيها مساغٌ لذكرِ حدَثانٍ ، والخوفُ والرجاءُ مِنْ آثارِ بقاءِ الإحساسِ بأحكامِ البشريةِ .

وقالَ الحسينُ[4] : (مَنْ خافَ مِنْ شيءٍ سوى اللهِ ، أوْ رجا سواهُ . . أغلقَ عليهِ أبوابَ كلِّ شيءٍ ، وسلَّطَ عليهِ المخافةَ ، وحجبَ [قلبَهُ] بسبعينَ حجاباً أيسرُها الشكُّ) .

وإنَّ ممَّا أوجبَ شدَّةَ خوفِهِمْ : فكرتَهُمْ في العواقبِ ، وخشيةَ تغيُّرِ أحوالِهِمْ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾[5] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[6] .

فكمْ مِنْ مغبوطٍ في أحوالِهِ انعكسَتْ عليهِ الحالُ ، ومُنِيَ بمقارفةِ قبيحِ الأعمالِ ، فبُدِّلَ بالأنسِ وحشةً ، وبالحضورِ غَيْبةً !

---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٦) ، وأحمدُ : هو ابن أبي الحواريّ الراوي عنه .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٠٣) ، وفيه : (يمنعان من سوء الأدب) .

(٣) لأن الخوف والرجاء مطلوبان ، فكيف يفنىٰ بفقدهما ؟ « إحكام الدلالة » (٢/١٩٨) .

(٤) وفي (ي) وفي « إحكام الدلالة » (٢/١٩٨) : (الحسين بن منصور) ، وهو الحلاج .

(٥) سورة الزمر : (٤٧) .

(٦) سورة الكهف : (١٠٣ ـ ١٠٤) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليّ الدقّاقَ ينشدُ كثيراً : [من البسيط]

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِٱلْأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ ٱلْقَدَرُ
وَسَالَمَتْكَ ٱللَّيَالِي فَٱغْتَرَرْتَ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ ٱللَّيَالِي يَحْدُثُ ٱلْكَدَرُ (١)

سمعتُ منصورَ بنَ خلفٍ المغربيَّ يقولُ : كانَ رجلانِ اصطحبا في الإرادةِ بُرْهةً مِنَ الزمانِ (٢) ، ثمَّ إنَّ أحدَهُما سافرَ وفارقَ صاحِبَهُ ، وأتىٰ عليهِ مدَّةٌ ولمْ يسمعْ منهُ خبراً ، فبينا هـٰذا الآخرُ كانَ في غَزاةٍ يقاتلُ عسكرَ الرومِ . . إذْ خرجَ على المسلمينَ رجلٌ [مقنَّعٌ] (٣) في السلاحِ يطلبُ المبارزةَ ، فخرجَ إليهِ مِنْ أبطالِ المسلمينَ واحدٌ ، فقتلَهُ الروميُّ ، ثمَّ خرجَ آخرُ فقتلَهُ ، ثمَّ ثالثٌ فقتلَهُ .

فخرجَ هـٰذا الصوفيُّ وتطاردا ، فحسرَ الروميُّ عنْ وجهِهِ ، فإذا هوَ صاحبُهُ الذي صحبَهُ في الإرادةِ والعبادةِ سنينَ ! فقالَ هـٰذا لهُ : أَيْشٍ الخبرُ ؟! فقالَ : إنَّهُ ارتدَّ ، وخالطَ القومَ ، ووُلِدَ لهُ أولادٌ ، واجتمعَ لهُ مالٌ ، فقالَ لهُ : فكنتَ تقرأُ القرآنَ بقراءاتٍ كثيرةٍ ! فقالَ : لا أذكرُ منهُ حرفاً ، فقالَ لهُ هـٰذا الصوفيُّ : لا تفعلْ وارجعْ ، فقالَ : لا أفعلُ ؛ فلي فيهِمْ جاهٌ ومالٌ ، فانصرفْ أنتَ ، وإلَّا . . فعلتُ بكَ ما فعلتُ بأولـٰئِكَ .

فقالَ الصوفيُّ : اعلمْ أنَّكَ قتلتَ ثلاثةً مِنَ المسلمينَ ، وليسَ عليكَ أنفةٌ في الانصرافِ ، فانصرفْ أنتَ وأنا أُمهلُكَ ، فرجعَ الرجلُ مولياً ، فتبعَهُ هـٰذا الصوفيُّ وطعنَهُ وقتلَهُ (٤) .

---

(١) البيتان متنازعا النسبة ، رواهما ابن عبد البر في « الانتقاء » (ص ١٠١) للشافعي ، ونسبا لسعيد بن حميد كما في « الزهرة » (٢/٣٣٥) .

(٢) البُرهة : المدة الطويلة .

(٣) في جميع النسخ الأصول : (مقنعاً) بدل (مقنع) ، والمثبت من غيرها .

(٤) وهو موطن يشهد له « الحرب خُدعة » ، وقد سبق في علمه تعالىٰ أنه يموت علىٰ غير الإسلام ، وإلا . . فسيأتي للمصنف (ص ٣٦٢) خبر ابن المبارك مع مجوسي كهـٰذه الحال وقد أُمر بالوفاء بالعهد ، وهنا خوف ، والآتي في الرجاء .

فبعدَ تلكَ المجاهداتِ ومقاساةِ تلكَ الرياضاتِ قُتِلَ على النصرانيةِ !

وقيلَ : لمَّا ظهرَ علىٰ إبليسَ ما ظهرَ .. طفِقَ جبريلُ وميكائيلُ عليهِما السلامُ يبكيانِ زماناً طويلاً ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِما : ما لكما تبكيانِ كلَّ هـٰذا البكاءِ ؟ فقالا : يا ربِّ ؛ لا نأمنُ مَكْرَكَ ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : هـٰكذا كُونا ، لا تأمنا مَكْري[1] .

وحُكِيَ عنِ السريِّ السقطيِّ أنَّهُ قالَ : (إنِّي لأنظرُ إلىٰ أنفي في اليومِ كذا وكذا مرةً مخافةَ أنْ يكونَ قدِ اسودَّ ؛ لما أخافُهُ مِنَ العقوبةِ)[2] .

وقالَ أبو حفصٍ : (منذُ أربعينَ سنةً اعتقادي في نفسي أنَّ اللهَ تعالىٰ ينظرُ إليَّ نظرَ السخطِ ، وأعمالي تدلُّ علىٰ ذٰلكَ) .

وقالَ حاتِمٌ الأصمُّ : (لا تغترَّ بموضعٍ صالحٍ ؛ فلا مكانَ أصلحُ مِنَ الجنةِ ولقي آدمُ عليهِ السلامُ فيها ما لقيَ ، ولا تغترَّ بكثرةِ العبادةِ ؛ فإنَّ إبليسَ بعدَ طولِ تعبُّدِهِ .. لقيَ ما لقيَ ، ولا تغترَّ بكثرةِ العلمِ ؛ فإنَّ بلعامَ كانَ يحسنُ اسمَ اللهِ الأعظمَ ، فانظرْ ما لقيَ ، ولا تغترَّ برؤيةِ الصالحينَ ؛ فلا شخصَ أكبرُ [قدراً] مِنَ المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولمْ ينتفعْ بلقائِهِ أقاربُهُ وأعداؤُهُ) .

وخرجَ ابنُ المباركِ يوماً علىٰ أصحابِهِ فقالَ : (إنِّي قدِ اجترأتُ البارحةَ على اللهِ سبحانَهُ ؛ سألتُهُ الجنةَ !) .

وقيلَ : خرجَ عيسىٰ عليهِ السلامُ ومعَهُ صالحٌ مِنْ صالحي بني إسرائيلَ ، فتبعَهما رجلٌ خاطئٌ مشهورٌ بالفسقِ فيهِمْ ، فقعدَ منتبذاً عنهما منكسراً ، فدعا اللهَ سبحانَهُ وقالَ : اللهمَّ ؛ اغفرْ لي ، ودعا هـٰذا الصالحُ وقالَ : اللهمَّ ؛ لا تجمعْ غداً بيني وبينَ ذٰلكَ العاصي .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٨٣) عن عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١١٦/١٠) .

فأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهِ السلامُ : إنِّي قدِ استجبتُ دعاءَهُما جميعاً ؛ رددتُ ذٰلكَ الصالحَ ، وغفرتُ لذٰلكَ المجرمِ .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : قلتُ لعُلَيْمٍ : لم سُمِّيتَ مجنوناً ؟ قالَ : لما طالَ حبسي عنهُ . . صرتُ مجنوناً لخوفِ فراقِهِ[1] .

وفي معناهُ أنشدوا : [من البسيط]

لَوْ أَنَّ ما بِي عَلَىٰ صَخْرٍ لَأَنْحَلَهُ ... فَكَيْفَ يَحْمِلُهُ خَلْقٌ مِنَ الطِّينِ

وقالَ بعضُهُمْ : ما رأيتُ رجلاً أعظمَ رجاءً لهٰذهِ الأمَّةِ ولا أشدَّ خوفاً علىٰ نفسِهِ . . مِنِ ابنِ سيرينَ[2] .

وقيلَ : مرضَ سفيانُ الثوريُّ ، فعُرِضَ دليلُهُ على الطبيبِ ، فقالَ : هٰذا رجلٌ قطعَ الخوفُ كبدَهُ ، ثمَّ جاءَ وجسَّ عِرْقَهُ ، ثمَّ قالَ : ما علمتُ أنَّ في الحنيفيةِ مثلَهُ[3] .

وسُئِلَ الشِّبليُّ : لِمَ تصفرُّ الشمسُ عندَ الغروبِ ؟ فقالَ : لأنَّها عُزِلَتْ عنْ مكانِ التمامِ ، فاصفرَّتْ لخوفِ المقامِ ، وكذا المؤمنُ إذا قاربَ خروجُهُ مِنَ الدنيا . . اصفرَّ لونُهُ ؛ لأنَّهُ يخافُ المقامَ ، فإذا طلعَتِ الشمسُ . . طلعَتْ مضيئةً ، كذٰلكَ المؤمنُ إذا بُعِثَ مِنْ قبرِهِ . . خرجَ ووجهُهُ يشرقُ[4] .

ويُحكىٰ عن أحمدَ ابنِ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنه أنه قالَ : سألتُ ربِّي عزَّ وجلَّ أنْ يفتحَ عليَّ باباً مِنَ الخوفِ ، ففتحَ ، فخفتُ علىٰ عقلي ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ علىٰ قدْرِ ما أطيقُ ، فسكنَ ذٰلكَ[5] .

* * *

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٠) ، وفي (ج) : (غُلَيم) ، وكلاهما اسم رجل .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٩٩) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٤/٧) ، ودليل مرضه هنا : البول ، والطبيب كان كتابياً .
(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٢) إلىٰ قوله : (لأنه يخاف المقام) .
(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٤) .

بابُ الرَّجاء

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾[1] .

أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا عمرُ بنُ مسلمٍ الثقفيُّ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ خالدٍ[2] قالَ : حدَّثَنا العلاءُ بنُ زيدٍ قالَ : دخلتُ علىٰ مالكِ بنِ دينارٍ ، فرأيتُ عندَهُ شهرَ بنَ حوشبٍ ، فلمَّا خرجْنا مِنْ عندِهِ . . قلتُ لشهرٍ : يرحمُكَ اللهُ ؛ زوِّدْني زوَّدَكَ اللهُ .

قالَ : نعمْ ؛ حدَّثَتْني عمَّتِي أمُّ الدرداءِ ، عنْ أبي الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنْ نبيِّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، عنْ جبريلَ عليهِ السلامُ قالَ : قالَ ربُّكُمْ عزَّ وجلَّ : « عبدي ؛ ما عبدتَني ورجوتَني ولمْ تشركْ بي شيئاً . . غفرتُ لكَ علىٰ ما كانَ فيكَ[3] ، ولوِ استقبلْتَني بملْءِ الأرضِ خطايا وذنوباً . . استقبلْتُكَ بملئِها مغفرةً ، فأغفرُ لكَ ولا أبالي »[4] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا بشرُ بنُ موسىٰ قالَ : حدَّثَنا خلفُ بنُ الوليدِ قالَ : حدَّثَنا مروانُ بنُ معاويةَ الفَزَاريُّ قالَ : حدَّثَنا أبو سفيانَ طَرِيفٌ ، عنْ عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : يقولُ اللهُ تعالىٰ :

---

(١) سورة العنكبوت : (٥) .

(٢) ويقال له أيضاً : الحسين بن خالد كما في « تهذيب الكمال » (٤٥٩/٩) .

(٣) في (ج ، ي) : (منك) بدل (فيك) ، وكلاهما مروي .

(٤) ورواه البيهقي في « الشعب » (١٠٠٩) ، وبنحوه رواه الترمذي (٣٥٤٠) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، ورواه أحمد في « المسند » (١٥٤/٥) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الصغير » (٢٠/٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٥٢٥/٨) .

« أخرجوا مِنَ النارِ مَنْ كانَ في قلبِهِ مثقالُ حبَّةِ شعيرٍ مِنْ إيمانٍ ، ثمَّ يقولُ : أخرجوا مِنَ النارِ مَنْ كانَ في قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ مِنْ إيمانٍ ، ثمَّ يقولُ : وعزَّتي وجلالي ؛ لا أجعلُ مَنْ آمنَ بي ساعةً مِنْ ليلٍ أوْ نهارٍ كمَنْ لمْ يؤمنْ بي »[1] .

قالَ الأستاذُ : الرجاءُ : تعلُّقُ القلبِ بمحبوبٍ سيحصلُ في المستقبلِ .

وكما أنَّ الخوفَ يقعُ في المستقبلِ مِنَ الزمانِ . . فكذلكَ الرجاءُ يحصلُ لما يؤملُ في الاستقبالِ ، وبالرجاءِ عيشُ القلوبِ واستقلالُها .

والفرقُ بينَ الرجاءِ وبينَ التمنِّي : أنَّ التمنيَ يورثُ صاحبَهُ الكسلَ ، ولا يسلكُ طريقَ الجهدِ والجدِّ ، وبعكسِهِ صاحبُ الرجاءِ ؛ فالرجاءُ محمودٌ ، والتمنِّي معلولٌ .

وتكلَّموا في الرجاءِ ؛ فقالَ شاهُ الكِرمانيُّ : (علامةُ الرجاءِ : حسنُ الطاعةِ)[2] .

وقالَ ابنُ خُبيقٍ : (الرجاءُ ثلاثةٌ : رجلٌ عملَ حسنةً فهوَ يرجو قَبولَها ، ورجلٌ عملَ سيئةً ثمَّ تابَ فهوَ يرجو المغفرةَ ، والثالثُ : الرجلُ الكاذبُ يتمادىٰ في الذنوبِ ويقولُ : أرجو المغفرةَ ، ومَنْ عرفَ نفسَهُ بالإساءةِ . . ينبغي أنْ يكونَ خوفُهُ غالباً علىٰ رجائِهِ)[3] .

وقيلَ : الرجاءُ : ثقةُ الجودِ مِنَ الكريمِ .

وقيلَ : الرجاءُ : رؤيةُ الجلالِ بعينِ الجمالِ .

وقيلَ : هوَ قربُ القلبِ مِنْ ملاطفةِ الربِّ سبحانَهُ .

---

(١) ورواه الطبراني في « الأوسط » (٣٩٨٨) ، وأصله عند البخاري (٢٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٩) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٧) ، وفي (أ ، ج) : (الرجال ثلاثة : رجل . . .) .

وقيلَ : هوَ سرورُ الفؤادِ لحسنِ الميعادِ [1] .

وقيلَ : هوَ النظرُ إلىٰ سَعةِ رحمةِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : (الخوفُ والرجاءُ هما كجناحيِ الطائرِ ؛ إذا استويا . . استوى الطيرُ وتمَّ طيرانُهُ ، وإذا نقصَ أحدُهُما . . وقعَ فيهِ النقصُ ، وإذا ذهبا . . صارَ الطائرُ في حدِّ الموتِ) [2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ أبي حاتِمٍ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ شَهْمَرْدانَ يقولُ : قالَ أحمدُ بنُ عاصمٍ الأنطاكيُّ وسُئِلَ : ما علامةُ الرجاءِ في العبدِ ؟ قالَ : أنْ يكونَ إذا أحاطَ بهِ الإحسانُ . . أُلهمَ الشكرَ ؛ راجياً لتمامِ النعمةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ عليهِ في الدنيا ، وتمامِ عفوِهِ عنهُ في الآخرةِ [3] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (الرجاءُ : استبشارٌ بوجودِ فضلِهِ) .

وقالَ : (هوَ ارتياحُ القلوبِ لرؤيةِ كرمِ المرجوّ) [4] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (مَنْ حملَ نفسَهُ على الرجاءِ . . تعطَّلَ ، ومَنْ حملَ نفسَهُ على الخوفِ . . قنطَ ، ولـٰكنْ مِنْ هـٰذهِ مرةً ومِنْ هـٰذهِ مرةً) [5] .

وسمعتُهُ يقولُ : حدَّثَنا أبو العباسِ البغداديُّ قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ صفوانَ قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي الدنيا قالَ : حُدِّثْتُ عنْ بكرِ بنِ سليمٍ الصوافِ قالَ : دخلْنا

---

(١) في (ب) : (المعاد) ، وفي (أ) : (سرورُ الفؤاد حسنُ الميعاد) ، وفي سائر النسخ : (سرورُ الفؤاد بحسن الميعاد) .

(٢) ورواه البيهقي في « الشعب » (٩٩٦) .

(٣) أورده ابن عساكر في « تاريخه » (٢٢٤/٧١) .

(٤) بنحوه نقله أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٦/١٠) ، وبلفظه أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٨) .

(٥) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨٢) .

علىٰ مالكِ بن أنسٍ في العشيةِ التي قُبِضَ فيها ، فقلْنا : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ كيفَ تجدُكَ ؟ فقالَ : ما أدري ما أقولُ لكُمْ ! إلَّا أنَّكُمْ ستعاينونَ مِنْ عفوِ اللهِ تعالىٰ ما لمْ يكنْ لكُمْ في حسابٍ .

ثمَّ ما برحْنا حتىٰ أغمضْناهُ[1] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (يكادُ رجائي لكَ معَ الذنوبِ يغلِبُ علىٰ رجائي لكَ معَ الأعمالِ ؛ لأنِّي أجدُني أعتمدُ في الأعمالِ على الإخلاصِ ، وكيفَ أحرزُها وأنا بالآفةِ معروفٌ ؟! وأجدُني في الذنوبِ أعتمدُ علىٰ عفوِكَ ، وكيفَ لا تغفرُها وأنتَ بالجودِ موصوفٌ ؟!)[2] .

وكلَّموا ذا النونِ المصريَّ وهوَ في النزعِ ، فقالَ : لا تشغلوني ؛ فقدْ تعجَّبتُ مِنْ كثرةِ لطفِ اللهِ تعالىٰ معي[3] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (إلٰهي ؛ أحلى العطايا في قلبي رجاؤُكَ ، وأعذبُ الكلامِ علىٰ لساني ثناؤُكَ ، وأحبُّ الساعاتِ إليَّ ساعةٌ يكونُ فيها لقاؤُكَ)[4] .

وفي بعضِ التفاسيرِ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دخلَ علىٰ أصحابِهِ مِنْ بابِ بني شيبةَ ، فرآهُمْ يضحكونَ ، فقالَ : « أتضحكونَ ؟! لوْ تعلمونَ ما أعلمُ . . لضحكتُمْ قليلاً ، ولبكيتُمْ كثيراً » ، ثمَّ مرَّ ، ثمَّ رجعَ القهقرىٰ وقالَ : « نزلَ عليَّ جبريلُ وأتىٰ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[5] »[6] .

أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الأهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا عيَّاشُ بنُ تميمٍ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ أيوبَ قالَ : حدَّثَنا

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٨٦) ، وفي هامش (ل) : (بلغ) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٨) ، وفيه : (أخلصها) بدل (أحرزها) .

(٣) سيأتي مسنداً للمصنف (ص ٦٣٧) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٧) .

(٥) سورة الحجر : (٤٩) .

(٦) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٥٣/١٠) عن قتادة بلاغاً بنحوه ، وانظر « الدر المنثور » (٨٦/٥) .

مسـلمُ بنُ سـالمٍ قالَ : حدَّثَنا خارجةُ بنُ مصعبٍ ، عنْ زيدِ بنِ أسـلمَ ، عنْ عطاءِ بنِ يسارٍ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ يقولُ : « إنَّ اللهَ تعالـىٰ لَيضحكُ مِنْ يأسِ العبادِ وقنوطِهِمْ وقربِ الرحمـةِ منهُمْ » ، فقلتُ : بأبي أنتَ وأمِّي يا رسـولَ اللهِ ؛ أَوَيضحكُ ربُّنا عزَّ وجلَّ ؟ فقالَ : « والذي نفسـي بيدِهِ ؛ إنَّهُ لَيضحكُ » ، فقالَتْ : لا يعدمُنا خيراً إذا ضحكَ[1] .

واعلمْ : أنَّ الضحكَ في وصفِهِ تعالىٰ مِنْ صفاتِ فعلِهِ ؛ وهوَ إظهار فضلِهِ ؛ كما يُقالَ : ضحكَتِ الأرضُ بالنَّباتِ ، وضحكُهُ مِنْ قنوطِهِمْ إظهارُ تحقيقِ فضلِهِ الذي هوَ ضعفُ انتظارِهِمْ لهُ[2] .

وقيلَ : إنَّ مجوسياً استضافَ إبراهيمَ الخليلَ صلواتُ اللهِ عليهِ ، فقالَ لهُ : إنْ أسلمتَ . . أضفتُكَ ، فقالَ المجوسيُّ : إذا أسلمتُ . . فأيُّ منَّةٍ تكونُ لكَ عليَّ ؟! فمرَّ المجوسيُّ ، فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلىٰ إبراهيمَ عليهِ السلامُ : يا إبراهيمُ ؛ لمْ تطعمْهُ إلَّا بتغييرِهِ دينَهُ ؟! نحنُ منذُ سبعينَ سنةً نطعمُهُ علىٰ كفرِهِ ، فلوْ أضفتَهُ ليلةً ماذا عليكَ ؟!

فمرَّ إبراهيمُ عليهِ السلامُ خلفَ المجوسيِّ وأضافَهُ ، فقالَ لهُ المجوسيُّ : أيْشٍ كانَ السببُ في الذي بدا لكَ ؟ فذكرَ لهُ ذٰلكَ ، فقالَ لهُ المجوسيُّ : أهٰكذا يعاملُني ؟! ثمَّ قالَ : اعرضْ عليَّ الإسلامَ ، فأسلمَ .

سمعتُ الشيخَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : رأى الأستاذُ أبو سهلٍ الصُّعْلوكيُّ أبا سهلٍ الزَّجَّاجيَّ في المنامِ وكانَ يقولُ بوعيدِ الأبدِ[3] ، فقالَ له : كيف حالُكَ ؟ فقالَ : وجدْنا الأمرَ أسهلَ ممَّا توهَّمْناهُ .

---

(١) ورواه الطبراني في « الأوسط » (٤٨٨٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٤٩٧/٣) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١٧٠/٩) ووقع في جميع النسخ (مسلم بن سالم) ، والصواب : (سلم بن سالم) .

(٢) انظر « مشكل الحديث » للإمام ابن فورك (ص ٤٧٤) ، وضبط بقلم العلامة محمد المبارك في (ي) : (ضِعْفُ) ، بل أضعاف طول انتظارهم له كما في « إحكام الدلالة » (٢٠٨/٢) .

(٣) أي : يعتقد بأن الله تعالىٰ إذا توعد علىٰ معصية بعقاب . . فلا بد من وقوعه . « إحكام الدلالة » (٢٠٨/٢) .

وسمعتُ أبا بكرِ بنَ إشْكيبَ يقولُ : رأيتُ الأستاذَ أبا سهلٍ الصُّعْلوكيَّ في المنامِ علىٰ هيئةٍ حسنةٍ لا تُوصَفُ ، فقلتُ لهُ : يا أستاذُ ؛ بمَ نلتَ هٰذا ؟ فقالَ : بحسنِ ظنِّي بربِّي ، بحسنِ ظنِّي بربِّي .

ورُئِيَ مالكُ بنُ دينارٍ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ماذا فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : قدمتُ علىٰ ربِّي بذنوبٍ كثيرةٍ محاها عنِّي حسنُ ظنِّي باللهِ عزَّ وجلَّ .

ورُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : أنا عندَ ظنِّ عبدي بي ، وأنا معَهُ إذا ذكرَني ؛ إنْ ذكرَني في نفسِهِ . . ذكرتُهُ في نفسي ، وإنْ ذكرَني في ملأٍ . . ذكرتُهُ في ملأٍ هوَ خيرٌ منهُمْ ، وإنِ اقتربَ إليَّ شبراً . . اقتربتُ إليهِ ذراعاً ، وإنِ اقتربَ إليَّ ذراعاً . . اقتربتُ إليهِ باعاً ، وإنْ أتاني يمشي . . لقيتُهُ هرولةً » .

أخبرَنا بذٰلكَ أبو نعيمٍ عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ الإسفراينيُّ قالَ : أخبرَنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ حربٍ قالَ : حدَّثَنا أبو معاويةَ ومحمدُ بنُ عبيدٍ ، عنِ الأعمشِ ، عنْ أبي صالحٍ ، عنْ أبي هريرةَ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ ذٰلكَ (١) .

وقيلَ : كانَ ابنُ المباركِ يقاتلُ عِلْجاً مرةً ، فدخلَ وقتُ صلاةِ العلجِ ، فاستمهلَهُ ، فأمهلَهُ ، فلمَّا سجدَ للشمسِ . . أرادَ ابنُ المباركِ أنْ يضربَهُ بسيفِهِ ، فسمعَ مِنَ الهواءِ قائلاً يقولُ : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (٢) ، فأمسكَ ، فلمَّا سلَّمَ المجوسيُّ . . قالَ لهُ : لِمَ أمسكتَ عمَّا هممتَ بهِ ؟ فذكرَ لهُ ما سمعَ ، فقالَ لهُ المجوسيُّ ، نعمَ الربُّ ربٌّ يعاتبُ وليَّهُ في عدوِّهِ ، فأسلمَ وحسُنَ إسلامُهُ .

وقيلَ : إنَّما أوقعَهُمْ في الذنبِ حينَ سمَّىٰ نفسَهُ عفُوّاً .

---

(١) ورواه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) .

(٢) سورة الإسراء : (٣٤) .

وقيلَ : لوْ قالَ : لا أغفرُ الذنوبَ . . لمْ يذنبْ مسلمٌ قطُّ ؛ كما أنَّهُ لمَّا قالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[(١)] . . لمْ يشركْ مسلمٌ قطُّ ، ولـٰكنْ لمَّا قالَ تعالىٰ : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[(١)] . . طمعوا في مغفرتِهِ .

ويُحكىٰ عنْ إبراهيمَ بنِ أدهمَ أنَّهُ قالَ : كنتُ أنتظرُ مدَّةً مِنَ الزمانِ أنْ يخلوَ المطافُ لي ، فكانَتْ ليلةٌ ظلماءُ فيها المطرُ الشديدُ ، فخلا المطافُ ، فدخلتُ الطوافَ ، وكنتُ أقولُ : اللهمَّ ؛ اعصمْني ، اللهمَّ ؛ اعصمْني ، فسمعتُ هاتفاً يقولُ لي : يا بنَ أدهمَ ؛ أنتَ تسألُني العصمةَ ، وكلُّ الناسِ يسألوني العصمةَ ، فإذا عصمتُكُمْ . . فلِمَنْ أرحمُ ؟ ![(٢)] .

وقيلَ : رأىٰ أبو العباسِ ابنُ سُريجٍ في منامِهِ في مرضِ موتِهِ كأنَّ القيامةَ قدْ قامَتْ ، فإذا الجبارُ سبحانَهُ يقولُ : أينَ العلماءُ ؟ قالَ : فجاؤوا ، ثمَّ قالَ : ماذا عملتُمْ فيما علمتُمْ ؟ قالَ : فقلْنا : يا ربُّ ؛ قصَّرْنا وأسأْنا ، قالَ : فأعادَ السؤالَ كأنَّهُ لمْ يرضَ بهِ ، وأرادَ جواباً آخرَ ، فقلتُ : أمَّا أنا . . فليسَ في صحيفتي الشركُ ، وقدْ وعدتَ أنْ تغفرَ ما دونَهُ ، فقالَ : اذهبوا ؛ فقدْ غفرتُ لكُمْ ، وماتَ بعدَ ذٰلكَ بثلاثةِ أيامٍ .

وقيلَ : كانَ رجلٌ شِرِّيبٌ جمعَ قوماً مِنْ نُدَمائِهِ ، ودفعَ إلىٰ غلامٍ لهُ أربعةَ دراهمَ ، وأمرَهُ أنْ يشتريَ شيئاً مِنَ الفواكهِ للمجلسِ ، فمرَّ الغلامُ ببابِ مجلسِ منصورِ بنِ عمَّارٍ وهوَ يسألُ لفقيرٍ شيئاً ويقولُ : مَنْ دفعَ لهُ أربعةَ دراهمَ . . دعوتُ لهُ أربعَ دعواتٍ .

قالَ : فدفعَ الغلامُ الدراهمَ ، فقالَ لهُ منصورٌ : ما الذي تريدُ أنْ أدعوَ لكَ ؟

فقالَ : لي سيدٌ أريدُ أنْ أتخلَّصَ منهُ ، فدعا منصورٌ وقالَ : الآخرُ ؟ فقالَ : أنْ يخلفَ اللهُ عليَّ دراهمي ، فدعا ثمَّ قالَ : والآخرُ ؟ فقالَ : أنْ يتوبَ اللهُ

---

(١) سورة النساء : (٤٨) .

(٢) كذا في « قوت القلوب » (١/٢٢٠) .

علىٰ سيِّدي ، فدعا وقالَ : الآخرُ ؟ أنْ يغفرَ اللهُ لي ولسيِّدي ولكَ وللقومِ ، فدعا منصورٌ .

فرجعَ الغلامُ إلىٰ سيِّدِهِ ، فقالَ لهُ : لِمَ أبطأتَ ؟ فقصَّ عليهِ القصَّةَ ، فقالَ : وبمَ دعا ؟ فقالَ : سألتُ لنفسي العتقَ ، فقالَ : اذهبْ فأنتَ حرٌّ ، وقالَ : وأيْشٍ الثاني ؟ فقالَ : أنْ يخلفَ اللهُ عليَّ الدراهمَ ، فقالَ : لكَ أربعةُ آلافِ درهمٍ ، وقالَ : وأيْشٍ الثالثُ ؟ فقالَ : أنْ يتوبَ اللهُ عليكَ ، فقالَ : تبتُ إلى اللهِ تعالىٰ ، قالَ : وأيْشٍ الرابعُ ؟ فقالَ : أنْ يغفرَ اللهُ لي ولكَ وللقومِ وللمذكِّرِ ، فقالَ : هٰذا الواحدُ ليسَ إليَّ .

فلمَّا باتَ . . رأىٰ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ لهُ : أنتَ فعلتَ ما كانَ إليكَ ، ترىٰ أنِّي لا أفعلُ ما إليَّ ؟! قدْ غفرتُ لكَ وللغلامِ ولمنصورِ بنِ عمارٍ وللقومِ الحاضرينَ .

وقيلَ : حجَّ رياحٌ القيسيُّ حجَّاتٍ كثيرةً ، فقالَ يوماً وقدْ وقفَ تحتَ الميزابِ : إلٰهي ؛ وهبتُ مِنْ حجَّاتي كذا وكذا مِنَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعشراً مِنْ أصحابِهِ العشرةِ ، واثنتينِ مِنْ والديَّ[1] ، والباقيَ للمسلمينَ ، ولمْ يحبسْ شيئاً لنفسِهِ ، فسمعَ هاتفاً يقولُ : هوَ ذا يتسخَّىٰ علينا ! لأغفرَنَّ لكَ ولأبويكَ ولمَنْ شهدَ شهادةَ الحقِّ .

ورُوِيَ عنْ عبدِ الوهَّابِ بنِ عبدِ المجيدِ الثقفيِّ أنَّهُ قالَ : رأيتُ جنازةً يحملُها ثلاثةٌ مِنَ الرجالِ وامرأةٌ ، قالَ : فأخذتُ مكانَ المرأةِ ، وذهبْنا إلى المقبرةِ ، فصلَّينا عليها ودفنَّاها ، فقلتُ للمرأةِ : مَنْ كانَ هٰذا منكِ ؟ فقالَتِ : ابني ، فقلتُ : ولمْ يكنْ لهُ جيرانٌ ؟ قالَتْ : نعمْ ، ولٰكنَّهُمْ صغَّروا أمرَهُ ، فقلتُ : وأيْشٍ كانَ هٰذا ؟ فقالَتْ : مُخَنَّثٌ .

---

(١) كذا في النسخ تعدية (وهب) بـ (من) وهو جائز ، والأجود تعديته باللام كما بعده . انظر « تحرير ألفاظ التنبيه » (ص ٢٤٠) .

قالَ : فرحمتُها ، وذهبتُ بها إلىٰ منزلي ، وأعطيتُها دراهمَ وحنطةً وثياباً ، ونمتُ تلكَ الليلةَ ، فرأيتُ كأنَّهُ أتاني آتٍ كأنَّهُ القمرُ ليلةَ البدرِ وعليهِ ثيابٌ بيضٌ ، فجعلَ يتشكَّرُ لي ، فقلتُ : مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : المخنَّثُ الذي دفنتموني اليومَ ، رحمَني ربِّي باحتقارِ الناسِ إيَّايَ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : مرَّ أبو عمرٍو البِيكَنديُّ يوماً بسكَّةٍ ، فرأىٰ قوماً أرادوا إخراجَ شابٍّ مِنَ المحلَّةِ لفسادِهِ وامرأةٌ تبكي ، فقيلَ : إنَّها أمُّهُ ، فرحمَها أبو عمرٍو ، فتشفَّعَ لهُ إليهِمْ وقالَ : هبوهُ منِّي هٰذهِ المرَّةَ ، فإنْ عادَ إلىٰ فسادِهِ . . فشأنَكُمْ بهِ ، فوهبوهُ منهُ .

فمضىٰ أبو عمرٍو ، فلمَّا كانَ بعدَ أيامٍ . . اجتازَ بتلكَ السكَّةِ ، فسمعَ بكاءَ العجوزِ مِنْ وراءِ ذٰلكَ البابِ ، فقالَ في نفسِهِ : لعلَّ الشابَّ عادَ إلىٰ فسادِهِ فنُفِيَ مِنَ المحلَّةِ ، فدقَّ عليها البابَ ، وسألَها عنْ حالِ الشابِّ ، فخرجَتِ العجوزُ وقالَتْ : إنَّهُ ماتَ ، فسألَها عنْ حالِهِ ، فقالَتْ : لمَّا قرُبَ أجلُهُ . . قالَ لي : لا تخبري الجيرانَ بموتي ؛ فلقدْ آذيتُهُمْ ، وإنَّهُمْ يشمتونَ بي ولا يحضرونَ جنازتي ، فإذا دفنتِني . . فهٰذا خاتمٌ لي مكتوبٌ عليهِ (باسمِ اللهِ) فادفنيهِ معي ، فإذا فرغتِ مِنْ دفني . . فتشفَّعي لي إلىٰ ربِّي .

قالَتْ : ففعلتُ وصيَّتَهُ ، فلمَّا انصرفتُ عنْ رأسِ قبرِهِ . . سمعتُ صوتَهُ يقولُ : انصرفي يا أمَّاهُ ؛ فقدْ قدمتُ علىٰ ربٍّ كريمٍ .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : قلْ لهُمْ : إنِّي لمْ أخلقْهُمْ لأربحَ عليهِمْ ، وإنَّما خلقتُهُمْ ليربحوا عليَّ (1) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الحربيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الأُطْروشَ يقولُ : كنَّا

---

(1) انظر « إتحاف السادة المتقين » (٩/١٨٠) .

قعوداً ببغدادَ معَ معروفِ الكرخيِّ علىٰ دِجلةَ ، إذْ مرَّ بنا قومٌ أحداثٌ في زورقٍ يضربونَ بالدفِّ ويشربونَ ويلعبونَ ، فقالوا لمعروفٍ : أما تراهُمْ يعصونَ اللهَ مجاهرينَ ؟! ادعُ اللهَ عليهِمْ .

فرفعَ يديهِ وقالَ : إلـٰهي ؛ كما فرَّحتَهُمْ في الدنيا . . ففرِّحْهُمْ في الآخرةِ ، فقالوا : إنَّما سألْناكَ أنْ تدعوَ عليهِمْ ! فقالَ : إذا فرَّحَهُمْ في الآخرةِ . . تابَ عليهِمْ[1] .

سمعتُ أبا الحسنِ عبدَ الرحمـٰنِ بنَ إبراهيمَ بنِ محمدٍ المزكِّيَ قالَ : حدَّثَنا أبو زكريا يحيى بنُ محمدٍ الأديبُ قالَ : حدَّثَنا الفضلُ بنُ صدقةَ قالَ : حدَّثَني أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ قالَ : كانَ يحيى بنُ أكثمَ القاضي صديقاً لي ، وكانَ يودُّني وأودُّهُ ، فماتَ يحيىٰ ، فكنتُ أشتهي أنْ أراهُ في المنامِ فأقولَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فرأيتُهُ ليلةً في المنامِ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟

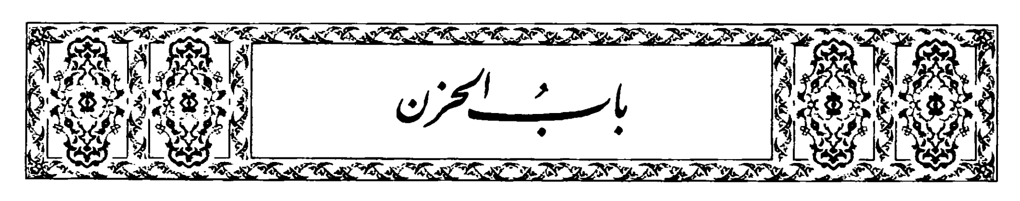
فقالَ : غفرَ لي ، إلَّا أنَّهُ وبَّخَني ثمَّ قالَ لي : يا يحيىٰ ؛ خلَّطتَ عليَّ في دارِ الدنيا ، فقلتُ : أيْ ربِّ ؛ اتكلتُ علىٰ حديثٍ ؛ حدَّثَني أبو معاويةَ الضريرُ ، عنِ الأعمشِ ، عنْ أبي صالحٍ ، عنْ أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّكَ قلتَ : إنِّي لَأستحيي أنْ أعذِّبَ ذا شيبةٍ بالنارِ » ، فقالَ : قدْ عفوتُ عنكَ يا يحيىٰ وصدقَ نبيِّي ، إلَّا أنَّكَ خلَّطتَ عليَّ في دارِ الدنيا[2] .

* * *

---

(١) ورواه السُّلمي في « الفتوة » (ص ٥٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٧٦) .

(٢) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١/٢٦٦) من طريق المصنف ، والأثر الوارد انظر فيه « كشف الخفاء » (٧٤٢) ، وروىٰ أبو يعلىٰ في « مسنده » (٢٧٦٤) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « يقول الله تبارك وتعالىٰ : إني لأستحيي من عبدي وأَمَتي يشيبان في الإسلام ، فتشيب لحية عبدي ورأس أمتي في الإسلام أعذبهما في النار بعد ذٰلك » .



قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾ (١) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ حبيشٍ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عيسىٰ قالَ : حدَّثَنا ابنُ وهبٍ قالَ : حدَّثَنا أسامةُ بنُ زيدٍ الليثيُّ ، عنْ محمدِ بنِ عمرِو بنِ عطاءٍ قالَ : سمعتُ عطاءَ بنَ يسارٍ قالَ : سمعتُ أبا سعيدٍ الخدريَّ يقولُ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « ما مِنْ شيءٍ يصيبُ العبدَ المؤمنَ مِنْ وصبٍ أوْ نصبٍ أوْ حَزَنٍ أوِ الهمِّ يُهَمُّهُ . . إلَّا كفَّرَ اللهُ عنهُ مِنْ سيئاتِهِ » (٢) .

قالَ الأستاذُ : الحزنُ يقبِضُ القلبَ عنِ التفرُّقِ في أوديةِ الغفلةِ ، والحزنُ مِنْ أوصافِ أهلِ السلوكِ (٣) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (صاحبُ الحزنِ يقطعُ مِنْ طريقِ اللهِ في شهرٍ ما لا يقطعُهُ مَنْ فقدَ حزنَهُ بسنينَ) .

وفي الخبرِ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ يحبُّ كلَّ قلبٍ حزينٍ » (٤) .

وفي التوراةِ : إذا أحبَّ اللهُ تعالىٰ عبداً . . نصبَ في قلبِهِ نائحةً ، وإذا أبغضَ عبداً . . جعلَ في قلبِهِ مزماراً .

---

(١) سورة فاطر : (٣٤) .

(٢) ورواه مسلم (٢٥٧٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٣٧٢) ، ويقال : (حُزن وحَزَن) ، ويُهَمُّهُ : على ما لم يسمَّ فاعله ، ويجوز : يَهُمُّهُ ؛ بمعنىٰ : يغمُّهُ .

(٣) والحزن من ثمرات الخوف إذا قوي كما أفاده اللخمي في « الدلالة » .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/٣١٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٦٦) من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

ورُوِيَ أنَّ رسـولَ اللهِ صلَّـى اللهُ عليـهِ وسـلَّمَ كانَ متواصلَ الأحـزانِ ، دائمَ الفكرِ[١] .

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ : (الحزنُ مَلِكٌ ، فإذا سكنَ في موضعٍ . . لمْ يرضَ أنْ يساكنَهُ أحدٌ)[٢] .

وقيلَ : القلبُ إذا لمْ يكنْ فيهِ حزنٌ . . خَرِبَ ؛ كما أنَّ الدارَ إذا لمْ يكنْ فيها ساكنٌ . . خربَتْ[٣] .

وقالَ أبو سعيدٍ القرشيُّ : (بكاءُ الأحزانِ يعمي ، وبكاءُ الشوقِ يُغَشِّي على البصرِ ولا يعمي[٤] ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٥]) .

وقـالَ ابـنُ خَفيـفٍ : (الحـزنُ : حصـرُ النفـسِ عـنِ النهـوضِ فـي الطربِ) .

وسمعتْ رابعةُ رجلاً يقولُ : وا حزناهُ ! فقالَتْ : قلْ : وا قلَّةَ حزناهُ ؛ لوْ كنتَ محزوناً . . لمْ يتهيَّأْ لكَ أنْ تتنفَّسَ[٦] .

وقالَ سفيانُ بنُ عيينةَ : (لوْ أنَّ محزوناً بكىٰ في أمَّةٍ . . لرحمَ اللهُ تلكَ الأمةَ ببكائِهِ)[٧] .

---

(١) رواه الترمذي في « الشمائل » (٢٣١) من حديث سيدنا هند بن أبي هالة رضي الله عنه ، والبيهقي في « الشعب » (١٣٦٢) ، وهو لا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس بِشراً ؛ لأن الحزن عمل القلب ، والبِشر عمل الجوارح ، وعند البخاري (٦٤٨٥) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : « لو تعلمون ما أعلم . . لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٦٢) ، وروىٰ عنه أيضاً (١٤٨) : (كما أن القصور لا تسكنها الملوك حتىٰ تفرغ ، كذلك القلب لا يسكنه الحزن والخوف حتىٰ يفرغ) .

(٣) رواه أحمد في « الزهد » (١٨٧٠) عن مالك بن أنس رحمه الله تعالىٰ .

(٤) وفي (ج) : (يعشي على البصر) بدل (يغشي على البصر) ، وهما متقاربان .

(٥) سورة يوسف : (٨٤) .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٥٦) .

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٧٦) عن بعض العلماء ، والسُّلمي في « طبقاته » (ص ٨٢) عن الداراني رحمه الله تعالىٰ .

وكانَ داوودُ الطائـيُّ الغالبُ عليهِ الحـزنُ ، وكانَ يقولُ بالليلِ : (إلـهي ؛ همُّكَ عطَّلَ عليَّ الهمومَ ، وحالَ بيني وبينَ الرُّقادِ)[1] .

وكانَ يقولُ : (كيفَ يتسلَّىٰ مِنَ الحزنِ مَنْ تتجدَّدُ عليهِ المصائبُ في كلِّ وقتٍ ؟!)[2] .

وقيلَ : الحزنُ يمنعُ مِنَ الطعامِ ، والخوفُ يمنعُ مِنَ الذنوبِ .

وسُئِلَ بعضُهُمْ : بمَ يُستَدلُّ علىٰ حزنِ الرجلِ ؟ فقالَ : بكثرةِ أنينِهِ .

وقالَ سريٌّ السقطيُّ : (وددتُ أنَّ حزنَ كلِّ الناسِ أُلقيَ عليَّ)[3] .

وتكلَّمَ الناسُ في الحزنِ ، فكلُّهُم قالوا : إنَّما يُحمَدُ حزنُ الآخرةِ ، وأمَّا حزنُ الدنيا . . فغيرُ محمودٍ ، إلَّا أبا عثمانَ الحِيريَّ فإنَّهُ قالَ : الحزنُ بكلِّ وجهٍ فضيلةٌ وزيادةٌ للمؤمنِ ما لمْ يكنْ بسببِ معصيةٍ ؛ لأنَّهُ إنْ لمْ يوجبْ تخصيصاً . . فإنَّه يوجبُ تمحيصاً .

وعن بعضِ المشايخِ أنَّهُ كانَ إذا سافرَ واحدٌ مِنْ أصحابِهِ . . يقولُ : إنْ رأيتَ محزوناً . . فأقرئْهُ منِّي السلامَ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : كانَ بعضُهُمْ يقولُ للشمسِ عندَ غروبِها : هل طلعتِ اليومَ علىٰ محزونٍ ؟

وكانَ الحسنُ البصريُّ لا يراهُ أحدٌ إلَّا ظنَّ أنَّهُ حديثُ عهدٍ بمصيبةٍ[4] .

وقالَ وكيعٌ لمَّا ماتَ الفضيلُ : (ذهبَ الحزنُ اليومَ مِنَ الأرضِ)[5] .

وقالَ بعضُ السلفِ : أكثرُ ما يجدُهُ المؤمنُ في صحيفتِهِ مِنَ الحسناتِ . . الهمُّ والحزنُ .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٤٧) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (٥٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١١٨) .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (١٤٤٩) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٤٩) .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ بكرانَ يقولُ : **سمعتُ** محمدَ بنَ عليٍّ المَرْوزيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي رَوْحٍ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ الفضيلَ بنَ عياضٍ يقولُ : (**كانَ السلفُ يقولونَ : إنَّ على كلِّ شيءٍ زكاةً ، وزكاةُ العقلِ** طولُ الحزنِ)[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الفرَّاءَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الورَّاقَ يقولُ : **سألتُ أبا عثمانَ [الحِيريَّ] يوماً عنِ الحزنِ** ، فقالَ : **الحزينُ لا يتفرَّغُ إلىٰ سؤالِ الحزنِ ، فاجتهدْ في طلبِ الحزنِ ثمَّ سَلْ** .

* * *

(١) ورواه البيهقي في « الشعب » (٤٣٥١) .

بابُ الجوعِ وتركِ الشّهوةِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ . . . ﴾ ، ثمَّ قالَ في آخرِ الآيةِ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1] ، فبشَّرَهُمْ بجميلِ الثوابِ على الصبرِ علىٰ مقاساةِ الجوعِ .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ ﴾[2] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ أيوبَ قالَ : حدَّثَنا أبو الوليدِ الطَّيَالِسيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو هاشمٍ صاحبُ الزَّعْفرانيِّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ أنَّهُ حدَّثَهُ قالَ : جاءَتْ فاطمةُ رضيَ اللهُ عنها بكِسْرةِ خبزٍ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « ما هٰذهِ الكِسْرَةُ يا فاطمةُ ؟ » قالتْ : قُرْصٌ خبزتُهُ ولمْ تطِبْ نفسي حتَّىٰ أتيتُكَ بهٰذهِ الكِسْرةِ ، فقالَ : « أَمَا إنَّهُ أوَّلُ طعامٍ دخلَ فمَ أبيكِ منذُ ثلاثةِ أيامٍ »[3] .

وفي بعضِ الرواياتِ : جاءَتْ فاطمةُ رضيَ اللهُ عنها بقُرْصِ شعيرٍ[4] .

قالَ الأستاذُ : **الجوعُ** مِنْ صفاتِ القومِ ، وهوَ أحدُ أركانِ المجاهدةِ ، وإنَّ أربابَ السلوكِ تدرَّجوا إلى اعتيادِ الجوعِ والإمساكِ عنِ الأكلِ ، ووجدوا ينابيعَ الحكمةِ في الجوعِ ، وكثرتِ الحكاياتُ عنهُمْ في ذٰلكَ .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ

---

(١) فعند الابتلاء بالخوف والجوع ونحوهما . . تظهر فضيلة الصبر والصابرين ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يتقلَّل من طعامه عن غنىً ، ويواصل الصوم عن وجْد ، ويختار ما يحبُّه الله تعالىٰ من الزهد ، والآية من سورة البقرة : (١٥٥) .

(٢) سورة الحشر : (٩) .

(٣) ورواه أحمد في « المسند » (٢١٩/٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٩٤٥) بلفظ المصنف .

(٤) وهي رواية الإمام أحمد في « المسند » المتقدمة .

عليّ التميميَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ سالمٍ يقولُ : (أدبُ الجوعِ : ألَّا ينقصَ مِنْ عادتِهِ إلَّا مثلَ أذنِ السِّنَّورِ)[١] .

وقيلَ : كانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ لا يأكلُ الطعامَ إلَّا في كلِّ خمسةَ عشرَ يوماً ، فإذا دخلَ شهرُ رمضانَ . . كانَ لا يأكلُ حتَّىٰ يرى الهلالَ ، وكانَ يفطرُ كلَّ ليلةٍ على الماءِ القَراحِ .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (لوْ أنَّ الجوعَ يباعُ في السوقِ . . لَمَا كانَ ينبغي لطلَّابِ الآخرةِ إذا دخلوا السوقَ أنْ يشتروا غيرَهُ)[٢] .

أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبيدِ اللهِ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ الحسنِ الأَرَّجانيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الإصْطَخْريُّ بمكةَ قالَ : قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التستريُّ : (لمَّا خلقَ اللهُ تعالى الدنيا . . جعلَ في الشبعِ المعصيةَ والجهلَ ، وجعلَ في الجوعِ العلمَ والحكمةَ) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الجوعُ للمريدينَ رياضةٌ ، وللتائبينَ تجربةٌ ، وللزهَّادِ سياسةٌ ، وللعارفينَ مَكْرُمةٌ)[٣] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : دخلَ بعضُهُمْ علىٰ بعضِ الشيوخِ ، فرآهُ يبكي ، فقالَ : ما لكَ ؟ قالَ : إنِّي جائعٌ ، قالَ : ومثلُكَ يبكي مِنَ الجوعِ ؟! فقالَ : اسكُتْ ؛ أما علمتَ أنَّ مرادَهُ مِنْ جوعي أنْ أبكيَ ؟!

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ بشرٍ قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ منصورٍ قالَ : حدَّثَنا داوودُ بنُ معاذٍ قالَ : سمعتُ مَخْلَداً يقولُ : (كانَ الحجَّاجُ بنُ فُرافِصةَ معَنا بالشامِ ، فمكثَ خمسينَ ليلةً لا يشربُ الماءَ ولا يمتنعُ مِنْ شيءٍ يأكلُهُ)[٤] .

---

(١) وأورده السراج في « اللمع » (ص ٢٦٩ ، ٥٢٧) عنه وعن سهل أيضاً رحمهما الله تعالىٰ .
(٢) أورده السراج في « اللمع » (ص ٢٦٩) .
(٣) أورده السراج في « اللمع » (ص ٢٦٩) .
(٤) كذا في جميع النسخ : (يمتنع) ، وهو ظاهر ، وفي (ي) و« إحكام الدلالة » : (يشبع) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الغزَّالَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ يحيى الجَلَّا يقولُ : دخلَ أبو ترابٍ النَّخْشبيُّ مِنْ باديةِ البصرةِ مكةَ ، فسألْناهُ عنْ أكلِهِ ، فقالَ : خرجتُ مِنَ البصرةِ ، وأكلتُ بنِباجَ ، ثمَّ بذاتِ عرقٍ ، ومِنْ ذاتِ عرقٍ إليكُمْ ، قطعَ الباديةَ بأكلتينِ !

وسمعتُهُ يقولُ : حدَّثَنا عليُّ بنُ النَّحاسِ المصريُّ قالَ : حدَّثَنا هارونُ بنُ محمدٍ الدقَّاقُ قالَ : حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمـٰنِ بنُ الدِّرَفْشِ (١) قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ قالَ : سمعتُ عبدَ العزيزِ بنَ عميرٍ يقولُ : (تَجَوَّعَ صنفٌ مِنَ الطيرِ أربعينَ صباحاً ، ثمَّ طاروا في الهواءِ ، فرجعوا بعد أيامٍ وكانَ يفوحُ منهُمْ رائحةُ المسْكِ) .

وكانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ إذا جاعَ . . قويَ ، وإذا أكلَ شيئاً . . ضعفَ (٢) .

وقالَ أبو عثمانَ المغربيُّ : (الرَّبانيُّ لا يأكلُ إلَّا في أربعينَ يوماً ، والصمدانيُّ في ثمانينَ يوماً) (٣) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ العَلَويَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ إبراهيمَ القاضيَ بدمشقَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليِّ بنِ خلفٍ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحَواريِّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الدارانيَّ يقولُ : (مفتاحُ الدنيا الشبعُ ، ومفتاحُ الآخرةِ الجوعُ) (٤) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبيدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ الحسنِ الأرَّجانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ الإِصْطَخْريَّ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ وقيلَ لهُ : الرجلُ يأكلُ في اليومِ أكلةً ؟ فقالَ : أكلُ الصِّدِّيقينَ ، قالَ :

---

(١) ويقرأ بوزان جعفر أيضاً ، ومعناه : اللمعان ، ويطلق على العلم الكبير ، وهي لفظة فارسية . انظر « تاج العروس » (د ر ف ش) .

(٢) أورده السراج في « اللمع » (ص ٢٦٩) ، ورواه (ص ٤٠٦) .

(٣) في (ج) : (الرباني لا يأكل أربعين يوماً ، والصمداني ثمانين يوماً) .

(٤) ورواه البيهقي في « الشعب » (٥٣٢٧) .

فأكلتينِ ؟ قالَ : أكلُ المؤمنينَ ، قالَ : فثلاثٌ ؟ قالَ : قُلْ لأهلِكَ يبنونَ لكَ مَعْلَفاً !

وسمعتُهُ يقولُ : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ السائحُ قالَ : سمعتُ يحيى بنَ معاذٍ يقولُ : (الجوعُ نورٌ ، والشبعُ نارٌ ، والشهوةُ مثلُ الحطبِ يتولَّدُ منهُ الإحراقُ ، لا تُطفَأُ نارُهُ حتَّىٰ يحرقَ صاحبَهُ) .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ الطُّوسيَّ يقولُ : دخلَ رجلٌ مِنَ الصوفيةِ علىٰ شيخٍ ، فقدَّمَ إليهِ طعاماً ثمَّ قالَ لهُ : منذُ كمْ لمْ تأكلْ ؟ فقالَ : منذُ خمسةِ أيامٍ ، فقالَ : جوعُكَ جوعُ بخلٍ ؛ عليكَ ثيابٌ وأنتَ تجوعُ ؟! ليسَ هٰذا جوعَ فقرٍ(١) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ سعيدٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ العباسَ بنَ حمزةَ يقولُ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ قالَ : قالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (لَأَنْ أتركَ مِنْ عَشائي لقمةً أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أقومَ الليلَ إلىٰ آخرِهِ)(٢) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ جعفرَ بنَ أحمدَ الرازيَّ يقولُ : تشهَّىٰ أبو الخيرِ العسقلانيُّ السمكَ سنينَ ، ثمَّ ظهرَ لهُ ذٰلكَ مِنْ موضعِ حلالٍ ، فلمَّا مدَّ يدَهُ إليهِ ليأكلَ . . أخذَتْ شوكةٌ مِنْ عظامِهِ إصبعَهُ فذهبَتْ في ذٰلكَ يدُهُ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ هٰذا لمَنْ مدَّ يدَهُ بشهوةٍ إلىٰ حلالٍ ، فكيفَ بمَنْ مدَّ يدَهُ بشهوةٍ إلىٰ حرامٍ ؟!

سمعتُ أبا بكرٍ ابنَ فُوركَ يقولُ : (شغْلُ العيالِ نتيجةُ متابعةِ الشهوةِ بالحلالِ ، فما ظنُّكَ بقضيةِ شهوةِ الحرامِ ؟!) .

سمعتُ رستُمَ الشيرازيَّ الصوفيَّ يقولُ : كانَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ في

---

(١) أورده السراج في « اللمع » (ص ٢٧٠) ، وفي (أ) : (جوع فقراء ، ويروىٰ : فقير) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٩) .

دعوةٍ ، فمدَّ واحدٌ مِنْ أصحابِهِ يدَهُ إلى الطعامِ قبلَ الشيخِ لما كانَ بهِ مِنَ الفاقةِ ، فأرادَ بعضُ أصحابِ الشيخِ أنْ ينكتَ[1] عليهِ لسوءِ أدبِهِ حيثُ مدَّ يدَهُ إلى الطعامِ قبلَ الشيخِ ، فوضعَ شيئاً بينَ يدَيْ هٰذا الفقيرِ ، فعلمَ الفقيرُ أنَّه نكتَ عليهِ لسوءِ أدبِهِ ، فاعتقدَ ألَّا يأكلَ خمسةَ عشرَ يوماً عقوبةً لنفسِهِ وتأديباً لها ، وإظهاراً لتوبتِهِ مِنْ سوءِ أدبِهِ ، وكانَ قدْ أصابَهُ فاقةٌ قبلَ ذٰلكَ .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ قالَ : حدَّثَنا أبو الفرجِ الوَرْثانيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ جعفرٍ قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ الحارثِ قالَ : حدَّثَنا سليمانُ بنُ داوودَ قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ سليمانَ قالَ : سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ يقولُ : (مَنْ غلبَ شهواتِ الدنيا . . فذٰلكَ الذي يفرَقُ الشيطانُ مِنْ ظلِّهِ)[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : (إذا قالَ الصوفيُّ بعدَ خمسةِ أيامٍ : أنا جائعٌ . . فألزِموهُ السوقَ ، وأْمُرُوهُ بالكسبِ)[3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ حاكياً عنْ بعضِ المشايخِ أنَّهُ قالَ : إنَّ أهلَ النارِ غلبَتْ شهوتُهُمْ حِمْيَتَهُمْ ، فلذٰلكَ افتضَحوا .

وسمعتُهُ يقولُ : قيلَ لبعضِهِمْ : ألا تشتهي ؟ فقالَ : أشتهي ولٰكنْ أحتمي .

وقيلَ لبعضِهِمْ : ألا تشتهي ؟ فقالَ : أشتهي ألَّا أشتهيَ ، وهٰذا أتمُّ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ منصورٍ قالَ : حدَّثَنا ابنُ مَخْلَدٍ قالَ : حدَّثَنا أبو الحسينِ الحسنُ بنُ عمرِو بنِ الجهمِ

---

(١) كذا في أكثر النسخ : (ينكت) ، وفي الموضع الآتي باتفاق الأصول : (نكت) ، والنكت هنا بمعنى الطعن ، يقال : رجل نكَّات ؛ أي : طعَّان في الناس .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢/٣٦٥) .

(٣) تقدم (٣٠٨) .

قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ التمَّارَ قالَ : أتاني بشرٌ ليلةً ، فقلتُ : الحمدُ للهِ الذي جاءَ بكَ ؛ جاءَنا قطنٌ مِنْ خراسانَ فغزلتْهُ البنتُ ، وباعتْهُ ، واشترتْ لنا لحماً ، فتفطرُ عندَنا .

فقالَ : لوْ أكلتُ عندَ أحدٍ . . أكلتُ عندَكُمْ ، ثمَّ قالَ : إنِّي لَأشتهي الباذِنْجانَ منذُ سنينَ ، لمْ يتفقْ لي أكلُهُ ، فقلتُ : ففيها باذِنْجانٌ مِنَ الحلالِ ، فقالَ : حتَّىٰ يصفوَ لي حبُّ الباذِنْجانِ[1] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ باكويهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ الصغيرَ يقولُ : أمرَني أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ أنْ أقدِّمَ إليهِ كلَّ ليلةٍ عشرَ حبَّاتِ زبيبٍ لإفطارِهِ ، فليلةً أشفقتُ عليهِ ، فحملتُ إليهِ خمسَ عشرةَ حبةً ، فنظرَ إليَّ وقالَ : مَنْ أمرَكَ بهٰذا ؟! وأكلَ عشرَ حبَّاتٍ وتركَ الباقيَ[2] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبيدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا ترابٍ النَّخْشبيَّ يقولُ : ما تمنَّتْ نفسي مِنَ الشهواتِ إلَّا مرَّةً واحدةً ؛ تمنَّتْ خبزاً وبيضاً وأنا في سفرٍ ، فعدلتُ إلىٰ قريةٍ ، فقامَ واحدٌ وتعلَّقَ بي وقالَ : هٰذا كانَ معَ اللصوصِ ، فضربوني سبعينَ دِرَّةً ، ثمَّ عرفَني رجلٌ منهُمْ فقالَ : هٰذا أبو ترابٍ [النخشبيُّ] ! واعتذروا إليَّ ، فحملَني رجلٌ إلىٰ منزلِهِ وقدَّمَ إليَّ خبزاً وبيضاً ، فقلتُ لنفسي : كُلِي بعدَ سبعينَ دِرَّةً[3] .

* * *

(١) وأوردها الذهبي في « تاريخه » (٥/٥٤٠) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (فتارة يريد أن يصفو له من الإشكال والشُّبه حتىٰ يكون حلالاً ، وتارة يصفو له حتىٰ لا يكون في عمله مَنْ هو أحوج إليه منه ، وتارة يصفو له حتىٰ لا يأكله بشهوة نفس ، وتارة يصفو له حتىٰ يكون أكله له طاعة) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٥٢/٤١٥) .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٧) ، والخطيب في « تاريخه » (١٢/٣١٢) ، وقد تقدم (١٤٦) .

بابُ الخشوعِ والتّواضع

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[1] .

أخبرَنا أبو الحسنِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ يحيى المُزَكِّي قالَ : حدَّثَنا أبو الفضلِ سفيانُ بنُ محمدٍ الجَوْهريُّ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ الحسنِ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ حمَّادٍ قالَ : حدَّثَنا شعبةُ ، عنْ أبانِ بنِ تغلبَ ، عنْ فضيلٍ الفُقَيْميِّ ، عنْ إبراهيمَ النَّخَعيِّ ، عنْ علقمةَ بنِ قيسٍ ، عنْ عبدِ اللهِ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « **لا يدخلُ الجنةَ مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ كبرٍ ، ولا يدخلُ النارَ مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ إيمانٍ** » ، فقالَ رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ؛ **إنَّ الرجلَ يحبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حسناً** ، فقالَ : « **إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ ، الكبرُ مَنْ بَطِرَ الحقَّ وغَمَصَ الناسَ** »[2] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثنا محمدُ بنُ الفضلِ بنِ جابرٍ قالَ : حدَّثَنا أبو إبراهيمَ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ مُسهرٍ ، عنْ مسلمٍ الأعورِ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : (**كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعودُ المريضَ ، ويُشيِّعُ الجنائزَ ، ويركبُ الحمارَ ، ويجيبُ دعوةَ العبدِ ، وكانَ يومَ قُريظةَ والنَّضيرِ علىٰ حمارٍ مخطومٍ بحبلٍ مِنْ ليفٍ عليهِ إكافٌ مِنْ ليفٍ**)[3] .

---

(١) سورة المؤمنون : (١ ـ ٢) .

(٢) ورواه مسلم (٩١) ، وبلفظه هنا ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٢١٨) ، وعبد الله الراوي للحديث : هو سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وبَطِرَ : دفعه وأنكره تجبُّراً ، وغَمَصَ : استحقر واستصغر ، ويجوز قراءتهما بالمصدر .

(٣) ورواه الترمذي (١٠١٧) ، وابن ماجه (٤١٧٨) .

الخشـــوعُ : الانقيادُ للحـــقِ ، والتواضعُ : هوَ الاستســـلامُ للحـــقِ ، وتركُ الاعتراضِ على الحكمِ .

وقالَ حذيفةُ : (أوّلُ ما تفقدونَ مِنْ دينِكُمُ : الخشوعُ)[١] .

وسُئِلَ بعضُهُمْ عنْ معنى الخشوعِ ، فقالَ : الخشوعُ : قيامُ القلبِ بينَ يدي الحقِّ بهمٍّ مجموعٍ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (مَنْ خشعَ قلبُهُ . . لمْ يقربْ منهُ الشيطانُ) .

وقيلَ : مِنْ علاماتِ الخشوعِ للعبدِ : أنَّهُ إذا أُغضِبَ أوْ خُولِفَ أوْ رُدَّ عليهِ . . أنْ يستقبلَ ذٰلكَ بالقَبولِ .

وقالَ بعضُهُمْ : خشوعُ القلبِ قيَّدَ العيونَ عنِ النظرِ .

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ الترمذيُّ : (الخاشعُ : مَنْ خمدَتْ نيرانُ شهوتِهِ ، وسكنَ دخانُ صدرِهِ ، وأشرقَ نورُ التعظيمِ في قلبِهِ ، فماتَتْ شهواتُهُ ، وحَيِيَ قلبُهُ ، فخشَعَتْ جوارحُهُ) .

وقالَ الحسنُ : (الخشوعُ : الخوفُ الدائمُ اللازمُ للقلبِ)[٢] .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ الخشوعِ ، فقالَ : تذلُّلُ القلوبِ لعلّامِ الغيوبِ[٣] .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[٤] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : معناهُ : متواضعينَ متخاشعينَ[٥] .

وسمعتُهُ يقولُ : همُ الذينَ لا يستحسنونَ شِسْعَ نعالِهِمْ إذا مشَوا[٦] .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/٤٦٩) ، ورواه مرفوعاً الطبراني في « المعجم الكبير » (٧/٢٩٥) من حديث سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٦٨) ، وفي (ي) : (وقال الحسن البصري) .

(٣) أورده له السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٤) .

(٤) سورة الفرقان : (٦٣) .

(٥) لطائف الإشارات (٢/٦٤٨) .

(٦) لطائف الإشارات (٢/٦٤٨) .

واتفقوا علىٰ أنَّ الخشوعَ محلُّهُ القلبُ .

ورأىٰ بعضُهُمْ رجلاً منقبضَ الظاهرِ ، منكسرَ الشاهدِ ، قدْ زوىٰ منكبَيْهِ ، فقالَ لهُ : يا فلانُ ؛ الخشوعُ ها هنا - وأشارَ إلىٰ صدرِهِ - لا ها هنا ، وأشارَ إلىٰ منكبيهِ[1] .

ورُوِيَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ رأىٰ رجلاً يعبَثُ في صلاتِهِ بلحيتِهِ ، فقالَ : « لوْ خشعَ قلبُ هـٰذا . . لخشعَتْ جوارحُهُ »[2] .

وقيلَ : شرطُ الخشوعِ في الصلاةِ : ألَّا يعرفَ مَنْ عنْ يمينِهِ ومَنْ عنْ شمالِهِ .

ويحتملُ أنْ يُقالَ : الخشوعُ : إطراقُ السريرةِ بشرطِ الأدبِ بمشهدِ الحقِّ[3] .

أوْ يُقالَ : الخشوعُ : ذُبولٌ يردُ على القلبِ عندَ اطِّلاعِ الربِّ .

أوْ يُقالَ : الخشوعُ : ذَوَبانُ القلبِ وانخناسُهُ عندَ سلطانِ الحقيقةِ .

أوْ يُقالَ : الخشوعُ : مقدماتُ غلباتِ الهيبةِ .

أوْ يُقالَ : الخشوعُ : قُشَعرِيرةٌ تردُ على القلبِ بغتةً عندَ مفاجأةِ كشفِ الحقيقةِ .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ : (كانَ يُكرَهُ أنْ يُرِيَ الرجلُ مِنَ الخشوعِ أكثرَ ممَّا في قلبِهِ)[4] .

---

(١) في هامش (ح) أن الناصح هو سيدنا عمر بن الخطاب ، وأورد الإسماعيلي في « مناقب عمر رضي الله عنه » كما في « إتحاف السادة المتقين » (٢٦٧/٨) أنه رأىٰ رجلاً يطأطئ رقبته ، فقال : يا صاحب الرقبة ؛ ارفع رقبتك ؛ ليس الخشوع في الرقاب ، وإنما الخشوع في القلوب .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٨٢٠ ، ١٤٠٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه ابنُ أبي شيبة في « المصنف » (٦٧٨٧) عن ابن المسيَّب رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « الإتحاف » (٢٣/٣) .

(٣) كذا في « لطائف الإشارات » (٥٧٨/٢) .

(٤) وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (٧١/٧) عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال : (يا معشر القراء ؛ ارفعوا رؤوسكم ، ولا تزيدوا الخشوع علىٰ ما في القلب) .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (لوِ اجتمعَ الناسُ على أنْ يضعوني كاتضاعي عندَ نفسي . . لما قدروا عليهِ)[١] .

وقيلَ : مَنْ لمْ يتَّضعْ عندَ نفسِهِ . . لمْ يرتفعْ عندَ غيرِهِ .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ لا يسجدُ إلّا على الترابِ[٢] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأهوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : حدَّثنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ زيدٍ الفرائضيُّ قالَ : حدَّثنا محمدُ بنُ كثيرٍ وهوَ المصِّيصيُّ ، عنْ هارونَ بنِ حيَّانَ ، عنْ خَصِيفٍ ، عنْ سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يدخلُ الجنةَ مثقالُ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ مِنْ كبرٍ »[٣] .

وقالَ مجاهدٌ : (لمَّا أغرقَ اللهُ تعالى قومَ نوحٍ عليهِ السلامُ . . شمَخَتِ الجبالُ وتواضعَ الجُودِيُّ ، فجعلَهُ اللهُ قراراً لسفينةِ نوحٍ عليهِ السلامُ)[٤] .

وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ يسرعُ في المشيِ ويقولُ : إنَّهُ أسرعُ للحاجةِ ، وأبعدُ مِنَ الزَّهْوِ[٥] .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ يكتبُ ليلةً شيئاً وعندَهُ ضيفٌ ، فكادَ السراجُ ينطفئُ ، فقالَ الضيفُ : أقومُ إلى المصباحِ فأصلحَهُ ؟ فقالَ : لا ، ليسَ مِنَ الكرمِ استعمالُ الضيفِ ، قالَ : فأنبِّهُ الغلامَ ؟ قالَ : لا ؛ هيَ أوَّلُ نومةٍ نامَها . فقامَ إلى البطَّةِ[٦] ، وجعلَ الدُّهنَ في المصباحِ ، فقالَ الضيفُ : قمتَ بنفسِكَ يا أميرَ المؤمنينَ ؟! فقالَ : ذهبتُ وأنا عمرُ ، ورجعتُ وأنا عمرُ[٧] .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٤/٩) ، وابن عساكر في « تاريخه » (١٣١/٣٤) .

(٢) انظر « فتح الباري » (٤٨٨/١) .

(٣) ورواه البزار في « مسنده » (٥١٣٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤٣٥/١١) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٩) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٨٣٦) .

(٦) البطة : إناء يوضع فيه الدهن وغيره .

(٧) رواه أحمد في « الزهد » (١٦٩٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٩٤) .

وروىٰ أبو سعيدٍ الخُدْريُّ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يعلِفُ البعيرَ ، ويقُمُّ البيتَ ، ويخصِفُ النعلَ ، ويرقعُ الثوبَ ، ويحلبُ الشاةَ ، ويأكلُ معَ الخادمِ ، ويطحنُ معَهُ إذا أعيا ، وكانَ لا يمنعُهُ الحياءُ أنْ يحملَ بضاعتَهُ مِنَ السوقِ إلىٰ أهلِهِ ، وكانَ يصافحُ الغنيَّ والفقيرَ ، ويسلِّمُ مبتدئاً ، ولا يحتقرُ ما دُعِيَ إليهِ ولوْ إلىٰ حَشَفِ التمرِ ، وكانَ هيِّنَ المؤنةِ ، ليِّنَ الخُلُقِ ، كريمَ الطبيعةِ ، جميلَ المعاشرةِ ، طَلْقَ الوجهِ ، بسَّاماً مِنْ غيرِ ضحكٍ ، محزوناً مِنْ غيرِ عُبوسةٍ ، متواضعاً مِنْ غيرِ مَذَلَّةٍ ، جواداً مِنْ غيرِ سَرَفٍ ، رقيقَ القلبِ ، رحيماً بكلِّ مسلمٍ ، لمْ يتجشَّأْ قطُّ مِنْ شِبَعٍ ، ولمْ يمُدَّ يدَهُ إلى الطمعِ [١] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ نصرٍ الصائغَ يقولُ : سمعتُ مردويهِ الصائغَ يقولُ : سمعتُ الفضيلَ بنَ عياضٍ يقولُ : (قُرَّاءُ الرحمـٰنِ أصحابُ خشوعٍ وتواضعٍ ، وقُرَّاءُ القضاةِ أصحابُ عجْبٍ وتكبُّرٍ) [٢] .

وقالَ الفضيلُ : (مَنْ رأىٰ لنفسِهِ قيمةً . . فليسَ لهُ في التواضعِ نصيبٌ) [٣] .

وسُئِلَ الفضيلُ عنِ التواضعِ ، فقالَ : تخضعُ للحقِّ ، وتنقادُ لهُ ، وتقبلُهُ ممَّنْ قالَهُ [٤] .

وقالَ الفضيلُ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلى الجبالِ : إنِّي مكلِّمٌ علىٰ واحدٍ منكُمْ نبيّاً ، فتطاولَتِ الجبالُ ، وتواضعَ طُورُ سَيْنَاءَ ، فكلَّمَ اللهُ عليهِ موسىٰ عليهِ السلامُ ؛ لتواضعِهِ [٥] .

---

(١) انظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (٦٧/٧) ، ذكر ذلك عن أبي الحسن بن الضحاك في « شمائله » عن أبي سلمة بن عبد الرحمـٰن بن عوف رضي الله عنه ، وانظر « الإتحاف » (١٠٢/٧) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٤١٩/٤٨) ، وفي أكثر النسخ : (العصاة) بدل (القضاة) .

(٣) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٤١٩/٤٨) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٨٨) ، وفيه : (ولو سمعتَه من صبي . . قبلته منه ، ولو سمعته من أجهل الناس . . قبلته منه) ، وبلفظه هنا السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٨٦٩) بنحوه عن الداراني رحمه الله تعالىٰ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ فاتكٍ يقولُ : سُئِلَ الجنيدُ عنِ التواضعِ ، فقالَ : خفضُ الجناحِ ، ولينُ الجانبِ [1] .

وقالَ وهبٌ : مكتوبٌ في بعضِ ما أنزلَ اللهُ تعالىٰ مِنَ الكتبِ : إنِّي أخرجتُ الذَّرَّ مِنْ صلبِ آدمَ ، فلمْ أجدْ قلباً أشدَّ تواضعاً مِنْ قلبِ موسىٰ ، فلذٰلكَ اصطنعتُهُ وكلَّمتُهُ [2] .

وقالَ ابنُ المباركِ : (التكبُّرُ على الأغنياءِ والتواضعُ للفقراءِ مِنَ التواضعِ) [3] .

وقيلَ لأبي يزيدَ : متىٰ يكونُ الرجلُ متواضعاً ؟ فقالَ : إذا لمْ يرَ لنفسِهِ مقاماً ولا حالاً ، ولا يرىٰ أنَّ في الخلقِ مَنْ هوَ شرٌّ منهُ [4] .

وقيلَ : التواضعُ نعمةٌ لا يحسدُ عليها ، والكبرُ محنةٌ لا يرحمُ عليها ، والعزُّ في التواضعِ ، فمَنْ طلبَهُ في الكبرِ . . لمْ يجدْهُ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ شيبانَ يقولُ : (الشرفُ في التواضعِ ، والعزُّ في التقوىٰ ، والحريةُ في القناعةِ) [5] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ الحسنَ الساويَ يقولُ : سمعتُ ابنَ الأعرابيِّ يقولُ :

---

(١) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٣) .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٦١/٥٢) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٨٨٥) من غير ذكر الفقراء ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٠٦) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٠٠) .

(٥) أورده في « عيون الأخبار » (١/٢٦٨) من غير نسبة ، وحكاه عنه أيضاً الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٥/١٤٦) ، وفي (ج) زيادة : وأنشد :

أطعـــتُ مطامعـــي فاســـتعبدتني ولـــو أنِّـــي قنعـــتُ لكنـــتُ حـــرّا

والذي في « تاريخ بغداد » (٨/١٢٧) رواية البيت عن الحلاج .

بلغَني أنَّ سفيانَ الثوريَّ قالَ : (أعزُّ الخلقِ خمسةُ أنفسٍ : عالمٌ زاهدٌ ، وفقيهٌ صوفيٌّ ، وغنيٌّ متواضعٌ ، وفقيرٌ شاكرٌ ، وشريفٌ سُنِّيٌّ) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (التواضعُ حسنٌ في كلِّ أحدٍ ، لـٰكنَّهُ في الأغنياءِ أحسنُ ، والتكبُّرُ سمِجٌ في كلِّ أحدٍ ، لـٰكنَّهُ في الفقراءِ أسمجُ)(١) .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (التواضعُ : قَبولُ الحقِّ ممَّنْ كانَ)(٢) .

وقيلَ : ركبَ زيدُ بنُ ثابتٍ ، فدنا ابنُ عباسٍ ليأخذَ بركابِهِ ، فقالَ : مَهْ يا بنَ عمِّ رسولِ اللهِ ! فقالَ : هـٰكذا أُمِرْنا أنْ نفعلَ بكُبَرائِنا ، فقالَ زيدٌ : أَرِني يدَكَ ، فأخرجَها إليهِ ، فقبَّلَها وقالَ : هـٰكذا أُمِرْنا أنْ نفعلَ بأهلِ بيتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٣) .

وقالَ عروةُ بنُ الزبيرِ : رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ وعلىٰ عاتِقِهِ قِرْبةُ ماءٍ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لا ينبغي لكَ هـٰذا !

فقالَ : لمَّا أتاني الوُفودُ سامعينَ مطيعينَ . . دخلَتْ نفسي نخوةٌ ، فأحببتُ أنْ أكسرَها ، ومضىٰ بالقِرْبةِ إلىٰ حجرةِ امرأةٍ مِنَ الأنصارِ ، فأفرغَها في إنائِها(٤) .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ الطوسيَّ يقولُ : رُئِيَ أبو هريرةَ وهوَ أميرُ المدينةِ وعلىٰ ظهرِهِ حُزمةُ حطبٍ وهوَ يقولُ : طَرِّقوا للأميرِ(٥) .

وقالَ عبدُ اللهِ الرازيُّ : (التواضعُ : تركُ التمييزِ في الخدمةِ)(٦) .

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٨٨٦) .

(٢) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٩٦) عن مظفر القرميسيني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) روىٰ صدره الحاكم في « المستدرك » (٤٢٣/٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٧/٥) ، وبتمامه رواه الدينوري في « المجالسة » (١٣١٤) ، وانظر « جامع بيان العلم وفضله » (٥١٤/١) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (٤١٧) عن عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم رحمه الله تعالىٰ .

(٥) ورواه أبو داوود في « الزهد » (٢٨٤) .

(٦) رواه السُّلمي في « الفتوة » (ص ٨٦) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ هارونَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ العباسِ الدمشقيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحَواريِّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الدارانيَّ يقولُ : (مَنْ رأىٰ لنفسِهِ قيمةً . . لمْ يذُقْ حلاوةَ الخدمةِ)[١] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (التكبُّرُ علىٰ مَنْ تكبَّرَ عليكَ بمالِهِ . . تواضعٌ)[٢] .

وقالَ الشِّبليُّ : (ذلِّي عطَّلَ ذلَّ اليهودِ)[٣] ؛ يعني : قولَهُ تعالىٰ : ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾[٤] .

وجاءَهُ رجلٌ ، فقالَ لهُ الشِّبليُّ : ما أنتَ ؟ فقالَ : يا سيدي ؛ النقطةُ التي تحتَ الباءِ ، فقالَ : أنتَ شاهدي ما لمْ تجعلْ لنفسِكَ مقاماً[٥] .

وقالَ ابنُ عباسٍ : (مِنَ التواضعِ : أنْ يشربَ الرجلُ مِنْ سؤْرِ أخيهِ)[٦] .

وقالَ بشرٌ : (سلِّموا علىٰ أبناءِ الدنيا بتركِ السلامِ عليهِمْ)[٧] .

وقالَ شعيبُ بنُ حربٍ : بينا أنا في الطوافِ . . إذْ لَكَزَني إنسانٌ بمرفقِهِ ، فالتفتُّ ، فإذا هوَ الفضيلُ ، فقالَ : يا أبا صالحٍ ؛ إنْ كنتَ تظنُّ أنَّهُ شهدَ الموسمَ شرٌّ منِّي ومنكَ . . فبئسَ ما ظننتَ[٨] .

وقالَ بعضُهُمْ : رأيتُ في الطوافِ إنساناً بينَ يديهِ شاكريةٌ يمنعونَ الناسَ

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (١٣١/٣٤) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٠١) .

(٣) لأن ذلهم قهري كما قال تعالىٰ : ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ ، وذله عن علم بما عليه نفسه ، كما في « إحكام الدلالة » (١٧/٣) ، والخبر أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٦٢) .

(٤) قوله : (يعني : قوله تعالىٰ . . .) من (ج) وحدها ، والآية من سورة آل عمران : (١١٢) .

(٥) قوله : (أنت شاهدي) أي : حاضري ؛ يعني : حالك مستقيم . « إحكام الدلالة » (١٧/٣) ، وعند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٩٩) : (فقال له الشبلي : أباد الله تعالىٰ شاهدك ، أوَتجعل لنفسك مكاناً ؟!) .

(٦) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٩٩/٦) من حديثه رضي الله عنهما مرفوعاً ، وانظر « المقاصد » (٥٣٤) ، وأورده عنه دون رفعه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٠١) .

(٧) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٠٥) .

(٨) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٩٠٥) .

لأجلِهِ عنِ الطوافِ[١] ، ثمَّ رأيتُهُ بعدَ ذٰلكَ بمدَّةٍ علىٰ جسرِ بغدادَ يسألُ الناسَ شيئاً ، فتعجبتُ منهُ ، فقالَ لي : أنا تكبَّرتُ في موضعٍ يتواضعُ الناسُ فيه ، فابتلاني اللهُ بالتذلُّلِ في موضعٍ يرتفعُ الناسُ فيهِ[٢] .

وبلغَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ أنَّ ابناً لهُ اشترىٰ خاتماً بألفِ درهمٍ ، فكتبَ إليهِ عمرُ :

بلغَني أنَّكَ اشتريتَ فَصّاً بألفِ درهمٍ ، فإذا أتاكَ كتابي . . فبعِ الخاتمَ ، وأشبعْ بهِ ألفَ بطنٍ ، واتخذْ خاتماً مِنْ درهمينِ ، واجعلْ فَصَّهُ حديداً صينياً ، واكتبْ عليهِ : رحمَ اللهُ امرأً عرفَ قدْرَ نفسِهِ .

وقيلَ : عُرِضَ علىٰ بعضِ الأمراءِ مملوكٌ بألوفِ دراهمَ ، فلمَّا أُحضرَ الثمنُ . . استكثرَهُ ، فبدا لهُ في شرائِهِ ، فردَّ الثمنَ إلى الخِزانةِ ، فقالَ العبدُ : يا مولايَ ؛ اشترني ؛ فإنَّ فيَّ بكلِّ درهمٍ مِنْ هٰذهِ الدراهمِ خَصلةً تساوي أكثرَ مِنْ ألفِ درهمٍ[٣] ، فقالَ : وما هيَ ؟ فقالَ : أقلُّها وأدونُها ما لوِ اشتريتَني وقدَّمْتَني علىٰ جميعِ مماليكِكَ . . لا أغلُظُ في نفسي ، وأعلمُ أنِّي عبدُكَ ، فاشتراهُ .

وحُكِيَ عنْ رجاءِ بنِ حيوةَ أنَّهُ قالَ : قَوَّمْتُ ثيابَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وهوَ يخطُبُ باثني عشرَ درهماً ، وكانَ قَباءً وعِمامةً وقميصاً وسراويلَ ورداءً وخفينِ وقَلَنْسُوةً[٤] .

وقيلَ : مشىٰ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ واسعٍ مشياً لا يحمدُ ، فقالَ لهُ أبوهُ : تدري بكمِ اشتريتُ أمَّكَ ؟ بثلاثِ مئةِ درهمٍ ، وأبوكَ لا أكثرَ اللهُ في المسلمينَ مثلَهُ أباً ، وأنتَ تمشي هٰذهِ المِشْيةَ ؟![٥] .

---

(١) الشاكرية : جمع شاكري ؛ وهو الأجير والمستخدم ، معرب جاكر . انظر « تاج العروس » (ش ك ر) .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٠٣) عن محمد بن شبة رحمه الله تعالىٰ .
(٣) في (أ ، ب ، د ، ح ، ل) : (فإن فيَّ بكل ألف درهم من هٰذه . . .) .
(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٢٢/٥) .
(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٠/٢) بنحوه .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الفرَّاءَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ مَنازِلَ يقولُ : سمعتُ حمدوناً القصَّارَ يقولُ : (**التواضعُ** : أَلَّا ترىٰ لأحدٍ إلىٰ نفسِكَ حاجةً ، لا في الدينِ ولا في الدنيا)[١] .

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ : (ما سُرِرتُ في إسلامي إلَّا ثلاثَ مرَّاتٍ : **مرَّةً** كنتُ في سفينةٍ وفيها رجلٌ مِضْحَاكٌ ، كانَ يقولُ : كنَّا نأخذُ العلْجَ في بلادِ التركِ هٰكذا ؛ وكانَ يأخذُ بشَعَرِ رأسي ويهزُّني ، فسرَّني ذٰلكَ ؛ لأنَّهُ لمْ يكنْ في تلكَ السفينةِ أحدٌ أحقرَ في عينِهِ منِّي .

والآخرُ : كنتُ عليلاً في مسجدٍ ، فدخلَ المؤذِّنُ وقالَ : اخرجْ ، فلمْ أُطقْ ، فأخذَ برجلي وجرَّني إلىٰ خارجٍ .

والثالثُ : كنتُ بالشامِ وعليَّ فروٌ ، فنظرتُ فيهِ ، فلمْ أميزْ بينَ شَعَرِهِ وبينَ القُمَّلِ لكثرتِهِ ، فسرَّني ذٰلكَ)[٢] .

وفي حكايةٍ أخرىٰ عنهُ قالَ : (ما سُرِرتُ بشيءٍ كسروري أنِّي كنتُ يوماً جالساً ، فجاءَ إنسانٌ وبالَ عليَّ) .

وقيلَ : تشاجرَ أبو ذرٍّ وبلالٌ رضيَ اللهُ عنهما ، فعيَّرَ أبو ذرٍّ بلالاً بالسوادِ ، فشكاهُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « **يا أبا ذرٍّ ؛ ما علمتُ أنَّهُ قدْ بقيَ في قلبِكَ مِنْ كبْرِ الجاهلية شيءٌ** » .

فألقىٰ أبو ذرٍّ نفسَهُ ، وحلفَ أَلَّا يرفعَ رأسَهُ حتَّىٰ يطأَ بلالٌ خدَّهُ بقدمِهِ[٣] ، فلمْ يرفعْ حتَّىٰ فعلَ بلالٌ ذٰلكَ[٤] .

ومرَّ الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما بصبيانٍ معَهُمْ كِسَرُ خبزٍ ،

---

(١) في (ج) زيادة : (ولا في الآخرة) .

(٢) وخبر إخراجه من المسجد أورده مفصلاً اليافعي في « الإرشاد والتطريز » (ص ٣٠٣) .

(٣) كذا في (ج ، ي) ، وفي عامة النسخ : (وحلف لا يحمل رأسه . . .) .

(٤) كذا أورده عن ضمرة بن حبيب ابنُ بطال في « شرح البخاري » (٨٧/١) ، وأصل الحديث رواه البخاري (٣٠) ، ومسلم (١٦٦١) ، وانظر « الإتحاف » (٢٤/٨) ، وفي (أ ، ج ، ز ، ل) : (شرف) بدل (شيء) .

فاســتضافوهُ ، فنزلَ وأكلَ معَهُمْ ، ثمَّ حملَهُمْ إلىٰ منزلِهِ وأطعمَهُمْ وكساهُمْ ، وقالَ : اليدُ لهُمْ ؛ لأنَّهُمْ لمْ يجدوا غيرَ ما أطعموني ، ونحنُ نجدُ أكثرَ منهُ .

وقيلَ : قسمَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ الحُلَلَ بينَ الصحابةِ مِنْ غنيمةٍ ، فبعثَ إلىٰ معاذٍ حُلَّةً ثمينةً [١] ، فباعَها واشترىٰ ستَّةَ أعبدٍ وأعتقَهُمْ ، فبلغَ عمرَ ذٰلكَ وكانَ يقسمُ الحُلَلَ بعدَهُ ، فبعثَ إليهِ حُلَّةً دونَ ذٰلكَ ، فعاتَبَهُ معاذٌ ، فقالَ عمرُ : لأنَّكَ بعتَ الأولىٰ ، فقالَ معاذٌ : وما عليكَ ؟! ادفعْ إليَّ نصيبي ، وقدْ حلفتُ لأضربَنَّ بها رأسَكَ ، فقالَ عمرُ : ها رأسي بينَ يديكَ ، وقدْ يرفقُ الشيخُ بالشيخِ [٢] .

* * *

(١) في (ي) وهامش (ب) : (يمنية) .

(٢) رواه نحوه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٨/١٦٥) ، والصحابي عنده : هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

بابُ مخالفةِ النّفسِ وذكرِ عيوبِها

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (١) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : أخبرَنا تَمْتَامٌ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ معاويةَ النيسابوريُّ قالَ : حدَّثنا عليُّ بنُ أبي عليّ بنِ عتبةَ ابنِ أبي لهبٍ ، عنْ محمدِ بنِ المنكدرِ ، عنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أخوفُ ما أخافُ علىٰ أمَّتي اتباعُ الهوىٰ وطولُ الأملِ ؛ فأمَّا اتباعُ الهوىٰ . . فيصُدُّ عنِ الحقِّ ، وأمَّا طولُ الأملِ . . فيُنسي الآخرةَ » (٢) .

اعلمْ : أنَّ مخالفةَ النفسِ رأسُ العبادةِ ، وقدْ سُئِلَ المشايخُ عنِ الإسلامِ ؛ فقالوا : ذبحُ النفسِ بسيوفِ المخالفةِ .

واعلمْ : أنَّ مَنْ نَجَمَ طوارقُ نفسِهِ . . أَفَلَ شوارقُ أُنسِهِ (٣) .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (مفتاحُ العبادةِ : الفكرةُ ، وعلامةُ الإصابةِ : مخالفةُ النفسِ والهوىٰ ، ومخالفتُها تركُ شهواتِها) (٤) .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (النفسُ مجبولةٌ علىٰ سوءِ الأدبِ ، والعبدُ مأمورٌ بملازمةِ الأدبِ ؛ فالنفس تجري بطبعِها في ميدانِ المخالفةِ ، والعبدُ يردُّها بجهدِهِ عنْ سوءِ المطالبةِ ، فمَنْ أطلقَ عِنانَها . . فهوَ شريكُها ؛ معَها في فسادِها) .

---

(١) سورة النازعات : (٤٠ ـ ٤١) .

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٤) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٣٢) .

(٣) يعني : من طلعت آثار خواطر نفسه . . غربت من قلبه علامات أنسه بالله . « إحكام الدلالة » (٣/٢٢) .

(٤) رواه بنحوه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأَنْماطيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (النفسُ الأمَّارةُ بالسوءِ : هيَ الداعيةُ إلى المهالكِ ، المعينةُ للأعداءِ ، المتبعةُ للهوىٰ ، المتَّهَمةُ بأصنافِ الأسواءِ)[١] .

وقالَ أبو حفصٍ : (مَنْ لمْ يتَّهمْ نفسَهُ علىٰ دوامِ الأوقاتِ ، ولمْ يخالِفْها في جميعِ الأحوالِ ، ولمْ يجرَّها إلىٰ مكروهِها في سائرِ أيامِهِ . . كانَ مغروراً ، ومَنْ نظرَ إليها باستحسانِ شيءٍ منها . . فقدْ أهلكَها)[٢] .

وكيفَ يصحُّ لعاقلٍ الرضا عنْ نفسِهِ والكريمُ ابنُ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابنِ الكريمِ يقولُ : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ ؟![٣] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ مُقْسمٍ ببغدادَ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ يقولُ : قالَ الجنيدُ : أرقتُ ليلةً ، فقمتُ إلىٰ وِرْدي ، فلمْ أجدْ ما كنتُ أجدُ مِنَ الحلاوةِ ، فأردتُ أنْ أنامَ فلمْ أقدرْ عليهِ ، فقعدتُ فلمْ أطقِ القعودَ ، ففتحتُ البابَ وخرجتُ ، فإذا رجلٌ ملتفٌّ في عباءةٍ مطروحٌ على الطريقِ ، فلمَّا أحسَّ بي . . رفعَ رأسَهُ وقالَ : يا أبا القاسمِ ؛ إلى الساعةِ ؟! فقلتُ : يا سيِّدي مِنْ غيرِ موعدٍ ؟ فقالَ : بلىٰ ، سألتُ محرِّكَ القلوبِ أنْ يحرِّكَ لي قلبَكَ ، فقلتُ : قدْ فعلَ ، فما حاجتُكَ ؟

فقالَ : متىٰ يصيرُ داءُ النفسِ دواءَها ؟

فقلتُ : إذا خالفَتِ النفسُ هواها . . صارَ داؤُها دواءَها .

فأقبلَ علىٰ نفسِهِ وقالَ : اسمعي ، قدْ أجبتُكِ بهـٰذا الجوابِ سبعَ مرَّاتٍ ، فأبيتِ إلَّا أنْ تسمعيهِ مِنَ الجنيدِ ، فقدْ سمعتِ ، وانصرفَ عنِّي ولمْ أعرفْهُ ولمْ أقفْ عليهِ[٤] .

---

(١) ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٢/١٣) .

(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٣٤٣/١) .

(٣) سورة يوسف : (٥٣) .

(٤) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٢٤) ، ويجوز تسهيل (دواءَها) مراعاة للسجعة .

وقالَ أبو بكرٍ الطمستانيُّ : (النعمةُ العظمى : الخروجُ مِنَ النفسِ ؛ لأنَّ النفسَ أعظمُ حجابٍ بينَكَ وبينَ اللهِ تعالىٰ)[1] .

وقالَ سهلٌ : (ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ مثلِ مخالفةِ النفسِ والهوىٰ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأنماطيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ وسُئِلَ عنْ أقربِ شيءٍ إلىٰ مقتِ اللهِ تعالىٰ ، فقالَ : رؤيةُ النفسِ وأحوالِها ، وأشدُّ مِنْ ذٰلكَ مطالعةُ الأعواضِ علىٰ أفعالِها[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاصَ يقولُ : كنتُ في جبلِ لُكامٍ ، فرأيتُ رمَّاناً فاشتهيتُهُ ، فدنوتُ منهُ ، فأخذتُ منهُ واحداً ، فشققتُهُ فوجدتُهُ حامضاً ، فمضَيتُ وتركتُ الرمَّانَ ، فرأيتُ رجلاً مطروحاً قدِ اجتمعَ عليهِ الزنابيرُ ، فقلتُ : السلامُ عليكَ ، فقالَ : وعليكَ السلامُ يا إبراهيمُ ، فقلتُ : كيفَ عرفتَني ؟! فقالَ : مَنْ عرفَ اللهَ لا يخفىٰ عليهِ شيءٌ ، فقلتُ : أرىٰ لكَ حالاً معَ اللهِ ، فلوْ سألتَهُ أنْ يحميَكَ ويقيَكَ الأذىٰ مِنْ هٰذهِ الزنابيرِ ! فقالَ : وأرىٰ لكَ حالاً معَ اللهِ ، فلوْ سألتَهُ أنْ يقيَكَ شهوةَ الرمَّانِ ؛ فإنَّ لدْغَ الرمَّانِ يجدُ الإنسانُ ألَمَهُ في الآخرةِ ، ولدغَ الزنابيرِ يجدُ ألَمَهُ في الدنيا ، فتركتُهُ ومضَيتُ[3] .

ويحكىٰ عنْ إبراهيمَ بنِ شيبانَ أنَّهُ قالَ : ما بِتُّ تحتَ سقفٍ ولا في موضعٍ عليهِ غَلَقٌ أربعينَ سنةً ، وكنتُ أشتهي في أوقاتٍ أنْ أتناولَ شُبعةَ عدسٍ ، فلمْ يتفقْ .

وكنتُ وقتاً بالشامِ ، فحُمِلَ إليَّ غَضارةٌ فيها عدسٌ[4] ، فتناولتُ منهُ

---

(١) أورده السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٧٢) ، وتقدم (ص ٢٢٢) .

(٢) ورواه البيهقي في « الزهد » (٣٣٠) ، ومن مطالعة الأعواض ما أوجبته القدرية من استحقاق الأجر .

(٣) ورواه البيهقي في « الشعب » (٥٣٥٠) ، و« الزهد الكبير » (٣٥٧) .

(٤) الغضارة : آنية من طين يقال له : الغَضار ، ومنه تصنع آنية الخزف .

وخرجتُ ، فرأيتُ قواريرَ معلَّقةً فيها شيءٌ شبهُ نَمُوذجاتٍ ، فظننتُهُ خلاً ، فقالَ لي بعضُ الناسِ : أيشٍ تنظرُ ؟! هٰذهِ نموذجاتُ الخمرِ ، وهٰذهِ الدِّنانُ خمرٌ .

فقلتُ في نفسي : لزمَني فرضٌ ، فدخلتُ حانوتَ الخمَّارِ ، ولمْ أزلْ أصُبُّ تلك الدنانَ وهوَ يتوهَّمُ أنِّي أصبُّهُ بأمرِ السلطانِ ، فلمَّا علمَ .. حملَني إلى ابنِ طُولونَ ، فأمرَ بضربي مئتَيْ خشبةٍ ، وطرحَني في السجنِ ، وبقيتُ مدَّةً ، حتَّىٰ دخلَ أبو عبدِ اللهِ المغربيُّ أستاذي ذٰلكَ البلدَ ، فتشفَّعَ لي ، فلمَّا وقعَ بصرُهُ عليَّ .. قالَ : أيشٍ فعلتَ ؟ فقلتُ : شُبْعةَ عدسٍ ومئتَيْ خشبةٍ ! فقالَ : نجوتَ مجَّاناً(١) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (إنَّ نفسي تطالبُني منذُ ثلاثينَ سنةً أوْ أربعينَ سنةً أنْ أغمسَ جزرةً في دِبْسٍ ، فما أطعمتُها)(٢) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ جدِّي يقولُ : (آفةُ العبدِ : رضاهُ مِنْ نفسِهِ بما هوَ فيهِ)(٣) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ عليٍّ القُومسيَّ يقولُ : وجَّهَ عصامُ بنُ يوسفَ البلخيُّ شيئاً إلىٰ حاتِمٍ الأصمِّ ، فقبلَهُ ، فقيلَ لهُ : لمَ قبلتَهُ ؟!

فقالَ : وجدتُ في أخذِهِ ذلِّي وعزَّهُ ، وفي ردِّهِ عزِّي وذلَّهُ ، فاخترتُ عزَّهُ علىٰ عزِّي ، وذلِّي علىٰ ذلِّهِ(٤) .

---

(١) رواه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧١) ، والشُّبْعة ـ بضم الشين ـ : قدر ما يشبع مرَّة .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١١٦/١٠) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤١٩) ، وفي (ي) : (فما أطعمتها) .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٣٣٢) ، وجدُّه : هو الإمام إسماعيل بن نُجيد .

(٤) ورواه السُّلمي في « الفتوة » (ص ٨٦) ، والقومسي : نسبة إلىٰ ناحية علىٰ طريق خراسان يقال لها : كومش ، وفي بعض النسخ : (القرميسيني) .

وقيلَ لبعضِهِمْ : إنِّي أريدُ أنْ أحجَّ على التجريدِ ، فقالَ : جرِّدْ أوَّلاً قلبَكَ عنِ السهوِ ، ونفسَكَ عنِ اللهوِ ، ولسانَكَ عنِ اللغوِ ، ثمَّ اسلُكْ حيثُ شئتَ[1] .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (مَنْ أحسنَ في ليلِهِ . . كُوفِئَ في نهارِهِ ، ومَنْ أحسنَ في نهارِهِ . . كُوفِئَ في ليلِهِ ، ومَنْ صدقَ في تركِ شهوةٍ . . كُفِيَ مؤنتَها ، واللهُ أكرمُ مِنْ أنْ يعذِّبَ قلباً تركَ شهوةً لأجلِهِ)[2] .

وأوحى اللهُ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : يا داوودُ ؛ حذِّرْ وأنذرْ أصحابَكَ أكلَ الشهواتِ ؛ فإنَّ القلوبَ المعلَّقةَ بشهواتِ الدنيا عقولُها عنِّي محجوبةٌ[3] .

ورُئِيَ رجلٌ جالساً في الهواءِ ، فقيلَ لهُ : بمَ نلتَ هٰذا ؟ فقالَ : تركتُ الهوىٰ ، فسخَّرَ لي الهوا[4] .

وقيلَ : لوْ عرضَ للمؤمنِ ألفُ شهوةٍ . . لأخرجَها بالخوفِ ، ولوْ عرضَتْ للفاجرِ شهوةٌ واحدةٌ . . لأخرجَتْهُ مِنَ الخوفِ[5] .

وقيلَ : لا تضعْ زِمامَكَ في يدِ الهوىٰ ؛ فإنَّهُ يقودُكَ إلى الظلمةِ[6] .

وقالَ يوسفُ بنُ أسباطٍ : (لا يمحو الشهواتِ مِنَ القلبِ إلَّا خوفٌ مزعجٌ ، أوْ شوقٌ مقلقٌ)[7] .

وقالَ الخوَّاصُ : (مَنْ تركَ شهوةً فلمْ يجدْ عوضَها في قلبِهِ . . فهوَ كاذبٌ في تركِها)[8] .

---

(١) والمسؤول : هو شيبان بن علي المصري ، والخبر أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧٢) ، وفيه وفي (أ) : (الشهوة) بدل (السهو) .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧٣) ، وتقدم (ص ١٣٣) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/٢٦٠) .
(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧٤) ، والرائي : هو الشبلي .
(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧٥) عن حوشب .
(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧٥) ، وتمامه : (لأنه خلق من الظلمة) .
(٧) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٠٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٦١) .
(٨) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧٦) .

وقالَ جعفرُ ابنُ نُصيرٍ : دفعَ إليَّ الجنيدُ درهماً وقالَ : اشترِ بهِ التينَ الوزيريَّ ، فاشتريتُهُ ، فلمَّا أفطرَ . . أخذَ واحداً ووضعَهُ في فيهِ ، ثمَّ ألقاهُ وبكىٰ ، وقالَ : احملْهُ ، فقلتُ لهُ في ذٰلكَ ! فقالَ : هتفَ في قلبي : أما تستحيي ؟! تركتَها مِنْ أجلي ثمَّ تعودُ إليها ؟![1] .

وأنشدوا : [من الكامل]

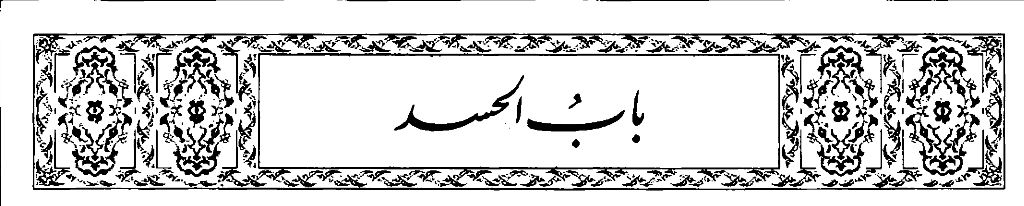
نُـونُ ٱلْهَـوَانِ مِـنَ ٱلْهَـوَىٰ مَسْـرُوقَةٌ ... وَصَرِيـعُ كُلِّ هَـوىً صَرِيـعُ هَـوَانِ[2]

❀ ❀ ❀

واعلمْ : أنَّ للنفسِ أخلاقاً ذميمةً ؛ فمنها : الحسدُ .

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧٦) ، وفي (ج) : (تركتها من أجلي منذ ثلاثين سنة ثم . . .) .

(٢) بنحوه في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٠٣) لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي .



بابُ الحسد

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ (١) ، ثم قالَ : ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٢) ، فختمَ السورةَ التي جعلَها عُوذَةً بذكرِ الحسدِ .

أخبرَنا أبو الحسنِ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ مخلدٍ قالَ : حدَّثَنا معافى بنُ عمرانَ ، عنِ الحارثِ بنِ شهابٍ ، عنْ معبدٍ ، عنْ أبي قلابةَ ، عنِ ابنِ مسعودٍ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « **ثلاثٌ هنَّ أصلُ كلِّ خطيئةٍ ، فاتقوهُنَّ واحذروهُنَّ** :

إيَّاكُمْ والكبرَ ؛ فإنَّ إبليسَ حملَهُ الكبرُ علىٰ ألَّا يسجدَ لآدمَ .

وإيَّاكُمْ والحرصَ ؛ فإنَّ آدمَ حملَهُ الحرصُ علىٰ أنْ أكلَ مِنَ الشجرةِ .

وإيَّاكُمْ والحسدَ ؛ فإنَّ ٱبنَيْ آدمَ إنَّما قتلَ أحدُهُما صاحبَهُ حسداً » (٣) .

وقالَ بعضُهُمْ : **الحاسدُ جاحدٌ ؛ لأنَّهُ لا يرضىٰ بقضاءِ الواحدِ .**

وقيلَ : **الحسودُ لا يسودُ .**

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (٤) قيلَ : **ما بطنَ : الحسدُ .**

وفي بعضِ الكتبِ : **الحاسدُ عدوُّ نعمتي** (٥) .

---

(١) سورة الفلق : (١) .

(٢) سورة الفلق : (٤) .

(٣) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٩/٤٩) وقال : (الصواب : الحارث بن نبهان ، والنضر بن معبد) .

(٤) سورة الأعراف : (٣٣) .

(٥) رواه الدينوري في « المجالسة » (٦٥٨) عن ابن أبجر رحمه الله تعالىٰ ، وتمامه : (متسخِّط لقضائي ، غير راضٍ بقسمي بين عبادي) .

وقيلَ : أثرُ الحسدِ يتبيَّنُ فيكَ قبلَ أنْ يتبيَّنَ في عدوِّكَ .

وقالَ الأصمعيُّ : رأيتُ أعرابياً أتىٰ عليهِ مئةٌ وعشرونَ سنةً ، فقلتُ : ما أطولَ عمرَكَ ! فقالَ : تركتُ الحسدَ فبقِيتُ[1] .

وقالَ ابنُ المباركِ : (الحمدُ للهِ الذي لمْ يجعلْ في قلبِ أميري ما جعلَ في قلبِ حاسدي) .

وفي بعضِ الآثارِ : إنَّ في السماءِ الخامسةِ ملكاً يمرُّ بهِ عملُ عبدٍ لهُ ضوءٌ كضوءِ الشمسِ ، فيقولُ : قفْ ؛ فأنا ملكُ الحسدِ ، اضربْ بهِ وجهَ صاحبِهِ ؛ فإنَّهُ حاسدٌ[2] .

وقالَ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ : (كلُّ إنسانٍ أقدرُ علىٰ أنْ أُرضيَهُ إلَّا الحاسدَ ؛ فإنَّهُ لا يُرضيهِ إلَّا زوالُ النعمةِ)[3] .

ويُقالُ : الحسدُ ظالمٌ غَسوفٌ[4] ، لا يُبقي ولا يَذرُ .

وقالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ : (ما رأيتُ ظالماً أشبهَ بمظلومٍ مِنَ الحاسدِ ؛ غمٌّ دائمٌ ، ونَفَسٌ متتابعٌ)[5] .

وقيلَ : مِنْ علاماتِ الحاسدِ : أنْ يتملَّقَ إذا شهدَ ، ويغتابَ إذا غابَ ، ويشمتَ بالمصيبةِ إذا نزلَتْ[6] .

وقالَ معاويةُ رضيَ اللهُ عنهُ : (ليسَ في خلالِ الشرِّ خَلَّةٌ أعدلَ مِنَ الحسدِ ؛ يقتلُ الحاسدَ غمّاً قبلَ المحسودِ)[7] .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ سليمانَ بنِ داوودَ عليهِما السلامُ : أوصيكَ

---

(١) رواه الدينوري في « المجالسة » (٦٦٠) .

(٢) قطعة من خبر طويل رواه ابن المبارك في « الزهد » ، وانظر « الإتحاف » (٨/٢٦٦) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٦٥٧) .

(٤) الغسوف : الظلوم ، وفي (ح) مصححاً : (الحاسد) بدل (الحسد) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٢١١) عن الخليل بن أحمد بنحوه .

(٦) أورده المبرد في « الفاضل » (ص ١٠٠) .

(٧) أورده عنه المبرد في « الفاضل » (ص ١٠٠) .

بسبعةِ أشياءَ : لا تغتابَنَّ صالحَ عبادي ، ولا تحسُدَنَّ أحداً مِنْ عبادي ، فقالَ سليمانُ : يا ربِّ ؛ حسبي [1] .

وقيلَ : رأىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ رجلاً عندَ العرشِ ، فغبطَهُ ، فقالَ : ما صفتُهُ ؟ فقيلَ : كانَ لا يحسُدُ الناسَ علىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فضلِهِ [2] .

وقيلَ : الحاسدُ إذا رأىٰ نعمةً . . بُهِتَ ، وإذا رأىٰ عثرةً . . شَمِتَ [3] .

وقيلَ : إذا أردتَ أنْ تسلمَ مِنَ الحاسدِ . . فلبِّسْ عليهِ أمرَكَ [4] .

وقيلَ : الحاسدُ مغتاظٌ علىٰ مَنْ لا ذنبَ لهُ ، بخيلٌ بما لا يملكُهُ [5] .

وقيلَ : إيَّاكَ أنْ تتعنَّىٰ في مودَّةِ مَنْ يحسُدُكَ ؛ فإنَّهُ لا يقبلُ إحسانَكَ .

وقيلَ : إذا أرادَ اللهُ أنْ يُسلِّطَ علىٰ عبدٍ عدوّاً لا يرحمُهُ . . سلَّطَ عليهِ حاسدَهُ .

وأنشدوا : [من المتقارب]

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِٱمْرِئٍ ... تَرَىٰ حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَا [6]

وأنشدوا : [من البسيط]

كُلُّ ٱلْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَىٰ إِمَاتَتُهَا ... إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ [7]

وقالَ ابنُ المعتزِّ : [من الكامل]

قُلْ لِلْحَسُودِ إِذَا تَنَفَّسَ طَعْنَةً ... يَا ظَالِماً وَكَأَنَّهُ مَظْلُومُ [8]

---

(١) بنحوه رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧١) .
(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٣٤٦) ، والدينوري في « المجالسة » (١٧٤٦) .
(٣) أورده المبرد في « الفاضل » (ص ١٠٠) .
(٤) رواه الدينوري في « المجالسة » (٦٥٦) .
(٥) حكاه الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٢) .
(٦) هو في « الموشَّىٰ » (ص ٥) ، وفي (أ ، ج ، ل) : (يرىٰ) بدل (ترىٰ) .
(٧) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٢١٣) عن الأصمعي من غير نسبة .
(٨) انظر « ديوانه » (٤١١/٢) ، وفيه : (صعدة) بدل (طعنة) .

وأنشدوا : [من الكامل]

وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ نَشْــــرَ فَضِيلَـــةٍ ... طُوِيَــتْ أَتَــاحَ لَهَــا لِسَــانَ حَسُــودِ (١)

❀ ❀ ❀

ومِنَ الأخلاقِ المذمومةِ للنفسِ : اعتيادُ الغِيبةِ .

---

(١) هو لأبي تمام ضمن قصيدة . انظر « ديوانه » (٣٩٧/١) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » شارحاً للبيت : (أي : إن الحاسد لا يزال يذكر النعم التي على الخلق ، ويذيع ما هم فيه من النعم للناس ؛ لأن همته متعلقة بالبحث عن النعم ؛ ليتمَّ له الحسد ؛ لأن الحسد إنما يكون عن النعم ، فمن كانت من الناس له فضائل وخيرات ، وهو يسترها بجهده ، ويخفيها عن غيره ؛ فإذا أراد الله إظهارها للناس . . وكَّلَ بها حاسداً يبحث عن تفاصيلها ، ويذكرها قصداً لإزالتها ، ويكون نشره لها تكريره لذكرها) .

بابُ الغِيبة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (١) .

أخبرَنا أبو سعيدٍ محمدُ بنُ إبراهيمَ الإسماعيليُّ قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ بنِ الخليلِ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ الحسنِ قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ عيسى ابنِ بنتِ داوودَ بنِ أبي هندٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ أبي حميدٍ ، عنْ موسى بنِ وردانَ ، عنْ أبي هريرةَ : أنَّ رجلاً قامَ وهوَ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالسٌ ، فقالَ بعضُ القومِ : ما أعجزَ فلاناً ! فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أكلتُمْ أخاكُمْ واغتبتموهُ » (٢) .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : مَنْ ماتَ تائباً مِنَ الغيبةِ . . فهوَ آخرُ مَنْ يدخلُ الجنةَ ، ومَنْ ماتَ مصرّاً عليها . . فهوَ أوَّلُ مَنْ يدخلُ النارَ .

وقالَ عوفٌ : دخلتُ على ابنِ سيرينَ ، فتناولتُ الحجَّاجَ ، فقالَ ابنُ سيرينَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ حَكَمٌ عَدلٌ ، فكما يأخذُ مِنَ الحجَّاجِ . . يأخذُ للحجَّاجِ ، وإنَّكَ إذا لقِيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ غداً . . كانَ أصغرُ ذنبٍ أصبتَهُ أشدَّ عليكَ مِنْ أعظمِ ذنبٍ أصابَهُ الحجَّاجُ (٣) .

وقيلَ : دُعِيَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ إلىٰ دعوةٍ ، فحضرَ ، فذكروا رجلاً لمْ يأتِهمْ ،

---

(١) قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ مثبت من (ي) ، والآية من سورة الحجرات : (١٢) .

(٢) ورواه ابن وهب في « جامعه » (٢٧٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٦١) ، وانظر « مجمع الزوائد » (١٣١٧١) والمعنىٰ : أنه كان جالساً معه عليه السلام ، فرأوا له عند قيامه عجزاً .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « التوبة » (٤١) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٥٤) من غير ذكر عوف .

وقالوا : إنَّهُ ثقيلٌ ، فقالَ إبراهيمُ : إنَّما فعلَ بي هـٰذا نفسي ؛ حيثُ حضرتُ موضعاً يُغتابُ فيهِ الناسُ ، فخرجَ ولمْ يأكلْ ثلاثةَ أيامٍ .

وقيلَ : مثلُ الذي يغتابُ الناسَ كمثلِ مَنْ نصبَ منجنيقاً ، يرمي بهِ حسناتِهِ شرقاً وغرباً ، يغتابُ واحداً خراسانياً ، وآخرَ حجازياً ، وآخرَ تركياً ، فيفرّقُ حسناتِهِ ، فيقومُ ولا شيءَ معَهُ .

وقيلَ : يُؤتَى العبدُ يومَ القيامةِ كتابَهُ ولا يرىٰ فيهِ حسنةً ، فيقولُ : أينَ صلاتي وصيامي وطاعاتي ؟! فيُقالُ : ذهبَ عملُكَ كلُّهُ باغتيابِكَ للناسِ(1) .

وقيلَ : مَنِ اغتيبَ بغِيبةٍ . . . غفرَ اللهُ لهُ نصفَ ذنوبِهِ(2) .

وقالَ سفيانُ بنُ حسينٍ : كنتُ جالساً عندَ إياسِ بنِ معاويةَ ، فنلتُ مِنْ إنسانٍ ، فقالَ : هلْ غزوتَ العامَ التركَ والرومَ ؟ فقلتُ : لا ، فقالَ : سَلِمَ منكَ التركُ والرومُ ، وما سَلِمَ منكَ أخوكَ المسلمُ ؟!(3) .

وقيلَ : يُعطَى الرجلُ كتابَهُ ، فيرىٰ فيهِ حسناتٍ لمْ يعملْها ، فيُقالُ لهُ : هـٰذا بما اغتابَكَ الناسُ وأنتَ لا تشعرُ(4) .

وسُئِلَ سفيانُ الثوريُّ عنْ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ يبغضُ أهلَ البيتِ اللحميينَ » ، فقالَ : همُ الذينَ يغتابونَ الناسَ ، يأكلونَ لحومَهُمْ(5) .

وذُكِرتِ الغِيبةُ عندَ ابنِ المباركِ ، فقالَ : لوْ كنتُ مغتاباً أحداً . . لَاغتبتُ والديَّ ؛ لأنَّهُما أحقُّ بحسناتي .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (ليكنْ حظُّ المؤمنِ منكَ ثلاثَ خصالٍ : إنْ لمْ

---

(1) روىٰ نحوه مرفوعاً من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (١٩٩) .

(2) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٧٤٠) عن عطاء الخراساني رحمه الله تعالىٰ .

(3) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٣٥١) بنحوه .

(4) بنحوه روى البيهقي في « الشعب » (٦٣١٢) عن عبد الرحمـٰن بن مهدي رحمه الله تعالىٰ .

(5) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٧٣٩) ، والدينوري في « المجالسة » (١١٧٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/٧٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٨٨) .

تنفعْــهُ . . فلا تضرُّهُ ، وإنْ لمْ تسـرُّهُ . . فــلا تَغُمُّهُ ، وإنْ لــمْ تمدحْهُ . . فلا تذُمُّهُ)[1] .

وقيلَ للحسنِ البصريِّ : إنَّ فلاناً اغتابَكَ ، فبعثَ إليهِ طبقَ حلواءَ وقالَ : بلغَني أنَّكَ أهديتَ إليَّ حسناتِكَ ، فكافأتُكَ .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عمرٍو القَطَوانيُّ قالَ : حدَّثَنا سهلُ بنُ عثمانَ العسكريُّ قالَ : حدَّثنا الربيعُ بنُ بدرٍ ، عنْ أبانٍ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ ألقىٰ جِلْبابَ الحياءِ . . فلا غِيبةَ لهُ »[2] .

سـمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ السـهميَّ يقولُ : سـمعتُ أبا طاهرٍ محمدَ بنَ أسـيدٍ الدقيَّ يقولُ : سـمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : قالَ الجنيدُ : كنتُ جالسـاً في مسـجدِ الشُّـونيزيةِ أنتظرُ جنازةً أصلِّي عليها ، وأهلُ بغدادَ علـىٰ طبقاتِهِـمْ جلوسٌ ينتظـرونَ الجنازةَ ، فرأيـتُ فقيراً عليهِ أثرُ النسـكِ يسـألُ الناسَ ، فقلتُ في نفسـي : لوْ عملَ هٰذا عملاً يصونُ بهِ نفسَهُ . . كانَ أجملَ بهِ .

فلمَّا انصرفتُ إلىٰ منزلي وكانَ لي شـيءٌ مِنَ الـوِرْدِ بالليلِ حتَّى البكاءِ والصـلاةِ وغيرِهِ . . فثقُلَ عليَّ جميعُ أورادي ، فسـهِرتُ وأنا قاعدٌ ، فغلبَتْني عينـي ، فرأيـتُ ذٰلكَ الفقيرَ جاؤوا بهِ علـىٰ خِوانٍ ممدودٍ وقالـوا لي : كُلْ لحمَـهُ ؛ فقدِ اغتبتَهُ ، وكشـفَ لـي عنِ الحـالِ ، فقلتُ : ما اغتَبتُـهُ ، إنَّما قلتُ في نفسـي شـيئاً ، فقيلَ لي : ما أنتَ ممَّنْ يُرضىٰ منكَ بمثلِهِ ، اذهبْ فاستحلَّهُ .

فأصبحتُ ، ولمْ أزلْ أتردَّدُ حتَّىٰ رأيتُهُ في موضعٍ يلتقطُ مِنَ الماءِ عندَ ترادِّ

---

(١) رواه الخطيب في « الزهد » (٩١) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (١٠٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٢/٦٥) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/٣٩٣) .

الماءِ أوراقاً مِنَ البقلِ ممَّا تساقطَ مِنْ غسلِ البقلِ[1] ، فسلَّمتُ عليهِ ، فقالَ : يا أبا القاسمِ ؛ تعودُ ؟ فقلتُ : لا ، فقالَ : غفرَ اللهُ لنا ولكَ[2] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا طاهرٍ الإسفرايينيَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ البلخيَّ يقولُ : كانَ عندَنا شابٌّ مِنْ أهلِ بلخَ ، وكانَ يجتهدُ ويتعبَّدُ ، إلَّا أنَّهُ كانَ أبداً يغتابُ الناسَ ويقولُ : فلانٌ كذا ، وفلانٌ كذا .

فرأيتُهُ يوماً عندَ المخنَّثينَ الغسَّالينَ خرجَ مِنْ عندِهِمْ ، فقلتُ : يا فلانُ ؛ ما حالُكَ ؟

فقالَ : تلك الوقيعةُ في الناسِ أوقعَتْني إلىٰ هـٰذا ، ابتُلِيتُ بمخنَّثٍ مِنْ هـٰؤلاءِ ، وأنا هوَ ذا أخدمُهُمْ مِنْ أجلِهِ ، وتلكَ الأحوالُ كلُّها قدْ ذهبَتْ ، فادعُ لي لعلَّ اللهَ يرحمُني .

❋ ❋ ❋

(١) في (أ) فقط : (تزايد) بدل (ترادّ) ، وكلاهما مناسب .

(٢) وروىٰ نحوه الخطيب في « تاريخه » (٦/٢٠٨) عن إبراهيم الآجري الكبير رحمه الله تعالىٰ ، وإنما عُدَّ فعل الجنيد غيبة مع أنه في الأصل سوءُ ظن . . لكون هـٰذا الفقير قد كوشف بما في صدر الجنيد ، فوقعت الأذية التي هي أسُّ الغيبة ، كذا أفاده العلامة اللخمي ، وقال : (وما جرىٰ للجنيد من القلق وعدم النشاط لورده ، والإتيان بصورة الفقير علىٰ خوان وقيل له : كل لحمه لأنك اغتبته . . كل ذٰلك إكراماً للجنيد ؛ ليتخلَّص من هـٰذا في دنياه) .

بابُ القناعة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [1] .

قالَ كثيرٌ مِنْ أهلِ التفسيرِ : **الحياةُ الطيِّبةُ في الدنيا : هيَ القناعةُ** [2] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا أبو عمرٍو محمدُ بنُ جعفرِ ابنِ مطرٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ موسى الحلوانيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ الغفاريُّ ، عنِ المنكدرِ بنِ محمدٍ ، عنْ أبيهِ ، عنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **القناعةُ كنزٌ لا يفنىٰ** » [3] .

أخبرَنا أبو الحسنِ الأَهْوازيُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ أيوبَ القربيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو الربيعِ الزهرانيُّ قالَ : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ زكريا ، عنْ أبي رجاءٍ ، عنْ بردِ بنِ سنانٍ ، عنْ مكحولٍ ، عنْ واثلةَ بنِ الأسقعِ ، عنْ أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **كنْ وَرِعاً . . تكنْ أعبدَ الناسِ ، وكنْ قنِعاً . . تكنْ أشكرَ الناسِ ، وأحِبَّ للناسِ ما تحبُّ لنفسِكَ . . تكنْ مؤمناً ، وأحسنْ مجاورةَ مَنْ جاورَكَ . . تكنْ مسلماً ، وأقلَّ الضحكَ ؛ فإنَّ كثرةَ الضحكِ تميتُ القلبَ** » [4] .

---

(١) سورة النحل : (٩٧) .

(٢) كسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما . انظر « الدر المنثور » (١٦٤/٥) ، وهو تفسير الحكيم الترمذي كما في « نوادر الأصول » (٣١٧/٤) .

(٣) كذا رواه المصنف بهٰذا اللفظ في عامة النسخ ، وفي (ب) : « القناعة مال لا يفنىٰ » ، وقد رواه الطبراني في « الأوسط » (٦٩١٨) ، وابن عدي في « الكامل » (٣١٧/٥) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٦٣) بلفظ : « القناعة مال لا ينفد » ، ولمعناه شواهد كثيرة ، وانظر « المقاصد الحسنة » (٧٧٩) .

(٤) ورواه ابن ماجه (٤٢١٧) ، وانظر « الإتحاف » (١٦٠/٨) .

وقيلَ : الفقراءُ أمواتٌ إلَّا مَنْ أحياهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بعزِّ القناعةِ .

وقالَ بشرٌ الحافي : (القناعةُ مَلَكٌ لا يسكنُ إلَّا في قلبِ مؤمنٍ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الشعرانيَّ يقولُ : سمعتُ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ بنِ أبي حسانَ الأَنماطيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحَواريِّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الدارانيَّ يقولُ : (القناعةُ مِنَ الرضا بمنزلةِ الورعِ مِنَ الزهدِ ؛ هٰذا أَوَّلُ الرضا ، وهٰذا أَوَّلُ الزُّهدِ)[1] .

وقيلَ : القناعةُ : السكونُ عندَ عدمِ المألوفاتِ[2] .

وقالَ أبو بكرٍ المَرَاغيُّ : (العاقلُ مَنْ دَبَّرَ أمرَ الدنيا بالقناعةِ والتسويفِ)[3] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (القناعةُ : تركُ التشوُّفِ إلى المفقودِ ، والاستغناءُ بالموجودِ)[4] .

وقيلَ في معنىٰ قولِهِ : ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾[5] : يعني : القناعةَ[6] .

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ الترمذيُّ : (القناعةُ : رضا النفسِ بما قسمَ لها مِنَ الرزقِ) .

ويُقالُ : القناعةُ : الاكتفاءُ بالموجودِ ، وزوالُ الطمعِ فيما ليسَ بحاصلٍ .

وقالَ وهبٌ : (إنَّ العزَّ والغنىٰ خرجا يجولانِ ، فلقيا القناعةَ ، فاستقرَّا)[7] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله » (١٠٣) ، وابن الأعرابي في « الزهد » (ص ٢٦) .

(٢) يقال : عُدْم وعَدَم ؛ بمعنىٰ فقدان الشيء .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي (ي) و« إحكام الدلالة » (٤٢/٣) زيادة : (وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل ، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد) .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٨/٥٢) .

(٥) سورة الحج : (٥٨) .

(٦) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦/٢) عن أبي عثمان رحمه الله تعالىٰ .

(٧) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧٨/١١) ، وتحرَّف (العز والغنىٰ) إلى (الغناء والشعر) .

وقيلَ : مَنْ كانَتْ قناعتُهُ سمينةً . . طابَتْ لهُ كلُّ مَرَقةٍ ، ومَنْ رجعَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ علىٰ كلِّ حالٍ . . رزقَهُ اللهُ القناعةَ .

وقيلَ : مرَّ أبو حازمٍ بقصَّابٍ ، معَهُ لحمٌ سمينٌ ، فقالَ : خُذْ يا أبا حازمٍ ؛ فإنَّهُ سمينٌ ، فقالَ : ليسَ معي درهمٌ ، فقالَ : أنا أُنْظِرُكَ ، فقالَ : نفسي أحسنُ نَظِرَةً لي منكَ[1] .

وقيلَ : مَنْ أقنعُ الناسِ ؟ فقيلَ : أكثرُهُمْ للناسِ معونةً ، وأقلُّهُمْ عليهِمْ مؤونةً .

وفي الزبورِ : القانعُ غنيٌّ وإنْ كانَ جائعاً .

وقيلَ : وضعَ اللهُ تعالىٰ خمسةَ أشياءَ في خمسةِ مواضعَ : العزَّ في الطاعةِ ، والذلَّ في المعصيةِ ، والهيبةَ في قيامِ الليلِ ، والحكمةَ في البطنِ الخالي ، والغنىٰ في القناعةِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ نصرَ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ سليمانَ بنَ أبي سليمانَ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ بنَ أبي نزارٍ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ المارستانيَّ يقولُ : (انتقمْ مِنْ حرصِكَ بالقناعةِ كما تنتقمُ مِنْ عدوِّكَ بالقصاصِ) .

وقـالَ ذو النونِ : (مَنْ قَنِعَ . . اسـتراحَ مِـنْ أهلِ زمانِهِ ، واسـتطالَ علىٰ أقرانِهِ) .

وقيلَ : مَنْ قنِعَ . . استراحَ مِنَ الشغلِ ، واستطالَ على الكلِّ .

وقالَ الكَتَّانيُّ : (مَنْ باعَ الحرصَ بالقناعةِ . . ظفرَ بالعزِّ والمروءةِ)[2] .

وقيلَ : مَنْ تبعَتْ عيناهُ ما في أيدي الناسِ . . طالَ حزنُهُ .

وأنشدوا : [من الوافر]

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٨/٢٢) من طريق ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٢) .

وَأَحْسَنُ بِٱلْفَتَىٰ مِنْ يَوْمِ عَارٍ   يَنَالُ بِهِ ٱلْغِنَىٰ كَرَمٌ وَجُوعُ[1]

وقيلَ : رأىٰ رجلٌ حكيماً يأكلُ ما تساقطَ مِنَ البقلِ علىٰ رأسِ ماءٍ ، فقالَ : لوْ خدمْتَ السلطانَ . . لمْ تحتجْ إلىٰ أكلِ هٰذا !

فقالَ الحكيمُ : وأنتَ لوْ قنِعْتَ بهٰذا . . لمْ تحتجْ إلىٰ خدمةِ السلطانِ !

وقيلَ : العُقابُ عزيزٌ في مطارِهِ[2] ، لا يسمو إليهِ طرْفُ صيادٍ ولا طمعُهُ ، فإذا طمعَ في جيفةٍ عُلِّقَتْ علىٰ حِبالةٍ . . نزلَ مِنْ مطارِهِ ، فتعلَّقَ في حبالِهِ .

وقيلَ : لمَّا نطقَ موسىٰ عليهِ السلامُ بذكرِ الطمعِ فقالَ : ﴿ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾[3] . . قالَ لهُ الخضرُ : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ ﴾[4] .

وقيلَ : لمَّا قالَ ذٰلكَ موسىٰ عليهِ السلامُ . . وقفَ بينَهُ وبينَ الخضرِ عليهِما السلامُ ظبيٌ ، وكانا جائعينِ ، الجانِبُ الذي يلي موسىٰ عليهِ السلامُ غيرُ مشويٍّ ، والجانبُ الذي يلي الخضرَ مشويٌّ[5] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴾[6] : هوَ القناعةُ في الدنيا ، ﴿ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴾[7] : هوَ الحرصُ في الدنيا[8] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾[9] : أيْ : فكُّها مِنْ ذلِّ الطمعِ[10] .

---

(١) وفي معناه قالوا :

ولا عـارَ أنْ زالَـتْ عنِ المـرءِ نعمةٌ   ولٰكنَّ عـاراً أنْ يـزولَ التجمُّـلُ

(٢) أي : في طيرانه ، أو محل طيرانه . « إحكام الدلالة » (٣/٤٤) .

(٣) سورة الكهف : (٧٧) .

(٤) صورته متمثلة بقوله : (لو شئت) ، فقد بيَّن أنه ليس بمحظور كسابقيه ، وعلىٰ أيٍّ فالطمع إن ثبت في حقه عليه السلام . . فهو من المتشابه الواجب التأويل ، والآية من سورة الكهف : (٧٨) .

(٥) كذا في « قوت القلوب » (٢/٢٠) .

(٦) سورة الانفطار : (١٣) .

(٧) سورة الانفطار : (١٤) .

(٨) انظر « تفسير السلمي » (٢/٣٧٨) ، « تفسير الرازي » (٣١/٨٠) .

(٩) سورة البلد : (١٣) .

(١٠) كذا في « تفسير السلمي » (٢/٣٩٦) .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾[1] : يعني : البخلَ والطمعَ ، ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] : يعني : بالسخاءِ والإيثارِ[2] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِي ﴾[3] : أيْ : مقاماً في القناعةِ أنفردُ به عنْ أشكالي ، وأكونُ راضياً فيهِ بقضائِكَ[4] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾[5] يعني : لَأسلبَنَّهُ القناعةَ ، ولأبتلينَّهُ بالطمعِ ؛ يعني : أسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يفعلَ بهِ ذٰلكَ[6] .

وقيلَ لأبي يزيدَ : بمَ وصلتَ إلىٰ ما وصلتَ ؟

فقالَ : جمعتُ أسبابَ الدنيا ، فربطتُها بحبلِ القناعةِ ، ووضعتُها في منجنيقِ الصدْقِ ، ورميتُ بها في بحرِ اليأسِ ، فاسترحتُ[7] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ فرُّخانَ بسامراءَ يقولُ : سمعتُ خالي عبدَ الوهَّابِ يقولُ : كنتُ جالساً عندَ الجنيدِ أيّامَ الموسمِ وحولَهُ جماعةٌ كثيرونَ ؛ العجمُ والمولَّدونَ[8] ، فجاءَ إنسانٌ بخمسِ مئةِ دينارٍ وَصَبَّها بينَ يديهِ وقالَ : فَرِّقْها علىٰ هٰؤلاءِ ، فقالَ : ألكَ [غيرُها] ؟[9] فقالَ : نعمْ ، لي دنانيرُ كثيرةٌ ، قالَ : أتريدُ غيرَ ما تملكُ ؟ فقالَ : نعمْ ، فقالَ الجنيدُ : خُذْها ؛ فإنَّكَ أحوجُ إليها منَّا ، ولمْ يقبلْها .

* * *

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٣) .

(٢) كذا في « تفسير السلمي » (١٤٥/٢) .

(٣) سورة صٓ : (٣٥) .

(٤) وحكاه المصنف أيضاً في « لطائف الإشارات » (٢٥٦/٣) .

(٥) سورة النمل : (٢١) .

(٦) وهو قول الجنيد كما في « تفسير السلمي » (٨٨/٢) .

(٧) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٤٨/١٦) .

(٨) كذا في عامة النسخ ، وفي (ي) : (من العجم والمولدين) .

(٩) في الأصول : (غيرُه) ، والمثبت من نسخ الاستعانة والاستئناس ، وفي (ب) : (فجاء إنسان بخمس مئة دينار ووضعه بين يديه ، وقال : تفرّقه على هاؤلاء ، فقال : ألك غيره . . .) .

بابُ التوكّل

قالَ اللهُ جلَّ جلالُهُ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ (١) .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢) .

أخبرَنا الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ الأصبهانيُّ قالَ : حدَّثَنا يونسُ بنُ حبيبِ بنِ عبدِ القاهرِ قالَ : حدَّثَنا أبو داوودَ الطَّيَالِسيُّ قالَ : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ سلمةَ ، عنْ عاصمِ بنِ بهدلةَ ، عنْ زرِّ بنِ حبيشٍ ، عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أُريتُ الأممَ بالموسمِ ، فرأيتُ أمَّتي قدْ ملؤوا السهلَ والجبلَ ، فأعجبَني كثرتُهُمْ وهيئتُهُمْ ، فقيلَ لي : أرضِيتَ ؟ قلتُ : نعمْ ، قالَ : ومعَ هٰؤلاءِ سبعونَ ألفاً يدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ؛ لا يكتوونَ ، ولا يتطيَّرونَ ، ولا يَسْتَرْقُونَ ، وعلىٰ ربِّهِمْ يتوكَّلونَ » ، فقامَ عُكَّاشةُ بنُ محصنٍ الأسديُّ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ادعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهُمْ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اللهمَّ ؛ اجعلْهُ منهُمْ » ، فقامَ آخرُ فقالَ : ادعُ اللهَ أنْ يجعلَني منهُمْ ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سبقَكَ بها عُكَّاشةُ » (٣) .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : حدَّثَني أبو بكرٍ الوَجِيهيُّ يقولُ : قالَ : أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : قلتُ

---

(١) سورة الطلاق : (٣) .

(٢) سورة المائدة : (٢٣) .

(٣) ورواه أحمد في « المسند » (٤٠١/١) ، والحاكم في « المستدرك » (٥٧٦/٤) ، وهو عن غير ابن مسعود رضي الله عنه في « الصحيحين » ، وانظر « الإتحاف » (٣٨٧/٩) ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٣٧٢/٨) : (« سبقك بها عكاشة » : قال ذلك حسماً للمادة ؛ لأنه لو قال : نعم .. لأوشك أن يقول ثالث ورابع . . . وهلمَّ جرّاً ، وليس كل الناس يصلح لذلك) .

لعمرَ ابنِ سـنانٍ : احكِ لي عنْ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ حكايةً ، فقالَ : إنَّهُ قالَ : (علامةُ المتوكِّلِ ثلاثٌ : لا يسألُ ، ولا يردُّ ، ولا يحبسُ)(١) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ السِّيرَوانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا موسى الدَّيبُليَّ يقولُ : قيلَ لأبي يزيدَ : ما التوكُّلُ ؟

فقالَ لي : ما تقولُ أنتَ ؟ قلتُ : إنَّ أصحابَنا يقولونَ : لوْ أنَّ السباعَ والأفاعيَ عنْ يمينِكَ ويسارِكَ . . ما تحرَّكَ لذٰلكَ سرُّكَ .

فقالَ أبو يزيدَ : نعمْ ؛ هـٰذا قريبٌ ، ولـٰكنْ لوْ أنَّ أهلَ الجنَّةِ في الجنَّةِ يتنعَّمونَ ، وأهلَ النارِ في النارِ يعذَّبونَ ، ثمَّ وقعَ بكَ تمييزٌ عليهِما . . خرجْتَ مِنْ جملةِ التوكُّلِ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أوَّلُ مقامٍ في التوكُّلِ : أنْ يكونَ العبدُ بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ كالميتِ بينَ يدَيِ الغاسلِ ، يقلبُهُ كيفَ أرادَ ، لا يكونُ لهُ حركةٌ ولا تدبيرٌ)(٢) .

وقالَ حَمْدونٌ القصَّارُ : (التوكُّلُ : هوَ الاعتصامُ باللهِ تعالىٰ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ ابنَ أُحيدَ البلخيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ حامدٍ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ خضرويهِ يقولُ : قالَ رجلٌ لحاتِمٍ الأصمِّ : مِنْ أينَ تأكلُ ؟

فقالَ : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾(٣) .

قالَ الأستاذُ : واعلمْ : أنَّ التوكُّلَ محلُّهُ القلبُ ، والحركةُ بالظاهرِ لا تنافي توكُّلَ القلبِ بعدَما تحقَّقَ العبدُ أنَّ التقديرَ مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنْ تعسَّرَ شيءٌ . . فبتقديرِهِ ، وإنِ اتفقَ شيءٌ . . فبتيسيرِهِ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٣٦) .
(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٠) ، وبلفظه هنا عند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٥) .
(٣) ورواه البيهقي في « الشعب » (١٢٧٤) ، والآية من سورة المنافقون : (٧) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا غيلانُ بنُ عبدِ الصمدِ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ مسعودٍ الجَحْدَريُّ قالَ : حدَّثَنا خالدُ بنُ يحيىٰ قالَ : حدَّثني عمِّي المغيرةُ بنُ أبي قُرَّةَ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : جاءَ رجلٌ علىٰ ناقةٍ لهُ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أدعُها وأتوكَّلُ ؟ قالَ : « اعقِلْها وتوكَّلْ »[١] .

وقالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : (مَنْ صحَّ توكلُهُ في نفسِهِ . . صحَّ توكلُهُ في غيرِهِ) .

وقالَ بشرٌ الحافي : (يقولُ أحدُهُمْ : توكلتُ على اللهِ ، يكذبُ على اللهِ ؛ لوْ توكَّلَ على اللهِ . . رضيَ بما يفعلُ اللهُ بهِ)[٢] .

وسُئِلَ يحيى بنُ معاذٍ : متىٰ يكونُ الرجلُ متوكِّلاً ؟

فقالَ : إذا رضيَ باللهِ وكيلاً[٣] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليِّ بنِ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ الصامتِ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاصَ يقولُ : بينا أنا أسيرُ في الباديةِ . . فإذا بهاتفٍ يهتفُ ، فالتفتُّ إليهِ ، فإذا أعرابيٌّ يسيرُ ، فقالَ لي : يا إبراهيمُ ؛ التوكُّلُ عندَنا ، أقمْ عندَنا حتَّىٰ يصحَّ توكُّلُكَ ، ألا تعلمُ أنَّ رجاءَكَ لدخولِ بلدٍ فيهِ أطعمةٌ يحملُكَ ؟! اقطعْ رجاءَكَ عنِ البلدانِ وتوكَّلْ .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ وسُئِلَ عنْ حقيقةِ التوكُّلِ ، فقالَ : ألَّا يظهرَ فيكَ انزعاجٌ إلى الأسبابِ معَ شدَّةِ فاقتِكَ إليها ، ولا تزولَ عنْ حقيقةِ السكونِ إلى الحقِّ معَ وقوفِكَ عليها .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِستانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ :

---

(١) ورواه الترمذي (٢٥١٧) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٧) .

(٣) بنحوه أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٩) عن أبي يزيد رحمه الله تعالىٰ .

(شرطُ التوكلِ ما قالَهُ أبو ترابٍ النَّخْشبيُّ ؛ وهوَ طرحُ البدنِ في العبوديةِ ، وتعلُّقُ القلبِ بالربوبيةِ ، والطمأنينةُ إلى الكفايةِ ؛ فإنْ أُعطِيَ .. شكرَ ، وإنْ مُنِعَ .. صبرَ .

وكما قالَ ذو النونِ : التوكُّلُ : تركُ تدبيرِ النفسِ ، والانخلاعُ مِنَ الحولِ والقوَّةِ)[1] .

وإنَّما يقوى العبدُ على التوكُّلِ إذا عَلِمَ أنَّ الحقَّ سبحانَهُ يعلمُ ويرىٰ ما هوَ فيهِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ الوَرْثانيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدٍ القِرْمِيسِينيَّ يقولُ : سمعتُ الكَتَّانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ ابنَ الفَرَجيِّ يقولُ : رأيتُ رجلاً يعرفُ بـ (جملِ عائشةَ) مِنَ الشطَّارِ يُضرَبُ بالسياطِ ، فقلتُ لهُ : أيَّ وقتٍ يكونُ ألمُ الضربِ عليكُم أسهلَ ؟ فقالَ : إذا كانَ مَنْ ضُرِبْنَا لأجلِهِ يرانا .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ يقولُ : قالَ الحسينُ بنُ منصورٍ لإبراهيمَ الخوَّاصِ : ماذا صنعتَ في هٰذهِ الأسفارِ وقطعِ هٰذهِ المفاوزِ ؟ قالَ : بقِيتُ في التوكُّلِ أصحِّحُ نفسي عليهِ .

فقالَ الحسينُ : أفنيتَ عمرَكَ في عمرانِ باطنِكَ ، فأينَ الفناءُ في التوحيدِ ؟!

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : (التوكلُ ما قالَهُ أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ ؛ وهوَ ردُّ العيشِ إلىٰ يومٍ واحدٍ ، وإسقاطُ همِّ غدٍ .

قالَ : وهوَ كما قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ ؛ التوكُّلُ : الاسترسالُ معَ اللهِ تعالىٰ علىٰ ما يريدُ)[2] .

---

(١) هو في كتابه « اللمع » (ص ٧٨) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٧٨) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ جعفرِ بنِ محمدٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ البَرْدَعيَّ يقولُ : سمعتُ أبا يعقوبَ النَّهْرَجُوريَّ يقولُ : التوكُّلُ على اللهِ تعالىٰ بكمالِ الحقيقةِ وقعَ لإبراهيمَ عليهِ السلامُ في الوقتِ الذي قالَ لجبريلَ عليهِ السلامُ : أمَّا إليكَ .. فلا ؛ لأنَّهُ غابَتْ نفسُهُ باللهِ ، فلمْ يرَ معَ اللهِ غيرَ اللهِ [١] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ ابنِ سهلٍ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ عثمانَ الخيَّاطَ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ وسألَهُ رجلٌ فقالَ : ما التوكُّلُ ؟ فقالَ : خلعُ الأربابِ ، وقطعُ الأسبابِ .

فقالَ السائلُ : زِدْني ، فقالَ : إلقاءُ النفسِ في العبوديةِ ، وإخراجُها مِنَ الربوبيةِ [٢] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ المعلمَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ مَنازلَ يقولُ : سمعتُ حمدوناً القصَّارَ وسُئِلَ عنِ التوكُّلِ فقالَ : إنْ كانَ لكَ عشرةُ آلافِ درهمٍ وعليكَ دانقٌ دينٌ .. لمْ تأمنْ أنْ تموتَ ويبقىٰ ذٰلكَ في عُنقِكَ ، ولوْ كانَ عليكَ عشرةُ آلافِ درهمٍ دينٌ مِنْ غيرِ أنْ تتركَ لها وفاءً .. لا تيئسْ مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يقضيَهُ عنكَ .

وسُئِلَ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ عنِ التوكُّلِ ، فقالَ : التعلُّقُ باللهِ تعالىٰ في كلِّ حالٍ ، فقالَ السائلُ : زدْني ، فقالَ : تركُ كلِّ سببٍ يوصلُ إلىٰ سببٍ حتَّىٰ يكونَ الحقُّ هوَ المتولِّيَ لذٰلكَ .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (التوكُّلُ حالُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، والكسبُ سنَّتُهُ ، فمَنْ بقِيَ علىٰ حالِهِ .. فلا يتركَنَّ سنَّتَهُ) [٣] .

---

(١) ورواه البيهقي في « الشعب » (١٢٣٤) .
(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٨٠) ، والبيهقي في « الشعب » (١٢٣٣) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٧٨) عن تلميذ سهل ؛ وهو أبو عبد الله البصري رحمه الله تعالىٰ ، ←

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (التوكُّلُ : اضطرابٌ بلا سكونٍ ، وسكونٌ بلا اضطرابٍ)[١] .

وقيلَ : التوكُّلُ : أنْ يستويَ عندَكَ الإكثارُ والتقلُّلُ .

وقالَ ابنُ مسروقٍ : (التوكُّلُ : الاستسلامُ لجريانِ القضاءِ والأحكامِ)[٢] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ الحِيريَّ يقولُ : (التوكُّلُ : الاكتفاءُ باللهِ تعالىٰ معَ الاعتمادِ عليهِ)[٣] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ محمدِ بنِ غالبٍ يحكي عنِ الحسينِ بنِ منصورٍ قالَ : (المتوكِّلُ المحقُّ لا يأكلُ وفي البلدِ مَنْ هوَ أحقُّ بهِ منهُ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ أحمدَ الحَرْبيَّ يقولُ : حكىٰ لنا ابنُ أبي شيخٍ قالَ : سمعتُ عمرَ ابنَ سنانٍ يقولُ : اجتازَ بنا إبراهيمُ الخوَّاصُ ، فقلْنا لهُ : حدِّثْنا بأعجبِ ما رأيتَهُ في أسفارِكَ ، فقالَ : لقِيَني الخضرُ عليهِ السلامُ ، فسألَني الصحبةَ ، فخَشِيتُ أنْ يُفسدَ عليَّ توكُّلي بسكوني إليهِ ، ففارقتُهُ[٤] .

وسُئِلَ سهلٌ عنِ التوكُّلِ ، فقالَ : قلبٌ عاشَ معَ اللهِ تعالىٰ بلا علاقةٍ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (للتوكُّلِ ثلاثُ درجاتٍ : التوكُّلُ ، ثمَّ التسليمُ ، ثمَّ التفويضُ ؛ فالمتوكِّلُ يسكنُ إلىٰ وعدِهِ ، وصاحبُ التسليمِ يكتفي بعلمِهِ ، وصاحبُ التفويضِ يرضىٰ بحكمِهِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : (التوكُّلُ بدايةٌ ، والتسليمُ وَساطةٌ ، والتفويضُ نهايةٌ) .

← ومعنى المثبت : من لزم حاله صلى الله عليه وسلم في التوكل . . فلا ينسَ سنته في الكسب ، وفي (ج) : (فمن نَقِيَ عن حاله) أي : خلا عنها ، ويؤيد هاذه الرواية ما وقع في هامش (ي) نسخة : (فمن عجز عن حاله) ، والله أعلم .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥١/٨) عن بشر الحافي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١٤١/٢) .

(٣) رواه السُّلمي في « تفسيره » (٨٢/٢) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٧) .

وسُئِلَ الزَّقَّاقُ عنِ التوكُّلِ [1] ، فقالَ : الأكلُ بلا طمعٍ .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (لبسُ الصوفِ حانوتٌ ، والكلامُ في الزهدِ حِرفةٌ ، وصحبةُ القوافلِ تعرُّضٌ ، وهـٰذه كلُّها علاقاتٌ) .

وجاءَ رجلٌ إلى الشِّبليِّ يشكو إليهِ كثرةَ العيالِ ، فقالَ : ارجعْ إلىٰ بيتِكَ ؛ فمَنْ ليسَ رزقُهُ على اللهِ تعالىٰ . . فاطردْهُ عنكَ [2] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ يقولُ : قرأتُ علىٰ محمدِ بنِ الحسنِ : قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (مَنْ طعنَ في الحركةِ . . فقدْ طعنَ في السُّنةِ ، ومَنْ طعنَ في التوكُّلِ . . فقدْ طعنَ في الإيمانِ) [3] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ جعفراً الخُلْديَّ يقولُ : قالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : كنتُ في طريقِ مكَّةَ ، فرأيتُ شخصاً وَحِشاً ، فقلتُ : جنِّيٌّ أمْ إنسيٌّ ؟ فقالَ : جنيٌّ ، فقلتُ : إلىٰ أينَ ؟ فقالَ : إلىٰ مكَّةَ ، فقلتُ : بلا زادٍ ؟! فقالَ : نعمْ ؛ فينا أيضاً مَنْ يسافرُ على التوكُّلِ ، فقلتُ : أيْشٍ التوكُّلُ عندَكُمْ ؟ فقالَ : الأخذُ مِنَ اللهِ تعالىٰ [4] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ الفَرْغانيَّ يقولُ : كانَ إبراهيمُ الخوَّاصُ مجرَّداً في التوكُّلِ ، يُدقِّقُ فيهِ ، وكانَ لا يفارقُهُ إبرةٌ وخيوطٌ ورَكْوةٌ ومقراضٌ ، فقيلَ لهُ : يا أبا إسحاقَ ؛ لِمَ تحملُ هـٰذا وأنتَ تمتنعُ مِنْ كلِّ شيءٍ ؟!

فقالَ : مثلُ هـٰذا لا ينقضُ التوكُّلَ ؛ لأنَّ للهِ تعالىٰ علينا فرائضَ ، والفقيرُ لا يكونُ عليهِ إلَّا ثوبٌ واحدٌ ، فربَّما يتخرَّقُ ثوبُهُ ، فإذا لـمْ يكنْ معَهُ إبرةٌ

(١) في (د ، ح ، ي) : (الدقاق) بدل (الزقاق) .

(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٣٣٤) .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٩٥) ، والبيهقي في « الشعب » (١٢٣١) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢١) .

وخيوطٌ . . تبدو عورتُهُ ، فتفسدُ عليهِ صلاتُهُ ، وإذا لمْ يكنْ معَهُ ركْوةٌ . . يفسد عليهِ طهارتُهُ ، فإذا رأيتَ الفقيرَ بلا ركوةٍ ولا إبرةٍ وخيوطٍ . . فاتهمْهُ في صلاتِهِ [1] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (التوكُّلُ صفةُ المؤمنينَ ، والتسليمُ صفةُ الأولياءِ ، والتفويضُ صفةُ الموحِّدينَ ، فالتوكُّلُ صفةُ العوامِّ ، والتسليمُ صفةُ الخواصِّ ، والتفويضُ صفةُ خاصِّ الخاصِّ) .

وسمعتُهُ يقولُ : (التوكُّلُ صفةُ الأنبياءِ ، والتسليمُ صفةُ إبراهيمَ عليهِ السلامُ ، والتفويضُ صفةُ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الحدَّادَ يقولُ : (مكثتُ بضعَ عشرةَ سنةً أعتقدُ التوكُّلَ وأنا أعملُ في السوقِ ، وآخذُ كلَّ يومٍ أجرتي ، ولا أنتفعُ منها بشَرْبةِ ماءٍ ، ولا بدَخْلةِ حمَّامٍ ، وكنتُ أجيءُ بأجرتي إلى الفقراءِ في مسجدِ الشُّونيزيِّ ، وأكونُ على حالي) [2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ الخوَّاصَ يقولُ : سمعتُ الحسنَ أخا سنانٍ يقولُ : (حججتُ أربعَ عشرةَ حجَّةً حافياً على التوكُّل ، فكانَ يدخلُ في رجلي شوكةٌ ، فأذكرُ أنِّي قدِ اعتقدتُ على نفسي التوكُّلَ ، فأحكُّها في الأرضِ وأمشي) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الواعظَ يقولُ : سمعتُ خيراً النسَّاجَ يقولُ : سمعتُ أبا حمزةَ يقولُ : (إنِّي لأستحيي مِنَ اللهِ تعالى أنْ أدخلَ الباديةَ وأنا شبعانُ وقدِ اعتقدتُ التوكُّلَ ؛ لئلا يكونَ سعيي على الشبعِ زاداً أتزوَّدُهُ) [3] .

---

(١) ورواه من طريق المصنف الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/٦) .

(٢) ورواه السُّلمي في « تفسيره » (٦٤/٢) .

(٣) ورواه السُّلمي في « الفتوة » (ص ١٩) ، وأورده الخركوشي (ص ٢١٤) ، وفي هامش (ل) : (بلغ) .

وسُئِلَ حمدونٌ عنِ التوكُّلِ ، فقالَ : تلكَ درجةٌ لمْ أبلغْها بعدُ ، وكيفَ يتكلَّمُ في التوكُّلِ مَنْ لمْ يصحَّ لهُ حالُ الإيمانِ ؟![1] .

وقيلَ : المتوكِّلُ كالطفلِ ؛ لا يعرفُ شيئاً يأوي إليهِ إلَّا ثديَ أمِّهِ ؛ كذٰلكَ المتوكِّلُ لا يهتدي إلَّا إلىٰ ربِّهِ .

وعنْ بعضِهِمْ قالَ : كنتُ في الباديةِ ، فتقدمتُ القافلةَ ، فرأيتُ قدَّامي واحداً ، فتسارعتُ حتَّىٰ أدركتُهُ ، فإذا هيَ امرأةٌ بيدِها عُكَّازٌ تمشي على التُّؤَدةِ ، فظننتُ أنَّها أعيَتْ ، فأدخلتُ يدي في جيبي ، فأخرجتُ عشرينَ درهماً فقلتُ : خذيها وامكثي حتَّىٰ تلحقَكِ القافلةُ فتكتري بها ، ثمَّ ائتيني الليلةَ حتَّىٰ أصلحَ أمرَكِ ، فقالَتْ بيدِها هٰكذا في الهواءِ ؛ فإذا في كفِّها دنانيرُ ! فقالَتْ : أنتَ أخذتَ الدراهمَ مِنَ الجيبِ ، وأنا أخذتُ الدنانيرَ مِنَ الغيبِ[2] .

ورأىٰ أبو سليمانَ الدارانيُّ رجلاً بمكَّةَ لا يتناولُ شيئاً إلَّا شَرْبةً مِنْ ماءِ زمزمَ ، فمضىٰ عليهِ أيامٌ ، فقالَ لهُ أبو سليمانَ يوماً : أرأيتَ لوْ غارَتْ زمزمُ أيْشٍ كنتَ تشربُ ؟ فقامَ وقبَّلَ رأسَهُ وقالَ : جزاكَ اللهُ خيراً حيثُ أرشدتَني ؛ فإنِّي كنتُ أعبدُ زمزمَ منذُ أيامٍ ، ومضىٰ .

وقالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : رأيتُ في طريقِ الشامِ شابّاً حَدَثاً حسنَ المراعاةِ ، فقالَ لي : هلْ لكَ في الصحبةِ ، فقلتُ : إنِّي أجوعُ ، فقالَ : إنْ جُعتَ . . جُعتُ معَكَ .

فبقِينا أربعةَ أيامٍ ، ففُتِحَ علينا بشيءٍ ، فقلتُ : هلمَّ ؛ فقالَ : اعتقدتُ ألَّا آخذَ بواسطةٍ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ دققتَ ، فقالَ : يا إبراهيمُ ؛ لا تُبهرِجْ ؛ فإنَّ الناقدَ بصيرٌ ، ما لكَ والتوكلَ ؟ ثمَّ قالَ : أقلُّ التوكُّلِ أنْ تردَ عليكَ مواردُ الفاقاتِ فلا تسموَ نفسُكَ إلَّا إلىٰ مَنْ إليهِ الكفاياتُ[3] .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٣٣٣) .

(٢) صاحب الخبر بُنان الحمَّال كما في « مرشد الزوار » (١/٥٦٤) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٧) ، وتبهرج : تخلط وتزيّف ، أو الإطراء بالمدح .

وقيلَ : التوكُّلُ : نفيُ الشكوكِ ، والتفويضُ إلىٰ مالكِ الملوكِ .

وقيلَ : دخلَ جماعةٌ على الجنيدِ ، فقالوا : نطلبُ الرزقَ ؟ فقالَ : إنْ علمْتُمْ أيَّ موضعٍ هوَ . . فاطلبوه .

قالوا : فنسألُ اللهَ تعالىٰ ذٰلكَ ؟ فقالَ : إنْ علمتُمْ أنَّهُ ينساكُمْ . . فذكِّروهُ .

فقالوا : ندخلُ البيتَ فنتوكَّلُ ؟ فقالَ : التجربةُ شكٌّ .

قالوا : فما الحيلةُ ؟ فقالَ : تركُ الحيلةِ (١) .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ لأحمدَ بنِ أبي الحَواريِّ : يا أحمدُ ؛ إنَّ طرقَ الآخرةِ كثيرةٌ ، وشيخُكَ عارفٌ بكثيرٍ منها إلَّا هٰذا التوكُّلَ المباركَ ؛ فإنِّي ما شَمِمْتُ منهُ رائحةً (٢) .

وقيلَ : التوكُّلُ : الثقةُ بما في يدِ اللهِ تعالىٰ ، واليأسُ عمَّا في أيدي الناسِ (٣) .

وقيلَ : التوكُّلُ فراغُ السرِّ عنِ التفكُّرِ للتقاضي في طلبِ الرزقِ (٤) .

وسُئِلَ الحارثُ المحاسبيُّ عنِ المتوكِّلِ : هلْ يلحقُهُ طمعٌ ؟

فقالَ : يلحقُهُ مِنْ طريقِ الطباعِ خطراتٌ ، ولا تضرُّهُ شيئاً ، ويقوِّيهِ علىٰ إسقاطِ الطمعِ اليأسُ عمَّا في أيدي الناسِ .

وقيلَ : جاعَ النُّوريُّ في الباديةِ ، فهتفَ بهِ هاتفٌ : أيُّما أحبُّ إليكَ : سببٌ أوْ كفايةٌ ؟ فقالَ : الكفايةُ ؛ فليسَ فوقَها نهايةٌ ، فبقِيَ سبعةَ عشرَ يوماً لمْ يأكلْ .

---

(١) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٣٥/٧) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٧٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٦/٩) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٣) وإليه أشار سلمة بن دينار لما سُئِل : ما مالك ؟ كما رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٦/٢٢) .

(٤) وهٰذا في الحقيقة من ثمرات التوكل ، لا نفسه ، كما في « إحكام الدلالة » (٥٨/٣) .

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : إذا قالَ الفقيرُ بعدَ خمسةِ أيامٍ : أنا جائعٌ . . فألزِمُوهُ السوقَ ، وأْمُرُوهُ بالعملِ والكسبِ (١) .

وقيلَ : نظرَ أبو ترابٍ النَّخْشبيُّ إلىٰ صوفيٍّ مدَّ يدَهُ إلىٰ قشْرِ بطيخٍ ليأكلَهُ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ ، فقالَ لهُ : لا يصلحُ لكَ التصوُّفُ ، الزمِ السوقَ (٢) .

وقالَ أبو يعقوبَ الأقطعُ البصريُّ : جُعتُ مرَّةً بالحرمِ عشرةَ أيامٍ ، فوجدتُ ضعفاً ، فحدَّثَتْني نفسي ، فخرجتُ إلى الوادي لعلي أجدُ شيئاً يسكِّنُ ضعفي ، فرأيتُ سلْجَمةً مطروحةً (٣) ، فأخذتُها ، فوجدتُ في قلبي منها وَحشةً ، وكأنَّ قائلاً يقولُ لي : جُعتَ عشرةَ أيامٍ فآخرُهُ يكونُ حظُّكَ سلجمةً متغيِّرةً ؟! فرميتُ بها .

ودخلتُ المسجدَ فقعدتُ ، فإذا أنا برجلٍ أعجميٍّ جلسَ بينَ يديَّ ووضعَ قِمَطْرةً وقالَ : هـٰذهِ لكَ ، فقلتُ : كيفَ خصصتَني بهـٰذا ؟ فقالَ : اعلمْ أنَّا كنَّا في البحرِ منذُ عشرةِ أيامٍ ، فأشرفَتِ السفينةُ على الغرقِ ، فنذرَ كلُّ واحدٍ منَّا : إنْ خلَّصَنا اللهُ تعالىٰ أنْ نتصدَّقَ بشيءٍ ، ونذرتُ أنا : إنْ خلَّصَني اللهُ تعالىٰ أنْ أتصدقَ بهـٰذهِ علىٰ أوَّلِ مَنْ يقعُ عليهِ بصري مِنَ المجاورينَ ، وأنتَ أوَّلُ مَنْ لقِيتُهُ .

فقلتُ : افتحْها ، ففتحَها ، فإذا فيها كعكٌ سميدٍ مصريٌّ ، ولوزٌ مقشورٌ ، وسكرٌ كِعابٌ ، فقبضتُ قبضةً مِنْ ذا ، وقبضةً مِنْ ذا ، وقبضةً مِنْ ذا ، وقلتُ : رُدَّ الباقيَ إلىٰ صبيانِكَ هديَّةً مني لكُمْ وقدْ قبلتُها .

ثمَّ قلتُ في نفسي : رزقُكَ يسيرُ إليكَ مِنْ عشرةِ أيامٍ وأنتَ تطلبُهُ مِنَ الوادي ؟!

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ

---

(١) تقدم مسنداً (ص ٣٠٨) .

(٢) تقدم (ص ١٤٦) .

(٣) السلجمة : واحدة السلاجم ؛ نبت كالفجل أو البقل ، ويقال : شلجمة ، والإهمال أولىٰ .

يقولُ : كنتُ عندَ مِمْشاذَ الدِّينَوَرِيِّ ، فجرىٰ حديثُ الدَّيْنِ ، فقالَ : كانَ عليَّ دَينٌ ، فاشتغلَ قلبي ، فرأيتُ في النومِ كأنَّ قائلاً يقولُ : يا بخيلُ ؛ أخذتَ علينا هـٰذا المقدارَ ؟! خُذْ ، عليكَ الأخذُ وعلينا العطاءُ ، فما حاسبتُ بعدَ ذٰلكَ بقَّالاً ولا قصَّاباً ولا غيرَهُمْ .

ويُحكىٰ عنْ بُنانٍ الحمَّالِ قالَ : كنتُ في طريقِ مكَّةَ أجيءُ مِنْ مصرَ ومعي زادٌ ، فجاءَتْني امرأةٌ وقالَتْ لي : يا بُنانُ ؛ أنتَ حمَّالٌ ، تحملُ علىٰ ظهرِكَ الزادَ وتتوهَّمُ أنَّهُ لا يرزقُكَ ؟! قالَ : فرمَيتُ بزادي .

ثمَّ أتىٰ عليَّ ثلاثٌ لمْ آكلْ ، فوجدتُ خَلْخالاً في الطريقِ ، فقلتُ في نفسي : أحملُهُ حتىٰ يجيءَ صاحبُهُ ، فربَّما يعطيني شيئاً فأردُّهُ عليهِ ، فإذا أنا بتلكَ المرأةِ ، فقالَتْ لي : أنتَ تاجرٌ ؛ تقولُ : يجيءُ صاحبُهُ فآخذُ منهُ شيئاً ؟! ثمَّ رمَتْ إليَّ شيئاً مِنَ الدراهمِ وقالَتْ : أنفقْهُ ، فاكتفيتُ بها إلىٰ قريبٍ مِنْ مصرَ .

ويُحكىٰ أنَّ بُناناً الحمَّالَ احتاجَ إلىٰ جاريةٍ تخدمُهُ ، فانبسطَ إلىٰ إخوانِهِ ، فجمعوا لهُ ثمنَها ، وقالوا : هوَ ذا ، يجيءُ النفرُ فنشتري ما يوافقُ .

فلمَّا وردَ النفرُ . . اجتمعَ رأيُهُمْ علىٰ واحدةٍ ، وقالوا : إنَّها تصلُحُ لهُ ، فقالوا لصاحبِها : بكَمْ هـٰذهِ ؟ فقالَ : إنَّها ليسَتْ للبيعِ ، فألحُّوا عليهِ ، فقالَ : إنَّها لبُنانٍ الحمَّالِ ، أهدتْها إليهِ امرأةٌ مِنْ سمرقندَ ، فحُملتْ إلىٰ بُنانٍ وذُكرَتْ لهُ القصَّةُ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ المخرميَّ يقولُ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ صالحٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عَبْدونٍ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ الخيَّاطُ قالَ : كنتُ عندَ بشرٍ الحافي ، فجاءَهُ نفرٌ فسلَّموا عليهِ ، فقالَ : مَنْ أنتمْ ؟

فقالوا : نحنُ مِنَ الشامِ ، جئْنا نسلِّمُ عليكَ ونريدُ الحجَّ ، فقالَ : شكرَ اللهُ لكُمْ .

فقالوا : تخرجُ معَنا ؟ قالَ : بثلاثِ شرائطَ : لا نحملُ معَنا شيئاً ، ولا نسألُ أحداً شيئاً ، وإنْ أعطانا أحدٌ . . لا نقبلُ .

فقالوا : أمَّا ألَّا نحملَ . . فنعمْ ، وأمَّا ألَّا نسألَ . . فنعمْ ، وأمَّا ألَّا نقبلَ إنْ أُعطِينا . . فهٰذا لا نستطيعُ ! فقالَ : خرجتُمْ متوكِّلينَ علىٰ زادِ الحجيجِ !

ثمَّ قالَ : يا حسنُ ؛ الفقراءُ ثلاثةٌ : فقيرٌ لا يسألُ ، وإنْ أُعطيَ . . لا يأخذُ ، فذاكَ مِنْ جملةِ الروحانيينَ ، وفقيرٌ لا يسألُ ، وإنْ أُعطيَ . . قَبِلَ ، فذاكَ مِمَّنْ يُوضَعُ لهُمْ موائدُ في حظائرِ القدسِ ، وفقيرٌ يسألُ ، وإنْ أُعطيَ . . قَبِلَ قدْرَ الكفايةِ ، فكفارتُهُ صِدْقُهُ(١) .

وقيلَ لحبيبٍ العجميِّ : لِمَ تركتَ التجارةَ ؟ فقالَ : وجدتُ الكفيلَ ثقةً(٢) .

وقيلَ : كانَ في الزمنِ الأوَّلِ رجلٌ في سفرٍ ومعَهُ قُرْصٌ ، فقالَ : إنْ أكلتُ . . مُتُّ ، فوكلَ اللهُ تعالىٰ بِهِ ملكاً وقالَ : إنْ أكلَهُ . . فارزقْهُ ، وإنْ لمْ يأكلْهُ . . فلا تعطِهِ غيرَهُ ، فلمْ يزلِ القُرْصُ معَهُ إلىٰ أنْ ماتَ ولمْ يأكلْهُ ، وبقيَ عندَهُ القُرْصُ !

وقيلَ : مَنْ وقعَ في ميدانِ التفويضِ . . يُزَفُّ إليهِ المرادُ كما تُزَفُّ العروسُ إلىٰ أهلِها(٣) .

والفرقُ بينَ التفويضِ والتضييعِ : أنَّ التضييعَ في حقِّ اللهِ تعالىٰ ، وذٰلكَ مذمومٌ(٤) ، والتفويضُ في حظِّكَ ، وهوَ محمودٌ .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (مَنْ أخذَ فَلْساً مِنْ حرامٍ . . فليسَ بمتوكِّلٍ)(٥) .

---

(١) وروىٰ قوله الأخير دون الخبر البيهقي في « الشعب » (٣٢٥٦) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١١) عن حبيب النجّار من أهل الفترة .

(٣) في هامش (أ) : (بلغ) .

(٤) بأن يترك العبد ما أمره الله به ، أو يفعل ما نهاه عنه ، وأما التفويض . . ففيما أباحه للعبد وخيَّره فيه ، فتضيف المصلحة لمن يعرفها سبحانه . انظر « إحكام الدلالة » (٦١/٣) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٢٠) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ نصرَ بنَ أبي نصرٍ العطَّارَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ محمدٍ المصريَّ يقولُ : سمعتُ أبا سعيد الخرَّازَ يقولُ : دخلتُ الباديةَ مرَّةً بغيرِ زادٍ ، فأصابَتْني فاقةٌ ، فرأيتُ المَرْحلةَ مِنْ بعيدٍ (١) ، فسُررتُ بأنِّي وصلتُ ، ثمَّ أفكرتُ في نفسي أنِّي سكنتُ واتكلتُ علىٰ غيرِهِ ، فآليتُ ألَّا أدخلَ المرحلةَ إلَّا أنْ أُحمَلَ إليها ، فحفرتُ لنفسي في الرملِ حُفيرةً وواريتُ جسدي فيها إلىٰ صدري ، فسمعوا صوتاً في نصفِ الليلِ عالياً : يا أهلَ المرحلةِ ؛ إنَّ للهِ تعالىٰ وليّاً حبسَ نفسَهُ في هـٰذا الرملِ فالحقوهُ ، فجاءَ جماعةٌ ، فأخرجوني وحملوني إلى القريةِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ المخرميَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ المالكيِّ يقولُ : قالَ أبو حمزةَ الخراسانيُّ : حججتُ سنةً مِنَ السنينَ ، فبينا أنا أمشي في الطريقِ . . إذْ وقعتُ في بئرٍ ، فنازعَتْني نفسي أنْ أستغيثَ ، فقلتُ : لا واللهِ ؛ لا أستغيثُ ، فما استَتْمَمْتُ هـٰذا الخاطرَ حتَّىٰ مرَّ برأسِ البئرِ رجلانِ ، فقالَ أحدُهُما للآخرِ : تعالَ حتَّىٰ نسدَّ رأسَ هـٰذهِ البئرِ لئلا يقعَ فيها أحدٌ ، [فأتَيا] بقصبٍ وباريَّةٍ ، [وطَمَّا] رأسَ البئرِ (٢) ، فهممتُ أنْ أصيحَ ، ثمَّ قلتُ في نفسي : أصيحُ إلىٰ مَنْ هوَ أقربُ منهما ، وسكتُّ .

فبينا أنا بعدَ ساعةٍ . . إذا أنا بشيءٍ جاءَ وكشفَ عنْ رأسِ البئرِ ، وأدلىٰ رجلَهُ وكأنَّهُ يقولُ لي : (تعلَّقْ بي) في همهمةٍ لهُ كنتُ أعرفُ ذٰلكَ منهُ ، فتعلَّقتُ بهِ ، فأخرجَني ، فإذا هوَ سبعٌ ، فمرَّ ، وهتفَ بي هاتفٌ : يا أبا حمزةَ ؛ أليسَ هـٰذا أحسنَ ؟ نجَّيناكَ مِنَ التلفِ بالتلفِ ! فمشيتُ وأنا أقولُ : [من الطويل]

[أَهَابُكَ أَنْ أُبْدِي إِلَيْكَ ٱلَّذِي أُخْفِي ... وَسِرِّيَ يُبْدِي مَا يَقُولُ لَهُ طَرْفِي]
نَهَانِي حَيَائِي مِنْكَ أَنْ أَكْتُمَ ٱلْهَوَىٰ ... فَأَغْنَيْتَنِي بِٱلْفَهْمِ مِنْكَ عَنِ ٱلْكَشْفِ

---

(١) المرحلة : منزل يستراح فيه بين منزلين ، أو كمُعَظَّمَة ؛ وهي القافلة من الإبل عليها رحالُها .
(٢) كذا في (ز) ، وفي باقي النسخ : (فأتوا . . . وطمّوا) ، والباريّة : حصير منسوج من قصب ، لفظة فارسية .

تَلَطَّفْتَ فِي أَمْرِي فَأَبْدَيْتُ شَاهِدِي إِلَىٰ غَائِبِي وَٱللُّطْفُ يُدْرَكُ بِٱللُّطْفِ
تَرَاءَيْتَ لِي بِٱلْغَيْبِ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا تُبَشِّرُنِي بِٱلْغَيْبِ أَنَّكَ فِي ٱلْكَفِّ
أَرَاكَ وَبِي مِنْ هَيْبَتِي لَكَ وَحْشَةٌ فَتُؤْنِسُنِي بِٱللُّطْفِ مِنْكَ وَبِٱلْعَطْفِ
وَتُحْيِي مُحِبّاً أَنْتَ فِي ٱلْحُبِّ حَتْفُهُ وَذَا عَجَبٌ كَوْنُ ٱلْحَيَاةِ مَعَ ٱلْحَتْفِ (١)

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا سعدانَ التَّاهَرْتيَّ يقولُ : سمعتُ حذيفةَ المَرْعَشيَّ وقدْ خدمَ إبراهيمَ بنَ أدهمَ وصحبَهُ ، فقيلَ لهُ : ما أعجبُ ما رأيتَ منهُ ؟ فقالَ : بقِينا في طريقِ مكةَ أياماً لمْ نجدْ طعاماً ، ثمَّ دخلْنا الكوفةَ ، فأَوَينا إلىٰ مسجدٍ خرابٍ ، فنظرَ إليَّ إبراهيمُ بنُ أدهمَ وقالَ : يا حذيفةُ ؛ أرىٰ بكَ الجوعَ ؟ فقلتُ : هوَ ما رأى الشيخُ ، فقالَ : عليَّ بدواةٍ وقرطاسٍ ، فجئتُ بهِ ، فكتبَ : بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، أنتَ المقصودُ إليهِ بكلِّ حالٍ ، والمشارُ إليهِ بكلِّ معنىً .

أَنَا حَامِدٌ أَنَا شَاكِرٌ أَنَا ذَاكِرٌ أَنَا جَائِعٌ أَنَا نَائِعٌ أَنَا عَارِي (٢)
هِيَ سِتَّةٌ وَأَنَا ٱلضَّمِينُ لِنِصْفِهَا فَكُنِ ٱلضَّمِينَ لِنِصْفِهَا يَا جَارِي (٣)
مَدْحِي لِغَيْرِكَ لَهْبُ نَارٍ خُضْتُهَا فَأَجِرْ عُبَيْدَكَ مِنْ دُخُولِ ٱلنَّارِ
وَٱلنَّارُ عَارٌ كَٱلسُّؤَالِ فَهَلْ تَرَىٰ أَلَّا تُكَلِّفَنِي دُخُولَ ٱلنَّارِ (٤)

---

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٢/١٧٧) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١/٤٠٨) ، قال شيخ الإسلام الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٣/٦٢) : (والغرض من الحكاية : أن المتوكل يرىٰ أن الأفعال كلها من الله ؛ فإنه المحرِّك والمسكِّن ، وقد كان قادراً علىٰ أن يحفظ هـٰذا من الوقعة في البئر ، لـٰكنه أوقعه فيها ليظهر تحقق توكله عليه ، ولهـٰذا لم يَصِحْ في البئر حين سُدَّ رأسها ، مع أنه كان متمكناً من إزالة البارية عن رأسها بلا كلفة إن تعين عليه الطلوع) ، والأبيات في « ديوان الخبز أرزي » (٣/١٣٠) كذلك ، والبيت الأول منها هنا مثبت من (ي) وحدها .

(٢) النائع : العطشان ، أو هي إتباع لجائع كقولهم : حسن بسن ، وفي بعض النسخ : (ضائع) بدل (جائع) ، والأبيات من البحر الكامل .

(٣) في (ج ، ز ، ط) : (باري) بدل (جاري) .

(٤) هـٰذا البيت وحده زيادة من (ج ، ي) وليس في الأصول المخرَّج منها ، والأبيات ـ عدا الثالث هنا ـ في ←

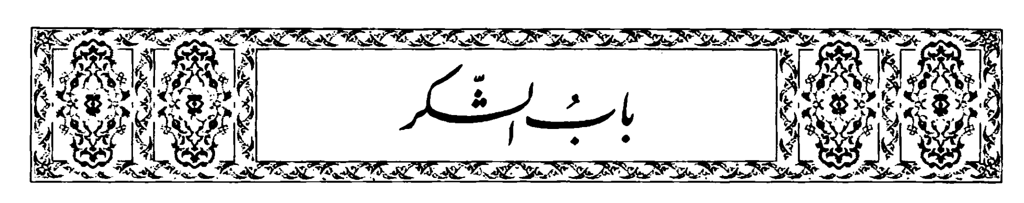
ثُمَّ دفعَ إليَّ الرقعةَ وقالَ : اخرجْ ولا تُعلِّقْ قلبَكَ بغيرِ اللهِ تعالىٰ ، وادفعِ الرقعةَ إلىٰ أوَّلِ مَنْ يلقاكَ .

قالَ : فخرجتُ ، فأوَّلُ مَنْ لَقِيَني كانَ رجلاً علىٰ بغلةٍ ، فأعطيتُهُ الرقعةَ ، فأخذَها وبكىٰ ، وقالَ : ما فعلَ صاحبُ هٰذهِ الرقعةِ ؟ فقلتُ : هوَ في المسجدِ الفلانيِّ ، فدفعَ إليَّ صرَّةً فيها ستُّ مئةِ دينارٍ ، ثمَّ لقِيتُ رجلاً آخرَ ، فقلتُ [لهُ] : مَنْ صاحبُ هٰذهِ البغلةِ ؟ فقالَ : نصرانيٌّ ، فجئتُ إلىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ، فأخبرتُهُ بالقصَّةِ ، فقالَ : لا تمسَّها ؛ فإنَّهُ يجيءُ الساعةَ ، فلمَّا كانَ بعدَ ساعةٍ . . وافى النصرانيُّ ، وأكبَّ علىٰ رأسِ إبراهيمَ بنِ أدهمَ وأسلمَ[1] .

* * *

← « يتيمة الدهر » (١/٣٣٤) أنها للخليع في مدح سيف الدولة بنحوها ، فلعلَّه أخذها من الخبر ، وقوله : (فأجر عبيدك . . .) قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (أي : من مدح غيرك) .

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٨) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٦/٣٢٩) من طريق المصنف .



بابُ الشُّكر

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1] .

أخبرَنـا أبـو الحسنِ عليُّ بـنُ أحمدَ بـنِ عبـدانَ الأهـوازيُّ قـالَ : أخبرَنـا أبو الحسـنِ الصفَّـارُ قالَ : حدَّثَنا الأَسْـفاطيُّ قالَ : حدَّثَنا مِنْجـابٌ قالَ : حدَّثَنا يحيـى بـنُ يعلـىٰ[2] ، عـنْ أبي جَنـابٍ ، عنْ عطاءٍ قـالَ : دخلتُ علىٰ عائشـةَ رضـيَ اللهُ عنهـا معَ عبيدِ بنِ عميرٍ ، فقالَ لها عبيدُ بنُ عميرٍ : أخبرِينا بأعجبِ ما رأيتِ مِنْ رسـولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ ، فبكتْ وقالَتْ : وأيُّ شـأنِهِ لمْ يكـنْ عَجَباً ؟! إنَّـهُ أتانـي في ليلـةٍ ، فدخلَ معي فـي فراشـي ـ أوْ قالَتْ : في لحافـي ـ حتَّـىٰ مـسَّ جلدي جلدَهُ ، ثمَّ قالَ : « يا بنتَ أبـي بكرٍ ؛ ذرِيني أتعبدْ لربِّـي » ، قالَـتْ : قلتُ : إنِّي أحبُّ قربَـكَ ، فأذنتُ لهُ ، فقامَ إلىٰ قِرْبةٍ مِنْ ماءٍ ، فتوضَّـأَ وأكثـرَ صـبَّ المـاءِ ، ثمَّ قـامَ يصلي ؛ فبكـىٰ حتَّىٰ سـالَتْ دموعُهُ علىٰ صدرِهِ ، ثمَّ ركعَ فبكىٰ ، ثمَّ سجدَ فبكىٰ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ فبكىٰ ، فلمْ يزلْ كذٰلكَ حتَّىٰ جاءَ بلالٌ فآذنَهُ بالصلاةِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما يبكيكَ وقدْ غفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ ؟

قالَ : « أفلا أكونُ عبداً شكوراً ؟! ولِمَ لا أفعلُ وقدْ أُنزلَ عليَّ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾ الآيةَ ؟! »[3] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : حقيقةُ الشكرِ عند أهلِ التحقيقِ : الاعترافُ بنعمةِ المنعمِ علىٰ وجهِ الخضوعِ ، وعلىٰ هٰذا القولِ يُوصَفُ

---

(١) سورة إبراهيم : (٧) .

(٢) في (أ) : (يحيى بن بكار) ، وفي (ب) : (يحيى بن يعلى بن بكار) ، وفي (ج) : (يعلى بن بكار) .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦٢٠ ، ٦٢١) ، ومختصراً البخاري (٤٨٣٧) ، ومسلم (٢٨٢٠) ، والآية من سورة آل عمران : (١٩٠) .

الحقُّ سبحانَهُ بأنَّهُ شكورٌ توسُّعاً ، ومعناهُ : أنَّهُ مُجازٍ للعبادِ على الشكرِ ، فيُسمَّىٰ جزاءُ الشكرِ شكراً ، كما قالَ : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[1] .

وقيلَ : شكرُهُ : إعطاؤُهُ الكثيرَ مِنَ الثوابِ على العملِ اليسيرِ ؛ مِنْ قولِهِمْ : دابةٌ شكورٌ ؛ إذا أظهرَتْ مِنَ السِّمَنِ فوقَ ما تُعطىٰ مِنَ العَلَفِ[2] .

ويُحتملُ أنْ يُقالَ : حقيقةُ الشكرِ : الثناءُ على المحسنِ بذكرِ إحسانِهِ ، فشكرُ العبدِ للهِ ثناؤُهُ عليهِ بذكرِ إحسانِهِ إليهِ ، وشكرُ الحقِّ سبحانَهُ للعبدِ ثناؤُهُ عليهِ بذكرِ إحسانِهِ لهُ ، ثمَّ إنَّ إحسانَ العبدِ طاعتُهُ للهِ ، وإحسانَ الحقِّ سبحانَهُ إنعامُهُ على العبدِ بالتوفيقِ للشكرِ ، وشكرُ العبدِ على الحقيقةِ : إنَّما هوَ نطْقُ القلبِ ، وإقرارُ اللسانِ بإنعامِ الربِّ .

والشكرُ ينقسمُ إلىٰ أقسامٍ :

شكرٌ باللسانِ ؛ وهوَ اعترافُهُ بالنعمةِ بنعتِ الاستكانةِ .

وشكرٌ بالبدنِ والأركانِ ؛ وهوَ اتصافٌ بالوفاقِ والخدمةِ .

وشكرٌ بالقلبِ ؛ وهوَ اعتكافٌ علىٰ بساطِ الشهودِ بإدامةِ حفظِ الحرمةِ .

ويقالُ : شكرٌ هوَ شكرُ العالِمِينَ ؛ يكونُ مِنْ جملةِ أقوالِهِمْ ، وشكرٌ هوَ نعتُ العابدينَ ؛ يكونُ نوعاً مِنْ أفعالِهِمْ ، وشكرٌ هوَ شكرُ العارفينَ ؛ يكونُ باستقامتِهِمْ لهُ في عمومِ أحوالِهِمْ .

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ : (شكرُ النعمةِ : مشاهدةُ المنَّةِ ، وحفظُ الحرمةِ)[3] .

وقالَ حَمْدونُ القصَّارُ : (شكرُ النعمةِ : أنْ ترىٰ نفسَكَ فيهِ طُفيليّاً)[4] .

وقالَ الجنيدُ : (الشكرُ فيهِ علَّةٌ ؛ لأنَّهُ طالبٌ لنفسِهِ المزيدَ ، فهوَ واقفٌ معَ اللهِ تعالىٰ علىٰ حظِّ نفسِهِ) .

---

(١) فسمَّىٰ سبحانه جزاء الحق بالسيئة علىٰ سبيل المشاكلة ، والآية من سورة الشورىٰ : (٤٠) .

(٢) أساس البلاغة (ش ك ر) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٢٣) .

(٤) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٤١) ، والضمير في (فيه) : يعود للشكر .

وقالَ أبو عثمانَ : (الشكرُ : معرفةُ العجزِ عنِ الشكرِ)[1] .

ويُقالُ : الشكرُ على الشكرِ أتمُّ مِنَ الشكرِ ؛ وذٰلكَ بأنْ ترىٰ شكرَكَ بتوفيقِهِ ، ويكونُ ذٰلكَ التوفيقُ مِنْ أجلِّ النعمِ عليكَ ، فتشكرُهُ على الشكرِ ، ثمَّ تشكرُهُ علىٰ شكرِ الشكرِ . . . إلىٰ ما لا يتناهىٰ .

وقيلَ : الشكرُ : إضافةُ النعمِ إلىٰ موليها بنعتِ الاستكانةِ لهُ .

وقالَ الجنيدُ : (الشكرُ : ألَّا ترىٰ نفسَكَ أهلاً للنعمةِ)[2] .

وقالَ رُويمٌ : (الشكرُ : استفراغُ الطاقةِ)[3] .

وقيلَ : الشاكرُ : الذي يشكرُ على الموجودِ ، والشكورُ : الذي يشكرُ على المفقودِ .

ويُقالُ : الشاكرُ : الذي يشكرُ على الرفدِ ، والشكورُ : الذي يشكرُ على الردِّ .

ويُقالُ : الشاكرُ : الذي يشكرُ على النفعِ ، والشكورُ : الذي يشكرُ على المنعِ .

ويُقالُ : الشاكرُ : الذي يشكرُ على العطاءِ ، والشكورُ : الذي يشكرُ على البلاءِ[4] .

ويُقالُ : الشاكرُ : الذي يشكرُ عندَ البذلِ ، والشكورُ : الذي يشكرُ عندَ المَطْلِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الأستاذَ أبا سهلٍ الصُّعْلُوكيَّ يقولُ : سمعتُ المرتعشَ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : كنتُ بينَ يدَيِ السريِّ ألعبُ وأنا ابنُ سبعِ سنينَ ، وبينَ يديهِ جماعةٌ يتكلَّمونَ في

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/١٣٠) ، وما سيأتي للمصنف بعده من تمام قوله .

(٢) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٦) .

(٣) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/١٥٥) ، وفي (ب ، ل) : (الطاعة) بدل (الطاقة) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٦٠٨) عن محمد بن سعيد رحمه الله تعالىٰ .

الشكرِ ، فقالَ لي : يا غلامُ ؛ ما الشكرُ ؟ فقلتُ : ألَّا يُعصى اللهُ بنعمِهِ ، فقالَ : يوشكُ أنْ يكونَ حظُّكَ مِنَ اللهِ لسانَكَ .

قالَ الجنيدُ : فلا أزالُ أبكي علىٰ هـٰذهِ الكلمةِ التي قالَها السريُّ (١) .

وقالَ الشِّبليُّ : (الشكرُ : رؤيةُ المنعمِ ، لا رؤيةُ النعمةِ) .

وقيلَ : الشكرُ : قيدُ الموجودِ ، وصيدُ المفقودِ .

وقالَ أبو عثمانَ : (شكرُ العامَّةِ على المطعمِ والملبسِ ، وشكرُ الخواصِّ علىٰ ما يردُ علىٰ قلوبِهِمْ مِنَ المعاني) .

وقيلَ : قالَ داوودُ عليهِ السلامُ : إلـٰهي ؛ كيفَ أشكرُكَ وشكري لكَ نعمةٌ مِنْ عندِكَ ؟ فأوحى اللهُ إليهِ : الآنَ قدْ شكرتَني (٢) .

وقيلَ : قالَ موسىٰ عليهِ السلامُ في مناجاتِهِ : إلـٰهي ؛ خلقْتَ آدمَ بيدِكَ ، وفعلتَ وفعلتَ ، فكيفَ شكرَكَ ؟ فقالَ تعالىٰ : علمَ أنَّ ذٰلكَ منِّي ، فكانَتْ معرفتُهُ بذٰلكَ شكرَهُ لي .

وقيلَ : كانَ لبعضِهِمْ صديقٌ ، فحبسَهُ السلطانُ ، فأرسلَ إليهِ ، فقالَ لهُ صاحبُهُ : اشكرِ اللهَ ، فضُرِبَ الرجلُ ، فكتبَ إليهِ فقالَ : اشكرِ اللهَ ، فجيءَ بمحبوسٍ مجوسيٍّ مبطونٍ ، وقُيِّدَ وجُعِلَ حلقةٌ مِنْ قيدِهِ علىٰ رِجْلِ هـٰذا ، وحلقةٌ علىٰ رجْلِ المجوسيِّ ، وكانَ يقومُ المجوسيُّ بالليلِ مرَّاتٍ ، وهـٰذا يحتاجُ أنْ يقفَ علىٰ رأسِهِ حتَّىٰ يفرغَ ، فكتبَ إلىٰ صاحبِهِ ، فقالَ : اشكرِ اللهِ تعالىٰ ، فقالَ : إلىٰ متىٰ تقولُ ؟! وأيُّ بلاءٍ فوقَ هـٰذا ؟! فقالَ لهُ صاحبُهُ : لوْ وُضِعَ الزُّنَّارُ الذي في وسطِهِ في وسطِكَ كما وُضِعَ القيدُ الذي في رجلِهِ في رجْلِكَ . . ماذا كنتَ تصنعُ ؟!

وقيلَ : دخلَ رجلٌ علىٰ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ ، فقالَ : إنَّ اللصَّ دخلَ داري

---

(١) ورواه الخطيب في « تاريخه » (٧/٢٥٢) ، وهـٰذا فرض الشكر ؛ إذ لا معصية إلا بنعم الله تعالىٰ .

(٢) كذا في « القوت » (١/٢٨٧) ، وبنحوه عن سيدنا موسىٰ عليه السلام رواه أحمد في « الزهد » (٣٤٩) .

وأخذَ متاعي ! فقالَ : اشكرِ اللهَ تعالىٰ ؛ لوْ دخلَ اللصُّ قلبَكَ ـ وهوَ الشيطانُ ـ وأفسدَ التوحيدَ . . ماذا كنتَ تصنعُ ؟!

وقيلَ : شكرُ العينينِ : أنْ تسترَ عيباً تراهُ بصاحبِكَ ، وشكرُ الأذنينِ : أنْ تسترَ عيباً تسمعُهُ فيهِ (١) .

وقيلَ : الشكرُ : التلذُّذُ بثنائِهِ علىٰ ما لمْ تستوجبْهُ مِنْ عطائِهِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : كانَ السريُّ إذا أرادَ أنْ ينفعَني . . يسألُني ، فقالَ لي يوماً : يا أبا القاسمِ ؛ أيْشٍ الشكرُ ؟ فقلتُ : ألَّا يُستعانَ بشيءٍ مِنْ نِعَمِ اللهِ تعالىٰ علىٰ معاصيهِ ، فقالَ : مِنْ أينَ لكَ هـٰذا ؟ فقلتُ : مِنْ مجالسَتِكَ (٢) .

وقيلَ : التزمَ الحسنُ بنُ عليٍّ الركنَ ، فقالَ : (إلـٰهي ؛ نعَّمتَني فلمْ تجدْني شاكراً ، وابتليتَني فلمْ تجدْني صابراً ؛ فلا أنتَ سلبتَ النعمةَ بتركِ الشكرَ ، ولا أدمتَ الشدَّةَ بتركِ الصبرَ ، إلـٰهي ؛ ما يكونُ مِنَ الكريمِ إلَّا الكرمُ) .

وقيلَ : إذا قصُرَتْ يدُكَ عنِ المكافأةِ . . فليطلْ لسانُكَ بالشكرِ (٣) .

وقيلَ : أربعةٌ لا ثمرةَ لأعمالِهِمْ : مُسارَّةُ الأصمِّ ، وواضعُ النعمةِ عندَ مَنْ لا يشكرُ ، والباذرُ في السَّبِخَةِ ، والمُسرِجُ في الشمسِ .

وقيلَ : لمَّا بُشِّرَ إدريسُ عليهِ السلامُ بالمغفرةِ . . سألَ الحياةَ ، فقيلَ لهُ فيهِ ، فقالَ : لأشكرَهُ ؛ فإنِّي كنتُ أعملُ قبلَهُ للمغفرةِ ، فبسطَ المَلَكُ جناحَهُ وحملَهُ إلى السماءِ .

وقيلَ : مرَّ بعضُ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ بحجرٍ صغيرٍ يخرجُ منهُ الماءُ الكثيرُ ، فتعجَّبَ منهُ ، فأنطقَهُ اللهُ معَهُ ، فقالَ : مُذْ سمعتُ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ :

---

(١) انظر « الشكر » لابن أبي الدنيا (١٢٩) .

(٢) تقدم قريباً (ص ٤٢٧) بنحوه .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (٧٠٩) عن بعض الحكماء .

﴿ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[(١)] أنا أبكي مِنْ خوفِهِ ، قالَ : فدعا ذٰلكَ النبيُّ أنْ يجيرَ ذٰلكَ الحجرَ ، فأوحى اللهُ إليهِ : إنّي أجرتُهُ مِنَ النارِ .

فمرَّ ذٰلكَ النبيُّ ، فلما عادَ . . وجدَ الماءَ يتفجَّرُ منهُ مثلَ ذٰلكَ ، فعجبَ ، فأنطقَ اللهُ الحجرَ معَهُ ، فقالَ لهُ : لِمَ تبكي وقدْ غفرَ اللهُ لكَ ؟! فقالَ : ذاكَ كانَ بكاءَ الحزنِ والخوفِ ، وهٰذا بكاءُ الشكرِ والسرورِ .

وقيلَ : الشاكرُ معَ المزيدِ ؛ لأنَّهُ في شهودِ النعمةِ ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[(٢)] ، والصابرُ معَ اللهِ ؛ لأنَّهُ بشهودِ المُبْلِي ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[(٣)] .

وقيلَ : قدِمَ وفدٌ علىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وكانَ فيهِمْ شابٌّ ، فأخذَ يخطُبُ ، فقالَ عمرُ : الكُبْرَ الكُبْرَ ، فقالَ الشابُّ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ لوْ كانَ الأمرُ بالسنِّ . . لكانَ في المسلمينَ مَنْ هوَ أسنُّ منكَ ، فقالَ : تكلَّمْ ، فقالَ : لسْنا وفدَ الرغبةِ ، ولا وفدَ الرهبةِ ، أمَّا الرغبةُ . . فقدْ أوصلَنا إليها فضلُكَ ، وأمَّا الرهبةُ . . فقدْ أمَّنَنا منها عدلُكَ ، فقالَ عمرُ : فمَنْ أنتُمْ ؟ فقالَ : وفدُ الشكرِ ، جئْناكَ نشكرُكَ وننصرفُ[(٤)] .

وأنشدوا : [من الكامل]

وَمِنَ ٱلرَّزِيَّةِ أَنَّ شُكْرِيَ صَامِتٌ عَمَّا فَعَلْتَ وَأَنَّ بِرَّكَ نَاطِقُ
أَأَرَى ٱلصَّنِيعَةَ مِنْكَ ثُمَّ أُسِرُّهَا إِنِّي إِذاً لِيَدِ ٱلْكَرِيمِ لَسَارِقُ[(٥)]

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : ارحمْ عبادي المبتلىٰ والمعافىٰ ، فقالَ : ما بالُ المعافىٰ ؟ فقالَ : لقلَّةِ شكرِهِمْ علىٰ عافيتي إيَّاهُمْ[(٦)] .

---

(١) سورة التحريم : (٦) .

(٢) سورة إبراهيم : (٧) .

(٣) سورة البقرة : (١٥٣) .

(٤) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (١٣٣/٨) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣١٩/٧) .

(٥) هما لأبي تمام ضمن قصيدة له . انظر « ديوانه » (٤٥٤/٢) .

(٦) رواه أبو القاسم الجرجاني في « تاريخ جرجان » (ص ٢٠٢) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

وقيلَ : الحمدُ على الأنفاسِ ، والشكرُ علىٰ نِعَمِ الحواسِّ [١] .

وقيلَ : الحمدُ ابتداءٌ منهُ ، والشكرُ اقتداءٌ منكَ [٢] .

وفي الخبرِ الصحيحِ : « أوَّلُ مَنْ يُدعىٰ إلى الجنةِ : الحمَّادونَ للهِ علىٰ كلِّ حالٍ » [٣] .

وقيلَ : الحمدُ علىٰ ما دفعَ ، والشكرُ علىٰ ما صنعَ .

وحُكِيَ عنْ بعضِهِمْ أنَّهُ قالَ : رأيتُ في بعضِ الأسفارِ شيخاً كبيراً قدْ طعنَ في السنِّ ، فسألتُهُ عنْ حالِهِ ، فقالَ : إنِّي كنتُ في ابتداءِ عمري أهوى ابنةَ عمٍّ لي ، وهيَ كانَتْ كذٰلكَ تهواني ، فاتفقَ أنَّها زُوِّجَتْ منِّي ، فليلةَ زفافِها قلْنا : تعالَي حتَّىٰ نحييَ هٰذهِ الليلةَ شكراً للهِ تعالىٰ علىٰ ما جمعَنا ، فصلَّينا تلكَ الليلةَ ، ولمْ يتفرَّغْ أحدُنا إلىٰ صاحبِهِ ، فلمَّا كانَتِ الليلةُ الثانيةُ . . قلْنا مثلَ ذٰلكَ ، فمنذُ سبعينَ أوْ ثمانينَ سنةً نحنُ علىٰ تلكَ الحالةِ كلَّ ليلةٍ ، أليسَ كذٰلكَ يا فلانةُ ؟ فقالَتِ العجوزُ : كما يقولُ الشيخُ [٤] .

* * *

---

(١) وبهٰذا المنزع يكون الحمد أفضل من الشكر ؛ لمقابلته بالأنفاس ، كما أفاده اللخمي في « الدلالة » .

(٢) لأن الشكر يستدعي تقدُّم النِّعَم ، والحمد لا يستدعيها ؛ لأنه يكون محض ثناء .

(٣) رواه البزار في « مسنده » (٥٠٢٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/١٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٤) قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (فهٰكذا يكون حال من عرف مقدار النعم ، ورغب في نوالها ، عليه شكرها بالقلب وبالفعل والفم) ، كما أن هٰذين المحبّين شكر الله تعالىٰ أن جمع بينهما بالحلال ، فلم يقنعا بشكره سبحانه باللسان ، فاستفرغا عمرهما شاكرين له رحمهما الله تعالىٰ .

بابُ اليقين

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1] .

حدَّثَنا الأستاذُ الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمودِ ابنِ خُرَّزاذَ الأَهْوازيُّ بها قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ سهلِ بنِ أيوبَ قالَ : حدَّثَنا خالدٌ ـ يعني : ابنَ يزيدَ ـ قالَ : حدَّثَنا سفيانُ الثوريُّ وشريكُ بنُ عبدِ اللهِ وسفيانُ بنُ عيينةَ ، عنْ سليمانَ ، عنْ خيثمةَ ، عنْ عبدِ اللهِ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « **لا تُرضِيَنَّ أحداً بسخطِ اللهِ ، ولا تحمـدَنَّ أحداً علىٰ فضلِ اللهِ ، ولا تذمَّنَّ أحداً علىٰ ما لمْ يؤتِكَ اللهُ ؛ فإنَّ رزقَ اللهِ لا يسوقُهُ إليكَ حرصُ حريصٍ ، ولا يردُّهُ عنكَ كراهيةُ كارهٍ ، وإنَّ اللهَ بعدلِهِ وقسطِهِ جعلَ الرَّوْحَ والفرحَ في الرضا واليقينِ ، وجعلَ الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسخطِ** »[2] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا عباسُ بنُ حمزةَ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ قالَ : قالَ أبو عبدِ اللهِ الأنطاكيُّ : (**إنَّ أقلَّ اليقينِ إذا وصلَ إلى القلبِ** . . يملأُ القلبَ نوراً ، وينفي عنهُ كلَّ ريبٍ ، ويمتلئُ القلبُ بهِ شكراً ، ومِنَ اللهِ خوفاً)[3] .

ويُحكىٰ عنْ أبي جعفرٍ الحدَّادِ أنَّهُ قالَ : رآني أبو ترابٍ النَّخْشبيُّ وأنا

---

(١) سورة البقرة : (٤) .

(٢) ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/٢١٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧/١٣٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٤) ، وفي عامة النسخ : (عن سليمان التيمي) ، والمثبت من (ز) ، وهو سليمان الأعمش .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤١) ، ورواه ابن العديم في « بغية الطلب » (١٠/٤٥٠٧) من طريق المصنف ، وأبو عبد الله الأنطاكي : هو أبو علي المتقدم ترجمته (ص ١٤٩) .

في الباديةِ جالسٌ علىٰ بِرْكةِ ماءٍ ، ولي ستةَ عشرَ يوماً لمْ آكلْ ولمْ أشربْ ، فقالَ لي : ما جلوسُكَ ؟ فقلتُ : أنا بينَ العلمِ واليقينِ أنتظرُ ما يغلبُ فأكونُ معَهُ ـ يعني : إنْ غلبَ العلمُ . . شربتُ ، وإنْ غلبَ اليقينُ . . مررتُ ـ فقالَ : سيكونُ لكَ شأنٌ[1] .

وقالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (اليقينُ : قلَّةُ الاهتمامِ لغدٍ)[2] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (اليقينُ مِنْ زيادةِ الإيمانِ ومِنْ تحقيقِهِ) .

وقالَ سهلٌ أيضاً : (اليقينُ : شُعبةٌ مِنَ الإيمانِ ، وهوَ دونَ التصديقِ) .

وقالَ بعضُهُمْ : (اليقينُ : هوَ العلمُ المستودعُ في القلوبِ) ، يشيرُ هٰذا القائلُ إلىٰ أنَّهُ غيرُ مكتسبٍ .

وقالَ سهلٌ : (ابتداءُ اليقينِ : المكاشفةُ ، ولذٰلكَ قالَ بعضُ السلفِ : لوْ كُشِفَ الغطاءُ . . ما ازددتُ يقيناً ، ثمَّ المعاينةُ والمشاهدةُ)[3] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (اليقينُ : تحقُّقُ الأسرارِ بأحكامِ المغيَّباتِ)[4] .

وقالَ أبو بكرِ بنُ طاهرٍ : (العلمُ بمعارضةِ الشكوكِ ، واليقينُ لا شكَّ فيهِ) .

أشارَ إلى العلمِ الكسبيِّ وما يجري مجرى البديهي ، وكذٰلكَ علومُ القومِ ؛ في الابتداءِ كسبيٌّ ، وفي الانتهاءِ بديهيٌّ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : قالَ بعضُهُمْ : (أوَّلُ المقاماتِ : المعرفةُ ، ثمَّ اليقينُ ، ثمَّ التصديقُ ، ثمَّ الإخلاصُ ، ثمَّ الشهادةُ ، ثمَّ الطاعةُ ، والإيمانُ اسمٌ يجمعُ هٰذا كلَّهُ) .

أشارَ هٰذا القائلُ إلىٰ أنَّ أوَّلَ الواجباتِ : هوَ المعرفةُ باللهِ سبحانَهُ ،

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/١١٢) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤١) .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٠٢) ، وسيأتي بيان بعض السلف (ص ٤٣٤) .

(٤) كذا في « طبقات الصوفية » للسلمي (ص ٤٦٥) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ١٤٣) .

والمعرفةُ لا تحصلُ إلَّا بتقديمِ شرائطِها وهوَ النظرُ الصائبُ ، ثمَّ إذا توالَتِ الأدلَّةُ وحصلَ البيانُ . . صارَ بتوالي الأنوارِ وحصولِ الاستبصارِ كالمستغني عنْ تأمُّلِ البرهانِ ، وهيَ حالُ اليقينِ ، ثمَّ تصديقُ الحقِّ سبحانَهُ فيما أخبرَ عندَ إصغائِهِ إلىٰ إجابةِ الداعي فيما يخبرُ عنهُ مِنْ أفعالِهِ سبحانَهُ في المستأنفِ[1] ؛ لأنَّ التصديقَ إنَّما يكونُ في الإخبارِ ، ثمَّ الإخلاصُ فيما يعتنقُهُ مِنْ أداءِ الأوامرِ[2] ، ثمَّ بعدَ ذٰلكَ إظهارُ الإجابةِ بجميلِ الشهادةِ ، ثمَّ أداءُ الطاعاتِ بالتوحيدِ فيما أُمِرَ بهِ ، والتجرُّدِ فيما زُجِرَ عنهُ[3] .

وإلىٰ هٰذا المعنىٰ أشارَ الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ ابنُ فُورَكَ فيما سمعتُهُ يقولُ : (ذكرُ اللسانِ فَضْلةٌ يفيضُ عليها القلبُ)[4] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (حرامٌ علىٰ قلبٍ أنْ يشَمَّ رائحةَ اليقينِ وفيهِ سكونٌ إلىٰ غيرِ اللهِ)[5] .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (اليقينُ داعٍ إلىٰ قِصَرِ الأملِ ، وقِصَرُ الأملِ يدعو إلى الزهدِ ، والزهدُ يورثُ الحكمةَ ، والحكمةُ تورثُ النظرَ في العواقبِ)[6] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ ابنِ سهلٍ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ عثمانَ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ يقولُ : (ثلاثةٌ مِنْ أعلامِ اليقينِ : قلَّةُ مخالطةِ الناسِ في العِشْرةِ ، وتركُ المدحِ لهُمْ في العطيةِ ، والتنزُّهُ عنْ ذمِّهِمْ عندَ المنعِ .

وثلاثةٌ مِنْ أعلامِ يقينِ اليقينِ : النظرُ إلى اللهِ في كلِّ شيءٍ ، والرجوعُ

---

(١) أي : المستقبل ، وقوله الآتي : (الإخبار) أي : لا في الإنشاء . « إحكام الدلالة » (٣/٧٧) .

(٢) في « إحكام الدلالة » (٣/٧٧) : (يتعقبه) بدل (يعتنقه) .

(٣) كذا في (أ) ، وفي (ج) : (والتحرُّز عما زجر عنه) ، وفي سائر النسخ : (عمَّا) بدل (فيما) .

(٤) أي : يخرج منه على اللسان ؛ لأن القلب متى امتلأ بشيء . . نطق ببعضه اللسان . « إحكام الدلالة » (٣/٧٧) .

(٥) رواه الخطيب في « الزهد » (٩) .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤١) .

إليهِ في كلِّ أمرٍ ، والاستعانةُ بهِ في كلِّ حالٍ)[١] .

وقالَ الجنيدُ : (اليقينُ : هوَ استقرارُ العلمِ الذي لا ينقلبُ ولا يحوَّلُ ولا يتغيَّرُ في القلبِ)[٢] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (علىٰ قَدْرِ قربِهِمْ مِنَ التقوىٰ أدركوا مِنَ اليقينِ)[٣] ، وأصلُ التقوىٰ مباينةُ النهيِ ، ومباينةُ النهيِ مباينةُ النفسِ ؛ فعلىٰ قدْرِ مفارقتِهِمُ النفسَ وصلوا إلى اليقينِ .

وقالَ بعضُهُمْ : (اليقينُ : هوَ المكاشفةُ)[٤] ، والمكاشفةُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ : مكاشفةٌ في الأخبارِ ، ومكاشفةٌ بإظهارِ القدرةِ[٥] ، ومكاشفةُ القلوبِ بحقائقِ الإيمانِ .

واعلمْ : أنَّ المكاشفةَ في كلامِهِمْ : عبارةٌ عنْ ظهورِ الشيءِ للقلبِ باستيلاءِ ذكرِهِ مِنْ غيرِ بقاءٍ للريبِ ، وربَّما أرادوا بالمكاشفةِ : ما يقربُ ممَّا يراهُ الرائي بينَ اليقظةِ والنومِ ، وكثيراً ما يعبِّرُ هـٰؤلاءِ عنْ هـٰذهِ الحالِ بالسُّباتِ[٦] .

سمعتُ الإمامَ أبا بكرٍ ابنَ فُورَكَ يقولُ : سألتُ أبا عثمانَ المغربيَّ فقلتُ : هـٰذا الذي تقولُ : (قال الأشخاصُ كذا) أتراهُمْ معاينةً أوْ مكاشفةً ؟ فقالَ : مكاشفةً .

وقالَ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ : (لوْ كُشِفَ الغطاءُ . . ما ازددتُ يقيناً)[٧] .

وقيلَ : اليقينُ : رؤيةُ العيانِ بقوَّةِ الإيمانِ .

وقيلَ : اليقينُ : زوالُ المعارضاتِ .

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٨٠) .

(٢) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٤) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤١) .

(٤) كما تقدم قريباً عن سهل التستري رحمه الله تعالىٰ .

(٥) فمكاشفة الأخبار تكون عن الصادق المعصوم ، والثانية هي الاستدلال بالنظر ، أفاده العلامة اللخمي .

(٦) أي : الراحة للأبدان ؛ لأن العبد يزول إحساسه بنفسه ، وتكون كليته مع ما يراه . « إحكام الدلالة » (٣/٧٩) .

(٧) كذا في « اللمع » (ص ١٠٢) ، و« قوت القلوب » (٢/١٠٢) ، وتقدم قريباً ضمن كلام لسهل التستري .

وقالَ الجنيدُ : (اليقينُ : ارتفاعُ الريبِ في مشهدِ الغيبِ)(١) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ في قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في عيسى ابنِ مريمَ عليهِ السلامُ : « لوْ ازدادَ يقيناً . . لمشىٰ في الهواءِ »(٢) قالَ رحمَهُ اللهُ : إنَّهُ أشارَ بهـٰذا إلىٰ حالِ نفسِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليلةَ المعراجِ ؛ لأنَّ في لطائفِ المعراجِ أنَّهُ قالَ : رأيتُ البُراقَ قدْ بقيَ ومشَيتُ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ فاتكٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ وقدْ سُئِلَ عنِ اليقينِ ، فقالَ : (اليقينُ : سكونُكَ عندَ جولانِ الموارِدِ في صدرِكَ ؛ لتيقُّنِكَ أنَّ حركتَكَ فيها لا تنفعُكَ ، ولا تردُّ عنكَ مقضياً) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ سهلٍ يقولُ : (الحضورُ أفضلُ مِنَ اليقينِ ؛ لأنَّ الحضورَ وَطَناتٌ ، واليقينَ خَطَراتٌ)(٣) .

كأنَّهُ جعلَ اليقينَ ابتداءَ الحضورِ ، والحضورَ دوامَ ذلكَ ، فكأنَّهُ جوَّزَ حصولَ اليقينِ خالياً مِنَ الحضورِ ، وأحالَ جوازَ الحضورِ بلا يقينٍ ، ولهـٰذا قالَ النُّوريُّ : (اليقينُ : المشاهدةُ)(٤) ؛ يعني : أنَّ في المشاهدةِ يقيناً لا شكَّ فيهِ ؛ لأنَّهُ لا يشاهدُهُ مَنْ لا يثقُ بما منهُ(٥) .

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ : (اليقينُ ملاكُ القلبِ وبهِ كمالُ الإيمانِ ، وباليقينِ عُرِفَ اللهُ ، وبالعقلِ عُقِلَ عنِ اللهِ) .

---

(١) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٤) .

(٢) بعض حديث رواه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٢/٨٠٨) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/١٥٦) عن وهيب المكي يرفعه ، وانظر « الإتحاف » (٩/٧٥) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٣٤) ، ووطنات : جمع وطن ؛ أراد الدوام .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٣) .

(٥) أي : من لا يقين عنده بإيمانه ، فمن لا يقين له . . لا مشاهدة له . « إحكام الدلالة » (٣/٨١) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

وقالَ الجنيدُ : (قدْ مشىٰ رجالٌ باليقينِ على الماءِ ، وماتَ بالعطشِ أفضلُ منهُمْ يقيناً)[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : قالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : لقِيتُ غلاماً في التيهِ كأنَّهُ سبيكةُ فضةٍ ، فقلتُ لهُ : إلىٰ أينَ يا غلامُ ؟ فقالَ : إلىٰ مكةَ ، فقلتُ : بلا زادٍ ولا راحلةٍ ولا نفقةٍ ؟! فقالَ لي : يا ضعيفَ اليقينِ ؛ الذي يقدرُ علىٰ حفظِ السماواتِ والأرَضينَ لا يقدرُ علىٰ أنْ يوصلَني إلىٰ مكةَ بلا علاقةٍ ؟![2] .

قالَ : فلمَّا دخلتُ مكةَ . . فإذا أنا بهِ في الطوافِ وهوَ يقولُ : [من مجزوء الرجز]

يَا عَيْنُ سُحِّي أَبَدَا ... يَا نَفْسُ مُوتِي كَمَدَا
وَلَا تُحِبِّي أَحَدَا ... إِلَّا ٱلْجَلِيلَ ٱلصَّمَدَا

فلمَّا رآني . . قالَ لي : يا شيخُ ؛ أنتَ بعدُ علىٰ ذٰلكَ الضعفِ مِنَ اليقينِ ؟[3] .

وسمعْتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ النَّهْرَجُوريَّ يقولُ : (إذا استكملَ العبدُ حقائقَ اليقينِ . . صارَ البلاءُ عندَهُ نعمةً ، والرخاءُ عندَهُ مصيبةً)[4] .

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ : (اليقينُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ : يقينُ خبرٍ ، ويقينُ دلالةٍ ، ويقينُ مشاهدةٍ) .

وقالَ أبو ترابٍ النَّخْشبيُّ : رأيتُ غلاماً في الباديةِ يمشي بلا زادٍ ، فقلتُ :

---

(١) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٦٣) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (هـٰذا يدل علىٰ أنه لا ملازمة بين قوة اليقين وخوارق العادات) .

(٢) العلاقة : ما يتبلَّغ به من عيش .

(٣) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤١) .

(٤) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٣٩) .

إنْ لمْ يكنْ معَهُ يقينٌ . . فقدْ هلكَ ، فقلتُ : يا غلامُ ؛ في مثلِ هـٰذا الموضعِ بلا زادٍ ؟! فقالَ لي : يا شيخُ ؛ ارفعْ رأسَكَ ؛ هلْ ترىٰ غيرَ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟ فقلتُ : الآن اذهَبْ حيثُ شئتَ [١] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عيسىٰ يقولُ : قالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (العلمُ ما استعملَكَ ، واليقينُ ما حملَكَ) [٢] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ ابنَ الأَدَميِّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاصَ يقولُ : طلبتُ المعاشَ لأكلِ الحلالِ ، فاصطدتُ السمكَ ، فيوماً وقعَتْ في الشبكةِ سمكةٌ ، فأخرجتُها ، وطرحتُ الشبكةَ في الماءِ ، فوقعَتْ فيها أخرىٰ ، فرميتُ بها ، ثمَّ عُدتُ ، فهتفَ بي هاتفٌ : لمْ تجدْ معاشاً إلَّا أنْ تأتيَ مَنْ يذكرُنا فتقتلَهُمْ ؟!

قالَ : فكسرتُ القصبةَ ، وتركتُ الاصطيادَ [٣] .

* * *

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٧٥) .

(٢) ورواه البيهقي في « الشعب » (١٧٣٥) .

(٣) قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (وهـٰذا ـ وفقك الله ـ ليس إنكاراً على الصيد ولا طلب الحلال ؛ لأن صيد البحر مما له حلال ، وأحسن ما أكل الإنسان ، لـٰكن الله سبحانه يؤدب أولياءه بخواطر ينبِّهُهُمْ بها علىٰ أنهم لا يسكنون لغيره ، فمتىٰ علم من بعض عبيده الخواص ركوناً إلىٰ غيره . . نبَّهَهُ ليرجع إليه ويعتمد عليه دون الأسباب ، فلا يزالون عاكفين على الباب ، معرضين عن الأسباب ؛ حتىٰ لا يحجبهم عن رؤيته حجاب) .

بابُ الصَّبر

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[(١)] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عليٍّ الخزَّازُ قالَ : حدَّثَنا أسيدُ بنُ زيدٍ قالَ : حدَّثَنا مسعودُ بنُ سعيدٍ ، عنِ الزيَّاتِ ، عنْ أبي هريرةَ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنهما رفعَتْهُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الصبرَ عندَ الصدمةِ الأولىٰ » .

وأخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عمرَ[(٢)] قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ مرداسٍ قال : حدَّثَنا يوسفُ بنُ عطيةَ ، عنْ عطاءِ بنِ أبي ميمونةَ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الصبرُ عندَ الصدمةِ الأولىٰ »[(٣)] .

قالَ الأستاذُ : الصبرُ علىٰ أقسامٍ : صبرٌ علىٰ ما هوَ كسبٌ للعبدِ ، وصبرٌ علىٰ ما ليسَ بكسبٍ .

فالصبرُ على المكتسبِ علىٰ قسمينِ : صبرٌ علىٰ ما أمرَ اللهُ بهِ ، وصبرٌ عمَّا نهى اللهُ عنهُ .

وأمَّا الصبرُ علىٰ ما ليسَ بمكتسبٍ للعبدِ . . فصبرُهُ علىٰ مقاساةِ ما يتصلُ بهِ مِنْ حكمِ اللهِ فيما لهُ فيهِ مشقَّةٌ[(٤)] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (**المسيرُ مِنَ الدنيا إلى الآخرةِ سهلٌ هيِّنٌ على المؤمنِ ، وهِجرانُ الخلْقِ في جنبِ الحقِّ**

---

(١) سورة النحل : (١٢٧) .

(٢) كذا في جميع النسخ ، ولعله أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ، أبو بكر .

(٣) ورواه البخاري (١٢٨٣) ، ومسلم (٩٢٦) .

(٤) في (ي) : (فيما يناله فيه مشقة) .

شديدٌ ، والمسيرُ مِنَ النفسِ إلى اللهِ صعبٌ شديدٌ ، والصبرُ معَ اللهِ أشدُّ)[1] .

وسُئِلَ عنِ الصبرِ ، فقالَ : تجرُّعُ المرارةِ مِنْ غيرِ تعبيسٍ[2] .

وقَالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (الصبرُ مِنَ الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ مِنَ الجسدِ)[3] .

وقالَ أبو القاسمِ الحكيمُ : (قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ أمرٌ بالعبادةِ ، وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[4] عبوديةٌ ، فمَنْ ترقَّىٰ مِنْ درجةِ « لكَ » إلىٰ درجةِ « بكَ » . . فقدِ انتقلَ مِنْ درجةِ العبادةِ إلىٰ درجةِ العبوديَّةِ ؛ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بكَ أحيا وبكَ أموتُ »)[5] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ عبَّاساً يقولُ : سمعتُ أحمدَ يقولُ : سألتُ أبا سليمانَ عنِ الصبرِ ، فقالَ : واللهِ ؛ ما نصبرُ علىٰ ما نحبُّ ، فكيفَ نصبرُ علىٰ ما نكرهُ ؟![6] .

وقالَ ذو النونِ : (الصبرُ : التباعدُ عنِ المخالفاتِ ، والسكونُ عندَ تجرُّعِ غُصَصِ البليَّةِ ، وإظهارُ الغنىٰ معَ حلولِ الفقرِ بساحاتِ المعيشةِ)[7] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (الصبرُ : الوقوفُ معَ البلاءِ بحسنِ الأدبِ) .

وقيلَ : هوَ : الفناءُ في البلوىٰ[8] ، بلا ظهورِ شكوىٰ .

---

(١) وأورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٤) ، والصبر مع الله : يعني علىٰ دوام مراقبة الله في حقه على العبد ، كما في « نتائج الأفكار » (٣/٨٥) .

(٢) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٤) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الصبر والثواب عليه » (٨) .

(٤) سورة النحل : (١٢٧) .

(٥) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٧٩) ، والحديث رواه الطبراني في « الدعاء » (٢٩١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفرق بين : (أصلي لك) وبين : (أصلي بك) .

(٦) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٩٧) ، وفيه أن الصبر بعون الله تعالىٰ ، وعباس : هو العباس بن حمزة النيسابوري ، وأحمد : هو ابن أبي الحواري .

(٧) رواه بنحوه البيهقي في « الشعب » (٩٦٣٥) .

(٨) كذا في جميع الأصول غير (أ) ، وفيها : (العناء في البلوىٰ) .

وقالَ أبو عثمانَ : (الصبَّارُ : الذي عوَّدَ نفسَهُ الهجومَ على المكارهِ)[١] .

وقيلَ : الصبرُ : المُقامُ مَعَ البلاءِ بحسنِ الصحبةِ كالمقامِ مَعَ العافيةِ[٢] .

وقالَ أبو عثمانَ : (أحسنُ الجزاءِ علىٰ عبادةٍ : الجزاءُ على الصبرِ ، ولا جزاءَ فوقَهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾)[٣] .

وقالَ عمرُو بنُ عثمانَ : (الصبرُ : هوَ الثباتُ معَ اللهِ تعالىٰ ، وتلقِّي بلائِهِ بالرحْبِ والدَّعَةِ) .

وقالَ الخوَّاصُ : (الصبرُ : الثباتُ علىٰ أحكامِ الكتابِ والسنةِ)[٤] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : صبرُ المحبِّينَ أشدُّ مِنْ صبرِ الزاهدينَ ، وا عجباً كيفَ يصبرونَ ؟![٥] ، وأنشدَ : [من الكامل]

اَلصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي ٱلْمَوَاطِنِ كُلِّهَا   إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يُحْمَدُ

وقالَ رُويمٌ : (الصبرُ : تركُ الشكوىٰ)[٦] .

وقالَ ذو النونِ : (الصبرُ : هوَ الاستعانةُ باللهِ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الصبرُ كاسمِهِ)[٧] .

أنشدَني الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ قالَ : أنشدَني أبو بكرٍ الرازيُّ قالَ :

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١٣٤/٢) .

(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١١٩/٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٩٩) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٩٩) ، والآية من سورة النحل : (٩٦) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٩٩) .

(٥) عجباً : بالتنوين علىٰ أن (وا) اسم فعل بمعنىٰ : (أعجب) ، وبالإهمال علىٰ أنها للندبة ، والأصل : (وا عجبي) فهي ألف منقلبة عن الياء ، وانظر « إرشاد الساري » (٢٧٠/٤) .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٠١/١٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٦٠٧) .

(٧) تعريضاً بالصَّبِر ككَتِف ، قال في « إحكام الدلالة » (٨٧/٣) : (في المرارة والمشقة ، وشدة المعاناة في التداوي به) .

أُنشدَني ابنُ عطاءٍ لنفسِهِ : [من الطويل]

سَـأَصْبِرُ كَـيْ تَرْضَـىٰ وَأَتْلَفُ حَسْـرَةً وَحَسْـبِيَ أَنْ تَرْضَـىٰ وَيُتْلِفُنِـي صَبْرِي

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : (الصبرُ علىٰ ثلاثةِ أقسامٍ : متصبِّرٌ ، وصابرٌ ، وصبَّارٌ) .

وقالَ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ : (الصبرُ مطيَّةٌ لا تكبو) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ اللهِ البصريَّ يقولُ : وقفَ رجلٌ على الشِّبليِّ فقالَ : أيُّ صبرٍ أشدُّ على الصابرينَ ؟ فقالَ : الصبرُ في اللهِ عزَّ وجلَّ ، فقالَ : لا ، قالَ : الصبرُ للهِ ، قالَ : لا ، قالَ : الصبرُ معَ اللهِ ، قالَ : لا ، قالَ : فأيُّ شيءٍ ؟ قالَ : الصبرُ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فصرخَ الشِّبليُّ صرخةً كادَتْ روحُهُ تتلَفُ(١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ الجُرَيريَّ يقولُ : (الصبرُ : ألَّا يفرِّقَ بينَ حالِ النعمةِ والمحنةِ ، معَ سكونِ الخاطرِ فيهما ، والتصبُّرُ : هوَ السكونُ معَ البلاءِ ، معَ وِجدانِ أثقالِ المحنةِ) .

وأنشدَ بعضُهُمْ : [من الطويل]

صَبَرْتُ وَلَـمْ أُطْلِعْ هَوَاكَ عَلَىٰ صَبْرِي وَأَخفَيْتُ مَا بِي مِنكَ عَنْ مَوْضِعِ ٱلصَّبْرِ

مَخَافَـةَ أَنْ يَشْـكُو ضَمِيـرِي صَبَابَتِـي إِلَـىٰ دَمْعَتِـي سِـرّاً فَتَجْـرِي وَلَا أَدْرِي(٢)

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (فازَ الصابرونَ بعزِّ الدارينِ ؛ لأنَّهُمْ نالوا مِنَ اللهِ معيَّتَهُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(٣)) .

---

(١) أورده ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/٦٦) .

(٢) البيتان أوردهما الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٠٠) للمرتعش ، وفيه (سواك) بدل (هواك) .

(٣) سورة البقرة : (١٥٣) .

وقيلَ في معنىٰ قولِهِ : ﴿ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [١] : الصبرُ دونَ المصابرةِ ، والمصابرةُ دونَ المرابطةِ .

وقيلَ : اصبروا بنفوسِكُمْ علىٰ طاعةِ اللهِ تعالىٰ ، وصابروا بقلوبِكُمْ على البلوىٰ في اللهِ تعالىٰ ، ورابطوا بأسرارِكُمْ على الشوقِ إلى اللهِ تعالىٰ .

وقيلَ : اصبروا في اللهِ ، وصابروا باللهِ ، ورابطوا معَ اللهِ [٢] .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : تخلَّقْ بأخلاقي ، وإنَّ مِنْ أخلاقي أنِّي أنا الصبورُ [٣] .

وقيلَ : تجرَّعِ الصبرَ ؛ فإنْ قتلَكَ . . قتلَكَ شهيداً ، وإنْ أحياكَ . . أحياكَ عزيزاً .

وقيلَ : الصبرُ للهِ عناءٌ [٤] ، والصبرُ باللهِ بقاءٌ ، والصبرُ في اللهِ بلاءٌ ، والصبرُ معَ اللهِ وفاءٌ ، والصبرُ عنِ اللهِ جفاءٌ .

وأنشدوا : [من الوافر]

إِذَا لَعِبَ ٱلرِّجَالُ بِكُلِّ شَيْءٍ ... رَأَيْتَ ٱلْحُبَّ يَلْعَبُ بِٱلرِّجَالِ
وَكَيْفَ ٱلصَّبْرُ عَمَّنْ حَلَّ مِنِّي ... بِمَنْزِلَةِ ٱلْيَمِينِ مِنَ ٱلشِّمَالِ

وأنشدوا : [من البسيط]

وَٱلصَّبْرُ عَنْكَ فَمَذْمُومٌ عَوَاقِبُهُ ... وَٱلصَّبْرُ فِي سَائِرِ ٱلأَشْيَاءِ مَحْمُودُ

وقيلَ : الصبرُ على الطلبِ عُنوانُ الظفرِ ، والصبرُ في المحنِ عُنوانُ الفرجِ .

سمعتُ منصورَ بنَ خلفٍ المغربيَّ يقولُ : جُرِّدَ واحدٌ للسِّياطِ ، فلمَّا رُدَّ إلى السجنِ . . دعا ببعضِ أصحابِهِ فتفلَ علىٰ يدِهِ ، وألقىٰ مِنْ فمِهِ دِقَاقَ

---

(١) سورة آل عمران : (٢٠٠) .
(٢) كذا في « تفسير السلمي » (١/١٣٧) .
(٣) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٣٤٤) .
(٤) أي : مشقة وكلفة . « إحكام الدلالة » (٣/٨٨) ، وفي (أ ، هـ ، ط ، ك ، ل) : (غَناء) ، وهو ظاهر .

الفضةِ علىٰ يدِهِ ، فسُئِلَ [عنْ ذٰلكَ] ، فقالَ : كانَ في فمي دِرْهمانِ ، وكانَ علىٰ حاشيةِ الحلقةِ لي عينٌ ، لمْ أردْ أنْ أصيحَ لرؤيتِهِ إيَّايَ ، فكنتُ أعَضُّ على الدرهمينِ ، فتكسَّرا في فمي .

وقيلَ : حالُكَ التي أنتَ فيها رباطُكَ ، وما دونَ اللهِ أعداؤُكَ ، فأحسنُ المرابطةِ في رباطِ حالِكَ [1] .

وقيلَ : المصابرةُ : هيَ الصبرُ على الصبرِ ، حتَّىٰ يستغرقَ الصبرَ في الصبرِ ، فيعجِزَ الصبرُ عنِ الصبرِ ؛ كما قيلَ : [من الخفيف]

صَابَـرَ ٱلصَّبْـرَ فَٱسْـتَغَاثَ بِـهِ ٱلصَّبْـ ـرُ فَصَـاحَ ٱلْمُحِـبُّ بِٱلصَّبْـرِ صَبْـرَا [2]

وقيـلَ : حُبِـسَ الشـبليُّ وقتاً في المارسـتانِ ، فدخلَ عليـهِ جماعةٌ ، فقالَ : مَـنْ أنتُـمْ ؟ فقالـوا : أحبابُكَ جاؤوا زائريـنَ ، فأخذَ يرميهِـمْ بالحجرِ ، فأخذوا يهربونَ ، فقالَ : لوْ كنتُمْ أحبَّائي . . لصبرتُمْ علىٰ بلائي [3] .

وفي بعضِ الأخبارِ : بِعَيني ما يتحمَّلُ المتحمِّلونَ مِنْ أجلي [4] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [5] .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ بمكةَ ، فرأيتُ فقيراً طافَ بالبيتِ ، وأخرجَ مِنْ جيبِهِ رقعةً ، ونظرَ فيها ومرَّ ، فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ . . فعلَ مثلَ ذٰلكَ .

فترقَّبتُهُ أياماً وهوَ يفعلُ مثلَهُ ، فيوماً مِنَ الأيامِ طافَ ونظرَ في الرقعةِ ، وتباعدَ قليلاً ، وسقطَ ميتاً ، فأخرجتُ الرقعةَ مِنْ جيبِهِ ، فإذا فيها : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

---

(١) كذا ضبطت بقلم العلامة المبارك في (ي) ، وقد تقرأ : (فأحسِنِ المرابطةَ . . .) .

(٢) هو لذي النون كما في « تفسير السلمي » (٢/١٩٤) ، وقبله :

عبـراتٌ خططْـنَ فـي الخـدِّ سـطرا قــدْ قـراهُ مَـنْ ليـس يحسـنُ يقـرا

(٣) في (ي) : (يا كذَّابون ؛ لو كنتم . . .) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٩٠) عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بلاغاً .

(٥) سورة الطور : (٤٨) .

وقيلَ : رُئِيَ حَدَثٌ يلطِمُ وجهَ شيخٍ بنعلِهِ ، فقيلَ لهُ : ألا تستحيي ؟! تضربُ حُرَّ وجهِ شيخٍ مثلِ هـٰذا ؟![1] فقالَ : جرمُهُ عظيمٌ ، فقيلَ : وما ذاكَ ؟ فقالَ : هـٰذا الشيخُ يدَّعي أنَّهُ يهواني ومنذُ ثلاثٍ ما رآني ![2] .

وقالَ بعضُهُمْ : دخلتُ بلادَ الهندِ ، فرأيتُ رجلاً بفردِ عينٍ يسمَّىٰ فلاناً الصبورَ ، فسألتُ عنْ حالِهِ ، فقيلَ : هـٰذا في عنفوانِ شبابِهِ سافرَ صديقٌ لهُ ، فخرجَ في وداعِهِ ، فدمعَتْ إحدىٰ عينيهِ ولمْ تبكِ الأخرىٰ ، فقالَ لعينِهِ التي لمْ تدمعْ : لِمَ لمْ تدمعي علىٰ فراقِ صاحبي ؟! لأحرمنَّكِ النظرَ إلى الدنيا ، وغمضَ عينَهُ ، فمنذُ ستينَ سنةً لمْ يفتحْ عينَهُ .

وأنشدوا : [من الوافر]

بَكَـتْ عَيْنِـي غَـدَاةَ ٱلْبَيْـنِ دَمْعـاً ... وَأُخْـرَىٰ بِٱلْبُـكَا بَخِلَـتْ عَلَيْنَـا
فَعَاقَبْـتُ ٱلَّتِـي بَخِلَـتْ بِدَمْـعٍ ... بِـأَنْ غَمَّضْتُهَـا يَـوْمَ ٱلْتَقَيْنَـا
وَجَازَيْـتُ ٱلَّتِـي سَـمَحَتْ بِدَمْـعٍ ... بِـأَنْ أَقْرَرْتُهَـا بِٱلْحِـبِّ عَيْنَـا[3]

وقيلَ : ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ الصبر الجميلُ : أنْ يكونَ صاحبُ المصيبةِ في القومِ لا يُدرىٰ مَنْ هوَ .

وقالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لوْ كانَ الصبرُ والشكرُ بعيرينِ . . لا أبالي أيَّهُما ركبتُ)[4] .

وكانَ ابنُ شُبْرُمَةَ إذا نزلَ بهِ بلاءٌ . . قالَ : سحابةٌ ثمَّ تنقشعُ .

وفي خبرٍ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ سُئِلَ عنِ الإيمانِ ، فقالَ : « الصبرُ والسماحةُ » ، أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ طاهرٍ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عليٍّ المشـيخانيُّ قالَ : حدَّثَنا

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي « إحكام الدلالة » (٣/ ٩٠) : (بمثل) بدل (مثل) .
(٢) فهـٰذا صبرٌ في تلبية الشهوات وإيثار الفانيات ، فكيف بجنب القديم الباقي جلَّ وعزَّ ؟!
(٣) كذا في (ج) وحدها إنشاد الأبيات مصححاً ، والبيتان الأولان لابن المعتز كما في « ديوانه » (١/ ٢٧٩) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٧) ، والآية من سورة المعارج : (٧٠) .

محمدُ بنُ إسـماعيلَ البخاريُّ قالَ : حدَّثَنا موسـى بنُ إسماعيلَ قالَ : حدَّثَنا سـويدٌ أبو حاتِمٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ عبيدِ بنِ عميرٍ ، عنْ أبيهِ ، عنْ جدِّهِ قالَ : سُـئِلَ رسـولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ عنِ الإيمانِ ، فقالَ : « الصبرُ والسماحةُ »[1] .

وسُئِلَ السريُّ عنِ الصبرِ ، فجعلَ يتكلَّمُ فيهِ ، فدبَّ علىٰ رجْلِهِ عقربٌ وهيَ تضربُهُ بإبرتِها ضرباتٍ كثيرةً وهوَ ساكنٌ ، فقيلَ لهُ : لِمَ لمْ تُنحِّها ؟

فقالَ : استحييتُ مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ أتكلَّمَ في الصبرِ ولمْ أصبرْ .

وفي بعضِ الأخبارِ : الفقراءُ الصُّبَّرُ همُ جُلساءُ اللهِ تعالىٰ يومَ القيامةِ[2] .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ بعضِ أنبيائِهِ : أنزلتُ بعبدي بلائي ، فدعاني ، فماطلتُهُ بالإجابةِ ، فشكاني ، فقلتُ : عبدي ؛ كيفَ أرحمُكَ مِنْ شيءٍ بهِ أرحمُكَ ؟!

وقالَ ابنُ عيينةَ في معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ قالَ : لمَّا أخذوا برأسِ الأمرِ . . جعلْناهُمْ رؤساءَ[3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : إنَّ الصبرَ حدُّهُ : ألَّا تعترضَ على التقديرِ ، فأمَّا إظهارُ البلاءِ علىٰ غيرِ وجهِ الشكوىٰ . . فلا ينافي الصبرَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ في قصَّةِ أيوبَ عليهِ السلامُ : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾[4] معَ ما أخبرَ عنهُ أنَّهُ قالَ : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾[5] .

وسمعتُهُ يقولُ : استخرجَ منهُ هٰذهِ المقالةَ ـ يعني : قولَهُ : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ ـ ليكونَ متنفَّساً لضعفاءِ هٰذهِ الأمةِ .

---

(١) ورواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٣٤١/٤) وعمير : هو سيدنا عمير بن قتادة الليثي رضي الله عنه ، وهو عند أحمد في « المسند » (٣٨٥/٤) من حديث سيدنا عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه ، وانظر « الإتحاف » (١٧١/٨) .

(٢) رواه المصنف (ص ٥٧١) كما سيأتي ، وانظر « الإتحاف » (٢٨٣/٩) .

(٣) انظر « تفسير ابن كثير » (٤٦٣/٣) ، والآية من سورة السجدة : (٢٤) .

(٤) سورة صٓ : (٤٤) .

(٥) سورة الأنبياء : (٨٣) .

وقالَ بعضُهُمْ : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَهُ صَابِرًا ﴾[1] ولمْ يكنْ صبوراً[2] ؛ لأنَّهُ لمْ يكنْ جميعَ أحوالِهِ الصبرُ ، بلْ كانَ في بعضِ أحوالِهِ يستلذُّ البلاءَ ويستعذبُهُ ، فلمْ يكنْ في أحوالِ الاستلذاذِ صابراً ، فلذٰلكَ لمْ يقلْ : صبوراً .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : حقيقةُ الصبرِ : الخروجُ مِنَ البلاءِ علىٰ حسبِ الدخولِ فيهِ ؛ مثلُ أيوبَ عليهِ السلامُ ، قالَ في آخرِ بلائِهِ : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3] ، فحفظَ أدبَ الخطابِ حينَ عرَّضَ بقولِهِ : ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ، ولمْ يصرِّحْ بقولِهِ : ارحمْني .

واعلمْ : أنَّ الصبرَ علىٰ ضربينِ : صبرُ العابدينَ ، وصبرُ المحبِّينَ .

فصبرُ العابدينَ أحسنُهُ : أنْ يكونَ محفوظاً ، وصبرُ المحبِّينَ أحسنُهُ : أنْ يكونَ مرفوضاً ، وفي معناهُ أنشدوا : [من الطويل]

تَبَيَّـــنَ يَــوْمَ ٱلْبَيْـــنِ أَنَّ ٱعْتِزَامَـــهُ ... عَلَى ٱلصَّبْرِ مِنْ إِحْدَى ٱلظُّنُونِ ٱلْكَوَاذِبِ[4]

وفي هٰذا المعنىٰ سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : أصبحَ يعقوبُ عليهِ السلامُ وقدْ وعدَ الصبرَ مِنْ نفسِهِ فقالَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[5] ؛ أيْ : فشأني صبرٌ جميلٌ ، ثمَّ لمْ يُمسِ حتَّىٰ قالَ : ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾[6] .

* * *

(١) سورة صٓ : (٤٤) .

(٢) في (هـ ، ح ، ي) : (يقل) بدل (يكن) ، والمثبت من عامة النسخ ألصق بالسياق .

(٣) سورة الأنبياء : (٨٣) .

(٤) هو لعبد الله بن طاهر ضمن أبيات له . انظر « الأغاني » (٥/٢٠٥٧) .

(٥) سورة يوسف : (٨٣) .

(٦) سورة يوسف : (٨٤) .

بابُ المراقبة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ (١) .

أخبرَنا أبو نعيمٍ عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ إسحاقَ قالَ : حدَّثَنا أبو عَوانةَ يعقوبُ بنُ إسحاقَ قالَ : حدَّثَنا يوسفُ بنُ سعيدِ بنِ مسلمٍ قالَ : حدَّثَنا خالدُ بنُ يزيدَ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ أبي خالدٍ ، عنْ قيسِ بنِ أبي حازمٍ ، عنْ جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَليِّ قالَ : جاءَ جبريلُ عليهِ السلامُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في صورةِ رجلٍ فقالَ : **يا محمدُ ؛ ما الإيمانُ ؟** فقالَ : « أنْ تؤمنَ باللهِ ، وملائكتِهِ ، وكتبِهِ ، ورسلِهِ ، والقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ » ، قالَ : صدقتَ ، قالَ : فتعجَّبْنا مِنْ تصديقِهِ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ : **فأخبِرْني ما الإسلامُ ؟** قالَ : « **الإسلامُ** : أنْ تقيمَ الصلاةَ ، وتؤتيَ الزكاةَ ، وتحجَّ البيتَ ، وتصومَ رمضانَ » ، قالَ : صدقتَ ، **قالَ : فأخبِرْني ما الإحسانُ ؟** قالَ : « **الإحسانُ** : أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ ، فإنْ لمْ تكنْ تراهُ . . فهوَ يراكَ » ، قالَ : صدقتَ . . . الحديثَ (٢) .

هٰذا الذي قالَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فإنْ لمْ تكنْ تراهُ . . فهوَ يراكَ » . . إشارةٌ إلىٰ حالِ المراقبةِ ؛ **لأنَّ المراقبةَ** : عِلمُ العبدِ باطلاعِ الربِّ سبحانَهُ وتعالىٰ عليهِ ، واستدامتُهُ لهٰذا العلمِ مراقبتُهُ لربِّهِ ، **وهٰذا أصلُ كلِّ خيرٍ لهُ .**

ولايكادُ يصلُ إلىٰ هٰذهِ الرتبةِ إلَّا بعدَ فراغِهِ مِنَ المحاسبةِ ، فإذا حاسبَ نفسَهُ علىٰ ما سلفَ ، وأصلحَ حالَهُ في الوقتِ ، ولازمَ طريقَ الحقِّ ، وأحسنَ

---

(١) سورة الأحزاب : (٥٢) .

(٢) ورواه أبو الشيخ في « طبقات المحدثين بأصبهان » (٢٥٩/٤) برقم (١٠١٦) ، وهو في « الصحيحين » عن غير سيدنا جرير رضي الله عنه .

بينَهُ وبينَ اللهِ مراعاةَ القلبِ ، وحفظَ معَ اللهِ الأنفاسَ . . راقبَ اللهَ في عمومِ أحوالِهِ ، فيعلمُ أنَّهُ سبحانَهُ عليهِ رقيبٌ ، ومِنْ قلبِهِ قريبٌ ، يعلمُ أحوالَهُ ، ويرىٰ أفعالَهُ ، ويسمعُ أقوالَهُ ، ومَنْ تغافلَ عنْ هٰذهِ الجملةِ . . فهوَ بمعزلٍ عنْ بدايةِ الوُصلةِ ، فكيفَ عنْ حقائقِ القربةِ ؟!

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُريريَّ يقولُ : (مَنْ لمْ يُحكِمْ بينَهُ وبينَ اللهِ التقوىٰ والمراقبةَ . . لمْ يصلْ إلى الكشفِ والمشاهدةِ)(١) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : كانَ لبعضِ الأمراءِ وزيرٌ ، وكانَ بينَ يديهِ يوماً ، فالتفتَ إلىٰ بعضِ الغلمانِ الذينَ كانوا وقوفاً لا لريبةٍ ، ولٰكنْ لحركةٍ أوْ صوتٍ أحسَّ منهُمْ ، فاتفقَ أنَّ ذٰلكَ الأميرَ نظرَ إلىٰ هٰذا الوزيرِ في تلكَ الحالةِ ، فخافَ الوزيرُ أنْ يتوهَّمَ الأميرُ أنَّهُ نظرَ إليهِمْ لريبةٍ ، فجعلَ ينظرُ إليهِ كذٰلكَ(٢) ، فبعدَ ذٰلكَ اليومِ كانَ هٰذا الوزيرُ يدخلُ على الأميرِ وهوَ أبداً ينظرُ إلىٰ جانبٍ ؛ حتَّىٰ توهَّمَ الأميرُ أنَّ ذٰلكَ خِلْقةٌ وحَوَلٌ فيهِ .

فهٰذا مراقبةُ مخلوقٍ لمخلوقٍ ، فكيفَ مراقبةُ العبدِ لسيِّدِهِ ؟!

سمعتُ بعضَ الفقراءِ يقولُ : كانَ أميرٌ لهُ غلامٌ يُقبِلُ عليهِ أكثرَ مِنْ إقبالِهِ علىٰ غيرِهِ مِنْ غلمانِهِ ، ولمْ يكنْ أكثرَهُمْ قيمةً ، ولا أحسنَهُمْ صورةً ، فقالوا لهُ في ذٰلكَ ، فأرادَ الأميرُ أنْ يبيِّنَ لهُمْ فضْلَ الغلامِ في الخدمةِ علىٰ غيرِهِ .

فيوماً مِنَ الأيامِ كانَ راكباً ومعَهُ الحشمُ ، وبالبعدِ منهُمْ جبلٌ عليهِ ثلجٌ ، فنظرَ الأميرُ إلى الثلجِ وأطرقَ ، فركضَ الغلامُ فرسَهُ ولمْ يعلمِ القومُ لماذا ركضَ ، فلمْ يلبثْ إلَّا يسيراً حتَّىٰ جاءَ ومعَهُ شيءٌ مِنَ الثلجِ ، فقالَ الأميرُ : ما أدراكَ أنِّي أردتُ الثلجَ ؟ فقالَ الغلامُ : لأنَّكَ نظرتَ إليهِ ، ونظرُ السلطانِ إلىٰ

---

(١) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٠٦) .

(٢) أي : ملتفتاً إلىٰ جهة أخرىٰ كنظره الأول . « إحكام الدلالة » (٣/٩٤) .

شيءٍ لا يكونُ عنْ غيرِ قصدٍ ، فقالَ الأميرُ : إنَّما أخصُّهُ بإكرامي وإقبالي لأنَّ لكلِّ أحدٍ شغلاً ، وشغلُهُ مراعاةُ لحظاتي ، ومراقبةُ أحوالي .

وقالَ بعضُهُمْ : مَنْ راقبَ اللهَ في خواطرِهِ . . عصمَهُ اللهُ في جوارحِهِ(١) .

وسُئِلَ أبو الحسينِ بنُ هندٍ : متىٰ يهشُّ الراعي غنمَهُ بعصا الرعايةِ عنْ مراتعِ الهلكةِ ؟ فقالَ : إذا علمَ أنَّ عليهِ رقيباً(٢) .

وقيلَ : كانَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما في سفرٍ ، فرأىٰ غلاماً يرعىٰ غنماً ، فقالَ : تبيعُ مِنْ هـٰذهِ الغنمِ واحداً ؟ فقالَ : إنَّها ليسَتْ لي ، فقالَ : قُلْ لصاحبِها : إنَّ الذئبَ أخذَ منها واحداً ، فقالَ العبدُ : فأينَ اللهُ ؟! فكانَ ابنُ عمرَ يقولُ بعدَ ذٰلكَ إلىٰ مدَّةٍ : قالَ ذٰلكَ العبدُ : فأينَ اللهُ ؟!(٣) .

وقالَ الجنيدُ : (مَنْ تحقَّقَ في المراقبةِ . . خافَ علىٰ فوتِ حظِّهِ مِنْ ربِّهِ عزَّ وجلَّ لا غيرُ)(٤) .

وكانَ بعضُ المشايخِ لهُ تلامذةٌ ، وكانَ يخصُّ واحداً منهُمْ بإقبالِهِ أكثرَ ممَّا يُقبلُ علىٰ غيرِهِ ، فقالوا لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : أبيِّنُ لكُمْ ، فدفعَ إلىٰ كلِّ واحدٍ مِنْ تلامذتِهِ طائراً وقالَ لهُ : اذبحْهُ بحيثُ لا يراهُ أحدٌ ، ودفعَ إلىٰ هـٰذا أيضاً ، فمضَوا ، ورجعَ كلُّ واحدٍ منهُمْ وقدْ ذبحَ طيرَهُ ، وهـٰذا جاءَ بالطيرِ حيّاً ، فقالَ : هلَّا ذبحتَهُ ، فقالَ : أمرتَني أنْ أذبحَهُ بحيثُ لا يراهُ أحدٌ ، ولمْ أجدْ موضعاً لا يراهُ أحدٌ ، فقالَ : لهـٰذا أخصُّهُ بإقبالي عليهِ(٥) .

وقالَ ذو النونِ : (علامةُ المراقبةِ : إيثارُ ما آثرَ اللهُ ، وتعظيمُ ما عظَّمَ اللهُ ، وتصغيرُ ما صغَّرَ اللهُ)(٦) .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٦٨) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .
(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٥٤) عن أبي العباس بن سريج رحمه الله تعالىٰ .
(٣) رواه أبو داوود في « الزهد » (٢٩٣) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٨٧) .
(٤) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٥) .
(٥) تقدم (ص ٢٧٩) .
(٦) رواه البيهقي في « الشعب » (١٥٢٨) .

وقالَ النصراباذيُّ : (الرجاءُ يجرُّكَ إلى الطاعاتِ ، والخوفُ يُبعدُكَ عنِ المعاصي ، والمراقبةُ تُؤدِّيكَ إلىٰ طُرُقِ الحقائقِ)[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سألتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ عنِ المراقبةِ ، فقالَ : مراعاةُ السرِّ لملاحظةِ الحقِّ سبحانَهُ معَ كلِّ خطرةٍ .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ الجُريريَّ يقولُ : (أمرُنا هـٰذا مبنيٌّ علىٰ فصلينِ ؛ وهوَ أنْ تُلزِمَ نفسَكَ المراقبةَ للهِ تعالىٰ ، ويكونَ العلمُ علىٰ ظاهرِكَ قائماً)[2] .

وسمعتُه يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ المرتعشَ يقولُ : (المراقبةُ : مراعاةُ السرِّ لملاحظةِ الغيبِ معَ كلِّ لحظةٍ ولفظةٍ) .

وسُئِلَ ابنُ عطاءٍ : ما أفضلُ الطاعاتِ ؟ فقالَ : مراقبةُ الحقِّ علىٰ دوامِ الأوقاتِ .

وقالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : (المراعاةُ تورثُ المراقبةَ ، والمراقبةُ : خلوصُ السرِّ والعلانيةِ للهِ تعالىٰ)[3] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (أفضلُ ما يُلزِمُ الإنسانُ نفسَهُ في هـٰذهِ الطريقةِ المحاسبةُ ، والمراقبةُ ، وسياسةُ عملِهِ بالعلمِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ يقولُ : قالَ لي أبو حفصٍ : (إذا جلستَ للناسِ . . فكنْ واعظاً لنفسِكَ وقلبِكَ ، ولا يغرنَّكَ اجتماعُهُمْ عليكَ ؛ فإنَّهُمْ يراقبونَ ظاهرَكَ ، واللهُ تعالىٰ رقيبُ باطنِكَ)[4] .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٦٨) عن بعضهم .

(٢) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٦٤) .

(٣) في (ي) و« إحكام الدلالة » (٣/٩٨) : (والمراقبة تورث خلوص . . .) .

(٤) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٦٤) .

وسـمعتُهُ يقولُ : سـمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سـمعتُ أبا جعفرٍ الصيدلانيَّ يقولُ : سـمعتُ أبا سعيدٍ الخرَّازَ يقولُ : قالَ لي بعضُ مشايخي : عليكَ بمراعاةِ سـرِّكَ والمراقبةِ ، قالَ : فبينا أنا يوماً أسـيرُ في الباديةِ . . إذا أنا بخشخشـةٍ خلفي ، فهالَني ذٰلكَ ، فأردتُ أنْ ألتفتَ فلمْ ألتفتْ ، فرأيتُ شيئاً واقفاً علىٰ كتفي ، فانصرفَ وأنا مراعٍ لسرِّي ، ثمَّ التفتُّ ، فإذا أنا بسبعٍ عظيمٍ .

وقالَ الواسطيُّ : (أفضلُ الطاعاتِ حفظُ الأوقاتِ ؛ وهوَ ألَّا يطالعَ العبدُ غيرَ حدِّهِ ، ولا يراقبَ غيرَ ربِّهِ ، ولا يقارنَ غيرَ وقتِهِ)[1] .

* * *

(١) رواه السُّلمي بنحوه في « الفترة » (ص ٧٣) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ ، وعنده وفي (ج ، ح ، ط) : (يواقف) بدل (يراقب) ، وفي (ب ، هـ) : (يوافق) بدلها وفي هامش (ج) نسخة : (يوافق) وبجانبها : (يراقب) وصححت .

بابُ الرِّضا

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ (١) .

أخبرَنـا عليُّ بنُ أحمـدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بـنُ عبيدٍ البصريُّ قـالَ : حدَّثَنـا الكُدَيميُّ قـالَ : حدَّثَنا يعقوبُ بنُ إسـماعيلَ السـلَّالُ قالَ : حدَّثَنا أبو عاصمٍ العبَّادانيُّ ، عنِ الفضلِ بنِ عيسى الرَّقاشـيِّ ، عنْ محمدِ بنِ المنكدرِ ، عنْ جابرٍ قالَ : قالَ رسـولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ : « بينا أهلُ الجنةِ في مجلسٍ لهُمْ . . إذْ سطعَ لهُمْ نورٌ علىٰ بابِ الجنةِ ، فرفعوا رؤوسَهُمْ ، فإذا الربُّ تعالىٰ قدْ أشـرفَ عليهِمْ فقالَ : يا أهلَ الجنةِ ؛ سـلوني ، فقالوا : نسـألُكَ الرضا عنَّا ، قـالَ : رضايَ أحلَّكُـمْ داري ، وأنالَكُمْ كرامتي ، هٰذا أوانُها ، فسـلوني ، قالوا : نسألُكَ الزيادةَ ، قالَ : فيُؤتَوْنَ بنجائبَ مِنْ ياقوتٍ أحمـرَ ، أزمَّتُها زُمرُّذٌ أخضرُ وياقوتٌ أحمـرُ ، فجاؤوا عليها ، تضعُ حوافرَها عندَ منتهىٰ طرفِها .

فيأمرُ اللهُ عزَّ وجلَّ بأشـجارٍ عليها الثمارُ ، وتجيءُ جوارٍ مِنَ الحورِ العينِ وهـنَّ يقلْنَ : نحنُ الناعمـاتُ فلا نبؤُسُ (٢) ، ونحـنُ الخالداتُ فلا نموتُ ، أزواجُ قومٍ مؤمنينَ كرامٍ ، ويأمرُ اللهُ بكُثبانٍ مِنْ مسكٍ أبيضَ أذفَرَ ، فيثيرُ عليهِمْ ريحاً يُقالُ لها : المُثيرةُ ، حتَّىٰ تنتهي بهِمْ إلىٰ جنةِ عدْنٍ ، وهيَ قَصَبةُ الجنةِ ، فتقولُ الملائكةُ : يا ربَّنا ؛ قدْ جـاءَ القومُ ، فيقولُ تعالىٰ : مرحباً بالصادقينَ ، مرحبـاً بالطائعيـنَ ، قـالَ : فيكشـفُ عنهُمُ الحجـابَ ، فينظـرونَ إلى اللهِ تعالـىٰ ، فيتمتَّعونَ بنورِ الرحمٰنِ ، حتَّىٰ لا يُبصـرُ بعضُهُمْ بعضاً ، ثمَّ يقولُ :

---

(١) سورة المائدة : (١١٩) .

(٢) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : (نبأس) ، وانظر (ص ٦٨٥) تعليقاً .

أرجعوهُــمْ إلى القصورِ بالتحفِ ، قالَ : فيرجعونَ وقدْ أبصرَ بعضُهُمْ بعضاً » ، قالَ رســولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وســلَّمَ : « فذلكَ قولُــهُ تعالىٰ : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [1] » [2] .

وقدِ اختلفَ العراقيونَ والخراسانيونَ في الرضا ، هلْ هوَ مِنَ الأحوالِ ، أوْ مِنَ المقاماتِ ؟

فأهلُ خراسانَ قالوا : الرضا مِنْ جملةِ المقاماتِ ؛ وهوَ نهايةُ التوكُّلِ ، ومعناهُ يؤولُ إلىٰ أنَّهُ مِمَّا يتوصَّلُ إليهِ العبدُ باكتسابِهِ [3] .

وأمَّا العراقيونَ . . فإنَّهُمْ قالوا : الرضا مِنْ جملةِ الأحوالِ ، وليسَ ذلكَ كسباً للعبدِ ، بلْ هوَ نازلةٌ تحلُّ بالقلبِ كسائرِ الأحوالِ .

ويمكنُ الجمعُ بينَ اللسانينِ فيُقالُ : بدايةُ الرضا مكتسَبةٌ للعبدِ ، وهيَ مِنَ المقاماتِ ، ونهايتُهُ مِنْ جملةِ الأحوالِ ، وليستْ بمكتسَبةٍ .

وتكلَّمَ النــاسُ في الرضا ، فكلٌّ عَبَّرَ عنْ حالِهِ وشِــرْبِهِ ونصيبِهِ ، فهُمْ في العبارةِ عنهُ مختلفونَ ؛ كما أنَّهُمْ في الشِّرْبِ والنصيبِ مِنْ ذلكَ متفاوتونَ .

فأمَّا شرطُ العلمِ والذي هوَ لا بدَّ منهُ . . فالراضي باللهِ تعالىٰ هوَ الذي لا يعترضُ علىٰ تقديرِهِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ الرضا ألَّا تُحِسَّ بالبلاءِ ، إنَّما الرضا ألَّا تعترضَ على الحكمِ والقضاءِ) .

واعلمْ : أنَّ الواجبَ على العبدِ أنْ يرضىٰ بالقضاءِ الذي أُمِرَ بالرضا بهِ ؛ إذْ ليسَ كلُّ ما هوَ بقضائِهِ يجوزُ للعبدِ أوْ يجبُ عليهِ الرضا بهِ ؛ كالمعاصي وفنونِ محنِ المسلمينَ .

---

(١) سورة فصلت : (٣٢) .

(٢) ورواه بلفظ المصنف أبو نعيم في « الحلية » (٦/٢٠٨) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (١٠٢٦) ، وقطعه متوازعة في كتب الحديث ، وانظر « الإتحاف » (٣/٢١٥) .

(٣) ومنهم أبو نصر السراج ، قال في « اللمع » (ص ٨٠) : (الرضا مقام شريف) .

وقالَ المشايخُ : الرضا بابُ اللهِ الأعظمُ ؛ يعني : مَنْ أُكرِمَ بالرضا . . فقدْ لُقِيَ بالترحيبِ الأوفىٰ ، وأُكرمَ بالتقريبِ الأعلىٰ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : أخبرَنا أبو جعفرٍ الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا العباسُ بنُ حمزةَ قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي الحَواريِّ قالَ : قالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ : (الرضا بابُ اللهِ الأعظمُ ، وجنَّةُ الدنيا)[1] .

واعلمْ : أنَّ العبدَ لا يكادُ يرضىٰ عنِ الحقِّ إلَّا بعدَ أنْ يرضىٰ عنهُ الحقُّ ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قالَ : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قالَ تلميذٌ لأستاذِهِ : هلْ يعرفُ العبدُ أنَّ اللهَ تعالىٰ راضٍ عنهُ ؟ فقالَ : لا ؛ كيفَ يعلمُ ذٰلكَ ورضاهُ غيبٌ ؟ فقال التلميذُ : يعلمُ ذٰلكَ ، فقالَ : كيفَ ؟ قالَ : إذا وجدتُ قلبي راضياً عنِ اللهِ . . علمتُ أنَّهُ راضٍ عنِّي ، فقالَ الأستاذُ : أحسنتَ يا غلامُ .

وقيلَ : قالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : إلٰهي ؛ دُلَّني علىٰ عملٍ إذا عملتُهُ . . رضِيتَ عنِّي ، فقالَ : إنَّكَ لا تطيقُ ذٰلكَ ، فخرَّ موسىٰ عليهِ السلامُ ساجداً متضرِّعاً ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا بنَ عمرانَ ؛ إنَّ رضايَ في رضاكَ بقضائي[3] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السلميُّ قالَ : أخبرَنا أبو جعفرٍ الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا العباسُ بنُ حمزةَ قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي الحواريِّ قالَ : سمعتُ أبا سليمانَ يقولُ : (إذا سلا العبدُ عنِ الشهواتِ . . فهوَ راضٍ)[4] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (مَنْ أرادَ أنْ يبلغَ محلَّ الرضا . . فليلزمْ ما جعلَ اللهُ عزَّ وجلَّ رضاهُ فيهِ) .

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله » (١٣) ، وزاد : (ومستراح العابدين) .

(٢) سورة المائدة : (١١٩) .

(٣) قوت القلوب (٢/٤١) .

(٤) ورواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله » (١٨) .

وقالَ محمدُ بنُ خَفيفٍ : (الرضا علىٰ قسمينِ : رضاً بهِ ، ورضاً عنهُ ؛ فالرضا بهِ مدبّراً ، والرضا عنهُ فيما يقضي)[1] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : (طريقُ السالكينَ أطولُ ؛ وهوَ طريقُ الرياضةِ ، وطريقُ الخواصِّ أقربُ ، لٰكنَّهُ أشقُّ ؛ وهوَ أنْ يكونَ عملُكَ بالرضا ، ورضاكَ بالقضا) .

وقالَ رُويمٌ : (الرضا : أنْ لوْ جعلَ جهنَّمَ عنْ يمينِهِ . . ما سألَ أنْ يحولَها إلىٰ يسارِهِ) .

وقالَ أبو بكرِ بنُ طاهرٍ : (الرضا : إخراجُ الكراهيةِ مِنَ القلبِ حتَّىٰ لا يكونَ فيهِ إلَّا فرحٌ وسرورٌ)[2] .

وقالَ الواسطيُّ : (استعملِ الرضا جهدَكَ ، ولا تدعِ الرضا يستعملُكَ فتكونَ محجوباً بلذَّتِهِ ورؤيتِهِ عنْ حقيقةِ ما تطالعُ)[3] .

واعلمْ : أنَّ هٰذا الكلامَ الذي قالَهُ الواسطيُّ شيءٌ عظيمٌ ، وفيهِ تنبيهٌ علىٰ مَقْطَعةٍ للقومِ خفيةٍ[4] ؛ فإنَّ السكونَ عندَهُمْ إلى الأحوالِ حجابٌ عنْ محوّلِ الأحوالِ ، فإذا استلذَّ هواهُ رضاهُ ، ووجدَ بقلبِهِ راحةَ الرضا . . حُجِبَ بحالِهِ عنْ شهودِ حقِّهِ .

ولقدْ قالَ الواسطيُّ أيضاً : (إيَّاكُمْ واستحلاءَ الطاعاتِ ؛ فإنَّها سمومٌ قاتلةٌ) .

وقالَ ابنُ خَفيفٍ : (الرضا : سكونُ القلبِ إلىٰ أحكامِهِ ، وموافقةُ القلبِ بما رضيَ واختارَ) .

وسُئِلَتْ رابعةُ : متىٰ يكونُ العبدُ راضياً ؟ فقالَتْ : إذا سرَّتْهُ المصيبةُ كما سرَّتْهُ النعمةُ .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٤١٢/٢) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٠٨) عن أبي بكر الأبهري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أورده السراج في « اللمع » (ص ٨٠) ، والسُّلمي في « تفسيره » (٤١٢/٢) .

(٤) تقطعهم عن بلوغ مرادهم من الحق تعالىٰ . « إحكام الدلالة » (١٠٤/٣) .

وقيلَ : قالَ الشِّبليُّ بينَ يدَيِ الجنيدِ : **لا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ** ، فقالَ الجنيدُ : **قولُكَ ذا ضيقُ صدرٍ ، وضيقُ الصدرِ لتركِ الرضا بالقضاءِ !**[١] .

وقالَ أبو سليمانَ : (**الرضا : ألّا تسألَ اللهَ الجنةَ ولا تستعيذَ بهِ مِنَ النارِ**)[٢] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ سهلٍ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ عثمانَ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : (**ثلاثةٌ مِنْ أعلامِ الرضا : تركُ الاختيارِ قبلَ القضاءِ ، وفقدانُ المرارةِ بعدَ القضاءِ ، وهَيَجانُ الحبِّ في حشوِ البلاءِ**)[٣] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ جعفرٍ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ إسماعيلَ بنَ محمدٍ الصفَّارَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ يزيدَ المبرّدَ يقولُ : قيلَ للحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما : إنَّ أبا ذرٍّ يقولُ : **الفقرُ أحبُّ إليَّ مِنَ الغنىٰ ، والسُّقمُ أحبُّ إليَّ مِنَ الصحَّةِ** ، فقالَ : رحمَ اللهُ أبا ذرٍّ ، أمَّا أنا . . فأقولُ : **مَنِ اتكلَ علىٰ حسنِ اختيارِ اللهِ لهُ . . لمْ يتمنَّ غيرَ ما اختارَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ**[٤] .

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ لبشرٍ الحافي : (**الرضا أفضلُ مِنَ الزهدِ في الدنيا ؛ لأنَّ الراضيَ لا يتمنَّىٰ فوقَ منزلتِهِ**)[٥] .

وسُئِلَ أبو عثمانَ عنْ قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **أسألُكَ الرضا بعدَ القضا** »[٦] ، فقالَ : لأنَّ الرضا قبلَ القضا عزمٌ على الرضا ، والرضا بعدَ القضا هوَ الرضا[٧] .

---

(١) في (ي) زيادة : (فسكت الشبلي) .

(٢) وصفه للراضي بترك ما ذكر لا من حيث إنه عبادة ، بل من حيث إنه رضاً بحسن ما أجراه عليه مولاه ، فلا ينافي أن يسأل الله ذٰلك ؛ عبادةً لأمر مولاه به . « إحكام الدلالة » (٣/١٠٤) .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٤١) .

(٤) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/٢٥٣) .

(٥) ورواه مختصراً ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله » (١٦) .

(٦) رواه ابن حبان في « صحيحه » (١٩٧١) من حديث سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما مرفوعاً ، والحاكم في « المستدرك » (١/٥١٥) من حديث سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٧) رواه البيهقي في « الشعب » (١٩٣) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ أبي حسانَ الأَنماطيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحواريِّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ يقولُ : (أرجو أنْ أكونَ عرفتُ طرفاً مِنَ الرضا ؛ لوْ أنَّهُ أدخلَني النارَ . . لكنتُ بذٰلكَ راضياً) .

وقالَ أبو عمرَ الدمشقيُّ : (الرضا : ارتفاعُ الجزعِ في أيِّ حكمٍ كانَ) .

وقالَ الجنيدُ : (الرضا : رفعُ الاختيارِ)[1] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (الرضا : نظرُ القلبِ إلىٰ قديمِ اختيارِ اللهِ تعالىٰ للعبدِ ؛ وهوَ تركُ السُّخطِ)[2] .

وقالَ رُويمٌ : (الرضا : استقبالُ الأحكامِ بالفرحِ)[3] .

وقالَ المحاسبيُّ : (الرضا : سكونُ القلبِ تحتَ مجاري الأحكامِ)[4] .

وقالَ النُّوريُّ : (الرضا : سرورُ القلبِ بمُرِّ القضا)[5] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ الجُريريَّ يقولُ : (مَنْ رضيَ بدونِ قدرِهِ . . رفعَهُ اللهُ تعالىٰ فوقَ غايتِهِ)[6] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عَلَّويهِ يقولُ : قالَ أبو ترابٍ : (ليسَ ينالُ الرضا مَنْ للدنيا في قلبِهِ مقدارٌ) .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا أبو عمرٍو ابنُ حمدانَ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ ابنُ شيرويهِ قالَ : حدَّثَنا بشرُ بنُ الحكمِ قالَ : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ محمدٍ ، عنْ يزيدَ ابنِ الهادِ ، عنْ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عنْ

---

(١) أورده السراج في « اللمع » (ص ٨٠) .

(٢) أورده السراج في « اللمع » (ص ٨٠) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٩) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٩) .

(٥) أورده السراج في « اللمع » (ص ٨٠) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(٦) يعني : من رضي بدون منزلته . . أُعطي فوق أُمنِيَّته .

عامرِ بنِ سعدٍ ، عنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ذاقَ طعمَ الإيمانِ مَنْ رضيَ باللهِ ربّاً »[1] .

وقيلَ : كتبَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ أبي موسى الأشعريِّ : (أمَّا بعدُ : فإنَّ الخيرَ كلَّهُ في الرضا ، فإنِ استطعتَ أنْ ترضىٰ ، وإلَّا . . فاصبرْ) .

وقيلَ : إنَّ عتبةَ الغلامَ باتَ ليلةً يقولُ إلى الصباحِ : إنْ تعذبْني . . فأنا لكَ محبٌّ ، وإنْ ترحمْني . . فأنا لكَ محبٌّ[2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الإنسانُ خزفٌ ، وليسَ لخزفٍ مِنَ الخطرِ ما يعارضُ فيهِ حكمَ الحقِّ تعالىٰ)[3] .

وقالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامَني اللهُ عزَّ وجلَّ في حالٍ فكرهتُهُ ، وما نقلَني إلىٰ غيرِهِ فسخطتُهُ)[4] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : غضبَ رجلٌ علىٰ عبدٍ لهُ ، فاستشفعَ العبدُ إلىٰ سيِّدِهِ إنساناً ، فعفا عنهُ ، فأخذَ العبدُ يبكي ، فقالَ الشفيعُ : لِمَ تبكي وقدْ عفا عنكَ ؟!

فقالَ السيِّدُ : إنَّهُ يطلبُ الرضا ، ولا سبيلَ لهُ إليهِ ؛ فإنَّما يبكي لأجلِهِ .

* * *

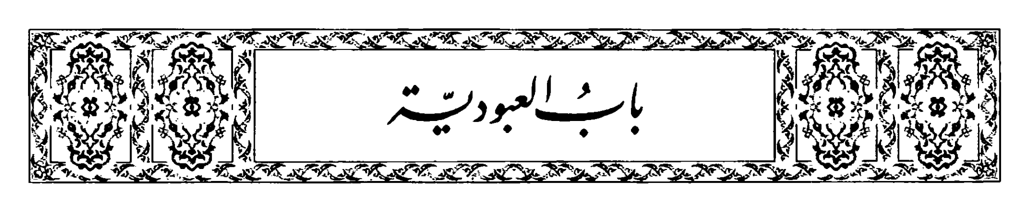
---

(١) ورواه مسلم (٣٤) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٢٣٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٦/٢٣٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٧٥) .

(٣) قوله : (من الخطر) أي : القدر والمنزلة . « إحكام الدلالة » (٣/١٠٧) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٤٤) .



بابُ العبوديّة

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[(١)] .

أخبرَنا أبو الحسنِ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا عبيدُ ابنُ شريكٍ قالَ : حدَّثَنا يحيىٰ قالَ : حدَّثَنا مالكٌ ، عنْ خُبيبِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ ، عنْ حفصِ بنِ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ ، عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ وأبي هريرةَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « سبعةٌ يظلُّهُمُ اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّهُ : إمامٌ عادلٌ ، وشابٌّ نشأَ بعبادةِ اللهِ ، ورجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ بالمسجدِ إذا خرجَ منهُ حتَّىٰ يعودَ إليهِ ، ورجلانِ تحابَّا في اللهِ ؛ اجتمعا علىٰ ذٰلكَ وتفرَّقا عليهِ ، ورجلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضَتْ عيناهُ ، ورجلٌ دعتْهُ امرأةٌ ذاتُ حسبٍ وجمالٍ فقالَ : إنِّي أخافُ اللهَ تعالىٰ ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتَّىٰ لا تعلمَ شمالُهُ ما تنفقُ يمينُهُ »[(٢)] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (العبوديةُ أتمُّ مِنَ العبادةِ ؛ فأوَّلاً عبادةٌ ، ثمَّ عبوديَّةٌ ، ثمَّ عُبُودةٌ[(٣)] .

فالعبادةُ للعوامِّ مِنَ المؤمنينَ ، والعبوديةُ للخواصِّ ، والعُبُودةُ لخاصِّ الخاصِّ) .

---

(١) سورة الحجر : (٩٩) .

(٢) ورواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وبرواية الشك رواه مالك في « الموطأ » (٢/٩٥٢) .

(٣) العبادة والعبودية والعبودة بمعنىً ، وما في كتب القوم مصطلح لهم رضي الله عنهم ، ولا مشاحَّة في الاصطلاح ، قال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (٨/٣٣٠) : (وقال آخرون : العبودة : الرضا بما يفعل الرب ، والعبادة : فعل ما يرضىٰ به الرب ، والأول أقوىٰ وأشق ، فلذا قيل : تسقط العبادة في الآخرة لا العبودة ؛ لأن العبودة ألا يرىٰ متصرِّفاً في الدارين في الحقيقة إلا الله ، قال شيخنا ـ يعني : ابن الطيب الفاسي ـ : هٰذا ملحظ صوفي لا دخل للأوضاع اللغوية فيه) .

وسمعتُهُ يقولُ : (العبادةُ لمَنْ لهُ علمُ اليقينِ ، والعبوديَّةُ لمَنْ لهُ عينُ اليقينِ ، والعُبُودةُ لمَنْ لهُ حقُّ اليقينِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : (العبادةُ لأصحابِ المجاهداتِ ، والعبوديةُ لأربابِ المكابداتِ ، والعُبُودةُ صفةُ أهلِ المشاهداتِ ؛ فمَنْ لمْ يدَّخرْ عنهُ نفسَهُ . . فهوَ صاحبُ عبادةٍ ، ومَنْ لمْ يضِنَّ عليهِ بقلبِهِ . . فهوَ صاحبُ عبوديَّةٍ ، ومَنْ لمْ يبخلْ عليهِ بروحِهِ . . فهوَ صاحبُ عُبُودةٍ) .

ويُقالُ : العبوديةُ : القيامُ بحقِّ الطاعاتِ بشرطِ التوفيرِ [1] ، والنظرِ إلىٰ ما منكَ بعينِ التقصيرِ ، وشهودِ ما يحصلُ مِنْ مناقبِكَ مِنَ التقديرِ .

ويُقالُ : العبوديةُ : تركُ الاختيارِ فيما يبدو مِنَ الأقدارِ .

ويُقالُ : العبوديةُ : التبرّي مِنَ الحولِ والمُنَّةِ ، والإقرارُ بما يعطيكَ ويوليكَ من الطَّوْلِ والمِنَّةِ [2] .

ويُقالُ : العبوديةُ : معانقةُ ما أُمرتَ بهِ ، ومفارقةُ ما زُجرتَ عنهُ .

وسُئِلَ محمدُ بنُ خَفيفٍ : متىٰ تصحُّ العبوديةُ ؟ فقالَ : إذا طرحَ كَلَّهُ علىٰ مولاهُ [3] ، وصبرَ معَهُ علىٰ بلواهُ [4] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا العباسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ ابنَ مسروقٍ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : (لا يصحُّ التعبُّدُ لأحدٍ حتَّىٰ لا يجزعَ مِنْ أربعةِ أشياءَ : مِنَ الجوعِ ، والعُرْيِ ، والفقرِ ، والذلِّ) [5] .

وقيلَ : العبوديةُ : أنْ تُسلِمَ إليهِ كُلَّكَ ، وتحملَ عليهِ كَلَّكَ .

---

(١) أي : موفرة كاملة . « إحكام الدلالة » (١٠٩/٣) ، وقوله الآتي : (والنظر) معطوف على التوفير ، وقوله : (من التقدير) مِنْ هنا سببية ؛ يعني : بسبب تقدير الله تعالىٰ لذلك .

(٢) المُنَّة بالضم : القوة ، وبالكسر : الإحسان والنعمة .

(٣) الكَلُّ : الثقل والعيلة ، قال تعالىٰ في سورة النحل (٧٦) : ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٠٢) .

(٥) أورده أبو طالب في « القوت » (٢٦٦/١) .

وقيلَ : مِنْ علاماتِ العبوديةِ : تركُ التدبيرِ ، وشهودُ التقديرِ .

وقالَ ذو النونِ : (العبوديةُ : أنْ تكونَ عبدَهُ في كلِّ حالٍ ، كما أنَّهُ ربُّكَ في كلِّ حالٍ)[١] .

وقالَ الجُرَيريُّ : (عَبيدُ النعمِ كثيرٌ عَديدُهُمْ[٢] ، وعَبيدُ المنعِمِ عزيزٌ وجودُهُمْ) .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (أنتَ عبدُ مَنْ أنتَ في رقِّهِ وأسرِهِ ؛ إنْ كنتَ أسيرَ نفسِكَ . . فأنتَ عبدُ نفسِكَ ، وإنْ كنتَ أسيرَ دنياكَ . . فأنتَ عبدُ دنياكَ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تعِسَ عبدُ الدرهمِ ، تعِسَ عبدُ الدينارِ ، تعِسَ عبدُ الخَميصةِ »[٣]) .

ورأىٰ أبو يزيدَ رجلاً ، فقالَ لهُ : ما حرفتُكَ ؟ فقالَ : خَرْبَنْدَه[٤] .

فقالَ : أماتَ اللهُ حمارَكَ ؛ لتكونَ عبداً للهِ ، لا عبدَ الحمارِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدِّي أبا عمرِو بنَ نُجيدٍ يقولُ : (لا يصفو لأحدٍ قَدَمٌ في العبوديةِ حتَّىٰ يشاهدَ أعمالَهُ عندَهُ رياءً ، وأحوالَهُ دعاوىٰ)[٥] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ المعلمَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ مَنازلَ يقولُ : (العبدُ عبدٌ ما لمْ يطلبْ لنفسِهِ خادماً ، فإذا طلبَ لنفسِهِ خادماً . . فقدْ سقطَ عنْ حدِّ العبوديةِ وتركَ آدابَها) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ ابنَ مسروقٍ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : (لا يصلحُ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٠٢) .
(٢) العديد : العدد ، وفي أكثر النسخ : (كثيرون) بدل (كثير عديدهم) .
(٣) رواه البخاري (٢٨٨٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والخميصة : كساء مخمَّل أسود مربع .
(٤) لفظة أعجمية ؛ وهو مؤجِّر الحمار ، وأصلها : (خربندج) .
(٥) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٥٥) .

للعبدِ التعبُّدُ حتَّىٰ يكونَ بحيثُ لا يُرىٰ عليهِ أثرُ المسكنةِ في العُدْمِ ، ولا في الغنىٰ أثرُ الوجودِ) .

وقيلَ : العبوديةُ : شهودُ الربوبيةِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (قيمةُ العابدِ الزاهدِ بمعبودِهِ ، كما أنَّ شرفَ العارفِ بمعروفِهِ) .

وقالَ أبو حفصٍ : (العبوديةُ زينةُ العبدِ ؛ فمَنْ تركَها .. تعطَّلَ مِنَ الزينةِ)[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ عبَّاسَ بنَ حمزةَ يقولُ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ قالَ : سمعتُ النِّباجيَّ يقولُ : (أصلُ العبادةِ في ثلاثةِ أشياءَ : لا تردُّ مِنْ أحكامِهِ شيئاً ، ولا تدَّخِرُ عنهُ شيئاً ، ولا يسمعُكَ تسألُ غيرَهُ حاجةً)[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ يقولُ : (العبوديةُ في أربعِ خصالٍ : الوفاءُ بالعهودِ ، والحفظُ للحدودِ ، والرضا بالموجودِ ، والصبرُ عنِ المفقودِ)[3] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ الكَتَّانيَّ يقولُ : سمعتُ عمرَو بنَ عثمانَ المكيَّ يقولُ : (ما رأيتُ أحداً مِنَ المتعبِّدينَ في كثرةِ مَنْ لقِيتُ بمكةَ وغيرِها ممَّنْ قدِمَ علينا في المواسمِ .. أشدَّ اجتهاداً ولا أدومَ على العبادةِ مِنَ المزنيِّ رحمَهُ اللهُ ، ولا رأيتُ أحداً أشدَّ تعظيماً لأوامرِ اللهِ تعالىٰ منهُ ، وما رأيتُ أحداً أشدَّ تضييقاً علىٰ نفسِهِ وتوسعةً على الناسِ منهُ)[4] .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٢٠٤) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٢١/١٦) .

(٣) ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٤٦) .

(٤) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٩٤) وزاد : (وكان يقول : أنا خلق من أخلاق الشافعي) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ليسَ شيءٌ أشرفَ مِنَ العبوديةِ ، ولا اسمٌ أتمَّ للمؤمنِ مِنَ الاسمِ لهُ بالعبوديةِ ، ولذٰلكَ قالَ سبحانَهُ في صفةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليلةَ المعراجِ وكانَ أشرفَ أوقاتِهِ في الدنيا : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ (١) ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (٢) ، فلوْ كانَ اسمٌ أجلَّ مِنَ العبوديةِ . . لسمَّاهُ بِهِ) .

وفي معناهُ أنشدوا : [من السريع]

يَـا عَمْـرُو ثَـارِي عِنْـدَ زَهْرَائِـي ... يَعْرِفُـهُ ٱلسَّـامِعُ وَٱلرَّائِـي

لَا تَدْعُنِـي إِلَّا بِيَـا عَبْدَهَـا ... فَإِنَّـهُ أَصْـدَقُ أَسْـمَائِي (٣)

وقالَ بعضُهُمْ : إنَّما هما شيئانِ : سكونُكَ إلى اللذةِ ، واعتمادُكَ على الحركةِ ، فإذا أسقطتَ عنكَ هـٰذينِ . . فقدْ أدَّيتَ العبوديةَ حقَّها .

كما قالَ الواسطيُّ : (احذروا لذَّةَ العطاءِ ؛ فإنَّها غطاءٌ لأهلِ الصفاءِ) .

وقالَ أبو عليٍّ الجُوزجانيُّ : (الرضا دارُ العبوديةِ ، والصبرُ بابُهُ ، والتفويضُ بيتُهُ ، فالصوتُ على البابِ ، والفَراغةُ في الدارِ ، والراحةُ في البيتِ) (٤) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : (كما أنَّ الربوبيةَ نعتٌ للحقِّ لا يزولُ . . فالعبوديةُ صفةٌ للعبدِ لا تفارقُهُ ما دامَ) .

---

(١) سورة الإسراء : (١) .

(٢) سورة النجم : (١٠) ، وقال عزَّ شأنه في سورة الجن (١٩) : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ ، وقالَ في سورة الزمر (٣٦) : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ .

(٣) روى البيت الثاني السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٤٤) عن أبي عبد الله المغربي ، وروى ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢١/٥٧) : أن الإمام أحمد الغزالي أخا حجة الإسلام قرأ المقرئ بين يديه بالمدرسة التاجية من سورة الزمر (٥٣) : ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ الآية ، فقال : شرفهم بياء الإضافة إلىٰ نفسه بقوله : ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ﴾ ، ثم أنشد :

وهـانَ علـيَّ اللَّـومُ فـي جنْـبِ حُبِّهـا ... وقـولُ الأعـادي إنَّـهُ لخليـعُ

أصـمُّ إذا نُوديـتُ باسـمي وإنَّنـي ... إذا قيـلَ لـي يـا عبدَهـا لسـميعُ

(٤) أراد **بالصوت** : الدعاء وقرع الباب بالعبادات ، **وبالفراغة** : التخلي عن الأعمال الشاقة بالرضا ، **والتفويض** : تسليم الأمور لمالكها على التحقيق ، كما أفاده العلامة اللخمي في « الدلالة » .

وأنشدَ بعضُهُمْ : [من الطويل]

فَـإِنْ سَـأَلُونِي قُلْـتُ هَـا أَنَا عَبْـدُهُ وَإِنْ سَـأَلُوهُ قَـالَ هَـذَاكَ مَوْلَايَـا

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (**العباداتُ إلىٰ طلبِ الصفحِ والعفوِ عنْ تقصيرِها أقربُ منها إلىٰ طلبِ الأعواضِ والجزاءِ عليها**)[١] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (**العبوديةُ** : إسقاطُ رؤيةِ التعبُّدِ في مشاهدةِ المعبودِ)[٢] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (**العبوديةُ** : تركُ الأشغالِ ، والاشتغالُ بالشغلِ الذي هوَ أصلُ الفَراغَةِ)[٣] .

* * *

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨٧) .

(٢) ورواه السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٨٦) .

(٣) وقد بيَّن العلامة اللخمي في « الدلالة » أن رؤية الفضل لله تعالىٰ في إجرائه الطاعات على العبد . . سبب راحة العبد ؛ قال : (فإذا وصل إلىٰ هـٰذه الحالة . . استراح قلبه من همّ التقديرات ، ورضي وفوَّض أمره إلىٰ خالق الأرض والسماوات ؛ وهـٰذه هي الفراغة من كل ما يضرُّ ، والاستراحة فيها ينفع ويَسُرُّ) .

بابُ الإرادة

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا هشامُ بنُ عليٍّ قالَ : حدَّثَنا الحكمُ بنُ أسلمَ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ ، عنْ حميدٍ ، عنْ أنسٍ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً .. استعملَهُ » ، فقيلَ لهُ : كيفَ يستعملُهُ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ »[2] .

قالَ الأستاذُ : الإرادةُ بدوُّ طريقِ السالكينَ[3] ، وهيَ اسمٌ لأوَّلِ منزلةِ القاصدينَ إلى اللهِ .

وإنَّما سُمِّيَتْ هٰذهِ الصفةُ إرادةً ؛ لأنَّ الإرادةَ مقدِّمةُ كلِّ أمرٍ ، فما لمْ يُرِدِ العبدُ شيئاً .. لمْ يفعلْهُ ، فلمَّا كانَ هٰذا أوَّلَ الأمرِ لمَنْ سلكَ طريقَ اللهِ .. سُمِّيَ إرادةً ؛ تشبيهاً بالقصدِ في الأمورِ الذي هوَ مقدمتُها .

والمريدُ علىٰ موجَبِ الاشتقاقِ : مَنْ لهُ إرادةٌ ، كما أنَّ العالِمَ مَنْ لهُ علمٌ ؛ لأنَّهُ مِنَ الأسماءِ المشتقَّةِ ، ولٰكنِ المريدُ في هٰذهِ الطريقةِ : مَنْ لا إرادةَ لهُ ؛ فما لمْ يتجرَّدْ عنْ إرادتِهِ .. لا يكونُ مريداً ، كما أنَّ مَنْ لا إرادةَ لهُ علىٰ موجَبِ الاشتقاقِ لا يكونُ مريداً .

وتكلَّمَ الناسُ في معنى الإرادةِ ؛ فكلٌّ عبَّرَ علىٰ ما لاحَ لقلبِهِ .

---

(١) سورة الأنعام : (٥٢) .

(٢) ورواه الترمذي (٢١٤٢) .

(٣) كذا في عامة النسخ : (بدو) بمعنى ظهور ، وفي (ج ، ي) و« إحكام الدلالة » (١١٦/٣) : (بدء) بدل (بدو) .

فأكثرُ المشايخِ قالوا : الإرادةُ : تركُ ما عليهِ العادةُ ، وعادةُ الناسِ في الغالبِ التعريجُ في أوطانِ الغفلةِ ، والركونُ إلى اتباعِ الشهوةِ ، والإخلادُ إلىٰ ما دعَتْ إليهِ المُنْيةُ[1] .

والمريدُ منسلخٌ عنْ هٰذهِ الجملةِ ، فصارَ خروجُهُ أمارةً ودلالةً علىٰ صحَّةِ الإرادةِ ، فسُمِّيَتْ تلكَ الحالةُ إرادةً ؛ وهيَ خروجٌ عنِ العادةِ ، فإذا تركَ العادةَ . . فهيَ أمارةُ الإرادةِ .

وأمَّا حقيقتُها : فهيَ نهوضُ القلبِ في طلبِ الحقِّ سبحانَهُ ، ولهٰذا يُقالُ : إنَّها لوعةٌ تهوِّنُ كلَّ روعةٍ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ حاكياً عنْ مِمْشاذَ الدِّينَوَرِيِّ أنَّهُ قالَ : مذْ علمتُ أنَّ أحوالَ الفقراءِ جِدٌّ كلُّها . . لمْ أمازحْ فقيراً ؛ وذٰلكَ أنَّ فقيراً قدِمَ عليَّ فقالَ : أيُّها الشيخُ ؛ أريدُ أنْ تتخذَ لي عَصيدةً ، فجرىٰ علىٰ لساني : إرادةٌ وعَصيدةٌ ؟![2] فتأخَّرَ الفقيرُ ولمْ أشعرْ .

فأمرتُ باتخاذِ عَصيدةٍ ، وطلبتُ الفقيرَ فلمْ أجدْهُ ، فتعرفتُ خبرَهُ ، فقيلَ : إنَّهُ انصرفَ مِنْ فَورِهِ ، وكانَ يقولُ في نفسِهِ : إرادةٌ وعَصيدةٌ ؟! إرادةٌ وعَصيدةٌ ؟! وهامَ علىٰ وجهِهِ حتَّىٰ دخلَ الباديةَ ، ولمْ يزلْ يقولُ هٰذهِ الكلمةَ حتَّىٰ ماتَ .

وعنْ بعضِ المشايخِ قالَ : كنتُ في الباديةِ وحدي ، فضاقَ صدري ، فقلتُ : يا إنسُ ؛ كلِّموني ، يا جنُّ ؛ كلِّموني ، فهتفَ بي هاتفٌ : أيْشٍ تريدُ ؟ فقلتُ : أريدُ اللهَ ، فقالَ الهاتفُ : حتَّىٰ تريدَ اللهَ .

يعني : أنَّ مَنْ قالَ للإنسِ والجنِّ : كلِّموني . . متىٰ يكونُ مريداً للهِ ؟!

والمريدُ لا يفتُرُ آناءَ الليلِ والنهارِ ، فهوَ في الظاهرِ بنعتِ المجاهداتِ ،

---

(١) المنية : واحدة المُنىٰ ؛ وهي الأُمْنيَّة .

(٢) يعني : إرادةٌ وعصيدةٌ تجتمعان ؟ أو بالنصب فيهما ؛ يعني : تشتهي إرادةً وعصيدةً ؟! والعصيدة : دقيق يُلتُّ بالسمن ويطبخ حتىٰ يتماسك ، ولا لحم فيها .

وفي الباطنِ بوصفِ المكابداتِ ، فارقَ الفراشَ ، ولازمَ الانكماشَ ، وتحمَّلَ المصاعبَ ، وركبَ المتاعبَ ، وعالجَ الأخلاقَ ، ومارسَ المشاقَّ ، وعانقَ الأهوالَ ، وفارقَ الأشكالَ ، كما قيلَ : [من السريع]

ثُمَّ قَطَعْتُ ٱللَّيْلَ فِي مَهْمَهٍ لَا أَسَداً أَخْشَىٰ وَلَا ذِيبَا
يَغْلِبُنِي شَوْقِي فَأَطْوِي ٱلسُّرَىٰ وَلَمْ يَزَلْ ذُو ٱلشَّوْقِ مَغْلُوبَا (١)

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الإرادةُ لوعةٌ في الفؤادِ ، لدغةٌ في القلبِ ، غرامٌ في الضميرِ ، انزعاجٌ في الباطنِ ، نيرانٌ تتأجَّجُ في القلوبِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ السبَّاكَ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : كانَ بينَ أبي سليمانَ وأحمدَ بنِ أبي الحَواريِّ عقدٌ ألَّا يخالفَهُ في شيءٍ يأمرُهُ بهِ ، فجاءَهُ يوماً وهوَ يتكلَّمُ في مجلسِهِ ، وقالَ : إنَّ التنُّورَ قدْ سُجِرَ ، فما تأمرُ ؟ فلمْ يجبْهُ ، فقالَ مرتينِ أوْ ثلاثاً ، فقالَ أبو سليمانَ : اذهبْ فاقعدْ فيهِ ، كأنَّهُ ضاقَ بهِ قلبُهُ ، وتغافلَ أبو سليمانَ ساعةً ، ثمَّ ذكرَ ، فقالَ : اطلبوا أحمدَ فإنَّهُ في التنُّورِ ؛ لأنَّهُ علىٰ عقدِ ألَّا يخالفَني ، فنظروا فإذا هوَ في التنُّورِ لمْ تحترقْ منهُ شعرةٌ .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : (كنتُ في ابتداءِ صبايَ محترقاً في الإرادةِ ، وكنتُ أقولُ في نفسي : ليتَ شعري ! ما معنى الإرادةِ ؟) .

وقيلَ : مِنْ صفاتِ المريدينَ : التحبُّبُ إليهِ بالنوافلِ ، والخلوصُ في نصيحةِ الأمَّةِ ، والأُنسُ بالخلوةِ ، والصبرُ علىٰ مقاساةِ الأحكامِ ، والإيثارُ لأمرِهِ ، والحياءُ مِنْ نظرِهِ ، وبذلُ المجهودِ في محبوبِهِ ، والتعرُّضُ لكلِّ سببٍ

---

(١) المهمه : المفازة البعيدة الأطراف ، والسُّرى : السير ليلاً .

يوصلُ إليهِ ، والقناعةُ بالخمولِ ، وعدمُ القرارِ بالقلبِ إلىٰ أنْ يصلَ إلى الربِّ .

وقالَ أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ : (آفةُ المريدِ ثلاثةُ أشياءَ : التزويجُ ، وكَتْبةُ الحديثِ ، والأسفارُ) .

وقيلَ لهُ : لمَ تركتَ كَتْبَةَ الحديثِ ؟ فقالَ : منعَتني عنها الإرادةُ .

وقالَ حاتِمٌ الأصمُّ : (إذا رأيتَ المريدَ يريدُ غيرَ مرادِهِ . . فاعلمْ أنَّهُ أظهرَ نذالتَهُ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الكَتَّانيَّ يقولُ : (مِنْ حكمِ المريدِ أنْ يكونَ فيهِ ثلاثةُ أشياءَ : نومُهُ غلبةٌ ، وأكلُهُ فاقةٌ ، وكلامُهُ ضرورةٌ)(١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (إذا أرادَ اللهُ تعالىٰ بالمريدِ خيراً . . أوقعَهُ إلى الصوفيةِ ، ومنعَهُ صحبةَ القرَّاءِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ الدُّقيَّ يقولُ : سمعتُ الزَّقَّاقَ يقولُ : نهايةُ الإرادةِ أنْ يشيرَ إلى اللهِ فيجدَهُ معَ الإشارةِ ، فقلتُ : وأَيْشٍ يستوعبُ الإرادةَ ؟ فقالَ : أنْ يجدَ اللهَ بلا إشارةٍ(٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبَّاسَ بنَ أبي الصخرِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الزقَّاقَ يقولُ : (لا يكونُ المريدُ مريداً حتَّىٰ لا يكتبَ عليهِ صاحبُ الشمالِ عشرينَ سنةً)(٣) .

وقالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (مَنْ لمْ تصحَّ إرادتُهُ بداراً . . لا يزيدُهُ مرورُ الأيامِ عليهِ إلَّا إدباراً) .

---

(١) ورواه البيهقي في « الشعب » (٥٣٤٤) .

(٢) ورواه السراج في « اللمع » (ص ٢٩٥) ، وقال : (وهـٰذه المسألة تعرف للجنيد رحمه الله تعالىٰ) .

(٣) ورواه من طريق المصنف السهروردي في « عوارف المعارف » (٢٠٨/١) ، وفي (ج ، ط ، ي ، ل) : (الصحو) بدل (الصخر) ، والمعنىٰ ـ كما في « لطائف المنن » (ص ١٩٥) : أنه إذا أذنب . . استغفر الله تعالىٰ .

وقالَ أبو عثمانَ : (المريدُ إذا سمعَ شيئاً مِنْ علومِ القومِ فعملَ بهِ . . صارَ حكمةً في قلبِهِ إلىٰ آخرِ عمرِهِ ينتفعُ بهِ ، ولوْ تكلَّمَ بهِ . . انتفعَ بهِ مَنْ يسمعُهُ ، ومَنْ سمعَ شيئاً مِنْ علومِهِمْ ولمْ يعملْ بهِ . . كانَ حكايةً يحفظُها أياماً ثمَّ ينساها) .

وقالَ الواسطيُّ : (أوَّلُ مقامِ المريدِ : إرادةُ الحقِّ بإسقاطِ إرادتِهِ) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (أشدُّ شيءٍ على المريدِ : معاشرةُ الأضدادِ)[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : (إذا رأيتَ المريدَ يشتغلُ بالرُّخَصِ والكسبِ . . فليسَ يجيءُ منهُ شيءٌ)[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ يقولُ : سمعتُ جعفراً الخُلْديَّ يقولُ : سُئِلَ الجنيدُ : ما للمريدينَ في مجاراةِ الحكاياتِ ؟ فقالَ : الحكاياتُ جندٌ مِنْ جنودِ اللهِ تعالىٰ تقوىٰ بها قلوبُ المريدينَ ، فقيلَ لهُ : فهلْ في ذٰلكَ شاهدٌ ؟ فقالَ : نعمْ ؛ قولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[3] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ خالدٍ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (المريدُ الصادقُ غنيٌّ عنْ علمِ العلماءِ)[4] .

فأمَّا الفرقُ بينَ المريدِ والمُرادِ . . فكلُّ مريدٍ على الحقيقةِ مُرادٌ ، إذْ لوْ لمْ يكنْ مُراداً للهِ عزَّ وجلَّ بأنْ يريدَ . . لمْ يكنْ مريداً ؛ إذْ لا يكونُ إلَّا ما أرادَ اللهُ سبحانَهُ ، وكلُّ مُرادٍ مريدٌ ؛ لأنَّهُ إذا أرادَهُ الحقُّ بالخصوصيَّةِ . . وفَّقَهُ للإرادةِ .

---

(١) في هامش (أ) : (نسخة : الأحداث) يعني بدل (الأضداد) .

(٢) وأورده ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٢/٧٤) .

(٣) وأورده السراج في « اللمع » (ص ٢٧٥) ، ورواه الخطيب في « تاريخه » (٢٨٨/٣) عن الكتاني رحمه الله تعالىٰ ، والآية من سورة هود : (١٢٠) .

(٤) قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (وهو مخصَّص ببعض العلوم التي لم تدعه في طريقه حاجة إليها ، لا العلم بما يجب اعتقاده في دينه ، ولا علم إصلاح صلاته وصومه . . .) .

ولٰكنَّ القومَ فرَّقوا بينَ المريدِ والمُرادِ ؛ فالمريدُ عندَهُمْ : هوَ المبتدئُ ، والمُرادُ : هوَ المنتهي ، والمريدُ : هوَ الذي نُصبَ بعينِ التعبِ ، وأُلقيَ في مقاساةِ المشاقِّ ، والمُرادُ : الذي كُفِيَ بالأمرِ مِنْ غيرِ مشقَّةٍ ؛ فالمريدُ متعنٍّ ، والمرادُ مرفوقٌ بهِ مرفَّهٌ .

وسنَّةُ اللهِ معَ القاصدينَ مختلفةٌ ، فأكثرُهُمْ يُوفَّقونَ للمجاهداتِ ، ثمَّ يصلونَ بعدَ مقاساةِ اللَّتيَّا والَّتي إلىٰ سَنِيِّ المعاني [1] ، وكثيرٌ منهُمْ يُكاشَفونَ في الابتداءِ بجليلِ المعاني ، ويصلونَ إلىٰ ما لمْ يصلْ إليهِ كثيرٌ مِنْ أصحابِ الرياضاتِ ، إلَّا أنَّ أكثرَهُمْ يُردُّونَ إلى المجاهداتِ بعدَ هٰذهِ الأرفاقِ ؛ ليُستوفىٰ منهُمْ ما فاتَهُمْ مِنْ أحكامِ أهلِ الرياضةِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (المريدُ مُتحمِّلٌ ، والمُرادُ محمولٌ) .

وسمعتُهُ يقولُ : كانَ موسىٰ عليهِ السلامُ مريداً ، فقالَ : ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ [2] ، وكانَ نبيُّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُراداً ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ [3] .

وكذٰلكَ قالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : ﴿ أَرِنِيٓ ﴾ ، فقالَ : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [4] ، وقالَ لنبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ .

وكانَ يقولُ رحمَهُ اللهُ : إنَّ المقصودَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ ، وقولُهُ : ﴿ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [5] سترةٌ للقصَّةِ ، وتحصينٌ للحالِ [6] .

---

(١) يقال : وقع في اللتيا والتي ؛ يعني : أصابته الدواهي ، واللتيا : بفتح اللام والتشديد تصغير (التي) علىٰ غير قياس ، وضم اللام لغة فيها . انظر « تاج العروس » (ل ت ي) ، والسَّني : الرفيع ، وفي (ج) : (ثم يصلون بعد مقاساة العناء والكدِّ إلىٰ . . .) ، ونسخة في هامشها كالمثبت .

(٢) سورة طه : (٢٥) .

(٣) سورة الانشراح : (١) .

(٤) سورة الأعراف : (١٤٣) .

(٥) سورة الفرقان : (٤٥) .

(٦) قال المصنف في « لطائف الإشارات » (٦٣٨/٢) : (قوله : ﴿ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ ستر لما كان كاشفه به أولاً ؛ إجراء للسنة في إخفاء الحال عن الرقيب) .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ المريدِ والمُرادِ ، فقالَ : المريدُ تتولاهُ سياسةُ العلمِ ، والمُرادُ تتولّاهُ رعايةُ الحقّ ؛ لأنَّ المريدَ يسيرُ ، والمُرادَ يطيرُ ، فمتىٰ يلحقُ السائرُ الطائرَ ؟!

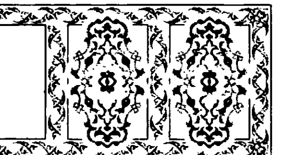
وقيلَ : أرسلَ ذو النونِ إلىٰ أبي يزيدَ رجلاً وقالَ لهُ : قُلْ لهُ : إلىٰ متى النومُ والراحةُ وقدْ جازَتِ القافلةُ ؟!

فقالَ أبو يزيدَ : قُلْ لأخي ذي النونِ : الرجلُ مَنْ ينامُ الليلَ كلَّهُ ثمَّ يصبحُ في المنزلِ قبلَ القافلةِ .

فقالَ ذو النونِ : هنيئاً لهُ ، هـٰذا كلامٌ لا تبلغُهُ أحوالُنا [1] .

* * *

(١) أسنده الرافعي في « التدوين » (٤٣/٤) ، قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (فلمَّا رد عليه هـٰذا الجواب . . علم ما بين المقامين ، وأن أحدهما موقوف مع نفسه ومجاهدته ، والثاني متبرٍّ من حوله وقوته ، ولذٰلك قال ذو النون رضي الله عنه : هـٰذا كلام لم تبلغه أحوالنا ، ولم يقل : علومنا ؛ فإن ما عُلم علوُّ درجته ، ورفعة خالقه ؛ وهو أن الرجل الكامل من تولَّى الله حفظه ورعايته ؛ فهو السابق في كل مقام ، فكلام ذي النون إشارة إلىٰ المريد ، وكلام أبي يزيد إشارة إلى المراد) .



باب الاستقامة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ (١) .

أخبرَنا الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ الأصبهانيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو بشرٍ يونسُ بنُ حبيبٍ قالَ : حدَّثَنا أبو داوودَ الطَّيَالِسيُّ قالَ : حدَّثَنا شعبةُ ، عنِ الأعمشِ ، عنْ سالمِ بنِ أبي الجعدِ ، عنْ ثوبانَ مولى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « استقيموا ولنْ تُحصُوا ، واعلموا أنَّ خيرَ دينِكُمُ الصلاةُ ، ولنْ يحافظَ على الوضوءِ إلَّا مؤمنٌ » (٢) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رحمَهُ اللهُ : الاستقامةُ درجةٌ بها كمالُ الأمورِ وتمامُها ، وبوجودِها حصولُ الخيراتِ ونظامُها ، ومَنْ لمْ يكنْ مستقيماً في حالتِهِ . . ضاعَ سعيُهُ ، وخابَ جهدُهُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ (٣) .

ومَنْ لمْ يكنْ مستقيماً في صفتِهِ . . لمْ يرتقِ مِنْ مقامِهِ إلىٰ غيرِهِ ، ولمْ يبنِ سلوكَهُ علىٰ صحَّةٍ ، فمِنْ شرطِ المستأنفِ (٤) : الاستقامةُ في أحكامِ البدايةِ ؛ كما أنَّ مِنْ حقِّ العارفِ الاستقامةَ في آدابِ النهايةِ .

فمِنْ أَماراتِ استقامةِ أهلِ البدايةِ : ألَّا تشوبَ معاملتَهُمْ فترةٌ .

ومِنْ أَماراتِ استقامةِ أهلِ الوسائطِ : ألَّا يصحبَ منازلَتَهُمْ وَقفةٌ .

ومِنْ أَماراتِ استقامةِ أهلِ النهايةِ : ألَّا تتداخلَ مواصلتَهُمْ حَجبةٌ .

---

(١) سورة فصلت : (٣٠) .

(٢) ورواه ابن ماجه (٢٧٧) ، وهو من بلاغات الإمام مالك في « الموطأ » (١/٣٤) .

(٣) سورة النحل : (٩٢) .

(٤) أي : المستقبل للعمل . « إحكام الدلالة » (٣/١٢٧) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**الاستقامةُ لها ثلاثةُ مدارجَ : أولُها التقويمُ ، ثمَّ الإقامةُ ، ثمَّ الاستقامةُ ؛ فالتقويمُ مِنْ حيثُ تأديبُ النفوسِ ، والإقامةُ مِنْ حيثُ تهذيبُ القلوبِ ، والاستقامةُ مِنْ حيثُ تقريبُ الأسرارِ**) .

وقالَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ في معنىٰ قولِهِ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ [1] : (**لم يشركوا**) [2] ، وقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (**لمْ يروغوا رَوَغانَ الثعالبِ**) [3] .

فقولُ الصدِّيقِ محمولٌ علىٰ مراعاةِ الأصولِ في التوحيدِ ، وقولُ عمرَ محمولٌ علىٰ تركِ طلبِ التأويلِ ، والقيامِ بشرطِ العهودِ .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (**استقاموا على انفرادِ القلبِ باللهِ تعالىٰ**) .

وقالَ أبو عليٍّ الجُوزجانيُّ : (**كُنْ صاحبَ الاستقامةِ ، لا طالبَ الكرامةِ ؛ فإنَّ نفسَكَ متحرِّكةٌ في طلبِ الكرامةِ ، وربُّكَ عزَّ وجلَّ يطالبُكَ بالاستقامةِ**) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الشَّبُّويَّ يقولُ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ لهُ : رُوِيَ عنكَ أنَّكَ قلتَ : « **شيبَتْني هودُ** » [4] ، **فما الذي شَيَّبَكَ منها ؟ قصصُ الأنبياءِ وهلاكُ الأممِ ؟** فقالَ : لا ، ولكنْ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [5] .

وقيلَ : **إنَّ الاستقامةَ لا يطيقُها إلَّا الأكابرُ ؛ لأنَّها الخروجُ عنِ المعهوداتِ ، ومفارقةُ الرسومِ والعاداتِ ، والقيامُ بينَ يدَيِ اللهِ تعالىٰ علىٰ**

---

(١) سورة فصلت : (٣٠) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢١/٤٦٤) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢١/٤٦٥) .

(٤) رواه الترمذي (٣٢٩٧) من حديث سيدنا الصديق رضي الله عنه .

(٥) ورواه البيهقي في « الشعب » (٢٢١٥) ، والشبوي هو محمد بن عمر بن شبُّويَة المحدِّث ، والآية من سورة هود : (١١٢) .

حقيقـةِ الصدقِ ، ولذٰلكَ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ : « اسـتقيموا ولنْ تُحصُوا »[1] .

وقالَ الواسطيُّ : (الخَصلةُ التي بها كمُلَتِ المحاسنُ ، وبفقدِها قبُحَتِ المحاسنُ . . الاستقامةُ)[2] .

وحُكِـيَ عـنِ الشـبليِّ أنَّـهُ قـالَ : (الاسـتقامةُ : أنْ تشـهدَ الوقـتَ قيامةً)[3] .

ويُقالُ : الاستقامةُ في الأقوالِ : بتركِ الغيبةِ ، وفي الأفعالِ : بنفيِ البدعةِ ، وفي الأعمالِ : بنفيِ الفترةِ ، وفي الأحوالِ : بنفيِ الحَجْبةِ .

سمعتُ الأستاذَ الإمامَ أبا بكرٍ محمدَ بنَ الحسنِ بنِ فُورَكَ يقولُ : (السينُ في الاستقامةِ سينُ الطلبِ ؛ أيْ : طلبوا مِنَ الحقِّ أنْ يقيمَهُمْ علىٰ توحيدِهِمْ ، ثمَّ على استدامةِ عهودِهِمْ وحفظِ حدودِهِمْ) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : واعلمْ : أنَّ الاستقامةَ توجبُ إدامةَ الكرامةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾[4] ؛ لمْ يقلْ : سقيناهُمْ ، بلْ قالَ : أسقيناهُمْ ، يُقالُ : أسقيتُهُ ؛ إذا جعلتَ لهُ سُقْيا ، فهوَ يشيرُ إلى الدوامِ[5] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ الفَرْغانيَّ يقولُ : قالَ الجنيدُ : لقِيتُ شاباً مِنَ المريدينَ في الباديةِ تحتَ شجرةٍ مِنْ أمِّ غَيلانَ[6] ، فقلتُ : ما أجلسَكَ ها هنا ؟ فقالَ : حالٌ افتقدتُهُ ، فمضَيتُ وتركتُهُ .

---

(١) تقدم قريباً ، والمعنىٰ : لن تطيقوا حق الاستقامة ، أو لن تحصوا ثوابها ، كما في « فيض القدير » (١/٤٩٧) .
(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٢١٨) .
(٣) فهو يفرُّ من كل شيء إلى الله تعالىٰ كما يفرُّ الناس من آبائهم وأمَّهاتهم يوم القيامة .
(٤) سورة الجن : (١٦) .
(٥) وهـٰذا جارٍ علىٰ قول من فرَّق بين سقاه وأسقاه ، والمشهور أنهما بمعنىً . « إحكام الدلالة » (٣/١٣٠) .
(٦) في (ي) : (من شجر أم غيلان) ؛ وهو شجر السَّمُر .

فلمَّا انصرفتُ مِنَ الحجِّ . . إذا أنا بالشابِّ قدِ انتقلَ إلىٰ موضعٍ قريبٍ مِنَ الشجرةِ ، فقلتُ : ما جلوسُكَ ها هنا ؟ فقالَ : وجدتُ ما كنتُ أطلبُهُ في هٰذا الموضعِ فلزمتُهُ .

قالَ الجنيدُ : فلا أدري أيُّهما كانَ أشرفَ ؛ لزومُهُ لافتقادِ حالِهِ ، أوْ لزومُهُ للموضعِ الذي نالَ فيهِ مرادَهُ ؟

* * *

بابُ الإخلاص

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ محمدٍ الفِرْيابيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو طالوتَ قالَ : حدَّثَني هانئُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي عَبْلَةَ العقيليُّ ، عنْ إبراهيمَ بنِ أبي عبلةَ قالَ : حدَّثَني عطيةُ[2] بنُ وسَّاجٍ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ثلاثٌ لا يَغُلُّ عليهِنَّ قلبُ مسلمٍ : إخلاصُ العملِ للهِ ، ومناصحةُ ولاةِ الأمرِ ، ولزومُ جماعةِ المسلمينَ »[3] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : الإخلاصُ : إفرادُ الحقِّ في الطاعةِ بالقصدِ ؛ وهوَ أنْ يريدَ بطاعتِهِ التقرُّبَ إلى اللهِ تعالىٰ دونَ شيءٍ آخرَ ؛ مِنْ تصنُّعٍ لمخلوقٍ ، أوِ اكتسابِ مَحْمَدةٍ عندَ الناسِ ، أوْ محبَّةِ مدحٍ مِنَ الخلقِ ، أوْ معنىً مِنَ المعاني سوى التقرُّبِ بهِ إلى اللهِ تعالىٰ .

ويصحُّ أنْ يُقالَ : الإخلاصُ : تصفيةُ الفعلِ عنْ ملاحظةِ المخلوقينَ .

ويصحُّ أنْ يُقالَ : الإخلاصُ : التوقِّي عنْ ملاحظةِ الأشخاصِ .

وقدْ وردَ خبرٌ مسندٌ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أخبرَ عنْ جبريلَ عليهِ السلامُ ، عنِ اللهِ سبحانَهُ أنَّهُ قالَ : « الإخلاصُ سرٌّ

---

(١) سورة الزمر : (٣) .

(٢) كذا في جميع النسخ ، والصواب : (عقبة) بدل (عطية) ، وهو عقبة بن وسَّاج بن حصن الأزدي . انظر « تهذيب الكمال » (٢٢٨/٢٠) .

(٣) ورواه أحمد في « المسند » (٢٢٥/٣) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٨٧) ، وفي « الأوسط » (٩٤٤٠) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم » (١٨٧/١) ، ورواه ابن ماجه (٢٣٠ ، ٣٠٥٦) ولكن عن زيد بن ثابت ، وجبير بن مطعم ، ولا يَغُل : لا يخون ، وبكسر الغين : لا يحقد . « إحكام الدلالة » (١٣١/٣) .

مِنْ ســرِّي ، استودعتُهُ قلبَ مَنْ أحببتُهُ مِنْ عبادي »[١] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ، فقالَ : سمعتُ عليَّ بنَ سعيدٍ وأحمدَ بنَ محمدِ بنِ زكريا وسألتُهما عنِ الإخلاصِ قالا : سمعْنا عليَّ بنَ إبراهيمَ الشقيقيَّ وسألْناهُ عنِ الإخلاصِ ، فقالَ : سمعتُ محمدَ بنَ جعفرٍ الخصَّافَ وسألتُهُ عنِ الإخلاصِ ، فقالَ : سألتُ أحمدَ بنَ بشارٍ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ أبا يعقوبَ الشَّرِيطيَّ عنِ الإخلاصِ[٢] : ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ أحمدَ بنَ غسانَ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ عبدَ الواحدِ بنَ زيدٍ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ[٣] : سألتُ الحسنَ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ حذيفةَ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ : « سألتُ جبريلَ عليهِ السلامُ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ : سألتُ ربَّ العزَّةِ عنِ الإخلاصِ : ما هوَ ؟ قالَ : سرٌّ مِنْ سرِّي ، استودعتُهُ قلبَ مَنْ أحببتُ مِنْ عبادي »[٤] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (الإخلاصُ : التوقِّي عنْ ملاحظةِ الخلقِ ، والصدقُ : التنقِّي مِنْ مطالعةِ النفسِ ، فالمخلصُ لا رياءَ لهُ ، والصادقُ لا إعجابَ لهُ) .

---

(١) سيسنده المصنف رحمه الله تعالىٰ مسلسلاً .

(٢) نقل الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (١٠/٤٤) عن نسخة الحافظ أبي مسعود وفيها : (أحمد بن دينار) بدل (أحمد بن بشار) ، و(البويطي) بدل (الشريطي) ، ونسخة عنده كالمثبت هنا .

(٣) كذا في النسخ ، وعند الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (١٠/٤٤) : (سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ؟ قالَ : سألت أحمد بن عطاء الهُجَيمي عن الإخلاص : ما هو ؟ . . .) ، ولعله الصواب كما سيظهر .

(٤) قال الحافظ الزبيدي في « إتحافه » (١٠/٤٣) : (قال العراقي : رويناه في « جزء من مسلسلات القزويني » مسلسلاً ؛ يقول كل واحد من رواته : سألت فلاناً عن الإخلاص ، قالَ : وهو من رواية أحمد بن عطاء الهُجَيمي ، عن عبد الواحد بن زيد ، عن الحسن ، عن حذيفة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن جبريل ، عن الله تعالىٰ ، وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك ، وهما من الزهاد ، ورواه أبو القاسم القشيري في « الرسالة » من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف) ، قال الحافظ متعقباً : (قول العراقي : « إنه رواه القشيري من حديث علي » فيه نظر) ، فهو باتفاق النسخ من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (الإخلاصُ لا يتمُّ إلَّا بالصدقِ فيهِ ، والصبرِ عليهِ ، والصدقُ لا يتمُّ إلَّا بالإخلاصِ فيهِ ، والمداومةِ عليهِ)[١] .

وقالَ أبو يعقوبَ السوسيُّ : (متىٰ شهدوا في إخلاصِهِمُ الإخلاصَ . . احتاجَ إخلاصُهُمْ إلىٰ إخلاصٍ)[٢] .

وقالَ ذو النونِ : (ثلاثٌ مِنْ علاماتِ الإخلاصِ : استواءُ المدحِ والذمِّ مِنَ العامَّةِ ، ونسيانُ رؤيةِ الأعمالِ في الأعمالِ ، واقتضاءُ ثوابِ العملِ في الآخرةِ)[٣] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (الإخلاصُ : ما لا يكونُ للنفسِ فيهِ حظٌّ بحالٍ ، وهـٰذا إخلاصُ العوامِّ ، وإخلاصُ الخواصِّ : ما يجري عليهِمْ لا بهِمْ ، فتبدو منهُمُ الطاعاتُ وهمْ عنها بمعزلٍ ، ولا يقعُ لهُمْ عليها رؤيةٌ ، ولا بها اعتدادٌ ، فذٰلكَ إخلاصُ الخواصِّ)[٤] .

وقالَ أبو بكرٍ الزَّقَّاقُ : (نقصانُ كلِّ مخلصٍ في إخلاصِهِ رؤيةُ إخلاصِهِ ، فإذا أرادَ اللهُ تعالىٰ أنْ يخلصَ إخلاصَهُ . . أسقطَ عنْ إخلاصِهِ رؤيتَهُ لإخلاصِهِ ، فيكونُ مخلَصاً لا مخلِصاً)[٥] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (لا يعرفُ الرياءَ إلَّا مُخلِصٌ)[٦] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ الوَجيهيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : قالَ لي رُويمٌ : قالَ

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٤١٠) .

(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/١٩٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٦١) .

(٤) وأورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٢٩٩) .

(٥) وقُرِئ في السبع في سورة يوسف (٢٤) : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ بكسر اللام وفتحها ، قال العلامة الرازي في « تفسيره » (١٨/٤٤١) : (فوروده باسم الفاعل يدل علىٰ كونه آتياً بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص ، ووروده باسم المفعول يدل علىٰ أن الله تعالى استخلصه لنفسه ، واصطفاه لحضرته) .

(٦) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٨٠) .

أبو سعيدِ الخرَّازُ : (رياءُ العارفينَ أفضلُ مِنْ إخلاصِ المريدينَ)[1] .

وقالَ ذو النونِ : (الإخلاصُ : ما حُفِظَ مِنَ العدوِّ أنْ يفسدَهُ)[2] .

وقالَ أبو عثمانَ : (الإخلاصُ : نسيانُ رؤيةِ الخلْقِ بدوامِ النظرِ إلى الخالقِ)[3] .

وقالَ حذيفةُ المَرْعشيُّ : (الإخلاصُ : أنْ تستويَ أفعالُ العبدِ في الظاهرِ والباطنِ)[4] .

وقيلَ : الإخلاصُ : ما أُريدَ بهِ الحقُّ ، وقُصِدَ بهِ الصدقُ .

وقيلَ : الإغماضُ عنْ رؤيةِ الأعمالِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ[5] يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الحميدِ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (مَنْ تزيَّنَ للناسِ بما ليسَ فيهِ .. سقطَ مِنْ عينِ اللهِ تعالىٰ)[6] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ بُندارٍ الصيرفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمودٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ ربِّهِ يقولُ : سمعتُ الفضيلَ يقولُ : (تركُ العملِ مِنْ أجلِ الناسِ رياءٌ ، والعملُ مِنْ أجلِ الناسِ شركٌ ، والإخلاصُ : أنْ يعافيَكَ اللهُ عنهما)[7] .

وقالَ الجنيدُ : (الإخلاصُ : سرٌّ بينَ اللهِ تعالىٰ وبينَ العبدِ ، لا يعلمُهُ مَلَكٌ فيكتبَهُ ، ولا شيطانٌ فيفسدَهُ ، ولا هوىً فيميلَهُ)[8] .

---

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٩٧) عن رويم رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨٦) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٧٥) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨١) .

(٥) كذا في هامش (ز) ، وفي عامة النسخ : (الحسين) بدل (الحسن) .

(٦) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٥٤) .

(٧) ورواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٦٩) .

(٨) أورده ابن السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٥) ، وعند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨١) عن بعضهم بنحوه .

وقالَ رويمٌ : (الإخلاصُ مِنَ العملِ : هوَ الذي لا يريدُ صاحبُهُ عليهِ عوضاً مِنَ الدارينِ ، ولا حظّاً مِنَ المَلَكَينِ)[1] .

وقيلَ لسهلِ بنِ عبدِ اللهِ : أيُّ شيءٍ أشدُّ على النفسِ ؟ فقالَ : الإخلاصُ ؛ لأنَّهُ ليسَ لها فيهِ نصيبٌ[2] .

وسُئِلَ بعضُهُمْ عنِ الإخلاصِ ، فقالَ : ألَّا تُشهِدَ علىٰ عملِكَ غيرَ اللهِ عزَّ وجلَّ[3] .

وقالَ بعضُهُمْ : دخلتُ علىٰ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ يومَ جمعةٍ قبلَ الصلاةِ ، فرأيتُ في البيتِ حيَّةً ، فجعلتُ أُقدِّمُ رِجْلاً وأؤخِّرُ رِجْلاً ، فقالَ : ادخلْ ، لا يبلغُ أحدٌ حقيقةَ الإيمانِ وعلىٰ وجهِ الأرضِ شيءٌ يخافُهُ ، ثمَّ قالَ : هلْ لكَ في صلاةِ الجمعةِ ؟ فقلتُ : بينَنا وبينَ المسجدِ مسيرةُ يومٍ وليلةٍ ! فأخذَ بيدي ، فما كانَ إلَّا قليلٌ حتَّىٰ رأيتُ المسجدَ ، فدخلْنا وصلَّينا الجمعةَ ، ثمَّ خرجْنا ، فوقفَ ينظرُ إلى الناسِ وهمْ يخرجونَ ، فقالَ : أهلُ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) كثيرٌ ، والمخلصونَ منهُمْ قليلٌ[4] .

أخبرَنا حمزةُ بنُ يوسفَ الجُرْجانيُّ قالَ : أخبرَنا محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ قالَ : حدَّثَنا أبو طالبٍ محمدُ بنُ زكريا المقدسيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو قِرْصافةَ محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ العسقلانيُّ قالَ : حدَّثَنا زكريا بنُ نافعٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ يزيدَ القراطيسيُّ ، عنْ إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عنْ مكحولٍ قالَ : (ما أخلصَ عبدٌ قطُّ أربعينَ يوماً . . إلَّا ظهرَتْ ينابيعُ الحكمةِ مِنْ قلبِهِ علىٰ لسانِهِ)[5] .

سـمعتُ الشـيخَ أبا عبـدِ الرحمـٰنِ السُّـلميَّ يقولُ : سـمعتُ محمدَ بنَ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨١) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨٠) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨٣) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨٣) .

(٥) ورواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠١٤) عن مكحول يرفعه .

عبدِ اللهِ بنِ شـاذانَ يقولُ : سـمعتُ عمرَ الرازيَّ يقولُ : سـمعتُ يوسفَ بنَ الحسـينِ يقولُ : (أعزُّ شـيءٍ في الدنيا الإخلاصُ ، وكمْ أجتهدُ في إسـقاطِ الرياءِ عنْ قلبي ، فكأنَّهُ ينبتُ فيهِ علىٰ لونٍ آخرَ)[1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الجهمِ يقولُ : سمعتُ ابنَ أبي الحَواريِّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ يقولُ : (إذا أخلصَ العبدُ . . انقطعَ عنهُ كثرةُ الوسواسِ والرياءُ)[2] .

* * *

---

(١) أورده ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٦/٧٤) .

(٢) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤٠/٣٤) ، وفي هامش (ل) : (بلغتِ المقابلةُ) .

بابُ الصّدق

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [1] .

أخبرَنا الإمامُ أبو بكرِ ابنُ فُوركَ رحمةُ اللهِ عليهِ قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ الأصبهانيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو بشرٍ يونسُ بنُ حبيبٍ قالَ : حدَّثَنا أبو داوودَ الطَّيالِسيُّ قالَ : حدَّثَنا شعبةُ ، عنْ منصورٍ ، عنْ أبي وائلٍ ، عنْ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « **لا يزالُ العبدُ يصدقُ ويتحرَّى الصدقَ حتَّىٰ يُكتبَ عندَ اللهِ صدِّيقاً ، ولا يزالُ يكذبُ ويتحرَّى الكذبَ حتَّىٰ يُكتبَ عندَ اللهِ كذَّاباً** » [2] .

قالَ الأستاذُ : **الصدقُ عمادُ الأمرِ ، وبهِ تمامُهُ ، وفيهِ نظامُهُ ، وهوَ تالي درجةِ النبوةِ** ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ . . . ﴾ [3] الآيةَ [4] .

والصادقُ : الاسمُ اللازمُ مِنَ الصدقِ ، **والصدِّيقُ** : المبالغةُ منهُ ؛ وهوَ الكثيرُ الصدقِ الذي الصدقُ غالبُهُ ؛ كالسكِّيرِ والخمِّيرِ وبابِهِ .

وأقلُّ الصدقِ : استواءُ السرِّ والعلانيةِ .

والصادقُ : مَنْ صدقَ في أقوالِهِ ، **والصدِّيقُ** : مَنْ صدقَ في جميعِ أقوالِهِ وأفعالِهِ وأحوالِهِ [5] .

وقالَ أحمدُ بنُ خضرويهِ : (**مَنْ أرادَ أنْ يكونَ اللهُ تعالىٰ معَهُ . . فليلزمِ**

---

(١) سورة التوبة : (١١٩) .

(٢) ورواه بلفظه هنا الطيالسي في « مسنده » (٢٤٤) ، وهو قطعة من حديث رواه البخاري (٦٠٩٤) ، ومسلم (٢٦٠٧) .

(٣) سورة النساء : (٦٩) .

(٤) عملاً بالتقديم في الذكر الدالِّ على الأهمية . « إحكام الدلالة » (٣/١٣٨) .

(٥) هٰذا اصطلاح ، والقياس ما دل عليه كلامه السابق . « إحكام الدلالة » (٣/١٣٩) .

الصدقَ ؛ فإِنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ : إِنَّ اللهَ معَ الصادقينَ)[١] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (الصادقُ يتقلَّبُ في اليومِ أربعينَ مرَّةً ، والمرائي يثبتُ علىٰ حالةٍ واحدةٍ أربعينَ سنةً)[٢] .

وقالَ أبو سليمانَ : (لوْ أرادَ الصادقُ أنْ يصفَ ما في قلبِهِ . . ما نطقَ بهِ لسانُهُ)[٣] .

وقيلَ : الصدقُ : القولُ بالحقِّ في مواطنِ الهَلَكةِ[٤] .

وقيلَ : الصدقُ : موافقةُ السرِّ النطقَ .

وقالَ القَنَّادُ : (الصدقُ منعُ الحرامِ مِنَ الشِّدْقِ)[٥] .

وقالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ : (الصدقُ الوفاءُ للهِ عزَّ وجلَّ بالعملِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : (لا يشَمُّ رائحةَ الصدقِ عبدٌ داهنَ نفسَهُ أوْ غيرَهُ)[٦] .

وقالَ أبو سعيدٍ القرشيُّ : (الصادقُ : الذي يتهيَّأُ لهُ أنْ يموتَ ولا يستحيي مِنْ سرِّهِ لوْ كُشِفَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[٧]) .

---

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤٢/١٠) بلفظ : (. . . فليلزم الصدق ؛ فإن الله مع الصادقين) وهو الصواب ، وقوله : (مع الصادقين) سبق قلم ، والآية إنما هي : (مع الصابرين) ، وليست مما نحن فيه . « إحكام الدلالة » (١٣٩/٣) ، وقد علمت من النقل أن سبق القلم في قوله : (إن الله تعالىٰ قال) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩٧) .

(٣) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٧) ، وفيه : (الوارد الصادق أن يصدق ما في قلبه . . .) ، وبلفظه هنا أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩٠) .

(٤) انظر « طبقات السُّلمي » (ص ٣٧٨) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩٤) عن الشبلي رحمه الله تعالىٰ بنحوه .

(٦) ورواه السُّلمي في « آداب الصحبة » (ص ٣٥) .

(٧) سورة البقرة : (٩٤) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : كانَ أبو عليٍّ الثقفيُّ يتكلَّمُ يوماً ، فقالَ لهُ عبدُ اللهِ بنُ مَنازلَ : يا أبا عليٍّ ؛ استعدَّ للموتِ ، فلا بدَّ منهُ ، فقالَ أبو عليٍّ : وأنتَ يا عبدَ اللهِ ؛ استعدَّ للموتِ ، فلا بدَّ منهُ ، فتوسَّدَ عبدُ اللهِ ذراعَهُ ، ووضعَ رأسَهُ وقالَ : قدْ مُتُّ (١) .

فانقطعَ أبو عليٍّ ؛ لأنَّهُ لمْ يمكنْهُ أنْ يقابلَهُ بما فعلَ ؛ لأنَّهُ كانَ لأبي عليٍّ عَلاقاتٌ ، وكانَ عبدُ اللهِ مجرَّداً لا شغلَ لهُ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : كانَ أبو العبَّاسِ الدِّينَوَريُّ يتكلَّمُ ، فصاحَتْ عجوزٌ في المجلسِ صَيحةً ، فقالَ أبو العبَّاسِ : مُوتي ، فقامَتْ وخَطَتْ خُطُواتٍ ، ثمَّ التفتَتْ إليهِ وقالَتْ : قدْ مُتُّ ، ووقعَتْ ميتةً !

وقالَ الواسطيُّ : (الصدقُ : صحَّةُ التوحيدِ معَ القصدِ) (٢) .

وقيلَ : نظرَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ إلىٰ غلامٍ مِنْ أصحابِهِ وقدْ نَحَلَ بدنُهُ ، فقالَ : يا غلامُ ؛ تديمُ الصومَ ؟ فقالَ : ولا أديمُ الإفطارَ ، فقالَ : تديمُ القيامَ بالليلِ ؟ فقالَ : ولا أديمُ النومَ (٣) .

فقالَ : فما الذي أنحلَكَ ؟ فقالَ : هوىً دائمٌ ، وكتمانٌ دائمٌ عليهِ ، فقالَ عبدُ الواحدِ : اسكتْ ، فما أجرأَكَ ! فقامَ الغلامُ وخطا خَطوتينِ وقالَ : إلٰهي ؛ إنْ كنتُ صادقاً . . فخذْني ، فخرَّ ميتاً (٤) .

وحُكِيَ عنْ أبي عمرٍو الزجاجيِّ أنَّهُ قالَ : ماتَتْ أمِّي ، فورثْتُ داراً ، فبعتُها

---

(١) فمات . « إحكام الدلالة » (١٤١/٣) .

(٢) بأن يفرد العبد ربه بالقصد ، ويجهد في تحصيل القرب منه تعالى . « إحكام الدلالة » (١٤١/٣) ، وعند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩١) : (صحة التوجُّه في القصد) عن بعضهم .

(٣) أي : أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، كما في « إحكام الدلالة » (١٤١/٣) .

(٤) ومن هنا قال بعضهم : إذا لقيت فقيراً . . فالقه بالرفق ، ولا تلقه بالعلم ؛ فإنك إذا لقيته بالعلم . . ذاب كما يذوب الثلج . « إحكام الدلالة » (١٤١/٣) وقد رواه بنحوه المصنف عن الجنيد (ص ٥٧٩) .

بخمسينَ ديناراً ، وخرجْتُ إلى الحجِّ ، فلما بلغتُ بابِلَ . . استقبلَني واحدٌ مِنَ القَناقِنةِ [1] وقالَ : أَيْشٍ معَكَ ؟

فقلتُ في نفسي : الصدقُ خيرٌ ، ثمَّ قلتُ : خمسونَ ديناراً ، فقالَ : ناولْنِيها ، فناولتُهُ الصرَّةَ ، فعدَّها ، فإذا هيَ خمسونَ ديناراً ، فقالَ : خُذْها ؛ فلقدْ أخذَني صدقُكَ ، ثمَّ نزلَ مِنَ الدابَّةِ فقالَ : اركبْها ، فقلتُ : لا أريدُ ، فقالَ : لا بدَّ ، وألحَّ ، فركبتُها ، فقالَ : وأنا علىٰ أثرِكَ .

فلمَّا كانَ العامُ المستقبلُ . . لحقَ بي ، ولازمَني حتَّىٰ ماتَ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ جعفراً الخوَّاصَ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ الخوَّاصَ يقولُ : (الصادقُ لا تراهُ إلَّا في فرضٍ يؤدِّيهِ ، أوْ فضلٍ يعملُ فيهِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ ابنَ مِقْسَمٍ يقولُ : سمعتُ جعفراً الخوَّاصَ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (حقيقةُ الصدقِ : أنْ تصدقَ في موطنٍ لا ينجيكَ منهُ إلَّا الكذبُ) .

وقيلَ : ثلاثٌ لا تخطئُ الصادقَ : الحلاوةُ ، والهيبةُ ، والملاحةُ .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : يا داوودُ ؛ مَنْ صَدَّقَني في سريرتِهِ . . صدقتُهُ عندَ المخلوقينَ في علانيتِهِ [2] .

وقيلَ : دخلَ إبراهيمُ بنُ دوحةَ معَ إبراهيمَ بنِ إستنبةَ الباديةَ ، فقالَ إبراهيمُ بنُ إستنبةَ : اطرحْ ما معَكَ مِنَ العلائقِ ، قالَ : فطرحتُ كلَّ شيءٍ إلَّا ديناراً ، فقالَ لي إبراهيمُ : لا تشغلْ سرِّي ، اطرحْ ما معَكَ ، قالَ : فطرحْتُ الدينارَ ، فقالَ إبراهيمُ : اطرحْ ما معَكَ مِنَ العلائقِ ، فتذكرتُ أنَّ معي شُسُوعاً للنعلِ ، فطرحتُها ، فما احتجتُ في الطريقِ إلىٰ شِسْعٍ إلَّا وجدتُهُ بينَ يدي ،

---

(١) القناقنة : جمع قِنْقِن ، وهو الدليل الهادي ، البصير بمواقع الماء ، فارسي معرَّب ، أصله : كِنْكِن .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩١) .

فقالَ ابنُ إستنبةَ : هٰكذا مَنْ عاملَ اللهَ بالصدقِ [١] .

وقالَ ذو النونِ : (الصدقُ سيفُ اللهِ ، ما وُضعَ علىٰ شيءٍ إلَّا قطعَهُ) [٢] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أولُ خيانةِ الصدِّيقينَ : حديثُهُمْ معَ أنفسِهِمْ) [٣] .

وسُئِلَ فتحٌ الموصليُّ عنِ الصدقِ ، فأدخلَ يدَهُ في كِيرِ الحدادِ ، وأخرجَ الحديدةَ المُحْمَاةَ ، ووضعَها علىٰ كفِّهِ وقالَ : هٰذا هوَ الصدقُ [٤] .

وقالَ يوسفُ بنُ أسباطٍ : (لَأنْ أبيتَ ليلةً أعاملُ اللهَ بالصدقِ أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ أضربَ بسيفي في سبيلِ اللهِ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الصدقُ : أنْ تكونَ كما ترىٰ مِنْ نفسِكَ ، أوْ ترىٰ مِنْ نفسِكَ كما تكونُ) .

وسُئِلَ الحارثُ المحاسبيُّ عنْ علامةِ الصدقِ ، فقالَ : (الصادقُ : هوَ الذي لا يبالي لوْ خرجَ كلُّ قدْرٍ لهُ في قلوبِ الخلقِ مِنْ أجلِ صلاحِ قلبِهِ ، ولا يحبُّ اطِّلاعَ الناسِ علىٰ مثاقيلِ الذرِّ مِنْ حسنِ عملِهِ ، ولا يكرَهُ أنْ يطَّلِعَ الناسُ على السَّيِّئِ مِنْ عملِهِ ؛ فإنَّ كراهتَهُ لذٰلكَ دليلٌ علىٰ أنَّهُ يحبُّ الزيادةَ عندَهُمْ ، وليسَ هٰذا مِنْ أخلاقِ الصدِّيقينَ) [٥] .

وقالَ بعضُهُمْ : مَنْ لمْ يؤدِّ الفرضَ الدائمَ . . لا يقبلُ منهُ الفرضُ المؤقَّتُ ، قيلَ : ما الفرضُ الدائمُ ؟ قالَ : الصدقُ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩١) ، وفيه (فَوَرُّجة) بدل (دوحة) ، وفي عامة النسخ غير (ب) : (ستنبة) بدل (إستنبة) ، قال ابن حجر في « نزهة الألباب » (ص ٧٠) : (إستنبة : هو أبو إسحاق إبراهيم الهروي) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٢) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩٣) ، وفيه وفي (ط) : (جناية) بدل (خيانة) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩٧) عن بعضهم .

(٥) انظر « الرعاية » للمحاسبي (ص ٢٢٨) وما بعدها .

وقيلَ : إذا طلبتَ اللهَ بالصدقِ . . أعطاكَ مرآةً تبصرُ فيها كلَّ شيءٍ مِنْ عجائبِ الدنيا والآخرةِ[1] .

وقيلَ : عليكَ بالصدقِ حيثُ تخافُ أنَّهُ يضرُّكَ ؛ فإنَّهُ ينفعُكَ ، ودعِ الكذبَ حيثُ ترىٰ أنَّهُ ينفعُكَ ؛ فإنَّهُ يضرُّكَ[2] .

وقيلَ : كلُّ شيءٍ شيءٌ ، ومصادقةُ الكذَّابِ لا شيءَ[3] .

وقيلَ : علامةُ الكذَّابِ : جودُهُ باليمينِ لغيرِ مستحلفٍ[4] .

وقالَ ابنُ سيرينَ : (الكلامُ أوسعُ مِنْ أنْ يكذبَ ظريفٌ)[5] .

وقيلَ : ما أملقَ تاجرٌ صدوقٌ[6] .

* * *

(١) القول لمحمد بن سعيد المروزي رحمه الله تعالىٰ كما في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٩٦) .

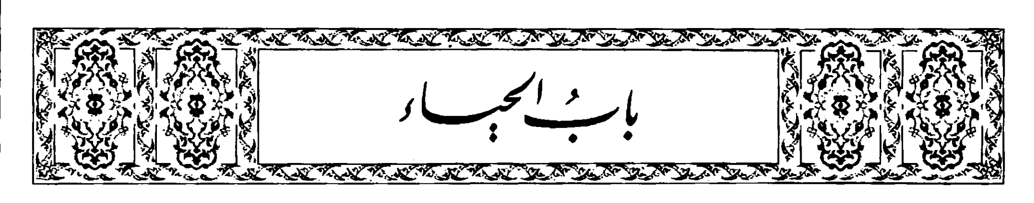
(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٨٨٤) عن بعض أهل العلم .

(٣) أورده الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣) .

(٤) أورده الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٤٧) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٥٥) ، وهـٰذا لسَعة المعاريض ، ففيها مندوحة عنه .

(٦) قطعة من حديث عند الديلمي في « الفردوس » (٨٢٠٥) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، ووقع هنا في هامش (ل) : (بلغ سليمان بن يوسف الياسوفي قراءة في السادس علىٰ شيخنا الإمام القدوة كمال الدين . . .) .



بابُ الحياءِ

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[1] .

أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عَبدوسٍ الحيريُّ المُزَكِّي قالَ : أخبرَنا أبو سهلٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ زيادٍ النَّحْويُّ ببغدادَ قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ الهيثمِ قالَ : حدَّثَنا موسى بنُ حيَّانَ قالَ : حدَّثَنا المقدميُّ ، عنْ عبيدِ اللهِ بنِ عمرَ ، عنْ نافعٍ ، عنِ ابنِ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الحياءُ مِنَ الإيمانِ »[2] .

أخبرَنا أبو سعيدٍ محمدُ بنُ إبراهيمَ الإسماعيليُّ قالَ : حدَّثَنا أبو عثمانَ عمرُو بنُ عبدِ اللهِ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا أبو أحمدَ محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ قالَ : حدَّثَنا يعلى بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا أبانُ بنُ إسحاقَ ، عنِ الصَّبَّاحِ بنِ محمدٍ ، عنْ مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عنِ ابنِ مسعودٍ : أنَّ نبيَّ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ ذاتَ يومٍ لأصحابِهِ : « استحيوا مِنَ اللهِ حقَّ الحياءِ » ، قالوا : إنَّا نستحيي يا نبيَّ اللهِ والحمدُ للهِ ، قالَ : « ليسَ ذاكَ ، ولٰكنْ مَنِ استحيا مِنَ اللهِ حقَّ الحياءِ .. فليحفظِ الرأسَ وما وعىٰ ، وليحفظِ البطنَ وما حوىٰ ، وليذكرِ الموتَ والبِلىٰ ، ومَنْ أرادَ الآخرةَ .. تركَ زينةَ الدنيا ؛ فمَنْ فعلَ ذٰلكَ .. فقدِ استحيا مِنَ اللهِ حقَّ الحياءِ »[3] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : أخبرَنا أبو نصرٍ الوزيريُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ قالَ : حدَّثَنا الغَلابيُّ قالَ : حدَّثَنا

---

(١) سورة العلق : (١٤) .

(٢) ورواه البخاري (٢٤) ، ومسلم (٣٦) .

(٣) ورواه الترمذي (٢٤٥٨) ، وفي (أ) : (فليحفظ الرأس وما حوىٰ ، والبطن وما وعىٰ) ، وهي رواية عند الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/١٥٢) .

محمدُ بنُ مخلدٍ ، عنْ أبيهِ قالَ : قالَ بعضُ الحكماءِ : (أحيوا الحياءَ بمجالسةِ مَنْ يُستحيا منهُ)[١] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ يقولُ : (العلمُ الأكبرُ الهيبةُ والحياءُ ، فإذا ذهبَ الهيبةُ والحياءُ . . لمْ يبقَ فيهِ خيرٌ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ الوَرْثانيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ يعقوبَ يقولُ : حدَّثَني محمدُ بنُ عبدِ الملكِ قالَ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : (الحياءُ : وجودُ الهيبةِ في القلبِ معَ وَحشةٍ ما سبقَ منكَ إلىٰ ربِّكَ) .

وقالَ ذو النونِ : (الحبُّ يُنْطِقُ ، والحياءُ يُسْكِتُ ، والخوفُ يُقْلِقُ)[٢] .

وقالَ أبو عثمانَ : (مَنْ تكلَّمَ في الحياءِ ولا يستحيي مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ فيما يتكلَّمُ بهِ . . فهوَ مستدرَجٌ)[٣] .

سمعتُ أبا بكرِ بنَ إشكيبَ يقولُ : دخلَ الحسنُ الحدَّادُ علىٰ عبدِ اللهِ بنِ مَنازلَ ، فقالَ : مِنْ أينَ تجيءُ ؟ فقالَ : مِنْ مجلسِ أبي القاسمِ المُذكِّرِ ، فقالَ : فبماذا كانَ يتكلَّمُ ؟ فقالَ : في الحياءِ ، فقالَ عبدُ اللهِ : وا عجباهْ ! مَنْ لمْ يستحْيِ مِنَ اللهِ تعالىٰ . . كيفَ يتكلَّمُ في الحياءِ ؟![٤] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ ابنَ صالحٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عَبدونٍ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ المؤدِّبَ يقولُ : قالَ سريٌّ : (إنَّ الحياءَ والأُنْسَ يطرقانِ القلبَ ، فإنْ وجدا فيهِ الزهدَ والورعَ . . حطَّا ، وإلَّا . . رحلا)[٥] .

---

(١) ورواه البيهقي في « الشعب » (٨٦٦٢) عن ابن الأعرابي أنه كان يقال .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٤٣٠) ، وفيه : (والشوق يغلغل) بدل (والخوف يقلق) ، وفي « نتائج الأفكار » (٣/١٤٦) : (النطق والسكون والقلق أمارات على تحقق المحبة والحياء والخوف) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٧٤) .

(٤) ولم يقصد بذلك غيبته ، بل تنبيهه وتحذيره من أن يكون كذلك . « إحكام الدلالة » (٣/١٤٦) ، والخبر عند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٧٥) ، وفي بعض النسخ : (دخل الحسن الحداد) .

(٥) ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٣) بلفظ مقارب ، وأحمد : هو ابن محمد بن صالح .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ الجُريريَّ يقولُ : (تعاملَ القرنُ الأوَّلُ مِنَ الناسِ فيما بينَهُمْ بالدِّين حتَّىٰ رقَّ الدِّينُ ، ثمَّ تعاملَ القرنُ الثاني بالوفاءِ حتَّىٰ ذهبَ الوفاءُ ، ثمَّ تعاملَ القرنُ الثالثُ بالمروءةِ حتَّىٰ ذهبتِ المروءةُ ، ثمَّ تعاملَ القرنُ الرابعُ بالحياءِ حتَّىٰ ذهبَ الحياءُ ، ثمَّ صارَ الناسُ يتعاملونَ بالرغبةِ والرهبةِ)(١) .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾(٢) : البرهانُ : أنَّها ألقَتْ ثوباً علىٰ وجهِ صنمٍ في زاويةِ البيتِ ، فقالَ يوسفُ : ماذا تفعلينَ ؟ فقالَتْ : أستحيي منهُ ، فقالَ يوسفُ عليهِ السلامُ : أنا أولىٰ أنْ أستحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ(٣) .

وقيل في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾(٤) : قيلَ : إنَّما استحيَتْ لأنَّها كانتْ تدعوهُ إلى الضيافةِ ، فاستحيَتْ ألَّا يجيبَ موسىٰ عليهِ السلامُ ؛ فصفةُ المضيفِ الاستحياءُ ، وذٰلكَ استحياءُ الكرمِ(٥) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ البَلاذُريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ العمريَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحَواريِّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الدارانيَّ يقولُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : عبدي ؛ إنَّكَ ما استحييتَ منِّي . . أنسيتُ الناسَ عيوبَكَ ، وأنسَيتُ بقاعَ الأرضِ ذنوبَكَ ، ومحَوتُ مِنْ أمِّ الكتابِ زلَّاتِكَ ، ولا أُناقشُكَ في الحسابِ يومَ القيامةِ(٦) .

وقيلَ : رُئِيَ رجلٌ يصلِّي خارجَ المسجدِ ، فقيلَ لهُ : لِمَ لا تدخلُ المسجدَ

---

(١) ورواه السُّلمي في « آداب الصحبة » (٨١) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٥) عن الشعبي .

(٢) سورة يوسف : (٢٤) .

(٣) قاله عليه السلام عن عصمة ، فهو محض إخبار ؛ إذ أنشأه الله تعالىٰ بريئاً عن العمل الباطل والهمّ المحرَّم ، وانظر « مفاتيح الغيب » للرازي (١٨/٤٣٩) وما بعدها .

(٤) سورة القصص : (٢٥) .

(٥) كذا في « مفاتيح الغيب » (٢٤/٥٩٠) .

(٦) ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٦١) ، يقال : ناقشه الحسابَ وفي الحساب ؛ استقصىٰ فيه .

فتصلِّيَ فيهِ ؟! فقالَ : أستحيي منهُ أنْ أدخلَ بيتَهُ وقدْ عصَيتُهُ .

وقيلَ : مِنْ علاماتِ المستحيي : ألَّا يُرىٰ بموضعٍ يُستحيا منهُ .

وقالَ بعضُهُمْ : خرجْنا ليلةً ، فمررْنا بأَجَمةٍ ، فإذا رجلٌ نائمٌ وفرسُهُ عندَ رأسِهِ ترعىٰ ، فحرَّكْناهُ وقلْنا لهُ : ألا تخافُ أنْ تنامَ في مثلِ هٰذا الموضعِ المَخُوفِ وهوَ مُسْبِعٌ ؟!

فرفعَ رأسَهُ وقالَ : أنا أستحيي منهُ أنْ أخافَ غيرَهُ ، ووضعَ رأسَهُ ونامَ .

وأوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهِ السلامُ : عِظْ نفسَكَ ، فإنِ اتعظتَ[1] ، وإلَّا . . فاستحْيِ منِّي أنْ تعظَ الناسَ[2] .

وقيلَ : الحياءُ علىٰ وجوهٍ[3] :

حياءُ الجنايةِ : كآدمَ عليهِ السلامُ ؛ لمَّا قيلَ لهُ : أفراراً منَّا ؟ فقالَ : لا ، بلْ حياءً منكَ[4] .

وحياءُ التقصيرِ : كالملائكةِ يقولونَ : ما عبدْناكَ حقَّ عبادتِكَ[5] .

وحياءُ الإجلالِ : كإسـرافيلَ عليهِ السلامُ ؛ تسـربلَ بجناحِهِ حياءً مِنَ اللهِ تعالىٰ[6] .

وحياءُ الكرمِ : كالنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ كانَ يستحيي مِنْ أمَّتِهِ أنْ يقولَ لهُمْ : اخرجوا ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾[7] .

---

(١) في (ي) وحدها زيادة : (فعظِ الناس) .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٣٠٠) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ يحكيه .

(٣) هٰذا التوجيه نُقل عن ابن يزدانيار رحمه الله تعالىٰ . انظر « تهذيب الأسرار » (ص ٤٤٠) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٠٤) من حديث سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً ، والمروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٨٥٢) موقوفاً عليه .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٥٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٩٣/٣) .

(٦) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٩٢٧٩) .

(٧) سورة الأحزاب : (٥٣) ، وتمام الآية : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ، وانظر « تفسير الطبري » (٣١٠/٢٠) .

وحياءُ حشمةٍ : كعليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ؛ حينَ سألَ المقدادَ ، حتَّىٰ سألَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ حكمِ المَذْيِ ؛ لمكانِ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها[(١)] .

وحياءُ الاستحقارِ : كموسىٰ عليهِ السلامُ ؛ قالَ : إنَّهُ لَتعرضُ ليَ الحاجةُ مِنَ الدنيا ، فأستحيي أنْ أسألَكَ يا ربِّ ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : سلْني حتَّىٰ ملْحَ عجينِكَ ، وعلفَ شاتِكَ[(٢)] .

وحياءُ الإنعامِ : هوَ حياءُ الربِّ سبحانَهُ ؛ يدفعُ إلى العبدِ كتاباً مختوماً بعدَما عبرَ الصراطَ ، فإذا فيهِ : فعلتَ ما فعلتَ ، ولقدِ استحييتُ أنْ أظهرَ عليكَ ، فاذهبْ فإنِّي قدْ غفرتُ لكَ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ في هٰذا الخبرِ : إنَّ يحيى بنَ معاذٍ قالَ : سبحانَ مَنْ يذنبُ العبدُ فيستحيي هوَ منهُ !

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ زنجويهِ اللبَّادَ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ الحسنِ الهلاليَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ الأشعثِ يقولُ : سمعتُ الفضيلَ بنَ عياضٍ يقولُ : (خمسٌ مِنْ علاماتِ الشقاءِ : القسوةُ في القلبِ ، وجمودُ العينِ ، وقلَّةُ الحياءِ ، والرغبةُ في الدنيا ، وطولُ الأملِ)[(٣)] .

وفي بعضِ الكتبِ : ما أنصفَني عبدي ؛ يدعوني فأستحيي أنْ أردَّهُ ، ويعصيني فلا يستحيي منِّي ![(٤)] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مَنِ استحيا مِنَ اللهِ تعالىٰ مطيعاً .. استحيا اللهُ تعالىٰ منهُ وهوَ مذنبٌ)[(٥)] .

---

(١) رواه البخاري (١٣٢) ، ومسلم (٣٠٣) .

(٢) أورده ابن الجوزي في « المنثور » (ص ٦٧) ، وابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (٣٩/٢) .

(٣) ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٤) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤١٦/٤٨) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٧٥) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٧٥) .

قالَ الأستاذُ : واعلمْ : أنَّ الحياءَ يوجبُ التذويبَ ، فيُقالَ : الحياءُ : ذَوَبانُ الحشا لاطلاعِ المولىٰ .

ويُقالُ : الحياءُ : انقباضُ القلبِ لتعظيمِ الربِّ .

وقيلَ : إذا جلسَ الرجلُ ليعظَ الخلقَ . . ناداهُ ملكاهُ : عِظْ نفسَكَ بما تعظُ بهِ أخاكَ ، وإلَّا . . فاستحْيِ مِنْ سيِّدِكَ ؛ فإنَّهُ يراكَ (١) .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ الحياءِ ؛ فقالَ : رؤيةُ الآلاءِ ، ورؤيةُ التقصيرِ ، فيتولَّدُ مِنْ بينِهما حالةٌ تُسمَّى الحياءَ (٢) .

وقالَ الواسطيُّ : (لمْ يذقْ لَذَعاتِ (٣) الحياءِ مَنْ لابسَ خَرْقَ حدٍّ ، أوْ نقْضَ عهدٍ) .

وقالَ الواسطيُّ : (المستحيي يسيلُ منهُ العرقُ ، وهوَ الفضلُ الذي فيهِ ، وما دامَ في النفسِ شيءٌ فهوَ مصروفٌ عنِ الحياءِ) (٤) .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الحياءُ : تركُ الدعوىٰ بينَ يدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ ابنَ الوليدِ الزوزنيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الجُوزجانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الورَّاقَ يقولُ : (ربَّما أصلِّي للهِ تعالىٰ ركعتينِ ، فأنصرفُ عنهما وأنا بمنزلةِ مَنْ ينصرفُ عنِ السرقةِ مِنَ الحياءِ) .

* * *

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٧٧) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٤٨) ، وروىٰ عن ذي النون (٧٣٤٩) أنه قال : (اعلموا أن الذي أهاج الحياء من الله عز وجل معرفتُهم بإحسان الله إليهم ، وعلمهم بتضييع ما افترض عليهم من شكره ، وليس لشكره نهاية ، كما ليس لعظمته نهاية) .

(٣) يقال : لذعته النار : أحرقته وأوجعته بحرِّها .

(٤) لأن المستحيي يذوب قلبه من شدة ما فيه من الحياء ، فيذهب من قلبه وجسده كل فضول . « إحكام الدلالة » (١٥٠/٣) .

بابُ الحرّيّة

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[1] .

قالَ : وإنَّما آثروا علىٰ أنفسِهِمْ لتحرُّرِهِمْ عمَّا خرجوا منهُ وآثروا بهِ[2] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي قُماشٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ صالحِ بنِ النطَّاحِ قالَ : حدَّثَنا نُعَيمُ بنُ مُوَرِّعِ بنِ توبةَ ، عنْ إسماعيلَ المكيِّ ، عنْ عمرِو بنِ دينارٍ ، عنْ طاووسٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّما يكفي أحدَكُمْ ما قنعَتْ بهِ نفسُهُ ، وإنَّما يصيرُ إلىٰ أربعةِ أذرعٍ وشبرٍ ، وإنَّما يرجعُ الأمرُ إلىٰ آخرِهِ »[3] .

قال الأستاذُ : الحريَّةُ : ألَّا يكونَ العبدُ تحتَ رقِّ المخلوقاتِ ، ولا يجريَ عليهِ سلطانُ المكوَّناتِ ، وعلامةُ صحَّتِهِ : سقوطُ التمييزِ عنْ قلبِهِ بينَ الأشياءِ ، فيتساوىٰ عندَهُ أخطارُ الأعراضِ[4] .

قالَ حارثةُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (عزفَتْ نفسي عنِ الدنيا ، فاستوىٰ عندي حجرُها وذهبُها)[5] .

---

(١) سورة الحشر : (٩) .

(٢) في (ي ، ل) وهامش (ج) نسخة : (لتجرُّدهم) بدل (لتحرُّرهم) ، والتجريد طريق الحرية ، ومن عبارات المصنف في « لطائفه » (٤٨٨/٢) : (أحيا بماء التجريد أسرار الموحدين . . فتحررت من رقِّ الآثار) .

(٣) ورواه ابن أبي الدنيا في « القبور » (١١٨) ، قوله : « وإنما يصير . . . » : المراد القبر ، وقوله : « وإنما يرجع . . . » : المراد أن الأعمال بخواتيمها .

(٤) الخطر ـ بسكون الطاء وفتحها ـ : قدر الشيء ومنزلته ، تقدَّم غير مرة .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣١٤) ، والبزار في « مسنده » (٦٩٤٨) ، والمروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٣٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٦٦/٣) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٠٦) ضمن خبر .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ دخلَ الدنيا وهوَ عنها حرٌّ . . ارتحلَ إلى الآخرةِ وهوَ عنها حرٌّ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ المَرَاغيَّ يحكي عنِ الدُّقيِّ ، عنِ الزَّقَّاقِ يقولُ[١] : (مَنْ كانَ في الدنيا حرّاً منها . . كانَ في الآخرةِ حرّاً منها) .

واعلمْ : أنَّ حقيقةَ الحريَّةِ في كمالِ العبوديَّةِ ، فإذا صدقَتْ للهِ عبوديتُهُ . . خلصَتْ عنْ رقِّ الأغيارِ حرّيتُهُ .

فأمَّا مَنْ توهَّمَ أنَّ العبدَ يسلمُ لهُ أنْ يخلعَ وقتاً عذارَ العبوديَّةِ ، ويحيدَ بلحظِهِ عنِ حدِّ الأمرِ والنهيِ ، وهوَ مميِّزٌ في دارِ التكليفِ . . فذلكَ انسلاخٌ مِنَ الدينِ ، قالَ اللهُ سبحانَهُ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[٢] ؛ يعني : الأجلَ ، عليهِ أجمعَ المفسِّرونَ[٣] .

وإنَّ الذي أشارَ إليهِ القومُ مِنَ الحريَّةِ : هوَ ألَّا يكونَ العبدُ بقلبِهِ تحتَ رقِّ شيءٍ مِنَ المخلوقاتِ ؛ لا مِنْ أعراضِ الدنيا ، ولا مِنْ أعواضِ الآخرةِ ، فيكونُ فرداً لفردٍ[٤] ؛ لم يسترقُّهُ عاجلُ دنيا ، ولا حاصلُ هوىً ، ولا آجلُ مُنىً ، ولا سُؤْلٌ ولا قصدٌ ، ولا أرَبٌ ولا حظٌّ .

قيلَ للشبليِّ : ألا تعلمُ أنَّهُ رحمانٌ ؟ فقالَ : بلىٰ ، ولكنْ منذُ عرفتُ رحمتَهُ ما سألتُهُ أنْ يرحمَني[٥] .

ومقامُ الحريةِ عزيزٌ .

سمعتُ الشيخَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَةُ اللهِ عليهِ يقولُ : كانَ

---

(١) في (ب) : (عن الرقي عن الزقاق) .

(٢) سورة الحجر : (٩٩) .

(٣) انظر « الدر المنثور » (٥/١٠٥) ، وكما قال الله تعالىٰ علىٰ لسان سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام في سورة مريم : (٣١) : ﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾ .

(٤) في (ج ، ي) : (فيكون فردَ الفردِ) .

(٥) لئلا يكون لي سؤال وقصد وأرب . « إحكام الدلالة » (٣/١٥٢) .

أبـو العبَّاسِ السَّـيَّاريُّ يقولُ : لـوْ صحَّتْ صلاةٌ بغيرِ قـرآنٍ . . لصحَّتْ بهـٰذا البيتِ :
[من الخفيف]

أَتَمَنَّـىٰ عَلَـى ٱلزَّمَـانِ مُحَـالاً ... أَنْ تَـرَىٰ مُقْلَتَـايَ طَلْعَـةَ حُـرِّ [1]

فأمَّا أقاويلُ المشايخِ في الحريَّةِ : فقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (مَنْ أرادَ الحريَّةَ . . فليصلِ العبوديةَ)[2] .

وسُئِلَ الجنيدُ عمَّنْ لمْ يبقَ لهُ مِنَ الدنيا إلَّا مقدارُ مصِّ نواةٍ ، فقالَ : المكاتبُ عبدٌ ما بقيَ عليهِ درهمٌ[3] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأنْماطيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (إنَّكَ لا تصلُ إلىٰ صريحِ الحريَّةِ وعليكَ مِنْ حقيقةِ عبوديَّتِهِ بقيَّةٌ)[4] .

وقالَ بشرٌ الحافي : (مَنْ أرادَ أنْ يذوقَ طعمَ الحريَّةِ ، ويستريحَ مِنَ العبوديةِ . . فليطهِّرِ السريرةَ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ) .

وقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (إذا استوفى العبدُ مقاماتِ العبوديَّةِ كلَّها . . يصيرُ حرّاً مِنْ تعبِ العبوديَّةِ ، فيترسَّمُ بالعبوديَّةِ بلا عناءٍ ولا كلفةٍ ؛ وذٰلكَ مقامُ الأنبياءِ والصدِّيقينَ) يعني : يصيرُ محمولاً ، لا يلحقُهُ بقلبِهِ مشقَّةٌ وإنْ كانَ متحلِّياً بها شرعاً .

أنشدَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ قالَ : أنشدَنا أبو بكرٍ الرازيُّ قالَ : أنشدَني منصورٌ الفقيهُ لنفسِهِ :
[من مجزوء الرمل]

مَـا بَقِـي فِـي النَّـاس حُـرُّ ... لا وَلَا فِـي ٱلْجِـنِّ حُـرُّ
قَـدْ مَضَـىٰ حُـرُّ ٱلْفَرِيقَيْـ ... ـنِ فَحُلْـوُ ٱلْعَيْـشِ مُـرُّ

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٤٦) ، والبيت في « اليتيمة » (٣/٤٠٠) لأبي الحسن الشهرزوري .

(٢) أي : يواصلها ولا يتخللها فتور ، فإذا كملت فيه . . لذَّت له حالة الحرية وظهرت عليه . « إحكام الدلالة » (٣/١٥٢) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٤٢٩) .

(٤) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٥٨) ، والمراد : أداء تمام العبودية .

واعلمْ : أنَّ معظمَ الحريَّةِ في خدمةِ الفقراءِ :

سمعتُ الشيخَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : إذا رأيتَ لي طالباً . . فكنْ لهُ خادماً(١) .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سيِّدُ القومِ خادمُهُمْ »(٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ إبراهيمَ بنِ الفضلِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الروميِّ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ معاذٍ يقولُ : (أبناءُ الدنيا يخدمُهُمُ الإماءُ والعبيدُ ، وأبناءُ الآخرةِ يخدمُهُمُ الأحرارُ والأبرارُ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عثمانَ بنِ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ محمدٍ المصريَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ موسىٰ يقولُ : سمعتُ ابنَ خُبيقٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ أدهمَ يقولُ : (إنَّ الحرَّ الكريمَ يخرجُ مِنَ الدنيا قبلَ أنْ يُخرجَ منها) .

وقالَ إبراهيمُ(٣) : (لا تصحبْ إلَّا حرّاً كريماً ، يسمعُ ولا يتكلَّمُ) .

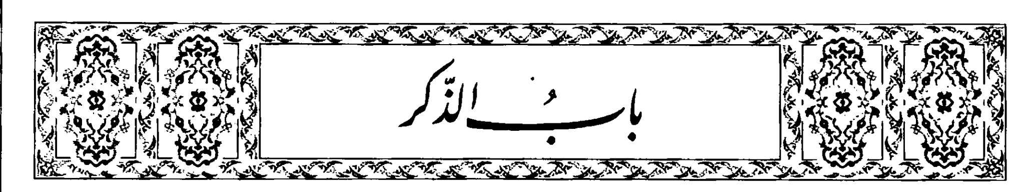
* * *

---

(١) ورواه البيهقي في « الشعب » (٩٤٨٢) عن عبد العزيز بن عمير رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه السُّلمي في « آداب الصحبة » (١١٧) من حديث سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وانظر « المقاصد الحسنة » (٥٧٩) .

(٣) في (ي) وحدها : (إبراهيم بن أدهم) .



بابُ الذِّكر

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[(١)] .

أخبرَنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْرَانَ ببغدادَ قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ البردعيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ أبي الدنيا قالَ : حدَّثَنا هارونُ بنُ معروفٍ قالَ : حدَّثَنا أنسُ بنُ عياضٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ سعيدِ بنِ أبي هندَ ، عنْ زيادِ بنِ أبي زيادٍ ، عنْ أبي بحريَّةَ ، عنْ أبي الدرداءِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ألا أُنبِّئُكُمْ بخيرِ أعمالِكُمْ ، وأزكاها عندَ مَليكِكُمْ ، وأرفعِها في درجاتِكُمْ ، وخيرٌ مِنْ إعطاءِ الذهبِ والوَرِقِ ، وأنْ تلقَوا عدوَّكُمْ فتضربوا أعناقَهُمْ ويضربوا أعناقَكُمْ ؟ » ، قالوا : وما ذٰلكَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « ذكرُ اللهِ تعالىٰ »[(٢)] .

أخبرَنا أبو نُعيمٍ عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ قالَ : حدَّثَنا يعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ قالَ : حدَّثَنا الدَّبَريُّ ، عنْ عبدِ الرزاقِ ، عنْ معمَرٍ ، عنْ ثابتٍ ، عنْ أنسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تقومُ الساعةُ علىٰ أحدٍ يقولُ : اللهُ اللهُ »[(٣)] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا معاذٌ قالَ : حدَّثَنا أبي ، عنْ حميدٍ[(٤)] ، عنْ أنسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تقومُ الساعةُ حتَّىٰ لا يُقالَ في الأرضِ : اللهُ اللهُ »[(٥)] .

---

(١) سورة الأحزاب : (٤١) .

(٢) ورواه الترمذي (٣٣٧٧) ، وابن ماجه (٣٧٩٠) .

(٣) ورواه مسلم (١٤٨) ، والدَّبَري : هو إسحاق والد يعقوب المذكور .

(٤) في (ي) : (قال : حدثنا حميد) .

(٥) تقدم أنه رواه مسلم أيضاً (١٤٨) .

قالَ الأستاذُ : الذكرُ ركنٌ قويٌّ في طريقِ الحقِّ سبحانَهُ ، بلْ هوَ العمدةُ في هـٰذا الطريقِ ، ولا يصلُ أحدٌ إلى اللهِ تعالىٰ إلَّا بدوامِ الذكرِ .

والذكرُ علىٰ ضربين : ذكرُ اللسانِ ، وذكرُ القلبِ ، فذكرُ اللسانِ بهِ يصلُ العبدُ إلى استدامةِ ذكرِ القلبِ ، والتأثيرُ لذكرِ القلبِ ، فإذا كانَ العبدُ ذاكراً بلسانِهِ وقلبِهِ . . فهوَ الكاملُ في وصفِهِ في حالِ سلوكِهِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (الذكرُ منشورُ الولايةِ ، فمَنْ وُفِّقَ للذكرِ . . فقدْ أُعطيَ المنشورَ ، ومَنْ سُلِبَ الذكرَ . . فقدْ عُزِلَ)[1] .

وقيلَ : إنَّ الشِّبليَّ كانَ في ابتداءِ أمرِهِ ينزلُ كلَّ يوم سَرَباً[2] ، ويحملُ معَ نفسِهِ حُزمةً مِنَ القُضبانِ ، فكانَ إذا دخلَ قلبَهُ غفلةٌ . . ضربَ نفسَهُ بتلكَ الخُشُبِ حتَّىٰ يكسرَها علىٰ نفسِهِ ، فربَّما كانَتِ الحُزمةُ تفنىٰ قبلَ أنْ يُمسيَ ، فكانَ يضربُ بيديهِ ورجليهِ على الحائطِ .

وقيلَ : ذكرُ اللهِ تعالىٰ بالقلبِ سيفُ المريدينَ ؛ بهِ يقاتلونَ أعداءَهُمْ ، وبهِ يدفعونَ الآفاتِ التي تقصدُهُمْ ، وإنَّ البلاءَ إذا أظلَّ العبدَ ؛ فإذا فزِعَ بقلبِهِ إلى اللهِ تعالىٰ . . يحيدُ عنهُ في الحالِ كلُّ ما يكرهُهُ .

وسُئِلَ الواسطيُّ عنِ الذكرِ ، فقالَ : الخروجُ عنْ ميدانِ الغفلةِ إلىٰ فضاءِ المشاهدةِ ، علىٰ غلبةِ الخوفِ وشدَّةِ الحبِّ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ البَلَاذُريَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرحمـٰنِ بنَ بكرٍ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : (مَنْ ذكرَ اللهَ تعالىٰ ذكراً على

---

(١) فالذكر كالمنشور في الدلالة علىٰ ثبوت الولاية لمن اتصف به من العباد ، والمنشور : أصله ما يُكتب لمن وليَ ولاية علىٰ جهة من الجهات ؛ ليعلم أهل تلك الجهة تحقق ولايته عليهم . « نتائج الأفكار » (١٥٧/٣) .

(٢) أي : طريقاً . « إحكام الدلالة » (١٥٨/٣) ، ونُقل أن السارب هو المستخفي .

الحقيقةِ . . نسيَ في جنبِ ذكرِهِ كلَّ شيءٍ ، وحفظَ اللهُ تعالىٰ عليهِ كلَّ شيءٍ ، وكانَ لهُ عوضاً عنْ كلِّ شيءٍ)[1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ المعلِّمَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ المسجديَّ يقولُ : سُئِلَ أبو عثمانَ ، فقيلَ لهُ : نذكرُ اللهَ ولا نجدُ في قلوبِنا حلاوةً !

فقالَ : احمدوا اللهَ علىٰ أنْ زيَّنَ جارحةً مِنْ جوارحِكُمْ بطاعتِهِ .

وفي الخبرِ المشهورِ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إذا رأيتُمْ رياضَ الجنَّةِ . . فارتعوا فيها » ، فقيلَ لهُ : فما رياضُ الجنَّةِ ؟ فقالَ : « مجالسُ الذكرِ »[2] .

أخبرَنا أبو الحسينِ عليُّ ابنُ بِشرانَ ببغدادَ قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ صفوانَ قالَ : حدَّثنا ابنُ أبي الدنيا قالَ : حدَّثَنا الهيثمُ بنُ خارجةَ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عيَّاشٍ ، عن عمرَ بنِ عبدِ اللهِ : أنَّ خالدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ صفوانَ أخبرَهُ ، عنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ : خرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « يا أيُّها الناسُ ؛ ارتعوا في رياضِ الجنةِ » ، قلْنا : يا رسولَ اللهِ ؛ وما رياضُ الجنَّةِ ؟ قالَ : « مجالسُ الذكرِ » ، قال : « اغدوا وروحوا واذكروا ، مَنْ كانَ يحبُّ أنْ يعلمَ منزلتَهُ عندَ اللهِ . . فلينظرْ كيفَ منزلةُ اللهِ عندَهُ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يُنزلُ العبدَ منهُ حيثُ أنزلَهُ مِنْ نفسِهِ »[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمداً الفرَّاءَ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : أليسَ اللهُ تعالىٰ يقولُ : « أنا جليسُ مَنْ ذكرَني ؟ »[4] ما الذي استفدتُمْ مِنْ مجالسةِ الحقِّ سبحانَهُ ؟!

---

(١) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٩٧) .

(٢) في (أ) : (مررتم برياض) ، والمثبت من باقي النسخ ، وسيأتي سنده .

(٣) ورواه عبد بن حميد كما في « المنتخب من مسنده » (١١٠٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤٩٣/١) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٢٥) وعمر بن عبد الله روىٰ عن خالد كما في « تهذيب الكمال » (٤٢١/٢١) .

(٤) بلفظه هنا رواه البيهقي في « الشعب » (١٨٦) عن كعب الأحبار ، خطاباً لسيدنا موسىٰ عليه وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام ، وعند البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) مرفوعاً : « يقول الله تعالىٰ : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني . . . » الحديث ، وقد تقدم (ص ٣٦٣) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ موسى السلاميَّ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ ينشدُ في مجلسِهِ : [من الطويل]

ذَكَرْتُكَ لَا أَنِّي نَسِيتُكَ لَمْحَةً وَأَيْسَرُ مَا فِي ٱلذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَانِ
وَكِدْتُ بِلَا وَجْدٍ أَمُوتُ مِنَ ٱلْهَوَىٰ وَهَامَ عَلَيَّ ٱلْقَلْبُ بِٱلْخَفَقَانِ
فَلَمَّا أَرَانِي ٱلْوَجْدُ أَنَّكَ حَاضِرِي شَهِدْتُكَ مَوْجُوداً بِكُلِّ مَكَانِ
فَخَاطَبْتُ مَوْجُوداً بِغَيْرِ تَكَلُّمٍ وَلَاحَظْتُ مَعْلُوماً بِغَيْرِ عِيَانِ (١)

ومِنْ خصائصِ الذكرِ : أنَّهُ غيرُ مؤقَّتٍ ، بلْ ما مِنْ وقتٍ مِنَ الأوقاتِ إلَّا والعبدُ مأمورٌ بذكرِ اللهِ ؛ إمَّا فرضاً ، وإمَّا ندباً ، والصلاةُ وإنْ كانَتْ أشرفَ العباداتِ . . فقدْ لا تجوزُ في بعضِ الأوقاتِ ، والذكرُ بالقلبِ مستدامٌ في عمومِ الحالاتِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ (٢) .

سمعتُ الإمامَ أبا بكرٍ ابنَ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : قياماً بحقِّ الذكرِ ، وقعوداً عنِ الدعوىٰ فيهِ .

وسمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يسألُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ ، فقالَ : الذكرُ أتمُّ أمِ الفكرُ ؟ فقالَ الأستاذُ أبو عليٍّ : ما الذي يقعُ للشيخِ فيهِ ؟ فقالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ : عندي الذكرُ أتمُّ مِنَ الفكرِ ؛ لأنَّ الحقَّ سبحانَهُ يُوصَفُ بالذكرِ ، ولا يُوصَفُ بالفكرِ ، وما يُوصَفُ بِهِ الحقُّ أتمُّ ممَّا اختصَّ بِهِ الخلقَ ، فاستحسنَهُ الأستاذُ أبو عليٍّ رحمَهُ اللهُ .

وسمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الكَتَّانيَّ يقولُ : (لولا أنَّ ذكرَهُ فرضٌ عليَّ . . لما ذكرتُهُ ؛ إجلالاً لهُ ، مثلي يذكرُهُ ولمْ يغسلْ فمَهُ بألفِ توبةٍ مُتَقبَّلةٍ عنْ ذكرِهِ ؟!) (٣) .

---

(١) ديوان الشبلي (ص ١٢٧) .
(٢) سورة آل عمران : (١٩١) .
(٣) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخه » (٥٤/٢٥٦) .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ ينشدُ لبعضِهِمْ : [من البسيط]

مَـا إِنْ ذَكَرْتُـكَ إِلَّا هَـمَّ يَلْعَنُنِـي ... قَلْبِي وَسِرِّي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرَاكَا

حَتَّىٰ كَأَنَّ رَقِيباً مِنْـكَ يَهْتِـفُ بِـي ... إِيَّـاكَ وَيْحَـكَ وَالتَّـذْكَارَ إِيَّـاكَا (١)

ومِـنْ خصائـصِ الذكرِ : أنَّهُ جُعِلَ فـي مقابلتِهِ الذكرُ ، قـالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ (٢) .

وفي خبرٍ : أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ قالَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ : أعطَيتُ أمَّتَكَ ما لمْ أعطِ أمَّةً مِنَ الأممِ ، فقالَ : « وما ذاكَ يا جبريلُ ؟ » ، قالَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، ولمْ يقلْ هٰذا لأحدٍ غيرِ هٰذهِ الأمَّةِ (٣) .

وقيلَ : إنَّ المَلَكَ يستأمرُ الذاكرَ في قبضِ روحِهِ (٤) .

وفي بعضِ الكتبِ : أنَّ موسىٰ عليهِ السلامُ قالَ : يا ربِّ ؛ أينَ تسكنُ ؟ فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : في قلبِ عبدي المؤمنِ (٥) .

ومعناهُ : سكونُ الذكرِ في القلبِ ؛ فإنَّ الحقَّ سبحانَهُ وتعالىٰ منزَّهٌ عنْ كلِّ سكونٍ وحلولٍ (٦) ، وإنَّما هوَ إثباتُ ذكرٍ وتحصيلٍ .

---

(١) رواهما في « تاريخ دمشق » (٦٦/٦٦) للشبلي ، وقبله قوله : (ذكر الغفلة يكون جوابه اللعن) ، والبيتان عند السلمي في « تفسيره » (١٣٢/١) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٩٤) ، وفي (ز ، ي) فقط : (يزجرني) بدل (يلعنني) .

(٢) سورة البقرة : (١٥٢) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٩٣) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ بنحوه ، والمعنىٰ : اذكروني بطاعتي . . أذكركم برحمتي وثوابي ، كذا في « الزهد » للبيهقي (٦٢) .

(٤) إكراماً وتشريفاً له ، ويُجري الله علىٰ لسانه ما تكمل به منزلته عنده ، ولا يختار إلا ما سبق له . « إحكام الدلالة » (١٦٣/٣) .

(٥) روى الطبراني في « مسند الشاميين » (٨٤٠) عن أبي عنبة الخولاني مرفوعاً : « إن لله آنية من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبُّها إليه ألينها وأرقُّها » ، وروىٰ أحمد في « الزهد » (٤٢٣) عن وهب بن منبه : إن الله عز وجل فتح السماوات لحزقيل حتىٰ نظر إلى العرش ـ أو كما قال ـ فقال حزقيل : سبحانك ! ما أعظمك يا رب ! فقال الله : إن السماوات والأرض لم تُطق أن تحملني ، وضِقْنَ من أن تسعني ، ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين .

(٦) في (ج) : (عن كل سكون وحركة وحلول) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليّ يقولُ : سمعتُ فارساً يقولُ : سمعتُ النُّوريَّ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ وسألتُهُ عنِ الذكرِ ، فقالَ : غيبةُ الذاكرِ عنِ الذكرِ ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الخفيف]

لَا لِأَنِّـي أَنْسَـاكَ أُكْثِـرُ ذِكْـرَا ... كَ وَلَٰكِنْ بِـذَاكَ يَجْـرِي لِسَـانِي

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : ما مِنْ يومٍ إلَّا والجليلُ سبحانَهُ ينادي : عبدي ؛ ما أنصفتَني ! أذكرُكَ وتنساني ؟! وأدعوكَ إليَّ وتذهبُ إلىٰ غيري ؟! وأُذهِبُ عنكَ البلايا وأنتَ معتكفٌ على الخطايا ؟! يا بنَ آدمَ ؛ ما تقولُ غداً إذا جئتَني ؟![1] .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : إنَّ في الجنةِ قِيعاناً ، فإذا أخذَ الذاكرُ في الذكرِ . . أخذَتِ الملائكةُ في غرسِ الأشجارِ ، فربَّما يقفُ بعضُ الملائكةِ ، فيُقالُ لهُ : لِمَ وقفتَ ؟ فيقولُ : فترَ صاحبي[2] .

وقالَ الحسنُ : (تفقَّدوا الحلاوةَ في ثلاثةِ أشياءَ : في الصلاةِ ، والذكرِ ، وقراءةِ القرآنِ ؛ فإنْ وجدتُمْ ، وإلَّا . . فاعلموا أنَّ البابَ مغلقٌ)[3] .

وقالَ حامدٌ الأسودُ : كنتُ معَ إبراهيمَ الخوَّاصِ في سفرٍ ، فجئْنا إلىٰ موضعٍ بهِ حيَّاتٌ كثيرةٌ ، فوضعَ ركوتَهُ ، وجلسَ وجلستُ ، فلمَّا بردَ الليلُ وبردَ الهواءُ . . خرجَتِ الحيَّاتُ ، فصِحتُ بالشيخِ ، فقالَ : اذكرِ اللهَ تعالىٰ ، فذكرتُ ، فرجعَتْ ، ثمَّ عادَتْ ، فصِحتُ بهِ ، فقالَ مثلَ ذٰلكَ ، فلمْ أزلْ إلى الصباحِ في مثلِ تلكَ الحالةِ .

فلمَّا أصبحْنا . . قامَ ، ومشىٰ ومشَيتُ معَهُ ، فسقطَ مِنْ وِطائِهِ حيَّةٌ عظيمةٌ قدْ تطوَّقَتْ بهِ ، فقلتُ : ما أحسسْتَ بها ؟ فقالَ : لا ، منذُ زمانٍ ما بتُّ ليلةً أطيبَ مِنَ البارحةِ .

---

(١) وروى الرافعي في « التدوين » (١/١٩٣) نحوه مرفوعاً .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٢٧٦) ، وهو عند ابن الجوزي في « المنتظم » (١/١٩٤) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/١٧١) .

وقالَ أبو عثمانَ : (مَنْ لمْ يذقْ وَحشةَ الغفلةِ . . لمْ يجدْ طعمَ أُنْسِ الذكرِ)[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرحمٰنِ بنَ عبدِ اللهِ الذبيانيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : مكتوبٌ في بعضِ الكتبِ التي أنزلَ اللهُ تعالىٰ : إذا كانَ الغالبُ علىٰ عبدي ذكري . . عشِقَني وعشِقتُهُ[2] .

وبإسنادِهِ : أنَّهُ أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : بي فافرحوا ، وبذكري فتنعَّموا[3] .

وقالَ النُّوريُّ : (لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ ، وعقوبةُ العارفِ انقطاعُهُ عنِ الذكرِ)[4] .

وفي الإنجيلِ : اذكرْني حينَ تغضبُ . . أذكرْكَ حينَ أغضبُ ، وارضَ بنصرتي لكَ ؛ فإنَّ نصرتي لكَ خيرٌ مِنْ نصرتِكَ لنفسِكَ[5] .

وقيلَ لراهبٍ : أنتَ صائمٌ ؟ فقالَ : صائمٌ بذكرِهِ ، فإذا ذكرتُ غيرَهُ . . أفطرتُ .

وقيلَ : إذا تمكَّنَ الذكرُ مِنَ القلبِ ؛ فإنْ دنا منهُ الشيطانُ . . صُرِعَ كما يُصرَعُ الإنسانُ إذا دنا منهُ الشيطانُ ، فتجتمعُ عليهِ الشياطينُ فيقولونَ : ما لهٰذا ؟ فيُقالُ : قدْ مسَّهُ الإنسُ .

وقالَ سهلٌ : (ما أعرفُ معصيةً أقبحَ مِنْ نسيانِ هٰذا الربِّ) .

وقيلَ : الذكرُ الخفيُّ لا يرفعُهُ الملكُ ؛ لأنَّهُ لا اطلاعَ لهُ عليهِ ، فهوَ سرٌّ بينَ العبدِ وبينَ اللهِ سبحانَهُ .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٣٥٦) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/١٦٥) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ مرسلاً بنحوه .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٢١٧) عن محمد بن النضر ، وفي هامش (أ) نسخة : (فتمتعوا) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٩٤) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٥٥) عن ذي النون رحمه الله تعالىٰ .

(٥) رواه أحمد في « الزهد » (٢٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/٦٥) .

وقالَ بعضُهُمْ : وُصِفَ لي ذاكرٌ في أَجَمةٍ ، فأتيتُهُ ، فبينَما هوَ جالسٌ . . إذا سبعٌ عظيمٌ ضربَهُ ضربةً ، واستلبَ منهُ قطعةً ، فغُشِيَ عليهِ وعليَّ ، فلمَّا أفقتُ . . قلتُ : ما هٰذا ؟ فقالَ : قيَّضَ اللهُ تعالىٰ هٰذا السبعَ عليَّ ، فكلَّما داخلتْني فترةٌ . . عضَّني [عضَّةً] كما رأيتَ[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يحيىٰ يقولُ : سمعتُ جعفرَ ابنَ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : كانَ بينَ أصحابِنا رجلٌ يكثرُ أنْ يقولَ : اللهُ اللهُ ، فوقعَ يوماً علىٰ رأسِهِ جِذعٌ ، فانشجَّ رأسُهُ وسقطَ الدمُ ، فاكتتبَ على الأرضِ : الله الله .

* * *

(١) والقائل هو أبو محمد الأنباري كما في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٨٩) .

بابُ الفتوّة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[1] .

قالَ الأستاذُ : أصلُ الفتوَّةِ : أنْ يكونَ العبدُ أبداً في أمرِ غيرِهِ .

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا يزالُ اللهُ تعالىٰ في حاجةِ العبدِ ما دامَ العبدُ في حاجةِ أخيهِ المسلمِ » .

أخبرَنا بهِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثَنا يعقوبُ بنُ حميدِ بنِ كاسبٍ قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي حازمٍ ، عنْ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ الأسلميِّ ، عنْ عبدِ الرحمٰنِ بنِ هُرْمُزَ الأعرجِ ، عنْ أبي هريرةَ ، عنْ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « لا يزالُ اللهُ في حاجةِ العبدِ ما دامَ العبدُ في حاجةِ أخيهِ المسلمِ »[2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (هٰذا الخُلُقُ لا يكونُ كمالُهُ إلَّا لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّ كلَّ أحدٍ في القيامةِ يقولُ : نفسي نفسي ، وهوَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « أمَّتي أمَّتي »[3]) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ[4] يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (الفتوَّةُ بالشامِ ، واللسانُ بالعراقِ ، والصدقُ بخراسانَ) .

---

(١) سورة الكهف : (١٣) .

(٢) ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١١٨/٥) ، والحديث في « الصحيحين » من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (١٩٣) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) كذا مصححاً في (أ) ، وفي عامة النسخ : (الحسين) بدل (الحسن) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ نصرِ بنِ منصورٍ الصائغَ يقولُ : سمعتُ مردويهِ الصائغَ يقولُ : سمعتُ الفضيلَ يقولُ : (الفتوَّةُ : الصفحُ عنْ عثراتِ الإخوانِ)[١] .

وقيلَ : الفتوَّةُ : ألَّا ترىٰ لنفسِكَ فضلاً علىٰ غيرِكَ .

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ : (الفتىٰ : مَنْ لا خصمَ لهُ) .

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ الترمذيُّ : (الفتوةُ : أنْ تكونَ خصماً لربِّكَ علىٰ نفسِكَ)[٢] .

ويُقالُ : الفتىٰ : مَنْ لا يكونُ خصماً لأحدٍ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (سُمِّيَ أصحابُ الكهفِ فتيةً ؛ لأنَّهُمْ آمنوا باللهِ بلا واسطةٍ) .

وقيلَ : الفتىٰ : مَنْ كسرَ الصنمَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾[٣] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾[٤] ، وصنمُ كلِّ إنسانٍ نفسُهُ ، فمَنْ خالفَ هواهُ . . فهوَ فتىً على الحقيقةِ .

وقالَ الحارثُ المحاسبيُّ : (الفتوَّةُ : أنْ تنصفَ ولا تنتصفَ) .

وقالَ عمرُو بنُ عثمانَ المكيُّ : (الفتوَّةُ : حسْنُ الخلقِ) .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ الفتوَّةِ ، فقالَ : ألَّا تناقرَ فقيراً ، ولا تعارضَ غنياً[٥] .

وقالَ النصراباذيُّ : (المروءةُ شعبةٌ مِنَ الفتوَّةِ ؛ وهوَ الإعراضُ عنِ الكونينِ ، والأنفةُ منهما) .

---

(١) ورواه السُّلمي في « آداب الصحبة » (١٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٢/٩) عن ذي النون رحمه الله تعالىٰ .

(٣) سورة الأنبياء : (٦٠) .

(٤) سورة الأنبياء : (٥٨) .

(٥) يقال : ناقره ؛ إذا نازعه ، والمناقرة : المنازعة ، ووقع في بعض النسخ : (تنافر) بالفاء ، ومعناها جلي .

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ الترمذيُّ : (الفتوَّةُ أنْ يستويَ عندَكَ المقيمُ والطارئُ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عمرَ الحافظَ يقولُ : سمعتُ أبا سهلٍ ابنَ زيادٍ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ يقولُ : سُئِلَ أبي : ما الفتوَّةُ ؟ فقالَ : تركُ ما تهوىٰ لما تخشىٰ .

وقيلَ لبعضِهِمْ : ما الفتوَّةُ ؟ فقالَ : ألا يميزَ بينَ أن يأكلَ عندَهُ وليٌّ أوْ كافرٌ .

سمعتُ بعضَ العلماءِ يقولُ : استضافَ مجوسيٌّ إبراهيمَ الخليلَ عليهِ السلامُ ، فقالَ : بشرطِ أنْ تسلمَ ، فمرَّ المجوسيُّ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : منذُ خمسينَ سنةً أطعمُهُ علىٰ كفرِهِ ، فلوْ ناولتَهُ لقمةً مِنْ غيرِ أنْ تطالبَهُ بتغييرِ دينِهِ ، فمضىٰ إبراهيمُ عليهِ السلامُ علىٰ إثرِهِ واعتذرَ إليهِ ، فسألَهُ عنِ السببِ ، فذكرَ ذٰلكَ لهُ ، فأسلمَ المجوسيُّ [1] .

وقالَ الجنيدُ : (الفتوَّةُ كفُّ الأذىٰ ، وبذلُ الندىٰ) [2] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (الفتوَّةُ اتباعُ السنَّةِ) .

وقيلَ : الفتوَّةُ : الوفاءُ والحفاظُ .

وقيلَ : الفتوَّةُ : فضيلةٌ تأتيها ولا ترىٰ نفسَكَ فيها .

وقيلَ : الفتوَّةُ : ألا تهربَ إذا أقبلَ السائلُ .

وقيلَ : ألَّا تحتجبَ مِنَ القاصدينَ .

وقيلَ : ألَّا تدخرَ ولا تعتذرَ .

وقيلَ : إظهارُ النعمةِ ، وإسرارُ المحنةِ .

وقيلَ : أنْ تدعوَ عشرةَ أنفسٍ ، فلا تتغيَّرُ إنْ جاءَ تسعةٌ أوْ أحدَ عشرَ .

---

(١) تقدم هـٰذا الخبر (ص ٣٦٢) ، وفي (أ) الإشارة إليه دون ذكره بتمامه .

(٢) أورده السبكي في « طبقاته » (٢/٢٦٥) .

وقيلَ : الفتوَّةُ : تركُ التمييزِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّـلميَّ يقولُ : قالَ أحمدُ بنُ خضرويهِ لامرأتِهِ أمِّ عليٍّ : أريدُ أنْ أتخذَ دعوةً أدعو فيها عيَّاراً شاطراً ـ كانَ في بلدِهِمْ رأسَ الفتيانِ ـ فقالَتِ امرأتُهُ : إنَّكَ لا تهتدي إلىٰ دعوةِ الفتيانِ ! فقالَ : لا بدَّ .

فقالَتْ : إنْ فعلتَ . . فاذبحِ الأغنامَ والبقورَ والحُمُرَ وألقِها مِنْ بابِ دارِ الرجلِ إلىٰ بابِ دارِكَ .

فقالَ : أمَّا الأغنامُ والبقورُ . . فأعلمُ ، فما بالُ الحُمُرِ ؟! فقالَتْ : تدعو فتىً إلىٰ دارِكَ ، فلا أقلَّ مِنْ أنْ يكونَ لكلابِ المحلَّةِ خيرٌ[1] .

وقيلَ : اتخذَ بعضُهُمْ دعوةً وفيهِمْ شيخٌ شِيرازيٌّ ، فلمَّا أكلوا . . وقعَ عليهِمُ النومُ في حالِ السماعِ ، فقالَ الشيخُ الشِّيرازيُّ لصاحبِ الدعوةِ : أيْشٍ السببُ في نومِنا ؟ فقالَ : لا أدري ، اجتهدتُ في جميعِ ما أطعمتُكُمْ إلَّا الباذنجانَ ، فلمْ أسألْ عنهُ[2] .

فلما أصبحوا . . سألوا بَيِّعَ الباذنجانِ ، فقالَ : لمْ يكنْ لي شيءٌ ، فسرقتُ الباذنجانَ مِنَ الموضعِ الفلانيِّ وبعتُهُ[3] ، فحملوهُ إلىٰ صاحبِ الأرضِ ليجعلَهُ في حلٍّ ، فقالَ الرجلُ : تسألونَ منِّي ألفَ باذنجانةٍ ؟! قدْ وهبتُهُ تلكَ الأرضَ ، ووهبتُهُ ثورينِ ، وحماراً ، وآلةَ الحرثِ ؛ لئلَّا يعودَ إلىٰ مثلِ ما فعلَ .

وقيلَ : تزوَّجَ رجلٌ بامرأةٍ ، فقبلَ الدخولِ ظهرَ بالمرأةِ الجُدَريُّ ، فقالَ الرجلُ : اشتكَتْ عيني ، ثمَّ قالَ : عميَتْ ، فزُفَّتْ إليهِ المرأةُ ، ثمَّ ماتَتْ بعدَ عشرينَ سنةً ، ففتحَ الرجلُ عينيهِ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : لمْ أعمَ ، ولـٰكنْ تعامَيتُ ؛ حذراً أنْ تحزنَ ، فقيلَ لهُ : سبقتَ الفتيانَ .

---

(١) قوله : (من باب دار الرجل . . .) أرادت بسطها علىٰ طول الطريق ، والخبر فيه فتوة النساء أيضاً ، وفي « الحلية » (١٠/٤٢) : قال أبو يزيد البسطامي لأحمد بن خضرويه موصياً : (تعلَّم الفتوة من زوجتك) ، والبقور : جمع (بقرة) متداولٌ عند الفقهاء ، وكأنه تسهيل (أبْقُور) عند أهل اللغة .

(٢) أراد : تحرَّيت في طلبها حلالاً ، إلا الباذنجان لم أسأل عن مصدره .

(٣) وكان مقداره ألف باذنجانة كما يفهم من السياق .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (مَنْ أرادَ الظَّرْفَ . . فعليهِ بسقاةِ الماءِ ببغدادَ ، فقيلَ لهُ : كيفَ هوَ ؟ فقالَ : لمَّا حُملتُ إلى الخليفةِ حينَ نُسِبتُ إلى الزندقةِ . . رأيتُ سقَّاءً عليهِ عِمامةٌ ، وهوَ متردٍ بمنديلٍ مصريٍّ ، وبيدِهِ كِيزانُ خزفٍ رقاقٌ ، فقلتُ : هٰذا ساقي السلطانِ ؟ فقالوا : لا ، هٰذا ساقي العامَّةِ ، فأخذتُ الكوزَ وشربتُ ، وقلتُ لمَنْ معي : أعطِهِ ديناراً ، فلمْ يأخذْ ، وقالَ : أنتَ أسيرٌ ، وليسَ مِنَ الفتوَّةِ أنْ نأخذَ منكَ شيئاً)[1] .

وقيلَ : ليسَ مِنَ الفتوَّةِ أنْ تربحَ علىٰ صديقِكَ ، قالَهُ بعضُ أصدقائِنا رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

وكانَ فتىً يُسمَّىٰ أحمدَ بنَ سهلٍ التاجرَ ، وقدِ اشتريتُ منهُ حزمةَ بياضٍ[2] ، فأخذَ الثمنَ رأسَ مالِهِ ، فقلتُ : ألا تأخذُ ربحاً ؟ فقالَ : أمَّا الثمنُ . . فآخذُهُ ، ولا أقلِّدُكَ منَّةً ؛ لأنَّهُ ليسَ لهُ مِنَ الخطرِ ما أتخلَّقُ بهِ معَكَ ، ولٰكنْ لا آخذُ الربحَ ؛ إذْ ليسَ مِنَ الفتوَّةِ أنْ تربحَ علىٰ صديقِكَ .

وقيلَ : خرجَ إنسانٌ يدَّعي الفتوَّةَ مِنْ نيسابورَ إلىٰ نَسا ، فاستضافَهُ رجلٌ ومعَهُ جماعةٌ مِنَ الفتيانِ ، فلمَّا فرغوا مِنَ الطعامِ . . خرجَتْ جاريةٌ تصبُّ الماءَ علىٰ أيديهِمْ ، فانقبضَ النيسابوريُّ عنْ غسلِ اليدِ وقالَ : ليسَ مِنَ الفتوَّةِ أنْ تصبَّ النسوانُ الماءَ علىٰ أيدي الرجالِ !

فقالَ واحدٌ منهُمْ : أنا منذُ سنينَ أدخلُ هٰذهِ الدارَ لمْ أعلمْ أنَّ امرأةً تصبُّ الماءَ علىٰ أيدينا أوْ رجلاً[3] .

سمعتُ منصورَ بنَ خلفٍ المغربيَّ يقولُ : أرادَ واحدٌ أنْ يمتحنَ نوحاً العيَّارَ النيسابوريَّ[4] ، فباعَ منهُ جاريةً في زيِّ غلامٍ ، وشرطَ أنَّهُ غلامٌ ، وكانَتْ

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧٣/١) .

(٢) في (ي) ، و« إحكام الدلالة » (١٧٢/٣) : (خرقة) بدل (حزمة) .

(٣) لتركه فضول النظر الذي لا حاجة إليه . « إحكام الدلالة » (١٧٢/٣) .

(٤) العيَّار : الذكي الكثير التطواف ، والعرب تمدح به وتذم ، ويقال للنشيط في المعاصي .

وضيئةَ الوجهِ ، فاشتراها نوحٌ علىٰ أنَّهُ غلامٌ ، ولبِثَ عندَهُ شهوراً كثيرةً ، فقيلَ للجاريةِ : هلْ علمَ أنَّكِ جاريةٌ ؟ فقالَتْ : لا ، إنَّهُ ما مسَّني ، ويتوهَّمُ أنِّي غلامٌ .

وقيلَ : إنَّ بعضَ الشُّطَّارِ طُلِبَ منهُ تسليمُ غلامٍ كانَ يخدمُهُ إلى السلطانِ ، فأبىٰ ، فضُرِبَ ألفَ سَوطٍ ، فلمْ يسلِّمْ ، فاتفقَ أنَّهُ احتلمَ تلكَ الليلةَ ، وكانَ برداً شديداً ، فلمَّا أصبحَ . . اغتسلَ بالماءِ البارِدِ ، فقيلَ لهُ : خاطَرتَ بروحِكَ ! فقالَ : استحييتُ مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ أصبرَ علىٰ ضربِ ألفِ سَوطٍ لأجلِ مخلوقٍ ، ولا أصبرَ علىٰ مقاساةِ بردِ الاغتسالِ لأجلِهِ .

وقيلَ : قدِمَ جماعةٌ مِنَ الفتيانِ لزيارةِ واحدٍ يدَّعي الفتوةَ ، فقالَ الرجلُ : يا غلامُ ؛ قدِّمِ السفرةَ ، فلمْ يقدِّمْ ، فقالَ الرجلُ ثانياً وثالثاً ، فنظرَ بعضُهُمْ إلىٰ بعضٍ وقالوا : ليسَ مِنَ الفتوَّةِ أنْ يستخدمَ مَنْ يتعاصىٰ عليهِ في تقديمِ السفرةِ كلَّ هٰذا ![1] .

فقالَ الرجلُ : لِمَ أبطأتَ بالسفرةِ ؟ فقالَ الغلامُ : كانَ عليها نملٌ ، فلمْ يكنْ من الأدبِ تقديمُ السفرةِ إلى الفتيانِ معَ النملِ ، ولمْ يكنْ مِنَ الفتوَّةِ إلقاءُ النملِ مِنَ السفرةِ ، فلبِثتُ حتَّىٰ دبَّ النملُ ، فقالوا : دقَّقتَ يا غلامُ ، مثلُكَ مَنْ يخدمُ الفتيانَ .

وقيلَ : إنَّ رجلاً نامَ بالمدينةِ مِنَ الحاجِّ ، فتوهَّمَ أنَّ هِمْيانَهُ سُرِقَ ، فخرجَ ، فرأىٰ جعفراً الصادقَ عليهِ السلامُ ، فتعلَّقَ بهِ وقالَ : أخذْتَ هِمْياني ، فقالَ : أيْشٍ كانَ فيهِ ؟ فقالَ : ألفُ دينارٍ ، فأدخلَهُ دارَهُ ، ووزنَ لهُ ألفَ دينارٍ ، فرجعَ الرجلُ إلىٰ منزلِهِ ، ودخلَ بيتَهُ ، فرأىٰ هِمْيانَهُ في بيتِهِ ، وكانَ قدْ توهَّمَ أنَّهُ سُرِقَ ، فخرجَ إلىٰ جعفرٍ معتذراً ، وردَّ عليهِ الدنانيرَ ، فأبىٰ أنْ يقبلَ ، وقالَ : شيءٌ أخرجتُهُ مِنْ يدي لا أستردُّهُ ، فقالَ الرجلُ : مَنْ هٰذا ؟! فقيلَ : جعفرٌ الصادقُ عليهِ السلامُ .

---

(١) في (أ ، ب) من الأصول : (كرهاً) بدل (كل هٰذا) .

وقيلَ : سألَ شَقيقٌ البلخيُّ جعفرَ بنَ محمدٍ عنِ الفتوَّةِ ، فقالَ : ما تقولُ أنتَ ؟

فقالَ شَقيقٌ : إنْ أُعطينا .. شكرْنا ، وإنْ مُنعْنا .. صبرْنا .

فقالَ جعفرٌ : الكلابُ عندَنا بالمدينةِ كذٰلكَ تفعلُ .

فقالَ شَقيقٌ : يا بنَ رسولِ اللهِ ؛ ما الفتوَّةُ عندَكُمْ ؟

فقالَ : إنْ أُعطِينا .. آثرْنا ، وإنْ مُنعْنا .. شكرْنا[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : دعانا أبو العباسِ ابنُ مسروقٍ ليلةً إلىٰ بيتِهِ ، فاستقبلَنا صديقٌ لنا ، فقلْنا : ارجعْ معَنا إلىٰ بيتِ الشيخِ ، فنحنُ في ضيافتِهِ ، فقالَ : إنَّهُ لمْ يدعُني ، فقلْنا : نحنُ نستثني كما استثنىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ [لعائشةَ][2] رضيَ اللهُ عنها .

فأخذناهُ معَنا ، فلمَّا بلغَ بابَ الشيخِ .. أخبرْناهُ بما قالَ وقلْنا لهُ ، فقالَ :

جعلتَ موضعي مِنْ قلبِكَ ألَّا تجيءَ[3] إلىٰ منزلي مِنْ غيرِ دعوةٍ ؟! عليَّ كذا وكذا ؛ إنْ مشيتَ إلى الموضعِ الذي تقعدُ فيهِ إلَّا علىٰ خدِّي ، وألحَّ الشيخُ ، ووضعَ خدَّهُ على الأرضِ ، وحُمِلَ الرجلُ ، فوضعَ قدمَهُ علىٰ خدِّهِ مِنْ غيرِ أنْ يوجعَهُ ، وسحبَ الشيخُ وجهَهُ على الأرضِ إلىٰ أنْ بلغَ موضعَ جلوسِهِ[4] .

---

(١) اشتهر هٰذا الخبر كما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٧/٨) أنه بين شقيق وإبراهيم بن أدهم .

(٢) كذا في (ي) ، وفي سائر النسخ : (بعائشة) بدل (لعائشة) ، وخبر الاستثناء ما رواه مسلم (٢٠٣٧) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه : أن جاراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسياً كان طيب المرق ، فصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء يدعوه ، فقال : « وهٰذه ؟ » لعائشة ، فقال : لا . . . ثلاثاً ، إلىٰ أن قال : نعم ، فقاما يتدافعان حتىٰ أتيا منزله .

(٣) كذا في (ج) ، وفي سائر النسخ : (أن تجيء) بدل (ألا تجيء) ، والمعنىٰ عليها : (لأجل أنك جئت) .

(٤) ورواه من طريق المصنف الخطيب في « تاريخه » (٣٠٧/٥) .

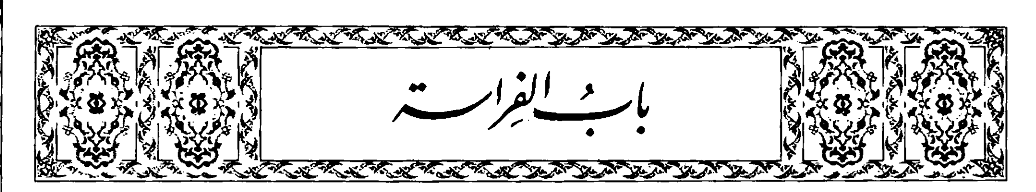
قالَ الأستاذُ : **واعلمْ : أنَّ مِنَ الفتوةِ السَّترَ علىٰ عيوبِ الأصدقاءِ ، لا سيما إذا كانَ لهُمْ فيهِ شماتةُ الأعداءِ .**

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : كانَ يُقالُ للنصراباذيِّ كثيراً : **إنَّ عليّاً القوَّالَ يشربُ بالليلِ ويحضرُ مجلسَكَ بالنهارِ** ، وكانَ لا يسمعُ فيهِ ما يُقالُ ، فاتفقَ أنَّهُ كانَ يمشي يوماً ومعَهُ واحدٌ ممَّنْ كانَ يذكرُ عليّاً بذٰلكَ ، فوجدَ عليّاً مطروحاً في موضعٍ وقدْ ظهرَ عليهِ أثرُ السكْرِ ، وصارَ بحيثُ يغسلُ فمَهُ ، فقالَ الرجلُ : **إلىٰ كمْ نقولُ للشيخِ ولا يسمعُ ؟! هـٰذا عليٌّ** على الوصفِ الذي نقولُ ! فنظرَ إليهِ النصراباذيُّ وقالَ للعذولِ : **احملْهُ علىٰ رقبتِكَ وانقلْهُ إلىٰ منزلِهِ ، فلمْ يجدْ بُدّاً مِنْ طاعتِهِ فيهِ .**

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ المرتعشَ يقولُ : دخلْنا معَ أبي حفصٍ علىٰ مريضٍ نعودُهُ ونحنُ جماعةٌ ، فقالَ للمريضِ : **أتحبُّ أنْ تبرأَ ؟** فقالَ : نعمْ ، فقالَ لأصحابِهِ : **تحمَّلوا عنهُ**(١) ، فقامَ العليلُ وخرجَ معَنا ، **وأصبحْنا كلُّنا أصحابَ فراشٍ نُعادُ .**

* * *

(١) بأن نقتسم ما هو فيه من الألم ، فتحمَّلوا عنه بأن دعَوا الله فيه فأجابهم . « إحكام الدلالة » (٣/١٧٤) .



باب الفراسة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [١] قيلَ : للمتفرِّسينَ [٢] .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلميُّ رحمَهُ اللهُ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسنِ الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ السكنِ قالَ : حدَّثَنا موسى بنُ داوودَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ كثيرٍ الكوفيُّ قالَ : حدَّثَنا عمرُو بنُ قيسٍ ، عنْ عطيةَ ، عنْ أبي سعيدٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقوا فِراسةَ المؤمنِ ؛ فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهِ » [٣] .

قالَ الأستاذُ : الفِراسةُ : خاطرٌ يهجُمُ على القلبِ فينفي ما يضادُّهُ [٤] ، ولهُ على القلبِ حكمٌ ، اشتقاقاً مِنْ فَريسةِ السبعِ [٥] ، وليسَ في مقابلةِ الفراسةِ مجوَّزاتٌ للنفسِ .

وهيَ علىٰ حسبِ قوَّةِ الإيمانِ ، فكلُّ مَنْ كانَ أقوىٰ إيماناً . . كانَ أحدَّ فراسةً .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (مَنْ نظرَ بنورِ الفِراسةِ . . نظرَ بنورِ الحقِّ ، وتكونُ موادُّ علمِهِ مِنَ الحقِّ بلا سهوٍ ولا غفلةٍ [٦] ، بلْ حكمُ حقٍّ جرىٰ علىٰ لسانِ عبدٍ) ، وقولُهُ : (نظرَ بنورِ الحقِّ) يعني : بنورٍ خصَّهُ بهِ الحقُّ سبحانَهُ .

وقالَ الواسطيُّ : (الفِراسةُ : سواطعُ أنوارٍ لمعَتْ في القلوبِ ، ومَكينُ معرفةٍ

---

(١) سورة الحجر : (٧٥) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٨/١٤/٨) عن مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) ورواه الترمذي (٣١٢٧) .

(٤) لأنه يفيد العلم ، فينفي ما يضاده من الظن والشك والوهم . انظر « إحكام الدلالة » (١٧٥/٣) .

(٥) ويقالُ : فَرَسَ الأسد فريسته فَرْساً ؛ أي : دقَّ عنقها . « الصحاح » (ف ر س) .

(٦) وفي الأصول غير (د) : (ويكون مواد علمه من الحق ، فلا سهوَ ولا غفلةَ) .

حملَتِ السرائرَ في الغيوبِ مِنْ غيبٍ إلىٰ غيبٍ ، حتَّىٰ يشهدَ الأشياءَ مِنْ حيثُ أشهدَهُ الحقُّ سبحانَهُ إيَّاها ، فيتكلَّمُ عنْ ضميرِ الخلقِ)[١] .

ويُحكىٰ عنْ أبي الحسنِ الديلميِّ أنَّهُ قالَ : دخلتُ أنطاكيةَ لأجلِ أسودَ قيلَ لي : إنَّهُ يتكلَّمُ على الأسرارِ ، فأقمتُ إلىٰ أنْ خرجَ مِنْ جبلِ لُكامٍ ومعَهُ شيءٌ مِنَ المباحِ يبيعُهُ[٢] ، وكنتُ جائعاً منذُ يومينِ لمْ آكلْ شيئاً ، فقلتُ لهُ : بكمْ هٰذا ؟ وأوهمتُ أنِّي أشتري ما بينَ يديهِ ، فقالَ : اقعدْ ثَمَّ ، حتَّىٰ إذا بِعْناهُ نعطيكَ ما تشتري بهِ شيئاً .

فتركتُهُ وصرتُ إلىٰ غيرِهِ أوهمُهُ أنِّي أساومُهُ ، ثمَّ رجعتُ إليهِ ، فقلتُ : إنْ كنتَ تبيعُ هٰذا . . فقلْ لي : بكمْ ، فقالَ : إنَّما جُعتَ يومينِ ، اقعدْ حتَّىٰ إذا بِعْناهُ نعطيكَ ما تشتري بهِ شيئاً ، فقعدتُ ، فلمَّا باعَهُ . . أعطاني منهُ شيئاً ومشىٰ فتبعتُهُ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : إذا عرضَ لكَ حاجةٌ . . فأنزلْها باللهِ تعالىٰ إلَّا أنْ يكونَ لنفسِكَ فيها حظٌّ فتحجبَ عنِ اللهِ تعالىٰ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الكتَّانيَّ يقولُ : (الفِراسةُ : مكاشفةُ اليقينِ ، ومعاينةُ الغيبِ ، وهوَ مِنْ مقاماتِ الإيمانِ)[٣] .

وقيلَ : كانَ الشافعيُّ ومحمدُ بنُ الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُما في المسجدِ الحرامِ ، فدخلَ رجلٌ ، فقالَ محمدٌ : أتفرَّسُ أنَّهُ نجَّارٌ ، وقالَ الشافعيُّ : أتفرَّسُ أنَّهُ حدَّادٌ ، فسألاهُ ، فقالَ : كنتُ قبلَ هٰذا حداداً ، والساعةَ أنجرُ[٤] .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (المستنبِطُ : مَنْ يلاحظُ الغيبَ أبداً ، ولا

---

(١) ومعنى التكلُّم عن ضميرهم : أنه لما طالع غيبهم . . صار لسانهم

(٢) وجبل اللكام ـ وِزان غُراب ورُمَّان ـ : طرفه في أنطاكية وآخر في لبنان ، وقد مرَّ .

(٣) وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٤) .

(٤) نحوه رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١٣٩) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/١٣٠) .

يغيبُ عنهُ ولا يخفىٰ عليهِ شيءٌ ؛ وهوَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (١) .

والمتوسِّمُ : هوَ الذي يعرفُ الوَسْمَ ، وهوَ العارفُ بما في سويداءِ القلوبِ بالاستدلالِ والعلاماتِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (٢) ؛ أيْ : للعارفينَ بالعلاماتِ التي يبديها اللهُ على الفريقينِ مِنْ أوليائِهِ وأعدائِهِ .

والمتفرِّسُ : ينظرُ بنورِ اللهِ تعالىٰ ، وذٰلكَ سواطعُ أنوارٍ لمعَتْ في قلبِهِ ، فأدركَ بها المعانيَ ، وهوَ مِنْ خواصِّ الإيمانِ .

والذينَ همْ أكثرُ منهُ حظّاً : الربانيُّونَ الذينَ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ ﴾ (٣) ؛ يعني : علماءَ حكماءَ ، متخلِّقينَ بأخلاقِ الحقِّ نظراً وخُلُقاً ، وهمْ فارغونَ عنِ الإخبارِ عنِ الخلْقِ والنظرِ إليهِمْ والاشتغالِ بهِمْ) .

وقيلَ : كانَ أبو القاسمِ المنادي مريضاً ، وكانَ كبيرَ الشأنِ من مشايخِ نيسابورَ ، فعادَهُ أبو الحسنِ البُوشَنجيُّ والحسنُ الحدَّادُ ، واشتريا بنصفِ درهمٍ تفَّاحاً في الطريقِ نسيئةً ، وحملاهُ إليهِ ، فلمَّا قعدا . . قالَ أبو القاسمِ : ما هٰذهِ الظلمةُ ؟ فخرجا وقالا : أيْشٍ فعلْنا ؟! وتفكَّرا ، فقالا : لعلَّنا لمْ نؤدِّ ثمنَ التفاحِ ، فأعطيا الثمنَ ، وعادا إليهِ ، فلمَّا وقعَ بصرُهُ عليهما . . قالَ : يمكنُ للإنسانِ أنْ يخرجَ مِنَ الظلمةِ بهٰذهِ السرعةِ ؟! أخبراني عنْ شأنِكُما ، فذكرا لهُ القصَّةَ ، فقالَ : نعمْ ؛ كانَ يعتمدُ كلُّ واحدٍ منكما علىٰ صاحبِهِ في إعطاءِ الثمنِ ، والرجلُ يستحيي منكما في التقاضي ، فكانَ تبقى التبعةُ (٤) ، وأنا السببُ ، إنَّما رأيتُ ذٰلكَ فيكما .

وكانَ أبو القاسمِ المنادي هٰذا يدخلُ السوقَ كلَّ يومٍ ينادي (٥) ، فإذا وقعَ

---

(١) سورة النساء : (٨٣) .
(٢) سورة الحجر : (٧٥) .
(٣) سورة آل عمران : (٧٩) .
(٤) والمعنىٰ : فكان الشأنُ بقاءَ التبعة عليكما ، كما يفيده في « إحكام الدلالة » (٣/١٧٧) .
(٥) أي : يدلِّلُ على الأمتعة . « إحكام الدلالة » (٣/١٧٧) .

بيدِهِ ما فيهِ كفايتُهُ مِنْ دَانقٍ إلىٰ نصفٍ إلىٰ ربعٍ[١] .. خرجَ وعادَ إلىٰ رأسِ وقتِهِ ومراعاةِ قلبِهِ .

وقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (الحقُّ إذا استولىٰ علىٰ سرٍّ[٢] .. ملَّكَهُ الأسرارَ ، فيعاينُها ويخبرُ عنها)[٣] .

وسُئِلَ بعضُهُمْ عنِ الفِراسةِ ، فقالَ : أرواحٌ تتقلَّبُ في الملكوتِ ، فتشرفُ علىٰ معاني الغيوبِ ، فتنطقُ عنْ أسرارِ الخلقِ نطقَ مشاهدةٍ ، لا نطقَ ظنٍّ وحسبانٍ[٤] .

وقيلَ : كانَ بينَ زكريا الشختنيِّ وبينَ امرأةٍ سببٌ قبلَ توبتِهِ ، فكانَ يوماً واقفاً علىٰ رأسِ أبي عثمانَ الحِيريِّ بعدَما صارَ مِنْ خواصِّ تلامذتِهِ ، فتفكَّرَ في شأنِها ، فرفعَ أبو عثمانَ رأسَهُ إليهِ وقالَ : أما تستحيي ؟!

قالَ الأستاذُ الإمامُ : كنتُ في ابتداءِ وُصلتي بالأستاذِ أبي عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ عقدَ لي المجلسَ في مسجدِ المطرزِ[٥] ، فاستأذنتُهُ وقتاً للخروجِ إلىٰ نَسا ، فأذِنَ لي ، فكنتُ أمشي معَهُ يوماً في طريقِ مجلسِهِ ، فخطرَ ببالي : ليتَهُ ينوبُ عنِّي في مجالسي أيامَ غيبتي ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : أنوبُ عنكَ أيامَ غيبتِكَ في عقدِ المجالسِ .

فمشَيتُ قليلاً ، فخطرَ ببالي أنَّهُ عليلٌ يشُقُّ عليهِ أنْ ينوبَ عني في الأسبوعِ يومينِ ، فليتَهُ يقتصرُ علىٰ يومٍ واحدٍ في الأسبوعِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : إنْ لمْ يمكنِّي في الأسبوعِ يومينِ[٦] .. أنوبُ في الأسبوعِ مرَّةً واحدةً ، فمشيتُ قليلاً ، فخطرَ ببالي شيءٌ ثالثٌ ، فالتفتَ إليَّ وصرَّحَ بالإخبارِ عنهُ على القطعِ !

---

(١) في (ل) من الأصول : (إلىٰ نصفِ درهمٍ) ، والمثبت من سائر الأصول .

(٢) أي : قلب ؛ بأن اشتغل به تعالى العبدُ حتىٰ صار غالباً علىٰ قلبه . « إحكام الدلالة » (١٧٧/٣) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٤) من غير نسبة للحلاج .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٤) .

(٥) مسجد عريق من مساجد نيسابور .

(٦) كذا في النسخ بالنصب على الظرفية ، وفاعل يمكن ضمير مقدَّر يعود على النيابة .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ جدِّي أبا عمرِو بنَ نُجيدٍ يقولُ : كانَ شاهُ الكِرْمانيُّ حادَّ الفِراسةِ ، لا يخطِئُ ، ويقولُ : (مَنْ غضَّ بصرَهُ عنِ المحارمِ ، وأمسكَ نفسَهُ عنِ الشهواتِ ، وعَمَرَ باطنَهُ بدوامِ المراقبةِ ، وظاهرَهُ باتباعِ السنَّةِ ، وتعوَّدَ أكلَ الحلالِ . . لمْ تخطِئْ فِراستُهُ) (١) .

وسُئِلَ أبو الحسينِ النُّوريُّ : مِنْ أينَ تولَّدَتْ فِراسةُ المتفرِّسينَ ؟

فقالَ : مِنْ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ (٢) ، فمَنْ كانَ حظُّهُ مِنْ ذٰلكَ النورِ أتمَّ . . كانَتْ مشاهدتُهُ أحكمَ ، وحكمُهُ بالفِراسةِ أصدقَ ، ألا ترىٰ كيفَ أوجبَ نفخُ الروحِ فيهِ السجودَ لهُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (٢) .

قالَ الأستاذُ : وهٰذا الكلامُ مِنْ أبي الحسينِ النُّوريِّ فيهِ أدنىٰ غموضٍ وإيهامٍ بذكرِ نفخِ الروحِ لتصويبِ مَنْ يقولُ بقدمِ الأرواحِ ، ولا كما يلوحُ لقلوبِ المستضعفينَ (٣) ؛ فإنَّ الذي يصحُّ عليهِ النفخُ والاتصالُ والانفصالُ . . فهوَ قابلٌ للتأثيرِ والتغييرِ ، وذٰلكَ مِنْ سماتِ الحدوثِ ، وأنَّ اللهَ تعالىٰ خصَّ المؤمنينَ ببصائرَ وأنوارٍ بها يتفرَّسونَ ، وهيَ في الحقيقةِ معارفُ ، وعليهِ يُحمَلُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهِ » (٤) ؛ أيْ : بعلمٍ وبصيرةٍ يخصُّهُ اللهُ تعالىٰ بهِ ، ويفردُهُ بهِ مِنْ دونِ أشكالِهِ ، وتسميةُ العلومِ والبصائرِ أنواراً غيرُ مستبدعٍ (٥) ، ولا يبعدُ وصفُ ذٰلكَ بالنفخِ ، والمرادُ منهُ الخَلْقُ .

وقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (المتفرِّسُ : هوَ المصيبُ بأوَّلِ مرماهُ إلىٰ مقصدِهِ ، ولا يُعرِّجُ علىٰ تأويلٍ وظنٍّ وحِسبانٍ) .

---

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٧) .

(٢) سورة الحجر : (٢٩) .

(٣) من كونها قديمة ، وتقدم ردُّ المصنف عليه في مقدمته (ص ٩٢ ، ٩٦) .

(٤) تقدم (ص ٥١٤) .

(٥) كما قال سبحانه في سورة البقرة (٢٥٧) : ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ، وهو مجاز بالاستعارة التصريحية .

وقيلَ : فراسةُ المريدينَ تكونُ ظنّاً يوجبُ تحقيقاً ، وفِراسةُ العارفينَ تحقيقٌ يوجبُ حقيقةً .

وقالَ أحمدُ بنُ عاصمٍ الأنطاكيُّ : (إذا جالستُمْ أهلَ الصدقِ . . فجالسوهُمْ بالصدقِ ؛ فإنَّهُمْ جواسيسُ القلوبِ ، يدخلونَ في قلوبِكُمْ ويخرجونَ منها مِنْ حيثُ لا تُحِسُّونَ)[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الخُلْديَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الحدَّادَ يقولُ : (الفِراسةُ : أوَّلُ خاطرٍ بلا معارضٍ ؛ فإنْ عارضَ معارضٌ مِنْ جنسِهِ . . فهوَ خاطرٌ وحديثُ نفسٍ)[2] .

ويُحكىٰ عنْ أبي عبدِ اللهِ الرازيِّ نزيلِ نيسابورَ أنَّهُ قالَ : كساني ابنُ الأنباريِّ صوفاً ، ورأيتُ علىٰ رأسِ الشِّبليِّ قَلَنْسوةً ظريفةً تليقُ بذٰلكَ الصوفِ ، فتمنَّيتُ في نفسي أنْ يكونا جميعاً لي .

فلمَّا قامَ الشِّبلي مِنْ مجلسِهِ . . التفتَ إليَّ ، فتبعتُهُ ، وكانَ عادتُهُ إذا أرادَ أنْ أتبعَهُ أنْ يلتفتَ إليَّ ، فلمَّا دخلَ دارَهُ . . دخلتُ ، فقالَ : انزعِ الصوفَ ، فنزعتُهُ ، فلفَّهُ وطرحَ القلنسوةَ عليهِ ، ودعا بنارٍ فأحرقَهُما[3] .

وقالَ أبو حفصٍ النيسابوريُّ : (ليسَ لأحدٍ أنْ يدعيَ الفِراسةَ ، ولٰكنْ يتقي الفراسةَ مِنَ الغيرِ ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « اتقوا فِراسةَ المؤمنِ » ، ولمْ يقلْ : تفرَّسوا ، وكيفَ تصحُّ دعوى الفِراسةِ لمَنْ هوَ في محلِّ اتقاءِ الفِراسةِ ؟!)[4] .

---

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٢٤) .

(٢) ورواه السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٥٩) .

(٣) وإنما إضاعة المال منهي عنها في شريعتنا إذا كان الإتلاف لغير التداوي ، أما إذا كان للتداوي ـ ولا سيما الأمراض الدينية ـ ففي قوله تعالىٰ في سورة صٓ (٣٣) : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ معنىً لطيف ، وانظر « اللمع » (ص ٤٨٣) ، و« الإرشاد والتطريز » (ص ١٠٩) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٤) .

وقالَ أبو العباسِ ابنُ مســروقٍ : دخلتُ على شـيخٍ مِـنْ أصحابِنا أعودُهُ ، فوجدتُهُ على حالٍ رثَّةٍ ، فقلتُ في نفسي : مِنْ أينَ يرتفقُ هذا الشيخُ ؟ فقالَ : يا أبا العباسِ ؛ دعْ عنكَ هذهِ الخواطرَ الدنيَّةَ ؛ فإنَّ للهِ ألطافاً خفيَّةً (١) .

ويُحكى عنِ الزبيريِّ قالَ : كنتُ في مسجدٍ ببغدادَ معَ جماعةٍ مِنَ الفقراءِ ، فلمْ يُفتَحْ علينا بشيءٍ أياماً ، فأتيتُ الخوَّاصَ لأسألَهُ شيئاً ، فلمَّا وقعَ بصرُهُ عليَّ . . قالَ : الحاجةُ التي جئتَ لأجلِها يعلمُها اللهُ تعالى أمْ لا ؟ فقلتُ : بلى ، فقالَ : اسكتْ ولا تبدِها لمخلوقٍ ، فرجعتُ ، فلمْ ألبثْ إلَّا قليلاً حتَّى فُتِحَ علينا بما فوقَ الكفايةِ .

وقيلَ : كانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ يوماً في الجامعِ ، فوقعَ حمامٌ في المسجدِ مِنْ شدَّةِ ما لحقَهُ مِنَ الحرِّ والمشقَّةِ ، فقالَ سهلٌ : إنَّ شاهاً الكِرْمانيَّ ماتَ الساعةَ إنْ شاءَ اللهُ ، فكتبوا ، فكانَ كما قالَ .

وقيلَ : خرجَ أبو عبدِ اللهِ التُّرُوغْبَذِيُّ وكانَ كبيرَ الوقتِ إلى طُوسَ ، فلمَّا بلغَ خَرْوَ (٢) . . قالَ لصاحبِهِ : اشترِ الخبزَ ، فاشترى ما يكفيهما ، فقالَ : اشترِ أكثرَ ، فاشترى صاحبُهُ ما يكفي عشرةَ أنفسٍ تعمُّداً ، فكأنَّهُ لمْ يجعلْ لقولِ ذلكَ الشيخِ تحقيقاً .

قالَ : فلمَّا صعِدنا الجبلَ . . إذا بجماعةٍ قيَّدَهُمُ اللصوصُ ، لمْ يأكلوا منذُ مدَّةٍ ، فسألونا الطعامَ ، فقالَ : قدِّمْ إليهِمُ السُّفرةَ (٣) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ : كنتُ بينَ يديِ الأستاذِ أبي عليٍّ رحمَهُ اللهُ يوماً ، فجرى حديثُ الشيخِ أبي عبدِ الرحمنِ السُّلميِّ ، وأنَّهُ يقومُ في السماعِ موافقةً للفقراءِ ، فقالَ الأستاذُ أبو عليٍّ : مثلُهُ في حالِهِ ! لعلَّ السكونَ أولى بهِ ، ثمَّ قالَ في ذلكَ المجلسِ : امضِ إليهِ ، وهوَ قاعدٌ في بيتِ كتبِهِ (٤) ، وعلى وجهِ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٧) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٦٤) بنحوه .

(٢) خَرْوُ الجبل : قرية كبيرة بين خابران وطوس . انظر « معجم البلدان » (٢/٣٦٢) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٢) .

(٤) في « إحكام الدلالة » (٣/١٨١) : (فستجده وهو قاعد) ، وفي (ي) : (فتجده وهو . . .) .

الكتبِ مجلدةٌ حمراءُ مربَّعةٌ صغيرةٌ فيها أشعارُ الحسينِ بنِ منصورٍ ، فاحملْ تلكَ المجلدةَ ولا تقلْ لهُ شيئاً وجئْني بها .

وكانَ وقتَ هاجرةٍ ، فدخلتُ عليهِ ، فإذا هوَ في بيتِ كتبِهِ والمجلدةُ موضوعةٌ بحيثُ ذكرَ ! فلمَّا قعدتُ . . أخذَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ في الحديثِ وقالَ : كانَ بعضُ الناسِ ينكرُ علىٰ أحدٍ مِنَ العلماءِ حركتَهُ في السماعِ ، فرُئِيَ ذٰلكَ الإنسانُ يوماً خالياً في بيتٍ وهوَ يدورُ كالمتواجدِ ، فسُئِلَ عنْ حالِهِ ، فقالَ : كانَتْ مسألةٌ مشكلةٌ عليَّ ، فتبيَّنَ لي معناها ، فلمْ أتمالَكْ مِنَ السرورِ حتَّىٰ قمتُ أدورُ ، فقيلَ لهُ : مثلَ هـٰذا يكونُ حالُهُمْ .

فلمَّا رأيتُ ما أمرَني بهِ الأستاذُ أبو عليٍّ ووصفَ لي على الوجهِ الذي قالَ ، وجرىٰ علىٰ لسانِ الشيخِ أبي عبدِ الرحمـٰنِ ما كانَ قدْ ذكرَهُ بهِ . . تحيَّرْتُ وقلتُ : كيفَ أفعلُ بينَهما ؟!

ثمَّ أفكرتُ في نفسي وقلتُ : لا وجهَ إلَّا الصدقُ ، فقلتُ : إنَّ الأستاذَ أبا عليٍّ وصفَ لي هـٰذهِ المجلَّدةَ وقالَ لي : احملْها إليَّ مِنْ غيرِ أنْ تستأذنَ الشيخَ ، وأنا هوَ ذا أخافُكَ ، وليسَ يمكنُني مخالفتُهُ ، فأَيْشٍ تأمرُ ؟

فأخرجَ مُسَرَّساً مِنْ كلامِ الحسينِ وفيهِ تصنيفٌ لهُ سمَّاهُ : « الصَّيْهورُ في نقضِ الدهورِ »[1] ، وقالَ : احملْ هـٰذا إليهِ ، وقلْ لهُ : إنِّي أطالعُ تلكَ المجلدةَ وأنقلُ منها أبياتاً إلىٰ مصنَّفاتي ، فخرجتُ[2] .

ويُحكىٰ عنِ الحسنِ الحدَّادِ أنَّهُ قالَ : كنتُ عندَ أبي القاسمِ المنادي وعندَهُ جماعةٌ مِنَ الفقراءِ ، فقالَ لي : اخرجْ وأْتِهِمْ بشيءٍ ، فسُررتُ حيثُ أذنَ لي في

---

(١) الصيهور : ما يكون في البيت من طين أو خشب شبه منبر يوضع عليه متاع البيت ، وقد يكون ذٰلك عند الباعة في الأسواق . انظر « التلخيص في معرفة أسماء الأشياء » للعسكري (ص ١٩١) ، وقد ذكر الكتاب ابن النديم في « الفهرست » (ص ٢٣٨) باسم : « الصيهون » ، وفي « إحكام الدلالة » (١٨١/٣) : (أَلَّفه في الردِّ على الدهرية القائلين بقدم العالم ، والصيهور من الصهر ؛ بمعنىٰ ما في قوله تعالىٰ في سورة الحج (٢٠) : ﴿ يُصْهَرُ ﴾ أي : يذاب ﴿ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾) .

(٢) وروى الخبر عن المصنف الخطيبُ في « تاريخ بغداد » (٢٤٥/٢) ، وفيه : (أجزاء) بدل (مسرساً) ، والمسرَّس : ما ليس له جلد يحفظ به .

التكلُّفِ للفقراءِ ، وأنْ آتيَهُمْ بشيءٍ بعدَما علمَ فقري .

قالَ : فحملتُ مِكْتلاً وخرجتُ[1] ، فلمَّا أتيتُ سكَّةَ سَيَّارٍ[2] .. رأيتُ شيخاً بهيّاً ، فسلمتُ عليهِ وقلتُ : جماعةٌ مِنَ الفقراءِ في موضعٍ ، فهلْ لكَ أنْ تتخلَّقَ معَهُمْ بشيءٍ ؟ فأمرَ حتَّىٰ أُخرجَ إليَّ شيءٌ مِنَ الخبزِ واللحمِ والعنبِ ، فلمَّا بلغتُ البابَ .. نادىٰ أبو القاسمِ المنادي مِنْ وراءِ البابِ : رُدَّهُ إلى الموضعِ الذي أخذتَ .

فرجعتُ واعتذرتُ إلى الشيخِ ، وقلتُ : لمْ أجدْهُمْ ، وعرَّضْتُ بأنَّهُمْ تفرَّقوا ، فرددتُ السببَ عليهِ ، ثمَّ جئتُ السوقَ ، ففُتِحَ عليَّ بشيءٍ ، فحملتُ ، فقالَ : ادخلْ ، فقصصتُ عليهِ القصَّةَ ، فقالَ : نعمْ ؛ ذاكَ ابنُ سَيَّارٍ رجلٌ سلطانيٌّ ، إذا جئتَ للفقراءِ بشيءٍ .. فأْتِهِمْ بمثلِ هٰذا ، لا بمثلِ ذاكَ .

وقالَ أبو الحسينِ القيروانيُّ : زرتُ أبا الخيرِ التِّيناتيَّ ، فلمَّا ودعتُهُ .. خرجَ معي إلىٰ بابِ المسجدِ وقالَ : يا أبا الحسينِ ؛ أنا أعلمُ أنَّكَ لا تحملُ معَكَ معلوماً ، ولٰكنِ احملْ هاتينِ التفاحتينِ .

فأخذتُهُما ووضعتُهُما في جيبي ، وسِرتُ ، فلمْ يُفتَحْ لي بشيءٍ ثلاثةَ أيامٍ ، فأخرجتُ واحدةً منهما وأكلتُ ، ثمَّ أردتُ أنْ أُخرِجَ الثانيةَ ، فإذا هما جميعاً في جيبي ، فكنتُ آكلُ منهما وتعودانِ ، إلىٰ بابِ الموصلِ .

فقلتُ في نفسي : إنَّهما يفسدانِ عليَّ حالَ توكُّلي ؛ إذْ صارتا معلوماً لي ، فأخرجتُهُما مِنْ جيبي بمرَّةٍ ، فنظرتُ ، فإذا فقيرٌ ملفوفٌ في عباءةٍ يقولُ : أشتهي تفاحةً ، فناولتُهُما إيَّاهُ ، فلمَّا عبرتُ .. وقعَ لي أنَّ الشيخَ إنَّما بعثَهُما إليهِ ، وكنتُ في رفقةٍ في الطريقِ ، فانصرفتُ إلى الفقيرِ فلمْ أجدْهُ[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ

---

(١) المكتل : شبه الزنبيل ، يسع خمسة عشر صاعاً . « الصحاح » (ك ت ل) .
(٢) سكّة سيار : موضع بنيسابور .
(٣) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/١٦٢) .

أبا عمرِو بنَ عُلوانَ يقولُ : كانَ شابٌّ يصحبُ الجنيدَ ، وكانَ يتكلَّمُ علىٰ خواطرِ الناسِ ، فذُكِرَ للجنيدِ ، فقالَ لهُ الجنيدُ : أيشٍ هٰذا الذي ذُكِرَ عنكَ ؟! فقالَ للجنيدِ : اعتقدْ شيئاً ، فقالَ : اعتقدتُ ، فقالَ الشابُّ : اعتقدتَ كذا وكذا ، فقالَ الجنيدُ : لا ، فقالَ : اعتقدْ ثانياً ، ففعلَ ، فقالَ : اعتقدتَ كذا وكذا ، فقالَ : لا ، فقالَ : اعتقدْ ثالثاً ، فقالَ مثلَهُ ، فقالَ الشابُّ : ذا عجبٌ ! أنتَ صدوقٌ ، وأنا أعرفُ قلبي ، فقالَ الجنيدُ : صدقتَ في الأولِ والثاني والثالثِ ، ولٰكنْ أردتُ أنْ أمتحنَكَ هلْ يتغيَّرُ قلبُكَ (١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : اعتلَّ ابنُ البرقيِّ ، فحُمِلَ إليهِ دواءٌ في قَدَحٍ ، فأخذَهُ ثمَّ قالَ : وقعَ اليومَ في المملكةِ حَدَثٌ ، لا آكلُ ولا أشربُ حتَّىٰ أعلمَ ما هوَ ، فوردَ الخبرُ بعدَهُ بأيامٍ أنَّ القرمطيَّ دخلَ مكَّةَ في ذٰلكَ اليومِ ، وقتلَ بها تلكَ المقتلةَ العظيمةَ (٢) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : ذُكِرَ لابنِ الكاتبِ هٰذهِ الحكايةُ ، فقالَ : هٰذا عجبٌ ! فقلتُ : ليسَ هٰذا بعجبٍ ، فقالَ لي أبو عليٍّ ابنُ الكاتبِ : أيْشٍ خبرُ مكَّةَ اليومَ ؟ فقلتُ : هوَ ذا يتحاربُ الطلحيونَ وبنو الحسنِ ، وتقدَّمَ الطلحيينَ أسودُ عليهِ عِمامةٌ حمراءُ ، وعلىٰ مكَّةَ اليومَ غيمٌ علىٰ مقدارِ الحَرَمِ ، فكتبَ أبو عليٍّ إلىٰ مكَّةَ ، فكانَ كما ذكرتُ .

ورُوِيَ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : دخلتُ علىٰ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ وكنتُ رأيتُ في الطريقِ امرأةً تأمَّلْتُ محاسنَها ، فقالَ عثمانُ رضيَ اللهُ عنهُ : يدخلُ عليَّ أحدُكُمْ وآثارُ الزنا ظاهرةٌ علىٰ عينيهِ ؟! فقلتُ : أوحيٌ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟!

---

(١) ورواه السراج في « اللمع » (ص ٤٠٧) ، وقوله : (لا) في كل مرَّة ليس بكذب ، وإنما هو تعريض ، ومعناه : لا يكفيني ذٰلك في الامتحان . « إحكام الدلالة » (٣/١٨٢) .

(٢) وكان ذٰلك سنة (٣١٧ هـ) ، وانظر « الكامل في التاريخ » (٦/٧٤٢) .

فقالَ : لا ، ولٰكنْ تبصرةٌ وبرهانٌ وفِراسةٌ صادقةٌ [1] .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : دخلتُ المسجدَ الحرامَ ، فرأيتُ فقيراً عليهِ خِرقتانِ يسألُ شيئاً ، فقلتُ في نفسي : مثلُ هٰذا كَلٌّ على الناسِ ، فنظرَ إليَّ وقالَ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾ [2] .

قالَ : فاستغفرتُ في سرِّي ، فناداني وقالَ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [3] .

وحُكِيَ عنْ إبراهيمَ الخوَّاصِ أنَّهُ قالَ : كنتُ ببغدادَ في جامعِ المدينةِ ، وهناكَ جماعةٌ مِنَ الفقراءِ ، فأقبلَ شابٌّ ظريفٌ ، طيِّبُ الرائحةِ ، حسنُ الخدمةِ ، حسنُ الوجهِ ، فقلتُ لأصحابِنا : يقعُ لي أنَّهُ يهوديٌّ ، فكلُّهُمْ كرهوا ذٰلكَ ، فخرجتُ ، وخرجَ الشابُّ ، ثمَّ رجعَ إليهِمْ فقالَ : أيْشٍ قالَ الشيخُ فيَّ ؟ فاحتشموهُ ، فألحَّ عليهِمْ ، فقالوا : قالَ : إنَّكَ يهوديٌّ ، قالَ : فجاءَني وأكبَّ علىٰ يديَّ وأسلمَ .

فقيلَ لهُ : ما السببُ ؟ فقالَ : نجدُ في كتبِنا أنَّ الصدِّيقَ لا تخطئُ فِراستُهُ ، فقلتُ : أمتحنُ المسلمينَ ، فتأمَّلْتُهُمْ فقلتُ : إنْ كانَ فيهِمْ صدِّيقٌ . . ففي هٰذهِ الطائفةِ ؛ لأنَّهُمْ يقولونَ [4] حديثَهُ سبحانَهُ ، فلبَّسْتُ عليكُمْ ، فلمَّا اطَّلعَ هٰذا الشيخُ عليَّ وتفرَّسَ فيَّ . . علمتُ أنَّهُ صدِّيقٌ ، وصارَ الشابُّ مِنْ كبارِ الصوفيَّةِ [5] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ بنِ العلاءِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ داوودَ يقولُ : كنَّا عندَ الجُرَيريِّ ،

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٥) ، وانظر « الرياض النضرة » (٤٠/٣) ، وليس فيه ذكر سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) سورة البقرة : (٢٣٥) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٥) ، والآية من سورة الشورىٰ : (٢٥) .

(٤) أي : يتلون ، كما في نسخة في « إحكام الدلالة » (١٨٣/٣) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٥) .

فقالَ : هلْ فيكُمْ مَنْ إذا أرادَ الحقُّ سبحانَهُ أنْ يحدثَ في المملكةِ حَدَثاً . . أعلَمَهُ قبلَ أنْ يبديَهُ ؟ قلْنا : لا ، فقالَ : ابكوا علىٰ قلوبٍ لمْ تجدْ مِنَ اللهِ تعالَىٰ شيئاً .

وقالَ أبو موسى الدَّيبُليُّ (١) : سألْت عبدَ الرحمـٰنِ بنَ يحيىٰ عنِ التوكُّلِ ، فقالَ : لوْ أدخلتَ يدَكَ في فمِ التِّنينِ حتَّىٰ تبلغَ الرسغَ . . لا تخافُ معَ اللهِ غيرَهُ .

قالَ : فخرجتُ إلىٰ أبي يزيدَ لأسألَهُ عنِ التوكُّلِ ، فدققتُ البابَ ، فقالَ : ليسَ لكَ في قولِ عبدِ الرحمـٰنِ كفايةٌ ؟! فقلتُ : افتحِ البابَ ، فقالَ : ما زرتَني ، أتاكَ الجوابُ مِنْ وراءِ البابِ ، ولمْ يفتحْ ليَ البابَ .

قالَ : فمضَيتُ ، ولبثتُ سنةً ، ثمَّ قصدتُهُ ، فقالَ : مرحباً ، جئتَني زائراً ، فمكثتُ عندَهُ شهراً ، فكانَ لا يخطرُ بقلبي شيءٌ إلَّا حدَّثني عنهُ ، فعندَ وداعِهِ قلتُ لهُ : أفدْني فائدةً ، فقالَ : حدَّثَتْني أمِّي أنَّها كانتْ حاملاً بي ؛ فكانَتْ إذا قُدِّمَ إليها طعامٌ مِنْ حلالٍ . . امتدَّتْ يدُها إليهِ ، وإذا كانَ فيهِ شبهةٌ . . انقبضَتْ يدُها عنهُ (٢) .

وقالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : دخلتُ الباديةَ ، فأصابَتْني شدَّةٌ ، فلمَّا دخلتُ مكَّةَ . . داخلَني شيءٌ مِنَ الإعجابِ ، فنادَتْني عجوزٌ : يا إبراهيمُ ؛ كنتُ معَكَ في الباديةِ فلمْ أكلِّمْكَ ؛ لأنِّي لمْ أردْ أنْ أشغلَ سرَّكَ ، أخرجْ عنكَ هـٰذا الوسواسَ (٣) .

وحُكِيَ أنَّ الفَرْغانيَّ كانَ يخرجُ كلَّ سنةٍ إلى الحجِّ ، ويمرُّ بنيسابورَ ولا يدخلُ علىٰ أبي عثمانَ الحِيريِّ ، قالَ : فدخلتُ عليهِ مرَّةً ، وسلَّمْتُ فلمْ يردَّ

---

(١) نسبة إلىٰ دَيْبُل ؛ بلدة علىٰ ساحل الهند قريبة من السند ، وفي بعض النسخ : (الدبيلي) نسبة إلىٰ قرية من قرى الرملة ، أو مدينة بأرمينية ، وانظر « توضيح المشتبه » (٤/٦٧) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٧) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٨) .

عليَّ السلامَ ، فقلتُ في نفسي : مسلمٌ يدخلُ عليهِ ويسلِّمُ فلا يردُّ سلامَهُ ؟! فقالَ أبو عثمانَ : مثلُ هـٰذا يحجُّ ويدعُ أُمَّهُ ولا يبرُّها ؟!

قالَ : فرجعتُ إلىٰ فرغانةَ ، ولزمتُها حتَّىٰ ماتَتْ ، ثمَّ قصدتُ أبا عثمانَ ، فلمَّا دخلتُ . . استقبلَني وأجلسَني ، ثمَّ إنَّ الفرغانيَّ لازمَهُ وسألَهُ سياسة دابَّتِهِ ، فولَّاهُ ذٰلكَ حتَّىٰ ماتَ أبو عثمانَ[١] .

وقالَ خيرٌ النسَّاجُ : كنتُ جالساً في بيتي ، فوقعَ لي أنَّ الجنيدَ بالبابِ ، فنفَيتُ عنْ قلبي ، فوقعَ ثانياً وثالثاً ، فخرجتُ ، فإذا أنا بالجنيدِ ، فقالَ : لِمَ لمْ تخرجْ معَ الخاطرِ الأوَّلِ ؟![٢] .

وقالَ محمدُ بنُ الحسينِ البِسْطاميُّ : دخلتُ علىٰ أبي عثمانَ المغربيِّ ، فقلتُ في نفسي : لعلَّهُ يتشهَّىٰ عليَّ شيئاً ، فقالَ أبو عثمانَ : لا يكفي الناسَ أنْ آخذَ منهُمْ حتَّىٰ يزيدوا مسألتي إيَّاهُمْ ![٣] .

وقالَ بعضُ الفقراءِ : كنتُ ببغدادَ ، فوقعَ لي أنَّ المرتعشَ يأتيني بخمسةَ عشرَ درهماً لأشتريَ بها الركوةَ والحبلَ والنعلَ وأدخلَ الباديةَ .

قالَ : فدقَّ عليَّ البابَ ، ففتحتُ ، فإذا أنا بالمرتعشِ معَهُ خُريقةٌ ، فقالَ : خُذْها ، فقلتُ : يا سيِّدي ؛ لا أريدُها ، فقالَ : فلِمَ تؤذينا ؟! كمْ أردتَ ؟ فقلتُ : خمسةَ عشرَ درهماً ، فقالَ : هيَ خمسةَ عشرَ درهماً .

وقالَ بعضُهُمْ في قولِهِ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾[٤] .

أيْ : ميتَ الذهنِ فأحياهُ اللهُ تعالىٰ بنورِ الفِراسةِ ، وجعلَ لهُ نورَ التجلِّي والمشاهدةِ . . لا يكونُ كمَنْ يمشي بينَ أهلِ الغفلةِ غافلاً .

وقيلَ : إذا صحَّتِ الفِراسةُ . . ارتقىٰ صاحبُها إلى المشاهدةِ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠٩) .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١١) .
(٣) في (ب ، ح ، ي ، ل) : (يريدوا) بدل (يزيدوا) ، وأهمل النقط في (أ ، هـ) .
(٤) سورة الأنعام : (١٢٢) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ ابنَ مسروقٍ يقولُ : قدِمَ علينا شيخٌ ، فكانَ يتكلَّمُ علينا في هـٰذا الشأنِ بكلامٍ حسنٍ ، وكانَ عذبَ اللسانِ ، جيِّدَ الخاطرِ ، فقالَ لنا في بعضِ كلامِهِ : كلُّ ما وقعَ لكُمْ في خاطرِكُمْ فقولوهُ لي ، فوقعَ في قلبي أنَّهُ يهوديٌّ ، وكانَ الخاطرُ يقوىٰ ولا يزولُ .

فذكرتُ ذٰلكَ للجُرَيريِّ ، فكَبُرَ عليهِ ذٰلكَ ، فقلتُ : لا بدَّ مِنْ أنْ أخبرَ الرجلَ بذٰلكَ ، فقلتُ لهُ : تقولُ لنا : ما وقعَ لكُمْ في خاطرِكُمْ فقولوا لي ، إنَّهُ يقعُ لي أنَّكَ يهوديٌّ ، فأطرقَ ساعةً ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : صدقتَ ، أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، وقالَ : قدْ مارستُ جميعَ المذاهبِ ، وكنتُ أقولُ : إنْ كانَ معَ قومٍ منهُمْ شيءٌ . . فمعَ هـٰؤلاءِ ، فداخلتُكُمْ لأختبرَكُمْ ، فأنتُمْ على الحقِّ ، وحسُنَ إسلامُهُ .

ويُحكىٰ عنِ الجنيدِ أنَّهُ كانَ يقولُ لهُ السريُّ : تكلَّمْ على الناسِ ، فقالَ الجنيدُ : وكانَ في قلبي حِشمةٌ مِنَ الكلامِ على الناسِ ، فإنِّي كنتُ أتَّهمُ نفسي في استحقاقِ ذٰلكَ ، فرأيتُ ليلةً النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ وكانَتْ ليلةَ جمعةٍ ، فقالَ لي : تكلَّمْ على الناسِ ، فانتبهتُ ، وأتيتُ بابَ السريِّ قبلَ أنْ أصبحَ ، فدققتُ عليهِ البابَ ، فقالَ : لمْ تصدقْنا حتَّىٰ قيلَ لكَ .

فقعدَ للناسِ في الجامعِ بالغدِ ، فانتشرَ في الناسِ أنَّ الجنيدَ قعدَ يتكلَّمُ على الناسِ ، فوقفَ عليهِ غلامٌ نصرانيٌّ متنكِّراً وقالَ لهُ : أيُّها الشيخُ ؛ ما معنىٰ قولِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اتقوا فِراسةَ المؤمنِ ؛ فإنَّهُ ينظرُ بنورِ اللهِ » ؟

فأطرقَ الجنيدُ ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : أسلمْ ؛ فقدْ حانَ وقتُ إسلامِكَ ، فأسلمَ الغلامُ .

* * *

بابُ الخُلُق

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ الصفَّارُ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا تمتامٌ محمدُ بنُ غالبٍ قالَ : حدَّثَنا معلَّى بنُ مهديٍّ قالَ : حدَّثَنا بشَّارُ بنُ إبراهيمَ النميريُّ قالَ : حدَّثَنا غيلانُ بنُ جريرٍ ، عنْ أنسٍ قالَ : قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ أيُّ المؤمنينَ أفضلُ إيماناً ؟ قالَ : « **أحسنُهُمْ خُلُقاً** »[2] .

قالَ الأستاذُ : **الخُلُقُ الحسنُ أفضلُ مناقبِ العبدِ** ، وبهِ يظهرُ جواهرُ الرجالِ ، والإنسانُ مستورٌ بخَلْقِهِ مشهورٌ بخُلُقِهِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إنَّ اللهَ خصَّ نبيَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما خصَّهُ بهِ ، ثمَّ لمْ يُثنِ عليه بشيءٍ مِنْ خصالِهِ بمثلِ ما أثنىٰ عليهِ بخُلُقِهِ ، فقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾) .

وقالَ الواسطيُّ : (وصفَهُ بالخُلُقِ العظيمِ ؛ لأنَّهُ جادَ بالكونينِ ، واكتفىٰ باللهِ تعالىٰ)[3] .

وقالَ الواسطيُّ أيضاً : (الخلقُ العظيمُ : ألَّا يُخاصِمَ ولا يُخاصَمَ مِنْ شدَّةِ معرفتِهِ باللهِ تعالىٰ)[4] .

---

(١) سورة القلم : (٤) .

(٢) ورواه الضياء في « المختارة » (٢٣٥٣) ، ورواه ابن ماجه (٤٢٥٩) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه .

(٣) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٢/٣٤٣) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٤٠) ، وهو عند السلمي في « تفسيره » (٢/٣٤٣) ، ومعنىٰ (ألا يخاصم) أراد بحق ، وإلا . . فقد يخاصم عناداً وكبراً وحسداً .

وقالَ الحســينُ بنُ منصــورٍ : (معناهُ : لــمْ يؤثِّرْ فيكَ جفــاءُ الخلْقِ بعدَ مطالعتِكَ الحقَّ)(١) .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (لمْ تكنْ لكَ همَّةٌ غيرَ اللهِ تعالىٰ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ الكَتَّانيَّ يقولُ : (التصوُّفُ خُلُقٌ ، مَنْ زادَ عليكَ في الخُلُقِ . . فقدْ زادَ عليكَ في التصوُّفِ)(٢) .

ويُروىٰ عنِ ابنِ عمرَ أنَّهُ قالَ : (إذا سمعتموني أقولُ لمملوكٍ : أخزاهُ اللهُ . . فاشهدوا أنَّهُ حرٌّ) .

وقالَ الفضيلُ : (لوْ أنَّ العبدَ أحسنَ الإحسانَ كلَّهُ ، وكانَتْ لهُ دجاجةٌ فأساءَ إليها . . لمْ يكنْ مِنَ المحسنينَ)(٣) .

وقيلَ : كانَ ابنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما إذا رأىٰ واحداً مِنْ عبيدِهِ يحسنُ الصلاةَ . . يعتقُهُ ، فعرفوا ذٰلكَ مِنْ خُلُقِهِ ، فكانوا يحسنونَ الصلاةَ مراءاةً لهُ ، وكانَ يعتقُهُمْ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : مَنْ خدعَنا في اللهِ . . انخدعْنا لهُ(٤) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ الحارثَ المحاسبيَّ يقولُ : (فقدْنا ثلاثةَ أشياءَ : حُسْنَ الوجهِ معَ الصيانةِ ، وحُسْنَ القولِ معَ الأمانةِ ، وحُسْنَ الإخاءِ معَ الوفاءِ)(٥) .

وســمعتُهُ يقولُ : ســمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمــدٍ الرازيَّ يقــولُ : (الخُلُقُ : استصغارُ ما منكَ ، واستعظامُ ما إليكَ)(٦) .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (٣٤٤/٢) .

(٢) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٨٨/٣) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٧٥٤) .

(٤) رواه ابن سعد في « طبقاته » (١٦٧/٤) .

(٥) ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٠٨/٨) .

(٦) ورواه السُّلمي في « الفتوة » (ص ٨٦) .

وقيلَ للأحنفِ : ممَّنْ تعلمتَ الخُلُقَ ؟ فقالَ : مِنْ قيسِ بنِ عاصمٍ المِنْقَريِّ ، قيلَ : وما بلغَ مِنْ خُلُقِهِ ؟ قالَ : بينا هوَ جالسٌ في دارِهِ . . إذْ جاءَ خادمٌ لهُ بسفُّودٍ عليهِ شواءٌ ، فسقطَ مِنْ يدِها ، فوقعَ على ابنٍ لهُ وماتَ ، فدَهِشَتِ الجاريةُ ، فقالَ : لا روعةَ عليكِ ، أنتِ حرَّةٌ لوجهِ اللهِ(١) .

وقالَ شاهُ الكَرْمَانيُّ : (علامةُ حُسْنِ الخلقِ : كفُّ الأذىٰ ، واحتمالُ المُؤَنِ)(٢) .

وقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّكُمْ لنْ تَسَعُوا الناسَ بأموالِكُمْ ، فسعوهُمْ ببسطِ الوجهِ وحُسْنِ الخُلُقِ »(٣) .

وقيلَ لذي النونِ المصريِّ : مَنْ أكثرُ الناسِ همّاً ؟ قالَ : أسوؤهُمْ خُلُقاً(٤) .

وقالَ وهبٌ : (ما تخلَّقَ عبدٌ بخُلُقٍ أربعينَ صباحاً إلَّا جعلَ اللهُ تعالىٰ ذٰلكَ طبيعةً فيهِ)(٥) .

وقالَ الحسنُ البصريُّ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾(٦) ؛ أيْ : وخُلُقَكَ فحسِّنْ(٧) .

وقيلَ : كانَ لبعضِ النسَّاكِ شاةٌ ، فرآها علىٰ ثلاثِ قوائمَ ، فقالَ : مَنْ فعلَ هٰذا بها ؟ فقالَ غلامٌ لهُ : أنا ، فقالَ : لِمَ ؟ قالَ : لأغمَّكَ بها ، فقالَ : لا ، بلْ لأغمَّنَّ مَنْ أمرَكَ بذٰلكَ ، اذهبْ فأنتَ حرٌّ(٨) .

---

(١) وروى البيهقي في « الشعب » (٨١٥٤) خبراً يفيد هٰذا المعنىٰ .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٥) .

(٣) رواه البزار في « مسنده » (٨٥٤٤) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (٦٥٥٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٨) عن بعضهم .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٨) .

(٦) سورة المدثر : (٤) .

(٧) انظر « الدر المنثور » (٣٢٧/٨) .

(٨) أورده الجاحظ في « البيان والتبيين » (١٤١/٣) ، وفي (ج) : (فأنت حرٌّ لوجهِ اللهِ) .

وقيلَ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : هلْ فرحتَ في الدنيا قطُّ ؟ فقالَ : نعمْ ، مرَّتينِ ؛ إحداهُما : كنتُ قاعداً ذاتَ يومٍ فجاءَ إنسانٌ وبالَ عليَّ ، والثانيةُ : كنتُ قاعداً فجاءَ إنسانٌ وصفعَني (١) .

وقيلَ : كانَ أويسٌ القَرَنيُّ إذا رآهُ الصبيانُ . . يرمونَهُ بالحجارةِ ، وهوَ يقولُ : إنْ كانَ ولا بدَّ . . فارموني بالصغارِ ؛ كيلا تدقُّوا ساقي فتمنعوني عنِ الصلاةِ .

وشتمَ رجلٌ الأحنفَ بنَ قيسٍ وكانَ يتبعُهُ ، فلمَّا قَرُبَ مِنَ الحيِّ . . وقفَ وقالَ : يا فتىٰ ؛ إنْ بقيَ في قلبِكَ شيءٌ . . فقلْهُ ؛ كيلا يسمَعَكَ بعضُ سفهاءِ الحيِّ فيجيبوكَ (٢) .

وقيلَ لحاتِمٍ الأصمِّ : أيحتملُ الرجلُ مِنْ كلِّ أحدٍ ؟ فقالَ : نعمْ ، إلَّا مِنْ نفسِهِ (٣) .

ورُوِيَ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ دعا غلاماً لهُ ، فلمْ يجبْهُ ، فدعاهُ ثانياً وثالثاً ، فلمْ يجبْهُ ، فقامَ إليهِ ، فرآهُ مضطجعاً ، فقالَ : أما تسمعُ يا غلامُ ؟! فقالَ : نعمْ ، فقالَ : فما حملَكَ علىٰ تركِ جوابي ؟ فقالَ : أمنتُ عقوبتَكَ ، فتكاسلتُ ، فقالَ : امضِ فأنتَ حرٌّ لوجهِ اللهِ .

وقيلَ : نزلَ معروفٌ الكرخيُّ دجلةَ ليتوضَّأَ ، ووضعَ مصحفَهُ وملحفتَهُ ، فجاءَتِ امرأةٌ وحملتْهُما ، فتبعَها معروفٌ وقالَ : يا أختي ؛ أنا معروفٌ ، ولا بأسَ عليكِ ، ألكِ ابنٌ يقرأُ ؟ قالَتْ : لا ، قالَ : فزوجٌ ؟ قالَتْ : لا ، قالَ : فهاتي المصحفَ وخذي الثوبَ .

ودخلَ اللصوصُ مرَّةً دارَ الشيخِ أبي عبدِ الرحمٰنِ السُّلميِّ رحمةُ اللهِ عليهِ

---

(١) تقدم (ص ٣٨٧) بنحوه هنا .

(٢) أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (١/٢٨٧) .

(٣) والمعنىٰ : يجب على المرء احتمال الأذىٰ والشرّ من كل أحد إلا من نفسه فيؤدِّبها . انظر « إحكام الدلالة » (١٨٩/٣) .

بالمكابرةِ ، وحملوا ما وجدوا ، فسمعتُ بعضَ أصحابِنا يقولُ : سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ يقولُ : اجتزتُ بالسوقِ ، فرأيتُ جبَّتي علىٰ (مَنْ يزيدُ) ، فأعرضتُ ولمْ ألتفتْ إليهِ .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ الطوسيَّ يقولُ : سمعتُ الوَجِيهيَّ يقولُ : قالَ الجُرَيريُّ : قدِمتُ مِنْ مكَّةَ ، فبدأتُ بالجنيدِ لكيلا يتعنَّىٰ إليَّ ، فسلمتُ عليهِ ، ثمَّ مضيتُ إلى المنزلِ ، فلمَّا صلَّيتُ الصبحَ في المسجدِ . . إذا أنا بهِ خلفي في الصفِّ !

فقلتُ : إنَّما جئتُكَ أمسِ لئلَّا تتعنَّىٰ ! فقالَ : ذاكَ فضلُكَ ، وهـٰذا حقُّكَ (١) .

وسُئِلَ أبو حفصٍ عنِ الخُلُقِ ، فقالَ : ما اختارَ اللهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قولِهِ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (٢) .

وقيلَ : الخُلُقُ : أنْ يكونَ مِنَ الناسِ قريباً ، وفيما بينَهُمْ غريباً (٣) .

وقيلَ : الخُلُقُ : قَبولُ ما يردُ عليكَ مِنْ جفاءِ الخَلْقِ ، وقضاءُ الحقِّ بلا ضجرٍ ولا قلقٍ .

وقيلَ : كانَ أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ حوضٍ يسقي إبلاً لهُ ، فأسرعَ بعضُ الناسِ عليهِ ، فانكسرَ الحوضُ ، فجلسَ ، ثمَّ اضطجعَ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أمرَنا إذا غضبَ الرجلُ . . أنْ يجلسَ ، فإنْ ذهبَ عنهُ ، وإلَّا . . فليضطجعْ (٤) .

وقيلَ : مكتوبٌ في الإنجيلِ : عبدي ؛ اذكرْني حينَ تغضبُ . . أذكرْكَ حينَ أغضبُ (٥) .

---

(١) ورواه من طريق المصنف الخطيبُ في « تاريخ بغداد » (٢٥٢/٧) .

(٢) سورة الأعراف : (١٩٩) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٥) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١٥٢/٥) ، وروى المرفوع وحده أبو داوود (٤٧٨٢) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦٥/٣) .

وقالَتِ امرأةٌ لمالكِ بنِ دينارٍ : يا مرائي ، فقالَ : يا هـٰذهِ ؛ وجدتِ اسمي الذي أضلَّهُ أهلُ البصرةِ[1] .

وقالَ لقمانُ لابنِهِ : (لا تُعرفُ ثلاثةٌ إلَّا عندَ ثلاثةٍ : الحليمُ عندَ الغضبِ ، والشجاعُ في الحربِ ، والأخُ عندَ الحاجةِ إليهِ)[2] .

وقالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : إلـٰهي ؛ أسألُكَ ألَّا يُقالَ لي ما ليسَ فيَّ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : ما فعلتُ ذٰلكَ لنفسي ، فكيفَ أفعلُهُ لكَ ؟![3] .

وقيلَ ليحيى بنِ زيادٍ الحارثيِّ ـ وكانَ لهُ غلامُ سوءٍ ـ : لِمَ تمسكُ هـٰذا الغلامَ ؟ فقالَ : لأتعلَّمَ عليهِ الحلْمَ[4] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[5] : الظاهرةُ : تسويةُ الخَلْقِ ، والباطنةُ : تصفيةُ الخُلُقِ .

وقالَ الفضيلُ : (لَأن يصحبَني فاجرٌ حَسَنُ الخُلُقِ .. أحبُّ إليَّ مِنْ أنْ يصحبَني عابدٌ سيِّئُ الخُلُقِ)[6] .

وقيلَ : الخُلُقُ الحسنُ : احتمالُ المكروهِ بحسْنِ المداراةِ .

وحُكِيَ أنَّ إبراهيمَ بنَ أدهمَ خرجَ إلىٰ بعضِ البراري ، فاستقبلَهُ جنديٌّ ، فقالَ : أينَ العمرانُ ؟ فأشارَ إلى المقبرةِ ، فضربَ رأسَهُ وأوضحَهُ ، فلمَّا جاوزَهُ .. قيلَ لهُ : إنَّ ذٰلكَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ زاهدُ خراسانَ ، فجاءَهُ يعتذرُ إليهِ ، فقالَ : إنَّكَ لمَّا ضربتَني .. سألتُ اللهَ لكَ الجنةَ ، فقالَ : لِمَ ؟ فقالَ : علمتُ أنِّي أُؤجَرُ عليهِ ، فلمْ أُرِدْ أنْ يكونَ نصيبي منكَ الخيرَ ، ونصيبُكَ منِّي الشرَّ[7] .

---

(١) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٦/٤١٩) .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٥٢٠) عن وهب ، وفيه : (ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة ؛ لا يُعرفُ الحليم . . .) .

(٣) قوت القلوب (٢/٢٣٤) .

(٤) ورواه عن المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٤/٢٢٢) .

(٥) سورة لقمان : (٢٠) .

(٦) رواه ابن حبان في « روضة العقلاء » (١/٢٩٦) .

(٧) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٥) .

وحُكِيَ أنَّ أبا عثمانَ الحِيريَّ دعاهُ إنسانٌ إلىٰ ضيافتِهِ ، فلمَّا وافىٰ بابَ دارِهِ . . قالَ : يا أستاذُ ؛ ليسَ لي وجهُ دخولِكَ ، وقدْ ندِمتُ ، فانصرفْ ، فرجعَ أبو عثمانَ ، فلمَّا وافىٰ منزلَهُ . . عادَ إليهِ الرجلُ ، وقالَ : يا أستاذُ ؛ ندِمتُ ، وأخذَ يعتذرُ ، وقالَ : احضرِ الساعةَ ، فقامَ أبو عثمانَ ومضىٰ ، فلمَّا وافىٰ بابَ دارِهِ . . قالَ مثلَ ما قالَ في الأوَّلِ ، ثمَّ كذٰلكَ فعلَ في الثالثةِ والرابعةِ وأبو عثمانَ ينصرفُ ويحضرُ .

فلمَّا كانَ بعدَ مرَّاتٍ . . قالَ : يا أستاذُ ؛ أردتُ اختبارَكَ ، وأخذَ يعتذرُ ويمدحُهُ ، فقالَ أبو عثمانَ : لا تمدحْني علىٰ خُلُقٍ تجدُ مثلَهُ معَ الكلابِ ؛ فالكلبُ إذا دُعِيَ . . حضرَ ، وإذا زُجِرَ . . انزجرَ [1] .

وقيلَ : إنَّ أبا عثمانَ اجتازَ بسكَّةٍ وقتَ الهاجرةِ ، فأُلقيَ عليهِ مِنْ سطحٍ طَستُ رمادٍ ، فتغيَّرَ أصحابُهُ وبسطوا ألسنتَهُمْ في الملقي ، فقالَ أبو عثمانَ : لا تقولوا شيئاً ؛ مَنِ استحقَّ أنْ يُصبَّ عليهِ النارُ فصُولحَ على الرمادِ . . لمْ يجزْ لهُ أنْ يغضبَ [2] .

وقيلَ : نزلَ بعضُ الفقراءِ علىٰ جعفرِ بنِ حنظلةَ ، فكانَ جعفرٌ يخدمُهُ جداً ، والفقيرُ يقولُ : نعمَ الرجلُ أنتَ لوْ لمْ تكنْ يهوديّاً ، فقالَ جعفرٌ : عقيدتي لا تقدحُ فيما تحتاجُ إليهِ مِنَ الخدمةِ ، فسلْ لنفسِكَ الشفاءَ وليَ الهدايةَ [3] .

وقيلَ : كانَ لعبدِ اللهِ الخيَّاطِ حَرِيفٌ مجوسيٌّ [4] ، يخيطُ لهُ ثياباً ، ويدفعُ إليهِ دراهمَ زُيُوفاً ، وكانَ عبدُ اللهِ يأخذُها ، فاتفقَ أنَّهُ قامَ مِنْ حانوتِهِ يوماً لشغلٍ ، فجاءَ المجوسيُّ بالدراهمِ الزيوفِ ، فدفعَها إلىٰ تلميذِهِ ، فلمْ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٦) .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٦) .
(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٦) ، ولم يكن جعفر كما زعم هـٰذا الضيف .
(٤) الحريف ـ بوزان أمير ـ : هو الزبون والمعامل في الصنعة .

يقبلْ ، فدفعَ إليهِ الصحاحَ ، فلمَّا رجعَ عبدُ اللهِ . . قالَ لتلميذِهِ : أينَ قميصُ المجوسيِّ ؟ فذكرَ لهُ القصَّةَ ، فقالَ : بئسَما عملتَ ؛ إنَّهُ منذُ مدَّةٍ يعاملُني بمثلِها وأنا أصبرُ عليهِ وألقيها في بئرٍ لئلَّا يغرَّ غيري بها[1] .

وقيلَ : الخلقُ السيئُ يضيِّقُ قلبَ صاحبِهِ ؛ لأنَّهُ لا يسعُ فيهِ غيرَ مرادِهِ ؛ كالمكانِ الضيِّقِ لا يسعُ فيهِ غيرَ صاحبِهِ .

وقيلَ : حسْنُ الخُلُقِ : ألَّا تتغيَّرَ ممَّنْ يقفُ في الصفِّ بجنبِكَ .

وقيلَ : مِنْ سوءِ خُلقِكَ : وقوعُ بصرِكَ علىٰ سوءِ خُلُقِ غيرِكَ .

وسُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الشؤمِ ، فقالَ : « سوءُ الخُلُقِ »[2] .

أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ الصفَّارُ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا معاذُ بنُ المثنىٰ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ معينٍ قالَ : حدَّثنا مروانُ الفزاريُّ قالَ : حدَّثنا يزيدُ بنُ كيسانَ ، عنْ أبي حازمٍ ، عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ ادعُ اللهَ على المشركينَ ، فقالَ : « إنَّما بُعثتُ رحمةً ، ولمْ أُبعثْ عذاباً »[3] .

* * *

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٧) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٨٥/٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٧٢٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٦٥٧) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه بلفظ المصنف .

(٣) ورواه مسلم (٢٥٩٩) بنحوه ، وبلفظ المصنف هنا رواه البيهقي في « الشعب » (١٣٣٨) .

بابُ الجودِ والسخاءِ

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ العبَّاسِ قالَ : حدَّثَنا سهلٌ قالَ : حدَّثَنا سعيدُ بنُ مسلمةَ ، عنْ يحيى بنِ سعيدٍ ، عنْ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، عنْ علقمةَ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « السخيُّ قريبٌ مِنَ اللهِ ، قريبٌ مِنَ الناسِ ، قريبٌ مِنَ الجنَّةِ ، بعيدٌ مِنَ النارِ ، والبخيلُ بعيدٌ مِنَ اللهِ ، بعيدٌ مِنَ الناسِ ، بعيدٌ مِنَ الجنَّة ، قريبٌ مِنَ النارِ ، والجاهلُ السخيُّ أحبُّ إلى اللهِ من العابدِ البخيلِ » (٢) .

قالَ الأستاذُ : ولا فرقَ علىٰ لسانِ [أهلِ] العلمِ بينَ الجودِ والسخاءِ ، ولا يُوصَفُ الحقُّ سبحانَهُ بالسخاءِ ؛ لعدمِ التوقيفِ .

وحقيقةُ الجودِ : ألَّا يصعبَ عليهِ البذلُ .

وعندَ القومِ : السخاءُ هوَ الرتبةُ الأولىٰ ، ثمَّ الجودُ بعدَهُ ، ثمَّ الإيثارُ .

فمَنْ أعطى البعضَ وأبقى البعضَ . . فهوَ صاحبُ سخاءٍ .

ومَنْ بذلَ الأكثرَ وأبقىٰ لنفسِهِ شيئاً . . فهوَ صاحبُ جودٍ .

والذي قاسى الضُّرَّ وآثرَ غيرَهُ بالبُلْغةِ . . فهوَ صاحبُ إيثارٍ .

كذٰلكَ سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ .

قالَ أسماءُ بنُ خارجةَ : (ما أحبُّ أنْ أردَّ أحداً عنْ حاجةٍ طلبَها ؛

---

(١) سورة الحشر : (٩) .

(٢) ورواه الطبراني في « الأوسط » (٢٣٨٤) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٣٥٢) ، ورواه من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه الترمذي (١٩٦١) .

لأنَّـهُ إنْ كانَ كريمـاً . . أصـونُ عرضَـهُ ، وإنْ كانَ لئيمـاً . . أصـونُ عنـهُ عرضي)[1] .

وقيلَ : كانَ مورِّقٌ العِجْليُّ يتلطَّفُ في إدخالِ الرفقِ علىٰ إخوانِهِ ؛ يضعُ عندَهُمْ ألفَ درهمٍ ، فيقولُ : أمسكوها حتَّىٰ أعودَ إليكُمْ ، ثمَّ يرسلُ إليهِمْ : أنتُمْ منها في حلٍّ[2] .

وقيلَ : لقيَ رجلٌ من أهلِ منبجَ رجلاً مِنْ أهلِ المدينةِ ، فقالَ : ممَّنِ الرجلُ ؟ فقالَ : مِنْ أهلِ المدينةِ ، فقالَ : لقدْ أتانا رجلٌ منكُمْ يُقالُ لهُ : الحكمُ بنُ المطلبِ ، فأغنانا ، فقالَ المدنيُّ : وكيفَ وما أتاكُمْ إلَّا في جبَّةِ صوفٍ ؟! فقالَ : ما أغنانا بمالٍ ، ولٰكنَّهُ علَّمَنا الكرمَ ، فعادَ بعضُنا علىٰ بعضٍ حتَّىٰ استغنَينا[3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : لما سعىٰ غلامُ الخليلِ بالصوفيةِ إلى الخليفةِ . . أمرَ بضربِ أعناقِهِمْ ؛ فأمَّا الجنيدُ . . فإنَّهُ تستَّرَ بالفقهِ ، وكانَ يفتي علىٰ مذهبِ أبي ثورٍ .

وأمَّا الشحَّامُ والرقَّامُ والنُّوريُّ وجماعةٌ . . فقُبِضَ عليهِمْ ، فبُسِطَ النِّطْعُ لضربِ أعناقِهِمْ ، فتقدَّمَ النوريُّ ، فقالَ السيافُ : تدري إلىٰ ماذا تبادرُ ؟! فقالَ : نعمْ ، فقالَ : وما تَعجُّلُكَ ؟ فقالَ : أوثرُ علىٰ أصحابي بحياةِ ساعةٍ .

فتحيَّرَ السيَّافُ وأنهى الخبرَ إلى الخليفةِ ، فردَّهُمْ إلى القاضي ليتعرَّفَ حالَهُمْ ، فألقى القاضي علىٰ أبي الحسينِ النُّوريِّ مسائلَ فقهيةً ، فأجابَ عنِ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » (١١٩) ، والدينوري في « المجالسة » (٤٩٩)

(٢) انظر « المعارف » لابن قتيبة (ص ٤٧٠)

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة » (١٩٢٣) ، وزاد : (قال العتبي : وأعطى الحكم بن عبد المطلب كلَّ شيء يملكه ، حتىٰ إذا نفد ما عنده . . ركب فرسه وأخذ رمحه يريد الغزو ، فمات بمنبج) ، ومن أخباره ما رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٤٨٢) وهو يجود بنفسه بمنبج وقد لقي من الموت شدة ، فقال رجل ممن حضر : اللهم ؛ هوِّن عليه ؛ فإنه كان يثني عليه ـ كذا ـ فأفاق فقال : من المتكلم ؟ فقال المتكلم : أنا ، قال : فإن ملك الموت يقول لك : إنِّي بكلِّ سخيٍّ رفيق ، فكأنما كانت فتيلة أطفئت .

الكلِّ ، ثمَّ أخذَ يقولُ : وبعدُ ؛ فإنَّ للهِ عباداً إذا قاموا . . قاموا باللهِ ، وإذا نطقوا . . نطقوا باللهِ ، وسردَ ألفاظاً أبكى القاضيَ .

فأرسلَ القاضي إلى الخليفةِ وقالَ : إنْ كانَ هـٰؤلاءِ زنادقةً . . فما علىٰ وجْهِ الأرضِ مسلمٌ[1] .

وقيلَ : كانَ عليُّ بنُ الفضيلِ يشتري مِنْ باعةِ المحلَّةِ ، فقيلَ لهُ : لوْ دخلتَ السوقَ واسترخصْتَ ، فقالَ : هـٰؤلاءِ نزلوا بقربِنا رجاءَ منفعتِنا .

وقيلَ : بعثَ رجلٌ إلىٰ جبلةَ بجاريةٍ وكانَ بينَ أصحابِهِ ، فقالَ : قبيحٌ أنْ أتخذَها لنفسي وأنتُمْ حضورٌ ، وأكرهُ أنْ أخصَّ بها واحداً وكلُّكُمْ لهُ حقٌّ وحرمةٌ ، وهـٰذهِ لا تحتملُ القسمةَ ـ وكانوا ثمانينَ ـ فأمرَ لكلِّ واحدٍ منهُمْ بجاريةٍ أوْ وصيفٍ .

وقيلَ : عطِشَ عبيدُ اللهِ بنُ أبي بكرةَ يوماً في طريقِهِ ، فاستسقىٰ مِنْ منزلِ امرأةٍ ، فأخرجَتْ كوزاً وقامَتْ خلفَ البابِ وقالَتْ : تنحَّوا عنِ البابِ وليأخذْهُ بعضُ غلمانِكُمْ ؛ فإنِّي امرأةٌ مِنَ العربِ ، ماتَ خادمي منذُ أيامٍ .

فشربَ عبيدُ اللهِ الماءَ ، وقالَ لغلامِهِ : احملْ إليها عشرةَ آلافِ درهمٍ ، فقالَتْ : سبحانَ اللهِ ! تسخرُ بي ؟! فقالَ : احملْ إليها عشرينَ ألفاً ، فقالَتْ : أسألُ اللهَ العافيةَ ، فقالَ : يا غلامُ ؛ احملْ إليها ثلاثينَ ألفَ درهمٍ ، فردتِ البابَ وقالتْ : أفٍّ لكَ ، فحُمِلَ إليها ثلاثونَ ألفَ درهمٍ ، فما أمسَتْ حتىٰ كَثُرَ خطَّابُها[2] .

وقيلَ : الجودُ : إجابةُ الخاطرِ الأوَّلِ .

---

(1) عُرف هـٰذا الخبر بمحنة الصوفية ، وقد رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥٠) ، وعنه الخطيب في « تاريخه » (٢٠/١٣٦) ، وفي « اللمع » (ص ٤٩٨) : أن غلام خليل كان يحنق على الصوفية ، وأن امرأة عشقت سمنوناً ، فلم يطاوعها ، فرفعت إلىٰ غلام خليل أن الصوفية يجتمعون عندها على الحرام ، فسعىٰ فيهم غلام خليل ، والقاضي يومها : إسماعيل بن إسحاق .

(2) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨/١٤١) .

سمعتُ بعضَ أصحابِ أبي الحسنِ البُوشَنجيِّ يقولُ : كانَ أبو الحسنِ البُوشَنجيُّ في الخلاءِ ، فدعا تلميذاً لهُ فقالَ : انزِعْ عنِّي هٰذا القميصَ وادفعْهُ إلىٰ فلانٍ ، فقيلَ لهُ : هلَّا صبرتَ ! فقالَ : لمْ آمَنْ علىٰ نفسي أنْ يتغيَّرَ عليَّ ما وقعَ لي مِنَ الخلقِ معَهُ بذٰلكَ القميصِ (١) .

وقيلَ لقيسِ بنِ سعدِ بنِ عبادةَ : هلْ رأيتَ أسخىٰ منكَ ؟ فقالَ : نعمْ ؛ نزلْنا بالباديةِ على امرأةٍ ، فحضرَ زوجُها ، فقالَتْ : إنَّهُ نزلَ بكَ ضِيفانٌ ، فجاءَ بناقةٍ ونحرَها وقالَ : شأنَكُمْ .

فلمَّا كانَ بالغدِ . . جاءَ بأخرىٰ ونحرَها وقالَ : شأنَكُمْ ، فقلْنا : ما أكلْنا مِنَ التي ذُبِحَتْ بالبارحةِ إلَّا اليسيرَ ! فقالَ : إنِّي لا أطعِمُ أضيافي الغابَّ (٢) ، فبقِينا عندَهُ يومينِ أوْ ثلاثةً والسماءُ تمطرُ وهوَ يفعلُ كذٰلكَ .

فلمَّا أردنا الرحيلَ . . وضعْنا مئةَ دينارٍ في بيتِهِ ، وقلْنا للمرأةِ : اعتذري لنا إليهِ ، ومضَينا ، فلمَّا مَتَعَ النهارُ . . إذا نحنُ برجلٍ يصيحُ خلفَنا : قفوا أيُّها الركبُ اللئامُ ، أعطيتموني ثمنَ قرايَ ! ثمَّ إنَّهُ لحقَنا وقالَ : لتأخذُنَّهُ أوْ لأطعننَّكُمْ برمحي ، فأخذْناهُ وانصرفَ ، فأنشأَ يقولُ : [من الكامل]

وَإِذَا أَخَذْتُ ثَوَابَ مَا أَعْطَيْتُهُ فَكَفَىٰ بِذَاكَ لِنَائِلٍ تَكْدِيرَا (٣)

سمعتُ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : دخلَ أبو عبدِ اللهِ الرُّوذْباريُّ دارَ بعضِ أصحابِهِ ، فوجدَهُ غائباً ، وبابُ بيتٍ لهُ مقفلٌ ، فقالَ : صوفيٌّ ولهُ بابُ بيتٍ مقفلٌ ؟! اكسِروا القفلَ ، فكسروا القفلَ ، وأمرَ بجميعِ ما وُجِدَ في الدارِ والبيتِ وأنفذَهُ إلى السوقِ ، وباعوهُ ، وأصلحوا وقتاً مِنَ الثمنِ ، وقعدوا في الدارِ .

فدخلَ صاحبُ المنزلِ ولمْ يمكنْهُ أنْ يقولَ شيئاً ، فدخلَتِ امرأتُهُ بعدَهُمْ

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/٢١٦) ، وفي (ي) : (من التخلف منه بذٰلك القميص) .
(٢) الغابُّ : اللحم البائت . « تاج العروس » (غ ب ب) .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (١٧) ، وفيه بدل البيت : (إنا قومٌ لا نبيع القِرَىٰ) .

الدارَ وعليها كساءٌ ، فدخلَتْ بيتاً ورمَتْ بالكساءِ وقالَتْ : يا أصحابَنا ؛ هـٰذا أيضاً مِنْ جملةِ المتاعِ ، فبيعوهُ .

فقالَ الزوجُ لها : لِمَ تكلَّفْتِ هـٰذا باختيارِكِ ؟ فقالَتْ : اسكُتْ ، مثلُ هـٰذا الشيخِ يباسطُنا ويحكمُ علينا ويبقىٰ لنا شيءٌ ندَّخرُهُ عنهُ ؟![1] .

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ : (النظرُ إلى البخيلِ يقسِّي القلبَ)[2] .

وقيلَ : مرضَ قيسُ بنُ سعدِ بنِ عبادةَ ، فاستبطأَ إخوانَهُ في العيادةِ ، فسألَ عنهُمْ ، فقالوا : إنَّهُمْ يستحيونَ ممَّا لكَ عليهِمْ مِنَ الدَّيْنِ ، فقالَ : أخزى اللهُ مالاً يمنعُ الإخوانَ مِنَ الزيارةِ ، ثمَّ أمرَ مَنْ ينادي : مَنْ كانَ لقيسٍ عليهِ مالٌ . . فهوَ منهُ في حلٍّ ، فكُسِرَتْ عتبتُهُ بالعشيِّ لكثرةِ مَنْ عادَهُ[3] .

وقيلَ : خرجَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ إلىٰ ضيعةٍ لهُ ، فنزلَ علىٰ نخيلِ قومٍ وفيها غلامٌ أسودُ يعملُ فيها ، إذْ أُتِيَ الغلامُ بقوتِهِ ، ودخلَ كلبُ الحائطِ ودنا مِنَ الغلامِ ، فرمىٰ إليهِ الغلامُ بقُرصٍ ، فأكلَهُ ، ثمَّ رمىٰ إليهِ بالثاني والثالثِ ، فأكلَهُ وعبدُ اللهِ ينظرُ ، فقالَ : يا غلامُ ؛ كمْ قوتُكَ كلَّ يومٍ ؟ قالَ : ما رأيتَ ، قالَ : فلِمَ آثرتَ هـٰذا الكلبَ ؟ قالَ : ما هيَ بأرضِ كلابٍ ؛ إنَّهُ جاءَ مِنْ مسافةٍ بعيدةٍ جائعاً ، فكرهتُ ردَّهُ .

قالَ : فما أنتَ صانعٌ اليومَ ؟ قالَ : أطوي يومي هـٰذا .

فقالَ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ : أُلامُ على السخاءِ ! إنَّ هـٰذا لأسخىٰ منِّي ، فاشترى الحائطَ والغلامَ وما فيهِ مِنَ الأثاثِ ، فأعتقَ الغلامَ ووهبَها منهُ[4] .

---

(١) رواه السُّلمي في « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٩٨) وزوج صاحب البيت من مريدات الروذباري ، واسمها قُسيمة ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨/٥) من طريق المصنف .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٣٧٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٤٠٨) .

(٣) أورده التنوخي في « المستجاد من فعلات الأجواد » (ص ١٣٥) ، ووقع في « إحكام الدلالة » (١٩٩/٣) وحدها هنا زيادة : (وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك تبذل الكثير إذا سئلت ، وتضنُّ في القليل إذا نوجزت ، فقال : إني أبذل مالي ، وأضنُّ بعقلي) .

(٤) روىٰ نحوه الدينوري في « المجالسة » (٣٢٢٩) .

وقيلَ : أتىٰ رجلٌ صديقاً لهُ ، ودقَّ عليهِ البابَ ، فلمَّا خرجَ . . قالَ : لماذا جئتَني ؟ فقالَ : لأربعِ مئةِ درهمٍ ديناً ركبَني ، فدخلَ الدارَ ووزنَ أربعَ مئةِ درهمٍ وأخرجَها إليهِ ، ودخلَ الدارَ باكياً .

فقالَتْ لهُ امرأتُهُ : هلَّا تعللتَ حينَ شَقَّ عليكَ الإجابةُ ؟! فقالَ : إنَّما أبكي لأنِّي لمْ أتفقَّدْ حالَهُ حتَّىٰ احتاجَ إلىٰ مفاتحتي بهِ .

وقالَ مطرِّفُ بنُ الشخِّيرِ : (إذا أرادَ أحدُكُمْ منِّي حاجةً . . فليرفعْها في رقعةٍ ؛ فإنِّي أكرهُ أنْ أرىٰ في وجههِ ذلَّ الحاجةِ)[١] .

وقيلَ : أرادَ رجلٌ أنْ يضارَّ عبيدَ اللهِ بنَ العبَّاسِ ، فأتىٰ وجوهَ البلدِ وقالَ : يقولُ لكُمُ ابنُ عبَّاسٍ : تغدَّوا عندي اليومَ ، فأتَوهُ ، فملؤوا الدارَ ، فقالَ : ما هٰذا ؟ فأُخبرَ الخبرَ ، فأمرَ بشراءِ الفواكهِ في الوقتِ ، وأمرَ بالخبزِ والطبيخِ ، وأصلحَ أمراً .

فلمَّا فرغوا . . قالَ لوكلائهِ : أموجودٌ لنا كلَّ يومٍ مثلُ هٰذا ؟ فقالوا : نعمْ ، قالَ : فليتغدَّ هٰؤلاءِ كلُّهُمْ عندَنا كلَّ يومٍ[٢] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ يقولُ : كانَ الأستاذُ أبو سهلٍ الصُّعْلوكيُّ يتوضأُ يوماً في صحنِ دارهِ ، فدخلَ إنسانٌ وسألَهُ شيئاً ، ولمْ يحضرْهُ شيءٌ ؛ فقالَ : اصبرْ حتَّىٰ أفرُغَ ، فصبرَ ، فلمَّا فرغَ . . قالَ : خُذِ القُمْقُمَةَ واخرجْ[٣] ، ثمَّ صبَر حتَّىٰ علمَ أنَّهُ بعُدَ ، فصاحَ وقالَ : دخلَ إنسانٌ وأخذَ القُمْقُمَةَ ! فمشَوا خلفَهُ ، فلمْ يدركوهُ .

وإنَّما فعلَ ذٰلكَ لأنَّ أهلَ المنزلِ كانوا يلومونَهُ على البذلِ[٤] .

وسمعتُهُ يقولُ : وهبَ الأستاذُ أبو سهلٍ جبَّتَهُ مِنْ إنسانٍ في الشتاءِ ،

---

(١) رواه بنحوه البيهقي في « الشعب » (٣٢٥٨) .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٨٢/٣٧) ، وهو عند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٢٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما وقع في عامة النسخ غير (ج ، ل) ، والشهرة إنما كانت لعبيد .

(٣) في (ي) وحدها زيادة : (فأخذها وخرج) .

(٤) في (ي) : (علىٰ كثرة البذل) .

وكانَ يلبَسُ جبَّةً للنساءِ حينَ يخرجُ إلى التدريسِ ؛ إذْ لمْ تكنْ لهُ جبَّةٌ أخرىٰ ، فقدمَ الوفدُ المعروفونَ مِنْ فارسَ ، فيهِمْ مِنْ كلِّ فنٍّ إمامٌ ؛ مِنَ الفقهاءِ ، والمتكلِّمينَ ، والنحْويّينَ ، فأرسلَ إليهِ صاحبُ الجيشِ أبو الحسنِ وأمرَهُ بأنْ يركبَ للاستقبالِ ، فلبِسَ دُرَّاعةً فوقَ تلكَ الجبَّةِ التي للنساءِ وركبَ [١] ، فقالَ صاحبُ الجيشِ : إنَّهُ يستخفُّ بي إمامُ البلدِ ، يلبَسُ جبَّةَ النسوانِ !

ثمَّ إنَّهُ ناظرَهُمْ أجمعينَ ، وظهرَ كلامُهُ علىٰ كلامِ جميعِهِمْ في كلِّ فنٍّ .

وسمعتُهُ يقولُ : لمْ يناولِ الأستاذُ أبو سهلٍ أحداً شيئاً بيدِهِ ، وكانَ يطرحُهُ على الأرضِ ليأخذَهُ الآخذُ مِنَ الأرضِ ، وكانَ يقولُ : الدنيا أقلُّ خطراً مِنْ أنْ أرىٰ مِنْ أجلِها يدي فوقَ يدِ آخرَ ، وقدْ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « اليدُ العليا خيرٌ مِنَ اليدِ السفلىٰ » [٢] .

وقيلَ : كانَ أبو مرثدٍ أحدَ الكرامِ ، فمدحَهُ بعضُ الشعراءِ ، فقالَ : ما عندي ما أعطيكَ ، ولٰكنْ قدِّمْني إلى القاضي وادَّعِ عليَّ عشرةَ آلافِ درهمٍ حتَّىٰ أقرَّ لكَ بها ، ثمَّ احبسْني ؛ فإنَّ أهلي لا يتركوني مسجوناً ، ففعلَ ذٰلكَ ، فلمْ يُمسِ حتىٰ دفعوا إليهِ عشرةَ آلافِ درهمٍ ، وخرجَ مِنَ السجنِ [٣] .

وقيلَ : سألَ رجلٌ الحسنَ بنَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما شيئاً ، فأعطاهُ خمسينَ ألفَ درهمٍ وخمسَ مئةِ دينارٍ وقالَ : ائتِ بحمَّالٍ يحملُهُ لكَ ، فأتىٰ بحمَّالٍ ، فأعطاهُ طيلسانَهُ وقالَ : يكونُ كراءُ الحمَّالِ مِنْ قبلي [٤] .

---

(١) الدُّرَّاعة : جبة مشقوقة المقدَّم ، وقوله الآتي : (إمام) كذا ضبط في (ي) ، ويجوز ظرفاً .
(٢) الحديث رواه البخاري (١٤٢٩) ، ومسلم (١٠٣٣) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .
(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٣٢) .
(٤) أورده الخركوشي ضمن خبر في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٣١) .

وسألَتِ امرأةٌ الليثَ بنَ سعدٍ سُكُرُّجَةَ عسلٍ ، فأمرَ لها بزقٍّ مِنْ عسلٍ ، فقيلَ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : إنَّها سألَتْ علىٰ قدرِ حاجتِها ، ونحنُ نعطي علىٰ قدْرِ نعمتِنا(١) .

وقالَ بعضُهُمْ : صلَّيتُ في مسجدِ الأشعثِ بالكوفةِ الصبحَ أطلبُ غريماً لي ، فلمَّا سلَّمتُ . . وُضِعَ بينَ يدي كلِّ واحدٍ حُلَّةٌ ونعلانِ ، وكذٰلكَ وُضِعَ بينَ يديَّ ، فقلتُ : ما هٰذا ؟ فقالوا : إنَّ الأشعثَ قدِمَ مِن مكَّةَ ، فأهدىٰ لأهلِ جماعةِ مسجدِهِ .

فقلتُ : إنَّما جئتُ أنا أطلبُ غريماً لي ولستُ مِن مُنتابيهِ ، فقالوا : هوَ لكلِّ مَنْ حضرَ(٢) .

وقيلَ : لمَّا قربَتْ وفاةُ الإمامِ الشافعيِّ رحمةُ اللهِ عليهِ . . قالَ : مُروا فلاناً يغسِّلُني ، وكانَ الرجلُ غائباً ، فلمَّا قدمَ . . أُخبرَ بذٰلكَ ، فدعا بتذكرتِهِ ، فوجدَ عليهِ سبعينَ ألفَ درهمٍ ديناً ، فقضاها وقالَ : هٰذا غسلي إيَّاهُ(٣) .

وقيلَ : لمَّا قدِمَ الشافعيُّ رحمةُ اللهِ عليهِ مِنْ صنعاءَ إلىٰ مكَّةَ . . كانَ معَهُ عشرةُ آلافِ دينارٍ ، فقيلَ لهُ : تشتري بها قريةً ، فضربَ خيمتَهُ خارجَ مكَّةَ وصبَّ الدنانيرَ ، وكلُّ مَنْ دخلَ عليهِ كانَ يعطيهِ قبضةً قبضةً ، فلمَّا جاءَ وقتُ الظهرِ . . قامَ ونفضَ الثوبَ ولمْ يبقَ شيءٌ(٤) .

وقيلَ : خرجَ السريُّ يومَ عيدٍ ، فاستقبلَهُ رجلٌ كبيرُ الشأنِ ، فسلَّمَ السريُّ عليهِ سلاماً ناقصاً ، فقيلَ لهُ : هٰذا رجلٌ كبيرُ الشَّأْنِ ، فقالَ : قدْ عرفتُهُ ، ولٰكنْ رُوِيَ مسنداً إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ إذا التقى

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٣٢٠) .

(٢) رواه الواسطي في « تاريخه » (ص ١٤٤) ، والحلَّة : إزار ورداء معاً ، والأشعث هو ابن قيس .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٤٢) .

(٤) رواه مختصراً البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/٢٢٠) وفي (ي) : (قَيْنَة) وهي الخادم هنا ، وفي (ج ، ز) : (قُنْية) بدل (قرية) ، والقُنية : ما يدخر بعد الكفاية ، ويتخذ أصلاً للمال ، قال تعالىٰ في سورة النجم (٤٨) : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾ ، والمثبت من سائر النسخ وهامش (ج ، ز) .

المسلمانِ . . قُسِمَتْ بينَهما مئةُ رحمةٍ ، تسعونَ لأبشِّهما ، فأردتُ أنْ يكونَ معَهُ الأكثرُ[1] .

وقيلَ : بكىٰ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ يوماً ، فقيلَ لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : لمْ يأتِني ضيفٌ منذُ سبعةِ أيامٍ ! أخافُ أنْ يكونَ اللهُ تعالىٰ قدْ أهانَني[2] .

ورُوِيَ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ أنَّهُ قالَ : (زكاةُ الدارِ أنْ يُتَّخَذَ فيها بيتٌ للضيافةِ)[3] .

وقيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾[4] قيلَ : قيامُهُ عليهِمْ بنفسِهِ[5] ، وقيلَ : لأنَّ ضيفَ الكريمِ كريمٌ[6] .

وقالَ إبراهيمُ بنُ الجنيدِ : (كانَ يُقالُ : أربعٌ لا ينبغي للشريفِ أنْ يأنفَ منهنَّ وإنْ كانَ أميراً : قيامُهُ مِنْ مجلسِهِ لأبيهِ ، وخدمتُهُ لضيفِهِ ، وخدمتُهُ للعالمِ يتعلَّمُ منهُ ، والسؤالُ عمَّا لا يعلمُ)[7] .

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾[8] قال : كانوا يتحرَّجونَ أنْ يأكلَ أحدُهُمْ وحدَهُ ، فرخَّصَ لهُمْ في ذٰلكَ[9] .

وقيلَ : أضافَ عبدُ اللهِ بنُ عامرِ بنِ كريزٍ رجلاً ، فأحسنَ قِراهُ ، فلمَّا أرادَ

---

(١) الحديث رواه البيهقي في « الشعب » (٧٦٩٢) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه ، والخبر مبنيٌّ على الإيثار بالقُرَب ، وهو المشهور من مذهب السادة الحنفية .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٥٧) .
(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٥٨) .
(٤) سورة الذاريات : (٢٤) .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٨٨) .
(٦) يعني : إنما سمُّوا مكرمين ؛ لأن ضيف الكريم كريم . انظر « إحكام الدلالة » (٣/٢٠١) .
(٧) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٥٨) .
(٨) سورة النور : (٦١) .
(٩) انظر « الدر المنثور » (٦/٢٢٤) .

الرجلُ أنْ يرتحلَ . . لمْ يعنْهُ غلمانُهُ ، فقالَ في ذٰلكَ ، فقالَ عبدُ اللهِ : إنَّهُمْ لا يعينونَ مَنْ يرتحلُ عنَّا[1] .

أنشدَنا أبو عبدِ اللهِ ابنُ باكويه الصوفيُّ قالَ : أنشدَنا المتنبِّي في معناهُ : [من البسيط]

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا ... أَلَّا تُفَارِقَهُمْ فَٱلرَّاحِلُونَ هُمُ[2]

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (سخاءُ النفسِ عمَّا في أيدي الناسِ أفضلُ مِنْ سخاءِ النفسِ بالبذلِ)[3] .

وقالَ بعضُهُمْ : دخلتُ علىٰ بشرِ بنِ الحارثِ في يومٍ شديدِ البردِ وقدْ تعرَّىٰ مِنَ الثيابِ وهوَ ينتفضُ ، فقلتُ : يا أبا نصرٍ ؛ الناسُ يزيدونَ في الثيابِ في مثلِ هٰذا اليومِ وأنتَ قدْ نقصتَ ؟!

فقالَ : ذكرتُ الفقراءَ وما همْ فيهِ ، ولمْ يكنْ لي ما أواسيهِمْ بهِ ، فأردتُ أنْ أوافقَهُمْ بنفسي في مقاساةِ البردِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الزَّقَّاقَ يقولُ : (ليسَ السخاءُ أنْ يعطيَ الواجدُ المعدمَ ، إنَّما السخاءُ أنْ يعطيَ المعدمُ الواجدَ)[4] .

* * *

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٦٠) وزاد : (فعجب الضيف من كرمه) .

(٢) انظر « ديوانه » بشرح العكبري (٣/٣٧٣) .

(٣) رواه ابن المرزبان في « المروءة » (١١٥) .

(٤) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٢٩٨) ولكن عن أبي حمزة البزاز .

بابُ الغَيْرة

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (١) .

أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدوسٍ المُزَكِّي قالَ : أخبرَنا أبو أحمدَ حمزةُ بنُ العبَّاسِ البزَّازُ ببغدادَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ غالبِ بنِ حربٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ مسلمةَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ أبي الفراتِ ، عنْ إبراهيمَ الهَجَرِيِّ ، عنْ أبي الأحوصِ ، عنْ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما أحدٌ أغيرَ مِنَ اللهِ ، ومِنْ غَيرتِهِ حرَّمَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ » (٢) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ الحسنِ بنِ بُنانٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ رجاءٍ قالَ : أخبرَنا حربُ بنُ شدَّادٍ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ أبي كثيرٍ ، عنْ أبي سلمةَ : أنَّ أبا هريرةَ حدَّثَهُمْ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إنَّ اللهَ يغارُ ، وإنَّ المؤمنَ يغارُ ، وغَيرةُ اللهِ أنْ يأتيَ العبدُ المؤمنُ ما حرَّمَ اللهُ عليهِ » (٣) .

قالَ الأستاذُ : **الغَيرةُ** : كراهيةُ مشاركةِ الغيرِ ، وإذا وُصِفَ الحقُّ سبحانَهُ بالغَيرةِ . . فمعناهُ : أنَّهُ لا يرضىٰ بمشاركةِ الغيرِ معَهُ فيما هوَ حقٌّ لهُ مِنْ طاعاتِ عبدِهِ .

حُكِيَ عنِ السريِّ أنَّهُ قُرِئَ بينَ يديهِ : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ (٤) فقالَ السريُّ لأصحابِهِ : أتدرونَ ما هٰذا

---

(١) سورة الأعراف : (٣٣) .

(٢) ورواه البخاري (٤٦٣٤) ، ومسلم (٢٧٦٠) ، وعبد الله هو سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) ورواه البخاري (٥٢٢٣) ، ومسلم (٢٧٦١) ، وبُنان : كذا في النسخ المنقوطة ، وفي عامة كتب التراجمات : بَيان .

(٤) سورة الإسراء : (٤٥) .

الحجابُ ؟ هٰذا حجابُ الغَيرةِ ، ولا أحدَ أغيرُ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

ومعنىٰ قولِهِ : (هٰذا حجابُ الغَيرةِ) يعني : أنَّهُ لمْ يجعلِ الكافرينَ أهلاً لمعرفةِ صدقِ الدينِ .

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : إنَّ أصحابَ الكسلِ عنْ عبادتِهِ همُ الذينَ ربطَ الحقُّ بأقدامِهِمْ مُثَقَّلَةَ الخِذلانِ[1] ، فاختارَ لهُمُ البُعْدَ ، فأخَّرَهُمْ عنْ محلِّ القربِ ، ولذٰلكَ تأخَّروا .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الخفيف]

أَنَـا صَـبٌّ بِمَـنْ هَوِيـتُ وَلَٰكِنْ مَـا ٱخْتِيَالِـي لِسُـوءِ رَأْيِ ٱلْمَوَالِـي[2]

وفي معناهُ قالوا : سقيمٌ ليسَ يُعادُ ، ومريدٌ لا يرادُ[3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ الزَّوزَنيَّ يقولُ : كانَ لي بدايةٌ حسنةٌ ، وكنتُ أعرفُ كمْ بقيَ بيني وبينَ الوصولِ إلىٰ مقصودي مِنَ الظفرِ بمرادي ، فرأيتُ ليلةً مِنَ الليالي في المنامِ كأني أتَدَهْدَهُ مِنْ حالقِ جبلٍ[4] ، فأردتُ الوصولَ إلىٰ ذُروتِهِ ، قالَ : فحزنتُ ، فأخذَني النومُ ، فرأيتُ قائلاً يقولُ : يا عبَّاسُ ؛ الحقُّ لمْ يرِدْ منكَ أنْ تصلَ إلىٰ ما كنتَ تطلبُ ، ولٰكنَّهُ فتحَ علىٰ لسانِكَ الحكمةَ ، قالَ : فأصبحتُ وقدْ أُلهمتُ كلماتِ الحكمةِ .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : كانَ شيخٌ مِنَ الشيوخِ لهُ حالٌ ووقتٌ ، فخفيَ مدَّةً لمْ يُرَ بينَ الفقراءِ ، ثمَّ إنَّهُ ظهرَ بعدَ ذٰلكَ لا علىٰ

---

(١) المُثَقَّلَة : رُخامة يثقَّل بها البساط ، وهي بفتح القاف المشددة ، والقياس كسرُها . انظر « تاج العروس » (ث ق ل) .

(٢) وفي غير (أ ، ج) : (لمن) بدل (بمن) ، وذكر المصنف المعنىٰ في « لطائف الإشارات » (٣١٧/٢) .

(٣) وأنشد ابن أبي حجلة في « ديوان الصبابة » (ص ١٤) :

وكلٌّ يدَّعي وصلاً بليلىٰ وليلىٰ لا تقرُّ لهم بذاكا

(٤) أتدهده : أتدحرج من علو إلىٰ سفل ، والحالق : المكان المشرف المرتفع .

ما كانَ عليهِ مِنَ الوقتِ ، فسُئِلَ عنهُ ، فقالَ : آهِ ، وقعَ حجابٌ .

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ رحمَهُ اللهُ إذا وقعَ شيءٌ في خلالِ المجلسِ يشوِّشُ قلوبَ الحاضرينَ . . يقولُ : هٰذا مِنْ غَيرةِ الحقِّ سبحانَهُ ، يريدُ ألَّا يجريَ ما يجري مِنْ صفاءِ هٰذا الوقتِ(١) .

وأنشدوا في معناهُ : [من البسيط]

هَمَّتْ بِإِتْيَانِنَا حَتَّىٰ إذا نَظَرَتْ   إِلَى ٱلْمِرَاةِ نَهَاهَا وَجْهُهَا ٱلْحَسَنُ(٢)

وقيلَ لبعضِهِمْ : تريدُ أنْ تراهُ ؟ فقالَ : لا ، فقيلَ : لِمَ ؟ فقالَ : أُنزِّهُ ذٰلكَ الجمالَ عنْ نظرِ مثلي .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الكامل]

إِنِّي لَأَحْسُدُ نَاظِرَيَّ عَلَيْكَا   حَتَّىٰ أَغُضُّ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَا

وَأَرَاكَ تَخْطُرُ فِي شَمَائِلِكَ ٱلَّتِي   هِيَ فِتْنَتِي فَأَغَارُ مِنْكَ عَلَيْكَا(٣)

وسُئِلَ الشِّبليُّ : متىٰ تستريحُ ؟ فقالَ : إذا لمْ أرَ لهُ ذاكراً(٤) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ في قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في مبايعتِهِ فرساً مِنْ أعرابيٍّ وأنَّهُ استقالَهُ فأقالَهُ ، فقالَ الأعرابيُّ : عَمْرَكَ اللهَ ؛ ممَّنْ أنتَ ؟ فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « امرؤٌ مِنْ قريشٍ » .

فقالَ بعضُ الصحابةِ مِنَ الحاضرينَ للأعرابيِّ : كفاكَ جفاءً ألَّا تعرفَ نبيَّكَ .

---

(١) لعدم أهليتهم له ، بل أجرىٰ عليهم ما يشوش عليهم ويحجبهم عن ذٰلك . « إحكام الدلالة » (٣/٢٠٤) .

(٢) البيت للعباس بن الأحنف كما في « ديوانه » (ص ٢٨٠) ، وبعده :

مـا كانَ هٰذا جزائـي مـن محاسـنِها   أغـرَتْ بـيَ الشـوقَ حتَّىٰ شفَّني الشجنُ

(٣) همـا للخبـز أرزي ضمـن أبيات ، انظر « ديوانه » (٣/١٤٣) ، ونُسبا للإمام الشبلي كمـا في « ديوانه » (ص ١١٥) .

(٤) قال العلامة المناوي في « فيض القدير » (١/٤٥٦) : (عذرُهُ أنه لا يرىٰ ذاكراً إلا والغفلة مستولية علىٰ قلبه ، فيغار لله أن يُذكر بهٰذا الذكر ؛ لغلبة المحبة علىٰ قلبه ، ومع ذٰلك فهو من شطحاته التي تغفر له لصدق محبته . . .) ، ومثَّلَ للذاكرين الغافلين شيخُ الإسلام زكريا بالمنادين علىٰ معايشهم ، وانظر (ص ٥٥١) .

فكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : إنَّما قالَ : « امرؤٌ مِنْ قريشٍ » غَيرةً ، وإلَّا . . كانَ واجباً عليهِ التعرُّفُ إلىٰ كلِّ أحدٍ أنَّهُ مَنْ هوَ ، ثمَّ إنَّ اللهَ سبحانَهُ أجرىٰ علىٰ لسانِ ذٰلكَ الصحابيِّ التعريفَ للأعرابيِّ بقولِهِ : (كفاكَ جفاءً ألَّا تعرفَ نبيَّكَ)[1] .

ومِنَ الناسِ مَنْ قالَ : إنَّ الغَيرةَ مِنْ صفاتِ أهلِ البدايةِ ، وإنَّ المُوحِّدَ لا يشهدُ الغيرَ ، ولا يتَّصفُ بالاختيارِ ، وليسَ لهُ فيما يجري في المملكةِ تحكُّمٌ ، بلِ الحقُّ سبحانَهُ أولىٰ بالأشياءِ فيما يقضي علىٰ ما يقضي .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (الغَيرةُ مِنْ عملِ المريدينَ ، فأمَّا أهلُ الحقائقِ . . فلا) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : (الغَيرةُ غَيرتانِ : غَيرةُ البشريَّةِ على النفوسِ ، وغَيرةُ الإلٰهيَّةِ على القلوبِ)[2] .

وقالَ الشِّبليُّ أيضاً : (غَيرةُ الإلٰهيَّةِ على الأنفاسِ أنْ تُضَيَّعَ فيما سوى اللهِ)[3] .

والواجبُ أنْ يُقالَ : الغَيرةُ غَيرتانِ : غَيرةُ الحقِّ على العبدِ ؛ وهوَ ألَّا يجعلَهُ للخلقِ ، فيضنَّ بهِ عليهِمْ ، وغَيرةُ العبدِ للحقِّ ؛ وهوَ ألَّا يجعلَ شيئاً مِنْ أحوالِهِ وأنفاسِهِ لغيرِ الحقِّ ، فلا يُقالُ : أنا أغارُ على اللهِ ، ولٰكنْ يُقالُ : أنا أغارُ للهِ ؛ فإنَّ الغَيرةَ على اللهِ تعالىٰ جهلٌ ، وربَّما يؤدِّي إلىٰ تركِ الدينِ ، والغَيرةُ للهِ توجبُ تعظيمَ حقوقِهِ وتصفيةَ الأعمالِ لهُ .

---

(١) الحديث المرفوع رواه ابن ماجه (٢١٨٤) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما دون ذكر قول الصحابي ، وقوله : (كفاك جفاء . . .) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٨٣٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ضمن خبر مشابهٍ ، وفيه السؤال عن الرجل ، لا عن قبيلته ، حيث قالَ : (فمَنْ هٰذا الرجل) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٧١) .

(٣) هو في الخبر قبله ، وأنشد إمامنا الغزالي في « أيها الولد » (ص ٤٤) :

سهرُ العيونِ لغيرِ وجهِكَ ضائعٌ   وبكاؤُهُنَّ لغيرِ فقدِكَ باطلُ

واعلموا : أنَّ مِنْ سنَّةِ الحقّ تعالىٰ معَ أوليائِهِ أنَّهُمْ إذا ساكنوا غَيْراً ، أوْ لاحظوا شيئاً ، أوْ ضاجعوا بقلوبِهِمْ شيئاً يشوّشُ عليهِمْ ذٰلكَ . . فيغارُ علىٰ قلوبِهِمْ بأنْ يعيدَها خالصةً لنفسِهِ ، فارغةً عمَّا ساكنوهُ ؛ كآدمَ عليهِ السلامُ لمَّا وطَّنَ نفسَهُ على الخلودِ في الجنةِ . . أخرجَهُ منها ، وإبراهيمَ عليهِ السلامُ لمَّا أعجبَهُ إسماعيلُ عليهِ السلامُ . . أمرَهُ بذبحِهِ ، حتَّىٰ أخرجَهُ مِنْ قلبِهِ ، فلمَّا أسلما وتلَّهُ للجبينِ ، وصفا سرُّهُ عنهُ . . أمرَهُ بالفداءِ عنهُ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا زيدِ المَرْوَزيَّ الفقيهَ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ شيبانَ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ حسَّانَ يقولُ : بينا أنا أدورُ في جبلِ لبنانَ . . إذْ خرجَ رجلٌ شابٌّ قدْ أحرقتْهُ السَّمُومُ والرياحُ ، فلمَّا نظرَ إليَّ . . ولَّىٰ هارباً ، فتبعتُهُ وقلتُ : تعظُني بكلمةٍ ، فقالَ : احذرْ ؛ فإنَّهُ غيورٌ ؛ لا يحبُّ أنْ يرىٰ في قلبِ عبدِهِ سواهُ (١) .

وسمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ يقولُ : قالَ النصراباذيُّ : (الحقُّ سبحانَهُ غيورٌ ، ومِنْ غَيرتِهِ أنَّهُ لمْ يجعلْ إليهِ طريقاً سواهُ) .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ بعضِ أنبيائِهِ : إنَّ لفلانٍ إليَّ حاجةً ، ولي أيضاً إليهِ حاجةٌ ، فإنْ قضىٰ حاجتي . . قضَيتُ حاجتَهُ ، فقالَ ذٰلكَ النبيُّ عليهِ السلامُ في مناجاتِهِ : إلٰهي ؛ كيفَ يكونُ لكَ حاجةٌ ؟! فقالَ : إنَّهُ ساكَنَ بقلبِهِ غيري ، فليرفعْ قلبَهُ عنهُ . . أقضِ حاجتَهُ .

وقيلَ : إنَّ أبا يزيدَ البِسْطاميَّ رحمةُ اللهِ عليهِ رأىٰ جماعةً مِنَ الحورِ العينِ في منامِهِ ، فنظرَ إليهِنَّ ، فسُلِبَ وقتُهُ أياماً ، ثمَّ إنَّهُ رأىٰ في منامِهِ جماعةً منهُنَّ ، فلمْ يلتفتْ إليهِنَّ وقالَ : إنكُنَّ شواغلُ .

وقيلَ : مرضَتْ رابعةُ العدويَّةُ ، فقيلَ لها : ما سببُ علَّتِكِ ؟

فقالَتْ : نظرتُ بقلبي إلى الجنَّةِ فأدَّبَني ، فلهُ العتبىٰ ، لا أعودُ .

ويُحكىٰ عنِ السريّ أنَّهُ قالَ : كنتُ أطلبُ رجلاً صدِّيقاً مدَّةً مِنَ الأوقاتِ ،

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/٢٩٠) .

فمررتُ في بعضِ الجبالِ ، فإذا أنا بجماعةٍ زَمنىٰ وعُميانٍ ومرضىٰ ، فسألتُ عنْ حالِهِمْ ، فقالوا : ها هنا رجلٌ يخرجُ في السنةِ مرَّةً يدعو لهُمْ فيجدونَ الشفاءَ ، فصبرتُ حتَّىٰ خرجَ ، ودعا لهُمْ ، فوجدوا الشفاءَ .

فقفَـوتُ أثـرَهُ ، وتعلَّقْتُ بهِ وقلتُ : لي علَّةٌ باطنـةٌ ، فما دواؤُها ؟ فقالَ : يا سريُّ ؛ خلِّ عنِّي ؛ فإنَّه غيورٌ ، لا يراكَ تساكنُ غيرَهُ فتسقطَ مِنْ عينِهِ (١) .

قالَ الأستاذُ : ومنهُمْ مِنْ غَيرتِهِ حينَ يرى الناسَ يذكرونَهُ بالغفلةِ فلا يمكنُهُ رؤيةُ ذٰلكَ ، ويشُقُّ عليهِ (٢) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : لمَّا دخلَ الأعرابيُّ مسجدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبالَ في المسجدِ وتبادرَ إليهِ الصحابةُ لإخراجِهِ ، قالَ رحمَهُ اللهُ : إنَّما أساءَ الأعرابيُّ الأدبَ ، ولٰكنِ الخجلُ وقعَ على الصحابةِ والمشقَّةُ حصلتْ لهُمْ حينَ رأَوا مَنْ وَضَعَ حشمتَهَ (٣) ، كذٰلكَ العبدُ إذا عرفَ جلالَ قدرِهِ سبحانَهُ . . يشُقُّ عليهِ سماعُ ذكرِ مَنْ يذكرُهُ بالغفلةِ ، وطاعةُ مَنْ لا يعبدُهُ بالحرمةِ .

حُكِيَ أنَّ الشِّبليَّ ماتَ لهُ ابنٌ كانَ اسمُهُ أبا الحسينِ ، فجزِعَتْ أمُّهُ عليهِ ، وقطعَتْ شعرَ رأسِها ، فدخلَ الشِّبليُّ الحمَّامَ ونوَّرَ لحيتَهُ (٤) ، فكلُّ مَنْ أتاهُ مُعزيّاً قالَ : أيْشٍ هٰذا يا أبا بكرٍ ؟! فكانَ يقولُ : موافقةً لأهلِي .

فقالَ لهُ بعضُهُمْ : أخبرْني يا أبا بكرٍ لِمَ فعلتَ هٰذا ؟ فقالَ : علمتُ أنَّهُمْ يعزُّونَني على الغفلةِ ويقولونَ : آجرَكَ اللهُ تعالىٰ ، ففديتُ ذكرَهُمْ للهِ تعالىٰ بالغفلةِ بلحيتي (٥) .

---

(١) كذا عند الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٧) ، ورواه بنحوه الخطيب في « تاريخه » (٣٨٠/٢) .

(٢) وهو أحد الوجوه في معنىٰ قول الشبلي المتقدم قريباً .

(٣) يعني : رأوا مَنْ أسقط حشمته بين يدي محتشم ، ويمكن أن تقرأ العبارة (مِنْ وَضْعِ حشمتِهِ) .

(٤) يعني : طلاها بالنُّورَة ؛ وهي الهِناء ، حجرٌ يحرق ويسوَّىٰ منه الكلس ، ويحلقُ به الشَّعَر .

(٥) قال شيخ الإسلام زكريا في « إحكام الدلالة » (٢٠٧/٣) : (أزال لحيته ليشتغلوا عن تعزيته بما يرون من تغيير هيئته ، وهٰذا فعلَهُ مداواةً لعللِ قلبِهِ ، فلا يكون مذموماً في حقِّه) .

وسمعَ النُّوريُّ رجلاً يؤذِّنُ ، فقالَ : طعنةٌ وسمُّ الموتِ ، وسمعَ كلباً ينبحُ ، فقالَ : لبيكَ وسعدَيكَ ، فقالوا : إنَّ هـٰذا تركَ الدِّينَ ! يقولُ للمؤذِّنِ في تشهُّدِهِ : طعنةٌ وسمُّ الموتِ ، ويلبِّي عندَ نُباحِ الكلابِ ؟!

فسُئِلَ عنْ ذٰلكَ ، فقالَ : أمَّا ذٰلكَ . . فكانَ يذكرُهُ على رأسِ الغفلةِ ، وأمَّا الكلبُ . . . فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ (١) .

وأذَّنَ الشِّبليُّ مرَّةً ، فلمَّا انتهىٰ إلى الشهادتينِ . . قالَ : لولا أنَّكَ أمرتَني . . ما ذكرتُ معَكَ غيرَكَ .

وسمعَ رجلٌ رجلاً يقولُ : جلَّ اللهُ ، فقالَ : أحبُّ أنْ تجلَّهُ عنْ هـٰذا .

سمعتُ بعضَ الفقراءِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ الخَرْقانيَّ يقولُ : (« لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ » مِنْ داخلِ القلبِ ، « محمدٌ رسولُ اللهِ » مِنَ القُرْطِ) .

ومَـنْ نظرَ إلـىٰ ظاهرِ هـٰذا اللفظِ توهَّمَ أنَّهُ اسـتصغرَ الشـرعَ ، ولا كما يخطرُ بالبالِ ؛ إذِ الإخطـارُ للأغيارِ (٢) بالإضافةِ إلىٰ قدْرِ الحقِّ متصاغرةٌ في التحقيقِ (٣) .

* * *

---

(١) سورة الإسراء : (٤٤) .

(٢) في (أ ، ب) : (بالأغيار) بدل (للأغيار) .

(٣) قال شيخ الإسلام زكريا في « إحكام الدلالة » (٣/٢٠٧) : (وإن كان بعضها عظيماً في نفسه ؛ فإن جلالة الله لا توازىٰ بمخلوق ، وإنما عظمت الأنبياء لتعظيم الله لهم . . . ، هـٰذا مع أن الأدب ترك هـٰذه المقالة لبشاعتها) .

بابُ الولايةِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

أخبرَنا حمزةُ بنُ يوسفَ السهميُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ عديٍّ الجُرْجانيُّ الحافظُ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ هارونَ بنِ حميدٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ هارونَ المُقْرِي قالَ : حدَّثَنا حمَّادٌ الخيَّاطُ ، عنْ عبدِ الواحدِ بنِ ميمونٍ مولىٰ عروةَ ، عنْ عروةَ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « يقولُ اللهُ تعالىٰ : مَنْ آذىٰ لي ولياً . . فقدِ استحلَّ محاربتي ، وما تقرَّبَ إليَّ العبدُ بمثلِ ما افترضتُ عليهِ ، ولا يزالُ العبدُ يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّىٰ أحبَّهُ ، وما تردَّدْتُ في شيءٍ أنا فاعلُهُ كتردُّدي في قبضِ روحِ عبدي المؤمنِ ؛ فإنَّهُ يكرهُ الموتَ ، وأكرهُ مَساءَتَهُ ، ولا بدَّ لهُ منهُ » (٢) .

قالَ الأستاذُ : الوليُّ لهُ معنيانِ :

أحدُهُما : فَعيلٌ بمعنىٰ مفعولٍ ؛ وهوَ مَنْ يتولَّى اللهُ سبحانَهُ أمرَهُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣) ، فلا يكلُهُ إلىٰ نفسِهِ لحظةً ، بلْ يتولَّى الحقُّ سبحانَهُ رعايتَهُ .

والثاني : فعيلٌ مبالغةً مِنَ الفاعلِ ؛ وهوَ الذي يتولَّىٰ عبادةَ اللهِ تعالىٰ وطاعاتِهِ ، فعبادتُهُ تجري على التوالي مِنْ غيرِ أنْ يتخلَّلَها عِصيانٌ .

وكلا الوصفينِ واجبٌ حتَّىٰ يكونَ الوليُّ ولياً ، يجبُ قيامُهُ بحقوقِ اللهِ

---

(١) سورة يونس : (٦٢) .

(٢) ورواه أحمد في « المسند » (٦/٢٥٦) ، ورواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة الأعراف : (١٩٦) .

تعالىٰ على الاستقصاءِ والاستيفاءِ ، ودوامُ حفظِ اللهِ تعالىٰ إيَّاهُ في السرَّاءِ والضرَّاءِ .

ومِنْ شرطِ الوليِّ : أنْ يكونَ محفوظاً ، كما أنَّ مِنْ شرطِ النبيِّ أنْ يكونَ معصوماً ، فكلُّ مَنْ كانَ للشرعِ عليهِ اعتراضٌ . . فهوَ مغرورٌ مخدوعٌ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قصدَ أبو يزيدَ البِسْطاميُّ بعضَ مَنْ وُصِفَ بالولايةِ ، فلمَّا وافىٰ مسجدَهُ . . قعدَ ينتظرُ خروجَهُ ، فخرجَ الرجلُ وتنخَّمَ في المسجدِ ، فانصرفَ أبو يزيدَ ولمْ يسلِّمْ عليهِ ، وقالَ : هٰذا رجلٌ غيرُ مأمونٍ علىٰ أدبٍ مِنْ آدابِ الشريعةِ ، فكيفَ يكونُ أميناً علىٰ أسرارِ الحقِّ ؟!(١) .

واختلفوا في أنَّ الوليَّ هلْ يجوزُ أنْ يعلمَ أنَّهُ وليٌّ أم لا ؟

فمنهُمْ مَنْ قالَ : لا يجوزُ ذٰلكَ ، وقالَ : إنَّ الوليَّ يلاحظُ نفسَهُ بعينِ التصغيرِ ، وإنْ ظهرَ عليهِ شيءٌ مِنَ الكراماتِ . . خافَ أنْ يكونَ مكراً ، وهوَ يستشعرُ الخوفَ دائماً ؛ لخوفِ سقوطِهِ عمَّا هوَ فيهِ ، وأنْ تكونَ عاقبتُهُ بخلافِ حالِهِ ، وهٰؤلاءِ يجعلونَ مِنْ شرطِ الولايةِ وفاءَ المآلِ(٢) .

وقدْ وردَ في هٰذا البابِ حكاياتٌ جمَّةٌ عنِ الشيوخِ ، وإليهِ ذهبَ مِنْ شيوخِ هٰذهِ الطائفةِ جماعةٌ لا يُحصَونَ ، ولوِ اشتغلْنا بذكرِ ما قالوا . . لخرجْنا عنْ حدِّ الاختصارِ ، وإلىٰ هٰذا كانَ يذهبُ مِنْ شيوخِنا الذينَ لقِيناهُمُ الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ .

ومنهُمْ مَنْ قالَ : يجوزُ أنْ يعلمَ الوليُّ أنَّهُ وليٌّ ، وليسَ مِنْ شرطِ تحقيقِ الولايةِ في الحالِ الوفاءُ في المآلِ .

ثمَّ إنْ كانَ ذٰلكَ مِنْ شرطِهِ أيضاً . . فيجوزُ أنْ يكونَ هٰذا الوليُّ خُصَّ بكرامةٍ هيَ تعريفُ الحقِّ إيَّاهُ أنَّهُ مأمونُ العاقبةِ ؛ إذِ القولُ بجوازِ كراماتِ

---

(١) رواه المصنف كما تقدَّم (ص ١٢٨) .

(٢) أي : أن يوفَّىٰ للولي بالولايةِ في العاقبة ؛ بأن يختم له بها ، وهو لا يعلمه ؛ لاحتمال التبديل والتغيير . « إحكام الدلالة » (٢١٢/٣) .

الأولياءِ واجبٌ ، وهوَ وإنْ فارقَهُ خوفُ العاقبةِ . . فما هوَ عليهِ مِنَ الهيبةِ والتعظيمِ والإجلالِ في الحالِ أتمُّ وأشدُّ ؛ فإنَّ اليسيرَ مِنَ التعظيمِ والهيبةِ أهدُّ للقلوبِ مِنْ كثيرٍ مِنَ الخوفِ[1] .

ولِمَا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : عشرةٌ في الجنةِ مِنْ أصحابِهِ[2] ، فالعشرةُ ـ لا محالةَ ـ صدَّقوا الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعرفوا سلامةَ عاقبتِهِمْ ، ثمَّ لمْ يقدحْ ذٰلكَ في حالِهِمْ .

ولأنَّ مِنْ شرطِ صحَّةِ المعرفةِ بالنبوةِ الوقوفَ علىٰ حدِّ المعجزةِ ، ويدخلُ في جملتِهِ العلمُ بحقيقةِ الكراماتِ ، فإذا رأى الكراماتِ ظاهرةً عليهِ . . لا يمكنُهُ ألَّا يميِّزَ بينَها وبينَ غيرِها ؛ فإذا رأىٰ شيئاً مِنْ ذٰلكَ . . علمَ أنَّهُ في الحالِ على الحقِّ ، ثمَّ يجوزُ أنْ يعرفَ أنَّهُ في المآلِ يبقىٰ علىٰ هٰذهِ الحالةِ ، ويكونُ هٰذا التعريفُ لهُ كرامةً لهُ .

والقولُ بكراماتِ الأولياءِ صحيحٌ ، وكثيرٌ مِنْ حكاياتِ القومِ تدلُّ علىٰ ذٰلكَ ، كما نذكرُ طرفاً مِنْ ذٰلكَ في (بابِ كراماتِ الأولياءِ) إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[3] .

وإلىٰ هٰذا القولِ[4] كانَ يذهبُ مِنْ شيوخِنا الذينَ لقِيناهُمُ الأستاذُ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمَهُ اللهُ .

وقيلَ : إنَّ إبراهيمَ بنَ أدهمَ قالَ لرجلٍ : تحبُّ أنْ تكونَ للهِ وليّاً ؟ فقالَ : نعمْ ، فقالَ : لا ترغبْ في شيءٍ مِنَ الدنيا والآخرةِ ، وفرِّغْ نفسَكَ للهِ ، وأقبلْ بوجهِكَ عليهِ ليُقبلَ عليكَ ويُواليَكَ[5] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ في صفةِ الأولياءِ : همْ عبادٌ تسربلوا بالأُنْسِ بعدَ

---

(١) كذا في النسخ ، وفي (ي) : (أهدىٰ للقلوب) بدل (أهدُّ للقلوب) .
(٢) رواه أبو داوود (٤٦٤٩) ، والترمذي (٣٧٤٧) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨١٣٧) ، وابن ماجه (١٣٣) من حديث سيدنا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما .
(٣) سيأتي (ص ٦٩٩) .
(٤) وهو معرفة الولي لنفسه أنه وليٌّ لله تعالىٰ ، مع تجويز معرفة المآل .
(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٨١) .

المكابدةِ ، واعتنقوا الرَّوْحَ بعدَ المجاهدةِ بوصولِهِمْ إلىٰ مقامِ الولايةِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سـمعتُ عمِّي البِسْطاميَّ يقولُ : سـمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ أبا يزيدَ يقولُ : (أولياءُ اللهِ تعالىٰ عرائسُ اللهِ ، ولا يرى العرائسَ إلَّا المُحْرِمونَ ، وهمْ مخدَّرونَ عندَهُ في حجابِ الأُنْسِ ، لا يراهُمْ أحدٌ في الدنيا ولا في الآخرةِ)[1] .

سمعتُ أبا بكرٍ الصيدلانيَّ ـ وكانَ رجلاً صالحاً ـ قالَ : كنتُ أصلحُ اللوحَ في قبرِ أبي بكرٍ الطَّمَستانيِّ أنقرُ فيهِ اسمَهُ في مقبرةِ الحِيرةِ كثيراً ، وكانَ يُقلَعُ ذٰلكَ اللوحُ ويُسرَقُ ، ولمْ يُقلَعْ مِنْ غيرِهِ مِنَ القبورِ ، فكنتُ أتعجَّبُ منهُ ! فسألتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يوماً عنْ ذٰلكَ ، فقالَ : إنَّ ذٰلكَ الشيخَ آثرَ الخفاءَ في الدنيا ، وأنتَ تريدُ أنْ تشهرَ قبرَهُ باللوحِ الذي تصلحُهُ فيهِ ، وإنَّ الحقَّ سبحانَهُ يأبىٰ إلَّا إخفاءَ قبرِهِ ؛ كما آثرَ هوَ سترَ نفسِهِ .

وقالَ أبو عثمانَ المغربيُّ : (الوليُّ قدْ يكونُ مشهوراً ، ولٰكنْ لا يكونُ مفتوناً) .

وسمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ يقولُ : سمعتُ النصرَاباذيَّ يقولُ : (ليسَ للأولياءِ سؤالٌ ، إنَّما هوَ الذُّبولُ والخمودُ)[2] .

قالَ : وسمعتُهُ يقولُ : (نهاياتُ الأولياءِ بداياتُ الأنبياءِ)[3] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (الوليُّ : الذي توالَتْ أفعالُهُ على الموافقةِ)[4] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الوليُّ لا يُرائي ، ولا ينافقُ ، وما أقلَّ صديقَ مَنْ كانَ هـٰذا خُلقَهُ) .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٠٧) ، وفيه : (ولا يرى العرائس إلا من يكون مَحْرَماً لهم) ، والمحرمون كما في « إحكام الدلالة » (٣/٢١٤) من الإحرام بالحج ؛ أي : الذين تجرَّدوا للحاق بهم .

(٢) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧/١٠٦) من طريق المصنف ، وفي بعض النسخ : (الخمول) بدل (الخمود) .

(٣) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخه » (٧/١٠٦) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١/٣٠٦) .

وقالَ أبو عليٍّ الجُوزجانيُّ : (الوليُّ : هوَ الفاني في حالِهِ ، الباقي في مشاهدةِ الحقِّ ، تولَّى اللهُ سبحانَهُ سياستَهُ ، فتوالَتْ عليهِ أنوارُ التولِّي ، لمْ يكنْ لهُ عنْ نفسِهِ إخبارٌ ، ولا معَ غيرِ اللهِ قرارٌ)[1] .

وقالَ أبو يزيدَ : (حظوظُ الأولياءِ معَ تباينِها مِنْ أربعةِ أسماءٍ ، وقيامُ كلِّ فريقٍ منهُمْ باسمٍ منها ؛ ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ .

فمَنْ فَنِيَ عنها بعدَ ملابستِها . . فهوَ الكاملُ التامُّ ، ومَنْ كان حظُّهُ مِنِ اسمِهِ الظاهرِ . . لاحظَ عجائبَ قدرتِهِ ، ومَنْ كانَ حظُّهُ مِنِ اسمِهِ الباطنِ . . لاحظَ ما جرىٰ في السرائرِ مِنْ أنوارِهِ ، ومَنْ كانَ حظُّهُ مِنِ اسمِهِ الأوَّلِ . . كانَ شغلُهُ بما سبقَ ، ومَنْ لاحظَ اسمَهُ الآخرَ . . كانَ مُرتبطاً بما يستقبلُهُ ، وكلٌّ كُوشفَ علىٰ قدْرِ طاقتِهِ ، إلَّا مَنْ تولاهُ الحقُّ سبحانَهُ ببرِّهِ ، وقامَ عنهُ بنفسِهِ)[2] .

قالَ الأستاذُ : هٰذا الذي قالَهُ أبو يزيدَ يشيرُ إلىٰ أنَّ الخواصَّ مِنْ عبادِهِ ارتقَوا عنْ هٰذهِ الأقسامِ ، فلا العواقبُ همْ في ذكرِها ، ولا السوابقُ همْ في فكرِها ، ولا الطوارقُ همْ في أسرِها ، وكذا أصحابُ الحقائقِ يكونونَ مَحْواً عنْ نعوتِ الخلائقِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[3] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (الوليُّ ريحانُ اللهِ تعالىٰ في الأرضِ ، يشَمُّهُ الصدِّيقونَ ، فتصلُ رائحتُهُ إلىٰ قلوبِهِمْ ، فيشتاقونَ بهِ إلىٰ مولاهُمْ ، ويزدادونَ عبادةً علىٰ تفاوتِ أخلاقِهِمْ) .

وسُئِلَ الواسطيُّ : كيفَ يُغذَّى الوليُّ في ولايتِهِ ؟ فقالَ : في بدايتِهِ بعبادتِهِ ، وفي كهولتِهِ يسترُهُ بلطافتِهِ[4] ، ثمَّ يجذبُهُ إلىٰ ما سبقَ لهُ مِنْ نعوتِهِ وصفاتِهِ ، ثمَّ يذيقُهُ طعْمَ قيامِهِ بهِ في أوقاتِهِ .

---

(١) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٠٧) ، وفي هامشه (أ) : (بلغ) .

(٢) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٠٥) عن الواسطي ، والآية من سورة الحديد : (٣) .

(٣) سورة الكهف : (١٨) .

(٤) في (ج ، ح ، ي) : (بسَتْرِهِ بلطافته) .

وقيلَ : علامةُ الوليِّ ثلاثةٌ : شغلُهُ باللهِ ، وفرارُهُ إلى اللهِ ، وهمُّهُ اللهُ .

وقالَ الخرَّازُ : (إذا أرادَ اللهُ تعالىٰ أنْ يُواليَ عبداً مِنْ عبيدِهِ . . فتحَ عليهِ بابَ ذكرِهِ ، فإنِ استلذَّ الذكرَ . . فتحَ عليهِ بابَ القُرْبِ ، ثمَّ رفعَهُ إلىٰ مجالسِ الأُنسِ ، ثمَّ أجلسَهُ علىٰ كرسيِّ التوحيدِ ، ثمَّ رفعَ عنهُ الحُجُبَ ، وأدخلَهُ دارَ الفردانيَّةِ ، وكشفَ عنهُ الجلالَ والعظمةَ (١) ، فإذا وقعَ بصرُهُ على الجلالِ والعظمةِ . . بقيَ بلا هوَ (٢) ، فحينئذٍ صارَ العبدُ زَمِناً فانياً ، فوقعَ في حفظِهِ سبحانَهُ ، وبرئَ مِنْ دعاوىٰ نفسِهِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : قالَ أبو ترابٍ النسفيُّ : (إذا ألِفَ القلبُ الإعراضَ عنِ اللهِ . . صحبَتْهُ الوقيعةُ في أولياءِ اللهِ) (٣) .

ويُقالُ : مِنْ صفةِ الوليِّ : ألَّا يكونَ لهُ خوفٌ ؛ لأنَّ الخوفَ ترقُّبُ مكروهٍ يحلُّ في المستقبلِ ، أوِ انتظارُ محبوبٍ يفوتُ في المستأنفِ ، والوليُّ ابنُ وقتِهِ ، ليسَ لهُ مستقبلٌ فيخافَ شيئاً .

وكما لا خوفَ لهُ . . لا رجاءَ لهُ ؛ لأنَّ الرجاءَ انتظارُ محبوبٍ يحصلُ ، أوْ مكروهٍ يُكشَفُ ، وذٰلكَ في الثاني مِنَ الوقتِ .

وكذٰلك لا حزنَ لهُ ؛ لأنَّ الحزنَ مِنْ حُزونةِ الوقتِ (٤) ، ومَنْ كانَ في ضياءِ الرضا وبردِ الموافقةِ . . فأنَّىٰ يكونُ لهُ حزنٌ ؟! قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥) .

* * *

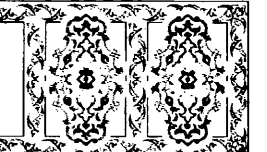
(١) أي : ليريهما له ، وفي (ي) : (وكشف له عن الجلال والعظمة) .

(٢) أي : ناسياً نفسه في ذكره . « إحكام الدلالة » (٣/٢١٨) .

(٣) ورواه عنه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠/٣٤٧) ، والنسفي ـ كما في أكثر النسخ ـ هو النخشبي ، ونَسَفُ هي نَخْشَبُ ، وفي هامش (ل) : (النسبة إلىٰ نَخْشَبَ في اصطلاح العرب : نسفيٌّ ، والنخشبي مما ترك علىٰ حاله) .

(٤) في « إحكام الدلالة » (٣/٢١٨) : (القلب) بدل (الوقت) ، وقال : (أي : صعوبته) .

(٥) سورة يونس : (٦٢) .



بابُ الدّعاء

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [(١)] .

أخبرَنـا عليُّ بـنُ أحمدَ بـنِ عبدانَ قـالَ : أخبرَنـا أبو الحسـنِ الصفَّارُ البصـريُّ قـالَ : حدَّثنا محمدُ بـنُ أحمدَ العُـوديُّ قالَ : حدَّثنـا كاملٌ قالَ : حدَّثنـا ابنُ لَهيعةَ قـالَ : حدَّثَنا خالدُ بـنُ يزيدَ ، عنْ سـعيدِ بنِ أبي هلالٍ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ : أنَّ رسـولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسـلَّمَ قالَ : « الدعاءُ مخُّ العبادةِ » [(٢)] .

قالَ الأستاذُ : الدعاءُ مفتاحُ الحاجةِ ، وهوَ مُستروَحُ أصحابِ الفاقاتِ ، وملجأُ المضطرِّينَ ، ومتنفَّسُ ذوي المآربِ .

وقدْ ذمَّ اللهُ تعالىٰ قوماً تركوا الدعاءَ فقال : ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ [(٣)] قيلَ : لا يمدُّونَها إلينا في السؤالِ [(٤)] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (خلقَ اللهُ الخلقَ وقالَ : ناجوني ؛ فإنْ لمْ تفعلوا . . فانظروا إليَّ ، فإنْ لمْ تفعلوا . . فاسمعوا منِّي ، فإنْ لمْ تفعلوا . . فكونوا ببابي ، فإنْ لمْ تفعلوا . . فأنزلوا حاجاتِكُمْ بي) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أقربُ الدعاءِ إلى الإجابةِ : دعاءُ الحالِ) .

ودعاءُ الحالِ : أنْ يكونَ صاحبُهُ مضطراً ، لا بدَّ لهُ ممَّا يدعو لأجلِهِ .

---

(١) سورة غافر : (٦٠) ، وفي (ي) وحدها زيادة قبل الآية : (قال الله تعالى : ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥]) .

(٢) ورواه الترمذي (٣٣٧١) .

(٣) سورة التوبة : (٦٧) .

(٤) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٢/٣٧٩) .

أخبرَنا حمزةُ بنُ يوسفَ السهميُّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ المكانسيَّ يقولُ : كنتُ عندَ الجنيدِ ، فأتتِ امرأةٌ [إليهِ] ، وقالَتْ : ادعُ اللهَ تعالىٰ [لي](١) ؛ فإنَّ ابناً لي ضاعَ ، فقالَ : اذهبي واصبري ، فمضَتْ ثمَّ عادَتْ ، فقالَتْ مثلَ ذٰلكَ ، فقالَ الجنيدُ : اذهبي واصبري ، فمضَتْ ثمَّ عادَتْ ، ففعلَتْ مثلَ ذٰلكَ مرَّاتٍ والجنيدُ يقولُ : اصبري .

فقالَتْ : عِيلَ صبري ، ولمْ يبقَ لي طاقةٌ ، فادعُ لي ، فقالَ الجنيدُ : إنْ كانَ كما قلتِ . . فاذهبي ؛ فقدْ رجعَ ابنُكِ ، فمضَتْ ، ثمَّ عادَتْ تشكرُ لهُ ، فقيلَ للجنيدِ : بِمَ عرفتَ ذٰلكَ ؟ فقالَ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾(٢) .

واختلفَ الناسُ في أنَّ الأفضلَ الدعاءُ أمِ السكوتُ والرضا ؟

فمنهم مَنْ قال : الدعاءُ في نفسِهِ عبادةٌ ؛ قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « الدعاءُ مخُّ العبادةِ »(٣) ، والإتيانُ بما هوَ عبادةٌ أولىٰ مِنْ تركِهِ ، ثمَّ هوَ حقُّ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، فإنْ لمْ يُستجَبْ للعبدِ ولمْ يصلْ إلىٰ حظِّ نفسِهِ . . فلقدْ قامَ بحقِّ ربِّهِ ؛ لأنَّ الدعاءَ إظهارُ فاقةِ العبوديةِ ، وقدْ قالَ أبو حازمٍ الأعرجُ : (لَئِنْ أُحرَمَ الدعاءَ أشدُّ عليَّ مِنْ أنْ أُحرمَ الإجابةَ) .

وطائفةٌ قالوا : السكوتُ والخمودُ تحتَ جريانِ الحكْمِ أتمُّ ، والرضا بما سبَقَ مِنِ اختيارِ الحقِّ أولىٰ ، ولهٰذا قالَ الواسطيُّ : (اختيارُ ما جرىٰ لكَ في الأزلِ خيرٌ لكَ مِنْ معارضةِ الوقتِ)(٤) .

وقدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خبراً عنِ اللهِ تعالىٰ : « مَنْ شغلَهُ ذكري عنْ مسألتي . . أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطي السائلينَ »(٥) .

---

(١) قوله : (إليه ، لي) مثبت من (ي) وحدها .

(٢) سورة النمل : (٦٢) .

(٣) تقدم قريباً (ص ٥٥٩) .

(٤) أورده السُّلمي في « تفسيره » (١/٣٤١) .

(٥) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٥٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٦٧) من حديث ←

وقالَ قومٌ : يجبُ أنْ يكونَ العبدُ صاحبَ دعاءٍ بلسانِهِ ، وصاحبَ رضاً بقلبِهِ ؛ ليأتيَ بالأمرينِ جميعاً .

والأولىٰ أنْ يُقالَ : إنَّ الأوقاتَ مختلفةٌ ؛ ففي بعضِ الأحوالِ الدعاءُ أفضلُ مِنَ السكوتِ ، وهوَ الأدبُ ، وفي بعضِ الأحوالِ السكوتُ أفضلُ مِنَ الدعاءِ ، وهوَ الأدبُ ، وإنَّما يُعرَفُ ذٰلكَ في الوقتِ ؛ لأنَّ علمَ الوقتِ يحصلُ في الوقتِ ، فإذا وجدَ بقلبِهِ إشارةً إلى الدعاءِ . . فالدعاءُ بهِ أولىٰ ، وإذا وجدَ إشارةً إلى السكوتِ . . فالسكوتُ لهُ أتمُّ .

ويصحُّ أنْ يُقالَ : ينبغي للعبدِ ألَّا يكونَ ساهياً عنْ شهودِ ربِّهِ تعالىٰ في حالِ دعائِهِ ، ثمَّ يجبُ أنْ يُراعيَ حالَهُ ؛ فإنْ وجدَ مِنَ الدعاءِ زيادةَ بسطٍ في وقتِهِ . . فالدعاءُ لهُ أولىٰ ، وإنْ عادَ إلىٰ قلبِهِ في وقتِ الدعاءِ شبهُ زجرٍ ومثلُ قبضٍ . . فالأولىٰ تركُ الدعاءِ في هٰذا الوقتِ ، وإنْ لمْ يجدْ في قلبِهِ لا زيادةَ بسطٍ ولا حصولَ زجرٍ . . فالدعاءُ وتركُهُ ها هنا سِيَّانِ .

فإنْ كانَ الغالبُ عليهِ في هٰذا الوقتِ العلمَ . . فالدعاءُ أولىٰ ؛ لكونِهِ عبادةً ، وإن كانَ الغالبُ عليهِ في هٰذا الوقتِ المعرفةَ والحالَ . . فالسكوتُ والسكونُ أولىٰ .

ويصحُّ أنْ يُقالَ : ما كان للمسلمينَ فيهِ نصيبٌ ، أوْ للحقِّ سبحانَهُ فيهِ حقٌّ . . فالدعاءُ أولىٰ ، وما كانَ لنفسِكَ فيهِ حظٌّ . . فالسكوتُ أتمُّ ، وفي الخبرِ المرويِّ : « إنَّ العبدَ يدعو واللهُ تعالىٰ يحبُّهُ ، فيقولُ : يا جبريلُ ؛ أخِّرْ حاجةَ عبدي ؛ فإنِّي أحبُّ أنْ أسمعَ صوتَهُ ، وإنَّ العبدَ لَيدعو وهوَ يبغضُهُ ، فيقولُ : يا جبريلُ ؛ اقضِ لعبدي حاجتَهُ ؛ فإنِّي أكرهُ أنْ أسمعَ صوتَهُ »[1] .

← سيدنا عمر رضي الله عنه ، وهو عند الترمذي (٢٩٢٦) من حديث سيدنا أبي سعيد رضي الله عنه ولكن بلفظ : (القرآن) بدل (ذكري) بنحوه ، وكلاهما شاهد .

(١) رواه الطبراني في « الدعاء » (٨٧) ، وفي « المعجم الأوسط » (٨٤٣٧) من حديث جابر رضي الله عنه .

ويُحكىٰ أنَّ يحيى بنَ سعيدِ القطَّانَ رحمَهُ اللهُ رأى الحقَّ سبحانَهُ في منامِهِ ، فقالَ : إلٰهي ؛ كمْ أدعوكَ فلا تجيبُني !

فقالَ : يا يحيىٰ ؛ لأنِّي أحبُّ أنْ أسمعَ صوتَكَ .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « والذي نفسي بيدِهِ ؛ إنَّ العبدَ لَيدعو اللهَ وهوَ عليهِ غضبانُ ، فيعرضُ عنهُ ، ثمَّ يدعوهُ ، فيعرضُ عنهُ ، ثمَّ يدعوهُ ، فيقولُ اللهُ تعالىٰ لملائكتِهِ : أبىٰ عبدي أنْ يدعوَ غيري ، وقدِ استجبتُ لهُ »(١) .

أخبرَنا أبو الحسينِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ بِشْران ببغدادَ قالَ : حدَّثَنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أحمدَ المعروفُ بابنِ السمَّاكِ قالَ : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدويهِ الحُضْريُّ قالَ(٢) : حدَّثنا بشرُ بنُ عبدِ الملكِ قالَ : حدَّثَنا موسى بنُ الحجَّاجِ قالَ : قالَ مالكُ بنُ دينارٍ : حدَّثَنا الحسنُ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : كانَ رجلٌ علىٰ عهدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يتَّجرُ مِنْ بلادِ الشامِ إلى المدينةِ ، ومِنَ المدينةِ إلىٰ بلادِ الشامِ ، ولا يصحبُ القوافلَ توكُّلاً منهُ على اللهِ عزَّ وجلَّ .

قالَ : فبينا هوَ جاءٍ مِنَ الشامِ يريدُ المدينةَ . . إذْ عرضَ لهُ لصٌّ علىٰ فرسٍ ، فصاحَ بالتاجرِ : قفْ ، فوقفَ لهُ التاجرُ ، وقالَ لهُ : شأنَكَ بمالي ، وخلِّ سبيلي ، قالَ : فقالَ لهُ اللصُّ : المالُ مالي ، وإنَّما أريدُ نفسَكَ ، قالَ لهُ التاجرُ : ما ترجو بنفسي ؟! شأنَكَ والمالَ وخلِّ سبيلي ، قالَ : فردَّ عليهِ اللصُّ مثلَ المقالةِ الأولىٰ ، فقالَ لهُ التاجرُ : أنظِرْني حتَّىٰ أتوضَّأَ وأصلِّيَ وأدعوَ ربِّي عزَّ وجلَّ ، قالَ : افعلْ ما بدا لكَ .

قالَ : فقامَ التاجرُ وتوضَّأَ ، وصلَّىٰ أربعَ رَكَعاتٍ ، ثمَّ رفعَ يدَهُ إلى

---

(١) رواه الطبراني في « الدعاء » (٢١) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٢) في (ي) : (عبد ربه الحضرمي) بدل (عبدويه الحصري) .

السماءِ ، فكانَ مِنْ دعائِهِ أنْ قالَ : يا ودودُ ، يا ودودُ[1] ، يا ذا العرشِ المجيدَ ، يا مبدئُ يا معيدُ ، يا فعَّالاً لما يريدُ ؛ أسألُكَ بنورِ وجهِكَ الذي ملأَ أركانَ عرشِكَ ، وأسألُكَ بقدرَتِكَ التي قدرتَ بها علىٰ خلقِكَ ، وبرحمتِكَ التي وسعَتْ كلَّ شيءٍ ، لا إلـٰهَ إلَّا أنتَ ، يا مغيثُ ؛ أغثْني ، ثلاثَ مرَّاتٍ .

فلمَّا فرغَ مِنْ دعائِهِ . . إذا بفارسٍ علىٰ فرسٍ أشهبَ ، عليهِ ثيابٌ خضْرٌ ، بيدِهِ حربةٌ مِنْ نورٍ ، فلمَّا نظرَ اللصُّ إلى الفارسِ . . تركَ التاجرَ ومرَّ نحوَ الفارسِ ، فلمَّا دنا منهُ . . شدَّ الفارسُ على اللصِّ ، فطعنَهُ طعنةً أرداهُ عنْ فرسِهِ ، ثمَّ جاءَ إلى التاجرِ فقالَ لهُ : قمْ فاقتلْهُ ، فقالَ لهُ التاجرُ : مَنْ أنتَ ؟ فما قتلتُ أحداً قطُّ ، ولا تطيبُ نفسي بقتلِهِ .

قالَ : فرجعَ الفارسُ إلى اللصِّ فقتلَهُ ، ثمَّ جاءَ إلى التاجرِ وقالَ : اعلمْ أنِّي مَلَكٌ مِنَ السماءِ الثالثةِ ، حينَ دعَوتَ الأولىٰ سمعْنا لأبوابِ السماءِ قعقعةً ، فقلْنا : أمرٌ حدثَ ، ثمَّ دعَوتَ الثانيةَ ففُتحَتْ أبوابُ السماءِ ولها شَرَرٌ كشَرَرِ النارِ ، ثمَّ دعَوتَ الثالثةَ فهبطَ جبريلُ عليهِ السلامُ علينا مِنْ قبلِ السماءِ وهوَ ينادي : مَنْ لهـٰذا المكروبِ ؟ فدعَوتُ ربِّي عزَّ وجلَّ أنْ يوليَني قتلَهُ ، واعلمْ - يا عبدَ اللهِ - أنَّهُ مَنْ دعا بدعائِكَ هـٰذا في كلِّ كربةٍ وكلِّ شدَّةٍ وكلِّ نازلةٍ . . فرَّجَ اللهُ تعالىٰ عنهُ وأعانَهُ .

قالَ : وجاءَ التاجرُ سالماً غانماً ، حتَّىٰ دخلَ المدينةَ ، وجاءَ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فأخبرَهُ القصَّةَ ، وأخبرَهُ بالدعاءِ ، فقالَ لهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لقدْ لقَّنَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ أسماءَهُ الحسنى التي إذا دُعِيَ بها . . أجابَ ، وإذا سُئِلَ بها . . أعطىٰ »[2] .

---

(١) في (ج) : (يا ودود) ثلاثاً ، وعند ابن أبي الدنيا واحدة .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (٢٣) ، واسم الصحابي صاحب الخبر : أبو معلَّق الأنصاري رضي الله عنه .

ومِنْ آدابِ الدعاءِ : حضورُ القلبِ ، وألَّا يكونَ ساهياً ؛ فقدْ رُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إنَّ اللهَ تعالىٰ لا يستجيبُ دعاءَ عبدٍ مِنْ قلبٍ لاهٍ »[١] .

ومِنْ شرائطِهِ : أنْ يكونَ مطعمُهُ حلالاً ؛ فلقدْ قالَ لسعدٍ : « أطبْ كسبَكَ . . تُستجَبْ دعوتُكَ »[٢] .

وقدْ قيلَ : الدعاءُ مفتاحُ الحاجةِ ، وأسنانُهُ لُقَمُ الحلالِ .

وكانَ يحيى بنُ معاذٍ يقولُ : (كيفَ أدعوكَ وأنا عاصٍ ؟! وكيفَ لا أدعوكَ وأنتَ كريمٌ ؟!)[٣] .

وقيلَ : مرَّ موسىٰ عليهِ السلامُ برجلٍ يدعو ويتضرَّعُ ، فقالَ موسىٰ عليهِ السلامُ : إلٰهي ؛ لوْ كانَتْ حاجتُهُ بيدي . . قضَيتُها ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : أنا أرحمُ بهِ منكَ ، ولٰكنَّهُ يدعوني ولهُ غنمٌ وقلبُهُ عندَ غنمِهِ ، وإنِّي لا أستجيبُ لعبدٍ يدعوني وقلبُهُ عندَ غيري ، فذكرَ موسىٰ عليهِ السلامُ للرجلِ ذٰلكَ ، فانقطعَ إلى اللهِ تعالىٰ بقلبِهِ ، فقُضِيَتْ حاجتُهُ .

وقيلَ لجعفرٍ الصادقِ : ما بالُنا ندعو فلا يستجابَ ؟ فقالَ : لأنَّكُمْ تدعونَ مَنْ لا تعرفونَهُ[٤] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : ظهرَ ليعقوبَ بنِ الليثِ علَّةٌ أعيَتِ الأطباءَ ، فقالوا لهُ : في ولايتِكَ رجلٌ صالحٌ يُسمَّىٰ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ ، لوْ دعا لكَ ؛ لعلَّ اللهَ تعالىٰ يستجيبُ لهُ .

فاستحضرَ سهلاً ، وقالَ : ادعُ اللهَ عزَّ وجلَّ لي ، فقالَ سهلٌ : كيفَ يستجابُ دعائي فيكَ وفي محبسِكَ مظلومونَ ، فأطلقَ كلَّ مَنْ كانَ في حبسِهِ ، فقالَ

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤٩١) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) كذا في « صفة الصفوة » (٤/٦٢) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦١٧) .

ســهلٌ : اللهمَّ ؛ كما أريتَــهُ ذلَّ المعصيةِ . . فـأرِهِ عزَّ الطاعةِ ، وفـرِّجْ عنهُ ، فعُوفيَ .

فعرضَ مالاً علىٰ ســهلٍ ، فأبىٰ أنْ يقبلَهُ ، فقيلَ لـهُ : لوْ قبلتَهُ ودفعتَهُ إلى الفقــراءِ ، فنظرَ إلى الحصباءِ في الصحراءِ ، فإذا هيَ جواهرُ ، فقالَ لأصحابِهِ : مَنْ يُعطىٰ مثلَ هـٰذا يحتاجُ إلىٰ مالِ يعقوبَ بنِ الليثِ ؟! [1] .

وقيلَ : كانَ صالحٌ المرِّيّ يقولُ كثيراً : مَنْ أدمنَ قرعَ بابٍ . . يوشكُ أنْ يُفتَحَ لهُ ، فقالَتْ لهُ رابعةُ : إلىٰ متىٰ تقولُ هـٰذا ؟! متىٰ أُغلِقَ هـٰذا البابُ حتَّىٰ يُستفتَحَ ؟! فقالَ صالحٌ : شيخٌ جهلَ وامرأةٌ علمَتْ .

سمعتُ الشــيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : ســمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : ســمعتُ أبا بكرٍ الحَرْبيَّ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : حضرتُ مجلسَ معــروفٍ الكرخــيِّ ، فقامَ إليهِ رجلٌ فقالَ : يا أبا محفــوظٍ ؛ ادعُ اللهَ تعالىٰ أنْ يردَّ عليَّ كيســي ؛ فإنَّهُ سُــرِقَ وفيهِ ألفُ دينارٍ ، فسكتَ ، فأعادَ ، ثمَّ سكتَ ، فأعــادَ ، فقالَ معروفٌ : ماذا أقولُ ؟ أقولُ : مـا زويتَهُ عنْ أنبيائِكَ وأصفيائِكَ فرُدَّهُ عليهِ ؟! فقالَ الرجلُ : فادعُ اللهَ تعالىٰ لي ، فقالَ : اللهمَّ ؛ خِرْ لهُ .

وحُكِيَ عنِ الليثِ أنَّهُ قالَ : رأيتُ عقبةَ بنَ نافعٍ ضريراً [2] ، ثمَّ رأيتُهُ بصيراً ، فقلتُ لهُ : بِمَ رُدَّ عليكَ بصرُكَ ؟

فقالَ : أُتيتُ في منامي ، فقيلَ لي : قلْ : يا قريبُ ، يا مجيبُ ، يا سميعَ الدعاءِ ، يا لطيفاً لما يشاءُ ؛ رُدَّ عليَّ بصري ، فقلتُها ، فردَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عليَّ بصري .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَةُ اللهِ عليهِ يقولُ : كانَ بي وجعُ العينِ [في] ابتداءِ [أمري وقتَ] ما [3] رجعتُ إلىٰ نيسابورَ مِنْ مروَ ، وكنتُ منذُ

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢١٠) .

(٢) والليث لم يدرك عقبة ، فلعل الرواية : رُئي .

(٣) كذا في (ز) وحدها ، وفي سائر النسخ : (كان بي وجع العين ابتداء ما . . .) .

أيامٍ لمْ أجدِ النومَ ، فتناعستُ صباحاً ، فسمعتُ قائلاً يقولُ لي : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [1] ، فانتبهتُ وقدْ فارقَني الرمدُ ، وزالَ عنِّي في الوقتِ الوجعُ ، ولمْ يصبْني بعدَ ذٰلكَ وجعُ العينِ .

وحُكِـيَ عـنْ محمدِ ابنِ خزيمـةَ أنَّهُ قـالَ : لمَّا ماتَ أحمـدُ ابنُ حنبلٍ رحمَـهُ اللهُ . . كنتُ بالإسـكندريةِ ، فاغتممـتُ ، فرأيتُ فـي المنامِ أحمدَ ابنَ حنبـلٍ وهوَ يتبختـرُ ، فقلتُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ أيُّ مشـيةٍ هٰذهِ ؟ فقالَ : مشـيةُ الخدَّامِ في دارِ السـلامِ ، قلتُ : ما فعلَ اللهُ عزَّ وجلَّ بكَ ؟ قالَ : غفرَ لي ، وتوَّجَني ، وألبَسـني نعلينِ مِـنْ ذهبٍ ، وقالَ : يا أحمدُ ؛ هٰذا بقولِكَ : القرآنُ كلامي .

ثمَّ قالَ : ادعُني يا أحمدُ بتلكَ الدعواتِ التي بلغتْكَ عنْ سفيانَ الثوريِّ وكنتَ تدعو بها في دارِ الدنيا ، فقلتُ : يا ربَّ كلِّ شيءٍ ، بقدرتِكَ علىٰ كلِّ شيءٍ ؛ اغفرْ لي كلَّ شيءٍ ، ولا تسألْني عنْ شيءٍ ، فقالَ : يا أحمدُ ؛ هٰذهِ الجنةُ فادخلْها ، فدخلتُها [2] .

وقيلَ : تعلَّقَ شابٌّ بأستارِ الكعبةِ وقالَ : إلٰهي ؛ لا شريكَ لكَ فيُؤتىٰ ، ولا وزيرَ لكَ فيُرشىٰ ، إنْ أطعتُكَ . . فبفضلِكَ فلكَ الحمدُ ، وإنْ عصيتُكَ . . فبجهلِي ولكَ الحُجَّةُ عليَّ ، فبإثباتِ حُجَّتِكَ عليَّ ، وانقطاعِ حُجَّتي لديكَ . . إلَّا غفرتَ لي ، فسمعَ هاتفاً يقولُ : الفتىٰ عتيقٌ مِنَ النارِ .

وقيلَ : فائدةُ الدعاءِ : إظهارُ الفاقةِ بينَ يديهِ ، وإلَّا . . فالربُّ عزَّ وجلَّ يفعلُ ما يشاءُ .

وقيلَ : دعاءُ العامَّةِ بالأقوالِ ، ودعاءُ الزاهدِ بالأفعالِ ، ودعاءُ العارفِ بالأحوالِ .

---

(١) سورة الزمر : (٣٦) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/١٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٥/٣٣٦) .

وقيلَ : خيرُ الدعاءِ : ما هيَّجَهُ الأحزانُ .

وقالَ بعضُهُمْ : إذا سألتَ اللهَ تعالىٰ حاجةً فتسهَّلَتْ . . فسَلِ اللهَ الجنَّةَ ؛ فلعلَّ ذٰلكَ يومُ إجابتِكَ .

وقيلَ : ألسنةُ المبتدِئينَ منطلقةٌ بالدعاءِ ، وألسنةُ المتحقِّقينَ خرِسَتْ عنْ ذٰلكَ .

وسُئِلَ الواسطيُّ أنْ يدعوَ ، فقالَ : أخشىٰ إنْ دعوتُ أنْ يقالَ لي : إنْ سألتَنا ما لكَ عندَنا . . فقدِ اتهمتَنا ، وإنْ سألتَنا ما ليسَ لكَ عندَنا . . فقدْ أسأتَ الثناءَ علينا ، وإنْ رضِيتَ . . أجرَينا لكَ مِنَ الأمورِ ما قضَينا لكَ في الدهورِ .

ورُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ مَنازلَ أنَّهُ قالَ(١) : (ما دعوتُ منذُ خمسينَ سنةً ، ولا أُريدُ أنْ يدعوَ لي أحدٌ) .

وقيلَ : الدعاءُ سُلَّمُ المذنبينَ .

وقيلَ : الدعاءُ : المراسلةُ ، وما دامَتِ المراسلةُ باقيةً . . فالأمرُ جميلٌ بعدُ .

وقيلَ : لسانُ المذنبينَ دموعُهُمْ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (إذا بكى المذنبُ . . فقدْ راسلَ اللهَ عزَّ وجلَّ) .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الطويل]

دُمُـوعُ ٱلْفَتَـىٰ عَمَّـا يُجِـنُّ تُتَرْجِـمُ ... وَأَنْفَاسُـهُ يُبْدِيـنَ مَـا ٱلْقَلْـبُ يَكْتُـمُ

وقالَ بعضُهُمْ : الدعاءُ : تركُ الذنوبِ .

وقيلَ : الدعاءُ : لسانُ الاشتياقِ إلى الحبيبِ .

وقيلَ : الإذنُ في الدعاءِ خيرٌ(٢) مِنَ العطاءِ .

---

(١) في (ي) : (عبد الله بن المبارك) .

(٢) في (ب ، هـ ، و ، ز ، ح) : (جزءٌ) بدل (خيرٌ) .

وقالَ الكَتَّانيُّ : (لمْ يفتحِ اللهُ تعالىٰ لسانَ المؤمنِ بالمعذرةِ إلَّا لفتحِ بابِ المغفرةِ) .

وقيلَ : الدعاءُ يُوجِبُ الحضورَ ، والعطاءُ يوجبُ الصَّرْفَ ، والمُقامُ على البابِ أتمُّ مِنَ الانصرافِ بالمبارِّ (١) .

وقيلَ : الدعاءُ : مواجهةُ الحقِّ بلسانِ الحياءِ .

وقيلَ : شرطُ الدعاءِ : الوقوفُ معَ القضاءِ بوصفِ الرضاءِ .

وقيلَ : كيفَ تنتظرُ إجابةَ الدعوةِ وقدْ سدَدْتَ طريقَها بالهفوةِ ؟!

وقيلَ لبعضِهِمْ : ادعُ لي ، فقالَ : كفاكَ مِنْ الأجنبيةِ أنْ تجعلَ بينَكَ وبينَهُ واسطةً .

سمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ السهميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الفتحِ نصرَ بنَ أحمدَ بنِ عبدِ الملكِ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرحمٰنِ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : جاءَتِ امرأةٌ إلىٰ بقيِّ بنِ مَخْلَدٍ ، فقالَتْ : إنَّ ابني قدْ أسرَهُ الرومُ ، ولا أقدرُ علىٰ مالٍ أكثرَ مِنْ دُويرةٍ (٢) ، ولا أقدرُ علىٰ بيعِها ، فلوْ أشرتَ إلىٰ مَنْ يفديهِ بشيءٍ ؛ فإنَّهُ ليسَ لي ليلٌ ولا نهارٌ ، ولا نومٌ ولا قرارٌ .

فقالَ : نعمْ ؛ انصرفي حتَّىٰ أنظرَ في أمرِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

قالَ : فأطرقَ الشيخُ وحرَّكَ شفتيهِ ، قالَ : فلبثْنا مدَّةً ، فجاءَتِ المرأةُ ومعَها ابنُها ، وأخذَتْ تدعو لهُ وتقولُ : قدْ رجعَ سالماً ، ولهُ حديثٌ يحدِّثُكَ بهِ .

فقالَ الشابُّ : كنتُ في يدَيْ بعضِ ملوكِ الرومِ معَ جماعةٍ مِنَ الأسارىٰ ، وكانَ لهُ إنسانٌ يستخدمُنا كلَّ يومٍ ، يخرجُنا إلى الصحراءِ للخدمةِ ، ثمَّ يردُّنا وعلينا قيودُنا ، فبينا نحنُ نجيءُ مِنَ العملِ بعدَ المغربِ معَ صاحبِهِ الذي

---

(١) في (ي) : (بالمثاب) بدل (بالمبارِّ) .

(٢) أرادت داراً صغيرة ، والعبارة في (أ) : (ولي دارٌ ولا أقدر علىٰ بيعها) .

كانَ يحفظُنا . . فانفتحَ القيدُ مِنْ رجلي ووقعَ على الأرضِ ، ووصفَ اليومَ والساعةَ ، فوافقَ الوقتَ الذي جاءَتِ المرأةُ ودعا الشيخُ .

قالَ : فنهضَ إليَّ الذي كانَ يحفظُني وصاحَ عليَّ وقالَ : كسرتَ القيدَ ؟! قلتُ : لا ، إنَّهُ سقطَ مِنْ رجلي ، قالَ : فتحيَّرَ ، وأخبرَ صاحبَهُ ، وأحضروا الحدَّادَ وقيَّدوني ، فلمَّا مَشيتُ خطواتٍ . . سقطَ القيدُ مِنْ رجلي ، فتحيَّروا في أمري ، فدعَوا رهبانَهُمْ ، فقالوا لي : ألكَ والدةٌ ؟ قلتُ : نعمْ ، فقالوا : وافقَ دعاؤُها الإجابةَ ، وقالوا : أطلقَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ ، فلا يمكنُنا تقييدُكَ ، فزوَّدوني وأصحبوني إلىٰ ناحيةِ المسلمينَ [1] .

* * *

---

(١) ورواه ابن الجوزي في « المنتظم » (٧/٢٢٠) من طريق المصنف .

بابُ الفقرِ

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ... ﴾ الآيةَ[1] .

أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الحسينُ بنُ شجاعِ بنِ الحسنِ بنِ موسى البزَّازُ ببغدادَ قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الهيثمِ الأنباريُّ قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ محمدٍ الصائغُ قالَ : حدَّثَنا قَبيصةُ قالَ : حدَّثَنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ عمرِو بنِ علقمةَ ، عنْ أبي سلمةَ ، عنْ أبي هريرةَ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « يدخلُ الفقراءُ الجنةَ قبلَ الأغنياءِ بخمسِ مئةِ عامٍ ، نصفِ يومٍ »[2] .

وأخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدوسٍ الحِيريُّ ببغدادَ قالَ : حدَّثنا أبو أحمدَ حمزةُ بنُ العباسِ البزَّازُ ببغدادَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ غالبِ بنِ حربٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ مسلمةَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ أبي الفراتِ ، عنْ إبراهيمَ الهَجَريِّ ، عنْ أبي الأحوصِ ، عنْ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ المسكينَ ليسَ بالطَّوَّافِ الذي تردُّهُ اللقمةُ واللقمتانِ ، والتمرةُ والتمرتانِ » قالَ : فقيلَ : فَمَنِ المسكينُ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « الذي لا يجدُ ما يغنيهِ ، ويستحيي أنْ يسألَ الناسَ ، ولا يُفطَنُ لهُ فيُتصدَّقَ عليهِ »[3] .

قالَ الأستاذُ : معنىٰ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يستحيي أنْ يسألَ الناسَ » أيْ : يستحيي مِنَ اللهِ تعالىٰ أنْ يسألَ الناسَ ، لا أنَّهُ يستحيي مِنَ الناسِ .

---

(١) سورة البقرة : (٢٧٣) .

(٢) ورواه الترمذي (٢٣٥٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٨٩٧) بسند المصنف .

(٣) ورواه البخاري (١٤٧٩) ، ومسلم (١٠٣٩) .

والفقرُ شعارُ الأولياءِ ، وحليةُ الأصفياءِ ، واختيارُ الحقِّ سبحانَهُ لخواصِّهِ مِنَ الأتقياءِ والأنبياءِ .

والفقراءُ صفوةُ اللهِ عزَّ وجلَّ مِنْ عبادِهِ ، ومواضعُ أسرارِهِ بينَ خلقِهِ ، بهِمْ يصونُ الخلقَ ، وببركاتِهِمْ يبسطُ عليهِمُ الرزقَ [١] .

والفقراءُ الصُّبَّرُ جُلَساءُ اللهِ تعالىٰ يومَ القيامةِ ، بذٰلكَ وردَ الخبرُ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ رجاءٍ البُزَاريُّ قالَ [٢] : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ جعفرِ بنِ أحمدَ بنِ خُشَيْشٍ البغداديُّ قالَ : حدَّثَنا عثمانُ بنُ معبدٍ قالَ : حدَّثَنا عمرُ بنُ راشدٍ ، عنْ مالكٍ ، عنْ نافعٍ ، عنِ ابنِ عمرَ ، عنْ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لكلِّ شيءٍ مفتاحٌ ، ومفتاحُ الجنَّةِ حبُّ المساكينِ ، والفقراءُ الصُّبَّرُ هُمْ جُلَساءُ اللهِ تعالىٰ يومَ القيامةِ » [٣] .

وقيلَ : إنَّ رجلاً أتىٰ إبراهيمَ بنَ أدهمَ بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، فأبىٰ أنْ يقبلَهُ ، وقالَ : تريدُ أنْ تمحوَ اسمي مِنْ ديوانِ الفقراءِ بعشرةِ آلافِ درهمٍ ؟! لا أفعلُ [٤] .

وقالَ معاذٌ النسفيُّ : (ما أهلكَ اللهُ قوماً وإنْ عملوا ما عملوا حتَّىٰ أهانوا الفقراءَ وأذلُّوهُمْ) .

وقيلَ : لوْ لمْ يكنْ للفقيرِ فضيلةٌ غيرَ إرادتِهِ سَعةَ المسلمينَ ورُخصَ

---

(١) روى الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤١١٣) مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه : « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل إبراهيم خليل الرحمٰن ، فبهم يسقون وبهم ينصرون . . . » الحديث .

(٢) في (ي) : (الفزاري) بدل (البُزاري) ، والصواب ما أثبت ، انظر « الأنساب » (١/٣٣٧) .

(٣) تقدم (ص ٤٤٥) ، ورواه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٤١) ، ورواه السِّلَفي في « معجم السفر » (١٤١٥) من حديث سيدنا سلمان رضي الله عنه .

(٤) قوت القلوب (٢/١٩٥) ، وفيه : (ستون ألف درهم) .

أسعارِهِمْ . . لكفاهُ ذلكَ ؛ لأنَّهُ يحتاجُ إلىٰ شرائِها ، والغنيُّ يحتاجُ إلىٰ بيعِها ، هـٰذا لعوامِّ الفقراءِ ، فكيفَ حالُ خواصِّهِمْ ؟!

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكرٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ سمعانَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ مسعودٍ يقولُ : سُئِلَ يحيى بنُ معاذٍ عنِ الفقرِ ، فقالَ : حقيقتُهُ ألَّا يستغنيَ إلَّا باللهِ تعالىٰ ، ورسمُهُ عدمُ الأسبابِ كلِّها .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ القصَّارَ يقولُ : (الفقرُ لباسٌ يُورِثُ الرضا إذا تحقَّقَ العبدُ فيهِ) .

وقدِمَ على الأستاذِ أبي عليٍّ الدقَّاقِ رحمةُ اللهِ عليهِ فقيرٌ في سنةِ خمسٍ أوْ أربعٍ وتسعينَ وثلاثِ مئةٍ مِنْ زُوْزَنَ وعليهِ مِسْحٌ وقَلَنْسوةُ مِسْحٍ[1] ، فقالَ لهُ بعضُ أصحابِنا : بكمِ اشتريتَ هـٰذا المِسْحَ ؟ علىٰ وجهِ المطايبةِ .

فقالَ : اشتريتُهُ بالدنيا وما فيها ، وطُلِبَ منِّي بالآخرةِ ، فلمْ أبعْهُ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قامَ فقيرٌ في مجلسٍ يطلبُ شيئاً ، وقالَ : إنِّي جائعٌ منذُ ثلاثٍ ، وكانَ هناكَ بعضُ المشايخِ ، فصاحَ عليهِ وقالَ : كذبتَ ؛ إنَّ الفقرَ سرٌّ ، وهوَ لا يضعُ سرَّهُ عندَ مَنْ يحملُهُ إلىٰ (مَنْ يزيدُ)[2] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمداً الفرَّاءَ يقولُ : سمعتُ زكريا الشختنيَّ[3] قالَ : سمعتُ حمدوناً القصَّارَ يقولُ : (إذا اجتمعَ إبليسُ وجنودُهُ . . . لمْ يفرحوا بشيءٍ كفرحِهِمْ بثلاثةِ أشياءَ : رجلٌ مؤمنٌ قتلَ مؤمناً ، ورجلٌ يموتُ على الكفرِ ، وقلبٌ فيهِ خوفُ الفقرِ) .

---

(١) المِسْح : ثوب غليظ من الشَّعَر ، وزُوْزَنُ : بلدة واسعة بين نيسابور وهراة .

(٢) بنحوه في « اللمع » (ص ٢٧٠) ، وفي بعض النسخ : (يريد) ، قال شيخ الإسلام في « إحكام الدلالة » (٢٣٦/٣) : (من الإرادة ، وقرأه بعضهم : « يزيد » من الزيادة ، قال : أي : من يزيد في النداء بما ناديت به) ، وقد تقدم استعماله (ص ٥٣٢) .

(٣) نسبة إلىٰ شختن ، وقد تقدم في (باب الفراسة) (ص ٥١٧) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عطاءٍ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (يا معشرَ الفقراءِ ؛ إنَّكُمْ تُعرَفونَ باللهِ وتُكرَمونَ للهِ ، فانظروا كيفَ تكونونَ معَ اللهِ إذا خلوتُمْ بهِ)[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الفَرْغانيَّ يقولُ : [سمعتُ الجنيدَ][2] وقدْ سُئِلَ : الافتقارُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ أتمُّ أمِ الاستغناءُ باللهِ ؟

فقالَ : إذا صحَّ الافتقارُ إلى اللهِ . . فقدْ صحَّ الاستغناءُ باللهِ ، وإذا صحَّ الغنىٰ باللهِ تعالىٰ . . كمُلَ الغَناءُ بهِ ، فلا يُقالُ : أيُّهما أتمُّ : الافتقارُ أمِ الغنىٰ ؛ لأنَّهُما حالتانِ لا يتِمُّ إحداهُما إلَّا بالأخرىٰ .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سمعتُ رُويماً يقولُ وقدْ سُئِلَ عنْ نعتِ الفقيرِ ، فقالَ : إرسالُ النفسِ في أحكامِ اللهِ تعالىٰ .

وقيلَ : نعتُ الفقيرِ ثلاثةُ أشياءَ : حفظُ سرِّهِ ، وأداءُ فرضِهِ ، وصيانةُ فقرِهِ[3] .

وقيلَ لأبي سعيدٍ الخرَّازِ : لِمَ تأخَّرَ عنِ الفقراءِ رفقُ الأغنياءِ ؟[4] .

فقالَ : لثلاثِ خصالٍ : لأنَّ ما في أيديهِمْ غيرُ طيِّبٍ ، ولأنَّهُمْ غيرُ موفَّقينَ ، ولأنَّ الفقراءَ مرادونَ بالبلاءِ[5] .

وقيلَ : أوحى اللهُ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : إذا رأيتَ الفقراءَ . . فسائلْهُمْ

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٥٨٧) .

(٢) قوله : (سمعت الجنيد) مثبت من (هـ ، ي) ، والفرغاني يروي عنه ، أو المسؤول هو الفرغاني نفسه .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٣١) عن سهل التستري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) يعني : ما الذي منع الأغنياء عن العود بفضول أموالهم على الفقراء ؟

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٩٦) وما سبق عنه .

كما تُسـائِلُ الأغنيـاءَ ، فإنْ لمْ تفعـلْ . . فاجعلْ كلَّ شـيءٍ علَّمتُكَ تحتَ الترابِ[1] .

ورُويَ عنْ أبي الدرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : لَأَنْ أقعَ مِنْ فوقِ قصْرٍ فأتحطَّمَ . . أحبُّ إليَّ مِنْ مجالسةِ الغنيِّ ؛ لأنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إيَّاكُمْ ومجالسةَ الموتىٰ » ، قيلَ : ومَنِ الموتىٰ ؟ قالَ : « الأغنياءُ »[2] .

وقيلَ للربيعِ بنِ خُثيمٍ : قدْ غلا السعرُ ! فقالَ : نحنُ أهونُ على اللهِ تعالىٰ مِنْ أنْ يجيعَنا ، إنَّما يجيعُ أولياءَهُ .

وقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ : طلبْنا الفقرَ فاستقبلَنا الغِنىٰ ، وطلبَ الناسُ الغنىٰ فاستقبَلَهُمُ الفقرُ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عَلَّويهِ يقولُ : قيلَ ليحيى بنِ معاذٍ : ما الفقرُ ؟ قالَ : خوفُ الفقرِ ، قيلَ : فما الغنىٰ ؟ قالَ : الأمنُ باللهِ تعالىٰ[3] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ الكُرينيِّ يقولُ[4] : إنَّ الفقيرَ الصادقَ لَيحترزُ مِنَ الغنىٰ حذراً أنْ يدخلَهُ الغنىٰ فيفسدَ عليهِ فقرَهُ ، كما أنَّ الغنيَّ يحترزُ مِنَ الفقرِ حذراً أنْ يدخلَ عليهِ فيفسدَ غناهُ عليهِ .

وسُئِلَ أبو حفصٍ : بماذا يقدَمُ الفقيرُ علىٰ ربِّهِ عزَّ وجلَّ ؟ فقالَ : وما للفقيرِ أنْ يقدَمَ بهِ علىٰ ربِّهِ سوىٰ فقرِهِ ؟!

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : تريدُ أنْ يكونَ لكَ يومَ

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٠/٦١) عن سفيان رحمه الله تعالىٰ ، والمساءلة : المحادثة للتحبُّب .

(٢) روى الترمذي (١٧٨٠) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « إذا أردتِ اللحوقَ بي . . فليكفكِ من الدنيا كزادِ الراكبِ ، وإيَّاكِ ومجالسةَ الأغنياء ، ولا تستخلقي ثوباً حتىٰ ترقعيهِ » .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٥٥) .

(٤) الكُرِيني : نسبة إلىٰ قرية كُرين من قرىٰ طبس ، وسيأتي (ص ٦٣٣) : أنه أستاذ الجنيد .

القيامةِ مثلُ حسناتِ الخلقِ أجمعَ ؟ قالَ : نعمْ ، قالَ : عُدِ المريضَ ، وكُنْ لثيابِ الفقراءِ فالياً .

فجعلَ موسىٰ عليهِ السلامُ علىٰ نفسِهِ في كلِّ شهرٍ سبعةَ أيامٍ يطوفُ على الفقراءِ يَفْلي ثيابَهُمْ ، ويعودُ المرضىٰ [(١)] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (خمسةُ أشياءَ مِنْ جوهرِ النفسِ : فقيرٌ يُظهِرُ الغنىٰ ، وجائعٌ يظهِرُ الشبعَ ، ومحزونٌ يظهِرُ الفرحَ ، ورجلٌ بينَهُ وبينَ رجلٍ عداوةٌ فيظهِرُ لهُ المحبَّةَ ، ورجلٌ يصومُ بالنهارِ ويقومُ بالليلِ ولا يظهِرُ ضعفاً) [(٢)] .

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ : (أفضلُ المقاماتِ : اعتقادُ الصبرِ على الفقرِ إلى القبرِ) [(٣)] .

وقالَ ذو النونِ : (علامةُ سخطِ اللهِ على العبدِ : خوفُهُ مِنَ الفقرِ) .

وقالَ الشِّبليُّ : (أدنىٰ علاماتِ الفقرِ : أنْ لوْ كانَتِ الدنيا بأسرِها لأحدٍ فأنفقَها في يومٍ ، ثمَّ خطرَ ببالِهِ أنَّهُ لوْ أمسكَ منها قوتَ يومٍ . . ما صدقَ في فقرِهِ) [(٤)] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : (تكلَّمَ الناسُ في الفقرِ والغنىٰ أيُّهما أفضلُ ، وعندي أنَّ الأفضلَ : أن يُعطى الرجلُ كفايتَهُ ثمَّ يُصانُ فيهِ) [(٥)] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ ابنَ ياسينَ يقولُ : سمعتُ ابنَ الجَلَّا وقدْ سألتُهُ عنِ الفقرِ ، فسكتَ ، حتَّىٰ خلا ، ثمَّ ذهبَ ورجعَ عنْ قريبٍ ، ثمَّ قالَ :

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٢/٦) ضمن خبر طويل عن كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ .
(٢) أورده السلمي في « الفتوة » (ص ٦١) .
(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٥٦) .
(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٤٥) .
(٥) في هامش (أ) : (بلغ) .

كانَ عندي أربعةُ دوانيقَ ، فاستحييتُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ أنْ أتكلَّمَ في الفقرِ ، فذهبتُ وأخرجتُها ، ثمَّ قعدَ وتكلَّمَ في الفقرِ (١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الدمشقيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ ابنَ المولدِ يقولُ : سألتُ ابنَ الجَلَّا : متىٰ يستحقُّ الفقيرُ اسمَ الفقرِ ؟ فقالَ : إذا لمْ يبقَ عليهِ بقيَّةٌ منهُ .

فقلتُ : كيفَ ذاكَ ؟! فقالَ : إذا كانَ لهُ . . فليسَ لهُ ، وإذا لمْ يكنْ لهُ . . فهوَ لهُ (٢) .

وقيلَ : صحَّةُ الفقرِ : ألَّا يستغنيَ الفقيرُ في فقرِهِ بشيءٍ إلَّا بمَنْ إليهِ فقرُهُ (٣) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (إظهارُ الغنىٰ في الفقرِ أحسنُ مِنَ الفقرِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ هلالَ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ النقَّاشَ يقولُ : سمعتُ بُناناً المصريَّ يقولُ : كنتُ بمكَّةَ قاعداً وشابٌّ بينَ يديَّ ، فجاءَهُ إنسانٌ وحملَ إليهِ كيساً فيهِ دراهمُ ووضعَهُ بينَ يديهِ ، فقالَ : لا حاجةَ لي فيهِ ، فقالَ : فرِّقْهُ على المساكينِ .

فلمَّا كانَ العشاءُ . . رأيتُهُ في الوادي يطلبُ شيئاً لنفسِهِ ، فقلتُ : لوْ تركتَ لنفسِكَ ممَّا كانَ معَكَ شيئاً ؟!

قالَ : لمْ أعلمْ أنِّي أعيشُ إلىٰ هـٰذا الوقتِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ بُندارٍ الصَّيْرَفيَّ يقولُ : سمعتُ محفوظاً يقولُ : سمعتُ أبا حفصٍ يقولُ : (أحسنُ ما يتوسَّلُ بهِ العبدُ إلىٰ مولاهُ : دوامُ الفقرِ إليهِ علىٰ جميعِ الأحوالِ ، وملازمةُ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٤٦) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخه » (٣٩٢/٣٢) .

(٣) في (ج) : (يستعين) بدل (يستغني) ، ومن إليه فقره : هو الله تعالىٰ ، وفي « إحكام الدلالة » (٢٤٢/٣) : (فالفقير إلى الله هو الغني بالله ؛ بأن يستغني به عن غيره ، وهـٰذا القول قريب من الذي قبله) .

السنَّةِ في جميعِ الأفعالِ ، وطلبُ القوتِ مِنْ وجهٍ حلالٍ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ يقولُ : سمعتُ المرتعشَ يقولُ : (ينبغي للفقيرِ أَلَّا تسبقَ همتُهُ خُطوتَهُ)[1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ الوَرْثانيَّ يقولُ : سمعتُ فاطمةَ أختَ أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ تقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : كانَ أربعةٌ في زمانِهِمْ :

واحدٌ : كانَ لا يقبلُ مِنَ الإخوانِ ولا مِنَ السلطانِ ؛ [**وهوَ**] **يوسفُ بنُ أسباطٍ** ، وورثَ سبعينَ ألفَ درهمٍ ، لمْ يأخذْ منها شيئاً ، وكانَ يعملُ الخُوصَ بيدِهِ[2] .

وآخرُ : كانَ يقبلُ مِنَ الإخوانِ والسلطانِ جميعاً ؛ **وهوَ أبو إسحاقَ الفزاريُّ** ، فكانَ ما يأخذُهُ مِنَ الإخوانِ ينفقُهُ في المستورينَ الذينَ لا يتحرَّكونَ ، والذي يأخذُهُ مِنَ السلطانِ كانَ يخرجُهُ إلىٰ أهلِ طَرَسوسَ .

والثالثُ : كانَ يأخذُ مِنَ الإخوانِ ولا يأخذُ مِنَ السلطانِ ؛ **وهوَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ** ، يأخذُ مِنَ الإخوانِ ويكافئُ عليهِ .

والرابعُ : كانَ يأخذُ مِنَ السلطانِ ولا يأخذُ مِنَ الإخوانِ ؛ **وهوَ مخلدُ بنُ الحسينِ** ، كانَ يقولُ : السلطانُ لا يمُنُّ ، والإخوانُ يمنُّونَ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ في الخبرِ : « **مَنْ تواضعَ لغنيٍّ لأجلِ غناهُ .. ذهبَ ثلثا دينِهِ** »[3] : إنَّما [كانَ] ذٰلكَ ؛ لأنَّ المرءَ بقلبِهِ ولسانِهِ ونفسِهِ ، فإذا تواضعَ لغنيٍّ بنفسِهِ ولسانِهِ .. ذهبَ ثلثا دينِهِ ، فلوِ اعتقدَ فضلَهُ بقلبِهِ كما تواضعَ لهُ بلسانِهِ ونفسِهِ .. ذهبَ دينُهُ كلُّهُ .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٣) ، وفيه : (الصوفي) بدل (الفقير) .

(٢) روى الدينوري في « المجالسة » (٣٠٩٣) ما يفيد هٰذا ، وفي (ي) : (وورث من أبيه سبعين . . .) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٥٧٢) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٣١/٥) من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً .

وقيلَ : أقلُّ ما يلزمُ الفقيرَ في فقرِهِ أربعةُ أشياءَ : علمٌ يسوسُهُ ، وورعٌ يحجزُهُ ، ويقينٌ يحملُه ، وذكرٌ يؤنسُهُ[1] .

وقيلَ : مَنْ أرادَ الفقرَ لشرفِ الفقرِ . . ماتَ فقيراً ، ومَنْ أرادَ الفقرَ لئلَّا يشتغلَ عنِ اللهِ تعالىٰ . . ماتَ غنياً[2] .

وقالَ المزيِّنُ : (كانَتِ الطرقُ إلى اللهِ تعالىٰ أكثرَ مِنْ نجومِ السماءِ ، فما بقيَ منها طريقٌ إلَّا طريقُ الفقرِ ، وهوَ أصحُّ الطرقِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ يوسفَ القَزْوينيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ ابنَ المولدِ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ النُّوريَّ يقولُ : (نعتُ الفقيرِ : السكونُ عندَ العدمِ ، والإيثارُ عندَ الوجودِ)[3] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سُئِلَ الشِّبليُّ عنْ حقيقةِ الفقرِ ، فقالَ : ألَّا يستغنيَ بشيءٍ دونَ اللهِ عزَّ وجلَّ[4] .

سمعتُ منصورَ بنَ خلفٍ المغربيَّ يقولُ[5] : قالَ لي أبو سهلٍ الخشَّابُ الكبيرُ : فقرٌ وذلٌّ ؟ فقلتُ : لا ، بلْ فقرٌ وعزٌّ ، فقالَ : فقرٌ وثرىً ؟ فقلتُ : لا ، بلْ فقرٌ وعرشٌ[6] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : سُئِلتُ عنْ معنىٰ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كادَ الفقرُ أنْ يكونَ كفراً »[7] .

قالَ : فقلتُ : آفةُ الشيء وضدُّهُ علىٰ حسَبِ فضيلتِهِ وقدرِهِ ، فكلَّما كانَ في

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٤٨) عن محمد بن منصور الطوسي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٤٨) دون نسبة .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٥) ، وفي هامش (ل) : (بلغ) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٥٥) .

(٥) كذا في عامة النسخ ، والمصنف يروي عن منصور بن خلف مباشرة ، وفي (ي) و« إحكام الدلالة » (٢٤٤/٣) برواية السلمي عنه ، والعبارة : (وسمعته يقول : سمعت منصور بن خلف . . .) .

(٦) وكلاهما علىٰ حق ، لكن الثاني أكمل همة من الأول . « إحكام الدلالة » (٢٤٤/٣) .

(٧) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٥٣/٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٦١٨٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

نفسِهِ أفضلَ . . فضدُّهُ وآفتُهُ أنقصُ ؛ كالإيمانِ ، لمَّا كانَ أشرفَ الخصالِ . . كانَ ضدُّهُ الكفرَ ، فلمَّا كانَ الخطرُ على الفقرِ الكفرَ . . دلَّ علىٰ أنَّهُ أشرفُ الأوصافِ (١) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الهَرَويَّ يقولُ : سمعتُ المرتعشَ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : إذا لقِيتَ الفقيرَ . . فالقَهُ بالرفقِ ، ولا تلقَهُ بالعلمِ ؛ فإنَّ الرفقَ يؤنسُهُ ، والعلمَ يوحشُهُ .

فقلتُ : يا أبا القاسمِ ؛ وهلْ يكونُ فقيرٌ يوحشُهُ العلمُ ؟ (٢) .

فقالَ : نعمِ ؛ الفقيرُ إذا كان صادقاً في فقرِهِ ، فطرحتَ عليهِ علمَكَ . . ذابَ كما يذوبُ الرصاصُ في النارِ .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ مظفراً القِرْمِيسينيَّ يقولُ : (الفقيرُ : هوَ الذي لا يكونُ لهُ إلى اللهِ تعالىٰ حاجةٌ) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ : وهـٰذا اللفظُ فيهِ أدنىٰ غموضٍ لمَنْ سمعَهُ علىٰ وصفِ الغفلةِ عنْ مرمى القومِ ، وإنَّما أشارَ قائلُهُ إلىٰ سقوطِ المطالباتِ ، وانتفاءِ الاختيارِ ، والرضا بما يُجري الحقُّ سبحانَهُ .

وقالَ ابنُ خفيفٍ : (الفقرُ : عدمُ الأملاكِ (٣) ، والخروجُ مِنْ أحكامِ الصفاتِ) .

وقالَ أبو حفصٍ : (لا يصحُّ لأحدٍ الفقرُ حتَّىٰ يكونَ العطاءُ أحبَّ إليهِ مِنَ الأخذِ ، وليسَ السخاءُ أنْ يعطيَ الواجدُ المعدمَ ، إنَّما السخاءُ أنْ يعطيَ المعدمُ الواجدَ) (٤) .

---

(١) المراد بالفقر في الحديث : إنما هو الفقر لغير الله ، لا الفقر إلى الله الذي الكلام فيه ، والمؤلف جعل المقصود في الحديث مدح الفقر إلى الله بذمّ ضدّه الذي هو الفقر إلىٰ غير الله ، فقد ارتكب خلاف الظاهر من الخبر ، والذي دعاه إلىٰ ذٰلك كون الكلام في شرف الفقر إلى الله ، والخطب سهل . « نتائج الأفكار » (٣/٢٤٤) .

(٢) إلىٰ هنا أورده السراج في « اللمع » (ص ٢٣٣) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) الأملاك : جمع مِلْك ؛ العقارات والأراضي ؛ أي : عدم إضافة العبد لها إلىٰ نفسه ، وإنما جرت عليه فضلاً من ربه . انظر « إحكام الدلالة » (٣/٢٤٥) ، والإملاك بكسر الهمزة : التزويج ، وعليه يكون ترك التزويج .

(٤) روىٰ عجزه المصنف (ص ٥٤٥) عن الزقاق ، من قوله : (وليس السخاء . . .) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكرٍ يقولُ : سمعتُ الدُّقيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ الجَلَّا يقولُ : (لولا شرفُ التواضعِ . . لكانَ حكمُ الفقيرِ إذا مشىٰ أنْ يتبخترَ)[1] .

وقالَ يوسفُ بنُ أسباطٍ : (منذُ أربعينَ سنةً ما ملكتُ قميصينِ)[2] .

وقالَ بعضُهُمْ : رأيتُ كأنَّ القيامةَ قامَتْ ، فيقالُ : أدخلوا مالكَ بنَ دينارٍ ومحمدَ بنَ واسعٍ الجنةَ ، فنظرتُ أيُّهُما يتقدَّمُ ، فتقدَّمَ محمدُ بنُ واسعٍ ، فسألتُ عنْ سببِ تقدُّمِهِ ، فقيلَ لي : إنَّهُ كانَ لهُ قميصٌ واحدٌ ، ولمالكٍ قميصانِ .

وقالَ محمدٌ المُسُوحيُّ : (الفقيرُ : الذي لا يرىٰ لنفسِهِ حاجةً إلىٰ شيءٍ مِنَ الأسبابِ) .

وسُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : متىٰ يستريحُ الفقيرُ ؟ فقالَ : إذا لمْ يرَ لنفسِهِ غيرَ الوقتِ الذي هوَ فيهِ[3] .

وتذاكروا عندَ يحيى بنِ معاذٍ الفقرَ والغنىٰ ، فقالَ : لا يُوزَنُ غداً لا الفقرُ ولا الغنىٰ ، وإنَّما يُوزَنُ الصبرُ والشكرُ ، فتعالَ نشكرْ ونصبرْ[4] .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ بعضِ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ : إنْ أردتَ أنْ تعرفَ رضايَ عنكَ . . فانظرْ كيفَ رضا الفقراءِ عنكَ .

وقالَ الزقَّاقُ : (مَنْ لمْ يصحبْهُ التقىٰ في فقرِهِ . . أكلَ الحرامَ النصَّ)[5] .

وقيلَ : كانَ الفقراءُ في مجلسِ سفيانَ الثوريِّ كأنَّهُمُ الأمراءُ[6] .

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٦/٩٠) .
(٢) الخبر عند ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/١٨٤) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٩٢) .
(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٥٧) .
(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٩/٢٣٩) ، والنصُّ : أقصى الشيء وغايته .
(٦) رواه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١/٩٧) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الفرَّاءَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ طاهرٍ يقولُ : (مِنْ حكمِ الفقيرِ : ألَّا تكونَ لهُ رغبةٌ ، فإنْ كانَ ولا بدَّ . . فلا تجاوزُ رغبتُهُ كفايتَهُ)[1] .

وأنشدَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : أنشدَني عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ العلاءِ قالَ : أنشدَني أحمدُ بنُ عطاءٍ لبعضِهِمْ : [من البسيط]

قَالُوا غَدًا ٱلْعِيدُ مَاذَا أَنْتَ لَابِسُهُ ... فَقُلْتُ خِلْعَةَ سَاقٍ حُبَّهُ جُرَعَا[2]

فَقْرٌ وَصَبْرٌ هُمَا ثَوْبَايَ تَحْتَهُمَا ... قَلْبٌ يَرَىٰ إِلْفَهُ ٱلْأَعْيَادَ وَٱلْجُمَعَا

أَحْرَى ٱلْمَلَابِسِ أَنْ تَلْقَى ٱلْحَبِيبَ بِهِ ... يَوْمَ ٱلتَّزَاوُرِ فِي ٱلثَّوْبِ ٱلَّذِي خَلَعَا

اَلدَّهْرُ لِي مَأْتَمٌ إِنْ غِبْتَ يَا أَمَلِي ... وَٱلْعِيدُ مَا كُنْتَ لِي مَرْأًىً وَمُسْتَمَعَا

وقيلَ : إنَّ هـٰذهِ الأبياتَ لأبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ[3] .

وقالَ أبو بكرٍ المصريُّ وقدْ سُئِلَ : مَنِ الفقيرُ الصادقُ ؟ فقالَ : الذي لا يملِكُ ولا يُملَكُ[4] .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (دوامُ الفقرِ إلى اللهِ معَ التخليطِ أحبُّ إليَّ مِنْ دوامِ الصفاءِ معَ العُجْبِ)[5] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ أحمدَ يقولُ :

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٣٢٥٥) .

(٢) أي : سقاني محبَّتَهُ جُرَعاً . « نتائج الأفكار » (٣/٢٤٧) وجُرَعاً : جمع (جُرْعة) بتثليث الجيم ؛ وهي الحَسْوة من الماء مع ابتلاعها ، وروى ابن عساكر في « تاريخ دمشق » عن بركات الأردبيلي ينشد للمصنف الإمام القشيري قوله :

وإذا سُقيتُ مِنَ المحبَّةِ جُرْعةً ... ألقيتُ مِنْ فرْطِ الخُمَارِ خِمَاري

كَمْ تبتُ جهداً ثمَّ لاحَ عذارُهُ ... فخلعتُ مِنْ ذاكَ العِذارِ عذاري

والخُمار : ألم السكْر أو بقيته .

(٣) ورواها أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٧٢) للشبلي رحمه الله تعالىٰ ، والكلاباذي في « التعرف » (ص ٩٦) للنوري رحمه الله تعالىٰ ، فكانت دائرة علىٰ لسان القوم .

(٤) الخبر في « التعرف » (ص ٢٢) دون نسبة .

(٥) هو عند ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/٢٢٥) .

سمعتُ أبا بكرٍ الجوّالَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الحُصْريَّ يقولُ : مكثَ أبو جعفرٍ الحدَّادُ عشرينَ سنةً يعملُ كلَّ يومٍ بدينارٍ وينفقُهُ على الفقراءِ ويصومُ ، ويخرجُ بينَ العشاءينِ فيُتصدَّقُ عليهِ مِنَ الأبوابِ (١) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الحسينَ بنَ يوسفَ القَزْوينيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ ابنَ المولدِ يقولُ : سمعتُ الحسنَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ النُّوريَّ يقولُ : (نعتُ الفقيرِ : السكونُ عندَ العدمِ ، والبذلُ والإيثارُ عند الوجودِ) (٢) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ الكَتَّانيَّ يقولُ : كانَ عندَنا بمكةَ فتىً عليهِ أطمارٌ رَثَّةٌ ، وكانَ لا يداخلُنا ولا يجالسُنا ، فوقعَ محبتُهُ في قلبي ، ففُتِحَ لي بمئتَيْ درهمٍ مِنْ وجهٍ حلالٍ ، فحملتُها إليهِ ، ووضعتُها على طرفِ سَجَّادَتِهِ ، وقلتُ لهُ : إنَّهُ فُتِحَ لي ذٰلكَ مِنْ وجهٍ حلالٍ ، تصرفُهُ في بعضِ أمورِكَ .

فنظرَ إليَّ شزراً ، ثمَّ قالَ (٣) : اشتريتُ هٰذهِ الجلسةَ معَ اللهِ على الفراغِ بسبعينَ ألفَ دينارٍ غيرَ الضياعِ والمستغلاتِ ، تريدُ أنْ تخدعَني عنها بهٰذهِ ؟! وقامَ وبدَّدَها ، فقعدتُ ألتقطُ ، فما رأيتُ كعزِّهِ حينَ مرَّ ، [ولا] كذلِّي حينَ كنتُ ألتقطُها .

وقالَ أبو عبد اللهِ بنُ خَفيفٍ : (ما وجبَتْ عليَّ زكاةُ الفطرِ أربعينَ سنةً ، ولي قَبولٌ عظيمٌ بينَ الخاصِّ والعامِّ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ابنَ باكويهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ يقولُ ذٰلكَ (٤) .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٤٠) ، وفيه : (فيتصدَّق ما يفطر عليه من الأبواب) .

(٢) ورواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٥) ، وتقدم (ص ٥٧٨) .

(٣) في (ي) : (ثم كشف عما هو مستور عني وقال) .

(٤) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/٤١٦) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ الصغيرَ يقولُ : سألتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ : فقيرٌ يجوعُ ثلاثةَ أيامٍ وبعدَ ثلاثةِ أيامٍ يخرجُ ويسألُ مقدارَ كفايتِهِ ، أيْشٍ يُقالُ فيهِ ؟ فقالَ : مُكْدٍ ، كلوا واسكتوا ، فلوْ دخلَ فقيرٌ مِنْ هـٰذا البابِ . . لفضحَكُمْ كلَّكُمْ [١] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الصوفيَّ يقولُ [٢] : سمعتُ الدُّقِّيَّ وقدْ سُئِلَ عنْ سوءِ أدبِ الفقراءِ معَ اللهِ تعالىٰ في أحوالِهِمْ ، فقالَ : انحطاطُهُمْ مِنَ الحقيقةِ إلى العلمِ [٣] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الطَّبَرِيَّ يقولُ : سمعتُ خيراً النسَّاجَ يقولُ : دخلتُ بعضَ المساجدِ ، فإذا فيهِ فقيرٌ ، فلمَّا رآني . . تعلَّقَ بي وقالَ : أيُّها الشيخُ ؛ تعطَّفْ عليَّ ؛ فإنَّ محنتي عظيمةٌ ، فقلتُ : وما هيَ ؟ فقالَ : فقدتُ البلاءَ وقُرِنتُ بالعافيةِ ، فنظرتُ ، فإذا قدْ فُتِحَ عليهِ شيءٌ مِنَ الدنيا .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ محمدِ بنِ أحيدَ يقولُ [٤] : سمعتُ أبا بكرٍ الورَّاقَ يقولُ : طوبىٰ للفقيرِ في الدنيا والآخرةِ ، فسألوهُ عنهُ ، فقالَ : لا يطلبُ السلطانُ منهُ في الدنيا الخراجَ ، ولا الجبَّارُ في الآخرةِ الحسابَ [٥] .

* * *

---

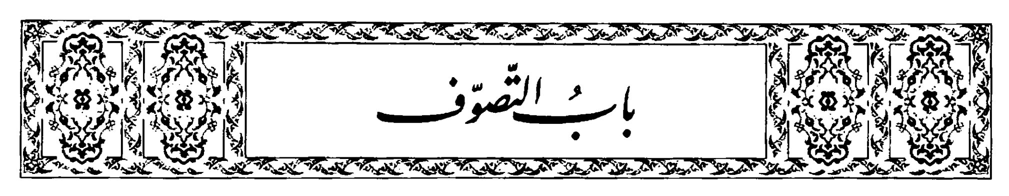
(١) مكد : سائل ، واسكتوا ؛ أي : عن سؤال أحوال لم تبلغوها . « إحكام الدلالة » (٣/٢٤٨) .

(٢) في (ج) : (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول) ، والمثبت هو الراوي عن الدقي .

(٣) بمعنىٰ : تتفرغ قلوبهم عن الهمة التي رُزقوها ، وتنزل بهم إلىٰ طلب الأسباب والتكسُّب .

(٤) في (ج ، ي) : (أحمد) بدل (أحيد) ، والصواب ما أثبت ؛ وهو أبو بكر البلخي ، روىٰ عن أبي بكر الوراق ، وتقدم له خبر (ص ١٢٤ ، ١٧٥) .

(٥) في هامش (ل) : (بلغ سليمان بن يوسف الياسوفي في السابع علىٰ شيخنا القدوة جمال الدين الجمالي أدام الله بركته) .



بابُ التّصوّف

قالَ الأستاذُ الإمامُ رحمَهُ اللهُ : الصفاءُ محمودٌ بكلِّ لسانٍ ، وضدُّهُ الكُدورةُ ، وهيَ مذمومةٌ .

أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ يحيى الطلحيُّ قالَ : حدَّثَنا الحسينُ بنُ جعفرٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ نوفلٍ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ ، عنْ يزيدَ بنِ أبي زيادٍ ، عنْ أبي جُحيفةَ قالَ : خرجَ علينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ متغيِّرَ اللونِ فقالَ : « ذهبَ صفوُ الدنيا وبقيَ الكدرُ ، فالموتُ اليومَ تُحفةٌ لكلِّ مسلمٍ »[1] .

قالَ الأستاذُ : هٰذهِ التسميةُ غلبَتْ علىٰ هٰذهِ الطائفةِ ، فيُقالُ : رجلٌ صوفيٌّ ، وللجماعةِ : الصوفيَّةُ ، ومَنْ يتوصل إلىٰ ذٰلكَ يُقالُ لهُ[2] : متصوِّفٌ ، وللجماعةِ : المتصوِّفةُ[3] .

وليسَ يشهدُ لهٰذا الاسمِ مِنْ حيثُ العربيةُ قياسٌ ولا اشتقاقٌ ، والأظهرُ فيهِ أنَّهُ كاللقبِ[4] .

فأمَّا قولُ مَنْ قالَ : إنَّهُ مِنَ الصُّوفِ ، وتصوَّفَ إذا لبِسَ الصوفَ ؛ كما يُقالُ : تقمَّصَ إذا لَبِسَ القميصَ . . فذٰلكَ وجهٌ ، ولٰكنَّ القومَ لمْ يُختصُّوا بلُبْسِ الصوفِ[5] .

---

(١) كذا رفعه المصنف في جميع النسخ ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٥٤/٩) موقوفاً علىٰ سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) في بعض النسخ : (يتوسل) بدل (يتوصل) ، وكلاهما بمعنىً .

(٣) يرى الإمام السراج في « اللمع » (ص ٤٢) أن هٰذه التسمية ترجع إلى القرن الأول ، وقيل : قبل الإسلام .

(٤) والأظهر فيه أنه غير مشتق ، بل هو جامد كاللقب . « إحكام الدلالة » (٣/٤) .

(٥) وروى الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « من سمع صوت أهل الصوف يدعون فلم يؤمّن . . كُتب من الغافلين » .

وَمَنْ قالَ : إنَّهُمْ منسوبونَ إلىٰ صُفَّةِ مسجدِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فالنسبةُ إلى الصُّفَّةِ لا تجيءُ علىٰ نحوِ الصوفيِّ .

وَمَنْ قالَ : إنَّهُ مِنَ الصفاءِ . . فاشتقاقُ الصوفيِّ مِنَ الصفاءِ بعيدٌ في مقتضى اللغةِ .

وقولُ مَنْ قالَ : إنَّهُ مشتقٌّ مِنَ الصَّفِّ ؛ فكأنَّهُمْ في الصفِّ الأولِ بقلوبِهِمْ مِنْ حيثُ المحاضرةُ مِنَ اللهِ تعالىٰ . . فالمعنىٰ صحيحٌ ، ولٰكنَّ اللغةَ لا تقتضي هٰذهِ النسبةَ مِنَ الصفِّ .

ثمَّ إنَّ هٰذهِ الطائفةَ أشهرُ مِنْ أنْ يُحتاجَ في تعيينِهِمْ إلىٰ قياسِ لفظٍ أوِ استحقاقِ اشتقاقٍ (١) .

وتكلَّمَ الناسُ في التصوُّفِ : ما معناهُ ؟ وفي الصوفيِّ : مَنْ هوَ ؟

وكلٌّ عبَّرَ بما وقعَ لهُ ، واستقصاءُ جميعِهِ يخرجُنا عنِ المقصودِ مِنَ الإيجازِ ، وسنذكرُ بعضَ مقالاتِهِمْ فيهِ علىٰ حدِّ التلويحِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ ابنِ يحيى الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ التميميَّ يقولُ : سُئِلَ أبو محمدٍ الجُرَيريُّ عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : الدخولُ في كلِّ خُلُقٍ سَنِيٍّ ، والخروجُ مِنْ كلِّ خُلُقٍ دنيٍّ (٢) .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عمَّارٍ الهَمْدانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ المَرْعشيَّ يقولُ : سُئِلَ شيخي عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : سمعتُ الجنيدَ وقدْ سُئِلَ عنهُ ، فقالَ : هوَ أنْ يُميتَكَ الحقُّ عنكَ ، ويُحييَكَ بهِ (٣) .

---

(١) لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ؛ وذلك لأنهم معدن جميع العلوم . « اللمع » (ص ٤٠) ، فكانت شهرتهم بذلك تغني عن تعليل الاشتقاق ، وكأنه علم مرتجل ، والذي اختاره العلامة السراج أنها نسبة إلى الصوف ؛ لأنه شعار الأنبياء والأولياء ، كما نُسب الحواريون إلى الثوب الأبيض الذي كان يغلب عليهم ، وخُوطبوا بهٰذا اللقب .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٤٥) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٥٧) عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ بنحوه .

(٣) ورواه ابن العديم في « بغية الطلب » (٤٦١٧/١٠) من طريق المصنف ، وفيه وفي (ج) : (الهَمَذاني) بدل (الهَمْداني) .

سـمعتُ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سـمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ محمدٍ الفارسـيَّ يقولُ : سـمعتُ أبـا الفاتكِ يقولُ : سـمعتُ الحسـينَ بنَ منصورٍ وقدْ سُـئِلَ عنِ الصوفيِّ ، فقـالَ : وَحدانيُّ الذاتِ ، لا يقبلُـهُ أحدٌ ، ولا يقبلُ أحداً .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ يقولُ(١) : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدِ بنِ نُصيرٍ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الورَّاقَ يقولُ : سمعتُ أبا حمزةَ البغداديَّ يقولُ : (علامةُ الصوفيِّ الصادقِ : أنْ يفتقرَ بعدَ الغنىٰ ، ويذلَّ بعدَ العزِّ ، ويخفىٰ بعدَ الشهرةِ ، وعلامةُ الصوفيِّ الكاذبِ : أنْ يستغنيَ بعدَ الفقرِ ، ويعزَّ بعدَ الذلِّ ، ويشتهرَ بعدَ الخفاءِ)(٢) .

وسُئِلَ عمرُو بنُ عثمانَ المكيُّ عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : أنْ يكونَ العبدُ في كلِّ وقتٍ بما هوَ أولىٰ في الوقتِ(٣) .

وقالَ محمدُ بنُ عليٍّ القصَّابُ : (التصوُّفُ : أخلاقٌ كريمةٌ ، ظهرَتْ في زمانٍ كريمٍ ، مِنْ رجلٍ كريمٍ ، معَ قومٍ كرامٍ)(٤) .

وسُئِلَ سمنونٌ عنِ التصوفِ ، فقالَ : ألَّا تملكَ شيئاً ، ولا يملكَكَ شيءٌ(٥) .

وسُئِلَ رُويمٌ عنِ التصوفِ ، فقالَ : استرسالُ النفسِ معَ اللهِ علىٰ ما يريدُ(٦) .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ التصوفِ ، فقالَ : أنْ تكونَ معَ اللهِ تعالىٰ بلا علاقةٍ(٧) .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ الطوسيَّ يقولُ : أخبرَني محمدُ بنُ الفضلِ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الرحيمِ

---

(١) في (ج) : (عبد الله بن علي) وهو أبو النصر السراج ، وكلاهما يروي عنه السلمي .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٧) بنحوه .
(٣) أورده السراج في « اللمع » (ص ٤٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٠) .
(٤) اللمع (ص ٤٥) .
(٥) اللمع (ص ٤٥) .
(٦) أورد نحوه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٢) عن سمنون رحمه الله تعالىٰ .
(٧) اللمع (ص ٤٥) .

الواسطيَّ يقولُ : سمعتُ رُويمَ بنَ أحمدَ البغداديَّ يقولُ : (التصوُّفُ مبنيٌّ علىٰ ثلاثِ خصالٍ : التمسُّكُ بالفقرِ والافتقارِ ، والتحقيقُ بالبذلِ والإيثارِ ، وتركُ التعرُّضِ والاختيارِ) .

وقالَ معروفٌ الكرخيُّ : (التصوُّفُ : الأخذُ بالحقائقِ ، واليأسُ ممَّا في أيدي الخلائقِ)[١] .

وقالَ حَمْدونٌ القصَّارُ : (اصحبِ الصوفيَّةَ ؛ فإنَّ للقبيحِ عندَهُمْ وجوهاً مِنَ المعاذيرِ ، وليسَ للحسنِ عندَهُمْ كبيرُ موقعٍ يعظِّمُونَكَ بهِ)[٢] .

وسُئِلَ الخرَّازُ عنِ التصوفِ[٣] ، فقالَ : أقوامٌ أُعطوا حتَّىٰ بُسطوا ، ومُنعوا حتَّىٰ فَقدوا ، ثمَّ نُودوا مِنْ أسرارٍ قريبةٍ ؛ ألا فابكوا علينا[٤] .

وقالَ الجنيدُ : (التصوُّفُ : عَنْوةٌ لا صلحَ فيها)[٥] .

وقالَ أيضاً : (همْ أهلُ بيتٍ واحدٍ ، لا يدخلُ فيهِمْ غيرُهُمْ)[٦] .

وقالَ أيضاً : (التصوُّفُ : ذكرٌ معَ اجتماعٍ ، ووَجْدٌ معَ استماعٍ ، وعملٌ معَ اتباعٍ)[٧] .

وقالَ أيضاً : (الصوفيُّ كالأرضِ ، يُطرَحُ عليها كلُّ قبيحٍ ، ولا يخرجُ منها إلَّا كلُّ مليحٍ)[٨] .

وقالَ أيضاً : (إنَّهُ كالأرضِ يطؤُها البَرُّ والفاجرُ ، وكالسحابِ يظِلُّ كلَّ شيءٍ ، وكالقطْرِ يسقي كلَّ شيءٍ)[٩] .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٨) ، وزاد : (والكلام في الدقائق) .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٠) ، ومن غير نسبة في « اللمع » (ص ٤٦) .
(٣) في (ي) : (عن أهل التصوف) .
(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٠) .
(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤١) ، والمعنىٰ : جدٌّ وقهر للنفس من غير مصالحة معها .
(٦) تهذيب الأسرار (ص ٤١) .
(٧) تهذيب الأسرار (ص ٤١) .
(٨) تهذيب الأسرار (ص ٤١) .
(٩) تهذيب الأسرار (ص ٤١) .

وقالَ : (إذا رأيتَ الصوفيَّ يُعْنىٰ بظاهرِهِ . . فاعلمْ أنَّ باطنَهُ خرابٌ)[1] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (الصوفيُّ : مَنْ يرىٰ دمَهُ هدراً ، وملكَهُ مباحاً)[2] .

وقالَ النُّوريُّ : (نعتُ الصوفيِّ : السكونُ عندَ العدمِ ، والإيثارُ عندَ الوجودِ)[3] .

وقالَ الكَتّانيُّ : (التصوُّفُ : خُلُقٌ ؛ فمَنْ زادَ عليكَ في الخُلُقِ . . فقدْ زادَ عليكَ في الصفاءِ)[4] .

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : (التصوُّفُ : الإناخةُ علىٰ بابِ الحبيبِ وإنْ طُرِدَ)[5] .

وقالَ أيضاً : (صفوةُ القُرْبِ بعدَ كُدورةِ البُعْدِ)[6] .

وقيلَ : أقبحُ مِنْ كلِّ قبيحٍ صوفيٌّ شحيحٌ[7] .

وقيلَ : التصوُّفُ : كفٌّ فارغٌ ، وقلبٌ طيِّبٌ[8] .

وقالَ الشِّبليُّ : (التصوُّفُ : الجلوسُ معَ اللهِ تعالىٰ بلا همٍّ) .

وقالَ ابنُ منصورٍ : (الصوفيُّ : المشيرُ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فإنَّ الخلقَ أشاروا إلى اللهِ تعالىٰ)[9] .

وقالَ الشِّبليُّ : الصوفيُّ منقطعٌ عنِ الخلْقِ ، غيرُ متصلٍ بالحقِّ[10] ؛

---

(١) تهذيب الأسرار (ص ٤١) .

(٢) تهذيب الأسرار (ص ٤٣) ، وزاد : (ولم ير الأشياء إلا من الله تعالىٰ ، وتسبيحه الرحمة بجميع خلق الله) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٥) .

(٤) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٨٨/٣) ، وتقدم (ص ٥٧٨) .

(٥) تهذيب الأسرار (ص ٤٧) .

(٦) تهذيب الأسرار (ص ٤٧) .

(٧) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٩٨) عن أبي عبد الله الروذباري ، وتقدم (ص ٢٢٩) .

(٨) قوت القلوب (٢٠٦/٢) عن إبراهيم الخواص وزاد : (ومُرَّ حيث شئت) .

(٩) تهذيب الأسرار (ص ٤٨) ، وابن منصور : هو الحلاج .

(١٠) في (ج ، هـ ، ي) : (متصل بالحق) بإسقاط (غير) .

كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾[1] ، قطعَهُ عنْ كلِّ غيرٍ ، ثمَّ قالَ : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾[2] .

وقالَ أيضاً : (الصوفيةُ أطفالٌ في حِجْرِ الحقِّ)[3] .

وقالَ أيضاً : (التصوُّفُ : بَرْقَةٌ محرقةٌ)[4] .

وقالَ : (هوَ العصمةُ عنْ رؤيةِ الكونِ)[5] .

وقالَ رُويمٌ : (لا زالتِ الصوفيةُ بخيرٍ ما تناقروا ، فإذا اصطلحوا . . فلا خيرَ فيهِمْ)[6] .

وقالَ الجُرَيريُّ : (التصوُّفُ : مراقبةُ الأحوالِ ، ولزومُ الأدبِ)[7] .

وقالَ المزيِّنُ : (التصوُّفُ : الانقيادُ للحقِّ)[8] .

وقالَ أبو ترابٍ النَّخْشبيُّ : (الصوفيُّ : لا يكدِّرُهُ شيءٌ ، ويصفو بهِ كلُّ شيءٍ)[9] .

وقيلَ : الصوفيُّ لا يُتعبُهُ طلبٌ ، ولا يُزعجُهُ سببٌ[10] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سُئِلَ ذو النونِ عنِ التصوُّفِ ، فقالَ : همْ قومٌ آثروا اللهَ عزَّ وجلَّ علىٰ كلِّ شيءٍ ، فآثَرَهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ علىٰ كلِّ شيءٍ[11] .

---

(١) سورة طه : (٤١) .

(٢) وهو في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٩) وزاد : (وهـٰذا محلُّ التحيير) ، والآية من سورة الأعراف : (١٤٣) .

(٣) تهذيب الأسرار (ص ٤٩) ، وفي « لطائف المنن » (ص ٤٥) عن المرسي : (ولي الله مع الله كولد اللبؤة في حجرها) .

(٤) تهذيب الأسرار (ص ٤٩) .

(٥) تهذيب الأسرار (ص ٤٩) ، وفي (أ) : (الكونين) بدل (الكون) .

(٦) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١٨١) ، وفيه : (تنافروا) بالفاء ، وهو خلاف ما في جميع النسخ ، والمناقرة : المنازعة والتفتيش عن العيوب هنا ، وقد مرَّ (ص ٥٠٧) .

(٧) تهذيب الأسرار (ص ٥٠) .

(٨) تهذيب الأسرار (ص ٥١) .

(٩) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٢) ، وسيأتي مسنداً (٦٤٥) .

(١٠) اللمع (ص ٤٥) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالىٰ .

(١١) اللمع (ص ٤٦) .

وقالَ الواسطيُّ : (كانَ للقومِ إشاراتٌ ، ثمَّ صارَتْ حركاتٍ ، ثمَّ لمْ يبقَ إلَّا حسراتٌ)[١] .

وسُئِلَ النُّوريُّ عنِ الصوفيِّ ، فقالَ : مَنْ سمعَ السماعَ ، وآثرَ الأسبابَ[٢] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السجستانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : قلتُ للحصريِّ : مَنِ الصوفيُّ عندَكَ ؟ فقالَ : الذي لا تقلُّهُ الأرضُ ، ولا تظلُّهُ السماءُ[٣] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّما أشارَ إلىٰ حالِ المحْوِ .

وقيلَ : الصوفيُّ مَنْ إذا استقبلَهُ حالانِ أوْ خُلُقانِ كلاهُما حسنٌ . . كانَ معَ الأحسنِ[٤] .

وسُئِلَ الشبليُّ : لِمَ سُمُّوا بهٰذهِ التسميةِ ؟ فقالَ : لبقيَّةٍ بقيَتْ عليهِمْ مِنْ نفوسِهِمْ ، ولولا ذٰلكَ . . لما تعلَّقَتْ بهِمْ تسميةٌ[٥] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سُئِلَ ابنُ الجَلَّا : ما معنىٰ صوفيٍّ ؟ فقالَ : ليسَ نعرفُهُ في شرطِ العلمِ ، ولٰكنْ نعرفُ فقيراً مجرَّداً مِنَ الأسبابِ ، كانَ معَ اللهِ تعالىٰ بلا مكانٍ ، ولا يمنعُهُ الحقُّ سبحانَهُ مِنْ علمِ كلِّ مكانٍ ، فسُمِّيَ صوفياً[٦] .

وقالَ بعضُهُمْ : التصوُّفُ : إسقاطُ الجاهِ ، وسوادُ الوجهِ في الدنيا والآخرةِ[٧] .

---

(١) تهذيب الأسرار (ص ٥٥) .
(٢) اللمع (ص ٤٦) .
(٣) اللمع (ص ٤٨) .
(٤) أورده السراج في « اللمع » (ص ٤٦) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦) عن أبي الحسين الوراق رحمه الله تعالىٰ .
(٥) اللمع (ص ٤٧) .
(٦) اللمع (ص ٤٦) .
(٧) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٨) عن الزنجاني ، وتمامه : (وكل من رجع إلى الله فتوهَّمَ ←

وقــالَ أبو يعقــوبَ المزابلــيُّ : (التصوُّفُ : حــالٌ يضمحلُّ فيهــا معالــمُ الإنسانيةِ)[١] .

وقــالَ أبو الحســنِ السِّــيروانيُّ : (الصوفيُّ يكونُ معَ الــوارداتِ ، لا معَ الأورادِ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدَّقَّاقَ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : أحسنُ ما قيلَ في هٰذا البابِ : قولُ مَنْ قالَ : هٰذا طريقٌ لا يصلحُ إلَّا لأقوامٍ كنسَ اللهُ تعالىٰ بأرواحِهِمُ المزابلَ .

وقالَ رحمَهُ اللهُ يوماً : (لمْ يكنْ للفقيرِ إلَّا روحٌ ، فعرضَها علىٰ كلابِ هٰذا البابِ[٢] ، فلمْ ينظرْ كلبٌ إليها)[٣] .

وقالَ الأستاذُ أبو سهلٍ الصُّعْلُوكيُّ رحمَهُ اللهُ : (التصوُّفُ : الإعراضُ عنِ الاعتراضِ)[٤] .

وقالَ الحُصْريُّ : (الصوفيُّ لا يوجدُ بعدَ عدمِهِ ، ولا يعدمُ بعدَ وجودِهِ)[٥] .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : وهٰذا فيهِ إشكالٌ ، [ومعنىٰ قولِهِ][٦] : (لا يوجدُ بعدَ عدمِهِ) أيْ : إذا فنيَتْ آفاتُهُ .. لا تعودُ تلكَ الآفاتُ ، وقولِهِ : (لا يعدمُ بعدَ وجودِهِ) يعني : إذا استقلَّ بالحقِّ[٧] .. لمْ يسقطْ بسقوطِ الخَلْقِ ؛ فالحادثاتُ لا تؤثِّرُ فيهِ .

← أنه وحده ، أو إلىٰ نفسه فوجدها ، أو إلىٰ الخلق فوجدهم .. كان معلولاً) ، ومعنىٰ (سواد الوجه) : أن الصوفي لا ينتظر قضاء حاجته ، بل هو لربّه ، وإنما يقال : اسودَّ وجهه ؛ إذا لم تُقْضَ حاجته ، وانظر « إحكام الدلالة » (٤/١١) .

(١) تهذيب الأسرار (ص ٥٩) ، واضمحلالها : غيابه عن نفسه وبقاؤه بربه .

(٢) يعني : مبغضي هٰذه الطائفة . « إحكام الدلالة » (٤/١١) .

(٣) والقول في « إحكام الدلالة » (٤/١١) خلافاً لسائر النسخ : (لو لم يكن للفقير ... لم ينظر إليها) قال : (نظر استحسان ؛ لستر حالها عنهم ، وحقارتهم عندهم) ، والمثبت أولىٰ .

(٤) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٧٥٧) .

(٥) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٩١) .

(٦) كذا في (ي) و« إحكام الدلالة » (٤/١٢) ، وفي النسخ : (ومعناه) .

(٧) في (ج ، ي) : (اشتغل) بدل (استقلَّ) ، ولكلٍّ توجيه .

ويُقالُ : **الصوفيُّ** : المصطَلِمُ عنهُ بما لاحَ لهُ مِنَ الحقِّ [1] .

ويُقالُ : **الصوفيُّ** مقهورٌ بتصريفِ الربوبيَّةِ [2] ، مستورٌ بتصريفِ العبوديةِ [3] .

ويُقالُ : **الصوفيُّ** لا يتغيَّرُ ، فإنْ تغيَّرَ . . لا يتكدَّرُ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ المصريَّ يقولُ : سمعتُ الخرَّازَ يقولُ : كنتُ في جامعِ قيروانَ يومَ جمعةٍ ، فرأيتُ رجلاً يدورُ في الصفِّ يقولُ : **تصدَّقوا عليَّ ؛ فقدْ كنتُ صوفياً فضعفتُ** ، فرفقتُهُ بشيءٍ ، فقالَ لي : **مُرَّ ويلَكَ ؛ ليسَ مِنْ ذاكَ** [4] ، ولمْ يقبلِ الرفْقَ [5] .

* * *

---

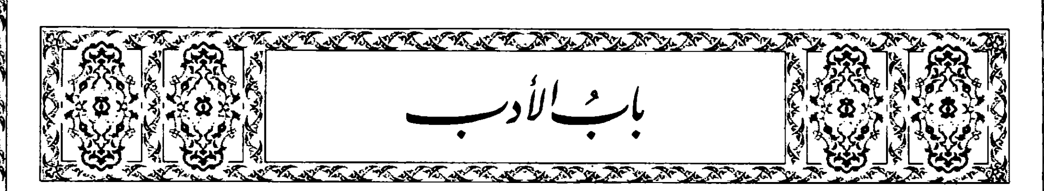
(1) يعني : المستغرق عن نفسه فضلاً عن غيرها بما يجريه المولىٰ من ألطافه . انظر « إحكام الدلالة » (٤/١٢) .

(2) في بعض النسخ : (معهود) بدل (مقهور) .

(3) فهو يتعاهد نفسه بالتسليم لتصاريف المولىٰ فيه ، متأدِّب بنسبة الفعل لنفسه من حيث الكسب .

(4) إنما كان يستدعي الناس دعوة صالحة تردُّ عليه ما كان عليه ، لا محض معونة فانية .

(5) في هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .



بابُ الأدب

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[١] قيلَ : حَفِظَ آدابَ الحضرةِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[٢] ، جاءَ في التفسيرِ عنِ ابنِ عبَّاسٍ : فقِّهوهُمْ وأدِّبوهُمْ[٣] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأهوازيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ الصفَّارُ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا تمتامٌ قالَ : حدَّثَنا عبدُ الصمدِ بنُ النعمانِ قالَ : حدَّثَنا عبدُ الملكِ بنُ الحسينِ ، عنْ عبدِ الملكِ بنِ عميرٍ ، عنْ مصعبِ بنِ شيبةَ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « حقُّ الولدِ علىٰ والدِهِ أنْ يحسنَ اسمَهُ ، ويحسنَ مرضعَهُ ، ويحسنَ أدبَهُ »[٤] .

ويُحكىٰ عنْ سعيدِ بنِ المسيِّبِ أنَّهُ قالَ : (مَنْ لمْ يعرفْ ما للهِ عزَّ وجلَّ عليهِ في نفسِهِ ، ولمْ يتأدَّبْ بأمرِهِ ونهيِهِ . . كانَ مِنَ الأدبِ في عزلةٍ)[٥] .

ورُوِيَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إنَّ اللهَ أدَّبَني فأحسنَ تأديبي »[٦] .

---

(١) سورة النجم : (١٧) .

(٢) سورة التحريم : (٦) .

(٣) بنحوه عند البغوي في « تفسيره » (١٢٢/٥) ، ورواه الطبري في « تفسيره » (٤٩١/٢٣) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٤) ورواه البيهقي في « الشعب » (٨٣٠٠) ، ويجوز في (يحسن) التثقيل والتخفيف ، قال تعالى في سورة السجدة (٧) : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ بمعنىٰ : حَسَّن .

(٥) أورده السراج في « اللمع » (ص ١٩٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٢٧) .

(٦) رواه العسكري في « الأمثال » من حديث سيدنا علي كرم الله وجهه ، والسمعاني في « أدب الإملاء والاستملاء » (ص ١) في مقدمة كتابه من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « المقاصد الحسنة » (٤٥) ، وفي (ج ، ي) : (أدبي) بدل (تأديبي) وهي رواية السمعاني .

وحقيقةُ الأدبِ : اجتماعُ خصالِ الخيرِ ، فالأديبُ الذي اجتمعَ فيهِ خصالُ الخيرِ ، ومنهُ المأدُبةُ ؛ اسمٌ للمَجْمَعِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (العبدُ يصلُ بطاعتِهِ إلى الجنةِ ، وبأدبِهِ في طاعتِهِ إلى اللهِ تعالىٰ) .

وسمعتُهُ يقولُ : (رأيتُ مَنْ أرادَ أنْ يمدَّ يدَهُ في الصلاةِ إلىٰ أنفِهِ ، فقبضَ علىٰ يدِهِ) .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ : وإنَّما أشارَ إلىٰ نفسِهِ ؛ لأنَّهُ لا يمكنُ للإنسانِ أنْ يعرفَ مِنْ غيرِهِ أنَّهُ قبضَ علىٰ يدِهِ .

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ رحمَهُ اللهُ لا يستندُ إلىٰ شيءٍ ، وكانَ يوماً في مَجْمَعٍ ، فأردتُ أنْ أضعَ وسادةً خلفَ ظهرِهِ ؛ لأنِّي رأيتُهُ غيرَ مستندٍ ، فتنحَّىٰ عن الوسادةِ قليلاً ، فتوهَّمْتُ أنَّهُ توقَّى الوسادةَ ؛ لأنَّهُ لمْ يكنْ عليها خرقةٌ أوْ سَجَّادةٌ ، فقالَ : لا أريدُ الاستنادَ .

فتأمَّلتُ بعدَهُ حالَهُ ، فكانَ لا يستندُ إلىٰ شيءٍ .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدٍ البصريَّ يقولُ : سمعتُ الجُلاجِليَّ البصريَّ يقولُ[1] : (التوحيدُ مُوجِبٌ يوجبُ الإيمانَ ؛ فمَنْ لا إيمانَ لهُ . . فلا توحيدَ لهُ ، والإيمانُ مُوجِبٌ يوجبُ الشريعةَ ؛ فمَنْ لا شريعةَ لهُ . . فلا إيمانَ لهُ ولا توحيدَ ، والشريعةُ مُوجِبٌ يوجبُ الأدبَ ؛ فمَنْ لا أدبَ لهُ . . لا شريعةَ لهُ ولا إيمانَ ولا توحيدَ)[2] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : الأدبُ : الوقوفُ معَ المستحسناتِ ، فقيلَ : وما معناهُ ؟ قالَ : أنْ تعاملَ اللهَ بالأدبِ سِرّاً وعلناً ، فإذا كنتَ كذلكَ . . كنتَ

---

(١) الجلاجلي بضم الجيم كما في « الأنساب » (١٣٨/٢) ورجحه على الفتح ، وفي « اللباب » (٣١٩/١) بفتحها نسبة إلى الجَلاجل .

(٢) رواه السراج في « اللمع » (ص ١٩٦) ، بتمام الخبر .

أديباً وإنْ كنتَ أعجمياً ، ثمَّ أنشدَ : [من الطويل]

إِذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلَاحَةٍ وَإِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحِ (١)

أخبرَني محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : (منذُ عشرينَ سنةً ما مددتُ رجلي وقتَ جلوسي في الخلوةِ ؛ فإنَّ حسنَ الأدبِ معَ اللهِ تعالىٰ أولىٰ)(٢) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ صاحبَ الملوكَ بغيرِ أدبٍ . . أسلمَهُ الجهلُ إلى القتلِ) .

ورُوِيَ عنِ ابنِ سيرينَ أنَّهُ سُئِلَ : أيُّ الآدابِ أقربُ إلى اللهِ تعالىٰ ؟

فقالَ : معرفةٌ بربوبيَّتِهِ ، وعملٌ بطاعتِهِ ، والحمدُ للهِ على السرَّاءِ ، والصبرُ على الضرَّاءِ(٣) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (إذا تركَ العارفُ أدبَهُ معَ معروفِهِ . . فقدْ هلكَ معَ الهالكينَ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : (تركُ الأدبِ مُوجِبٌ يوجبُ الطردَ ؛ فمَنْ أساءَ الأدبَ على البساطِ . . رُدَّ إلى البابِ ، ومَنْ أساءَ الأدبَ على البابِ . . رُدَّ إلىٰ سياسةِ الدوابِّ) .

وقيلَ للحسنِ البصريِّ : قدْ أكثرَ الناسُ في علمِ الآدابِ ، فما أنفعُها عاجلاً وأوصلُها آجلاً ؟

فقالَ : التفقُّهُ في الدينِ ، والزهدُ في الدنيا ، والمعرفةُ بما للهِ تعالىٰ عليكَ(٤) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مَنْ تأدَّبَ بأدبِ اللهِ . . صارَ مِنْ أهلِ محبَّةِ اللهِ) .

---

(١) أورده السراج في « اللمع » (ص ١٩٦) .

(٢) ورواه السلمي في « الفتوة » (ص ٦١) عن أبي نصر الأصبهاني عن الجريري .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ١٩٤) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ٣٣١) .

(٤) اللمع (ص ١٩٤) .

وقـالَ سـهلٌ : (القومُ اسـتعانوا باللهِ علـىٰ أمرِ اللهِ ، وصبـروا للهِ علىٰ آدابِ اللهِ)[1] .

ورُوِيَ عنِ ابنِ المباركِ أنَّهُ قالَ : (نحنُ إلىٰ قليلٍ مِنَ الأدبِ أحوجُ منَّا إلىٰ كثيرٍ مِنَ العلمِ)[2] .

سـمعتُ محمدَ بنَ الحسـينِ يقولُ : سـمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ سعيدٍ يقولُ : سـمعتُ العبَّاسَ بنَ حمزةَ يقولُ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ قالَ : قـالَ الوليدُ بنُ عتبةَ : قالَ ابنُ المباركِ : (طلبْنا الأدبَ حينَ فاتَنا المؤدِّبونَ)[3] .

وقيـلَ : ثلاثُ خصـالٍ ليسَ معَهُنَّ غربـةٌ : مجانبةُ أهلِ الرِّيَبِ ، وحسـنُ الأدبِ ، وكفُّ الأذىٰ[4] .

وأنشدَنا الشيخُ أبو عبدِ اللهِ المغربيُّ في هٰذا المعنىٰ[5] : [من المتقارب]

يَزِيـــنُ ٱلْغَرِيـــبَ إِذَا مَـــا ٱغْتَـــرَبْ ... ثَـــلَاثٌ فَمِنْهُـــنَّ حُسْـــنُ ٱلْأَدَبْ

وَثَانِيَـــةٌ حُسْـــنُ أَخْلَاقِـــهِ ... وَثَالِثَـــةٌ ٱجْتِنَـــابُ ٱلرِّيَـــبْ[6]

ولمَّا دخلَ أبو حفصٍ بغدادَ . . قالَ لهُ الجنيدُ : لقد أدَّبْتَ أصحابَكَ أدبَ السلاطينِ ، فقالَ أبو حفصٍ : حسنُ الأدبِ في الظاهرِ عُنوانُ حسنِ الأدبِ في الباطنِ[7] .

وعنْ عبدِ اللهِ بنِ المباركِ أنَّهُ قالَ : (الأدبُ للعارفِ كالتوبةِ للمستأنفِ)[8] .

---

(١) اللمع (ص ١٩٥) .

(٢) أورده السراج في « اللمع » (ص ١٩٥) .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٩/٨) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٢٨) ، وفي (ج) : (تجربة) بدل (غربةٌ) والصواب المثبت .

(٥) كذا في هامش (ب) ، وسقط من سائر النسخ ، وتقدم (ص ١٧٧) أن وفاة الشيخ أبي عبد الله المغربي سنة (٢٩٩ هـ) ، والخبر في (ي) وفيها : (أنشدنا الشيخ أبو عبد الله رضي الله عنه) .

(٦) أوردهما في « نفح الطيب » (٣٥٥/٢) دون نسبة .

(٧) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٢٨) ، فأدبُهم ليس تكلُّفاً ، بل سرىٰ إلىٰ جوارحهم ما في قلوبهم .

(٨) اللمع (ص ١٩٥) ، وهو عند السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٢٥) لأبي بكر الورَّاق رحمه الله تعالىٰ .

سمعتُ منصورَ بنَ خلفٍ المغربيَّ يقولُ : قيلَ لبعضِهِمْ : يا سيِّئَ الأدبِ ، فقالَ : لستُ بسيِّئِ الأدبِ ، فقيلَ لهُ : مَنْ أدبَّكَ ؟ فقالَ : أَدَّبَني الصوفيةُ [1] .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الطوسيَّ السرَّاجَ يقولُ : (الناسُ في الأدبِ علىٰ ثلاثِ طبقاتٍ :

أمَّا أهلُ الدنيا . . فأكثرُ آدابِهِمْ في الفصاحةِ والبلاغةِ ، وحفظِ العلومِ ، وأسمارِ الملوكِ ، وأشعارِ العربِ .

وأمَّا أهلُ الدِّينِ . . فأكثرُ آدابِهِمْ في رياضةِ النفوسِ ، وتأديبِ الجوارحِ ، وحفظِ الحدودِ ، وتركِ الشهواتِ .

وأمَّا أهلُ الخصوصيَّةِ . . فأكثرُ آدابِهِمْ في طهارةِ القلوبِ ، ومراعاةِ الأسرارِ ، والوفاءِ بالعهودِ ، وحفظِ الوقتِ ، وقلَّةِ الالتفاتِ إلى الخواطرِ ، وحسنِ الأدبِ في مواقفِ الطلبِ ، وأوقاتِ الحضورِ ومقاماتِ القربِ) [2] .

وحُكِيَ عنْ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ أنَّهُ قالَ : (مَنْ قهرَ نفسَهُ بالأدبِ . . فهوَ يعبدُ اللهَ تعالىٰ بالإخلاصِ) [3] .

وقيلَ : كمالُ الأدبِ لا يصفو إلَّا للأنبياءِ والصدِّيقينَ [4] .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (قدْ أكثرَ الناسُ في الأدبِ ، ونحنُ نقولُ : هوَ معرفةُ النفسِ) [5] .

وقالَ الشِّبليُّ : (الانبساطُ بالقولِ معَ الحقِّ سبحانَهُ تركُ الأدبِ) [6] .

---

(١) في ذلك مدح أدب الصوفية ؛ لبنائه على الزهد في الدنيا ، وكمال مراقبة المولى . « إحكام الدلالة » (١٩/٤) .

(٢) حكاه في « اللمع » (ص ١٩٥) مع زيادات .

(٣) اللمع (ص ١٩٥) .

(٤) اللمع (ص ١٩٥) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٢٩) .

(٦) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٦١/٦٦) ، وزاد : (وترك الأدب يوجب الطرد) .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (أدبُ العارفِ فوقَ كلِّ أدبٍ ؛ لأنَّ معروفَهُ مؤدِّبُ قلبِهِ)[١] .

وقالَ بعضُهُمْ : يقولُ الحقُّ سبحانَهُ : مَنْ ألزمتُهُ القيامَ معَ أسمائي وصفاتي . . ألزمتُهُ الأدبَ ، ومَنْ كشفتُ لهُ عنْ حقيقةِ ذاتي . . ألزمتُهُ العطبَ ، فاخترْ أيَّهُما شئتَ : الأدبَ أوِ العطبَ[٢] .

وقيلَ : مدَّ ابنُ عطاءٍ رجلَهُ يوماً بينَ أصحابِهِ وقالَ : (تركُ الأدبِ بينَ أهلِ الأدبِ أدبٌ)[٣] .

ويشهدُ لهٰذهِ الحكايةِ الخبرُ الذي رُوِيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ عندَهُ أبو بكرٍ وعمرُ ، فدخلَ عثمانُ ، فغطَّىٰ فخذَهُ وقالَ : « ألا أستحيي مِنْ رجلٍ تستحيي منهُ الملائكةُ ؟! »[٤] .

نبَّهَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ أنَّ حِشمةَ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ وإنْ عظُمَتْ عندَهُ . . فالحالةُ التي كانَتْ بينَهُ وبينَ أبي بكرٍ وعمرَ رضيَ اللهُ عنهما كانَتْ أصفىٰ[٥] .

وفي قريبٍ مِنْ معناهُ أنشدوا : [من المنسرح]

فِـيَّ ٱنْقِبَـاضٌ وَحِشْـمَةٌ فَـإِذَا ... صَادَفْـتُ أَهْـلَ ٱلْوَفَـاءِ وَٱلْكَـرَمِ
أَرْسَـلْتُ نَفْسِـي عَلَـىٰ سَـجِيَّتِهَا ... وَقُلْـتُ مَـا قُلْـتُ غَيْـرَ مُحْتَشِـمِ[٦]

وقالَ الجنيدُ : (إذا صحَّتِ المحبَّةُ . . سقطَ شروطُ الأدبِ)[٧] .

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٢٩) .
(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٢٩) .
(٣) « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٠) .
(٤) رواه مسلم (٢٤٠١) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .
(٥) فأدبه صلى الله عليه وسلم معهما لم يبق فيه تكلُّف ؛ لعدم انقباضهما مما ذُكر . انظر « إحكام الدلالة » (٢٠/٤) .
(٦) البيتان لابن كُناسة الأسدي كما في « البيان والتبين » (٣٤٨/٣) ، ورواهما له الخطيب في « تاريخه » (٢٤/٣) .
(٧) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٠) وفي غير الأصول : (سقطت) بدل (سقط) .

وقالَ أبو عثمانَ : (إذا صحَّتِ المحبةُ .. تأكَّدَتْ على المحبِّ ملازمةُ الأدبِ)[1] .

وقالَ النُّوريُّ : (مَنْ لمْ يتأدَّبْ للوقتِ .. فوقتُهُ مقتٌ)[2] .

وقالَ ذو النونِ : (إذا خرجَ المريدُ عنِ استعمالِ الأدبِ .. فإنَّهُ يرجعُ مِنْ حيثُ جاءَ)[3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[4] قالَ : لمْ يقلِ : ارحمْني ؛ لأنَّهُ حفظَ آدابَ الخطابِ ، وكذٰلكَ عيسىٰ عليهِ السلامُ حيثُ قالَ : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾[5] ، وقالَ : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾[6] ، ولمْ يقلْ : لمْ أقلْ ؛ رعايةً لآدابِ الحضرةِ .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الطيِّبِ بنَ الفَرُّخانِ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : جاءَني بعضُ الصالحينَ يومَ جمعةٍ ، فقالَ لي : ابعثْ معي فقيراً يُدخلُ عليَّ سروراً ويأكلُ معي شيئاً ، فالتفتُّ ، فإذا أنا بفقيرٍ شهدتُ فيهِ الفاقةَ ، فدعوتُهُ وقلتُ لهُ : امضِ معَ هٰذا الشيخِ وأدخلْ عليهِ سروراً ، فمضىٰ ، فلمْ ألبَثْ أنْ جاءَ الرجلُ وقالَ لي : يا أبا القاسمِ ؛ لمْ يأكلْ ذٰلكَ الرجلُ إلَّا لقمةً وخرجَ ! فقلتُ : لعلَّكَ قلتَ كلمةَ جفاءٍ عليهِ ، فقالَ : لم أقلْ شيئاً .

والتفتُّ فإذا بالفقيرِ جالسٌ ، فقلتُ لهُ : لِمَ لمْ تُتِمَّ عليهِ السرورَ ؟

فقالَ : يا سيِّدي ؛ خرجتُ مِنَ الكوفةِ وقدِمتُ بغدادَ ولمْ آكلْ شيئاً ، وكرهتُ

---

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٠) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣١) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣١) .

(٤) سورة الأنبياء : (٨٣) .

(٥) سورة المائدة : (١١٨) .

(٦) سورة المائدة : (١١٦) .

أنْ يبدوَ سوءُ أدبٍ منّي مِنْ جهةِ الفاقةِ في حضرتِكَ ، فلمَّا دعوتَني . . سُررتُ إذْ جرىٰ ذٰلكَ ابتداءً منكَ ، فمضيتُ وأنا لا أرضىٰ لهُ الجنانَ ، فلمَّا جلستُ علىٰ مائدتِهِ . . سَوَّىٰ لقمةً وقالَ : كُلْ ، فهٰذا أحبُّ إليَّ مِنْ عشرةِ آلافِ درهمٍ ، فلمَّا سمعتُ هٰذا . . علمتُ أنَّهُ دنيءُ الهمَّةِ (١) ، فتطرَّفْتُ أنْ آكلَ طعامَهُ .

فقالَ الجنيدُ : ألمْ أقلْ لكَ : إنَّكَ أسأتَ أدبَكَ معَهُ ؟ فقالَ : يا أبا القاسمِ ؛ التوبةَ ، فسألَهُ أنْ يمضيَ معَهُ ويفرحَهُ (٢) .

* * *

---

(١) لأنه إنما ذكر فضل ذٰلك على الدراهم التي هي من الدنيا ، ولم يذكر الآخرة ، وحق الفقير أن يكون مشغولاً بالله ، زاهداً في الدنيا كهٰذا الفقير ، بل ربما يكون مشغولاً عن ذكر الآخرة وما أعدَّ الله فيها لأوليائه ؛ لكمال شغله بمولاه . « إحكام الدلالة » (٢١/٤) .

(٢) في هامش (ل) : (بلغ) ، قال شيخ الإسلام زكريا في « إحكام الدلالة » (٢٢/٤) : (في ذٰلك حثٌّ علىٰ ملازمة الأدب مع كل أحد بحسب ما يليق به) .

بابُ أحكامِهم في السفر

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الفرجِ الأزرقُ قالَ : حدَّثَنا حجَّاجٌ قالَ : قالَ ابنُ جُريجٍ : أخبرَني أبو الزبيرِ : أنَّ علياً الأَزْديَّ أخبرَهُ : أنَّ ابنَ عمرَ علَّمَهُمْ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ إذا استوىٰ على البعيرِ خارجاً إلىٰ سفرٍ . . كبَّرَ ثلاثاً ، ثمَّ قالَ : « ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [2] » ، ثمَّ يقولُ : « اللهمَّ ؛ إنَّا نسألُكَ في سفرِنا هٰذا البِرَّ والتقوىٰ [3] ، ومِنَ العملِ ما ترضىٰ ، هوِّنْ علينا سفرَنا ، اللهمَّ ؛ أنتَ الصاحبُ في السفرِ ، والخليفةُ في الأهلِ ، اللهمَّ ؛ إنِّي أعوذُ بكَ مِنْ وَعْثاءِ السفرِ ، وكآبةِ المُنقلَبِ ، وسوءِ المنظرِ في الأهلِ والمالِ » ، فإذا رجعَ . . قالَهُنَّ وزادَ فيهنَّ : « آيبونَ تائبونَ ، لربِّنا حامدونَ » [4] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : لمَّا كانَ رأيُ كثيرٍ مِنْ هٰذهِ الطائفةِ اختيارَ السفرِ . . أفردْنا لذكرِ السفرِ في هٰذهِ الرسالةِ باباً ؛ لكونِهِ مِنْ عظيمِ شأنِهِمْ .

وهٰذهِ الطائفةُ مختلفونَ ؛ فمنهُمْ مَنْ آثرَ الإقامةَ على السفرِ ، ولمْ يسافرْ إلَّا لفرضٍ ؛ كحَجَّةِ الإسلامِ ، والغالبُ عليهِمُ الإقامةُ ؛ مثلُ الجنيدِ ، وسهلِ بنِ عبدِ اللهِ ، وأبي يزيدَ البِسْطاميِّ ، وأبي حفصٍ ، وغيرِهِمْ .

---

(١) سورة يونس : (٢٢) .

(٢) سورة الزخرف : (١٤) .

(٣) كذا في (د ، ي) ، وفي جميع النسخ : (الستر) بدل (البر) ، وصُحّح في (ج) .

(٤) رواه مسلم (١٣٤٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » (٥/٢٥١) .

ومنهُمْ مَنْ آثرَ السفرَ ، وكانوا علىٰ ذٰلكَ إلىٰ أنْ خرجوا مِنَ الدنيا ؛ مثلُ أبي عبدِ اللهِ المغربيِّ ، وإبراهيمَ بنِ أدهمَ ، وغيرِهِمْ .

وكثيرٌ منهُمْ سافروا في ابتداءِ أمورِهِمْ في حالِ شبابِهِمْ أسفاراً كثيرةً ، ثمَّ قعدوا عنِ السفرِ في آخرِ أحوالِهِمْ ؛ مثلُ أبي عثمانَ الحِيريِّ ، والشِّبليِّ ، وغيرِهِمْ .

ولكلٍّ منهُمْ أصولٌ بنَوا عليها طريقتَهُمْ .

واعلموا : أنَّ السفرَ علىٰ قسمينِ :

سفرٌ بالبدنِ : وهوَ الانتقالُ مِنْ بُقعةٍ إلىٰ بُقعةٍ .

وسفرٌ بالقلبِ : وهوَ الارتقاءُ مِنْ صفةٍ إلىٰ صفةٍ ، فترىٰ ألفاً يسافرُ بنفسِهِ ، وقليلٌ مَنْ يسافرُ بقلبِهِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : كانَ بِفَرَخْكَ ـ قريةٌ بظاهرِ نيسابورَ ـ شيخٌ مِنْ شيوخِ هٰذهِ الطائفةِ ، ولهُ علىٰ هٰذا اللسانِ تصانيفُ ، سألَهُ بعضُ الناسِ : هلْ سافرتَ أيُّها الشيخُ ؟

فقالَ : سفرُ الأرضِ أمْ سفرُ السماءِ ؟ سفرُ الأرضِ لا ، وسفرُ السماء بلىٰ .

وسمعتُهُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : جاءَني بعضُ الفقراءِ يوماً وأنا بمروَ ، فقالَ لي : قطعتُ إليكَ شُقَّةً بعيدةً ، والمقصودُ لقاؤُكَ ، فقلتُ لهُ : كانَ يكفيكَ خطوةٌ واحدةٌ لوْ سافرتَ عنْ نفسِكَ .

وحكاياتُهُمْ في السفرِ تختلفُ علىٰ ما ذكرْنا مِنْ أقسامِهِمْ في أحوالِهِمْ .

سمعتُ الشيخ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ العلويَّ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ أحنفَ الهَمْدانيَّ يقولُ : كنتُ في الباديةِ وحدي ، فأعيَيتُ ، فرفعتُ يدي وقلتُ : يا ربِّ ؛ ضعيفٌ زَمِنٌ ، وقدْ جئتُ إلىٰ ضيافتِكَ ، فوقعَ في قلبي أنْ يُقالَ لي : مَنْ

دعاكَ ؟ فقلتُ : يا ربِّ ؛ هيَ مملكةٌ تحتملُ الطُّفيليَّ ، فإذا أنا بهاتفٍ مِنْ ورائي ، فالتفتُّ ، فإذا أعرابيٌّ علىٰ راحلةٍ ، فقالَ : يا أعجميُّ ؛ إلىٰ أينَ ؟ قلتُ : إلىٰ مكَّةَ ، قالَ : أَوَدعاكَ ؟ قلتُ : لا أدري ، فقالَ : أليسَ قالَ : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ؟![1] فقلتُ : المملكةُ واسعةٌ تحتملُ الطُّفيليَّ ، فقالَ : نعمَ الطُّفيليُّ أنتَ ، يمكنُكَ أنْ تخدمَ الجملَ ؟ قلتُ : نعمْ ، فنزلَ عنْ راحلتِهِ وأعطانيها وقالَ : سِرْ عليها .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ النجَّارَ يقولُ : سمعتُ الكَتَّانيَّ وقدْ قالَ لهُ بعضُ الفقراءِ : أوصِني ، فقالَ : اجهدْ أنْ تكونَ كلَّ ليلةٍ ضيفَ مسجدٍ ، وألَّا تموتَ إلَّا بينَ منزلينِ[2] .

ويُحكىٰ عنِ الحُصْريِّ أنَّهُ كانَ يقولُ : (جَلسةٌ خيرٌ مِنْ ألفِ حَجَّةٍ) .

وإنَّما أرادَ جلسةً تجمعُ الهمَّ علىٰ نعتِ الشهودِ ، ولعمري ؛ إنَّها أتمُّ مِنْ ألفِ حَجَّةٍ علىٰ وصفِ الغَيْبةِ عنهُ .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الصوفيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ التميميَّ يقولُ : حُكِيَ عنْ محمدِ بنِ إسماعيلَ الفَرْغانيِّ أنَّهُ قالَ : كنَّا نسافرُ مقدارَ عشرينَ سنةً أنا وأبو بكرٍ الزقَّاقُ والكَتَّانيُّ لا نختلطُ بأحدٍ ولا نعاشرُ أحداً .

فإذا قدِمْنا بلداً ؛ فإنْ كانَ فيهِ شيخٌ . . سلَّمْنا عليهِ وجالسْناهُ إلى الليلِ ، ثمَّ نرجعُ إلىٰ مسجدٍ ، فيصلِّي الكَتَّانيُّ مِنْ أوَّلِ الليلِ إلىٰ آخرِهِ ويختِمُ القرآنَ ، ويجلسُ الزقَّاقُ مستقبلَ القبلةِ ، وكنتُ أستلقي متفكِّراً ، ثمَّ نصبحُ ونصلِّي صلاةَ الفجرِ علىٰ وضوءِ العتمةِ ، فإذا وقعَ معَنا إنسانٌ ينامُ . . كنَّا نراهُ أفضلَنا[3] .

---

(١) سورة آل عمران : (٩٧) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/٢٥٥) .

(٣) وأورده السراج في « اللمع » (ص ٢٥٠) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ عيسى القصَّارَ يقولُ : سُئِلَ رُويمٌ عنْ أدبِ السفرِ ، فقالَ : ألَّا يجاوزَ همُّهُ قدمَهُ ، وحيثُما وقفَ قلبُهُ . . يكونُ منزلُهُ (١) .

وحُكِيَ عنْ مالكِ بنِ دينارٍ أنَّهُ قالَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : اتخذْ نعلينِ مِنْ حديدٍ ، وعصاً مِنْ حديدٍ ، ثمَّ سُحْ في الأرضِ ، واطلبِ الآثارَ والعبرَ ، حتَّىٰ ينخرقَ النعلانِ وتنكسرَ العصا (٢) .

وقيلَ : كانَ أبو عبدِ اللهِ المغربيُّ يسافرُ أبداً ومعَهُ أصحابُهُ ، وكانَ يكونُ محرماً ، فإذا تحلَّلَ مِنْ إحرامِهِ . . أحرمَ ثانياً ، ولمْ يتسخْ لهُ ثوبٌ ، ولا طالَ لهُ ظفرٌ ولا شَعَرٌ .

وكانَ يمشي معَهُ أصحابُهُ بالليلِ وراءَهُ ، فكانَ إذا حادَ أحدُهُمْ عنِ الطريقِ . . يقولُ : يمينَكَ يا فلانُ ، يسارَكَ يا فلانُ ، وكانَ لا يمدُّ يَدَهُ إلىٰ ما وصلَتْ إليهِ يدُ الآدميينَ ، وكانَ طعامُهُ أصلَ شيءٍ مِنَ النباتِ ، يُؤخَذُ فيُقلَعُ لأجلِهِ .

وقيلَ : كلُّ صاحبٍ تقولُ لهُ : قُمْ ، فقالَ : إلىٰ أين ؟ فليسَ بصاحبٍ (٣) .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الطويل]

إِذَا ٱسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمُ ... لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ لِأَيِّ مَكَانِ (٤)

وكما قيلَ في معناهُ : [من البسيط]

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... فِي ٱلنَّائِبَاتِ عَلَىٰ مَا قَالَ بُرْهَانَا (٥)

وحُكِيَ عنْ أبي عليٍّ الرباطيِّ قالَ : صحبتُ عبدَ اللهِ المَرْوزيَّ ، وكانَ يدخلُ الباديةَ قبلَ أنْ أصحبَهُ بلا زادٍ ، فلمَّا صحبتُهُ . . قالَ لي : أيُّما أحبُّ

---

(١) رواه السراج في « اللمع » (ص ٢٥٠) ، والسُّلمي في « طبقاته » (ص ١٨١) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « التفكر والاعتبار » كما في « الدر المنثور » (٦/٦١) .

(٣) رواه السلمي في « الفتوة » (ص ٢٢) عن المسيب بن واضح رحمه الله تعالىٰ .

(٤) البيت لودَّاك بن ثُميل المازني كما في « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١/٦٤) .

(٥) البيت في (ب) وحدها ، وهو لقريط بن أنيف العنبري . انظر : « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١/٩) ، ضمن أول قطعة اختارها أبو تمام في « الحماسة » .

إليـــكَ : تكـــونُ أنتَ الأميرَ أوْ أنـــا ؟ فقلتُ : لا ، بلْ أنـــتَ ، فقالَ : وعليكَ الطاعةُ ؟ فقلتُ : نعمْ .

فأخذَ مخلاةً ، ووضعَ فيها زاداً ، وحملَها علىٰ ظهرِهِ ، فإذا قلتُ : أعطِني حتَّىٰ أحملَها . . قالَ : الأميرُ أنا وعليكَ الطاعةُ .

قالَ : فأخذَنا المطرُ ليلةً ، فوقفَ إلى الصباحِ علىٰ رأسي وعليهِ كساءٌ يمنعُ منّي المطرَ ، فكنتُ أقولُ في نفسي : يا ليتَني متُّ ولمْ أقلْ لهُ : أنتَ الأميرُ .

ثمَّ قالَ لي : إذا صحبتَ إنساناً . . فاصحبْهُ كما رأيتَني صحبتُكَ [1] .

وقدِمَ شابٌّ علىٰ أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ ، فلمَّا أرادَ الخروجَ . . قالَ : يقولُ الشيخُ شيئاً ؟ فقالَ : يا فتىٰ ؛ كانوا لا يجتمعون عنْ موعدٍ ، ولا يفترقونَ عنْ مشورةٍ [2] .

وعنِ المزيِّنِ الكبيرِ قالَ : كنتُ يوماً معَ إبراهيمَ الخوَّاصِ في بعضِ أسفارِهِ ، فإذا عقربٌ تسعىٰ علىٰ فخذِهِ ، فقمتُ لأقتلَها ، فمنعَني وقالَ : دعْها ؛ كلُّ شيءٍ مفتقرٌ إلينا ، ولسْنا مفتقرينَ إلىٰ شيءٍ [3] .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ النصيبيُّ [4] : سافرتُ ثلاثينَ سنةً ما خِطْتُ قطُّ خرقةً علىٰ مُرقَّعتي ، ولا عدلتُ إلىٰ موضعٍ علمتُ أنَّ لي فيهِ رِفْقاً ، ولا تركتُ أحداً يحملُ معي شيئاً [5] .

واعلموا : أنَّ القومَ استوفَوا آدابَ الحضورِ مِنَ المجاهداتِ ، ثمَّ أرادوا أنْ يزيدوا إليها شيئاً ، فأضافوا أحكامَ السفرِ إلىٰ ذٰلكَ ؛ رياضةً لنفوسِهِمْ حينَ أخرجوها عنِ المعلوماتِ ، وحملوها علىٰ مفارقةِ المعارفِ ؛ كي يعيشوا

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٦) ، ورواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٨٢/٩) ، وكنية الرباطي عنده : (أبو محمد) .
(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٢٠) .
(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٥٠) .
(٤) نسبة إلىٰ نصيبين علىٰ خلاف في هـٰذه النسبة ، وفي (ي) : (النصيبيني) .
(٥) كذا في « اللمع » (ص ٢٥١) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ٤١٩) .

مع اللهِ عزَّ وجلَّ بلا علاقةٍ ولا واسطةٍ ، فلمْ يتركوا شيئاً مِنْ أورادِهِمْ في أسفارِهِمْ ، وقالوا : الرُّخَصُ لمَنْ كانَ سفرُهُ ضرورةً ، ونحنُ لا شغلَ لنا ولا ضرورةَ مِنْ أسفارِنا علينا[1] .

سمعتُ أبا صادقِ بنَ حبيبٍ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : ضعفتُ في الباديةِ مرَّةً ، فأيسْتُ مِنْ نفسي ، فوقعَ بصري على القمرِ وكانَ ذٰلكَ بالنهارِ ، فرأيتُ مكتوباً عليهِ : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[2] ، فاستقللتُ ، وفُتِحَ عليَّ مِنْ ذٰلك الوقتِ هٰذا الحديثُ[3] .

وقالَ أبو يعقوبَ السوسيُّ : (يحتاجُ المسافرُ إلىٰ أربعةِ أشياءَ في سفرِهِ : علمٌ يسوسُهُ ، وورعٌ يحجزُهُ ، ووجْدٌ يحملُهُ ، وخُلُقٌ يصونُهُ)[4] .

وقيلَ : سُمِّيَ السفرُ سفراً ؛ لأنَّهُ يُسْفِرُ عنْ أخلاقِ الرجالِ[5] .

وكانَ الكَتَّانيُّ إذا سافرَ الفقيرُ إلى اليمنِ ثمَّ رجعَ إليهِ مرَّةً أخرىٰ . . يأمرُ بهجْرانِهِ ، وإنَّما كانَ يفعلُ ذٰلكَ لأنَّهُمْ كانوا يسافرونَ إلى اليمنِ ذٰلكَ الوقتَ لأجل الرِّفْقِ[6] .

وقيلَ : كانَ إبراهيمُ الخوَّاصُ لا يحملُ شيئاً في السفرِ ، وكانَ لا يفارقُهُ الإبرةُ والركوةُ ، أمَّا الإبرةُ . . فلخياطةِ ثوبِهِ إنْ تمزَّقَ ستراً للعورةِ ، وأمَّا الركوةُ . . فللطهارةِ ، وكانَ لا يرىٰ ذٰلكَ علاقةً ولا معلوماً[7] .

وحُكِيَ عنْ أبي عبدِ اللهِ الرازيِّ أنَّهُ قالَ : خرجتُ مِنْ طَرَسوسَ حافياً ،

---

(١) انظر « اللمع » (ص ٢٥١) ، وفي (ج ، ي) : (في أسفارنا) بدل (من أسفارنا) .
(٢) سورة البقرة : (١٣٧) .
(٣) أي : خرق العادات واللطف وقت الضرورة ، والخبر رواه ابن عساكر في « تاريخه » (١٠٧/٧) .
(٤) كذا في « اللمع » (ص ٢٥٢) ، تهذيب الأسرار (ص ٤١٩) ، وتقدم بنحوه (ص ٥٧٨) .
(٥) كذا في « اللمع » (ص ٢٥٢) .
(٦) كذا في « اللمع » (ص ٢٥٢) .
(٧) تقدم (ص ٤١٤) .

وكانَ معي رفيقٌ ، فدخلْنا بعضَ قرى الشامِ ، فجاءَني فقيرٌ بحذاءٍ ، فامتنعتُ مِنْ قَبولِهِ ، فقالَ لي رفيقي : البَسْ هـٰذا ؛ فقد عمِيتُ[١] ، فإنَّهُ فُتِحَ عليكَ بهـٰذا النعلِ بسببي ، فقلتُ : ما لكَ ؟ فقالَ : نزعتُ نعلي موافقةً لكَ ، ورعايةً لحقِّ الصحبةِ[٢] .

وقيلَ : كانَ الخوَّاصُ في سفرٍ ومعَهُ ثلاثةُ نفرٍ ، فبلغوا مسجداً في بعضِ المفاوزِ وباتوا فيهِ ، ولمْ يكنْ عليهِ بابٌ ، وكانَ بردٌ شديدٌ ، فناموا ، فلمَّا أصبحوا . . رأَوهُ واقفاً على البابِ ، فقالوا لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : خشِيتُ أنْ تجدوا البردَ ، وكانَ قدْ وقفَ طولَ ليلتِهِ[٣] .

وقيلَ : إنَّ الكَتَّانيَّ استأذنَ أُمَّهُ في الحجِّ مرَّةً ، فأذنَتْ لهُ ، فخرجَ ، فأصابَ ثوبَهُ البولُ في الباديةِ ، فقالَ : إنَّ هـٰذا لخللٍ في حالي ، فانصرفَ ، فلمَّا دقَّ بابَ دارِهِ . . أجابَتْهُ أمُّهُ ، ففتحَتْ ، فرآها جالسةً خلفَ البابِ ، فسأَلَها عنْ جلوسِها ! فقالَتْ : منذُ خرجتَ اعتقدتُ ألَّا أبرحَ هـٰذا الموضعَ حتَّىٰ أراكَ[٤] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الدمشقيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ ابنَ المولدِ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ القصَّارَ يقولُ : (سافرتُ ثلاثينَ سنةً أُصلحُ قلوبَ الناسِ للفقراءِ) .

وقيلَ : زارَ رجلٌ داوودَ الطائيَّ ، فقالَ : يا أبا سليمانَ ؛ كانَتْ نفسي تنازعُني إلىٰ لقائِكَ منذُ زمانٍ ، فقالَ : لا بأسَ ؛ إذا كانَتِ الأبدانُ هادئةً والقلوبُ ساكنةً . . فالتلاقي أيسرُهُ[٥] .

سمعتُ أبا نصرٍ الصوفيَّ وكانَ مِنْ أصحابِ النصراباذيِّ رحمَهُ اللهُ يقولُ :

---

(١) كذا في النسخ و« تهذيب الأسرار » الآتي التخريج منه ، وفي (ي) : (عَيِيت) .
(٢) بنحوه في « تهذيب الأسرار » (ص ٤١٤) ، وزاد : (فأخذته لأجله ولبسته) .
(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤١٤) عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ .
(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٤١٤) .
(٥) المعنىٰ : طالما كانت القلوب صالحة . . ففوات التلاقي أيسر ، وفي (ي) : (أيسر) بلا هاء .

خرجتُ مِنَ البحرِ بعُمَانَ[1] وقدْ أثَّرَ فيَّ الجوعُ ، فكنتُ أمرُّ في السوقِ ، فبلغتُ حانوتَ حَلاويٍّ ، فرأيتُ حُمْلاناً مشويَّةً وحلاواتٍ ، فتعلَّقتُ برجلٍ وقلتُ : اشترِ لي مِنْ هـٰذهِ الأشياءِ .

فقالَ : لماذا ؟ ألكَ عليَّ شيءٌ ، أوْ عندي دينٌ ؟ قلتُ : لا بدَّ مِنْ أنْ تشتريَ لي مِنْ هـٰذا .

قالَ : فرآني رجلٌ فقالَ : خلِّهِ يا فتىٰ ؛ ذاكَ أنا الذي يجبُ عليهِ أنْ يشتريَ لكَ ما تريدُ ، أنا لا هوَ ، اقترحْ عليَّ واحكمْ بما تريدُ ، ثمَّ اشترىٰ لي ما أردتُ ومرَّ .

وحُكِيَ عنْ أبي الحسينِ المصريِّ أنَّهَ قالَ : اتفقتُ معَ السِّجْزيِّ في سفرٍ مِنْ طرابُلُسَ[2] ، فسِرْنا أياماً لمْ نأكلْ شيئاً ، فرأيتُ قَرْعاً مطروحاً ، فأخذتُ آكلُهُ ، فالتفتَ إليَّ الشيخُ ولمْ يقلْ شيئاً ، فرمَيتُ بهِ ، وعلمتُ أنَّهُ كرهَ [ذٰلكَ] ، ثمَّ فُتِحَ علينا خمسةُ دنانيرَ ، فدخلْنا قريةً ، فقلتُ : يشتري لنا شيئاً لا محالةَ ، فمرَّ ولمْ يفعلْ ، ثمَّ قالَ : لعلَّكَ تقولُ : نمشي جياعاً ولمْ يشترِ لنا شيئاً ! هوَ ذا نُوافي اليهوديةَ ـ قريةٌ على الطريقِ ـ وثَمَّ رجلٌ صاحبُ عيالٍ ، إذا دخلْناها يشتغلُ بنا ، فأدفعُها إليهِ لينفقَ علينا وعلىٰ عيالِهِ .

فوصلْنا إليها ، ودفعَ الدنانيرَ إلى الرجلِ ، فأنفقَها ، فلمَّا خرجْنا . . قالَ لي : إلىٰ أينَ يا أبا الحسينِ ؟ فقلتُ : أسيرُ معَكَ ، فقالَ : لا ، إنَّكَ تخونُني في قَرْعةٍ وتصحبُني ؟! لا تفعلْ ، وأبىٰ أنْ أصحبَهُ[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ الصغيرَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ يقولُ : كنتُ في حالِ حداثتي استقبلَني بعضُ الفقراءِ ، فرأىٰ فيَّ أثرَ الضرِّ والجوعِ ، فأدخلَني دارَهُ وقدَّمَ إليَّ لحماً

---

(١) في هامش (ل) ما يفيد أنها عَمَّان عاصمة الأردن ، ويبعد .

(٢) في (ي) : (الشجري) بدل (السجزي) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٤١٥) .

طُبِخَ بالكشكِ واللحمُ متغيّرٌ ، فكنتُ آكلُ الثريدَ وأتجنَّبُ اللحمَ لتغيُّرِهِ ، فلقمَني لقمةً ، فأكلتُها بجهدٍ ، ثمَّ لقمَني ثانيةً فبلغَتْني مشقَّةٌ ، فرأىٰ ذٰلكَ فيَّ وخجِلَ وخجِلتُ لأجلِهِ ، فخرجتُ وانزعجتُ في الحالِ للسفرِ .

فأرسلتُ إلىٰ والدتي مَنْ يحملُ إليَّ مرقَّعتي ، فلمْ تعارضْني الوالدةُ ، ورضِيَتْ بخروجي ، فارتحلتُ مِنَ القادسيةِ معَ جماعةٍ مِنَ الفقراءِ ، فتِهْنا ، ونفدَ ما كانَ معَنا ، وأشرفْنا على التلفِ ، فوصلْنا إلىٰ حيٍّ مِنْ أحياءِ العربِ ولمْ نجدْ شيئاً ، واضطررْنا إلىٰ أنِ اشترَينا منهُمْ كلباً بدنانيرَ ، وشوَوهُ ، وأعطَوني قطعةً مِنْ لحمِهِ ، فلمَّا أردتُ أكلَهُ . . فكَّرْتُ في حالي ، فوقعَ لي أنَّهُ عقوبةُ خجلِ ذٰلكَ الفقيرِ ، فتُبْتُ في نفسي وسكنتُ ، فدلُّونا على الطريقِ ، فمضَيتُ وحججتُ ، ثمَّ رجعتُ معتذراً إلى الفقيرِ (١) .

* * *

(١) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٥٢/٤٠٩) ، وفي هامش (ل) : (بلغ مقابلةً) .

بابُ الصحبة

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾[١] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : لمَّا أثبتَ سبحانَهُ للصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ الصحبةَ . . بيَّنَ أنَّهُ أظهرَ عليهِ الشفقةَ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾ ؛ فالحرُّ شفيقٌ علىٰ مَنْ يصحبُهُ .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ محمدٍ الحِنَّائيُّ قالَ : حدَّثَنا عثمانُ بنُ عبدِ اللهِ القرشيُّ ، عنْ نعيمِ بنِ سالمٍ[٢] ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « متىٰ ألقىٰ أحبابي ؟ » ، فقالَ أصحابُهُ : بأبينا أنتَ وأمِّنا ؛ أولسْنا أحبابَكَ ؟ فقالَ : « أنتمْ أصحابي ، أحبابي قومٌ لمْ يروني وآمنوا بي ، أنا إليهمْ بالأشواقِ »[٣] .

الصحبةُ علىٰ ثلاثةِ أقسامٍ :

صحبةٌ معَ مَنْ فوقَكَ : وهيَ في الحقيقةِ خدمةٌ .

وصحبةٌ معَ مَنْ هوَ دونَكَ : وهيَ تقضي على المتبوعِ بالشفقةِ والرحمةِ ، وعلى التابعِ بالوفاقِ والحُرمةِ .

---

(١) سورة التوبة : (٤٠) .

(٢) كذا تصحَّف في جميع النسخ ، وهو يغنم ـ بياء مثناة تحتية أولَهُ ، ثم بالغين المنقوطة ، فنون فميم ـ ابن سالم بن قنبر خادم سيدنا علي رضي الله عنه ، ويقال له : غنيم ، وانظر « لسان الميزان » (٥٤٣/٨) ، وعثمان الراوي عنه : هو الشامي الأموي ، والحنائي ـ وهو أبو زكريا البختري نسبة لجده ـ نسبة إلىٰ بيع الحنَّاء ، وإنما خصَّهم بلقب المحبة مع تلبس الأصحاب بها . . لمزيد الرأفة والرحمة .

(٣) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » (١٥٥/٣) من غير القطعة الأخيرة ، وانظر « مجمع الزوائد » (١٦٦٥٦) ، ورواه مسلم (٢٤٩) ولكن من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

وصحبةُ الأكفاءِ والنظراءِ : وهيَ مبنيةٌ على الإيثارِ والفتوَّةِ .

فمَنْ صحبَ شيخاً فوقَهُ في الرتبةِ . . فأدبُهُ تركُ الاعتراضِ ، وحمْلُ ما يبدو منهُ علىٰ وجهٍ جميلٍ ، وتلقي أحوالِهِ بالإيمانِ بهِ .

سمعتُ منصورَ بنَ خلفٍ المغربيَّ وسألَهُ بعضُ أصحابِنا : كمْ سنةً صحبتَ أبا عثمانَ المغربيَّ ؟ فنظرَ إليهِ شزراً وقالَ : إنِّي لمْ أصحبْهُ ، بلْ خدمتُهُ مدَّةً .

وأمَّا إذا صحبَكَ مَنْ هوَ دونَكَ . . فالخيانةُ منكَ في حقِّ صحبتِهِ ألَّا تنبِّهَهُ علىٰ ما فيهِ مِنْ نقصانٍ في حالتِهِ .

كتبَ أبو الخيرِ التيناتيُّ إلىٰ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ نُصيرٍ : (وزْرُ جهلِ الفقراءِ عليكُمْ ؛ لأنَّكُمُ اشتغلتُمْ بنفوسِكُمْ عنْ تأديبِهِمْ ، فبقوا جهلةً) .

وأمَّا إذا صحبتَ مَنْ هوَ في درجتِكَ . . فسبيلُكَ التعامي عنْ عيوبِهِ ، وحملُ ما ترىٰ منهُ علىٰ وجهٍ مِنَ التأويلِ جميلٍ ما أمكنَكَ ، فإنْ لمْ تجدْ تأويلاً . . عُدْتَ إلىٰ نفسِكَ بالتُّهْمَةِ والتزامِ اللائمةِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قالَ أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ : قلتُ لأبي سليمانَ الدارانيِّ : إنَّ فلاناً لا يقعُ مِنْ قلبي ، فقالَ أبو سليمانَ : وليسَ يقعُ أيضاً مِنْ قلبي ، ولـٰكنْ يا أحمدُ ؛ لعلَّنا أُتينا مِنْ قِبَلِنا ؛ لسْنا مِنْ جملةِ الصالحينَ فليسَ نحبُّهُمْ[1] .

وقيلَ : صحبَ رجلٌ إبراهيمَ بنَ أدهمَ ، فلمَّا أرادَ أنْ يفارقَهُ . . قالَ لهُ الرجلُ : إنْ رأيتَ فيَّ عيباً . . فنبِّهْني ، فقالَ إبراهيمُ : إنِّي لمْ أرَ لكَ عيباً ؛ لأنِّي لاحظتُكَ بعينِ الودادِ ، فاستحسنتُ منكَ ما رأيتُ ، فسلْ غيري عنْ عيبِكَ .

---

(١) كذا في غير (هـ ، ي) ، ونسخة هامش (ل) و« إحكام الدلالة » (٣٣/٤) : (فلسنا نحبهم) ، وقال : (أي : حقنا أن نحبهم وإن لم نكن منهم ، وفي ذلك دلالة علىٰ أنه ينبغي للعبدِ إذا وجد نقصاً في غيره أن يرده إلىٰ نفسه ، وعلىٰ أن حق كل من المتكافئين أن ينبّه صاحبه فيما يحتاج إلى التنبيه فيه برفق وحسن سياسة) .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الطويل]

وَعَيْنُ ٱلرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... وَلَٰكِنَّ عَيْنَ ٱلسُّخْطِ تُبْدِي ٱلْمَسَاوِيَا[1]

وحُكِيَ عنْ إبراهيمَ بنِ شيبانَ قالَ : (كنَّا لا نصحبُ مَنْ يقولُ : نعلي)[2] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : قالَ أبو أحمدَ القلانسيُّ ، وكانَ مِنْ جملةِ أُستاذي الجنيدِ : (صحبتُ أقواماً بالبصرةِ فأكرموني ، فقلتُ مرَّةً لبعضِهِمْ : أينَ إزاري ؟ فسقطتُ مِنْ أعينِهِمْ)[3] .

وسمعتُ أبا حاتِمٍ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ الزقَّاقَ يقولُ : (منذُ أربعينَ سنةً أصحبُ هٰؤلاءِ ، فما رأيتُ رِفْقاً لأصحابِنا إلَّا مِنْ بعضِهِمْ لبعضٍ ، أوْ ممَّنْ يحبُّهُمْ ، ومَنْ لمْ يصحبْهُ التقوىٰ والورعُ في هٰذا الأمرِ . . أكلَ الحرامَ النصَّ)[4] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قالَ رجلٌ لسهلِ بنِ عبدِ اللهِ : أريدُ أنْ أصحبَكَ يا أبا محمدٍ ، فقالَ : إذا ماتَ أحدُنا . . فمَنْ يصحبُ الباقي ؟ فقالَ : اللهَ تعالىٰ ، فقالَ : فليصحبْهُ الآنَ[5] .

وصحبَ رجلٌ رجلاً مدَّةً ، ثمَّ بدا لأحدِهِما المفارقةُ ، فاستأذنَ صاحبَهُ ، فقالَ : بشرطِ ألَّا تصحبَ أحداً إلَّا إذا كانَ فوقَنا ، وإنْ كانَ فوقَنا أيضاً . . فلا تصحبْهُ ؛ لأنَّكَ صحبتَنا أوَّلاً ، فقالَ الرجلُ : زالَ مِنْ قلبي إرادةُ المفارقةِ .

---

(١) البيت لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر كما في « عيون الأخبار » (٣/٧٦) ، وقبله :

فلستُ براءٍ عيبَ ذي الودِّ كلَّه ... ولا بعضَ ما فيه إذا كنتُ راضيا

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٤) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٢) .

(٤) ورواه السراج في « اللمع » (ص ٢٣١) ، والمعنىٰ : لا يترفقون بأنفسهم ، بل ببعضهم لبعض ، والنصّ : الخالص ، وقد مرَّ .

(٥) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٤) .

سمعتُ أبا حاتِمِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ الدُّقيَّ يقول : سمعتُ الكَتَّانيَّ يقولُ : صحبَني رجلٌ وكانَ علىٰ قلبي ثقيلاً ، فوهبتُ لهُ شيئاً ليزولَ ما في قلبي ، فلمْ يزلْ ، فحملتُهُ إلىٰ بيتي وقلتُ لهُ : ضَعْ رِجْلَكَ علىٰ خدِّي ، فأبىٰ ، فقلتُ : لا بدَّ ، ففعلَ ، واعتقدتُ ألَّا يرفعَ رجلَهُ مِنْ خدِّي حتَّىٰ يرفعَ اللهُ مِنْ قلبي ما كنتُ أجدُهُ ، فلمَّا زالَ عنْ قلبي ما كنتُ أجدُهُ . . قلتُ لهُ : ارفعْ رجلَكَ الآنَ(١) .

وكانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ يعملُ في الحصادِ وحفظِ البساتينِ وغيرِهِ ، وينفقُ علىٰ أصحابِهِ(٢) .

وقيلَ : كانَ معَ جماعةٍ مِنْ أصحابِهِ ، فكانَ يعملُ بالنهارِ ، وينفقُ عليهِمْ ، ويجتمعونَ بالليلِ في موضعٍ وهمْ صيامٌ ، فكانَ يبطئُ في الرجوعِ مِنَ العملِ ، فقالوا ليلةً : تعالَوا نأكلْ فطورَنا دونَهُ حتَّىٰ يعودَ بعدَ هـٰذا أسرعَ ، فأفطروا وناموا ، فلمَّا رجعَ إبراهيمُ . . وجدَهُمْ نياماً ، فقالَ : مساكينُ ، لعلَّهُمْ لمْ يكنْ لهُمْ طعامٌ ، فعَمَدَ إلىٰ شيءٍ مِنَ الدقيقِ كانَ هناكَ ، فعجنَهُ ، وأوقدَ النارَ ، وطرحَ المَلَّةَ ، فانتبهوا وهوَ ينفخُ في النارِ واضعاً محاسنَهُ على الترابِ ، فقالوا لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : قلتُ : لعلَّكُمْ لمْ تجدوا فطوراً فنمتُمْ ، فأحببتُ أنْ تستيقظوا والمَلَّةُ قدْ أدركَتْ(٣) .

فقالَ بعضُهُمْ لبعضٍ : أبصروا أيْشٍ عملْنا ، وما الذي بهِ يعاملُنا !

وقيلَ : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ إذا صحبَهُ أحدٌ . . شارطَهُ علىٰ ثلاثةِ أشياءَ : أنْ تكونَ الخدمةُ والأذانُ لهُ ، وأنْ تكونَ يدُهُ في جميعِ ما يفتحُ اللهُ تعالىٰ عليهِمْ مِنَ الدنيا كيدِهِمْ ، فقالَ لهُ يوماً رجلٌ مِنْ أصحابِهِ : أنا لا أقدرُ علىٰ هـٰذا ، فقالَ : أعجبَني صدقُكَ(٤) .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٦) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٦) .

(٣) المَلَّة : الرماد الحارُّ الذي يُحمىٰ ليدفن فيه الخبز ، ومحاسنه هنا : حُرُّ وجهه .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٧) ، وبعضه رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٢٨) .

وقالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : قلتُ لذي النونِ : معَ مَنْ أصحبُ ؟ فقالَ : معَ مَنْ لا تكتمُهُ شيئاً يعلمُهُ اللهُ تعالىٰ منكَ (١) .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ لرجلٍ : إنْ كنتَ ممَّنْ يخافُ السباعَ . . فلا تصحبْني (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ ابنَ الحسينِ العلويَّ يقولُ : حدَّثَنا عبدُ الرحمٰنِ بنُ حمدانَ قالَ : حدَّثَنا القاسمُ بنُ منبهٍ قالَ (٣) : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : (صحبةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيارِ) (٤) .

وحكى الجنيدُ قالَ : لمَّا دخلَ أبو حفصٍ بغدادَ . . كانَ معَهُ إنسانٌ أصلعُ لا يتكلَّمُ بشيءٍ ، فسألتُ أصحابَ أبي حفصٍ عنْ حالِهِ ، فقالوا : هٰذا رجلٌ أنفقَ عليهِ مئةَ ألفِ درهمٍ ، واستدانَ مئةَ ألفِ درهمٍ أنفقَها عليهِ ، لا يرخِّصُ أبو حفصٍ لهُ أنْ يتكلَّمَ بحرفٍ (٥) .

وقالَ ذو النونِ : (لا تصحبْ معَ اللهِ تعالىٰ إلَّا بالموافقةِ ، ولا معَ الخلقِ إلَّا بالمناصحةِ ، ولا معَ النفسِ إلَّا بالمخالفةِ ، ولا معَ الشيطانِ إلَّا بالعداوةِ) (٦) .

وقالَ رجلٌ لذي النونِ : معَ مَنْ أصحبُ ؟ فقالَ : معَ مَنْ إذا مرضتَ . . عادَكَ ، وإذا أذنبتَ . . تابَ عليكَ (٧) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : (الشجرُ إذا نبتَ بنفسِهِ ولمْ يستنبتْهُ

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٦) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٨/١٠) .
(٢) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٦) .
(٣) في (أ) من الأصول : (أبو القاسم) بدل (القاسم) ، والصواب المثبت . انظر « تاريخ بغداد » (٤٣٠/١٢) .
(٤) نسبها السلمي في « وصيَّته » (ص ٤٣) لأبي تراب النخشبي ، وهي كلمة مشهورة لابن المقفع في « كليلة ودمنة » .
(٥) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٥) ، يعني : أنفق هٰذا الرجل علىٰ أبي حفص وجماعته كلَّ هٰذا ولم يأذن له في الكلام ؛ لأنه رأىٰ أن السكوت أفضل له وأجمع لهمه وأبعد عن رؤية نفسه . انظر « إحكام الدلالة » (٣٥/٤) .
(٦) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٤) .
(٧) كذا في « اللمع » (ص ٢٣٤) ، ورواه السلمي في « الفتوة » (ص ١٩) .

أحدٌ . . يورقُ ولـٰكنَّهُ لا يثمرُ ، كذٰلكَ المريدُ إذا لَمْ يكنْ لهُ أستاذٌ يتخرَّجُ بهِ . . لا يجيءُ منهُ شيءٌ) .

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ يقولُ : (أخذتُ هـٰذا الطريقَ عنِ النصراباذيِّ ، والنصراباذيُّ عنِ الشِّبليِّ ، والشِّبليُّ عنِ الجنيدِ ، والجنيدُ عنِ السريِّ ، والسريُّ عنْ معروفٍ الكَرْخيِّ ، ومعروفٌ الكَرْخيُّ عنْ داوودَ الطائيِّ ، وداوودُ الطائيُّ لقيَ التابعينَ) .

وسمعتُهُ يقولُ : لمْ أختلفْ إلىٰ مجلسِ النصراباذيِّ قطُّ إلَّا اغتسلتُ قبلَهُ .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ : ولمْ أدخلْ أنا على الأستاذِ أبي عليٍّ في وقتِ بدايتي إلَّا صائماً ، وكنتُ أغتسلُ قبلَهُ ، وكنتُ أحضرُ بابَ مدرستِهِ غيرَ مرَّةٍ فأرجعُ مِنَ البابِ احتشاماً منهُ أنْ أدخلَ عليهِ ، فإذا تجاسرتُ مرَّةً ودخلتُ . . كنتُ إذا بلغتُ وسطَ المدرسةِ يصحبُني شبهُ خَدَرٍ ، حتَّىٰ لوْ غُرِزَ فيَّ إبرةٌ مثلاً . . لعلِّي كنتُ لا أُحِسُّ [بها] ، ثمَّ إذا قعدتُ لواقعةٍ وقعَتْ لي . . لمْ أحتجْ أنْ أسألَهُ بلساني عنِ المسألةِ ، فكما كنتُ أجلسُ (١) . . كانَ يبتدئُ بشرحِ واقعتي ، وغيرَ مرَّةٍ رأيتُ منهُ هـٰذا عِياناً .

وكنتُ أفكِّرُ في نفسي كثيراً أنَّهُ لوْ بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ في وقتي رسولاً إلى الخلقِ . . هلْ يمكنُني أنْ أزيدَ مِنْ حشمتِهِ علىٰ قلبي فوقَ ما كانَ منهُ رحمَهُ اللهُ ؟ وكانَ لا يُتصوَّرُ لي أنَّ ذٰلكَ ممكنٌ .

ولا أذكرُ أنِّي في طولِ اختلافي إلىٰ مجلسِهِ ، ثمَّ كوني معَهُ بعدَ حصولِ الوُصلةِ . . أنْ جرىٰ في قلبي أوْ خطرَ ببالي عليهِ قطُّ اعتراضٌ ، إلىٰ أنْ خرجَ رحمَهُ اللهُ مِنَ الدنيا (٢) .

---

(١) في (ج) : (فلما) بدل (فكما) ، ومعنىٰ (فكما) : فعندما ، أو : فحينما ، كما في (ل) .

(٢) وإذا كان هـٰذا معتبراً في حق أشياخهم ، فما الظن بهم في حق المولىٰ تبارك وتعالىٰ ؟! انظر « نتائج الأفكار » (٣٦/٤) ، وانظر المقدمة (ص ١٨) وفيها الحديث عن شيخه الدقاق رحمه الله تعالىٰ .

أخبرَنا حمزةُ بنُ يوسفَ السهميُّ الجُرْجانيُّ قالَ : أخبرَنا محمدُ بنُ أحمدَ العبديُّ قالَ : حدَّثَنا أبو عَوانةَ قالَ : حدَّثَنا يونسُ قالَ : حدَّثَنا خلفُ بنُ تميمٍ قالَ : حدَّثَنا أبو الأحوصِ ، عنْ محمدِ بنِ النضرِ الحارثِيِّ قالَ : **أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ : كُنْ يقظانَ[1] ، مرتاداً لنفسِكَ أخداناً ، وكلُّ خِدْنٍ لا يواتيكَ علىٰ مسرَّةٍ . . فأقصِهِ ، ولا تصحبْهُ ؛ فإنَّهُ يقسِّي قلبَكَ ، وهوَ لكَ عدوٌّ ، وأكثِرْ مِنْ ذكري . . تستوجبْ شكري والمزيدَ مِنْ فضلي**[2] .

سمعتُ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ ابنَ المعلِّمِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الطَّمَستانيَّ يقولُ : (**اصحبوا معَ اللهِ تعالىٰ ، فإنْ لمْ تطيقوا . . فاصحبوا معَ مَنْ يصحبُ معَ اللهِ تعالىٰ ؛ لتوصلَكُمْ بركاتُ صحبتِهِمْ إلىٰ صحبةِ اللهِ عزَّ وجلَّ**)[3] .

* * *

(١) كذا في (أ) وحدها ، وصرفت (يقظان) في سائر النسخ علىٰ لغةٍ ، وكذا في الأصل المخرَّج منه .

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٦٤) .

(٣) أفاد به : أن العبد إذا قصرت همته بنفسه . . ينبغي له أن يتعرَّض للمدد والنفحات بالاجتماع علىٰ أصحاب الأسرار والبركات . « نتائج الأفكار » (٣٧/٤) .

بابُ التّوحيد

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[1] .

أخبرَنا الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُوركَ رحمَهُ اللهُ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ محمودِ ابنِ خُرَّزاذَ قالَ : حدَّثَنا مُسَبِّحُ بنُ حاتِمٍ العُكْلِيُّ قالَ : حدَّثَنا الحَجَبيُّ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الوهَّابِ قالَ : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عنْ سعيدِ بنِ أبي صدقةَ ، عنْ محمدِ بنِ سيرينَ ، عنْ أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **بينا رجلٌ فيمَنْ كانَ قبلَكُمْ لمْ يعملْ خيراً قطُّ إلَّا التوحيدَ ، فقالَ لأهلِهِ : إذا متُّ . . فأحرقوني ، ثمَّ اسحقوني ، ثمَّ ذَرُّوني ؛ نصفي في البرِّ ونصفي في البحرِ في يومٍ رائحٍ ، ففعلوا ، فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ للريحِ : أدِّي ما أخذتِ ، فإذا هوَ بينَ يديهِ ، فقالَ لهُ : ما حملَكَ على ما صنعتَ ؟ فقالَ : استحياءً منكَ ، فغفرَ لهُ** »[2] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : **التوحيدُ** : هوَ الحكمُ بأنَّ الشيءَ واحدٌ ، والعلمُ بأنَّ الشيءَ واحدٌ أيضاً توحيدٌ ، **يُقالُ** : وَحَّدتُهُ ؛ إذا وصفتَهُ بالوَحدانيةِ ، **كما يُقالُ** : شَجَّعتُ فلاناً ؛ إذا نسبتَهُ إلى الشجاعةِ ، **ويُقالُ** في اللغةِ : وَحُدَ يَحِدُ[3] ، فهوَ واحدٌ ووَحِدٌ ووحيدٌ ، **كما يُقالُ** : فَرُدَ ، فهوَ فاردٌ وفَرِدٌ وفريدٌ .

وأصلُ أَحَدٍ وَحَدٌ ، فقُلبَتِ الواوُ همزةً ، والواوُ المفتوحةُ قدْ تُقلَبُ همزةً كما

---

(١) سورة البقرة : (١٦٣) .

(٢) ورواه أحمد في « المسند » (٢/٣٠٤) ، ومسلم (٢٧٥٦) ، ورواه البخاري (٣٤٧٨) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ومثل هـٰذه الوصية باطلة في شريعتنا ، لا يجوز العمل بها ، فلعل ذٰلك كان جائزاً في شريعتهم . « نتائج الأفكار » (٤/٣٩) .

(٣) المضارع لكلٍّ منهما ـ بضم عين الفعل وكسرها ـ : يَحِدُ ، قال ابن الطيب : وكلاهما مما لا نظير له . انظر « تاج العروس » (و ح د) .

تُقلَبُ المكسورةُ والمضمومةُ ، ومنهُ امرأةٌ أسماءُ ؛ بمعنىٰ وَسْمَاءُ مِنَ الوسامةِ .

ومعنىٰ كونِهِ سبحانَهُ واحداً علىٰ لسانِ العلمِ :

قيلَ : هوَ الذي لا يصحُّ في وصفِهِ الوضعُ والرفعُ (١) ، بخلافِ قولِكَ : إنسانٌ واحدٌ ؛ لأنَّكَ تقولُ : إنسانٌ بلا يدٍ ولا رِجْلٍ ، فيصحُّ رفعُ شيءٍ منهُ ، والحقُّ سبحانَهُ أحديُّ الذاتِ ، بخلافِ اسمِ الجملةِ الحاملةِ (٢) .

وقالَ بعضُ أهلِ التحقيقِ : معنىٰ أنَّهُ واحدٌ : نفيُ القَسِيمِ لذاتِهِ ، ونفيُ الشبيهِ عنْ حقِّهِ وصفاتِهِ ، ونفيُ الشريكِ معَهُ في أفعالِهِ ومصنوعاتِهِ (٣) .

والتوحيدُ ثلاثةٌ :

توحيدُ الحقِّ للحقِّ ؛ وهوَ علمُهُ بأنَّهُ واحدٌ ، وخبرُهُ عنهُ بأنَّهُ واحدٌ .

والثاني : توحيدُ الحقِّ سبحانَهُ للخلقِ ؛ وهوَ حكمُهُ سبحانَهُ بأنَّ العبدَ موحِّدٌ ، وخلقُهُ توحيدَ العبدِ (٤) .

والثالثُ : توحيدُ الخلقِ للحقِّ سبحانَهُ ؛ وهوَ علمُ العبدِ بأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ ، وحكمُهُ وإخبارُهُ عنهُ بأنَّهُ واحدٌ (٥) .

فهٰذهِ جملةٌ في معنى التوحيدِ ، علىٰ شرطِ الإيجازِ والتحديدِ .

واختلفَ عباراتُ الشيوخِ عنْ معنى التوحيدِ (٦) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ

---

(١) اللذان هما من صفات الأجسام . « إحكام الدلالة » (٤/٤٠) .

(٢) أي : الاسم الموضوع للدلالة علىٰ جملة مركبة من حيوانية وناطقية ، وحاملة لأجزاء تركبت منها الشخصية التي هي تحت النوعية . « نتائج الأفكار » (٤/٤٠) .

(٣) فنفيُ القسيم ـ أو التقسيم كما في (ج) ـ يفيد نفيَ الكم المتصل بالذات ، تعالى الله أن تؤلَّف ذاته من أجزاء ، ونفيُ الشبيه في حقِّه وصفاته نفيٌ للكم المنفصل عن الذات ، فلا مثالَ له تعالىٰ ، ونفيٌ للكمَّين المتصل والمنفصل في الصفات ، فلا تعدُّد لصفته ، ولا مثيلَ لها ، ونفيُ الشريك في الأفعال هو نفيٌ للكم المنفصل للأفعال ، فلا فعل كفعله تعالىٰ ، أما المتصل . . فمتعدِّدٌ .

(٤) بأن أوجد فيه التوحيد ، وأثنىٰ عليه به . « إحكام الدلالة » (٤/٤٢) .

(٥) فالأول راجع لصفتي العلم والكلام ، والثاني لصفتي الإرادة والقدرة ، والثالث لمتعلقاتهما .

(٦) كذا في جميع النسخ : (واختلف) .

عبدِ اللهِ بنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ وقدْ سُئِلَ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : أنْ تعلمَ أنَّ قدرةَ اللهِ تعالىٰ في الأشياءِ بلا مزاجٍ ، وصنعَهُ للأشياءِ بلا علاجٍ ، وعلَّةُ كلِّ شيءٍ صنعُهُ ، ولا علَّةَ لصنعِهِ ، ومهما تُصُوِّرَ في نفسِكَ شيءٌ . . فاللهُ عزَّ وجلَّ بخلافِهِ (١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ زكريا يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ صالحٍ يقولُ : قالَ الجُرَيريُّ : (ليسَ لعلمِ التوحيدِ إلَّا لسانُ التوحيدِ) (٢) .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : إفرادُ الموحَّدِ بتحقيقِ وحدانيتِهِ بكمالِ أحديَّتِهِ ؛ أنَّهُ الواحدُ الذي لمْ يلدْ ، ولمْ يولدْ ؛ بنفيِ الأضدادِ والأندادِ والأشباهِ ، بلا تشبيهٍ ولا تكييفٍ ، ولا تصويرٍ ولا تمثيلٍ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (٣) .

وقالَ الجنيدُ : (إذا تناهَتْ عقولُ العقلاءِ في التوحيدِ . . تناهَتْ إلى الحَيرةِ) .

وسمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ ابنَ مِقْسمٍ يقولُ : سمعتُ جعفرَ بنَ محمدٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ ذٰلكَ .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : معنىً تضمحلُّ فيهِ الرسومُ ، وتندرجُ فيهِ العلومُ ، ويكونُ اللهُ كما لمْ يزلْ (٤) .

وقالَ الحُصْريُّ : (أصولُنا في التوحيدِ خمسةُ أشياءَ : رفعُ الحدثِ ، وإفرادُ القدمِ ، وهجرُ الإخوانِ ، ومفارقةُ الأوطانِ ، ونسيانُ ما علمَ وجهلَ) (٥) .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٤٩) ، وقد تقدم (ص ٨٧) والكلام فيه .

(٢) فيه إشارة إلى الفرق بين علم التوحيد وحال التوحيد ، فمن حاله التوحيد قد لا تُفهم عنه إشارته للتوحيد .

(٣) الخبر في « اللمع » (ص ٤٩) ، وقد تقدم (ص ٨٦) ، والآية من سورة الشورىٰ : (١١) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٤٩) ، قال تعالىٰ في سورة الحج (٥) : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ .

(٥) رفع الحدث : اضمحلال وسقوط الحادث ، وذٰلك الرفع والإسقاط إسقاطٌ شهودي عياني ذوقي ، لا مجرَّد اعتقاد متكلَّف فيه . « نتائج الأفكار » (٤/٤٤) .

سمعتُ منصورَ بنَ خلفٍ المغربيَّ يقولُ : كنتُ في صحنِ الجامعِ ببغدادَ - يعني : جامعَ المنصورِ - والحُصْريُّ يتكلَّمُ في التوحيدِ ، فرأيتُ ملكينِ يعرجانِ إلى السماءِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : الذي يقولُ هٰذا الرجلُ علمٌ والتوحيدُ غيرُهُ ؛ يعني : كنتُ بينَ اليقظةِ والنومِ (١) .

وقالَ فارسٌ : (التوحيدُ : هوَ إسقاطُ الوسائطِ عندَ غلبةِ الحالِ ، والرجوعُ إليها عندَ الأحكامِ ، وأنَّ الحسناتِ لا تغيِّرُ الأقسامَ مِنَ الشقاوةِ والسعادةِ) (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ ابنَ شاذانَ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : (التوحيدُ : صفةُ الموحَّدِ حقيقةً ، وحليةُ الموحِّدِ رسماً) .

وسُئِلَ الجنيدُ عنْ توحيدِ الخاصِّ ، فقالَ : أنْ يكونَ العبدُ شبحاً بينَ يدي اللهِ عزَّ وجلَّ ، يُجري عليهِ تصاريفَ تدبيرِهِ ، في مجاري أحكامِ قدرتِهِ ، في لُجَجِ بحارِ توحيدِهِ ؛ بالفناءِ عنْ نفسِهِ وعنْ دعوةِ الخلقِ لهُ وعنِ استجابتِهِ ، بحقائقِ وجودِهِ ووَحدانيتِهِ في حقيقةِ قربِهِ بذهابِ حسِّهِ وحركتِهِ (٣) ، لقيامِ الحقِّ لهُ فيما أرادَ منهُ ؛ وهوَ أنْ يرجعَ آخرُ العبدِ إلىٰ أوَّلِهِ ، فيكونَ كما كانَ قبلَ أنْ يكونَ (٤) .

وسُئِلَ البُوشَنجيُّ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : غيرُ مشبَّهِ الذاتِ ، ولا منفيِّ الصفاتِ (٥) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ العنبريَّ يقولُ : سمعتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ وقدْ سُئِلَ عنْ ذاتِ اللهِ تعالىٰ ، فقالَ : ذاتُ اللهِ موصوفةٌ بالعلمِ ، غيرُ مدركةٍ

---

(١) هٰذا صريح في الفرق بين علم التوحيد وحال التوحيد . « إحكام الدلالة » (٤/٤٥) ، وفي (ي) : (علم التوحيد والتوحيد غيره) .

(٢) هٰذا جمع بين حال وعلم التوحيد ، وفارسٌ : لعله الدينوري صاحب ممشاذ رحمه الله تعالىٰ .

(٣) أي : فناؤه عما ذُكر بسبب حقائق وجوده ووحدانيته . « إحكام الدلالة » (٤/٤٧) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٤٩) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (١/٢٤٨) دون نسبة .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٤١/٢١٥) ، وقد تقدم (ص ٨٦) .

بالإحاطةِ ، ولا مرئيةٍ بالأبصارِ في دارِ الدنيا ، وهيَ موجودةٌ بحقائقِ الإيمانِ مِنْ غير حدٍّ ولا إحاطةٍ ولا حلولٍ ، وتراهُ العيونُ في العقبىٰ ظاهراً في ملكِهِ وقدرتِهِ ، قدْ حجبَ الخلقَ عنْ معرفةِ كنهِ ذاتِهِ ، ودلَّهُمْ عليهِ بآياتِهِ ، فالقلوبُ تعرفُهُ ، والعقولُ لا تدركُهُ ، ينظرُ إليهِ المؤمنونَ بالأبصارِ مِنْ غيرِ إحاطةٍ ولا إدراكِ نهايةٍ .

وقالَ الجنيدُ : (**أشرفُ كلمةٍ في التوحيدِ ما قالَهُ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ** : سبحانَ مَنْ لمْ يجعلْ لخلقِهِ سبيلاً إلىٰ معرفتِهِ إلَّا بالعجزِ عنْ معرفتِهِ)[1] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : **ليسَ يريدُ الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ لا يُعرفُ** ؛ لأنَّ عندَ المحققينَ العجزَ عجزٌ عنِ الموجودِ دونَ المعدومِ ؛ **كالمُقْعَدِ** عاجزٌ عند قعودِهِ ؛ إذْ ليسَ بكسبٍ لهُ ولا فعلٍ ، والقعودُ موجودٌ فيهِ ، **كذٰلكَ العارفُ** عاجزٌ عنْ معرفتِهِ والمعرفةُ موجودةٌ فيهِ ؛ لأنَّها ضروريةٌ .

وعندَ هٰذهِ الطائفةِ المعرفةُ بهِ سبحانَهُ في الانتهاءِ ضروريةٌ ، **فالمعرفةُ الكسبيَّةُ في الابتداءِ** ـ وإنْ كانَتْ معرفةً على التحقيقِ ـ **فلم يعدَّها الصدِّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ شيئاً بالإضافةِ إلى المعرفةِ الضروريةِ** ؛ كالسراجِ عندَ طلوعِ الشمسِ وانبساطِ شعاعِها عليهِ[2] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ سعيدٍ البصريَّ بالكوفةِ يقولُ : سمعتُ ابنَ الأعرابيِّ يقولُ : قالَ الجنيدُ : (**التوحيدُ الذي انفردَ بهِ الصوفيَّةُ** : هوَ إفرادُ القِدَمِ عنِ الحدثِ[3] ، والخروجُ عنِ الأوطانِ ،

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٥٧) أورد كلمة الصديق رضي الله عنه ، وفي « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤) ، والهجويري في « كشف المحجوب » (ص ٢١٣) ، وذكر الإمام أبو طالب المكي في « القوت » (٨٧/٢) أنه رواها في خطبة للصديق رضي الله عنه .

(٢) واستبعد بعضهم هٰذا التأويل ، قال : وإنما أراد الصديق أن العبد إنما يعرف من جلال الله وعظمته ما خلقَ له المعرفة به ، دون ما عجزت العقول عن إدراكه ولم يخلقه له من حقيقة ذاته وصفاته ، فهو عاجز عن معرفة ذٰلك . « إحكام الدلالة » (٤٨/٤) ، وقد نصَّ الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٣٤) علىٰ أن تنزيه القديم عن إدراك المحدَث أحدُ أركان التوحيد ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٣) في (ج) : (وهو إفراد . . .) ، علىٰ أن (الذي) خبر لا صفة .

وقطعُ المحابِّ ، وتركُ ما علمَ وجهلَ ، وأنْ يكونَ الحقُّ سبحانَهُ مكانَ الجميعِ)[1] .

وقالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : (مَنْ وقعَ في بحارِ التوحيدِ لا يزدادُ علىٰ ممرِّ الأوقاتِ إلَّا عطشاً) .

وقالَ الجنيدُ : (علمُ التوحيدِ مباينٌ لوجودِهِ ، ووجودُهُ مفارقٌ لعلمِهِ)[2] .

وقالَ الجنيدُ : (علمُ التوحيدِ طُوِيَ بساطُهُ منذُ عشرينَ سنةً ، والناسُ يتكلَّمونَ في حواشيهِ)[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الأصبهانيَّ يقولُ : وقفَ رجلٌ على الحسينِ بنِ منصورٍ فقالَ : مَنِ الحقُّ الذي تشيرونَ إليهِ ؟ فقالَ : مُعِلُّ الأنامِ ولا يعتلُّ[4] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : (مَنِ اطلعَ علىٰ ذرَّةٍ مِنْ علمِ التوحيدِ . . ضعُفَ عنْ حملِ بقَّةٍ ؛ لثقلِ ما حملَ)[5] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سُئِلَ الشِّبليُّ فقيلَ : أخبِرْنا عنْ توحيدٍ مجرَّدٍ بلسانِ حقٍّ مفردٍ .

فقالَ : ويحَكَ ! مَنْ أجابَ عنِ التوحيدِ بالعبارةِ . . فهوَ ملحدٌ ، ومَنْ أشارَ إليهِ . . فهوَ ثَنَويٌّ ، ومَنْ أومأَ إليهِ . . فهوَ عابدُ وثنٍ ، ومَنْ نطقَ فيهِ . . فهوَ غافلٌ ، ومَنْ سكتَ عنهُ . . فهوَ جاهلٌ ، ومَنْ وَهِمَ أنَّهُ واصلٌ . . فليسَ لهُ حاصلٌ ، ومَنْ أومأَ أنَّهُ قريبٌ . . فهوَ بعيدٌ ، ومَنْ تواجدَ . . فهوَ فاقدٌ ، وكلُّ

---

(١) تقدم صدر القول (ص ٨٤) .

(٢) تقدم (ص ٢٤٧) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١/١٦٢) .

(٤) وأورده السلمي في « تفسيره » (١/٣٠٢) ، وفيه : (الأيام) بدل (الأنام) .

(٥) كذا في « اللمع » (ص ٥٤) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٧٠) ، والمعنىٰ : من عرف أنه إليه يرجعُ الأمرُ كله . . فكيف ينسب فعلاً مهما حقُرَ لنفسه ؟!

ما ميَّزتموهُ بأوهامِكُمْ وأدركتموهُ بعقولِكُمْ في أتمِّ معانيكُمْ . . فهوَ مصروفٌ مردودٌ إليكُمْ ، محدثٌ مصنوعٌ مثلُكُمْ [1] .

وقالَ يوسفُ بنُ الحسينِ : (توحيدُ الخاصَّةِ : هوَ أنْ يكونَ بسرِّهِ ووجدِهِ وقلبِهِ كأنَّهُ قائمٌ بينَ يديهِ سبحانَهُ ، تجري عليهِ تصاريفُ تدبيرِهِ وأحكامُ قدرتِهِ في بحارِ توحيدِهِ ؛ بالفناءِ عنْ نفسِهِ وذهابِ حسِّهِ بقيامِ الحقِّ سبحانَهُ لهُ في مرادِهِ منهُ ، فيكونُ كما هوَ قبلَ أنْ يكونَ في جريانِ حكمِهِ سبحانَهُ عليهِ) [2] .

وقيلَ : التوحيدُ للحقِّ سبحانَهُ ، والخلقُ طفيليٌّ [3] .

وقيلَ : التوحيدُ : إسقاطُ الياءاتِ ؛ لا تقولُ : لي ، وبي ، ومنِّي ، وإليَّ [4] .

وقيلَ لأبي بكرٍ الطَّمَستانيِّ : ما التوحيدُ ؟ فقالَ : توحيدٌ ، وموحَّدٌ ، وموحِّدٌ ، هـٰذهِ ثلاثةٌ [5] .

وقالَ رُويمٌ : (التوحيدُ : محوُ آثارِ البشريةِ ، وتجرُّدُ الألوهيةِ) [6] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ في آخرِ عمرِهِ وكانَ قدِ اشتدَّتْ بهِ العلَّةُ ، فقالَ : مِنْ أماراتِ التأييدِ حفظُ التوحيدِ في أوقاتِ الحُكمِ ، ثمَّ قالَ كالمفسِّرِ لقولِهِ مشيراً إلىٰ ما كانَ فيهِ مِنْ حالِهِ : هوَ أنْ يقرضَكَ بمقاريضِ القدرةِ في إمضاءِ الأحكامِ قطعةً قطعةً وأنتَ شاكرٌ حامدٌ [7] .

وقالَ الشِّبليُّ : (ما شمَّ روائحَ التوحيدِ مَنْ تصوَّرَ عندَهُ التوحيدُ) [8] .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٥٠) ، ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٥٩/٦٦) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٥١) ، ومعنىٰ : (فيكون كما هو . . .) : فإنه كان قبل أن يكون في علمه تعالىٰ وإرادته معلوماً مراداً وإن لم يكن موجوداً . « إحكام الدلالة » (٥٠/٤) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٥١) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٥٤) بنحوه من كلام أبي نصر السراج نفسه رحمه الله تعالىٰ .

(٥) لا يحصل التوحيد إلا بها ، فقد تبيَّن التوحيد بأركانه . « نتائج الأفكار » (٥٠/٤) ، أو يكون قوله : (هـٰذه ثلاثة) للتعجيب ، فتأمَّل .

(٦) كذا في « اللمع » (ص ٥١) ، والمعنىٰ : رفعُ الإِنِّيَّةِ ، وإفراد القديم عن المحدث ، كما أفاده المؤلف .

(٧) في (ب ، ج ، ز) : (وأنت ساكن خامد) ومعناها ظاهر .

(٨) كذا في « اللمع » (ص ٥٢) ، وتمامه : (وشاهد المعاني ، وأثبت الأسامي ، وأضاف الصفات ، وألزم النعوت ، ومن أثبت هـٰذا كله ، ونفىٰ هـٰذا كله . . فهو موحد حكماً ورسماً ، حقيقة ووجداً) .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (**أوَّلُ مقامٍ لمَنْ وجدَ علمَ التوحيدِ وتحقَّقَ بذٰلكَ** . . فناءُ ذكرِ الأشياءِ عنْ قلبِهِ ، وانفرادُهُ باللهِ عزَّ وجلَّ)[١] .

وقالَ الشِّبليُّ لرجلٍ : **أتدري لِمَ لا يصحُّ توحيدُكَ ؟** فقالَ : لا ، فقالَ : لأنَّك تطلبُهُ بكَ[٢] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (**علامةُ حقيقةِ التوحيدِ** : نسيانُ التوحيدِ ؛ وهوَ أنْ يكونَ القائمُ بهِ واحداً)[٣] .

ويُقالُ : **مِنَ الناسِ مَنْ يكونُ في توحيدِهِ مكاشَفاً بالأفعالِ** ، يرى الحادثاتِ باللهِ ، **ومنهُمْ مَنْ هوَ مكاشَفٌ بالحقيقةِ** ، فيضمحلُّ إحساسُهُ بما سواهُ ، فهوَ يشاهدُ الجمعَ سرّاً بسرٍّ ، وظاهرُهُ بوصفِ التفرقةِ[٤] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ محمدٍ القَزْوينيَّ يقولُ : سمعتُ القنَّادَ يقولُ : **سُئِلَ الجنيدُ عنِ التوحيدِ** ، فقالَ : سمعتُ قائلاً يقولُ : [من الهزج]

وَغَنَّىٰ لِي مُنَىٰ قَلْبِي[٥] ... وَغَنَّيْتُ كَمَا غَنَّىٰ

وَكُنَّا حَيْثُمَا كَانُوا ... وَكَانُوا حَيْثُمَا كُنَّا

فقالَ السائلُ : **هلكَ القرآنُ والأخبارُ ؟!**[٦] .

فقالَ : لا ؛ ولٰكنَّ الموحِّدَ يأخذُ أعلى التوحيدِ مِنْ أدنى الخطابِ[٧] .

* * *

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٥٣) .
(٢) كذا في « اللمع » (ص ٥٣) وفيه : (بإياك) بدل (بك) .
(٣) كذا في « اللمع » (ص ٥٥) .
(٤) بنحوه في « اللمع » (ص ٥٣) .
(٥) في بعض النسخ : (وغنَّىٰ ليَ مِنْ قلبي) .
(٦) أراد : تركت الشاهد منهما وعرَّجت للشعر ؟!
(٧) في (ي) زيادة : (وأيْسَرِهِ) ، وفي هامش (ل) : (بلغ) ، والمعنىٰ كما أفاده العلامة اللخمي في « الدلالة » : (أني ظننت أنك تأخذ الفائدة وتفهم مقام التوحيد من كل خطاب) .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ يعني : طيّبةً نفوسُهُمْ ؛ ببذلِهِمْ مهجَهُمْ ، لا يثقلُ عليهِمْ رجوعُهُمْ إلىٰ مولاهُمْ .

أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عقبةَ الشيبانيُّ بالكوفةِ قالَ : حدَّثَنا الخضر بنُ أبانٍ الهاشميُّ قالَ : حدَّثَنا أبو هُدْبةَ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **إنَّ العبدَ لَيعالجُ كُرَبَ الموتِ وسكراتِ الموتِ ، وإنَّ مفاصلَهُ ليسلِّمُ بعضُها علىٰ بعضٍ ، تقولُ : عليكَ السلامُ ، تفارقُني وأفارقُكَ إلىٰ يومِ القيامةِ** »(١) .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السُّلميُّ قالَ : حدَّثَنا أبو العباسِ الأصمُّ قالَ : حدَّثَنا الخضرُ بنُ أبانَ الهاشميُّ قالَ : حدَّثَنا سوارٌ(٢) قالَ : حدَّثَنا جعفرٌ ، عنْ ثابتٍ ، عنْ أنسٍ : أنْ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ **دخلَ علىٰ شابٍّ وهوَ في الموتِ** ، فقالَ : « كيفَ تجدُكَ ؟ » فقالَ : **أرجو اللهَ وأخافُ ذنوبي ، فقالَ** رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **لا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ في هٰذا الموطنِ إلَّا أعطاهُ اللهُ ما يرجو ، وأمَّنَهُ ممَّا يخافُ** »(٣) .

قالَ الأستاذُ : اعلمْ : أنَّ أحوالَهُمْ في حالِ النزعِ مختلفةٌ ؛ فبعضُهُمُ الغالبُ عليهِ الهيبةُ ، وبعضُهُمُ الغالبُ عليهِ الرجاءُ ، **ومنهُمْ مَنْ كُشِفَ لهُ في** تلكَ الحالةِ بما أوجبَ لهُ السكونَ وجميلَ الثقةِ .

حكىٰ أبو محمدٍ الجُرَيريُّ قالَ : كنتُ عندَ الجنيدِ في حالِ نزعِهِ ـ وكانَ

(١) رواه أبو الحسين الطيوري كما في « الطيوريات » للسلفي (٣٠١) ، وقد رواه العراقي في « الأربعين » لأبي هدبة ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١٠/٢٦٣) ، والآية من سورة النحل : (٣٢) .

(٢) كذا في النسخ ، وإنما هو : سيَّار بن حاتم .

(٣) ورواه الترمذي (٩٨٣) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٨٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٦١) .

يومَ الجمعةِ ويومَ نيروزَ ـ وهوَ يقرأُ القرآنَ ، فختمَ ، فقلتُ : في هٰذهِ الحالةِ يا أبا القاسمِ ؟!

فقالَ : ومَنْ أولىٰ منِّي بذٰلكَ وهوَ ذا تُطوىٰ صحيفتي ؟![1] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : بلغَني عنْ أبي محمدٍ الهرويِّ قالَ : مكثتُ عندَ الشِّبليِّ الليلةَ التي ماتَ فيها ، فكانَ يقولُ طولَ ليلتِهِ هٰذينِ البيتينِ : [من المديد]

كُلُّ بَيْتٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى ٱلسُّرُجِ
وَجْهُكَ ٱلْمَأْمُولُ حُجَّتُنَا يَوْمَ يَأْتِي ٱلنَّاسُ بِٱلْحُجَجِ[2]

وحُكِيَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ مَنازلَ أنَّهُ قالَ : إنَّ حَمْدوناً القصَّارَ أوصىٰ إلىٰ أصحابِهِ ألَّا يتركوهُ حالَ الموتِ بينَ النُّسوانِ[3] .

وقيلَ لبشرٍ الحافي وقدِ احتُضِرَ : كأنَّكَ يا أبا نصرٍ تحبُّ الحياةَ ! فقالَ : القدومُ على اللهِ عزَّ وجلَّ شديدٌ[4] .

وقيلَ : كانَ سفيانُ الثوريُّ إذا قالَ لهُ بعضُ أصحابِهِ إذا سافرَ : تأمرُ بشغلٍ ؟ يقولُ : إنْ وجدتَ الموتَ . . فاشترِهِ لي ، فلمَّا قَرُبَ وفاتُهُ . . كانَ يقولُ : كنَّا نتمنَّاهُ ، فإذا هوَ شديدٌ .

وقيلَ : لمَّا حضرَ الحسنَ بنَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُما الوفاةُ . . بكىٰ ، فقيلَ لهُ : ما يبكيكَ ؟ فقالَ : أقدَمُ علىٰ سيِّدٍ لمْ أرَهُ[5] .

---

(١) ورواه البيهقي في « الشعب » (٢٩٨٤) ، والخطيب في « تاريخه » (٧/٢٥٥) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٠) ، وفي « تاريخ دمشق » (٦٦/٧٧) زيادة بيت :

لا أتاحَ اللهُ لي فرجاً يومَ أدعو منكَ بالفرجِ

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٨) وزاد : (وقال لأصحابه : اجتمعوا عليَّ وقت تغيُّر حالي) .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٣) ، وقد تقدم (ص ٣٥٢) .

(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٤) .

ولمَّا حضرَ بلالاً الوفاةُ . . قالَتِ امرأتُهُ : وا حزناهُ ! فقالَ : بلْ وا طرباهُ ، غداً نلقى الأحبَّةَ ؛ محمداً وحزبَهُ (١) .

وقيلَ : فتحَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ عينَهُ عندَ الوفاةِ وضحكَ ، وقالَ : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ (٢) .

وقيلَ : كانَ مكحولٌ الشاميُّ الغالبُ عليهِ الحزنُ ، فدخلوا عليهِ في مرضِ موتِهِ وهوَ يضحكُ ، فقيلَ لهُ في ذٰلك ، فقالَ : ولِمَ لا أضحكُ وقدْ دنا فراقُ مَنْ كنتُ أحذرُهُ ، وسرعةُ القدومِ علىٰ مَنْ كنتُ أرجوهُ وآمُلُهُ ؟! (٣) .

وقالَ رُويمٌ : حضَرتُ وفاةَ أبي سعيدٍ الخرَّازِ ، وهوَ يقولُ في آخرِ نفسِهِ : [من الطويل]

حَنِينُ قُلُوبِ ٱلْعَارِفِينَ إِلَى ٱلذِّكْرِ ... وَتَذْكَارُهُمْ وَقْتَ ٱلْمُنَاجَاةِ لِلسِّرِّ
أُدِيرَتْ كُؤُوسٌ لِلْمَنَايَا عَلَيْهِمُ ... فَأَغْفَوْا عَنِ ٱلدُّنْيَا كَإِغْفَاءِ ذِي ٱلسُّكْرِ
هُمُومُهُمُ جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ ... بِهِ أَهْلُ وُدِّ ٱللهِ كَٱلْأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ
فَأَجْسَامُهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ قَتْلَىٰ بِحُبِّهِ ... وَأَرْوَاحُهُمْ فِي ٱلْحُجْبِ نَحْوَ ٱلْعُلَا تَسْرِي
فَمَا عَرَّسُوا إِلَّا بِقُرْبِ حَبِيبِهِمْ ... وَمَا عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤْسٍ وَلَا ضُرِّ (٤)

وقيلَ للجنيدِ : إنَّ أبا سعيدٍ الخرَّازَ كانَ كثيرَ التواجدِ عندَ الموتِ ! فقالَ : لمْ يكنْ بعجيبٍ أنْ تطيرَ روحُهُ اشتياقاً (٥) .

وقالَ بعضُهُمْ وقدْ قرُبَتْ وفاتُهُ : يا غلامُ ؛ اشدُدْ كِتافي ، وعَفِّرْ خدَّيَّ ، ثمَّ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٢٩٤) ، وبلفظه هنا أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٤) وفي هامش (أ) : (بلغ) .
(٢) هو في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٥) ، ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٤٧٦/٣٢) ، والآية من سورة الصافات : (٦١) .
(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٥) ، ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٢٣٢/٦٠) .
(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٥) ، ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (١٤٢/٥) .
(٥) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٢) .

قالَ : دنا الرحيلُ ولا براءةَ لي مِنْ ذنبٍ ، ولا عذرَ أعتذرُ بهِ ، ولا قوَّةَ أنتصرُ ، أنتَ لي ، أنتَ لي .

ثمَّ صاحَ صيحةً وماتَ ، فسمعوا صوتاً : استكانَ العبدُ لمولاهُ فقبلَهُ[1] .

وقيلَ لذي النونِ المصريِّ عندَ موتِهِ : ما تشتهي ؟ قالَ : أنْ أعرفَهُ قبلَ موتي بلحظةٍ[2] .

وقيلَ لبعضِهِمْ وهوَ في النزعِ : قُلِ : اللهُ ، فقالَ : إلىٰ متىٰ تقولونَ وأنا محترقٌ باللهِ ؟![3] .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ عندَ ممشاذَ الدِّينَوَريِّ ، فقدِمَ فقيرٌ وقالَ : سلامٌ عليكُمْ ، فردُّوا عليهِ ، فقالَ : هلْ ها هنا موضعٌ نظيفٌ يمكنُ للإنسانِ أنْ يموتَ فيهِ ؟ قالَ : فأشاروا عليهِ بمكانٍ ، وكانَ ثَمَّ عينُ ماءٍ ، فجدَّدَ الفقيرُ الوضوءَ ، وركعَ ما شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ ، ومضىٰ إلى المكانِ الذي أشاروا إليهِ ، ومدَّ رجليهِ وماتَ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : كانَ أبو العبَّاسِ الدِّينَوَريُّ يتكلَّمُ في مجلسِهِ يوماً ، فصاحَتِ امرأةٌ تواجداً ، فقالَ لها : موتي ، فقامتِ المرأةُ ، فلمَّا بلغَتْ بابَ الدارِ . . التفتَتْ إليهِ وقالَتْ : قدْ مُتُّ ، ووقعَتْ ميتةً .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ عندَ ممشاذَ الدِّينَوَريِّ عندَ وفاتِهِ ، فقيلَ لهُ : كيفَ تجدُ العلَّةَ ؟ فقالَ : سلوا العلَّةَ عنِّي [كيفَ تجدُني ؟] .

فقيلَ لهُ : قلْ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فحوَّلَ وجهَهُ إلى الجدارِ وقالَ : [من المجتث]

أَفْنَيْتُ كُلِّي بِكُلِّكْ ... هَـٰذَا جَزَا مَنْ يُحِبُّكْ[4]

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٦) ، والكتاف : الحبل والوثاق .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٧) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٧) بنحوه .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٧) ، وبعده :

أعجزتَني عن خطابِكْ ... فالكلُّ مني جوابُكْ

وقيلَ لأبي محمدٍ الدبيليّ وقدْ حضرتهُ الوفاةُ : قلْ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فقالَ : هـٰذا شيءٌ قدْ عرفْناهُ ، وبهِ نفنىٰ ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الطويل]

تَسَــرْبَلَ ثَــوْبَ ٱلتِّيــهِ لَمَّــا هَوِيتُــهُ ... وَصَــدَّ فَلَــمْ يَــرْضَ بِــأَنْ أَكُ عَبْــدَهُ [1]

وقيلَ للشِّبليِّ عندَ وفاتِهِ : قلْ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فقالَ : [من مجزوء الخفيف]

قَــــالَ سُـــــلْطَانُ حُبِّـــــهِ ... أَنَــــا لَا أَقْبَــــلُ الرُّشَــــا

فَسَــــــلُوهُ فَدَيْتُــــــهُ ... لِــــمْ بِقَتْلِــــي تَحَرَّشَــــا [2]

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ التميميَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ يقولُ : سمعتُ بعضَ الفقراءِ يقولُ : لمَّا أشرَفَ علَى الموتِ يحيى الإصطخريُّ . . جلسْنا حولَهُ ، فقالَ لهُ رجلٌ منَّا : قُلْ : أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فجلسَ مستوياً ، ثمَّ أخذَ يدَ واحدٍ منَّا وقالَ : قُلْ : أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، ثمَّ أخذَ بيدِ الآخرِ ، حتَّىٰ عرضَ الشهادةَ علىٰ جميعِ الحاضرينَ ، ثمَّ ماتَ [3] .

ويُحكىٰ عنْ فاطمةَ أختِ أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ قالَتْ : لمَّا قرُبَ أجلُ أخي أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ وكانَ رأسُهُ في حجْري . . فتحَ عينَهُ وقالَ : هـٰذهِ أبوابُ السماءِ قدْ فُتِحَتْ ، وهـٰذهِ الجنانُ قدْ زُيِّنَتْ ، وهـٰذا قائلٌ يقولُ لي : يا أبا عليٍّ ؛ قدْ بلَّغْناكَ الرتبةَ القصوىٰ وإنْ لمْ تردْها ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الوافر]

وَحَقِّــكَ لَا نَظَــرْتُ إِلَــىٰ سِــوَاكَا ... بِعَيْــــنِ مَــــوَدَّةٍ حَتَّــــىٰ أَرَاكَا

أَرَاكَ مُعَذِّبِــــي بِفُتُــــورِ لَحْــــظٍ ... وَبِٱلْخَــدِّ ٱلْمُــوَرَّدِ مِــنْ جَنَــاكَا [4]

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٨) .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٩٧/١٤) ، والسراج القاري في « مصارع العشاق » (٣٠٦/١) ، والسراج الطوسي في « اللمع » (ص ٣٢٢) ، وفي (ي) : (بحقِّه) بدل (فديته) ، وفي هامش (ل) : (بلغ مقابلةً) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٢) .

(٤) في (ج ، هـ) بيت ثالث ، وهو :

فلــو قطَّعتنــي فــي الحــبِّ إربــاً ... لمــا حــنَّ الفــؤادُ إلــىٰ ســواكا

ثمَّ قالَ : يا فاطمةُ ؛ الأوَّلُ ظاهرٌ ، والثاني إشكالٌ[1] .

سمعتُ بعضَ الفقراءِ يقولُ : لمَّا قرُبَتْ وفاةُ أحمدَ بنِ نصرٍ رحمَهُ اللهُ . . قالَ لهُ واحدٌ : قُلْ : أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فنظرَ إليهِ وقالَ : لا تتركِ الحرمةَ ، قالَ بالفارسيةِ : بي حرمتي مكن[2] .

وقالَ بعضُهُمْ : رأيتُ فقيراً يجودُ بنفسِهِ غريباً والذبابُ علىٰ وجهِهِ ، فجلستُ أذبُّ عنْ وجهِهِ ، ففتحَ عينيهِ وقالَ : مَنْ هـٰذا ؟! أنا منذُ كذا سنةً في طلبِ وقتٍ يصفو لي ، فلمْ يتفقْ إلَّا الآنَ ، جئتَ أنتَ توقعُ نفسَكَ فيهِ ؟ مُرَّ عافاكَ اللهُ .

وقالَ أبو عمرانَ الإصطخريُّ : (رأيتُ أبا ترابٍ في الباديةِ قائماً ميتاً لا يمسكُهُ شيءٌ)[3] .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : كانَ سببُ وفاةِ أبي الحسينِ النُّوريِّ أنَّهُ سمعَ هـٰذا البيتَ : [من الكامل]

لَا زِلْـتُ أَنْـزِلُ مِـنْ وِدَادِكَ مَنْـزِلاً ... تَتَحَيَّـرُ ٱلْأَلْبَـابُ عِنْـدَ نُزُولِـهِ

فتواجدَ النُّوريُّ ، وهامَ في الصحراء ، فوقعَ في أَجَمةِ قصبٍ قدْ قُطعَتْ وبقيَ أصولُهُ مثلَ السيوفِ ، فكانَ يمشي عليها ويعيدُ البيتَ إلى الغداةِ والدمُ يسيلُ مِنْ رجليهِ ، ثمَّ وقعَ مثلَ السكرانِ ، فورِمَتْ قدماهُ وماتَ رحمَهُ اللهُ[4] .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٣٩) دون البيت الثاني ، قال الإمام ابن السبكي رحمهما الله في « طبقاته » (٥٠/٣) : (وما أحسن إشكاله ! وليس هو عند التحقيق بمشكل ، ولـٰكنه ـ والله أعلم ـ استقصر عقول النساء عن دركه ، وخشي عليهن أن يفهمن أن الأمر علىٰ ظاهره) ، وقال العلامة الأمير الكبير في « حاشيته علىٰ عبد السلام » (ص ٨٢) : (أقول : تتغزَّل العشاق بالديار ، وما فيها من أحجار ، فأولىٰ آثار المؤثِّر التي هي رسائل) .

(٢) فهـٰذا القائل ـ ولعله من مريدي الشيخ ـ أسقط حرمة الشيخ حين أثبت له الغفلة في هـٰذه اللحظة ، فأدبه بالفارسية بما معناه : لا تترك الحرمة .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٢) ، وأورده في « الحلية » (٤٩/١٠) ، وروىٰ أبو نعيم بعده أنه مات بين مكة والمدينة نهشته السباع ، وعند الخطيب في « تاريخه » (٣١٣/١٢) أن يحيى بن معاذ غسَّله ودفنه ، وتقدم الخبر (ص ١٤٥) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٢٨١) ، وتقدم البيت (ص ٢٧٥) وأوله : (ما زلت . . .) .

وحُكِيَ أنَّهُ قيلَ لهُ عندَ النزعِ : قُلْ : لا إلهَ إلا اللهُ ، فقالَ : أليسَ إليهِ أعودُ ؟! (١) .

وقيلَ : مرضَ إبراهيمُ الخوَّاصُ في المسجدِ الجامعِ بالرَّيِّ ، وكانَتْ بهِ علَّةُ الإسهالِ ، فكانَ إذا قامَ مجلساً . . يدخلُ الماءَ فيتوضَّأُ ، فدخلَ الماءَ مرَّةً فخرجَتْ روحُهُ (٢) .

سمعتُ منصوراً المغربيَّ يقولُ : دخلَ عليهِ يوسفُ بنُ الحسينِ عائداً لهُ بعدما أتىٰ عليهِ أيامٌ لمْ يعدْهُ ولمْ يتعهدْهُ ، فلمَّا رآهُ . . قالَ للخوَّاصِ : أتشتهي شيئاً ؟ قالَ : نعمْ ؛ قطعةَ كبدٍ مشويٍّ .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : لعلَّ الإشارةَ فيهِ أنَّهُ أرادَ : أشتهي قلباً يرقُّ لفقيرٍ ، وكبداً يشتوي ويحترقُ لغريبٍ ؛ لأنَّهُ كالمستجفي ليوسفَ بنِ الحسينِ حيثُ لمْ يتعهدْهُ (٣) .

وقيلَ : كانَ سببُ موتِ ابنِ عطاءٍ أنَّهُ أُدخلَ على الوزيرِ ، فكلَّمَهُ الوزيرُ بكلامٍ غليظٍ ، فقالَ لهُ ابنُ عطاءٍ : اهدأْ يا رجلُ ! فأمرَ بضربِ خفِّهِ علىٰ رأسِهِ ، فماتَ فيهِ رحمَهُ اللهُ (٤) .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ التميميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الدُّقيَّ يقولُ : كنَّا عندَ أبي بكرٍ الزقَّاقِ بالغداةِ ، فقالَ : إلهي ؛ كمْ تبقيني ها هنا ؟! فما بلغَ الأولىٰ حتَّىٰ ماتَ رحمَهُ اللهُ (٥) .

وحُكِيَ عنْ أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ أنَّهُ قالَ : رأيتُ في الباديةِ حَدَثاً ، فلمَّا

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٤٩) طبعة المجمع الثقافي (١٩٩٩ م) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٢) .

(٣) ويحتمل أنه تمنَّىٰ لنفسه درجة الخائفين البالغين في خوفهم ما ذكر . « نتائج الأفكار » (٥٧/٤) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٢٨١) ، وفي « نتائج الأفكار » (٥٧/٤) : (قاله لما غلب علىٰ ظنِّه من السلامة منه ، وإلا . . فاللائق مقام المداراة) .

(٥) كذا في « اللمع » (ص ٢٨١) والأولىٰ هنا : الساعة الأولىٰ من الغداة .

رآني . . قالَ : أما يكفيهِ أنْ شغفَني بحبِّهِ حتَّىٰ علَّني ؟! ثمَّ رأيتُهُ يجودُ بروحِهِ ، فقلتُ لهُ : قُلْ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فأنشأَ يقولُ : [من الهزج]

أَيَا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ ... وَإِنْ عَذَّبَنِي بُدُّ
وَيَا مَنْ نَالَ مِنْ قَلْبِي ... مَنَالاً مَا لَهُ حَدُّ
إِذَا لَمْ يَرْحَمِ ٱلْمَوْلَىٰ ... إِلَىٰ مَنْ يَشْتَكِي ٱلْعَبْدُ[1]

وقيلَ للجنيدِ : قُلْ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فقالَ : ما نسيتُهُ فأذكرَهُ ![2] .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ التميميَّ يقولُ : سألَ جعفرُ ابنُ نُصيرٍ بكرانَ الدِّينَوَريَّ وكانَ يخدمُ الشِّبليَّ : ما الذي رأيتَ منهُ ؟ فقالَ : قالَ لي : عليَّ درهمٌ مظلمةٌ وتصدقتُ عنْ صاحبِهِ بألوفٍ ، فما علىٰ قلبي شغلٌ أعظمَ منهُ ، ثمَّ قالَ : وضِّئني للصلاةِ ، ففعلتُ ، فنسِيتُ تخليلَ لحيتِهِ وقدْ أُمسكَ علىٰ لسانِهِ ، فقبضَ علىٰ يديَّ وأدخلَها في لحيتِهِ ، ثمَّ ماتَ .

فبكىٰ جعفرٌ وقالَ : ما تقولونَ في رجلٍ لمْ يفتْهُ في آخرِ عمرِهِ أدبٌ مِنْ آدابِ الشريعةِ ؟![3] .

سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ يوسفَ الأصبهانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ بنَ عبدِ اللهِ الطَّرَسوسيَّ يقولُ : سمعتُ عِلَّوشاً الدينوريَّ يقولُ : سمعتُ المُزيِّنَ الكبيرَ يقولُ : كنتُ بمكَّةَ ، فوقعَ فيَّ انزعاجٌ ، فخرجتُ أريدُ المدينةَ ، فلمَّا وصلتُ إلىٰ بئرِ ميمونةَ . . إذا أنا بشابٍّ مطروحٍ ، فعدلتُ إليهِ وهوَ ينزعُ ،

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٣) ، والبيت الثالث مثبت من (ل) وحدها .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٣) ، وفي (ي) و« إحكام الدلالة » (٥٧/٤) زيادة من المديد :

حاضرٌ في القلبِ يَعْمُرُهُ ... لستُ أنساهُ فأذكرُهُ
فهوَ مولاي ومعتمدي ... ونصيبي منهُ أوفرُهُ

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٨١) ، ورواه ابن الجوزي في « الثبات عند الممات » (ص ١٧٤) ، ويجوز الرفع والجر في (مظلمة) .

فقلتُ لهُ : قلْ : لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ ، ففتحَ عينَهُ وأنشأَ يقول : [من الخفيف]

أَنَـا إِنْ مِـتُّ فَٱلْهَـوَىٰ حَشْـوُ قَلْبِـي   وَبِـدَاءِ ٱلْهَـوَىٰ يَمُـوتُ ٱلْكِـرَامُ

ثـمَّ مـاتَ رحمَـهُ اللهُ ، فغسـلتُهُ وكفنتُـهُ ، وصلَّيـتُ عليـهِ ، فلمَّـا فرغـتُ مِـنْ دفنِهِ . . سـكنَ مـا كانَ بي مِـنْ إرادةِ السـفرِ ، فرجعـتُ إلىٰ مكَّةَ (١) .

وقيلَ لبعضِهِمْ : تحبُّ الموتَ ؟ فقالَ : القدومُ علىٰ مَنْ يُرجىٰ خيرُهُ خيرٌ مِنَ البقاءِ معَ مَنْ لا يُؤمَنُ شرُّهُ (٢) .

وحُكِيَ عنِ الجنيدِ أنَّهُ قالَ : كنتُ عندَ أستاذي ابنِ الكُرِينيِّ وهوَ يجودُ بنفسِهِ ، فنظرتُ إلى السماءِ ، فقالَ : بَعُدَ ، ثمَّ نظرتُ إلى الأرضِ ، فقالَ : بَعُدَ ؛ يعني : أنَّهُ أقربُ إليكَ مِنْ أنْ تنظرَ إلى السماءِ والأرضِ ، بلْ هوَ وراءَ المكانِ (٣) .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الطوسيَّ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ بعضَ أصحابِنا يقولُ : قالَ أبو يزيدَ عندَ موتِهِ : ما ذكرتُكَ إلَّا عنْ غفلةٍ ، ولا قبضْتَني إلَّا علىٰ فترةٍ (٤) .

وسـمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْـتانيَّ يقولُ : سـمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سـمعتُ الوَجِيهـيَّ يقـولُ : سـمعتُ أبا علـيٍّ الرُّوذْبـاريَّ يقـولُ : دخلتُ مصـرَ ، فرأيتُ النـاسَ مجتمعينَ ، فقالـوا : كنَّا في جنازةِ فتىً سـمعَ قائلاً يقولُ : [من مجزوء الرمل]

كَبُـــرَتْ هِمَّـــةُ عَبْـــدٍ   طَمِعَـــتْ فِـــي أَنْ تَـــراكَا

---

(١) روى ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٣٠) نحوه مختصراً عن يعقوب بن إسحاق رحمه الله تعالىٰ .

(٢) رواه الدينوري في « المجالسة » (٢٨٥١) عن صالح المرّي عن أخٍ له رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٨١) ، والكُرِيني ـ ويقال أيضاً بتشديد الراء المكسورة ـ نسبة إلىٰ كُرِين ، قرية من قرىٰ طبس ، وإليها نسبة أبي جعفر محمد بن كثير الكريني شيخ الجنيد . انظر « الأنساب » (٦٣/٥) ، وضبطت كلمة (بَعُدَ) في (ي) : (بُعْدٌ) في الموضعين .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٠) .

فشهقَ شهقةً وماتَ رحمَهُ اللهُ (١) .

وقيلَ : دخلَ جماعةٌ علىٰ ممشاذَ الدِّينَوَريِّ في مرضِهِ ، فقالوا : ما فعلَ اللهُ بكَ وصنعَ ؟ فقالَ : منذُ ثلاثينَ سنةً تعرضُ عليَّ الجنةُ بما فيها ، فما أعرتُها طرفي ، وقالوا لهُ عندَ النزعِ : كيفَ تجدُ قلبَكَ ؟ فقالَ : منذُ ثلاثينَ سنةً فقدتُ قلبي (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ التميميَّ يقولُ : قالَ الوَجِيهيُّ : كانَ سببُ موتِ ابنِ بُنانٍ أنَّهُ وردَ علىٰ قلبِهِ شيءٌ ، فهامَ علىٰ وجهِهِ ، فلحقوهُ في وسطِ متاهةِ بني إسرائيلَ في الرملِ ، ففتحَ عينَهُ ، وقالَ : اْربعْ ؛ فهٰذا مربعُ الأحبابِ ، وخرجَتْ روحُهُ رحمَهُ اللهُ (٣) .

وقالَ أبو يعقوبَ النَّهرَجُوريُّ : كنتُ بمكَّةَ ، فجاءَني فقيرٌ ومعَهُ دينارٌ ودفعَ إليَّ فقالَ : إذا كانَ غداً . . أموتُ ، فأصلحْ لي بنصفِ هٰذا قبراً ، والنصفُ لجهازي ، فقلتُ في نفسي : ليتَهُ دخلَ البستانَ ؛ فإنَّهُ أصابتْهُ فاقةُ الحجازِ (٤) ، فلمَّا كانَ الغدُ . . جاءَ ودخلَ الطوافَ ، ثمَّ مضىٰ وامتدَّ على الأرضِ ، فقلتُ : هوَ ذا يتماوتُ ، فذهبتُ إليهِ ، فحركتُهُ ، فإذا هوَ ميتٌ ، فدفنتُهُ كما أمرَ .

وقيلَ : لمَّا تغيَّرَتِ الحالُ علىٰ أبي عثمانَ الحِيريِّ . . مزَّقَ ابنُهُ أبو بكرٍ

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٠) ، ورواه الرافعي في « التدوين » (١/١٨٩) عنه عن ابن أبي الحواري ، وفي « إحكام الدلالة » (٤/٥٨) بعد البيت :

أوَمَا حَسْبُ لعينٍ ... أنْ ترىٰ مَنْ قَدْ رآكا

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٤٨) ، وتأمل ما تقدم (ص ٢٤٧ ، ٣٣١) في معنىٰ فقد القلب .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٢٨٠) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٦٦/١٤٨) ، واْربعْ : قف واحبس نفسك ، والمربع : منزل القوم في وقت الربيع ، وفي (ج ، ي) و« الإحكام » : (ارتع) بالتاء ، بمعنىٰ تنعَّم وتلذَّذ .

(٤) في (ج ، ي) : (دُوخِلَ الشابُّ ؛ فإنه قد أصابه فاقة الحجاز) ، وفي هامش (ج) : (صوابه : لو دخل البستان) .

قميصاً ، ففتحَ أبو عثمانَ عينَهُ وقالَ : يا بُنيَّ ؛ إنَّ خلافَ السنةِ في الظاهرِ مِنْ رياءٍ في الباطنِ [1] .

وقيلَ : دخلَ ابنُ عطاءٍ على الجنيدِ وهوَ يجودُ بنفسِهِ ، فسلَّمَ ، فأبطأَ في الجوابِ ، ثمَّ ردَّ وقالَ : اعذرْني ؛ فلقدْ كنتُ في وردي ، ثمَّ ماتَ رحمَهُ اللهُ [2] .

وحكىٰ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ قالَ : قدِمَ علينا فقيرٌ ، فماتَ ، فدفنتُهُ وكشفتُ عنْ وجهِهِ لأضعَهُ في الترابِ ليرحمَ اللهُ غربتَهُ ، ففتحَ عينَهُ وقالَ : يا أبا عليٍّ ؛ أتذلِّلُني بينَ يدَيْ مَنْ دلَّلَني ؟! فقلتُ : يا سيِّدي ؛ أحياةٌ بعدَ موتٍ ؟! فقالَ : بَلَىٰ [3] ، أنا حيٌّ ، وكلُّ محبٍّ للهِ حيٌّ ، لأنصرَنَّكَ غداً بجاهي يا رُوذْباريُّ [4] .

ويُحكىٰ عنْ عليِّ بن سهلٍ الأصبهانيِّ أنَّهُ قالَ : تَروني أنِّي أموتُ كما يموتُ الناسُ ، مرضٌ وعيادةٌ ؟! وإنَّما أُدعىٰ فيُقالُ لي : يا عليُّ ، فأجيبُ ، فكانَ يمشي يوماً ، فقالَ : لبَّيكَ ، وماتَ رحمَهُ اللهُ [5] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ المُزيِّنَ قالَ : لمَّا مرضَ أبو يعقوبَ النَّهرَجُوريُّ مرضَ وفاتِهِ . . قلتُ لهُ وهوَ في النزعِ : قُلْ : لا إلٰهَ إلا اللهُ ، فتبسَّمَ إليَّ وقالَ : إيَّايَ تعني ؟ وعزَّةِ مَنْ لا يذوقُ الموتَ ؛ ما بيني وبينَهُ إلَّا حجابُ العزَّةِ ، وانطفأَ مِنْ ساعتِهِ .

فكانَ المُزيِّنُ يأخذُ بلحيتِهِ ويقولُ : حجَّامٌ مثلي يلقِّنُ أولياءَ اللهِ تعالى

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٧١٥) وتقدم (ص ١٥٨) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٩٨٣) ، وفي ذلك دلالة على مراعاته للأفضل . « إحكام الدلالة » (٥٩/٤) .

(٣) كذا في (ج) ، ونسخة مصححة هامش (ي) ، وفي سائر النسخ : (بَلْ) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرُّف » (ص ١٥٨) ، ونقله ابن السبكي في « طبقاته » (٥٠/٣) .

(٥) وفي « الحلية » (٣٠/٢) عن أبي ثعلبة الخُشني قال : إني لأرجو ألا يخنقني الله عز وجل كما أراكم تخنقون عند الموت ، وذات ليلة رأت ابنته أنه قد مات ، فدخلت مصلاه فوجدته ساكناً ميتاً وهو ساجد .

الشهادةَ ؟! وا خجلتاهُ منهُ ! وكانَ يبكي إذا ذكرَ هـٰذهِ الحكايةَ .

وقالَ أبو الحسينِ المالكيُّ : كنتُ أصحبُ خيراً النسَّاجَ سنينَ كثيرةً ، فقالَ لي قبلَ موتِهِ بثمانيةِ أيامٍ : أنا أموتُ يومَ الخميسِ وقتَ المغربِ ، وأُدفَنُ يومَ الجمعةِ قبلَ الصلاةِ ، وستنسىٰ هـٰذا ، فلا تنسَ .

قالَ أبو الحسينِ : فأُنسيتُهُ إلىٰ يومِ الجمعةِ ، فلقيَني مَنْ خبَّرَني بموتِهِ ، فخرجتُ لأحضرَ جنازتَهُ ، فوجدتُ الناسَ راجعينَ يقولونَ : يُدفَنُ بعدَ الصلاةِ ، فلمْ أنصرفْ ، وحضرتُ ، فوجدتُ الجنازةَ قدْ أُخرجتْ قبلَ الصلاةِ كما قالَ .

فسألتُ مَنْ حضرَ وفاتَهُ ، فقالَ : إنَّهُ غُشِيَ عليهِ ، ثمَّ أفاقَ ، ثمَّ التفتَ إلىٰ ناحيةِ البيتِ وقالَ : قفْ عافاكَ اللهُ ؛ فإنَّما أنتَ عبدٌ مأمورٌ وأنا عبدٌ مأمورٌ ، والذي أُمرتَ بهِ لا يفوتُكَ ، والذي أُمرتُ بهِ يفوتُني ، فدعا بماءٍ ، وجدَّدَ الوضوءَ وصلَّىٰ ، ثمَّ تمدَّدَ وغمَّضَ عينيهِ ، فرُئِيَ في المنامِ بعدَ موتِهِ وقيلَ لهُ : كيفَ حالُكَ ؟ فقالَ : لا تسلْ ، ولـٰكنِّي تخلَّصْتُ مِنْ دنياكُمُ الوَضِرَةِ[1] .

وذكرَ أبو الحسينِ ابنُ جَهْضَمٍ[2] مصنِّفُ كتابِ « بهجةِ الأسرارِ »[3] أنَّهُ لمَّا ماتَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ . . انكبَّ الناسُ علىٰ جنازتِهِ ، وكانَ في البلدِ يهوديٌّ نيَّفَ على التسعينَ ، فسمعَ الضجَّةَ ، فخرجَ لينظرَ ما كانَ ، فلمَّا نظرَ إلى الجنازةِ . . صاحَ وقالَ : ترونَ ما أرىٰ ؟ فقالوا : لا ، أيْشٍ ترىٰ ؟ فقالَ : أرىٰ أقواماً ينزلونَ مِنَ السماءِ يتمسَّحونَ بالجنازةِ ، ثمَّ إنَّهُ تشهَّدَ وأسلمَ وحَسُنَ إسلامُهُ .

---

(١) تقدم بعضه (ص ١٩٢) ، ورواه الخطيب في « تاريخه » (٤٧/٢) .

(٢) واسمه : « بهجة الأسرار ولوامع الأنوار في حكايات العلماء الأخيار والصوفية الحكماء الأبرار » .

(٣) وهو أبو الحسن ـ لا الحسين كما وقع في (ب ، ي) ، وهما النسختان المثبتتان لاسمه ، علىٰ خطأ في (ي) ـ علي بن عبيد الله بن جهضم المتوفىٰ سنة (٤١٤ هـ) ، وهو من مشايخ المصنف رحمهما الله تعالىٰ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرِ بنَ قيسٍ بمصرَ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الخرَّازَ يقولُ : كنتُ بمكةَ ، فجُزتُ يوماً ببابِ بني شيبةَ ، فرأيتُ شاباً حسنَ الوجهِ ميتاً ، فنظرتُ في وجهِهِ ، فتبسَّمَ في وجهي ، وقالَ لي : يا أبا سعيدٍ ؛ أما علمتَ أنَّ الأحبَّاءَ أحياءٌ وإنْ ماتوا ؟ وإنَّما يُنقلونَ مِنْ دارٍ إلىٰ دارٍ (١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : بلغَني أنَّهُ قيلَ لذي النونِ عندَ النزعِ : أوصِنا ، فقالَ : لا تشغلوني ؛ فإنِّي متعجِّبٌ مِنْ محاسنِ لطفِهِ .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ الحِيريَّ يقولُ : سُئِلَ أبو حفصٍ في حالِ وفاتِهِ : ما الذي تعظُنا بهِ ؟ فقالَ : لستُ أقوىٰ على القولِ ، ثمَّ رأىٰ مِنْ نفسِهِ قوَّةً ، فقلتُ لهُ : قُلْ حتَّىٰ أحكيَ عنكَ ، فقالَ : الانكسارُ بكلِّ القلبِ على التقصيرِ (٢) .

* * *

---

(١) في ذٰلك دلالة أنه من قتلى المحبة ، ومثلهم إنما ينقل من دار دنيئة إلىٰ دار شريفة ، فهم أحياء في قبورهم رضي الله تعالىٰ عنهم . « نتائج الأفكار » (٤/٦٠) .

(٢) في هامش (ل) : (بلغ مقابلة) ، قال العلامة العروسي في « نتائج الأفكار » (٤/٦٠) : (أقول : لقد أرشد إلى الأنفع في الدارين) .

بابُ المعرفة

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [1] ، جاءَ في التفسيرِ : وما عرفوا اللهَ حقَّ معرفتِهِ [2] .

أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ العدلُ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ القاسمِ العتكيُّ قالَ : حدَّثَني محمدُ بنُ أشرسَ قالَ : حدَّثَنا سليمانُ بنُ عيسى السِّجْزيُّ ، عنْ عبَّادِ بنِ كثيرٍ ، عنْ حنظلةَ بنِ أبي سفيانَ ، عنِ القاسمِ بنِ محمدٍ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إنَّ دِعامةَ البيتِ أساسُهُ ، ودِعامةُ الدينِ المعرفةُ باللهِ ، واليقينُ ، والعقلُ القامعُ » ، فقلتُ : بأبي وأمِّي ؛ ما العقلُ القامعُ ؟ قالَ : « الكفُّ عنْ معاصي اللهِ ، والحرصُ علىٰ طاعةِ اللهِ » [3] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : المعرفةُ علىٰ لسانِ العلماءِ : هوَ العلمُ ؛ فكلُّ علمٍ معرفةٌ ، وكلُّ معرفةٍ علمٌ ، وكلُّ عالمٍ باللهِ تعالىٰ عارفٌ ، وكلُّ عارفٍ عالمٌ .

وعندَ هـٰؤلاءِ القومِ : المعرفةُ : صفةُ مَنْ عرفَ الحقَّ سبحانَهُ بأسمائِهِ وصفاتِهِ ، ثمَّ صدقَ اللهَ في معاملاتِهِ ، ثمَّ تنقَّىٰ عنْ أخلاقِهِ الرديئةِ وآفاتِهِ ، ثمَّ طالَ بالبابِ وقوفُهُ ، ودامَ بالقلبِ اعتكافُهُ ، فحظيَ مِنَ اللهِ تعالىٰ بجميلِ إقبالِهِ ، وصدقَ اللهَ تعالىٰ في جميعِ أحوالِهِ ، وانقطعَ عنهُ

---

(١) سورة الأنعام : (٩١) .

(٢) قاله أبو عبيدة كما في « زاد المسير » (٥٤/٢) ، وقال تعالىٰ في سورة المائدة (٨٣) : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ، وقال سبحانه في سورة فاطر (٢٨) : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾ . انظر « إحكام الدلالة » (٦٢/٤) .

(٣) وبنحوه عند الديلمي في « الفردوس » (٣٠٧٧) ، وفيه : (النافع) بدل (القامع) .

هواجسُ نفسِــهِ ، ولمْ يصغِ بقلبِهِ إلىٰ خاطرٍ يدعوهُ إلىٰ غيرِهِ .

فإذا صارَ مِنَ الخلقِ أجنبياً ، ومِنْ آفاتِ نفسِهِ بريّاً ، ومِنَ المساكناتِ والملاحظاتِ نقيّاً ، ودامَ في السرِّ معَ اللهِ مناجاتُهُ ، وحقَّ في كلِّ لحظةٍ إليهِ رجوعُهُ ، وصارَ محدَّثاً مِنْ قبلِ الحقِّ بتعريفِ أسرارِهِ فيما يجريهِ مِنْ تصاريفِ أقدارِهِ . . يُسمَّىٰ عندَ ذٰلكَ عارفاً ، وتُسمَّىٰ حالتُهُ معرفةً .

وفي الجملةِ : فبمقدارِ أجنبيتِهِ عنْ نفسِهِ تحصلُ معرفتُهُ بربِّهِ .

وقدْ تكلَّمَ المشايخُ في المعرفةِ ؛ فكلٌّ نطقَ بما وقعَ لهُ ، وأشارَ إلىٰ ما وجدَهُ في وقتِهِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مِنْ أماراتِ المعرفةِ باللهِ : حصولُ الهيبةِ مِنَ اللهِ ؛ فمَنِ ازدادَتْ معرفتُهُ . . ازدادَتْ هيبتُهُ) .

وسمعتُهُ يقولُ : (المعرفةُ توجبُ السكينةَ في القلبِ ، كما أنَّ العلمَ يوجبُ السكونَ ؛ فمَنِ ازدادَتْ معرفتُهُ . . ازدادَتْ سكينتُهُ) .

سـمعتُ الشـيخَ أبا عبـدِ الرحمـٰنِ السُّـلميَّ يقولُ : سـمعتُ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ زيدٍ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : (ليسَ لعارفٍ علاقةٌ ، ولا لمحبٍّ شـكوىٰ [1] ، ولا لعبدٍ دعوىٰ ، ولا لخائفٍ قـرارٌ ، ولا لأحدٍ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ فرارٌ) .

وسـمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ محمدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ يقولُ : سمعتُ الشِّـبليَّ وقدْ سُـئِلَ عنِ المعرفةِ ، فقالَ : (أوَّلُها اللهُ [2] ، وآخرُها ما لا نهايةَ لهُ) .

وسـمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : سـمعتُ أبا العبَّاسِ الدِّينَوَريَّ يقولُ : قالَ أبو حفصٍ : (منذُ عرفتُ اللهَ تعالىٰ ما دخلَ قلبي حقٌّ ولا باطلٌ) [3] .

---

(١) في (أ) : (ولا لمحب سكون ، ويروىٰ : شكوىٰ) .

(٢) أي : ذكره باللسان والقلب . « إحكام الدلالة » (٤/٦٤) .

(٣) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ١١٨) .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ رحمَهُ اللهُ : وهٰذا الذي أطلقَهُ أبو حفصٍ فيهِ طرفٌ مِنَ الإشكالِ ، وأحدُ ما يحتملُهُ[1] : أنَّ عندَ القومِ المعرفةَ توجبُ غيبةَ العبدِ عنْ نفسِهِ ؛ لاستيلاءِ ذكرِ الحقِّ سبحانَهُ عليهِ ، فلا يشهدُ غيرَ اللهِ ، ولا يرجعُ إلىٰ غيرِهِ ، فكما أنَّ العاقلَ يرجعُ إلىٰ قلبِهِ وتفكُّرِهِ وتذكُّرِهِ فيما يسنحُ لهُ مِنْ أمرٍ أوْ يستقبلُهُ مِنْ حالٍ . . فالعارفُ رجوعُهُ إلىٰ ربِّهِ ، فإذا لمْ يكنْ مشتغلاً إلَّا بربِّهِ . . لمْ يكنْ راجعاً إلىٰ قلبِهِ ، وكيفَ يدخلُ المعنىٰ قلبَ مَنْ لا قلبَ لهُ ؟! وفرقٌ بينَ مَنْ عاشَ بقلبِهِ ، وبينَ مَنْ عاشَ بربِّهِ .

وسُئِلَ أبو يزيدَ عنِ المعرفةِ ، فقالَ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾[2] ، قالَ الأستاذُ : هٰذا معنىٰ ما أشارَ إليهِ أبو حفصٍ .

وقالَ أبو يزيدَ : (للخلقِ أحوالٌ ، ولا حالَ للعارفِ ؛ لأنَّهُ مُحيَتْ رسومُهُ ، وفنِيَتْ هويتُهُ بهويَّةِ غيرِهِ ، وغُيِّبَتْ آثارُهُ بآثارِ غيرِهِ) .

وقالَ الواسطيُّ : (لا تصحُّ المعرفةُ وفي العبدِ استغناءٌ باللهِ أوِ افتقارٌ إليهِ) .

قالَ الأستاذُ : أرادَ الواسطيُّ بهٰذا أنَّ الافتقارَ والاستغناءَ مِنْ أماراتِ صحوِ العبدِ وبقاءِ رسومِهِ ؛ لأنَّهُما مِنْ صفاتِهِ ، والعارفُ محوٌ في معروفِهِ[3] ، فكيفَ يصحُّ لهُ ذٰلكَ ؟! وهوَ لاستهلاكِهِ في وجودِهِ أوْ لاستغراقِهِ في شهودِهِ إنْ لمْ يبلغِ الوجودَ مختطفٌ عنْ إحساسِهِ بكلِّ وصفٍ هوَ لهُ .

ولهٰذا قالَ الواسطيُّ أيضاً : (مَنْ عرفَ اللهَ . . انقطعَ ، بلْ خَرِسَ وانقمعَ) .

قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا أحصي ثناءً عليكَ »[4] .

هٰذهِ صفاتُ الذينَ بعُدَ مرماهُمْ ، فأمَّا مَنْ نزلوا عنْ هٰذا الحدِّ . . فقدْ تكلَّموا في المعرفةِ وأكثروا .

---

(١) في (ج) : (وأَجْدَرُ) ، وفي (ي) : (وأجل) بدل (وأحدُ) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٧/١٠) ، والآية من سورة النمل : (٣٤) .

(٣) وهو الله تعالىٰ ، لا يحسُّ بنفسه فضلاً عن غيرها من سائر المخلوقات . « إحكام الدلالة » (٦٦/٤) .

(٤) رواه مسلم (٤٨٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً ، وقد يكون من تمام قول الواسطي شاهداً لكلامه ، أو أن المصنف شهد له به .

أخبرَنا محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : أخبرَنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ سعيدٍ الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا عبَّاسُ بنُ حمزةَ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ أبي الحَواريِّ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ عاصمٍ الأنطاكيَّ يقولُ : (مَنْ كانَ باللهِ أعرفَ . . كانَ لهُ أخوفَ)(١) .

وقالَ بعضُهُمْ : مَنْ عرفَ اللهَ . . تبرَّمَ بالبقاءِ ، وضاقَتْ عليهِ الدنيا بسَعتِها .

وقيلَ : مَنْ عرفَ اللهَ . . صفا لهُ العيشُ ، وطابَتْ لهُ الحياةُ ، وهابَهُ كلُّ شيءٍ ، وذهبَ عنهُ خوفُ المخلوقينَ ، وأنِسَ باللهِ .

وقيلَ : مَنْ عرفَ اللهَ . . ذهبَ عنهُ رغبةُ الأشياءِ ، فكانَ بلا فصلٍ ولا وصلٍ .

وقيلَ : المعرفةُ توجبُ الحياءَ والتعظيمَ ، كما أنَّ التوحيدَ يوجبُ الرضا والتسليمَ .

وقالَ رُويمٌ : (للعارفِ مرآةٌ ؛ إذا نظرَ فيها . . تجلَّىٰ لهُ مولاهُ)(٢) .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : (ركضَتْ أرواحُ الأنبياءِ في ميدانِ المعرفةِ ، فسبقَتْ روحُ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أرواحَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ إلىٰ روضةِ الوصالِ)(٣) .

وقالَ ذو النونِ : (معاشرةُ العارفِ كمعاشرةِ اللهِ تعالىٰ ؛ يحتملُكَ ويحلمُ عنكَ(٤) ؛ تخلُّقاً بأخلاقِ اللهِ عزَّ وجلَّ)(٥) .

---

(١) ورواه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٧٨٦) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣١٧) عن ممشاذ الدينوري رحمه الله تعالىٰ ، وفي (ج) : (العارفُ) بدل (للعارف) ، وفي (ي) : (المعرفة للعارف) .

(٣) ليس هـٰذا راجعاً إلى الكشف ، بل هو إخبار عن الواقع واختصاص إلـٰهي ؛ كما أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » . « إحكام الدلالة » (٤/٦٨) والحديث رواه مسلم (٢٢٧٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وبزيادة نفي الفخر رواه الترمذي (٣١٤٨) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) في (ج) : (ويحمل) بدل (ويحلم) ، وفي هامشها نسخة كالمثبت .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤٩/٩) .

وسُئِلَ ابنُ يزدانيارَ : متىٰ يشهدُ العارفُ الحقَّ سبحانَهُ ؟ فقالَ : إذا بدا الشاهدُ ، وفنيَ الشواهدُ ، وذهبَ الحواسُّ ، واضمحلَّ الإخلاصُ [١] .

وقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (إذا بلغَ العبدُ إلىٰ مقامِ المعرفةِ . . أُوحيَ إليهِ بخواطرِهِ ، وحُرسَ سرُّهُ أنْ يسنحَ فيهِ غيرُ خاطرِ الحقِّ) [٢] .

وقالَ : (علامةُ العارفِ : أنْ يكونَ فارغاً مِنَ الدنيا والآخرةِ) .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (المعرفةُ غايتُها شيئانِ : الدَّهَشُ والحَيرةُ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ سعيدٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ سهلٍ يقولُ : سمعتُ سعيدَ بنَ عثمانَ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : (أعرفُ الناسِ باللهِ تعالىٰ : أشدُّهُمْ تحيُّراً فيهِ) [٣] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأنْماطيَّ يقولُ : قالَ رجلٌ للجنيدِ : مِنْ أهلِ المعرفةِ أقوامٌ يقولونَ بتركِ الحركاتِ مِنْ بابِ البرِّ والتقوىٰ .

فقالَ الجنيدُ : إنَّ هٰذا قولُ قومٍ تكلَّموا بإسقاطِ الأعمالِ ، وهوَ عندي عظيمٌ ، والذي يسرقُ ويزني أحسنُ حالاً مِنَ الذي يقولُ هٰذا ؛ فإنَّ العارفينَ باللهِ أخذوا الأعمالَ عنِ اللهِ ، وإلى اللهِ رجعوا فيها ، ولوْ بقِيتُ ألفَ عامٍ . . لمْ أنقصْ مِنْ أعمالِ البرِّ ذرةً [٤] .

وقيلَ لأبي يزيدَ : بماذا وجدتَ هٰذهِ المعرفةَ ؟ فقالَ : ببطنٍ جائعٍ ، وبدنٍ عارٍ [٥] .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٥٧) .
(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٠٨) ، والضمير في (بخواطره) راجع لله تعالىٰ كما يفيد السياق .
(٣) ورواه السلمي في « طبقاته » (ص ٣٨٠) عن النهرجوري رحمه الله تعالىٰ .
(٤) تقدم (ص ١٥٤ ـ ١٥٥) .
(٥) تقدم (ص ١٢٧) .

وقالَ أبو يعقوبَ النَّهرَجُوريُّ : قلتُ لأبي يعقوبَ السوسيِّ : **هلْ يتأسَّفُ العارفُ علىٰ شيءٍ غيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؟** فقالَ : وهلْ يرىٰ غيرَهُ فيتأسَّفَ عليهِ ؟!

قلتُ : **فبأيِّ عينٍ ينظرُ إلى الأشياءِ ؟** فقالَ : بعينِ الفناءِ والزوالِ .

وقالَ أبو يزيدَ : (**العارفُ طيَّارٌ ، والزاهدُ سيَّارٌ**) .

وقيلَ : **العارفُ** تبكي عينُهُ ويضحكُ قلبُهُ [١] .

وقالَ الجنيدُ : (**لا يكونُ العارفُ عارفاً حتَّىٰ يكونَ كالأرضِ يطؤُها البرُّ والفاجرُ ، وكالسحابِ يظِلُّ كلَّ شيءٍ ، وكالمطرِ يسقي ما يحبُّ وما لا يحبُّ**) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (يخرجُ العارفُ مِنَ الدنيا **ولا يقضي وطرَهُ مِنْ شيئينِ : بكائِهِ** علىٰ نفسِهِ ، **وثنائِهِ** علىٰ ربِّهِ) .

وقالَ أبو يزيدَ : (**إنَّما نالوا المعرفةَ** بتضييعِ ما لهُمْ ، والوقوفِ معَ ما لهُ) [٢] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ عليٍّ يقولُ : (**لا يكونُ العارفُ عارفاً** حتَّىٰ لو أُعطيَ مثلَ ملكِ سليمانَ عليهِ السلامُ . . لمْ يشغلْهُ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ طرفةَ عينٍ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ يقولُ : (**المعرفةُ علىٰ ثلاثةِ أركانٍ** : الهيبةُ ، والحياءُ ، والأنسُ) [٣] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : قيلَ لذي النونِ المصريِّ : بِمَ عرفتَ ربَّكَ ؟ فقالَ : **عرفتُ ربِّي بربِّي ، ولولا ربِّي . . لما عرفتُ ربِّي** [٤] .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥) .

(٢) رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧١) .

(٣) بنحوه رواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٢٦٨) .

(٤) وروىٰ نحوه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٧٢) عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالىٰ .

وقيلَ : **العالمُ يُقتدىٰ بهِ ، والعارفُ يُهتدىٰ بهِ .**

وقالَ الشِّبليُّ : (**العارفُ لا يكونُ لغيرِهِ لاحظاً ، ولا لكلامِ غيرِهِ لافظاً ، ولا يرىٰ لنفسِهِ غيرَ اللهِ حافظاً**) .

وقيلَ : **العارفُ** أنسَ بذكرِ اللهِ فأوحشَهُ مِنْ خلقِهِ ، وافتقرَ إلى اللهِ فأغناهُ عنْ خلقِهِ ، وذلَّ للهِ فأعزَّهُ في خلقِهِ .

وقالَ أبو الطيبِ السَّامَرِّيُّ : (**المعرفةُ** : طلوعُ الحقِّ على الأسرارِ بمواصلةِ الأنوارِ) .

وقيلَ : **العارفُ** فوقَ ما يقولُ ، **والعالمُ** دونَ ما يقولُ .

وقالَ أبو سليمانَ الدارانيُّ : (**إنَّ اللهَ تعالىٰ يفتحُ للعارفِ علىٰ فراشِهِ ما لا يفتحُ لهُ وهوَ قائمٌ يصلي**) .

وقالَ الجنيدُ : (**العارفُ** : مَنْ نطقَ الحقُّ عنْ سرِّهِ وهوَ ساكتٌ) .

وقالَ ذو النونِ : (لكلِّ شيءٍ عقوبةٌ ، **وعقوبةُ العارفِ** انقطاعُهُ عنْ ذكرِ اللهِ تعالىٰ) [1] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ الوَجِيهيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : سمعتُ رُويماً يقولُ : (**رياءُ العارفينَ** أفضلُ مِنْ إخلاصِ المريدينَ) [2] .

وقالَ أبو بكرٍ الورَّاقُ : (**سكوتُ العارفِ أنفعُ ، وكلامُهُ أشهىٰ وأطيبُ**) .

وقالَ ذو النونِ : (**الزهَّادُ** ملوكُ الآخرةِ ، **وهمْ فقراءُ العارفينَ**) [3] .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ العارفِ ، فقالَ : لونُ الماءِ لونُ إنائِهِ [4] ؛ يعني : أنَّهُ بحكمِ وقتِهِ .

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩/٣٥٥) ، وقد تقدم (ص ٥٠٤) عن النوري .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٩٧) ، وقد تقدم (ص ٤٧٩) عن أبي سعيد الخراز .

(٣) نقله الشارعي في « مرشد الزوار » (١/٣٧٩) .

(٤) كذا في « التعرُّف » (ص ١٣٨) ، وهو في « اللمع » (ص ٥٧) عن أبي يزيد .

وسُئِلَ أبو يزيدَ عنِ العارفِ ، فقالَ : لا يرىٰ في نومِهِ غيرَ اللهِ ، ولا في يقظتِهِ غيرَ اللهِ ، ولا يواقفُ غيرَ اللهِ [١] ، ولا يطالعُ غيرَ اللهِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدٍ الدمشقيَّ يقولُ : سُئِلَ بعضُ المشايخِ : بمَ عرفتَ اللهَ ؟ فقالَ : بلمعةٍ لمعَتْ بلسانٍ مأخوذٍ عنِ التمييزِ المعهودِ ، ولفظةٍ جرَتْ علىٰ لسانِ هالكٍ مفقودٍ .

يشيرُ إلىٰ وجدٍ ظاهرٍ ، ويخبرُ عنْ سرٍّ ساترٍ ، هوَ هوَ بما أظهرَهُ ، وغيرُهُ بما أشكلَهُ [٢] .

ثمَّ أنشدَ : [من الطويل]

نَطَقْـتُ بِـلَا نُطْـقٍ هُـوَ ٱلنُّطْـقُ إِنَّـهُ ... لَـكَ ٱلنُّطْـقُ لَفْظاً أَوْ يَبِينُ عَـنِ ٱلنُّطْقِ

تَرَاءَيْـتَ كَيْ أَخْفَىٰ وَقَـدْ كُنْتَ خَافِياً ... وَأَلْمَعْـتَ لِـي بَرْقـاً فَأَنْطَقْـتَ بِٱلْبَرْقِ [٣]

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ بندارٍ الصيرفيَّ يقولُ : سمعتُ الجُرَيريَّ يقولُ : سُئِلَ أبو ترابٍ عنْ صفةِ العارفِ ، فقالَ : الذي لا يكدِّرُهُ شيءٌ ، ويصفو بهِ كلُّ شيءٍ [٤] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (العارفُ تضيءُ لهُ أنوارُ العلمِ ، فيبصرُ بهِ عجائبَ الغيبِ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (العارفُ مستهلَكٌ في بحارِ التحقيقِ ، كما قالَ قائلُهُمْ : المعرفةُ أمواجٌ تغُطُّ ، ترفعُ وتحُطُّ) [٥] .

---

(١) يقال : واقفَ فلان فلاناً ؛ إذا وقف معه في حرب أو خصومة ، والمعنىٰ هنا : ولا يكون إلا مع الله ، ووقع في (ي) : (ولا يوافق) ، وهو جليٌّ .

(٢) وقوله : (هو هو . . .) أي : بحسب ظاهره وتخلقه بخُلُق أمثاله البشر ، وبحسب باطنه مغاير لهم بما اختصه الله تعالىٰ . انظر « نتائج الأفكار » (٧٥/٤) ، فهو غيره بحسب باطنه ، وما أشكله من واردات أسرار الغيب يستره ؛ لما يعلم من إشكاله عندهم ؛ لقصورهم عن الحقيقة .

(٣) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (١٠١/٣٤) ، وحاصل معنىٰ ما أنشده : أن العارف ظهرت أنوار باطنه علىٰ صفحة وجهه ، وهـٰذا من غير اختيار منه ، وهـٰذا هو النطق الحقيقي ، وتشبيهه باللفظ بجامع الوضوح في كلٍّ . انظر « نتائج الأفكار » (٧٥/٤) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٥٦) ، وتقدم بنحوه (ص ٥٨٩) .

(٥) قولهم المنقول هو في « التعرُّف » (ص ١٣٨) عن بعض الأكابر .

وسُئِلَ يحيى بنُ معاذٍ عنِ العارفِ ، فقالَ : رجلٌ كائنٌ بائنٌ ، ومرَّةً قالَ : كانَ فبانَ [(١)] .

وقالَ ذو النونِ : (علامةُ العارفِ ثلاثةٌ : لا يطفئُ نورُ معرفتِهِ نورَ ورعِهِ ، ولا يعتقدُ باطناً مِنَ العلمِ ينقضُ عليهِ ظاهراً مِنَ الحكمِ ، ولا تحملُهُ كثرةُ نِعَمِ اللهِ عليهِ علىٰ هتكِ أستارِ محارمِ اللهِ) [(٢)] .

وقيلَ : ليس بعارفٍ مَنْ وصفَ المعرفةَ عندَ أبناءِ الآخرةِ ، فكيفَ عندَ أبناءِ الدنيا ؟! [(٣)] .

وقالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (المعرفةُ تأتي مِنْ عينِ الجودِ ، وبذلِ المجهودِ) [(٤)] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سُئِلَ الجنيدُ عنْ قولِ ذي النونِ المصريِّ في صفةِ العارفِ : كانَ ها هنا فذهبَ [(٥)] ، فقالَ الجنيدُ : العارفُ لا يحصرُهُ حالٌ عنْ حالٍ ، ولا يحجبُهُ منزلٌ عنِ التنقُّلِ في المنازلِ ، فهوَ معَ أهلِ كلِّ مكانٍ بمثلِ الذي هوَ فيهِ ، يجدُ مثلَ الذي يجدونَ ، وينطقُ بمعالمِها لينتفعوا بها .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الفضلِ يقولُ : (المعرفةُ : حياةُ القلبِ معَ اللهِ) [(٦)] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ الكتَّانيَّ

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٥٨) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٦١) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (١٩٤/٢٠) عن السري السقطي رحمه الله تعالىٰ ، وتقدم عنه أيضاً (ص ١١٢) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٦١) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٥٦) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٤٧/١٠) .

(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٦) .

(٦) ورواه أيضاً أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٠/١٠) عن أبي العباس السياري .

يقولُ : سُـئِلَ أبو سـعيدٍ الخـرَّازُ : هلْ يصيـرُ العارفُ إلىٰ حـالٍ يجفو عليهِ البكاءُ ؟[1] .

فقالَ : نعمْ ؛ إنَّما البكاءُ في أوقاتِ سيرِهِمْ إلى اللهِ ، فإذا نزلوا إلىٰ حقائقِ القربِ وذاقوا طعْمَ الوصولِ مِنْ برّهِ . . زالَ عنهُمْ ذٰلكَ[2] .

* * *

---

(1) أي : يبعُد عنه فلا يبكي .

(2) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٥/١٣١) ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (١/٣٣) عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن . . جعلوا يبكون ، قال : فقال أبو بكر : هٰكذا كنّا ، ثم قست القلوب ، قال أبو نعيم : (ومعنىٰ قوله : « قست القلوب » : قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالىٰ) ، وفي هامش (ل) : (بلغ سماعاً والحمد لله وتصحيحاً ومقابلةً) .

بابُ المحبّة

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ (١) .

أخبرَنا أبو نعيمٍ عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ قالَ : أخبرَنا أبو عَوانةَ يعقوبُ بنُ إسحاقَ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ أيوبَ قالَ : حدَّثَنا الحكمُ بنُ موسىٰ قالَ : حدَّثَنا السلميُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ الرزاقِ ، عنْ معمرٍ ، عنْ همَّامِ بنِ منبِّهٍ ، عنْ أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **مَنْ أحبَّ لقاءَ اللهِ . . أحبَّ اللهُ لقاءَهُ ، ومَنْ لمْ يحبَّ لقاءَ اللهِ . . لمْ يحبَّ اللهُ لقاءَهُ** » (٢) .

أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصفَّارُ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ أيوبَ قالَ : حدَّثَنا الحكمُ بنُ موسىٰ قالَ : حدَّثَنا الهيثمُ بنُ خارجةَ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ يحيىٰ ، عنْ صدقةَ الدمشقيِّ ، عنْ هشامٍ الكِنانيِّ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : عنْ جبريلَ عليهِ السلامُ ، عنْ ربِّهِ سبحانَهُ قالَ : « **مَنْ أهانَ لي وليّاً . . فقدْ بارزني بالمحاربةِ ، ما تردَّدْتُ في شيءٍ كتردُّدي في قبضِ نفسِ عبدي المؤمنِ ؛ يكرهُ الموتَ وأكرهُ مَساءَتَهُ ، ولا بدَّ لهُ منهُ ، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مِنْ أداءِ ما افترضتُ عليهِ ، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّىٰ أحبَّهُ ، ومَنْ أحببتُهُ . . كنتُ لهُ سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً** » (٣) .

---

(١) سورة المائدة : (٥٤) .

(٢) ورواه مسلم (٢٦٨٥) ، وهو متفق عليه عن غير سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الأولياء » (١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١٨/٨) ، ورواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومعنى التردد مصروف للرحمة ، أو هو الترديد للملائكة .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا عبيدُ ابنُ شريكٍ قالَ : حدَّثَنا يحيىٰ قالَ : حدَّثَنا مالكٌ ، عنْ سهيلِ بنِ أبي صالحٍ ، عنْ أبيه ، عنْ أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « **إذا أحبَّ اللهُ العبدَ . . قالَ لجبريلَ عليهِ السلامُ : إنِّي أحبُّ فلاناً فأحبَّهُ**[1] ، **فيحبُّهُ جبريلُ ، ثمَّ ينادي جبريلُ في أهلِ السماءِ : إنَّ اللهَ قدْ أحبَّ فلاناً فأحبُّوهُ ، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ ، ثمَّ يَضَعُ لهُ القَبولَ في الأرضِ .**

وإذا أبغضَ اللهُ عبداً . . . » قالَ مالكٌ : لا أحسبُهُ إلَّا قالَ في البغضِ مثلَ ذٰلكَ[2] .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : **المحبةُ** حالةٌ شريفةٌ ، شهدَ الحقُّ سبحانَهُ بها للعبدِ ، وأخبرَ عنْ محبَّتِهِ للعبدِ ، فالحقُّ سبحانَهُ يُوصَفُ بأنَّهُ يحبُّ العبدَ ، والعبدُ يُوصَفُ بأنَّهُ يحبُّ الحقَّ .

والمحبةُ علىٰ لسانِ العلماءِ : هيَ الإرادةُ ، وليسَ مرادُ القومِ بالمحبةِ الإرادةَ ؛ فإنَّ الإرادةَ لا تتعلَّقُ بالقديمِ[3] ؛ لأنَّ متعلَّقَ المحدَثِ محدَثٌ[4] ، اللهمَّ إلَّا أنْ يحملَ علىٰ إرادةِ التقرُّبِ إليهِ والتعظيمِ لهُ .

ونحنُ نذكرُ مِنْ تحقيقِ هٰذهِ المسألةِ طرفاً إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

فمحبَّةُ الحقِّ سبحانَهُ للعبدِ إرادتُهُ لإنعامٍ مخصوصٍ عليهِ ، كما أنَّ رحمتَهُ إرادةُ الإنعامِ ، فالرحمةُ خاصٌّ مِنَ الإرادةِ[5] ، والمحبَّةُ أخصُّ مِنَ الرحمةِ ، فإرادةُ اللهِ أنْ يوصِلَ إلى العبدِ الثوابَ والإنعامَ . . تُسمَّىٰ رحمةً ، وإرادتُهُ لأَنْ يخصَّهُ بالقربةِ والأحوالِ العليَّةِ . . تُسمَّىٰ محبَّةً .

---

(١) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٩/٣٤) : (فأحبه : بفتح الهمزة وكسر المهملة بعدها موحدة مشددة مفتوحة وتضم ، وهو مذهبُ سيبويه والمحققين على الإتباع للهاء) .

(٢) ورواه مالك في « الموطأ » (٢/٩٥٣) ، والبخاري (٧٤٨٥) ، ومسلم (٢٦٣٧) .

(٣) بناءً علىٰ أن أثرها التخصيص ، فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل . « إحكام الدلالة » (٤/٨٥) .

(٤) قوله : (لأن متعلق . . .) مثبت من (ب) من الأصول .

(٥) في هامش (د) : (فالرحمة أخصُّ من الإرادة) .

وإرادتُهُ سبحانَهُ صفةٌ واحدةٌ[(١)] ، فبحسبِ تفاوتِ متعلَّقاتها تختلفُ أسماؤُها ؛ فإذا تعلَّقَتْ بالعقوبةِ . . تُسمَّىٰ غضباً ، وإذا تعلَّقَتْ بعمومِ النعمِ . . تُسمَّىٰ رحمةً ، وإذا تعلَّقَتْ بخصوصِها . . تُسمَّىٰ محبَّةً .

وقومٌ قالوا : محبَّةُ الحقِّ للعبدِ مدحُهُ لهُ ، وثناؤُهُ عليهِ بالجميلِ ، فيعودُ معنىٰ محبَّتِهِ علىٰ هـٰذا القولِ إلىٰ كلامِهِ ، وكلامُهُ قديمٌ .

وقالَ قومٌ : محبَّتُهُ للعبدِ مِنْ صفاتِ فعلِهِ ، فهوَ إحسانٌ مخصوصٌ يلقى العبدَ بهِ ، وحالةٌ مخصوصةٌ يرقِّيهِ إليها ؛ كما قالَ بعضُهُمْ : إنَّ رحمتَهُ بالعبدِ نعمتُهُ معَهُ[(٢)] .

وقومٌ مِنَ السلفِ قالوا : محبَّتُهُ مِنَ الصفاتِ الخبريةِ ، فأطلقوا اللفظَ وتوقَّفوا عنِ التفسيرِ[(٣)] .

فأمَّا ما عدا هـٰذهِ الجملةَ ممَّا هوَ المعقولُ مِنْ صفاتِ محبَّةِ الخلقِ ؛ كالميلِ إلى الشيءِ ، والاستئناسِ بالشيءِ ، وكحالةٍ يجدُها المحبُّ معَ محبوبِهِ مِنَ المخلوقينَ . . فالقديمُ سبحانَهُ يتعالىٰ عنْ ذٰلكَ .

وأمَّا محبَّةُ العبدِ للهِ . . فحالةٌ يجدُها مِنْ قلبِهِ تلطُفُ عنِ العبارةِ .

وقدْ تحملُهُ تلكَ الحالةُ على التعظيمِ لهُ ، وإيثارِ رضاهُ ، وقلَّةِ الصبرِ عنهُ ، والاهتياجِ إليهِ ، وعدمِ القرارِ مِنْ دونِهِ ، ووجودِ الاستئناسِ بدوامِ ذكرِهِ لهُ بقلبِهِ .

وليسَتْ محبَّةُ العبدِ لهُ سبحانَهُ متضمِّنةً ميلاً ، ولا اختطاطاً[(٤)] ، كيفَ وحقيقةُ الصمديَّةِ مقدَّسةٌ عنِ اللحوقِ والدَّرَكِ والإحاطةِ ؟! والمحبُّ بوصفِ الاستهلاكِ في المحبوبِ أولىٰ منهُ بأنْ يُوصَفَ بالاختطاطِ[(٥)] .

---

(١) وكذا جميع صفات المعاني ، خلافاً لمن زعم من المبتدعة بإرادتين شرعية وكونية .

(٢) وعليه فتعود إلىٰ صفة القدرة أو التكوين ، وقد يقال : لا تخرج عن الإرادة ؛ لأنها المخصصة .

(٣) فالله تعالىٰ أعلم بالمراد ، إلا لمن كوشف بطرف من حقيقتها علىٰ قدر وسعه .

(٤) الاختطاط : كونه محاطاً بخطٍّ ، أراد أنه تعالىٰ لا يحدُّ ، وفي (ب ، ج ، ح ، ل) : (احتظاظاً) من الحظِّ ، ومعناها جلي .

(٥) لأن وصفه بهـٰذا ـ الاختطاط ـ قد يوهم أن المحبوب محاط به أيضاً . « إحكام الدلالة » (٤/٨٧) .

ولا تُوصفُ المحبَّةُ بوصفٍ ولا تُحَدُّ بحدٍّ أوضحَ ولا أقربَ إلى الفهمِ مِنَ المحبَّةِ ، والاستقصاءُ في المقالِ عندَ حصولِ الإشكالِ ، فإذا زالَ الاستعجامُ والاستبهامُ . . سقطَتِ الحاجةُ إلى الإغراقِ في شرحِ الكلامِ .

وعباراتُ الناسِ عنِ المحبةِ كثيرةٌ ، وتكلَّموا في أصلِها في اللغةِ : فبعضُهُمْ قالَ : الحبُّ : اسمٌ لصفاءِ المودَّةِ ؛ لأنَّ العربَ تقولُ لصفاءِ بياضِ الأسنانِ ونضارتِها : حَبَبُ الأسنانِ[1] .

وقيلَ : الحَبَابُ[2] : ما يعلو الماءَ عندَ المطرِ الشديدِ ، فعلىٰ هـٰذا المحبَّةُ : غَلَيانُ القلبِ وثَوَرانُهُ عندَ التعطُّشِ والاهتياجِ إلىٰ لقاءِ المحبوبِ .

وقيلَ : إنَّهُ مشتقٌّ مِنْ حَبابِ الماءِ ـ بفتحِ الحاءِ ـ وهوَ معظمُهُ ، فسُمِّيَ بذٰلكَ لأنَّ المحبَّةَ غايةُ معظمِ ما في القلبِ مِنَ المهمَّاتِ .

وقيلَ : اشتقاقُهُ مِنَ اللزومِ والثباتِ ، يقال : أحبَّ البعيرُ ؛ وهوَ أنْ يبرُكَ فلا يقومَ ، فكأنَّ المحبَّ لا يبرحُ بقلبِهِ عنْ ذكرِ محبوبِهِ .

وقيلَ : الحِبُّ : هوَ القُرْطُ ، قالَ الشاعرُ : [من الوافر]

تَبِيتُ ٱلْحَيَّةُ ٱلنَّضْنَاضُ مِنْهُ ... مَكَانَ ٱلْحِبِّ تَسْتَمِعُ ٱلسِّرَارَا[3]

وسُمِّيَ القُرْطُ حِبّاً ؛ إمَّا للزومِهِ للأُذُنِ ، أوْ لقَلَقِهِ ، وكلا المعنيينِ صحيحٌ في الحُبِّ .

وقيلَ : هوَ مأخوذٌ مِنَ الحَبِّ ؛ وهوَ جمعُ حَبَّةٍ ، وحَبَّةُ القلبِ ما بهِ قوامُهُ ، فسُمِّيَ الحُبُّ حُبّاً باسمِ محلِّهِ .

وقيلَ : الحُبُّ والحَبُّ ؛ كالعُمْرِ والعَمْرِ .

---

(١) كما نقل الأزهري في « تهذيبه » (ح ب ب) ، والأكثر أنه تنضُّد الأسنان .

(٢) وفي « إحكام الدلالة » (٤/٨٨) بضم الحاء .

(٣) البيت للراعي النميري كما في « ديوانه » (ص ١٧٧) ، والقول لابن دريد في « الاشتقاق » (ص ٣٠٨) ، قال الجاحظ في « الحيوان » (٤/٢١٥) في شرح هـٰذا البيت : (وربما باتت الأفعىٰ عند رأس الرجل وعلىٰ فراشه فلا تنهشه ، وأكثر ما يوجد ذٰلك من القانص . . . ، والنضناض من الحيات : الذي يحرّك لسانه) .

وقيـلَ : هوَ مأخوذٌ مِنَ الحِبَّةِ ـ بكسـرِ الحاءِ ـ وهيَ بـذورُ الصحراءِ[1] ، فسُمِّيَ الحُبُّ حُبّاً ؛ لأنَّهُ لبابُ الحياةِ ؛ كما أنَّ الحَبَّ لبابُ النباتِ .

وقيلَ : الحُبُّ هيَ الخشباتُ الأربعُ التي تُوضَعُ عليها الجرَّةُ ، فسُمِّيَ الحُبُّ حُبّاً ؛ لأنَّهُ يتحمَّلُ عنْ محبوبِه كلَّ عزٍّ وذلٍّ .

وقيلَ : هوَ مِنَ الحُبِّ الذي فيهِ الماءُ[2] ؛ لأنَّهُ يمسكُ ما فيهِ ، فلا يسعُ فيهِ غيرَ ما امتلأَ بهِ ، كذٰلكَ إذا امتلأَ القلبُ بالحُبِّ . . فلا مساغَ فيهِ لغيرِ محبوبِهِ .

وأمَّا أقاويلُ الشيوخِ فيهِ :

فقالَ بعضُهُمْ : المحبَّةُ : الميلُ الدائمُ بالقلبِ الهائمِ .

وقيلَ : المحبَّةُ : إيثارُ المحبوبِ علىٰ جميعِ المصحوبِ .

وقيلَ : موافقةُ الحبيبِ في المشهدِ والمغيبِ .

وقيلَ : محوُ المحبِّ بصفاتِهِ ، وإثباتُ المحبوبِ بذاتِهِ .

وقيلَ : مواطأةُ القلبِ لمراداتِ الربِّ .

وقيلَ : خوفُ تركِ الحرمةِ معَ إقامةِ الخدمةِ[3] .

وقالَ أبو يزيدَ البِسْطاميُّ : (المحبَّةُ : استقلالُ الكثيرِ مِنْ نفسِكَ ، واستكثارُ القليلِ مِنْ حبيبِكَ)[4] .

وقالَ سهلٌ : (الحبُّ : معانقةُ الطاعةِ ، ومباينةُ المخالفةِ)[5] .

وسُئِلَ الجنيدُ عنِ المحبَّةِ ، فقالَ : دخولُ صفاتِ المحبوبِ على البدلِ مِنْ صفاتِ المحبِّ[6] .

---

(١) أي : أنها لا تصلح قوتاً كغيرها من الحبوبِ ؛ كحبِّ الريحان والبقل ، وفي (ل) : (بذور نبات الصحراء) .

(٢) وهو الخابية أو الزير ، وهو فارسي معرب .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩١) عن ذي النون رحمه الله تعالىٰ .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٢) .

(٥) كذا في « اللمع » (ص ٨٧) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ٩١) .

(٦) كذا في « اللمع » (ص ٨٨) ، وهو معنىٰ : « كنت سمعه . . . » .

أشارَ بهٰذا إلى استيلاءِ ذكرِ المحبوبِ حتَّىٰ لا يكونُ الغالبَ علىٰ قلبِ المحبِّ إلَّا ذكرُ صفاتِ المحبوبِ ، والتغافلُ بالكلِّيَّةِ عنْ صفاتِ نفسِهِ والإحساسِ بها .

وقالَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ : (**المحبَّةُ** : الموافقةُ) .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ : (**حقيقةُ المحبَّةِ** : أنْ تهبَ كلَّكَ لمَنْ أحببتَ ، فلا يبقىٰ لكَ منكَ شيءٌ) .

وقالَ الشِّبليُّ : (**سُمِّيَتِ المحبَّةُ محبَّةً** ؛ لأنَّها تمحو مِنَ القلبِ ما سوى المحبوبِ)[1] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (**المحبَّةُ** : إقامةُ العتابِ على الدوامِ) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (**المحبَّةُ لذَّةٌ ، ومواضعُ الحقيقةِ دَهَشٌ**) .

وسمعتُهُ يقولُ : (**العشقُ** : مجاوزةُ الحدِّ في المحبَّةِ ، **والحقُّ تعالىٰ لا يُوَصفُ** بأنَّهُ يجاوزُ الحدَّ ، **فلا يُوصَفُ بالعشقِ ، ولوْ جُمِعَ محابُّ الخلقِ كلِّهِمْ لشخصٍ واحدٍ** . . لمْ يبلغْ ذٰلكَ استحقاقَ قدْرِ الحقِّ ، **فلا يُقالُ** : إنَّ عبداً جاوزَ الحدَّ في محبَّةِ اللهِ ، **فلا يُوصَفُ الحقُّ** بأنَّهُ يُعشَقُ ، **ولا العبدُ في صفتِهِ سبحانَهُ** بأنَّهُ يَعْشَقُ ، فنُفِيَ العشقُ ، **ولا سبيلَ لهُ إلىٰ وصفِ الحقِّ** ؛ لا مِنَ الحقِّ للعبدِ ، ولا مِنَ العبدِ للحقِّ)[2] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : (**المحبَّةُ** : أنْ تغارَ على المحبوبِ أنْ يحبَّهُ مثلُكَ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ عطاءٍ يقولُ وقدْ سُئِلَ عنِ المحبَّةِ ، فقالَ : أغصانٌ تُغرَسُ في القلبِ ، فتثمرُ علىٰ قدْرِ العقولِ .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٢) عن عمرو بن عثمان المكي .

(٢) وعليه إذا أطلق العشق . . فالمراد تأكيد المحبة ؛ إذ محبة الله تعالىٰ لعبده قديمة ، والقديم لا يتفاوت ، ومحبة العبد قاصرة لا يتصور فيها زيادة ، وقد تقدم نصٌّ فيه (ص ٥٠٤) ، وانظر « الإتحاف » (١/ ٤٠) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (**محبَّةٌ** توجبُ حقنَ الدماءِ ، **ومحبَّةٌ** توجبُ سفكَ الدماءِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ العلويَّ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سمعتُ سُمنوناً يقولُ : (**ذهبَ المحبُّونَ للهِ بشرفِ الدنيا والآخرةِ** ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « المرءُ معَ مَنْ أحبَّ »[1] ، **فهُمْ معَ اللهِ تعالىٰ**) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (**حقيقةُ المحبَّةِ** : ما لا ينقصُ بالجفاءِ ، ولا يزيدُ بالبِرِّ)[2] .

وقالَ : (**ليسَ بصادقٍ مَنِ ادَّعىٰ محبَّتَهُ** ولمْ يحفظْ حدودَهُ) .

وقالَ الجنيدُ : (**إذا صحَّتِ المحبَّةُ** . . سقطَ شروطُ الأدبِ)[3] .

وفي معناهُ سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ ينشدُ : [من الوافر]

إِذَا صَفَتِ ٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ قَوْمٍ ... وَدَامَ وَلَاؤُهُمْ سَمُجَ ٱلثَّنَاءُ[4]

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : **لا ترىٰ أباً شفيقاً يُبجِّلُ ابنَهُ في الخطابِ** ؛ فالناسُ يتكلَّفونَ في مخاطبَتِهِ والأبُ يقولُ : يا فلانُ .

وقالَ الكتَّانيُّ : (**المحبَّةُ** : الإيثارُ للمحبوبِ) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الأرَّجانيَّ يقولُ : سمعتُ بندارَ بنَ الحسينِ يقولُ : رُئِيَ مجنونُ بني عامرٍ في المنامِ ، فقيلَ له : **ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي ، وجعلَني حُجَّةً على المحبِّينَ**[5] .

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٤) .

(٣) تقدم (ص ٥٩٨) ، وفيه التفريق بين المحبة والتعظيم .

(٤) أصله قول لأسماء بن خارجة ، وهو : (إذا قَدُمَت المودة سمج الثناء) ، ثم نُظِم . انظر « ربيع الأبرار » (٤٤٥/١) ، وفي (ي) : (ودادهم) بدل (ولاؤهم) .

(٥) في هامش (أ) : (بلغ) .

وقالَ أبو يعقوبَ السوسيُّ : (**حقيقةُ المحبَّةِ** : أنْ ينسى العبدُ حظَّهُ مِنَ اللهِ ، وينسىٰ حوائجَهُ إليهِ) .

وقالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : (**حقيقةُ المحبَّةِ** : قيامُكَ معَ محبوبِكَ بخلعِ أوصافِكَ) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : قيلَ للنصراباذيِّ : **ليسَ لكَ مِنَ المحبَّةِ شيءٌ** ، فقالَ : صدقوا ، ولٰكنْ لي حَسَراتُهُمْ ، **فهوَ ذا أحترقُ فيهِ** (١) .

وسمعتُه يقولُ : قالَ النصراباذيُّ : **المحبَّةُ** : مجانبةُ السُّلوِّ علىٰ كلِّ حالٍ ، ثم أنشدَ : [من الطويل]

وَمَنْ كَانَ فِي طُولِ ٱلْهَوَىٰ ذَاقَ سَلْوَةً ... فَإِنِّيَ مِنْ لَيْلَىٰ لَهَا غَيْرُ ذَائِقِ
وَأَكْثَرُ شَيْءٍ نِلْتُهُ مِنْ وِصَالِهَا ... أَمَانِيُّ لَمْ تَصْدُقْ كَلَمْحَةِ بَارِقِ (٢)

وقالَ محمدُ بنُ الفضلِ : (**المحبَّةُ** : سقوطُ كلِّ محبةٍ مِنَ القلبِ إلَّا محبةَ الحبيبِ) .

وقالَ الجنيدُ : (**المحبَّةُ** : إفراطُ الميلِ بلا نيلٍ) .

ويُقالُ : **المحبَّةُ** : تشويشٌ في القلوبِ يقعُ مِنَ المحبوبِ .

ويُقالُ : **المحبَّةُ** : فتنةٌ تقعُ في الفؤادِ مِنَ المرادِ .

وأنشدَ ابنُ عطاءٍ : [من الطويل]

غَرَسْتُ لِأَهْلِ ٱلْحُبِّ غُصْناً مِنَ ٱلْهَوَىٰ ... وَلَمْ يَكُ يَدْرِي مَا ٱلْهَوَىٰ أَحَدٌ قَبْلِي
فَأَوْرَقَ أَغْصَاناً وَأَيْنَعَ صَبْوَةً ... وَأَعْقَبَ لِي مُرّاً مِنَ ٱلثَّمَرِ ٱلْمُخْلِي (٣)
فَكُلُّ جَمِيعِ ٱلْعَاشِقِينَ هَوَاهُمُ ... إِذَا نَسَبُوهُ كَانَ مِنْ ذَٰلِكَ ٱلْأَصْلِ

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٦/٧) .
(٢) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٧/٧) .
(٣) يعني : أبدلني ثمراً مُرّاً بثمرٍ حلوٍ ، وفي « إحكام الدلالة » (٩٦/٤) جعل المَخْلي بمعنى اليابس .

وقيلَ : **الحبُّ أوَّلُهُ خَتْلٌ ، وآخرُهُ قَتْلٌ** (١) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ في معنىٰ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حبُّكَ للشيءِ يعمي ويصمُّ » (٢) ، فقالَ : **يعمي عنِ الغيرِ غيرةً ، وعنِ المحبوبِ هيبةً** ، ثمَّ أنشدَ : [من المتقارب]

إِذَا مَـا بَـدا لِـي تَعَاظَمْتُـهُ ... فَأَصْـدُرُ فِـي حَـالِ مَـنْ لَـمْ يَـرِدْ (٣)

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ فاتكٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ الحارثَ المحاسبيَّ يقولُ : (**المحبَّةُ** : ميلُكَ إلى الشيءِ بكلِّيَّتِكَ ، ثمَّ إيثارُكَ لهُ علىٰ نفسِكَ وروحِكَ ومالِكَ ، ثمَّ موافقتُكَ لهُ سرّاً وجهراً ، ثمَّ علمُكَ بتقصيرِكَ في حبِّهِ) (٤) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ عبَّاسَ بنَ عصامٍ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (**لا تصلحُ المحبَّةُ بينَ اثنينِ حتَّىٰ** يقولَ الواحدُ للآخرِ : يا أنا) .

وقالَ الشِّبليُّ : (**المحبُّ إذا سكتَ . . هلكَ ، والعارفُ إنْ لمْ يسكتْ . . هلكَ**) (٥) .

وقيلَ : **المحبَّةُ** : نارٌ في القلبِ تحرقُ ما سوىٰ مرادِ المحبوبِ .

وقيلَ : **المحبَّةُ** : بذلُ المجهودِ والحبيبُ يفعلُ ما يشاءُ (٦) .

وقالَ النُّوريُّ : (**المحبَّةُ** : هتكُ الأستارِ ، وكشفُ الأسرارِ) (٧) .

---

(١) الخَتْل : المخادعة ؛ يعني : معاملة الله عبدَه بالرفق وتوالي النعم . « إحكام الدلالة » (٤/٩٦) .

(٢) رواه أبو داوود (٥١٣٠) من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) تقدم البيت (ص ٢٥٣) .

(٤) ورواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٧) .

(٥) تقدم بنحوه (ص ٣٤٦) ، وبلفظه هنا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩١) .

(٦) كذا في « اللمع » (ص ٨٧) عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٧) كذا في « اللمع » (ص ٨٧) .

وقالَ أبو يعقوبَ السوسيُّ : (لا تصحُّ المحبَّةُ إلَّا بالخروجِ عنْ رؤيةِ المحبَّةِ إلىٰ رؤيةِ المحبوبِ بفناءِ علمِ المحبَّةِ)(١) .

وقالَ جعفرٌ : قالَ الجنيدُ : دفعَ السريُّ إليَّ رقعةً وقالَ : هـٰذهِ لكَ خيرٌ مِنْ سبعِ مئةِ قصةٍ أوْ حديثٍ بعلوٍّ ، فإذا فيها : [من الطويل]

وَلَمَّـا ٱدَّعَيْـتُ ٱلْحُـبَّ قَالَـتْ كَذَبْتَنِي ... فَمَـا لِـي أَرَى ٱلْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِـيَا

فَمَا ٱلْحُبُّ حَتَّىٰ يَلْصَقَ ٱلْقَلْبُ بِٱلْحَشَا ... وَتَذْبُـلَ حَتَّـىٰ لَا تُجِيـبَ ٱلْمُنَادِيَـا

وَتَنْحَـلَ حَتَّـىٰ لَا يُبَقِّـي لَـكَ ٱلْهَـوَىٰ ... سِـوَىٰ مُقْلَـةٍ تَبْكِـي بِهَـا وَتُنَاجِيَـا(٢)

وقالَ ابنُ مسروقٍ : (رأيتُ سُمنوناً يتكلَّمُ في المحبةِ ، فتكسَّرَتْ قناديلُ المسجدِ كلُّها)(٣) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ فاتكٍ يقولُ : (سمعتُ سُمنوناً وهوَ جالسٌ في المسجدِ يتكلَّمُ في المحبَّةِ ، إذْ جاءَ طيرٌ صغيرٌ ، فقرُبَ منهُ ، ثمَّ قرُبَ ، فلمْ يزلْ يدنو حتَّىٰ جلسَ علىٰ يدِهِ ، ثمَّ ضرَب بمنقارِهِ إلى الأرضِ حتَّىٰ سالَ منهُ الدمُ ، ثمَّ ماتَ)(٤) .

وقالَ الجنيدُ : (كلُّ محبَّةٍ كانَتْ لغرضٍ إذا زالَ الغرضُ . . زالَتْ تلكَ المحبَّةُ)(٥) .

وقيـلَ : حُبِسَ الشِّبليُّ في المارسـتانِ ، فدخـلَ عليهِ جماعةٌ ، فقـالَ : مَنْ أنتُمْ ؟ فقالوا : محبُّوكَ يا أبا بكرٍ ، فأقبلَ يرميهِمْ بالحجارةِ ، ففرُّوا ، فقالَ : إنِ ادعيتُمْ محبَّتي . . فاصبروا علىٰ بلائي !(٦) .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٨٨) .

(٢) ورواه السراج في « مصارع العشاق » (١٠٩/١) ، وسُكِّن (يُبقِّي) للضرورة ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٩) .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٣) .

(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٠) ، وفي (ج) : (عوض) بدل (غرض) في الموضعين .

(٦) تقدم (ص ٤٤٣) .

وأنشدَ الشبليُّ : [من مخلع البسيط]

يَـا أَيُّهَـا ٱلسَّـيِّدُ ٱلْكَرِيـمُ حُبُّـكَ بَيْـنَ ٱلْحَشَـا مُقِيـمُ
يَـا رَافِـعَ ٱلنَّـوْمِ عَـنْ جُفُونِـي أَنْـتَ بِمَـا مَـرَّ بِـي عَلِيـمُ (١)

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ النَّهرَجُوريَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عبيدٍ يقولُ : كتبَ يحيى بنُ معاذٍ إلىٰ أبي يزيدَ : **سكرتُ مِنْ كثرةِ ما شربتُ مِنْ كأسِ محبَّتِهِ** ، فكتبَ إليهِ أبو يزيدَ : **غيرُكَ شربَ بحورَ السماواتِ والأرضِ وما رَوِيَ بعدُ** ، ولسانُهُ خارجٌ ويقولُ : **هلْ مِنْ مزيدٍ ؟**(٢) .

وأنشدوا : [من الوافر]

عَجِبْتُ لِمَـنْ يَقُـولُ ذَكَـرْتُ رَبِّـي وَهَـلْ أَنْسَـىٰ فَأَذْكُـرَ مَـا نَسِيتُ
[أَمُـوتُ إِذَا ذَكَرْتُـكَ ثُـمَّ أَحْيَـا وَلَـوْلَا حُسْـنُ ظَنِّـي مَـا حَيِيـتُ
فَأَحْيَـا بِٱلْمُنَـىٰ وَأَمُـوتُ شَـوْقاً فَكَـمْ أَحْيَـا عَلَيْـكَ وَكَـمْ أَمُـوتُ]
شَـرِبْتُ ٱلْحُـبَّ كَأْسـاً بَعْـدَ كَأْسٍ فَمَـا نَفِـدَ ٱلشَّـرَابُ وَمَـا رَوِيـتُ (٣)

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ عليهِ السلامُ : **إنِّي إذا اطلعتُ علىٰ قلبِ عبدٍ فلمْ أجدْ فيهِ حبَّ الدنيا والآخرةِ . . ملأتُهُ مِنْ حبِّي** .

ورأيتُ بخطِّ الأستاذِ أبي عليٍّ الدقَّاقِ رحمَهُ اللهُ : **أنَّ في بعضِ الكتبِ** المنزَّلةِ : عبدي ؛ **أنا وحقِّك لكَ محبٌّ** ، فبحقِّي عليكَ ؛ **كُنْ لي محبّاً**(٤) .

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ : (**مَنْ أُعطِيَ شيئاً مِنَ المحبَّةِ ولمْ يُعطَ مثلَهُ مِنَ الخشيةِ . . فهوَ مخدوعٌ**)(٥) .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٢) ، وفي هامش (ل) : (بلغ) .
(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٤٠) ، وتقدم (ص ٢٦٣) .
(٣) أوردها السلمي في « تفسيره » (٢/١٤٩) عن علي بن عبد الرحيم رحمه الله تعالىٰ ، وفي « تهذيب الأسرار » (ص ٩٢) ، وتقدم البيت الأخير (ص ٢٦٣) ، والبيتان الثاني والثالث من (ي) وحدها .
(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٩) عن بعضهم .
(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٣) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٥/٢٢٤) ، كلاهما عن محمد بن المبارك .

وقيلَ : **المحبَّةُ** : ما يمحو أثرَكَ[١] .

وقيلَ : **المحبَّةُ** : سكرٌ لا يصحو صاحبُهُ إلَّا بمشاهدةِ محبوبِهِ[٢] .

ثمَّ السكرُ الذي يحصلُ عندَ الشهودِ لا يُوصَفُ ، وأنشدوا : [من مخلع البسيط]

فَأَسْكَرَ ٱلْقَوْمَ دَوْرُ كَأْسٍ   وَكَانَ سُكْرِي مِنَ ٱلْمُدِيرِ[٣]

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمةُ اللهِ عليهِ ينشدُ كثيراً : [من البسيط]

لِي سَكْرَتَانِ وَلِلنُّدْمَانِ وَاحِدَةٌ   شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي[٤]

وقالَ ابنُ عطاءٍ : **المحبَّةُ** : إقامةُ العتابِ على الدوامِ[٥] .

وكانَ للأستاذِ أبي عليٍّ جاريةٌ تُسمَّىٰ فيروزَ ، وكانَ يحبُّها ؛ إذْ كانَتْ قدْ خدمتْهُ كثيراً ، فسمعتُهُ يقولُ : كانَتْ فيروزُ تؤذيني يوماً وتستطيلُ عليَّ بلسانِها ، فقالَ لها أبو الحسنِ القاري : لِمَ تؤذينَ هٰذا الشيخَ ؟! فقالَتْ : لأنِّي أحبُّهُ[٦] .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مثقالُ خردلةٍ مِنَ الحُبِّ أحبُّ إليَّ مِنْ عبادةِ سبعينَ سنةً بلا حبٍّ) .

وقيلَ : إنَّ شاباً أشرفَ على الناسِ في يومِ عيدٍ وقالَ : [من السريع]

مَنْ مَاتَ عِشْقاً فَلْيَمُتْ هٰكَذَا   لَا خَيْرَ فِي عِشْقٍ بِلَا مَوْتِ

وألقىٰ نفسَهُ مِنْ سطحٍ عالٍ فوقعَ ميتاً[٧] .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ١٠٠) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ١٠٠) .

(٣) تقدم (ص ٢٦١) .

(٤) تقدم (ص ٢٦١) .

(٥) تقدم (ص ٦٥٣) .

(٦) وفيه : أن المحبَّ لا يرىٰ أذيَّةً من محبوبه ، وأن المحبوب قد يتحكَّم علىٰ محبِّه .

(٧) وحكىٰ خبراً يشبهه في « الزهرة » (٤٦٣/١) ، وروى ابن أبي الدنيا في « التفكر والاعتبار » كما في « تفسير ابن كثير » (٢٥٣/٣) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية علىٰ رأس جبل معها ابن لها يرعىٰ غنماً ، فقال لها : يا أمه ؛ من خلقك ؟ قالت : الله ، قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : الله ، قال : فمن خلقني ؟ قالت : الله ، قال : فمن خلق السماوات ؟ ←

وحُكِيَ أنَّ بعضَ أهلِ الهندِ عشِقَ جاريةً ، فرحلَتِ الجاريةُ ، فخرجَ الرجلُ في وداعِها ، فدمعَتْ إحدىٰ عينيهِ دونَ الأخرىٰ ، فغمَّضَ التي لمْ تدمعْ أربعاً وثمانينَ سنةً ولمْ يفتحْها ؛ عقوبةً لأنَّها لمْ تبكِ علىٰ فراقِ حبيبِهِ .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الوافر]

بَكَـتْ عَيْنِـي غَـدَاةَ ٱلْبَيْـنِ دَمْعـاً ... وَأُخْـرَىٰ بِٱلْبُـكَا بَخِلَـتْ عَلَيْنَـا

فَعَاقَبْـتُ ٱلَّتِـي بَخِلَـتْ عَلَيْنَـا ... بِـأَنْ غَمَّضْتُهَـا يَـوْمَ ٱلْتَقَيْنَـا

وَجَازَيْـتُ ٱلَّتِـي جَـادَتْ بِدَمْـعٍ ... بِـأَنْ أَقْرَرْتُهَـا بِٱلْحِـبِّ عَيْنَـا (١)

وقالَ بعضُهُمْ : كنا عندَ ذي النونِ المصريِّ ، فتذاكرْنا المحبَّةَ ، فقالَ ذو النونِ : كُفُّوا عنْ هٰذهِ المسألةِ ، لا تسمعُها النفوسُ فتدعيَها ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من مجزوء الكامل]

اَلْخَـوْفُ أَوْلَـىٰ بِٱلْمُسِـي ... ءِ إِذَا تَأَلَّـهَ وَٱلْحَـزَنْ (٢)

وَٱلْحُـبُّ يَجْمُـلُ بِٱلتَّقِـ ... ـيِّ وَبِٱلنَّقِـيِّ مِـنَ ٱلـدَّرَنْ

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ : (مَنْ نشرَ المحبَّةَ عندَ غيرِ أهلِها .. فهوَ في دعواهُ دعيٌّ) .

وقيلَ : ادَّعىٰ رجلٌ الاستهلاكَ في محبَّةِ شخصٍ ، فقالَ لهُ الشابُّ : كيفَ هٰذا وهٰذا أخي أحسنُ منِّي وجهاً وأتمُّ جمالاً ؟! فرفعَ الرجلُ رأسَهُ يلتفتُ ـ وكانا علىٰ سطحٍ ـ فألقاهُ مِنَ السطحِ وقالَ : مَنْ يدَّعِي هوانا يَنْظُرُ إلىٰ سِوَانا ؟!

وكانَ سُمنونٌ يقدِّمُ المحبَّةَ على المعرفةِ ، والأكثرونَ يقدِّمونَ المعرفةَ على المحبَّةِ .

قالت : الله ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت الله : قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : الله ، قال : فمن خلق هٰذا الغنم ؟ قالت : الله ، قال : فإني أسمع لله شأناً ، ثم ألقىٰ نفسه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحدثنا بهٰذا الحديث .

(١) البيتان لابن المعتز في « ديوانه » (ص ٢٧٩) ، ونسبهما في « ديوان المعاني » (١/٥٥١) لماني الموسوس ، وقد تقدم الخبر والبيتان (ص ٤٤٤) ، والبيت الثالث مثبت من (ج ، ي ، ل) مستدركاً فيهن .

(٢) روىٰ نحوهما أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٧٦) عن عبد العزيز بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ .

وعندَ محققيهِمْ : المحبَّةُ : الاستهلاكُ في لذةٍ ، والمعرفةُ : شهودٌ في حَيرةٍ ، وفناءٌ في هيبةٍ .

وقالَ أبو بكرٍ الكَتَّانيُّ : جرَتْ مسألةٌ في المحبَّةِ بمكَّةَ أيامَ الموسمِ ، فتكلَّمَ الشيوخُ فيها ، وكانَ الجنيدُ أصغرَهُمْ سناً ، فقالوا لهُ : هاتِ ما عندَكَ يا عراقيُّ ، فأطرقَ رأسَهُ ، ودمعَتْ عيناهُ ، ثمَّ قالَ : عبدٌ ذاهبٌ عنْ نفسِهِ ، متصلٌ بذكرِ ربِّهِ ، قائمٌ بأداءِ حقوقِهِ ، ناظرٌ إليهِ بقلبِهِ ، أحرقَ قلبَهُ أنوارُ هويَّتِهِ ، وصفا شربُهُ مِنْ كأسِ وُدِّهِ ، وانكشفَ لهُ الجبَّارُ مِنْ أستارِ غيبِهِ ؛ فإنْ تكلَّمَ . . فباللهِ ، وإنْ نطقَ . . فمِنَ اللهِ ، وإنْ تحرَّكَ . . فبأمرِ اللهِ ، وإنْ سكنَ . . فمعَ اللهِ ، فهوَ باللهِ وللهِ ومعَ اللهِ .

فبكى الشيوخُ وقالوا : ما علىٰ هٰذا مزيدٌ ، جبرَكَ اللهُ يا تاجَ العارفينَ .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : يا داوودُ ؛ إنِّي حرَّمتُ على القلوبِ أنْ يدخلَها حبِّي وحبُّ غيري .

أخبرَنا حمزةُ بنُ يوسفَ السهميُّ قالَ : أخبرَنا محمدُ بنُ أحمدَ ابنِ القاسمِ قالَ : حدَّثَنا هميمُ بنُ همَّامٍ قالَ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ الحارثِ قالَ : حدَّثَني عبدُ الرحمٰنِ بنُ عفَّانَ قالَ : حدَّثني محمدُ بنُ أيوبَ قالَ : حدَّثَني أبو العبَّاسِ خادمُ الفضيلِ بنِ عياضٍ قالَ : احتبسَ بولُ الفضيلِ ، فرفعَ يدَيهِ وقالَ : اللهمَّ ؛ بحبِّي لكَ إلَّا أطلقتَهُ عنِّي ، قالَ : فما برحْنا حتَّىٰ شُفِيَ (١) .

وقيلَ : المحبةُ : الإيثارُ ؛ كامرأةِ العزيزِ لمَّا تناهَتْ في أمرِها . . قالَتْ : ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٢) ، وفي الابتداءِ قالَتْ : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (٣) فورَّكَتِ الذنبَ في

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠٩/٨) ، والخطيب في « تاريخه » (١٢٠/١٢) .
(٢) سورة يوسف : (٥١) .
(٣) سورة يوسف : (٢٥) .

الابتداءِ عليهِ[١] ، وفي الانتهاءِ نادَتْ علىٰ نفسِها بالخيانةِ .
سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ ذٰلكَ .

وحُكِيَ عنْ أبي سعيدٍ الخرَّازِ أنَّهُ قالَ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ اعذرْني ؛ فإنَّ محبَّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ شغلَتْني عنْ محبَّتِكَ ، فقالَ : يا مباركُ ؛ مَنْ أحبَّ اللهَ تعالىٰ . . فقدْ أحبَّني .

وقيلَ : قالَتْ رابعةُ في مناجاتِها : إلٰهي ؛ أتحرقُ بالنارِ قلباً يحبُّكَ ؟ فهتفَ بها هاتفٌ : ما كنَّا نفعلُ هٰكذا ، فلا تظنِّي بنا ظنَّ السوءِ .

وقيلَ : الحبُّ حرفانِ ، حاءٌ وباءٌ ، فالإشارةُ فيهِ : أنَّ مَنْ أحبَّ . . فليخرجْ عنْ روحِهِ وبدنِهِ[٢] .

وكالإجماعِ مِنْ إطلاقاتِ القومِ أنَّ المحبَّةَ هيَ الموافقةُ ، فأشدُّ الموافقاتِ الموافقةُ بالقلبِ ، والمحبَّةُ توجبُ انتفاءَ المباينةِ ؛ فإنَّ المحبَّ أبداً يتبعُ محبوبَهُ ، وبذٰلكَ وردَ الخبرُ .

حدَّثَنا الإمامُ أبو بكرٍ ابنُ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ قالَ : أخبرَنا القاضي أحمدُ بنُ محمودِ ابنِ خُرَّزاذَ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ حمادِ بنِ فضالةَ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ حبيبٍ قالَ : حدَّثَنا مرحومُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عنْ سفيانَ الثوريِّ ، عنِ الأعمشِ ، عنْ أبي وائلٍ ، عنْ أبي موسى الأشعريِّ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قيلَ لهُ : الرجلُ يحبُّ القومَ ولمَّا يلحقْ بهِمْ ، فقالَ : « المرءُ معَ مَنْ أحبَّ »[٣] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ الحِيريَّ يقولُ : سمعتُ أبا حفصٍ يقولُ : (أكثرُ فسادِ الأحوالِ مِنْ ثلاثةٍ : فسقُ العارفينَ ، وخيانةُ المحبِّينَ ، وكذبُ المريدينَ) .

---

(١) يقال : ورَّكَ فلان ذنبه علىٰ غيره ؛ أي : قَرَفَهُ به ونسبه إليه . « الصحاح » (و ر ك) .
(٢) في (ي) زيادة : (وقلبه) والمناسب المثبت ؛ للحاء في الروح ، والباء في البدن .
(٣) ورواه البخاري (٦١٧٠) ، ومسلم (٢٦٤١) ، وقد تقدم (ص ٦٥٤) .

قالَ أبو عثمانَ : (فسقُ العارفينَ : إطلاقُ الطرفِ واللسانِ والسمعِ إلىٰ أسبابِ الدنيا ومنافعِها .

وخيانةُ المحبينَ : اختيارُ هواهُمْ علىٰ رضا اللهِ عزَّ وجلَّ فيما يستقبلُهُمْ .

وكذبُ المريدينَ : أنْ يكونَ ذكرُ الخلقِ ورؤيتُهُمْ تغلبُ عليهِمْ علىٰ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ورؤيتِهِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الجوهريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ ممشاذَ بنَ سعيدٍ العكبريَّ يقولُ : راودَ خطَّافٌ خطَّافةً في قبَّةِ سليمانَ عليهِ السلامُ ، فامتنعَتْ عليهِ ، فقالَ لها : تمتنعينَ عليَّ وإنْ شئتُ . . قلبتُ القبَّةَ علىٰ سليمانَ ؟!

فدعاهُ سليمانُ عليهِ السلامُ ، وقالَ لهُ : ما حملَكَ علىٰ ما قلتَ ؟ فقالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ إنَّ العشَّاقَ لا يؤاخذونَ بأقوالِهِمْ (١) ، فقالَ : صدقتَ .

* * *

(١) لأنهم قد تغلبهم غلبات أحوال المحبة ، فهم مكرهون غير مختارين ، علىٰ أن المحب شأنه أنه يحب المحبوب لا يرىٰ إلا محاسنه . « نتائج الأفكار » (٤/١٠٥) .

الابتداءِ عليهِ[١] ، وفي الانتهاءِ نادَتْ علىٰ نفسِها بالخيانةِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ ذٰلكَ .

وحُكِيَ عنْ أبي سعيدٍ الخرَّازِ أنَّهُ قالَ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ اعذرْني ؛ فإنَّ محبَّةَ اللهِ عزَّ وجلَّ شغلَتْني عنْ محبَّتِكَ ، فقالَ : يا مباركُ ؛ مَنْ أحبَّ اللهَ تعالىٰ . . فقدْ أحبَّني .

وقيلَ : قالَتْ رابعةُ في مناجاتِها : إلٰهي ؛ أتحرقُ بالنارِ قلباً يحبُّكَ ؟ فهتفَ بها هاتفٌ : ما كنَّا نفعلُ هٰكذا ، فلا تظنِّي بنا ظنَّ السوءِ .

وقيلَ : الحبُّ حرفانِ ، حاءٌ وباءٌ ، فالإشارةُ فيهِ : أنَّ مَنْ أحبَّ . . فليخرجْ عنْ روحِهِ وبدنِهِ[٢] .

وكالإجماعِ مِنْ إطلاقاتِ القومِ أنَّ المحبَّةَ هيَ الموافقةُ ، فأشدُّ الموافقاتِ الموافقةُ بالقلبِ ، والمحبَّةُ توجبُ انتفاءَ المباينةِ ؛ فإنَّ المحبَّ أبداً يتبعُ محبوبَهُ ، وبذٰلكَ وردَ الخبرُ .

حدَّثَنا الإمامُ أبو بكرٍ ابنُ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ قالَ : أخبرَنا القاضي أحمدُ بنُ محمودِ ابنِ خُرَّزاذَ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ حمادِ بنِ فضالةَ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ حبيبٍ قالَ : حدَّثَنا مرحومُ بنُ عبدِ العزيزِ ، عنْ سفيانَ الثوريِّ ، عنِ الأعمشِ ، عنْ أبي وائلٍ ، عنْ أبي موسى الأشعريِّ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قيلَ لهُ : الرجلُ يحبُّ القومَ ولمَّا يلحقْ بهِمْ ، فقالَ : « المرءُ معَ مَنْ أحبَّ »[٣] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ الحِيريَّ يقولُ : سمعتُ أبا حفصٍ يقولُ : (أكثرُ فسادِ الأحوالِ مِنْ ثلاثةٍ : فسقُ العارفينَ ، وخيانةُ المحبِّينَ ، وكذبُ المريدينَ) .

---

(١) يقال : ورَّكَ فلان ذنبه علىٰ غيره ؛ أي : قَرَفَهُ به ونسبه إليه . « الصحاح » (و ر ك) .
(٢) في (ي) زيادة : (وقلبه) والمناسب المثبت ؛ للحاء في الروح ، والباء في البدن .
(٣) ورواه البخاري (٦١٧٠) ، ومسلم (٢٦٤١) ، وقد تقدم (ص ٦٥٤) .

قالَ أبو عثمانَ : (فسقُ العارفينَ : إطلاقُ الطرفِ واللسانِ والسمعِ إلىٰ أسبابِ الدنيا ومنافعِها .

وخيانةُ المحبينَ : اختيارُ هواهُمْ علىٰ رضا اللهِ عزَّ وجلَّ فيما يستقبلُهُمْ .

وكذبُ المريدينَ : أنْ يكونَ ذكرُ الخلقِ ورؤيتُهُمْ تغلبُ عليهِمْ علىٰ ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ورؤيتِهِ) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الجوهريَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ ممشاذَ بنَ سعيدٍ العكبريَّ يقولُ : راودَ خطَّافٌ خطَّافةً في قبَّةِ سليمانَ عليهِ السلامُ ، فامتنعَتْ عليهِ ، فقالَ لها : تمتنعينَ عليَّ وإنْ شئتُ . . قلبتُ القبَّةَ علىٰ سليمانَ ؟!

فدعاهُ سليمانُ عليهِ السلامُ ، وقالَ لهُ : ما حملَكَ علىٰ ما قلتَ ؟ فقالَ : يا نبيَّ اللهِ ؛ إنَّ العشَّاقَ لا يؤاخذونَ بأقوالِهِمْ [1] ، فقالَ : صدقتَ .

* * *

---

(١) لأنهم قد تغلبهم غلبات أحوال المحبة ، فهم مكرهون غير مختارين ، علىٰ أن المحب شأنه أنه يحب المحبوب لا يرىٰ إلا محاسنه . « نتائج الأفكار » (٤/١٠٥) .

بابُ الشّوق

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ ﴾[1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ الأهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا ابنُ أبي قماشٍ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ زرارةَ ، عنْ حمادِ بنِ زيدٍ قالَ : حدَّثَنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عنْ أبيهِ قالَ : صلَّىٰ بنا عمارُ بنُ ياسرٍ صلاةً فأوجزَ فيها ، فقلتُ : خففتَ يا أبا اليقظانِ ! قالَ : وما عليَّ مِنْ ذٰلكَ ، ولقدْ دعوتُ اللهَ بدعواتٍ سمعتُها مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلمَّا قامَ . . تبعَهُ رجلٌ مِنَ القومِ ، فسألَهُ عنِ الدعواتِ ، فقالَ : « اللهمَّ ؛ بعلمِكَ الغيبَ ، وقدرتِكَ على الخلقِ ؛ أحيِني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي ، وتوفَّني إذا علمتَ الوفاةَ خيراً لي .

اللهمَّ ؛ إنِّي أسألُكَ خشيتَكَ في الغيبِ والشهادةِ ، وأسألُكَ كلمةَ الحقِّ في الرضا والغضبِ ، وأسألُكَ القصدَ في الغنىٰ والفقرِ ، وأسألُكَ نعيماً لا يبيدُ ، وقرَّةَ عينٍ لا تنقطعُ ، وأسألُكَ الرضا بعدَ القضاءِ ، وبردَ العيشِ بعدَ الموتِ ، وأسألُكَ النظرَ إلىٰ وجهِكَ ، والشوقَ إلىٰ لقائِكَ في غيرِ ضرَّاءَ مضرَّةٍ ، ولا فتنةٍ مضلَّةٍ .

اللهمَّ ؛ زيِّنا بزينةِ الإيمانِ ، اللهمَّ ؛ اجعلْنا هداةً مهتدينَ »[2] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : الشوقُ : اهتياجُ القلوبِ إلىٰ لقاءِ المحبوبِ ، وعلىٰ قدْرِ المحبَّةِ يكونُ الشوقُ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يفرِّقُ بينَ الشوقِ والاشتياقِ ، ويقولُ : الشوقُ يسكنُ باللقاءِ والرؤيةِ ، والاشتياقُ لا يزولُ باللقاءِ .

---

(١) سورة العنكبوت : (٥) .

(٢) ورواه النسائي (٣/٥٤) .

وفي معناهُ أنشدوا : [من البسيط]

مَـا يَرْجِـعُ ٱلطَّـرْفُ عَنْـهُ عِنْـدَ رُؤْيَتِـهِ حَتَّـىٰ يَعُـودَ إِلَيْـهِ ٱلطَّـرْفُ مُشْـتَاقَا (١)

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ النصراباذيَّ يقولُ : (للخلقِ كلِّهِمْ مقامُ الشوقِ ، وليسَ لهُمْ مقامُ الاشتياقِ ، ومَنْ دخلَ في حالِ الاشتياقِ . . هامَ فيهِ حتَّىٰ لا يُرىٰ لهُ أثرٌ ولا قرارٌ)(٢) .

وقيلَ : جاءَ أحمدُ الأسودُ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ مَنازلَ وقالَ : رأيتُ في المنامِ أنَّكَ تموتُ إلىٰ سنةٍ ، فإنِ استعددتَ للخروجِ ، فقالَ عبدُ اللهِ بنُ مَنازلَ : لقدْ أحَلْتَنا إلىٰ أمدٍ بعيدٍ ؛ أأعيشُ أنا إلىٰ سنةٍ ؟! لقدْ كانَ لي أنسٌ بهٰذا البيتِ الذي سمعتُهُ مِنْ هٰذا الثقفيِّ ؛ يعني : أبا عليٍّ : [من البسيط]

يَـا مَنْ شَـكَا شَـوْقَهُ مِـنْ طُـولِ فُرْقَتِهِ اِصْبِـرْ لَعَلَّـكَ تَلْقَـىٰ مَـنْ تُحِبُّ غَـدَا (٣)

وقالَ أبو عثمانَ : (علامةُ الشوقِ : حبُّ الموتِ معَ الراحةِ)(٤) .

وقـالَ يحيى بـنُ معـاذٍ : (علامـةُ الشـوقِ : فِطـامُ الجـوارحِ عـنِ الشهواتِ)(٥) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : خرجَ داوودُ عليهِ السلامُ يوماً إلىٰ بعضِ الصحارىٰ منفرداً ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : ما لي أراكَ يا داوودُ وَحدانيّاً ؟ فقالَ : إلٰهي ؛ استأثرَ الشوقُ إلىٰ لقائِكَ علىٰ قلبي ، فحالَ بيني وبينَ صحبةِ الخلقِ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : ارجعْ إليهِمْ ؛ فإنَّكَ إنْ أتيتَني بعبدٍ آبقٍ . . أثبتُّكَ في اللوحِ المحفوظِ جِهْبِذاً(٦) .

---

(١) هو لأبي نواس كما في « ديوانه » برواية الصولي (ص ٦٢٢) .

(٢) والمعنىٰ : أكثر الخلق له مشوق ، والاشتياق إنما هو للعارفين ، كما في « نتائج الأفكار » (٤/١٠٧) .

(٣) البيت للعباس بن الأحنف . انظر « ديوانه » (ص ٨٣) ، وفي (ب ، د) : (أجَلْتنا) بدل (أحلتنا) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٤٣) عن أبي عثمان الحنَّاط عن ذي النون ضمن كلام له .

(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ١١٣) دون نسبة .

(٦) رواه مختصراً الواسطي في « تاريخه » (ص ١٩٣) ، وأحمد في « الزهد » (٩٧٧) ، والجهبذ : النقَّاد البارع الخبير ، وهي لفظة معرَّبة .

وقيلَ : كانَتْ عجوزٌ قدِمَ بعضُ أقاربِها مِنَ السفرِ ، وأظهرَ قومُها السرورَ والعجوزُ تبكي ، فقيلَ لها : ما يبكيكِ ؟ فقالَتْ : ذكَّرَني قدومُ هـٰذا الفتىٰ يومَ القدومِ على اللهِ تعالىٰ .

وسُئِلَ ابنُ عطاءٍ عنِ الشوقِ ، فقالَ : احتراقُ الأحشاءِ ، وتلهُّبُ القلوبِ ، وتقطُّعُ الأكبادِ .

وسُئِلَ : الشوقُ أعلىٰ أمِ المحبَّةُ ؟ فقالَ : المحبَّةُ ؛ لأنَّ الشوقَ منها يتولَّدُ .

وقالَ بعضُهُمْ : الشوقُ لهيبٌ ينشأُ بينَ أثناءِ الحشا ، يسنحُ عنِ الفرقةِ [1] ، فإذا وقعَ اللقاءُ . . طفئَ ، وإذا كانَ الغالبُ على الأسرارِ مشاهدةَ المحبوبِ . . لمْ يطرقْها الشوقُ .

وقيلَ لبعضِهِمْ : هلْ تشتاقُ ؟ فقالَ : لا ، إنَّما الشوقُ إلىٰ غائبٍ ، وهوَ حاضرٌ [2] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [3] قالَ : معناهُ : شوقاً إليكَ ، فسترَهُ بلفظِ الرضا .

وسمعتُهُ رحمَهُ اللهُ يقولُ : مِنْ علاماتِ الشوقِ : تمَنِّي الموتِ علىٰ بساطِ العوافي ؛ كيوسفَ عليهِ السلامُ ، لما أُلقيَ في الجُبِّ . . لمْ يقلْ : توفَّني ، ولمَّا أُدخلَ السجنَ . . لمْ يقلْ : توفَّني ، ولمَّا دخلَ عليهِ أبواهُ وخرَّ الإخوةُ لهُ سجداً وتمَّ لهُ الملكُ والنعمُ . . قالَ : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ [4] .

وفي معناهُ أنشدَ بعضُهُمْ : [من الخفيف]

نَحْنُ فِي أَكْمَلِ ٱلسُّرُورِ وَلَـٰكِنْ ... لَيْسَ إِلَّا بِكُمْ يَتِمُّ ٱلسُّرُورُ

---

(١) يعني : يظهر بسببها ، لذلك ينطفئ باللقاء .

(٢) كذا في « قوت القلوب » (٢/٦٤) عن أبي عاصم الشامي ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٣) سورة طه : (٨٤) .

(٤) سورة يوسف : (١٠١) .

عَيْبُ مَا نَحْنُ فِيهِ يَا أَهْلَ وُدِّي ... أَنَّكُمْ غُيَّبٌ وَنَحْنُ حُضُورُ[1]

وفي معناهُ أنشدوا : [من مجزوء الكامل]

مَنْ سَرَّهُ ٱلْعِيدُ ٱلْجَدِيـ ... ـدُ فَقَدْ عَدِمْتُ بِهِ ٱلسُّرُورَا

كَانَ ٱلسُّرُورُ يَتِمُّ لِي ... لَوْ كَانَ أَحْبَابِي حُضُورَا[2]

وقالَ ابنُ خَفيفٍ : (الشوقُ : ارتياحُ القلوبِ بالوجدِ ، ومحبَّةُ اللقاءِ والقربِ) .

وقالَ أبو يزيدَ : (**إنَّ للهِ تعالىٰ عباداً لوْ حجبَهُمْ في الجنةِ عنْ رؤيتِهِ . . لَاستغاثوا مِنَ الجنةِ كما يستغيثُ أهلُ النارِ مِنَ النارِ**)[3] .

أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو العبَّاسِ الهاشميُّ بالبيضاءِ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الخزاعيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ الأنصاريُّ قالَ : سمعتُ حسيناً الأنصاريَّ يقولُ : رأيتُ في النومِ كأنَّ القيامةَ قامَتْ ، وشخصٌ قائمٌ تحتَ العرشِ ، فيقولُ الحقُّ سبحانَهُ : **ملائكتي ؛ مَنْ هٰذا ؟** فقالوا : اللهُ أعلمُ ، فقالَ : **هٰذا معروفٌ الكَرْخيُّ ، سكِرَ مِنْ حبِّي ، فلا يفيقُ إلَّا بلقائي**[4] .

وفي بعضِ الحكاياتِ في مثلِ هٰذا المنامِ أنَّهُ قيلَ : هٰذا معروفٌ الكَرْخيُّ ، خرجَ مِنَ الدنيا مشتاقاً إلى اللهِ ، فأباحَ اللهُ عزَّ وجلَّ لهُ النظرَ إليهِ .

وقالَ فارسٌ[5] : (**قلوبُ المشتاقينَ منوَّرةٌ بنورِ اللهِ ، فإذا تحرَّكَ اشتياقُهُمْ . .** أضاءَ النورُ ما بينَ السماءِ والأرضِ ، فيعرضُهُمُ اللهُ تعالىٰ على الملائكةِ ، فيقولُ : **هٰؤلاءِ المشتاقونَ إليَّ ، أشهدُكُمْ أنِّي إليهِمْ أشوقُ**) .

---

(١) نسبهما ابن الأعرابي كما في « المنتظم » (٥/٣٨٩) للمهدي الخليفة .

(٢) هما في « اليتيمة » (١/١٢٩) من غير نسبة ، وفي هامش (ل) : (بلغ مقابلةً) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٣٤) .

(٤) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٦٦) ، وتقدم نحوه (ص ١١٠) .

(٥) تقدم (ص ٦٢٠) أنه فارس الدينوري .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ في قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أسألُكَ الشوقَ إلىٰ لقائِكَ »[1] ، قالَ : كانَ الشوقُ مئةَ جزءٍ ، تسعةٌ وتسعونَ لهُ ، وجزءٌ متفرِّقٌ في الناسِ ، فأرادَ أنْ يكونَ ذٰلكَ الجزءُ أيضاً لهُ ، فغارَ أنْ يكونَ شظيَّةٌ مِنَ الشوقِ لغيرِهِ[2] .

وقيلَ : شوقُ أهلِ القربِ أتمُّ مِنْ شوقِ المحجوبينَ ، ولهٰذا قيلَ : [من الوافر]

وَأَبْـرَحُ مَـا يَكُـونُ ٱلشَّـوْقُ يَوْمـاً ... إِذَا دَنَـتِ ٱلْخِيَـامُ مِـنَ ٱلْخِيَـامِ[3]

وقيلَ : إنَّ المشتاقينَ يتحسَّونَ حلاوةَ الموتِ عندَ ورودِهِ ـ لما قدْ كُشِفَ لهُمْ من رَوْحِ الوصولِ ـ أحلىٰ مِنَ الشَّهدِ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ جعفراً يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ السريَّ يقولُ : (الشوقُ أجلُّ مقامٍ للعارفِ إذا تحقَّقَ فيهِ ، وإذا تحقَّقَ في الشوقِ . . لها عنْ كلِّ شيءٍ يشغلُهُ عمَّنْ يشتاقُ إليهِ) .

وقالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ﴾ : هٰذا تعزيةٌ للمشتاقينَ ؛ معناهُ : أنِّي أعلمُ أنَّ اشتياقَكُمْ إليَّ غالبٌ ، وأنا أجَّلْتُ للقائِكُمْ أجلاً ، وعنْ قريبٍ يكونُ وصولُكُمْ إلىٰ مَنْ تشتاقونَ إليهِ[4] .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : قلْ لشبَّانِ بني إسرائيلَ : لِمَ تشغلونَ أنفسَكُمْ بغيري وأنا مشتاقٌ إليكُمْ ؟! ما هٰذا الجفاءُ ؟!

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : لوْ يعلمُ المدبرونَ عنِّي كيفَ انتظاري لهُمْ ، ورِفقي بهِمْ ، وشوقي إلىٰ تركِ معاصيهِمْ . . لَماتوا شوقاً إليَّ ، وانقطعَتْ أوصالُهُمْ مِنْ محبَّتِي .

---

(١) تقدم قريباً (ص ٦٦٤) .

(٢) لعدم صلاحية غيره لنيل كمال الشوق . « إحكام الدلالة » (١١١/٤) .

(٣) في هامش (أ) : (بلغ) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٨) ، والآية من سورة العنكبوت : (٥) .

يا داوودُ ؛ هٰذهِ إرادتي في المدبرينَ عنّي ، فكيفَ إرادتي في المقبلينَ إليَّ ؟!(١) .

وقيلَ : مكتوبٌ في التوراةِ : شوَّقْناكُمْ فلمْ تشتاقوا ، وخوَّفْناكُمْ فلمْ تخافوا ، ونُحْنا لكُمْ فلمْ تنوحوا !(٢) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ يقولُ : « بكىٰ شعيبٌ عليهِ السلامُ حتَّىٰ عَمِيَ ، فردَّ اللهُ بصرَهُ عليهِ ، ثمَّ بكىٰ حتَّىٰ عَمِيَ ، فردَّ اللهُ بصرَهُ عليهِ ، ثمَّ بكىٰ حتَّىٰ عَمِيَ ، فأوحى اللهُ إليهِ : إنْ كانَ هٰذا البكاءُ لأجلِ الجنَّةِ . . فقدْ أبحتُها لكَ ، وإنْ كانَ لأجلِ النارِ . . فقدْ أجرتُكَ منها ، فقالَ : لا ، بلْ شوقاً إليكَ ، فأوحى اللهُ عزَّ وجلَّ إليهِ : لأجلِ ذٰلكَ أخدمتُكَ نبيِّي وكليمي عشرَ سنينَ »(٣) .

وقيلَ : مَنِ اشتاقَ إلى اللهِ . . اشتاقَ إليهِ كلُّ شيءٍ .

وفي الخبرِ : « اشتاقَتِ الجنَّةُ إلىٰ ثلاثةٍ : عليٍّ ، وعمَّارٍ ، وسلمانَ »(٤) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : قالَ بعضُ المشايخِ : أنا أدخلُ السوقَ والأشياءُ تشتاقُ إليَّ ، وأنا عنْ جميعِها حرٌّ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عمرَ الرمليَّ يقولُ : حدَّثَنا محمدُ بنُ جعفرٍ الإمامُ قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ قالَ : حدَّثَنا مرحومٌ قالَ : سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ يقولُ : (قرأتُ في التوراةِ : شوَّقْناكُمْ فلمْ تشتاقوا ، وزمَّرْنا لكُمْ فلمْ ترقصوا)(٥) .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ١٠٨) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ١١٢) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٥٨/٨) عن وهب رحمه الله تعالىٰ ، وفي (ج) : (ونوَّحناكم) بدل (ونحنا لكم) ، وسيأتي ما يشهد للمثبت .

(٣) رواه الخطيب في « تاريخه » (٣١٢/٦) من حديث سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٤) رواه الترمذي (٣٧٩٧) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٥) تقدم بنحوه قريباً .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ فَرُّخانَ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ وقدْ سُئِلَ : مِنْ أيِّ شيءٍ يكونُ بكاءُ المحبِّ إذا لقيَ المحبوبَ ؟

فقالَ : إنَّما يكونُ ذٰلكَ سروراً بهِ ، ووجداً مِنْ شدَّةِ الشوقِ إليهِ ، ولقدْ بلغَني أنَّ أخوينِ تعانقا ، فقالَ أحدُهُما : وا شوقاهُ ، وقالَ الآخرُ : وا وجداهُ ![1] .

* * *

(١) في هامش (ج) من غير تصحيح : وقيل في معناه ـ من الكامل ـ :

طفحَ السرورُ عليَّ حتَّىٰ إنَّني ... مِنْ عُظْمِ ما قدْ سرَّني أبكاني

وقال شيخ الإسلام زكريا في « إحكام الدلالة » (١١٣/٤) : (صرَّح كل منهما بما وجده من السرور بأخيه ؛ فانطفأ باللقاء ما كان يجده الأول من الشوق ، وزال به ما كان يجده الثاني من الوجد .

واعلم أن للشوق مراتب ؛ أولها استحسان ؛ وينشأ عن النظر والسماع ، ثم مودة ؛ وهي الميل ؛ وينشأ عن دوام الفكر من محاسن الحبيب ، ثم محبة ؛ وهي ائتلاف روحاني ، ثم خُلَّة ؛ وهي تمكُّن المحبة في القلب ، ثم هوىً ؛ وهو ألا يخالط المحب في المحبة تغيُّر ، ولا يداخله فيها تكدُّر ، ثم عشق ؛ وهو ألا يخلو فكر من تخيُّل المحبوب ، ثم تهيُّم ؛ وهو أن يوجد في قلبه متَّسع لغير صورته ، ثم وَلَهٌ ؛ وهو الخروج عن الحس ، فيداخله التغيُّر في صفاته ، ويعجز الأطباء عن مداواته) .

بابُ حفظِ قلوبِ المشايخِ وتركِ الخلافِ عليهم

قالَ اللهُ تعالىٰ في قصَّةِ موسىٰ معَ الخضرِ عليهما السلامُ : ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾[1] ، قالَ الإمامُ : لمَّا أرادَ صحبةَ الخضرِ . . حفظَ شرطَ الأدبِ ؛ فاستأذنَ أوّلاً في الصحبةِ ، ثمَّ شرطَ عليهِ الخضرُ ألَّا يعارضَهُ في شيءٍ ، ولا يعترضَ عليهِ في حكمٍ ، ثمَّ لمَّا خالفَهُ موسىٰ عليهِ السلامُ . . تجاوزَ عنهُ المرَّةَ الأولىٰ والثانيةَ ، فلمَّا صارَ إلى الثالثةِ ـ والثلاثُ آخرُ حدِّ القلَّةِ وأوّلُ حدِّ الكثرةِ ـ سامَهُ الفُرْقةَ فقالَ : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ ﴾[2] .

أخبرَنا أبو الحسنِ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا أبو سليمانَ القزَّازُ قالَ : حدَّثَنا يزيدُ بنُ بيانٍ قالَ : حدَّثَنا أبو الرَّحَّالِ[3] ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما أكرمَ شابٌّ شيخاً لسنِّهِ . . إلَّا قيَّضَ اللهُ لهُ مَنْ يكرمُهُ عندَ سنِّهِ »[4] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (بَدْءُ كلِّ فُرْقةٍ المخالفةُ) .

يعني بهِ : مَنْ خالفَ شيخَهُ ولمْ يبقَ علىٰ طريقتِهِ[5] ، وانقطعَ العُلْقَةُ بينَهُما وإنْ جمعَتْهما البقعةُ ؛ فمَنْ صحبَ شيخاً مِنَ الشيوخِ ثمَّ اعترضَ عليهِ بقلبِهِ . . فقدْ نقضَ عقدَ الصحبةِ ، ووجبَتْ عليهِ التوبةُ ، علىٰ أنَّ الشيوخَ قالوا : عقوقُ الأستاذينَ لا توبةَ عنها[6] .

---

(١) سورة الكهف : (٦٦) .

(٢) سورة الكهف : (٧٨) .

(٣) كذا بالحاء المهملة . انظر « تقريب التهذيب » (ص٥٠٦) ، وفي هامش (ل) : (اسمه : خالد بن محمد الأنصاري) .

(٤) ورواه الترمذي (٢٠٢٢) .

(٥) في (ي ، ل) : (من خالف شيخه . . لم يبق . . .) .

(٦) روى ابن السبكي في « طبقاته » (١٧١/٣) بسنده إلى أبي سهل الصعلوكي أنه قال : (عقوق الوالدين ◄

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : خرجتُ إلىٰ مروَ في حياةِ الأستاذِ أبي سهلٍ الصُّعْلُوكيِّ ، وكانَ لهُ قبلَ خروجي أيامَ الجمعةِ بالغَدَواتِ مجلسُ دورِ القرآنِ والختمِ ، فوجدتُهُ عندَ رجوعي قدْ رفعَ ذٰلكَ المجلسَ وعقدَ لابنِ القِعابيِّ [١] في ذٰلكَ الوقتِ مجلسَ القولِ ، فداخلَني مِنْ ذٰلكَ شيءٌ وكنتُ أقولُ في نفسي : قدِ استبدلَ مجلسَ الختمِ بمجلسِ القولِ ! [٢] .

فقالَ لي يوماً : يا أبا عبدِ الرحمٰنِ ؛ أيْشٍ يقولُ الناسُ فيَّ ؟ فقلتُ : يقولونَ : قَدْ رفعَ مجلسَ القرآنِ ، ووضعَ مجلسَ القولِ ! فقالَ : مَنْ قالَ لأستاذِهِ : لِمَ . . لا يفلحُ [٣] .

ومِنَ المعروفِ أنَّ الجنيدَ قالَ : دخلتُ على السريِّ يوماً ، فأمرَني شيئاً ، فقضَيتُ حاجتَهُ سريعاً ، فلمَّا رجعتُ إليهِ . . ناولَني رُقعةً وقالَ : هٰذا لمكانِ قضاءِ حاجتِكَ لي سريعاً [٤] ، فقرأتُ الرُّقعةَ ، فإذا فيها مكتوبٌ : سمعتُ حادياً يحدو في الباديةِ : [من الرجز]

أَبْكِي وَهَلْ تَدْرِينَ مَا يُبْكِينِي ... أَبْكِي حِذَاراً أَنْ تُفَارِقِينِي
وَتَقْطَعِي حَبْلِي وَتَهْجُرِينِي [٥]

ويُحكىٰ عنْ أبي الحسنِ الهَمَذانيِّ العلويِّ قالَ : كنتُ ليلةً عندَ جعفرِ

← يمحوها التوبة ، وعقوق الأستاذين لا يمحوها شيء) ، لا بمعنى التوبة الشرعية ، فهي مقبولة قطعاً ، بل بمعنىٰ عُدْم الانتفاع بعد الاعتراض ؛ كما قالوا :

إن القلوبَ إذا تنافرَ ودُّها ... مثلُ الزجاجةِ كسرُها لا يجبرُ

(١) في (ج) : (الكعابي) ، وفي (ي) : (الغفاني) ، والمثبت من سائر النسخ ، نسبة إلى القِعاب ـ جمع قَعْب ؛ القدح الكبير ـ على غير القياس .

(٢) في (ز) : (قد استبدل مجلس الختمات بمجلس النغمات) .

(٣) وفي (ج ، هـ ، ي) زيادة : (أبداً) ، ولعل أبا سهل إنما عدل عن مجلس ختم القرآن لما نُقل عن الإمام مالك بن أنس من أنه مكروه . « إحكام الدلالة » (٤/١٢٠) .

(٤) يعني : حاجتي . « إحكام الدلالة » (٤/١٢٠) ، وفي (ي) وحدها : (لمكان قضائك لحاجتي سريعاً) .

(٥) ورواه السراج في « اللمع » (ص ٣٠٧) ، وهو من رجز جميل بثينة كما في « ديوانه » (ص ١٣٢) .

الخُلْديّ ، وكنتُ أمرتُ في بيتي أنْ يُعلَّقَ طيرٌ في التنُّورِ ، وكانَ قلبي معَهُ ، فقالَ لي جعفرٌ : أقمْ عندَنا الليلةَ ، فتعلَّلتُ بشيءٍ ، ورجعتُ إلىٰ منزلي ، فأُخرِجَ الطيرُ مِنَ التنُّورِ ، ووُضِعَ بينَ يديَّ ، فدخلَ كلبٌ مِنَ البابِ وحملَ الطيرَ عندَ تغافلِ الحاضرينَ ، فأُتِيَ بالجُوذابِ الذي تحتَهُ[١] ، فتعلَّقَ بهِ ذيلُ الخادمةِ فانصبَّ .

فلمَّا أصبحتُ . . دخلتُ علىٰ جعفرٍ ، فحينَ وقعَ بصرُهُ عليَّ ... قالَ : مَنْ لمْ يحفظْ قلوبَ المشايخِ . . سُلِّطَ عليهِ كلبٌ يؤذيهِ[٢] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الطُّوسيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الدِّينَوَريَّ يقولُ : سمعتُ الحسنَ الدامَغَانيَّ يقولُ : سمعتُ عمِّيَ البِسطاميَّ يحكي عنْ أبيهِ : أنَّ شقيقاً البَلْخيَّ وأبا ترابٍ النَّخْشبيَّ قدِما علىٰ أبي يزيدَ ، فقُدِّمَتِ السُّفرةُ وشابٌّ يخدمُ أبا يزيدَ ، فقالا لهُ : كُلْ معَنا يا فتىٰ ، فقالَ : أنا صائمٌ ، فقالَ أبو ترابٍ : كُلْ ولكَ أجرُ صومِ شهرٍ ، فأبىٰ ، فقالَ شَقيقٌ : كُلْ ولكَ أجرُ صومِ سنةٍ ، فأبىٰ ، فقالَ أبو يزيدَ : دعوا مَنْ سقطَ مِنْ عينِ اللهِ ، فأخذَ ذٰلكَ الشابُّ في السرقةِ بعدَ سنةٍ ، وقُطعَتْ يدُهُ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : وصفَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ رجلاً بالولايةِ ، خبَّازاً بالبصرةِ ، فسمعَ رجلٌ مِنْ أصحابِ سهلٍ ذٰلكَ ، فاشتاقَ إليهِ ، فخرجَ إلى البصرةِ ، فأتىٰ حانوتَ الخبَّازِ ، فرآهُ يخبزُ وقدْ تنقَّبَ لمحاسنِهِ علىٰ عادةِ الخبَّازينَ ، فقالَ في نفسِهِ : لوْ كانَ هـٰذا ولياً . . لمْ يحترقْ شَعَرُهُ بغيرِ نقابٍ ، ثمَّ إنَّهُ سلَّمَ عليهِ وسألَهُ شيئاً ، فقالَ الرجلُ : إنَّكَ استصغرتَني ، فلا تنتفعُ بكلامي ، وأبىٰ أنْ يكلِّمَهُ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ قالَ : سمعَ عبدُ اللهِ الرازيُّ

---

(١) الجوذاب : طعام يتخذ من لحم وأرز وسكر ، ولعله أراد أيضاً ما سال عليه من عرق الشواء .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٣٠٥/٥٤) .

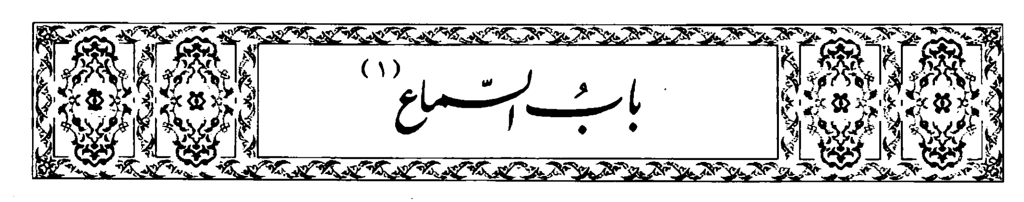
أبا عثمانَ الحِيريَّ يصفُ محمدَ بنَ الفضلِ البَلْخيَّ ويمدحُهُ ، فاشتاقَ إليهِ ، فخرجَ إلىٰ زيارتِهِ ، فلمْ يقعْ بقلبِهِ مِنْ محمدِ بنِ الفضلِ ما اعتقدَ فِيهِ ، فرجعَ إلىٰ أبي عثمانَ فسألَهُ ، فقالَ : كيفَ وجدتَهُ ؟ فقالَ : لمْ أجدْهُ كما ظننتُ ، فقالَ : لأنَّكَ استصغرتَهُ ، وما استصغرَ أحدٌ أحداً إلَّا حُرِمَ فائدتَهُ ، ارجعْ إليهِ بالحُرْمةِ ، فرجعَ إليهِ عبدُ اللهِ ، فانتفعَ بزيارتِهِ .

ومِنَ المشهورِ أنَّ عمرَو بنَ عثمانَ المكيَّ رأى الحسينَ بنَ منصورٍ يكتبُ شيئاً ، فقالَ : ما هٰذا ؟ فقالَ : هوَ ذا أعارضُ القرآنَ ، فدعا عليهِ وهجرَهُ ، قالَ الشيوخُ : إنَّ ما حلَّ بهِ بعدَ طولِ المدَّةِ كانَ لدعاءِ ذٰلكَ الشيخِ عليهِ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : لمَّا نفىٰ أهلُ بلخَ محمدَ بنَ الفضلِ مِنَ البلدِ . . دعا عليهِمْ وقالَ : اللهمَّ ؛ امنعْهُمُ الصدقَ ، فلمْ يخرجْ مِنْ بلخَ بعدَهُ صدِّيقٌ .

سمعتُ أحمدَ بنَ يحيى الأَبِيوَرْديَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ رضيَ عنهُ شيخُهُ . . لا يُكافأُ في حالِ حياتِهِ ؛ لئلا يزولَ عنْ قلبِهِ تعظيمُ ذٰلكَ الشيخِ ؛ فإذا ماتَ الشيخُ . . أظهرَ اللهُ عليهِ ما هوَ جزاءُ رضاهُ ، ومَنْ تغيَّرَ عليهِ قلبُ شيخِهِ . . لا يُكافأُ في حالِ حياةِ ذٰلكَ الشيخِ ؛ لئلا يرقَّ لهُ ؛ فإنَّهُمْ مجبولونَ على الكرمِ ، فإذا ماتَ ذٰلكَ الشيخُ . . فحينئذٍ يجدُ المكافأةَ بعدَهُ) .

* * *



باب السماع[1]

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾[2] .

قالَ الأستاذُ : اللامُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ٱلْقَوْلَ ﴾ تقتضي التعميمَ والاستغراقَ ، والدليلُ عليهِ : أنَّه مدحَهُمْ باتباعِ الأحسنِ .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[3] ، جاءَ في التفسيرِ أنَّهُ السماعُ[4] .

اعلمْ : أنَّ سماعَ الأشعارِ بالألحانِ الطيّبةِ والنَّغْمِ[5] المستلذَّةِ إذا لمْ يعتقدِ المستمعُ محظوراً ، ولمْ يسمعْ علىٰ مذمومٍ في الشرعِ ، ولمْ ينجرَّ في زمامِ هواهُ ، ولمْ ينخرطْ في سلكِ لهوِهِ . . مباحٌ في الجملةِ .

ولا خلافَ أنَّ الأشعارَ أُنشدَتْ بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[6] ، وأنَّهُ سمعَها ولمْ ينكرْ عليهِمْ في إنشادِها[7] ، فإذا جازَ سماعُها بغيرِ الألحانِ الطيّبةِ . . فلا يتغيَّرُ الحكمُ بأنْ يسمعَ بالألحانِ ، هٰذا ظاهرٌ مِنَ الأمرِ .

ثمَّ ما يوجبُ للمستمعِ توفُّرَ الرغبةِ علىٰ الطاعاتِ ، وتذكُّرَ ما أعدَّ اللهُ تعالىٰ لعبادِهِ المتقينَ مِنَ الدرجاتِ ، ويحملُهُ علىٰ التحرُّزِ مِنَ الزلَّاتِ ،

---

(١) وقعت العنونة في (ج ، ل) : (باب معرفة أحكام السماع) .

(٢) سورة الزمر : (١٧ ـ ١٨) .

(٣) سورة الروم : (١٥) .

(٤) كما روي عن يحيى بن أبي كثير مقطوعاً ومرفوعاً ، والأوزاعي وغيرهما . انظر « الدر المنثور » (٤٨٦/٦) .

(٥) النغم ـ بسكون الغين وفتحها ـ : جمع نغْمة ، أو هي اسم جمع مثل فَلَك .

(٦) كأخبار « الصحيحين » في سماع شعر سيدنا حسان رضي الله عنه ، وسؤاله صلى الله عليه وسلم عن شعر أمية بن أبي الصلت ووصفه أنه كاد أن يسلم ، وشعر لبيد وغيره الكثير .

(٧) كأخبار « الصحيحين » أيضاً في سماعه عليه السلام حُداء أنجشة ، والجواري من بني النجار ، والجاريتين يوم العيد ، وغيرها كما سيأتي قريباً .

ويــؤدِّي إلىٰ قلبِهِ في الحالِ صفاءَ الوارداتِ . . مســتحبٌّ في الدينِ ، ومختارٌ في الشرعِ .

وقدْ جرىٰ علىٰ لفظِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما هوَ قريبٌ مِنَ الشعرِ وإنْ لمْ يقصدْ أنْ يكونَ شعراً(١) .

أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الأهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا الحارثُ ابنُ أبي أسامةَ قالَ : حدَّثَنا أبو النضرِ قالَ : حدَّثَنا شعبةُ ، عنْ حميدٍ قالَ : سمعتُ أنساً رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : كانَتِ الأنصارُ يحفرونَ الخندقَ ، فجعلوا يقولونَ : [من الرجز]

نَحْــنُ ٱلَّذِيــنَ بَايَعُــوا مُحَمَّــدَا   عَلَــى ٱلْجِهَــادِ مَــا بَقِينَــا أَبَــدَا

فأجابَهُمْ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

« اَللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ ٱلآخِرَهْ ، فَأَكْرِمِ ٱلْأَنْصَارَ وَٱلْمُهَاجِرَهْ »(٢) .

وليسَ هٰذا اللفظُ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ وزنِ شعرٍ ، لٰكنَّهُ قريبٌ منهُ .

وقدْ سمعَ السلفُ والأكابرُ الأبياتَ بالألحانِ ، فممَّنْ قالَ بإباحتِهِ مِنَ السلفِ : مالكُ بنُ أنسٍ(٣) ، وأهلُ الحجازِ كلُّهُمْ يبيحونَ الغناءَ(٤) ، وأمَّا الحُداءُ . . فإجماعٌ منهُمْ علىٰ إجازتِهِ .

وقدْ وردَتِ الأخبارُ واستفاضَتِ الآثارُ في ذٰلكَ .

ورُوِيَ عنِ ابنِ جُريجٍ أنَّهُ كانَ يرخِّصُ في السماعِ ، فقيلَ لهُ : إذا أُتِيَ بكَ يومَ القيامةِ ويُؤتىٰ بحسناتِكَ وسيئاتِكَ ؛ ففي أيِّ الجنبتينِ سماعُكَ ؟ فقالَ :

---

(١) هٰذا خلاصة خلافٍ طويلٍ في أنه : هل جرى الشعر علىٰ لسانه الطاهر عليه الصلاة والسلام ؟

(٢) ورواه البخاري (٢٩٦١) واللفظ له ، ومسلم (١٨٠٥) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٧) ، وفي (ب ، ج) : (فمن قال) بدل (فممن قال) .

(٤) انظر « إتحاف السادة المتقين » (٤٥٨/٦) وما بعدها في أخبار سماع الحجازيين وغيرهم ، وممن جمع أحكام السماع ـ وهو عالم مالكي ـ الإمام الأدفوي في مؤلَّف له سمَّاه بـ « الإمتاع بأحكام السماع » ، وانظر « قوت القلوب » (٦٢/٢) .

لا في الحسناتِ ولا في السيئاتِ ؛ يعني : أنَّهُ مِنَ المباحاتِ (١) .

وأمـا الشـافعيُّ رحمَـهُ اللهُ . . فإنَّـهُ لا يحرِّمُـهُ ، ويجعلُـهُ فـي العوامِّ مكروهـاً ، حتَّـىٰ لوِ احتـرفَ بالغناءِ أوِ اتَّصـفَ على الدوامِ بسـماعِهِ علىٰ وجهِ التلهِّي . . تُرَدُّ بهِ الشـهادةُ ، ويجعلُهُ ممَّا يسـقطُ المـروءةَ ، ولا يلحقُهُ بالمحرَّماتِ (٢) .

وليسَ كلامُنا في هٰذا النوعِ مِنَ السماعِ ؛ فإنَّ هٰذهِ الطائفةَ جلَّتْ رتبتُهُمْ عنْ أنْ يستمعوا بلهوٍ ، أوْ يقعدوا للسماعِ بسهوٍ ، أوْ كانوا بقلوبِهِمْ مفكِّرينَ في مضمونِ لغوٍ ، أوْ يسمعوا علىٰ صفةِ غيرِ وكُفوٍ (٣) .

وقدْ رُوِيَ عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ آثارٌ في إباحةِ السماعِ ، وكذٰلكَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكذٰلكَ عنْ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ في الحُداءِ وغيرِهِ (٤) .

وأُنشدَ بينَ يدي النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأشعارُ فلمْ ينهَ عنها ، ورُوِيَ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ استنشدَ الأشعارَ (٥) .

ومِنَ المشهورِ الظاهرِ أنَّهُ دخلَ بيتَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها وفيهِ جاريتانِ تغنيانِ ، فلمْ ينهَهُما صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

أخبرَنا الشـيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : أخبرَنا محمدُ بنُ جعفرِ بنِ

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٨) .

(٢) كما نقل عنه ذٰلك أبو منصور البغدادي أن مذهبه إباحة السماع بالقول والألحان . انظر « الإتحاف » (٥١٢/٦) .

(٣) كذا في جميع النسخ ، والكفو : النظير والمكافئ ، بتسهيل الهمزة ولم يُقرأ بها ، وفي (ي) مصححاً بحذف الواو (غير كفء) ، وفي (أ ، ب ، ج ، ي) : (يستمعون) بدل (يسمعوا) .

(٤) انظر « السماع » لابن القيسراني (ص ٣٧) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٤٥٩/٦) .

(٥) كما تقدم قريباً عن « الصحيحين » بشأن الإنشاد ، وأما بشأن الاستنشاد . . فقد روىٰ مسلم (٢٢٥٥) من حديث سيدنا الشَّريد بن سويد رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له يوماً : « هل معك من شعر أمية بن أبي صلت شيء ؟ » قال : قلت : نعم ، قال : « هيه » . . . حتىٰ أنشدته مئة بيت ، وفي رواية عند البخاري في « الأدب المفرد » (٨٦٩) : « مئة قافية » .

محمدِ بنِ مطرٍ قالَ : حدَّثَنا الحبابُ بنُ محمدٍ التُّسْتَرِيُّ قالَ : أخبرَنا أبو الأشعثِ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ بكرٍ البُرْسانيُّ قالَ : حدَّثَنا شعبةُ ، عنْ هشامِ بنِ عروةَ ، عنْ أبيهِ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ دخلَ عليها وعندَها قينتانِ تغنيانِ بما تقاذفَتْ بهِ الأنصارُ يومَ بُعاثٍ ، فقالَ أبو بكرٍ : مزمارُ الشيطانِ ! ـ مرتينِ ـ فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « دعْهُما يا أبا بكرٍ ؛ فإنَّ لكلِّ قومٍ عيداً ، وعيدُنا هـٰذا اليومُ »(١) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا عثمانُ بنُ عمرَ الضبيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو كاملٍ قالَ : حدَّثَنا أبو عَوانةَ ، عنِ الأجلحِ ، عنْ أبي الزبيرِ ، عنْ جابرٍ ، عنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : أنَّها أنكحَتْ ذاتَ قرابتِها مِنَ الأنصارِ ، فجاءَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « أهديتُمُ الفتاةَ ؟ » فقالَتْ : نعمْ ، قالَ : « فأرسلْتِ مَنْ يغنِّي ؟ » قالَتْ : لا ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ الأنصارَ فيهِمْ غزلٌ ، فلوْ أرسلْتُمْ مَنْ يقولُ : [من الهزج]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ »(٢)

أخبرَنا الأستاذُ الإمامُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ محمودِ ابنِ خُرَّزاذَ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ الحارثِ الأَهْوازيُّ قالَ : حدَّثَنا سلمةُ بنُ سعيدٍ ، عنْ صدقةَ بنِ أبي عمرانَ قالَ : حدَّثَنا علقمةُ بنُ مَرْثدٍ ، عنْ زاذانَ ، عنِ البراءِ بنِ عازبٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « حسِّنوا القرآنَ بأصواتِكُمْ ؛ فإنَّ الصوتَ الحسنَ يزيدُ القرآنَ حُسْناً »(٣) .

دلَّ هـٰذا الخبرُ علىٰ فضيلةِ الصوتِ الحسنِ .

---

(١) رواه البخاري (٩٨٨ ، ٣٩٣١) ، ومسلم (٨٩٢) ، ويوم بُعاث : كان بين الأوس والخزرج بين المبعث والهجرة ؛ وهو اسم حصن لهم ، وغلبت فيه الأوس .

(٢) ورواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٥٥٤٠) ، ورواه ابن ماجه (١٩٠٠) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر رواياته في « إتحاف السادة المتقين » (٤٩٣/٦) .

(٣) ورواه الدارمي في « السنن » (٣٥٤٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٥٧٥/١) ، والبيهقي في « الشعب » (١٩٥٥) ، ولا يخفىٰ ما للصوت الحسن من زيادة المنفعة ، والتأثير في قلب السامع .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا عثمانُ بنُ عمرَ الضبيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو الربيعِ قالَ : حدَّثَنا عبدُ السلامِ بنُ هاشمٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محرزٍ ، عنْ قتادةَ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لكلِّ شيءٍ حِلْيةٌ ، وحِلْيةُ القرآنِ الصوتُ الحسنُ »[1] .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ يونسَ الكُدَيميُّ قالَ : حدَّثَنا الضحَّاكُ بنُ مَخْلدٍ أبو عاصمٍ قالَ : حدَّثَنا شَبيبُ بنُ بشرِ بنِ البَجَليِّ ، عنْ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « صوتانِ ملعونانِ : صوتُ ويلٍ عندَ مصيبةٍ ، وصوتُ مزمارٍ عندَ نعمةٍ »[2] .

مفهومُ الخطابِ يقتضي إباحةَ غيرِ هٰذا في غيرِ هٰذهِ الأحوالِ ، وإلَّا . . بطلَ التخصيصُ .

والأخبارُ في هٰذا البابِ تكثرُ ، والزيادةُ علىٰ هٰذا القدْرِ مِنَ ذكرِ الرواياتِ يخرجُنا عنِ المقصودِ في الاختصارِ .

وقدْ رُوِيَ أنَّ رجلاً أنشدَ بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : [من المقتضب]

أَقْبَلَتْ فَلَاحَ لَهَا ... عَارِضَانِ كَٱلسَّبَجِ
أَدْبَرَتْ فَقُلْتُ لَهَا ... وَٱلْفُؤَادُ فِي وَهَجِ
هَلْ عَلَيَّ وَيْحَكُمَا ... إِنْ عَشِقْتُ مِنْ حَرَجِ

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا »[3] .

---

(١) ورواه البزار في « مسنده » (٧٢٨٠) ، والضياء في « المختارة » (٢٤٩٦) .

(٢) ورواه البزار في « مسنده » (٧٥١٣) ، والضياء في « المختارة » (٢٢٠٠) ، ورواه مرسلاً ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٦٣) عن الحسن رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٧٧٥١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤١٤/١٢) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، والمنشد عندهما هي سيرين القبطية رضي الله عنها ، وفي « اللآلئ المصنوعة » ←

وإنَّ حسنَ الصوتِ ممَّا أنعمَ اللهُ بهِ علىٰ صاحبِهِ مِنَ الناسِ ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ (١) ، قيلَ في التفسيرِ : مِنْ ذٰلكَ : الصوتُ الحسنُ (٢) .

وذمَّ اللهُ سبحانَهُ الصوتَ الفظيعَ ، فقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ (٣) .

واستلذاذُ القلوبِ واستنامتُها (٤) إلى الأصواتِ الطيِّبةِ واسترواحُها إليها . . ممَّا لا يمكنُ جحودُهُ ؛ فإنَّ الطفلَ يسكنُ إلى الصوتِ الطيِّبِ ، والجملَ يقاسي تعبَ السيرِ ومشقَّةَ الحُمولةِ فيهونُ عليهِ بالحُداءِ ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (٥) .

وحكىٰ إسماعيلُ ابنُ عُليَّةَ قالَ : كنتُ أمشي معَ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ وقتَ الهاجرةِ ، فجُزْنا بموضعٍ يقولُ فيهِ أحدٌ شيئاً ، فقالَ : مِلْ بنا إليهِ ، ثمَّ قالَ : أيطربُكَ هٰذا ؟ فقلتُ : لا ، فقالَ : ما لكَ حسٌّ ؟! (٦) .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ كأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغنَّىٰ بالقرآنِ » (٧) .

أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عبدانَ الأَهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ قالَ : أخبرَنا ابنُ ملحانَ قالَ : أخبرَنا يحيى ابنُ بُكَيرٍ قالَ : حدَّثَنا الليثُ ، عنْ عُقَيلٍ ، عنِ ابنِ شهابٍ أنَّهُ قالَ : أخبرَني أبو سلمةَ ، عنْ أبي هريرةَ قالَ :

← (١٧٥/٢) أنه رواه أيضاً الدارقطني بنحوه ، وردَّ ابن عرَّاق في « تنزيه الشريعة » (٢٢٣/٢) على ابن الجوزي حكمَهُ على الحديث بالوضع ، والسبج : الخرز الأسود ، فارسي معرَّب ، وقوله : (ويحكما) خطاب للعارضين ، أو علىٰ عادتهم في تثنية المخاطب في الشعر ونحوه ، ولم تذكر الروايات الشعر .

(١) سورة فاطر : (١) .

(٢) روي هٰذا عن ابن عباس والزهري . انظر « الدر المنثور » (٤/٧) ، وفي (ج) : (هو الصوت الحسن) .

(٣) سورة لقمان : (١٩) .

(٤) يقال : استنام إليه ؛ إذا سكن سكون النائم ؛ أي أنسَ به واطمأنَّ إليه ، وفي (أ) : (واستنابتها) بدل (واستنامتُها) .

(٥) سورة الغاشية : (١٧) .

(٦) رواه ابن القيسراني في « السماع » (ص ٤٦) .

(٧) سيأتي ، قوله : (كأَذَنه) هو مصدر أَذِنَ بمعنى استمع .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لمْ يأذنِ اللهُ لشيءٍ ما أذِنَ لنبيٍّ يتغنَّىٰ بالقرآنِ »[١] .

وقيلَ : إنَّ داوودَ عليهِ السلامُ كانَ يستمعُ لقراءتِهِ الجنُّ والإنسُ والوحشُ والطيرُ إذا قرأَ الزبورَ ، وكانَ يُحمَلُ مِنْ مجلسِهِ أربعُ مئةِ جنازةٍ ممَّنْ قدْ ماتَ ممَّنْ سمعوا قراءَتَهُ[٢] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لأبي موسى الأشعريِّ : « لقدْ أُعطيَ مزماراً مِنْ مزاميرِ آلِ داوودَ »[٣] .

وقالَ معاذٌ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (لوْ علمتُ أنَّكَ تسمعُ . . لحبَّرْتُهُ لكَ تحبيراً)[٤] .

أخبرَنا أبو حاتِمٍ السِّجِسْتانيُّ قالَ : أخبرَنا عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ السرَّاجُ قالَ : حكىٰ أبو بكرٍ محمدُ بنُ داوودَ الدِّينَوَريُّ الدُّقِّيُّ قالَ : كنتُ في الباديةِ ، فوافَيتُ قبيلةً مِنْ قبائلِ العربِ ، وأضافَني رجلٌ منهُمْ ، فرأيتُ غلاماً أسودَ مقيَّداً هناكَ ، ورأيتُ جِمالاً ماتَتْ بفِناءِ البيتِ ، فقالَ ليَ الغلامُ : أنتَ الليلةَ ضيفٌ ، وأنتَ علىٰ مولاي كريمٌ ، فتشفَّعْ لي ؛ فإنَّهُ لا يردُّكَ .

فقلتُ لصاحبِ البيتِ : لا آكلُ طعامَكَ حتَّىٰ تخلِّيَ هٰذا العبدَ ، فقالَ : هٰذا الغلامُ قدْ أفقرَني وأتلفَ مالي .

فقلتُ : فما فعلَ ؟ فقالَ : لهُ صوتٌ طيِّبٌ ، وكنتُ أعيشُ مِنْ ظهرِ هٰذهِ الجمالِ ، فحمَّلَها أحمالاً ثقيلةً ، وحدا لها حتَّىٰ قطعَتْ مسيرةَ ثلاثةِ أيامٍ في يومٍ ، فلمَّا حطَّ عنها . . ماتَتْ كلُّها ، ولٰكنْ قدْ وهبتُهُ لكَ ، وحلَّ عنهُ القيدَ .

---

(١) ورواه البخاري (٥٠٢٣) ، ومسلم (٧٩٢) .

(٢) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩٩/١٧) عن عبد الله بن عامر ، وهو في « اللمع » (ص ٣٣٨) .

(٣) رواه البخاري (٥٠٤٨) ، ومسلم (٧٩٣) .

(٤) تبع المصنف رحمه الله تعالى الإمامَ السرَّاج في « اللمع » (ص ٣٣٩) في نسبته لمعاذ رضي الله عنه ، وهو تمام الحديث السابق من قول أبي موسىٰ رضي الله عنه كما رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٠٠٤) ، والتحبير : التحسين .

فلمَّا أصبحْنا . . أحببتُ أنْ أسمعَ صوتَهُ ، فسألتُهُ ذٰلكَ ، فأمرَ الغلامَ أنْ يحدوَ علىٰ جملٍ كانَ علىٰ بئرٍ هناكَ يُستقىٰ عليهِ ، فحدا ، فهامَ الجملُ علىٰ وجهِهِ وقطعَ حبالَهُ ، ولَمْ أظنَّ أنِّي سمعتُ صوتاً أطيبَ منهُ ، ووقعتُ لوجهي ، حتَّىٰ أشارَ إليهِ بالسكوتِ[1] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ العزيزِ يقولُ : سمعتُ أبا عمرَ الأَنْماطيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ وسُئِلَ : ما بالُ الإنسانِ يكونُ هادئاً ، فإذا سمعَ السماعَ . . اضطربَ ؟ فقالَ : إنَّ اللهَ سبحانَهُ لمَّا خاطبَ الذرَّ في الميثاقِ الأوَّلِ بقولِهِ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[2] . . استفرغَتْ عذوبةُ سماعِ الكلامِ الأرواحَ ، فإذا سمعوا السماعَ . . حرَّكَهُمْ ذكرُ ذٰلكَ[3] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (السماعُ حرامٌ على العوامِّ ؛ لبقاءِ نفوسِهِمْ ، مباحٌ للزهَّادِ ؛ لحصولِ مجاهداتِهِمْ ، مستحبٌّ لأصحابِنا ؛ لحياةِ قلوبِهِمْ) .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ الوَجيهيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : كانَ الحارثُ بنُ أسدٍ المحاسبيُّ يقولُ : (ثلاثٌ إذا وُجدنَ . . مُتِّعَ بهنَّ ، وقدْ فقدْناها : حسنُ الوجهِ معَ الصيانةِ ، وحسنُ الصوتِ معَ الديانةِ ، وحسنُ الإخاءِ معَ الوفاءِ)[4] .

وسُئِلَ ذو النونِ المصريُّ عنِ الصوتِ الحسنِ ، فقالَ : مخاطباتٌ وإشاراتٌ أودعَها اللهُ كلَّ طيِّبٍ وطيِّبةٍ[5] .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٠) .
(٢) سورة الأعراف : (١٧٢) .
(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٢١) .
(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٠) ، ورواه الخطيب في « تاريخه » (٢٠٩/٨) ، وتقدم (ص ٥٢٩) .
(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٩) ، وفي (ج) : (قلب كل طيب وطيبة) .

وسُئِلَ مرَّةً أخرىٰ عنِ السماعِ ، فقالَ : واردُ حقٍّ يزعجُ القلوبَ إلى الحقِّ ؛ فمَنْ أصغىٰ إليهِ بحقٍّ .. تحقَّقَ ، ومَنْ أصغىٰ إليهِ بنفسٍ .. تزندقَ (١) .

وحكىٰ جعفرُ ابنُ نُصيرٍ عنِ الجنيدِ أنَّهُ قالَ : (تنزلُ الرحمةُ على الفقراءِ في ثلاثةِ مواطنَ : عندَ السماعِ ؛ فإنَّهُمْ لا يسمعونَ إلَّا عنْ حقٍّ ، ولا يقومونَ إلَّا عنْ وجدٍ ، وعندَ أكلِ الطعامِ ؛ فإنَّهُمْ لا يأكلونَ إلَّا عنْ فاقةٍ ، وعندَ مجاراةِ العلمِ ؛ فإنَّهُمْ لا يذكرونَ إلَّا صفةَ الأولياءِ) (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ ابنَ ممشاذَ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (السماعُ فتنةٌ لمَنْ طلبَهُ (٣) ، ترويحٌ لمَنْ صادفَهُ) .

وحُكِيَ عنِ الجنيدِ أنَّهُ قالَ : (السماعُ يحتاجُ إلىٰ ثلاثةِ أشياءَ : الزمانُ ، والمكانُ ، والإخوانُ) (٤) .

وسُئِلَ الشِّبليُّ عنِ السماعِ ، فقالَ : ظاهرُهُ فتنةٌ ، وباطنُهُ عِبرةٌ ؛ فمَنْ عرفَ الإشارةَ .. حلَّ لهُ استماعُ العِبرةِ ، وإلَّا .. فقدِ استدعى الفتنةَ وتعرَّضَ للبليَّةِ (٥) .

وقيلَ : لا يصلحُ السماعُ إلَّا لمَنْ كانَتْ لهُ نفسٌ ميتةٌ وقلبٌ حيٌّ ، فنفسُهُ ذُبِحَتْ بسيوفِ المجاهدةِ ، وقلبُهُ حيٌّ بنورِ الموافقةِ .

وسُئِلَ أبو يعقوبَ النَّهْرَجُوريُّ عنِ السماعِ ، فقالَ : حالٌ تبدي الرجوعَ إلى الأسرارِ مِنْ حيثُ الاحتراقُ (٦) .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٢) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٣) .

(٣) لأن من طلبه تكلَّف له ، ومن تكلَّف له استجلبه بظاهره ، ومن استجلبه قارنه الرياء .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٢) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ٥١٨) .

(٥) بعضه في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٧) دون نسبة .

(٦) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٢) .

وقيلَ : السماعُ : لطفُ غذاءِ الأرواحِ لأهلِ المعرفةِ (1) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (السماعُ طبعٌ إلَّا عنْ شرعٍ ، وخُرْقٌ إلَّا عنْ حقٍّ ، وفتنةٌ إلَّا عنْ عِبرةٍ) .

ويُقالُ : السماعُ علىٰ قسمينِ :

سماعٌ بشرطِ العلمِ والصحوِ : فمِنْ شرطِ صاحبِهِ : معرفةُ الأسامي والصفاتِ ، وإلَّا . . وقعَ في الكفرِ المحضِ .

وسماعٌ بشرطِ الحالِ : فمِنْ شرطِ صاحبِهِ : الفناءُ عنْ أحوالِ البشريَّةِ ، والتنقِّي مِنْ آثارِ الحظوظِ بظهورِ أحكامِ الحقيقةِ .

وحُكِيَ عنْ أحمدَ بنِ أبي الحَواريِّ أنَّهُ قالَ : سألتُ أبا سليمانَ عنِ السماعِ ، فقالَ : مِنِ اثنينِ أحبُّ إليَّ مِنَ الواحدِ (2) .

وسُئِلَ أبو الحسينِ النُّوريُّ عنِ الصوفيِّ ، فقالَ : مَنْ سمعَ السماعَ ، وآثرَ الأسبابَ (3) .

وسُئِلَ أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ عنِ السماعِ يوماً ، فقالَ : ليتَنا تخلَّصْنا منهُ رأساً برأسٍ (4) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (مَنِ ادعى السماعَ ولمْ يسمعْ صوتَ الطيورِ ، وصريرَ البابِ ، وتصفيقَ الرياحِ . . فهوَ مفترٍ مدَّعٍ) .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ الطُّوسيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الطيِّبِ أحمدَ بنَ مقاتلٍ العكِّيَّ يقولُ : قالَ جعفرٌ : كانَ ابنُ زيزىٰ مِنْ أصحابِ الجنيدِ شيخاً فاضلاً ، فربَّما كانَ يحضرُ موضعَ

---

(1) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٢) ، وفي (أ ، ي) : (لطف عند) بدل (لطف غذاء) .

(2) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٢) ، و« تاريخ دمشق » (٢٥١/٧١) .

(3) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٣) ، وتقدم (ص ٥٩٠) .

(4) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٣) ، و« تهذيب الأسرار » (ص ٥٢٠) .

ســماعٍ ، فإنِ استطابَهُ . . فرشَ إزارَهُ وجلسَ وقالَ : الصوفيُّ معَ قلبِهِ ، وإنْ لمْ يستطِبْ . . قالَ : السماعُ لأربابِ القلوبِ ، ومرَّ وأخذَ نعلَهُ (١) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكرٍ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عبدِ المجيدِ الصوفيَّ يقولُ : سُئِلَ رُويمٌ عنْ وجودِ الصوفيَّةِ عندَ السماعِ ، فقالَ : يشهدونَ المعانيَ التي تعزبُ عنْ غيرِهِمْ ، فتشيرُ إليهِمْ : إليَّ إليَّ ، فيتنعَّمونَ بذٰلكَ مِنَ الفرحِ ، ثمَّ يقعُ الحجابُ ، فيعودُ ذٰلكَ الفرحُ بكاءً ؛ فمنهُمْ مَنْ يخرقُ ثيابَهُ ، ومنهُمْ مَنْ يصيحُ ، ومنهُمْ مَنْ يبكي ؛ كلُّ إنسانٍ علىٰ قدْرِهِ (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ التميميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ الحُصْريَّ يقولُ في بعضِ كلامِهِ : (أيْشٍ أعملُ بسماعٍ ينقطعُ إذا انقطعَ مَنْ يُسمعُ منهُ ؟! ينبغي أنْ يكونَ سماعُكَ سماعاً متصلاً غيرَ منقطعٍ) (٣) .

قالَ : وقالَ الحُصْريُّ : (ينبغي أنْ يكونَ ظمأٌ دائمٌ وشربٌ دائمٌ ، فكلَّما ازدادَ شربُهُ . . ازدادَ ظمؤُهُ) (٤) .

وجاءَ عنْ مجاهدٍ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ (٥) : أنَّهُ السماعُ مِنَ الحورِ العينِ بأصواتٍ شهيَّةٍ : نحنُ الخالداتُ فلا نموتُ أبداً ، نحنُ الناعماتُ فلا نبأسُ أبداً (٦) .

وقيلَ : السماعُ نداءٌ ، والوجدُ قصدٌ .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٣) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٩) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٣) ، والحصري : شيخ الإمام السراج الطوسي .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٣) ، والمعنىٰ : ينبغي أن يكون للسامع ظمأ دائم . « إحكام الدلالة » (١٣٤/٤) .

(٥) سورة الروم : (١٥) .

(٦) رواه مرفوعاً الترمذي (٢٥٦٤) ، وتقدم (ص ٤٥٢) بطول ، ومعنىٰ (فلا نبأس) : قال العلامة القاري في « مرقاة المفاتيح » (٣١٦/١٠) : (أي : فلا نصير فقيرات ومحتاجات إلىٰ غير المولىٰ) ، ووقع في عامة النسخ غير (ي) : (نبؤس) بدل (نبأس) ، وتقدم تفسير الآية قريباً (ص ٦٧٥) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : (**قلوبُ أهلِ الحقِّ قلوبٌ حاضرةٌ ، وأسماعُهُمْ أسماعٌ مفتوحةٌ**)(١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ الأستاذَ أبا سهلٍ الصُّعْلُوكيَّ يقولُ : (**المستمعُ بينَ استتارٍ وتجلٍ ؛ فالاستتارُ يوجبُ التلهيبَ ، والتجلِّي يورثُ الترويحَ ، والاستتارُ** تتولَّدُ منهُ حركاتُ المريدينَ ، وهوَ محلُّ الضعفِ والعجزِ ، **والتجلِّي** يتولَّدُ منهُ سكونُ الواصلينَ ، وهوَ محلُّ الاستقامةِ والتمكينِ ، **وذلكَ صفةُ الحضرةِ** ، ليسَ فيها إلَّا الذبولُ تحتَ مواردِ الهيبةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ﴾)(٢) .

وقالَ أبو عثمانَ الحِيريُّ : (**السماعُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ :**

فوجهٌ منها : للمريدينَ والمبتدئينَ ؛ يستدعونَ بذلكَ الأحوالَ الشريفةَ ، ويُخشىٰ عليهِمْ في ذلكَ الفتنةُ والمراءاةُ .

والثاني : للصادقينَ ، يطلبونَ الزيادةَ في أحوالِهِمْ ، ويستمعونَ مِنْ ذلكَ ما يوافقُ أوقاتَهُمْ .

والثالثُ : لأهلِ الاستقامةِ مِنَ العارفينَ ، فهؤلاءِ لا يختارونَ على اللهِ تعالىٰ فيما يردُ علىٰ قلوبِهِمْ مِنَ الحركةِ والسكونِ)(٣) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا الفرجِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : قالَ أبو سعيدٍ الخرَّازُ : (**مَنِ ادَّعىٰ أنَّهُ مغلوبٌ عندَ الفهمِ** ـ يعني : في السماعِ ـ **وأنَّ الحركاتِ مالكةٌ لهُ . . فعلامتُهُ** : تحسينُ المجلسِ الذي هوَ فيهِ بوجدِهِ) .

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٤٨٢) .

(٢) ورواه السُّلمي في « تفسيره » (٢٤٤/٢) ، والآية من سورة الأحقاف : (٢٩) .

(٣) رواه السرَّاج في « اللمع » (ص ٣٤٩) .

قالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ : فذكرتُ هـٰذهِ الحكايةَ لأبي عثمانَ المغربيِّ ، فقالَ : هـٰذا أدناهُ ، **وعلامتُهُ الصحيحةُ : ألَّا يبقىٰ في المجلسِ محقٌّ إلَّا أَنِسَ بهِ ، ولا يبقىٰ فيهِ مبطلٌ إلَّا استوحشَ منهُ** .

وقالَ بُندارُ بنُ الحسينِ : (**السماعُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ : منهُم مَنْ يسمعُ بالطبعِ ، ومنهُم مَنْ يسمعُ بالحالِ ، ومنهُم مَنْ يسمعُ بالحقِّ**)[1] .

فالذي يسمعُ بالطبعِ يشتركُ فيهِ الخاصُّ والعامُّ ؛ فإنَّ جبلَّةَ البشريَّةِ استلذاذُ الصوتِ الطيِّبِ .

والذي يسمعُ بالحالِ فهوَ يتأمَّلُ ما يردُ عليهِ مِنْ ذكرِ عتابٍ أوْ خطابٍ ، أوْ وصلٍ أوْ هجرٍ ، أوْ قربٍ أوْ بُعدٍ ، أوْ تأسُّفٍ علىٰ فائتٍ ، أوْ تعطُّشٍ إلىٰ آتٍ ، أوْ وفاءٍ بعهدٍ ، أوْ تصديقٍ لوعدٍ ، أوْ نقضٍ لعهدٍ ، أوْ ذكرِ قلقٍ واشتياقٍ ، أوْ خوفِ فراقٍ ، أوْ فرحِ وصالٍ ، أوْ حذرِ انفصالٍ ، وما جرىٰ مجراهُ .

وأمَّا مَنْ يسمعُ بالحقِّ . . فيسمعُ باللهِ وللهِ ، فلا يتَّصفُ بهـٰذهِ الأحوالِ التي هيَ ممزوجةٌ بالحظوظِ البشريةِ ؛ فإنَّها مُبقاةٌ معَ العللِ ، فيسمعونَ مِنْ حيثُ صفاءُ التوحيدِ بحقٍّ لا بحظٍّ .

وقيلَ : **أهلُ السماعِ علىٰ ثلاثِ طبقاتٍ** :

أبناءُ الحقائقِ ، يرجعونَ في سماعِهِمْ إلىٰ مخاطبةِ الحقِّ سبحانَهُ لهُمْ .

وضربٌ يخاطبونَ اللهَ تعالىٰ بقلوبِهِمْ بمعاني ما يسمعونَ ، فهُمْ مطالَبونَ بالصدْقِ فيما يشيرونَ بهِ إلى اللهِ تعالىٰ .

وثالثٌ ، هوَ فقيرٌ مجرَّدٌ ، قطعَ العلاقاتِ مِنَ الدنيا والآفاتِ ، يسمعونَ بطيبةِ قلوبِهِمْ ، وهـٰؤلاءِ أقربُهُمْ إلى السلامةِ[2] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٤٩) ، وشرح الكلمة الآتي مستفاد من كلام السراج .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٣٥١) ، وفي « تهذيب الأسرار » (ص ٥٢١) عن أبي حفص الدراج رحمه الله تعالىٰ .

أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ وقدْ سُئِلَ عنِ السماعِ ، فقالَ : مكاشفةُ الأسرارِ إلىٰ مشاهدةِ المحبوبِ(١) .

وقالَ الخوَّاصُ وقدْ سُئِلَ : ما بالُ الإنسانِ يتحرَّكُ عندَ سماعِ القولِ ، ولا يتحرَّكُ عندَ سماعِ القرآنِ ؟(٢) فقالَ : لأنَّ سماعَ القرآنِ صدمةٌ لا يمكنُ لأحدٍ أنْ يتحرَّكَ فيهِ لشدَّةِ غلبتِهِ ، وسماعُ القولِ ترويحٌ فيتحرَّكُ فيهِ(٣) .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ ابنِ عبد الرحمـٰنِ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (إذا رأيتَ المريدَ يحبُّ السماعَ . . فاعلمْ أنَّ فيهِ بقيَّةً مِنَ البطالةِ)(٤) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ اللهِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أبا سعيدٍ الرمليَّ يقولُ : قالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (السماعُ : علمٌ استأثرَ اللهُ تعالىٰ بهِ ، لا يعلمُهُ إلَّا هوَ)(٥) .

وحكىٰ أحمدُ بنُ مقاتلٍ العَكِّيُّ قالَ : لمَّا دخلَ ذو النونِ المصريُّ بغدادَ . . اجتمعَ إليهِ الصوفيةُ ومعَهُمْ قوَّالٌ يقولُ ، فاستأذنوهُ أنْ يقولَ بينَ يديهِ شيئاً ، فأذنَ ، فابتدأَ يقولُ : [من مجزوء الوافر]

صَغِيرُ هَوَاكَ عَذَّبَنِي ... فَكَيْفَ بِهِ إِذَا ٱحْتَنَكَا
وَأَنْتَ جَمَعْتَ مِنْ قَلْبِي ... هَوىً قَدْ كَانَ مُشْتَرَكَا
أَمَا تَرْثِي لِمُكْتَئِبٍ ... إِذَا ضَحِكَ ٱلْخَلِيُّ بَكَىٰ(٦)

قالَ : فقامَ ذو النونِ وسقطَ علىٰ وجهِهِ والدمُ يقطرُ مِنْ جبينِهِ ولا يسقطُ

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٣٤) .
(٢) كذا العبارة في (ب) ، وفي (ج) : (ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ما لا يجد ذلك في سماع القرآن ؟) وبنحو هـٰذا المعنىٰ في سائر النسخ .
(٣) سيأتي قريباً ما يشهد له .
(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٢٠) .
(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٢٠) .
(٦) هي لابن الزيات كما في « ديوانه » (ص ٢٣١) ، واحتنك : اشتدَّ واستحكم ، والخليُّ : الذي لا همَّ عنده .

على الأرضِ ، ثمَّ قامَ رجلٌ مِنَ القومِ يتواجدُ ، فقالَ لهُ ذو النونِ : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (١) ، فجلسَ الرجلُ (٢) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ في هٰذهِ الحكايةِ : كانَ ذو النونِ صاحبَ إشرافٍ علىٰ ذٰلكَ الرجلِ ، حيثُ نبَّهَهُ أنَّ ذٰلكَ ليسَ مقامَهُ ، وكانَ ذٰلكَ الرجلُ صاحبَ إنصافٍ ، حيثُ قَبِلَ ذٰلكَ منهُ ، فرجعَ وقعدَ .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ التميميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ الجَلَّا يقولُ : كانَ بالمغربِ شيخانِ لهما أصحابٌ وتلامذةٌ ، يُقالُ لأحدِهِما : جَبَلَةُ ، وللثاني : زُرَيقٌ (٣) ، فزارَ زريقٌ يوماً جبلةَ في أصحابِهِ ، فقرأَ رجلٌ مِنْ أصحابِ زريقٍ شيئاً ، فصاحَ واحدٌ مِنْ أصحابِ جبلةَ وماتَ .

فلمَّا أصبحوا . . قالَ جبلةُ لزريقٍ : أينَ الذي قرأَ بالأمسِ ؟ فليقرأْ آيةً ، فقرأَ ، فصاحَ جبلةُ صيحةً فماتَ القارئُ ! فقالَ جبلةُ : واحدٌ بواحدٍ ، والبادي أظلمُ (٤) .

وسُئِلَ إبراهيمُ المارستانيُّ عنِ الحركةِ عندَ السماعِ ، فقالَ : بلغَني أنَّ موسىٰ عليهِ السلامُ قصَّ في بني إسرائيلَ ، فمزَّقَ واحدٌ منهُمْ قميصَهُ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : قلْ لهُ : مزِّقْ لي قلبَكَ ، لا تمزِّقْ ثيابَكَ (٥) .

وسألَ أبو عليٍّ المغازليُّ الشِّبليَّ فقالَ : ربَّما يطرقُ سمعي آيةٌ مِنْ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فتحدوني علىٰ تركِ الأشياءِ والإعراضِ عنِ الدنيا ، ثمَّ أرجعُ إلىٰ أحوالي وإلى الناسِ .

فقالَ الشبليُّ : ما اجتذبَكَ إليهِ . . فهوَ عطفٌ منهُ عليكَ ولطفٌ ، وما رُددتَ

---

(١) سورة الشعراء : (٢١٨) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٢٤٦ ، ٣٦٢) ، ورواه الخطيب في « تاريخه » (٣٩٣/٨) .

(٣) وقع في (ي) : (زُرَيق) ، وكلاهما جاء اسماً علماً .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٥٩) ، وجعل الشيخ زكريا (أظلم) من الظلمة ؛ بمعنىٰ أنه لم يتأثر بقراءة نفسه .

(٥) كذا في « اللمع » (ص ٢٤٦) .

إلىٰ نفسِكَ . . فهوَ شفقةٌ منهُ عليكَ ؛ لأنَّهُ لمْ يصحَّ لكَ التبرّي مِنَ الحولِ والقوَّةِ في التوجُّهِ إليهِ(١) .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ مقاتلٍ العَكّيَّ يقولُ : كنتُ معَ الشِّبليّ في مسجدٍ ليلةً في شهرِ رمضانَ وهوَ يصلي خلفَ إمامٍ لهُ وأنا بجنبهِ ، فقرأَ الإمامُ : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾(٢) ، فزعَقَ زعقةً ، قلتُ : طارَتْ روحُهُ ، وهوَ يرتعدُ ويقولُ : بمثلِ هٰذا يُخاطبُ الأحبابُ ! يردِّدُ ذٰلكَ كثيراً(٣) .

وحُكِيَ عنِ الجنيدِ أنَّهُ قالَ : دخلتُ على السريِّ يوماً ، فرأيتُ عندَهُ رجلاً مغشيّاً عليهِ ، فقلتُ : ما لهُ ؟ فقالَ : سمعَ آيةً مِنْ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فقلتُ : تُقرَأُ عليهِ ثانياً ، فقُرِئَ ، فأفاقَ ، فقالَ لي : مِنْ أينَ علمتَ هٰذا ؟! فقلتُ : إنَّ قميصَ يوسفَ ذهبَ بسببهِ عينُ يعقوبَ عليهما السلامُ ، ثمَّ بهِ عادَ بصرُهُ ، فاستحسنَ منّي ذٰلكَ(٤) .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ عُلوانَ يقولُ : كانَ شابٌّ يصحبُ الجنيدَ ، فكانَ إذا سمعَ شيئاً مِنَ الذكرِ . . يزعَقُ ، فقالَ لهُ الجنيدُ يوماً : إنْ فعلتَ ذٰلكَ مرَّةً أخرىٰ . . لمْ تصحبْني .

فكانَ إذا سمعَ شيئاً . . يتغيَّرُ ويضبطُ نفسَهُ ، حتَّىٰ كانَ يقطرُ كلُّ شعرةٍ مِنْ بدنِهِ بقطرةٍ ، فيوماً مِنَ الأيامِ صاحَ صيحةً تلفَتْ نفسُهُ(٥) .

سمعتُ أبا حاتمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : حكىٰ لي بعضُ إخواني عنْ أبي الحسينِ الدرَّاجِ قالَ : قصدتُ يوسفَ بنَ الحسينِ

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٥٤) .
(٢) سورة الإسراء : (٨٦) .
(٣) كذا في « اللمع » (ص ٣٥٥) .
(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٥٤) .
(٥) كذا في « اللمع » (ص ٣٥٨) .

الرازيَّ مِنْ بغدادَ ، فلمَّا دخلتُ الرَّيَّ . . سألتُ عنْ منزلِهِ ، فكلُّ مَنْ أسألُ عنهُ يقولُ لي : أيْشٍ تفعلُ بذٰلكَ الزنديقِ ؟! فضيَّقوا صدري ، حتَّىٰ عزمتُ على الانصرافِ .

فبتُّ تلكَ الليلةَ في مسجدٍ ، ثمَّ قلتُ : جئتُ هٰذا البلدَ ، فلا أقلَّ مِنْ زيارةٍ ، فلمْ أزلْ أسألُ عنهُ حتَّىٰ دفعتُ إلىٰ مسجدِهِ وهوَ قاعدٌ في المحرابِ وبينَ يديهِ رحلٌ عليهِ مصحفٌ يقرأُ ، وإذا هوَ شيخٌ بهيٌّ حسنُ الوجهِ واللحيةِ ، فدنَوتُ وسلَّمتُ ، فردَّ السلامَ وقالَ : مِنْ أينَ ؟ فقلتُ : مِنْ بغدادَ ، قصدتُ زيارةَ الشيخِ ، فقالَ : لوْ أنَّ في بعضِ البلدانِ قالَ لكَ إنسانٌ : أقمْ عندي حتَّىٰ أشتريَ لك داراً وجاريةً . . كانَ يمنعُكَ عنْ زيارتي ؟

فقلتُ : يا سيدي ؛ ما امتحنَني اللهُ بشيءٍ مِنْ ذٰلكَ ، ولوْ كانَ . . لا أدري كيفَ كنتُ أكونُ .

فقالَ : تحسنُ أنْ تقولَ شيئاً ؟ فقلتُ : نعمْ ، وقلتُ : [من الطويل]

رَأَيْتُـكَ تَبْنِـي دَائِبـاً فِـي قَطِيعَتِـي ... وَلَـوْ كُنْـتَ ذَا حَـزْمٍ لَهَدَّمْتَ مَـا تَبْنِي

فأطبقَ المصحفَ ، ولمْ يزلْ يبكي حتَّى [ابتلَّتْ] لحيتُهُ وثوبُهُ ، حتَّىٰ رحمتُهُ مِنْ كثرةِ بكائِهِ ، ثمَّ قالَ لي : يا بنيَّ ؛ تلومُ أهلَ الرَّيِّ علىٰ قولِهِمْ : يوسفُ بنُ الحسينِ زنديقٌ ؟! ومِنْ وقتِ الصلاةِ هوَ ذا أقرأُ القرآنَ لمْ تقطرْ مِنْ عيني قطرةٌ ، وقدْ قامَتْ عليَّ القيامةُ بهٰذا البيتِ ![1] .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الطُّوسيَّ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ الدرَّاجَ يقولُ : كنتُ أنا وابنُ الفُوَطيِّ مارَّينِ علىٰ دجلةَ بينَ البصرةِ والأُبُلَّةِ ، وإذا بقصرٍ حسنٍ لهُ منظرٌ ، وعليهِ رجلٌ وبينَ يديهِ جاريةٌ تغني وتقولُ : [من مجزوء الرمل]

فِـــي سَـــبِيلِ ٱللهِ وُدٌّ ... كَانَ مِنِّـــي لَـــكَ يُبْـــذَلْ

---

(١) ورواه السراج في « اللمع » (ص ٣٦٣) ، والبيت للوليد بن يزيد كما في « الأغاني » (٢٤٤٨/٧) .

كُلَّ يَـــــوْمٍ تَتَلَـــــوَّنْ غَيْـــرُ هَـٰذَا بِـــكَ أَجْمَـــلْ

وإذا شابٌّ تحتَ المنظرةِ بيدِهِ ركوةٌ وعليهِ مرقَّعةٌ يسمعُ ، فقالَ : يا جاريةُ ؛ بحياةِ مولاكِ ؛ أعيدي :

كُلَّ يَـــــوْمٍ تَتَلَـــــوَّنْ غَيْـــرُ هَـٰذَا بِـــكَ أَجْمَـــلْ

فقالَ الشابُّ : قولي ، فأعادَتْ ، فقالَ الفقيرُ : هـٰذا واللهِ تلوُّني معَ الحقِّ ، وشهقَ شهقةً خرجَتْ روحُهُ .

فقالَ صاحبُ القصرِ للجاريةِ : أنتِ حرَّةٌ لوجهِ اللهِ تعالىٰ ، وخرجَ أهلُ البصرةِ ، وفرغوا مِنْ دفنِهِ والصلاةِ عليهِ ، فقامَ صاحبُ القصرِ وقالَ : أليسَ تعرفوني ؟ أشهدُكُمْ أنَّ كلَّ شيءٍ لي في سبيلِ اللهِ ، وكلَّ مماليكي أحرارٌ ، ثمَّ اتَّزرَ بإزارٍ ، وارتدىٰ برداءٍ ، وتصدَّقَ بالقصرِ ، ومرَّ فلمْ يُرَ لهُ بعدَ ذٰلكَ وجهٌ ، ولا سُمِعَ لهُ أثرٌ [١] .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الطوسيَّ يقولُ : سمعتُ يحيى بنَ الرضا العلويَّ قالَ : سمعَ أبو حُلمانَ الدمشقيُّ طوَّافاً ينادي [٢] : يا سعتر بَرِّي [٣] ، فسقطَ مغشياً عليهِ ، فلمَّا أفاقَ . . سُئِلَ ، فقالَ : حسبتُهُ يقولُ : اسعَ . . ترَ بِرِّي [٤] .

وسمعَ عتبةُ الغلامُ رجلاً يقولُ :

سُـــــبْحَانَ ربِّ السَّـــــما إنَّ الْمُحِـــــبَّ لَفِـــــي عَنَـــــا

فقالَ عتبةُ : صدقتَ ، وسمعَ رجلٌ آخرُ ذٰلكَ القولَ ، فقالَ : كذبتَ [٥] .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٥٨) ، والمنظرة : الموضع المشرف ، وهي الشُّرفة هنا .

(٢) وفي « لسان الميزان » (٩/٨٨٢٠) : (أبو حُلْمان : بضم المهملة وسكون اللام ، الحلبي ، ذكره أبو عبد الرحمـٰن السلمي في « طبقات الصوفية » ، فقال : دخل الشام) ، والله أعلم .

(٣) كذا (سعتر) في (ج ، هـ ، ي ، ل) ، وفي سائر النسخ : (سعتراً) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٦٢) .

(٥) الخبر في « اللمع » (ص ٣٦٢) ، والبيت فيه من مجزوء الكامل :

ســـــبحانَ جبَّـــــارِ الســـــما إنَّ المحـــــبَّ لفـــــي عنـــــا

ولم يقع شعراً في (ي) .

فكلُّ واحدٍ يسمعُ مِنْ حيثُ هوَ .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمدٍ الصيرفيَّ يقولُ : سمعتُ رُويماً وقدْ سُئِلَ عنِ المشايخِ الذينَ لقيَهُمْ في السماعِ ، فقالَ : كالقطيعِ وقعَ فيهِ الذئبُ[١] .

وحُكِيَ عنْ أبي سعيدٍ الخرَّازِ قالَ : رأيتُ عليَّ بنَ الموفَّقَ في السماعِ يقولُ : أقيموني ، فأقاموهُ ، فقامَ وتواجدَ ، ثمَّ قالَ : أنا الشيخُ الزفَّانُ[٢] .

وقيلَ : قامَ الدُّقِّيُّ ليلةً إلى الصباحِ يقومُ ويسقطُ علىٰ هٰذا البيتِ والناسُ قيامٌ يبكونَ : [من المنسرح]

بِاللهِ فَارْدُدْ فُؤَادَ مُكْتَئِبٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَبِيبِهِ خَلَفُ[٣]

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ التميميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسينِ محمدَ بنَ أحمدَ بالبصرةِ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : خدمتُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ سنينَ كثيرةً ، فما رأيتُهُ تغيَّرَ عندَ سماعِ شيءٍ كانَ يسمعُهُ مِنَ الذكرِ أوِ القرآنِ أوْ غيرِهِ ، فلمَّا كانَ في آخرِ عمرِهِ . . قُرِئَ بينَ يديهِ : ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ ﴾[٤] ، رأيتُهُ تغيَّرَ وارتعدَ وكادَ يسقطُ ، فلمَّا رجعَ إلىٰ حالِ صحوِهِ . . سألتُهُ عنْ ذٰلكَ ، فقالَ : يا حبيبي ؛ ضعفْنا[٥] .

وحكى ابنُ سالمٍ قالَ : رأيتُهُ مرَّةً أخرىٰ قُرِئَ بينَ يديهِ : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾[٦] ، فتغيَّرَ وكادَ يسقطُ ، فقلتُ لهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : ضعفتُ[٧] .

---

(١) في (ي) : (الصوفي) بدل (الصيرفي) ، وفي هامش (أ) : (صح الكتاب) ، والخبر رواه السراج في « اللمع » (ص ٣٦١) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٣٦٣) ، قالها تغطية لحاله عن جلسائه ، والزفَّان : السريع الخفيف .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٣٦٤) .

(٤) سورة الحديد : (١٥) .

(٥) كذا في « اللمع » (ص ٣٦٥) ، وفيه (الحسن) بدل (الحسين) .

(٦) سورة الفرقان : (٢٦) .

(٧) كذا في « اللمع » (ص ٣٦٥) .

وهٰذهِ صفةُ الأكابرِ ، لا يردُ عليهِمْ واردٌ وإنْ كانَ قوياً إلا وهم أقوىٰ منهُ[١] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : دخلتُ علىٰ أبي عثمانَ المغربيِّ وواحدٌ يستقي الماءَ مِنَ البئرِ علىٰ بكرةٍ ، فقالَ : يا أبا عبدِ الرحمـٰنِ ؛ تدري أيْشٍ تقولُ البكرةُ ؟ فقلتُ : لا ، فقالَ : تقولُ : اللهُ اللهُ .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عليَّ بنَ طاهرٍ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ سهلٍ يقولُ : سمعتُ رُويماً يقولُ : رُوِيَ عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ سمعَ صوتَ ناقوسٍ ، فقالَ لأصحابِهِ : تدرونَ ما يقولُ ؟ قالوا : لا ، قالَ : إنَّهُ يقولُ : سبحانَ اللهِ حقّاً حقّاً ، إنَّ المولىٰ صمدٌ يبقىٰ[٢] .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ التميميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عليٍّ الكَرْخيَّ الوَجِيهيَّ يقولُ : كانَ جماعةٌ مِنَ الصوفيَّةِ مستجمعينَ في بيتِ الحسنِ القزَّازِ ومعَهُمْ قوَّالونَ يقولونَ ويتواجدونَ ، فأشرفَ عليهِمْ ممشاذُ الدِّينَوَريُّ ، فسكتوا ، فقالَ : ارجعوا إلىٰ ما كنتُمْ فيهِ ، فلوْ جُمِعَ ملاهي الدنيا في أذني . . ما شغلَ همِّي ولا شفىٰ بعضَ ما بي[٣] .

وبهـٰذا الإسنادِ عنِ الوجيهيِّ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : بلغْنا في هـٰذا الأمرِ إلىٰ مكانٍ مثلِ حدِّ السيفِ ، إنْ مِلْنا كذا . . ففي النارِ[٤] .

وقالَ خيرٌ النسَّاجُ : قصَّ موسى بنُ عمرانَ صلواتُ اللهِ عليهِ[٥] ، فزعَقَ واحدٌ منهُمْ ، فانتهرَهُ موسىٰ ، فأوحى اللهُ تعالىٰ إليهِ : يا موسىٰ ؛ بطيبي

---

(١) وعبارة السرَّاج : (لا يردُ عليه وارد إلا وهو يبتلعه بقوَّة حاله) .

(٢) بحسب ما وقع في نفسه من صوتها . « إحكام الدلالة » (١٤٢/٤) ، وفي (أ ، ب ، ج) : (إن المولىٰ يبقىٰ) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٣٦٦) ، وفيه وفي (ل) : (الكرجي) بدل (الكرخي) .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٧٢) .

(٥) في (ي) فقط زيادة : (علىٰ قومٍ قصَّة) .

فاحوا[1] ، وبحبِّي باحوا ، وبوجدي صاحوا ، فلِمَ تنكرُ علىٰ عبادي ؟!

وقيلَ : سمعَ الشِّبليُّ قائلاً يقولُ : الخيارُ عشرةٌ بدانقٍ ، فصاحَ وقالَ : إذا كانَ الخيارُ عشرةٌ بدانقٍ . . فكيفَ الشِّرارُ ؟![2] .

وقيلَ : إذا تغنَّتِ الحورُ العِينُ في الجنَّةِ . . تورَّدَتِ الأشجارُ .

وقيلَ : كانَ عونُ بنُ عبدِ اللهِ يأمرُ جاريةً لهُ حسنةَ الصوتِ فتغنِّي بصوتٍ حزينٍ حتَّىٰ يبكي القومُ[3] .

وسُئِلَ أبو سليمانَ الدارانيُّ عنِ السماعِ ، فقالَ : كلُّ قلبٍ يريدُ الصوتَ الحسنَ فهوَ ضعيفٌ يُداوىٰ كما يُداوى الصبيُّ إذا أُريدَ أنْ ينامَ ، ثمَّ قالَ أبو سليمانَ : إنَّ الصوتَ الحسنَ لا يُدخلُ في القلبِ شيئاً ، إنَّما يُحرِّكُ مِنَ القلبِ ما فيهِ[4] .

قالَ ابنُ أبي الحَواريِّ : صدقَ واللهِ أبو سليمانَ .

وقالَ الجُرَيريُّ : ﴿ كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾[5] ؛ أيْ : سامعينَ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، قائلينَ باللهِ تعالىٰ[6] .

وسُئِلَ بعضُهُمْ عنِ السماعِ ، فقالَ : بروقٌ تلمعُ ثمَّ تخمدُ ، وأنوارٌ تبدو ثمَّ تخفىٰ ، ما أحلاها لوْ بقيَتْ معَ صاحبِها طرفةَ عينٍ ! ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الرمل]

خَطْرَةٌ فِي ٱلسِّرِّ مِنْهُ خَطَرَتْ خَطْرَةَ ٱلْبَرْقِ ٱبْتَدِي ثُمَّ ٱضْمَحَلّْ
أَيُّ زَوْرٍ لَكَ لَوْ قَصْداً سَرَىٰ وَمُلِمٍّ بِكَ لَوْ حَقّاً فَعَلْ[7]

---

(١) في أكثر النسخ : (ناحوا) بدل (فاحوا) ، وفي (ز) : (بطنِّي) بدل (بطيبي) .
(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٣٢) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٤/٤) ، واسمها : بِشْرَةُ ، وكذا في « التاج » (ب ش ر) .
(٤) بنحوه في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٩) .
(٥) سورة آل عمران : (٧٩) .
(٦) كذا في « تفسير السلمي » (١٠٥/١) .
(٧) البيتان للبحتري بنحوهما كما في « ديوانه » (١٧١٥/٣) ، وفيه : (بدا) بدل (ابتدي) .

وقيلَ : السماعُ فيهِ نصيبٌ لكلِّ عضوٍ ، فما يقعُ إلى العينِ يبكي ، وما يقعُ إلى اللسانِ يصيحُ ، وما يقعُ على اليدِ يمزِّقُ الثيابَ ويلطِمُ ، وما يقعُ على الرِّجْلِ يرقصُ (١) .

وقيلَ : ماتَ بعضُ ملوكِ العجمِ وخلَّفَ ابناً صغيراً ، فأرادوا أنْ يبايعوهُ ، فقالوا : كيفَ نصلُ إلىٰ عقلِهِ وذكائِهِ ؟

فتوافقوا علىٰ أنْ يأتوا بقوَّالٍ يقولُ شيئاً ، فإنْ أحسنَ الإصغاءَ . . علموا كياستَهُ ، فأتَوا بقوَّالٍ ، فلمَّا قالَ القوَّالُ شيئاً . . ضحكَ الرضيعُ ، فقبَّلوا الأرضَ بينَ يديهِ وبايعوهُ (٢) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : اجتمعَ أبو عمرِو بنُ نُجَيدٍ والنصراباذيُّ والطبقةُ في موضعٍ ، فقالَ النصراباذيُّ : أنا أقولُ : إذا اجتمعَ القومُ . . فواحدٌ يقولُ شيئاً ويسكتُ الباقونَ خيرٌ مِنْ أنْ يغتابوا أحداً .

فقالَ أبو عمرٍو : لَأنْ تغتابَ ثلاثينَ سنةً أنجىٰ لكَ مِنْ أنْ تظهِرَ في السماعِ ما لستَ بهِ (٣) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (الناسُ في السماعِ ثلاثةٌ : متسمِّعٌ ، ومستمعٌ ، وسامعٌ ؛ فالمتسمِّعُ يسمعُ بوقتٍ ، والمستمعُ يسمعُ بحالٍ ، والسامعُ يسمعُ بحقٍّ) (٤) .

وسألتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ غيرَ مرَّةٍ شبهَ طلبِ رخصةٍ في السماعِ ، وكانَ يحيلُني علىٰ ما يوجبُ الإمساكَ عنهُ ، ثمَّ بعدَ طولِ المعاودةِ قالَ : إنَّ المشايخَ قالوا : ما جمعَ قلبَكَ إلى اللهِ سبحانَهُ فلا بأسَ بهِ .

أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ الأهوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٨) ، والقول لأبي سليمان الخطابي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥١٨) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٢٠) .

(٤) فالمتسمِّعُ متكلف في سماعه ، والمستمع صاحب حال ، وفي (ج ، ح ، ي) : (بالحق) بدل (بحق) .

البصريُّ قالَ : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثَنا يحيى بنُ يعلى الرازيُّ قالَ : حدَّثَنا حفصُ بنُ عمرَ العمريُّ قالَ : حدَّثَنا أبو عمرٍو عثمانُ بنُ بدرٍ قالَ : حدَّثَنا هارونُ أبو حمزةَ ، عنِ العُذافرِ (١) ، عنْ سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسى بنِ عمرانَ عليهِ السلامُ : **إنِّي جعلتُ فيكَ عشرةَ آلافِ سمعٍ حتَّىٰ سمعتَ كلامي ، وعشرةَ آلافِ لسانٍ حتَّىٰ أجبتَني ، وأحبُّ ما يكونُ إليَّ وأقربُهُ إذا أكثرتَ الصلاةَ على النبيِّ محمدٍ** صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) (٢) .

وقيلَ : رأىٰ بعضُهُمُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقالَ : **الغلطُ في هٰذا أكثرُ** ؛ يعني بهِ : السماعَ (٣) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ ابنِ شاذانَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ النهاونديَّ يقولُ : سمعتُ عليّاً السائحَ يقولُ : سمعتُ أبا الحارثِ الأولاسيَّ يقولُ : **رأيتُ إبليسَ ـ لعنَهُ اللهُ ـ في المنامِ علىٰ بعضِ سطوحِ أولاسَ وأنا علىٰ سطحٍ** ، وعلىٰ يمينِهِ جماعةٌ وعلىٰ يسارِهِ جماعةٌ ، وعليهِمْ ثيابٌ لطافٌ ، فقالَ لطائفةٍ منهُمْ : **قولوا** ، فقالوا وغنَّوا ، **فاستفرغَني طيبُهُ حتَّىٰ هممتُ أنْ أطرحَ نفسي مِنَ السطحِ** .

ثمَّ قالَ : **ارقصوا** ، فرقصوا أطيبَ ما يكونُ .

ثمَّ قالَ لي : يا أبا الحارثِ ؛ **ما أصبتُ شيئاً أدخلُ بهِ عليكُمْ إلَّا هٰذا** .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : اجتمعتُ ليلةً معَ الشِّبليِّ رحمَهُ اللهُ ، فقالَ القوَّالُ شيئاً ، **فصاحَ الشِّبليُّ وتواجدَ** ، فقيلَ لهُ : **يا أبا بكرٍ ؛ ما لكَ مِنْ بينِ الجماعةِ ؟**

---

(١) في (أ) : (العداف) .

(٢) انظر « القول البديع » (ص ٢٨٢) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٥٣/٢٦ ، ٤٣٣) عن أبي الفضل الهاشمي والعباس بن المهتدي رحمه الله تعالىٰ .

فقامَ وتواجدَ وقالَ : [من البسيط]

لِـي سَـكْرَتَانِ وَلِلنُّدْمَـانِ وَاحِـدَةٌ ... شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي (١)

وسـمعتُهُ يقـولُ : سـمعتُ منصورَ بـنَ عبـدِ اللهِ الأصبهانـيَّ يقـولُ : سـمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : جُزتُ بقصرٍ ، فرأيتُ شـاباً حسـنَ الوجهِ مطروحـاً وحولَهُ ناسٌ ، فسـألتُ عنهُ ، فقالوا : إنَّهُ جـازَ بهٰذا القصرِ وجاريةٌ تغنِّي : [من مجزوء الرمل]

كَبُـرَتْ هِمَّـةُ عَبْـدٍ ... طَمِعَـتْ فِـي أَنْ تَـرَاكَا

أَوَمَـا حَسْـبُ لِعَيْـنٍ ... أَنْ تَـرَىٰ مَـنْ قَـدْ رَآكَا

فشهقَ شهقةً وماتَ (٢) .

* * *

(١) تقدم البيت (ص ٢٦١) ، والخبر رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٦٦/٧١) ، وفيه : (فصاح الشبلي والقوم سكوت ، فقال له بعض المشايخ : يا أبا بكر ؛ أليس هٰؤلاء يسمعون معك ؟! ما لك من بين الجماعة ، فقام وتواجد ، وأنشأ يقول . . .) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٣٥٩) دون البيت الثاني ، وكذا قد تقدم (ص ٦٣٣) ، وفي (ز) : (لعيني) بدل (لِعَين) ، والخبر رواه الرافعي في « التدوين » (١/١٨٩) عن النصراباذي عن ابن أبي الحواري ، وقوله : (أن ترىٰ من قد رآكا) وهم العارفون بالله ، فكان فيه ردٌّ لهمَّته العالية المتعلقة برؤيته تعالىٰ ، وتعزية له في فوات مقصوده ، فلم يحمله قلبه ، فشهق شهقة ومات علىٰ أحسن أحواله . « إحكام الدلالة » (٤/١٤٦) ، وفي هامش (ل) : (بلغ سليمان بن يوسف الياسوفي في الثامن علىٰ شيخنا الحمالي أدام الله بركته) ، وفي هامشها أيضاً : (بلغ مقابلة) .

بابُ إثباتِ كراماتِ الأولياءِ

قـالَ الأسـتاذُ أبو القاسـمِ رحمـه الله : ظهـورُ الكراماتِ عـلى الأولياءِ جائزٌ .

والدليلُ علىٰ جوازِهِ : أنَّهُ أمرٌ موهومٌ حدوثُهُ في العقلِ ، لا يؤدِّي حصولُهُ إلىٰ رفعِ أصلٍ مِنَ الأصولِ ، فواجبٌ وصفُهُ سبحانَهُ بالقدرةِ علىٰ إيجادِهِ ، وإذا وجَبَ كونُهُ مقدوراً للهِ سبحانَهُ . . فلا شيءَ يمنعُ جوازَ حصولِهِ[1] .

وظهورُ الكراماتِ علامةُ صدقِ مَنْ ظهرَتْ عليهِ في أحوالِهِ ، فمَنْ لمْ يكنْ صادقاً . . فظهورُ مثلِها عليهِ لا يجوزُ .

والذي يدلُّ عليهِ : أنَّ تعريفَ القديمِ سبحانَهُ إيَّانا حتَّىٰ نفرِّقَ بينَ مَنْ كانَ صادقاً في أحوالِهِ وبينَ مَنْ هوَ مبطلٌ مِنْ طريقِ الاستدلالِ . . أمرٌ موهومٌ[2] ، ولا يكونُ ذٰلكَ إلَّا باختصاصِ الوليِّ بما لا يوجدُ معَ المفتري في دعواهُ ، وذٰلكَ الأمرُ هيَ الكرامةُ التي أشرْنا إليها .

ولا بدَّ مِنْ أنْ تكونَ الكرامةُ فعلاً ناقضاً للعادةِ في أيامِ التكليفِ ، ظاهراً علىٰ موصوفٍ بالولايةِ في معنىٰ تصديقِهِ في حالِهِ .

وتكلَّمَ الناسُ في الفرقِ بينَ الكراماتِ وبينَ المعجزاتِ مِنْ أهلِ الحقِّ :

فـكانَ الإمامُ أبو إسـحاقَ الإسـفرايِنيُّ رحمَـهُ اللهُ يقـولُ : المعجزاتُ دلالاتُ صـدقِ الأنبياءِ ، ودليلُ النبوَّةِ لا يوجـدُ معَ غيرِ النبيِّ ، كما أنَّ الفعلَ المحكـمَ لمَّـا كانَ دليلاً للعالِمِ فـي كونِهِ عالِماً . . لمْ يوجـدْ ممَّنْ لا يكونُ عالِماً .

---

(١) إذ كل مقدور ممكنٌ ، وكل ممكنٍ جائز الوقوع إن تعلقت القدرة بإيجاده .

(٢) خبر (أن) أمرٌ ، وموهوم ؛ أي : متصوَّر ، وكذا يقال فيما سبق .

وكانَ يقولُ : الأولياءُ لهُمْ كراماتٌ شبهُ إجابةِ الدعاءِ[١] ، فأمَّا جنسُ ما هوَ معجزةٌ للأنبياءِ . . فلا[٢] .

وأمَّا الإمامُ أبو بكرٍ ابنُ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ . . فكانَ يقولُ : المعجزاتُ دلالاتُ الصدقِ ، ثمَّ إنِ ادعىٰ صاحبُها النبوَّةَ . . فالمعجزةُ تدُلُّ علىٰ صدقِهِ في قالتِهِ ، وإنْ أشارَ صاحبُها إلى الولايةِ . . دلَّتِ المعجزةُ علىٰ صدقِهِ في حالتِهِ ، فتسمَّىٰ كرامةً ، ولا تسمَّىٰ معجزةً وإنْ كانَتْ مِنْ جنسِ المعجزاتِ ؛ للفرقِ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : مِنَ الفرقِ بينَ المعجزاتِ والكراماتِ : أنَّ الأنبياءَ عليهِمُ السلامُ مأمورونَ بإظهارِها ، والوليُّ يجبُ عليهِ سَترُها وإخفاؤُها ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يدعي ذٰلكَ ويقطعُ القولَ بهِ ، والوليُّ لا يدعيها ولا يقطعُ بكرامتِهِ ؛ لجوازِ أنْ يكونَ ذٰلكَ مَكْراً .

وقالَ أوحدُ وقتِهِ في فَنِّهِ القاضي أبو بكرٍ الأشعريُّ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ المعجزاتِ تختصُّ بالأنبياءِ ، والكراماتِ تكونُ للأولياءِ ، ولا يكونُ للأولياءِ معجزةٌ ؛ لأنَّ مِنْ شرطِ المعجزةِ اقترانَ دعوى النبوَّةِ بها ، والمعجزةُ لمْ تكنْ معجزةً لعينِها ، وإنَّما كانَتْ معجزةً لحصولِها علىٰ أوصافٍ كثيرةٍ ، فمتى اختلَّ شرطٌ مِنْ تلكَ الشرائطِ . . لا تكونُ معجزةً ، وأحدُ تلكَ الشرائطِ دعوى النبوَّةِ ، والوليُّ لا يدعي النبوَّةَ ، فالذي يظهرُ عليهِ لا يكونُ معجزةً .

وهٰذا القولُ هوَ الذي نعتمدُهُ ونقولُ بهِ ، بلْ ندينُ بهِ .

فشرائطُ المعجزاتِ كلُّها أوْ أكثرُها توجدُ في الكرامةِ إلَّا هٰذا الشرطَ الواحدَ .

والكرامةُ فعلٌ لا محالةَ[٣] ؛ لأنَّ ما كانَ قديماً لمْ يكنْ لهُ اختصاصٌ

---

(١) أو موافاة ماء في بادية من غير توقع المياه ، أو نحو ذٰلك مما ينحطُّ عن خرق العادات . « حاشية العطار علىٰ شرح المحلي علىٰ جمع الجوامع » (٤٨٢/٢) ، وبقول الأستاذ الإسفرايني رحمه الله تعالىٰ قال الحَليمي وعامة المعتزلة إلا أبا الحسين البصري . انظر « المواقف » (ص ٣٧٠) .

(٢) فالمانعون علَّلوا المنع لخوف اللبس بالمعجزة ، لا نفياً للإمكان كما قد يُعتقد .

(٣) في (ي) زيادة : (محدث) ، وحدوث الفعل لا يخفىٰ .

بأحدٍ ، وهوَ ناقضٌ للعادةِ[1] ، ويحصلُ في زمانِ التكليفِ[2] .

ويظهرُ علىٰ عبدٍ تخصيصاً لهُ وتفضيلاً ، وقدْ يحصلُ باختيارِهِ ودعائِهِ ، وقدْ لا يحصلُ ، وقدْ يكونُ بغيرِ اختيارِهِ في بعضِ الأوقاتِ .

ولمْ يُؤمَرِ الوليُّ بدعاءِ الخلقِ إلىٰ نفسِهِ[3] ، ولوْ أظهرَ شيئاً مِنْ ذٰلكَ علىٰ مَنْ يكونُ أهلاً لهُ . . لجازَ[4] .

واختلفَ أهلُ الحقِّ في الوليِّ : هلْ يجوزُ أنْ يعلمَ أنَّهُ وليٌّ أمْ لا ؟

فكانَ الإمامُ أبو بكرٍ ابن فُوركَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : لا يجوزُ ذٰلكَ ؛ لأنَّهُ يسلبُهُ الخوفَ ، ويوجبُ لهُ الأمنَ .

وكانَ الأستاذُ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رحمَهُ اللهُ يقولُ بجوازِهِ ، وهوَ الذي نؤثرُهُ ونقولُ بهِ[5] .

وليسَ ذٰلكَ بواجبٍ في جميعِ الأولياءِ حتَّىٰ يكونُ كلُّ وليٍّ يعلمُ أنَّهُ وليٌّ واجباً[6] ، ولٰكنْ يجوزُ أنْ يعلمَ بعضُهُمْ ذٰلكَ كما يجوزُ ألَّا يعلمَ بعضُهُمْ ، فإذا علمَ بعضُهُمْ أنَّهُ وليٌّ . . كانَتْ معرفتُهُ تلكَ كرامةً لهُ انفردَ بها .

وليسَ كلُّ كرامةٍ لوليٍّ يجبُ أنْ تكونَ تلكَ بعينِها لجميعِ الأولياءِ ، بلْ لوْ لمْ يكنْ للوليِّ كرامةٌ ظاهرةٌ عليهِ في الدنيا . . لمْ يقدحْ عدمُها في كونِهِ وليّاً ، بخلافِ الأنبياءِ ؛ فإنَّهُ يجبُ أنْ يكونَ لهُمْ معجزاتٌ[7] ؛ لأنَّ النبيَّ مبعوثٌ إلى الخلقِ ، فبالناسِ حاجةٌ إلىٰ معرفةِ صدْقِهِ ، ولا يُعلَمُ إلَّا بالمعجزةِ .

---

(١) قوله : (وهو) عائدٌ علىٰ ذٰلك الفعل . « إحكام الدلالة » (٤/١٤٩) .

(٢) أي : في الدنيا ، لا أنها لا تقع إلا من المكلَّف ، وسيأتي قريباً .

(٣) وهٰذا من الفروق بينها وبين المعجزة .

(٤) بل قد يندب لما يترتَّب عليه من الخيرات ؛ كزيادة يقينه . « إحكام الدلالة » (٤/١٥٠) .

(٥) تقدم تحقيقه للمصنف (ص ٥٥٤) ، وسيأتي أيضاً قريباً .

(٦) أي : وجوباً . « إحكام الدلالة » (٤/١٥٠) .

(٧) هو من مقابلة الأفراد بالأفراد ؛ إذ الواجبُ معجزةٌ واحدةٌ في حقِّ النبي .

وبعكسِ ذٰلكَ حالُ الوليِّ ؛ لأنَّهُ ليسَ بواجبٍ على الخلقِ ولا على الوليِّ أيضاً العلمُ بأنَّهُ وليٌّ .

والعشرةُ مِنَ الصحابةِ صدَّقوا الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما أخبرَهُمْ أنَّهُمْ مِنْ أهلِ الجنَّةِ[1] .

وقولُ مَنْ قالَ : لا يجوزُ ذٰلكَ ؛ لأنَّهُ يخرجُهُمْ مِنَ الخوفِ . . فلا بأسَ ألَّا يخافوا تغيُّرَ العاقبةِ ، والذي يجدونَ في قلوبِهِمْ مِنَ الهيبةِ والتعظيمِ والإجلالِ للحقِّ سبحانَهُ . . يزيدُ ويربي علىٰ كثيرٍ مِنَ الخوفِ[2] .

واعلمْ : أنَّهُ ليسَ للوليِّ مساكنةٌ إلى الكرامةِ التي تظهرُ عليهِ ، ولا لهُ ملاحظةٌ ، وربَّما يكونُ لهُمْ في ظهورِ جنسِها قوَّةُ يقينٍ وزيادةُ بصيرةٍ ؛ لتحقُّقِهِمْ أنَّ ذٰلكَ فعلُ اللهِ تعالىٰ ، فيستدلُّونَ بها علىٰ صحَّةِ ما همْ عليهِ مِنَ العقائدِ .

وفي الجملةِ : فالقولُ بجوازِ ظهورِها على الأولياءِ واجبٌ ، وعليهِ جمهورُ أهلِ المعرفةِ .

ولكثرةِ ما تواترَ بأجناسِها الأخبارُ والحكاياتُ صارَ العلمُ بكونِها وظهورِها على الأولياءِ في الجملةِ علماً قويّاً انتفىٰ عنهُ الشكوكُ ، ومَنْ توسَّطَ هٰذهِ الطائفةَ وتواترَ عليهِ حكاياتُهُمْ وأخبارُهُمْ . . لمْ تبقَ لهُ شبهةٌ في ذٰلكَ على الجملةِ .

ومِنْ دلائلِ هٰذهِ الجملةِ : نصُّ القرآنِ في قصَّةِ صاحبِ سليمانَ عليهِ السلامُ ، حيثُ قالَ : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ﴾[3] ولمْ يكنْ نبيّاً .

والأثرُ عنْ أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ صحيحٌ أنَّهُ قالَ : (يا ساريةُ ؛ الجبلَ) في حالِ خطبتِهِ في يومِ الجمعةِ ، وتبليغُ صوتِ عمرَ

---

(١) رواه أبو داوود (٤٦٤٩) ، والترمذي (٣٧٤٨) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨١٣٧) ، وابن ماجه (١٣٣) وقد تقدم (ص ٥٥٥) .

(٢) كذا في جميع النسخ خلا (ي) : (يربي) بالياء ، من أربىٰ يربي ؛ بمعنىٰ : يزيد ، وفي (ي) : (يربو) .

(٣) سورة النمل : (٤٠) .

إلىٰ ساريةَ في ذٰلكَ الوقتِ حتَّىٰ تحرَّزَ مِنْ مكامنِ العدوِّ مِنَ الجبلِ في تلكَ الساعةِ[1] .

فإنْ قيلَ : كيفَ يجوزُ إظهارُ هـٰذهِ الكراماتِ الزائدةِ في المعاني علىٰ معجزاتِ الرسلِ ؟ وهلْ يجوزُ تفضيلُ الأولياءِ على الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ؟

قيلَ : هـٰذهِ الكراماتُ لاحقةٌ بمعجزاتِ نبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ لأنَّ كلَّ مَنْ ليسَ بصادقٍ في الإسلامِ لا تظهرُ عليهِ الكرامةُ ، وكلُّ نبيٍّ ظهرَتْ كرامتُهُ علىٰ واحدٍ مِنْ أمَّتِهِ فهيَ معدودةٌ مِنْ جملةِ معجزاتِهِ ؛ إذْ لوْ لمْ يكنْ ذٰلكَ الرسولُ صادقاً . . لمْ تظهرْ علىٰ مَنْ تابعَهُ المعجزةُ[2] .

فأمَّا رتبةُ الأولياءِ . . فلا تبلغُ رتبةَ الأنبياءِ عليهِمُ السلامُ ؛ للإجماعِ المنعقدِ علىٰ ذٰلكَ[3] .

وهـٰذا أبو يزيدَ البِسطاميُّ سُئِلَ عنْ هـٰذهِ المسألةِ ، فقالَ : مَثَلُ ما حصلَ للأنبياءِ عليهِمُ السلامُ كمَثَلِ زِقٍّ فيهِ عسلٌ ترشَّحَ منهُ قطرةٌ ، فتلكَ القطرةُ مثلُ ما لجميعِ الأولياءِ ، وما في الظَّرفِ مثلُ ما لنبيِّنا صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .



ثمَّ هـٰذهِ الكراماتُ قدْ تكونُ إجابةَ دعوةٍ ، **وقدْ تكونُ** إظهارَ طعامٍ في أوانِ فاقةٍ مِنْ غيرِ سببٍ ظاهرٍ ، أوْ حصولَ ماءٍ في زمانِ عطشٍ ، أوْ تسهيلَ قطعِ مسافةٍ في مدَّةٍ قريبةٍ ، أوْ تخليصاً مِنْ عدوٍّ ، أوْ سماعَ خطابٍ مِنْ هاتفٍ ، أوْ غيرَ ذٰلكَ مِنْ فنونِ الأفعالِ الناقضةِ للعادةِ .

---

(١) رواه البيهقي في « الاعتقاد » (ص ٣١٤) .

(٢) كذا في جميع النسخ جاء بلفظ (المعجزة) على المعنى اللغوي ، وفي (ي) وحدها : (الكرامة) بدل (المعجزة) .

(٣) حتىٰ قال الإمام السراج في « اللمع » (ص ٥٣٧) : (والولاية والصديقيّة منوّرة بأنوار النبوة ، فلا تلحق النبوة أبداً ، فكيف تفضَّل عليها ؟!) ، ومنشأ الخطأ خبر الخضر عليه السلام .

واعلمْ : أنَّ كثيراً مِنَ المقدوراتِ نعلمُ اليومَ قطعاً أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يظهرَ كرامةً للأولياءِ ، وبضرورةٍ أوْ شبْهِ ضرورةٍ نعلمُ ذٰلكَ .

فمنها : حصولُ إنسانٍ لا مِنْ أبوينِ ، وقلْبُ جمادٍ بهيمةً أوْ حيواناً ، وأمثالُ هٰذا يكثرُ [١] .



فإنْ قيلَ : ما معنى الوليِّ ؟

قيلَ : يحتملُ أمرينِ :

أحدُهُما : أنْ يكونَ فَعيلاً مبالغةً مِنَ الفاعلِ ؛ كالعليمِ والقديرِ وغيرِهِ ، فيكونُ معناهُ : مَنْ توالَتْ طاعاتُهُ مِنْ غيرِ تخلُّلِ معصيةٍ .

ويجوزُ أنْ يكونَ فَعيلاً بمعنىٰ مفعولٍ ؛ كقتيلٍ بمعنىٰ مقتولٍ ، وجريحٍ بمعنىٰ مجروحٍ ؛ وهوَ الذي يتولَّى الحقُّ سبحانَهُ حفظَهُ وحراستَهُ على الإدامةِ والتوالي ، فلا يخلقُ لهُ الخِذْلانَ الذي هوَ قدرةُ العِصيانِ ، ويديمُ توفيقَهُ الذي هوَ قدرةُ الطاعةِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [٢] .



فإنْ قيلَ : فهلْ يكونُ الوليُّ معصوماً ؟

قيلَ : أمَّا وجوباً كما يُقالُ في الأنبياءِ . . فلا ، وأمَّا أنْ يكونَ محفوظاً حتَّىٰ

---

(١) وقد قال الزركشي : ما قاله القشيري ضعيف ، والجمهور علىٰ خلافه ، وقد أنكروا عليه حتىٰ ولده أبو النصر في كتابه « المرشد » ، وإمام الحرمين في « الإرشاد » ، والنووي في « شرح مسلم » ، فقالَ : إنه غلط من قائله ، وإنكار للحس ، بل الصواب جريانها بقلْبِ الأعيان ونحوه . « إحكام الدلالة » (١٥٣/٤) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٢) سورة الأعراف : (١٩٦) .

لا يصرَّ على الذنوبِ وإنْ حصلتْ هَناتٌ أَوْ آفاتٌ أَوْ زلَّاتٌ . . فلا يمتنعُ ذٰلكَ في وصفِهِمْ .

وقدْ قيلَ : للجنيدِ : العارفُ يزني يا أبا القاسمِ ؟

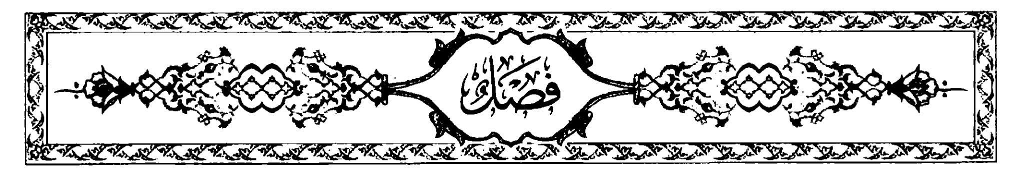
فأطرقَ مليّاً ، ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[1] .



فإنْ قيلَ : فهلْ يسقطُ الخوفُ عنِ الأولياءِ ؟

قيلَ : أمَّا الغالبُ على الأكابرِ . . فكانَ الخوفَ[2] ، وذٰلكَ الذي قلْنا فيما تقدَّمَ علىٰ جهةِ الندرةِ غيرُ ممتنعٍ ، وهٰذا السريُّ السقطيُّ يقولُ : لوْ أنَّ واحداً دخلَ بستاناً فيهِ أشجارٌ كثيرةٌ ، وعلىٰ كلِّ شجرةٍ طيرٌ يقولُ لهُ بلسانٍ فصيحٍ : السلامُ عليكَ يا وليَّ اللهِ ؛ فلوْ لمْ يخفْ أنَّهُ مكرٌ . . لكانَ ممكوراً بهِ .

وأمثالُ هٰذهِ مِنْ حكاياتِهِمْ كثيرةٌ .



فإنْ قيلَ : فهلْ تجوزُ رؤيةُ اللهِ عزَّ وجلَّ بالأبصارِ اليومَ في الدنيا علىٰ جهةِ الكرامةِ ؟

فالجوابُ عنهُ : أنَّ الأقوىٰ فيهِ : أنَّهُ لا يجوزُ ؛ لحصولِ الإجماعِ عليهِ .

ولقدْ سمعتُ الإمامَ أبا بكرٍ ابنَ فُورَكَ رضيَ اللهُ عنهُ يحكي عنْ أبي الحسنِ

---

(١) سورة الأحزاب : (٣٨) .

(٢) سقطت الفاء من جميع النسخ ، وأثبتت من (ي) و« إحكام الدلالة » (٤/١٥٦) .

الأشعريِّ أنَّهُ قالَ في ذٰلكَ قولينِ في كتابِ « الرؤية » الكبيرِ [1] .

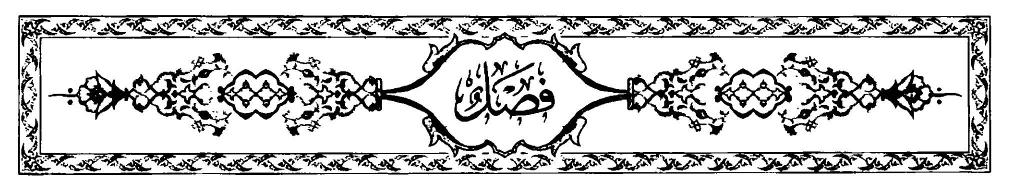


فإنْ قيلَ : فهلْ يجوزُ أنْ يكونَ وليّاً في الحالِ ، ثمَّ تتغيَّرَ عاقبتُهُ ؟

قيلَ : مَنْ جعلَ مِنْ شرطِ الولايةِ حسنَ الموافاةِ . . لا يجوّزُ ذٰلكَ .

ومَنْ قالَ : إنَّهُ في الحالِ مؤمنٌ على الحقيقةِ وإنْ جازَ أنْ يتغيَّرَ حالُهُ . . فلا يبعدُ أنْ يكونَ وليّاً في الحالِ صدِّيقاً ، ثمَّ يتغيَّرَ ، وهٰذا الذي نختارُهُ نحنُ [2] .

ويجوزُ أنْ يكونَ مِنْ جملةِ كراماتِ وليٍّ أنْ يعلمَ أنَّهُ مأمونُ العاقبةِ ، وأنَّهُ لا تتغيَّرُ عاقبتُهُ ، فتلتحقُ هٰذهِ المسألةُ بما ذكرْنا أنَّ الوليَّ يجوزُ أنْ يعلمَ أنَّهُ وليٌّ [3] .



فإنْ قيلَ : فهلْ يزايلُ الوليَّ خوفُ المكرِ ؟

قيلَ : إنْ كانَ مصطلِماً عنْ شاهدِهِ [4] ، مختطَفاً عنْ إحساسِهِ بحالِهِ . . فهوَ مستهلَكٌ عنهُ فيما استولىٰ عليهِ ، والخوفُ مِنْ صفاتِ الحاضرينَ بهِمْ [5] .

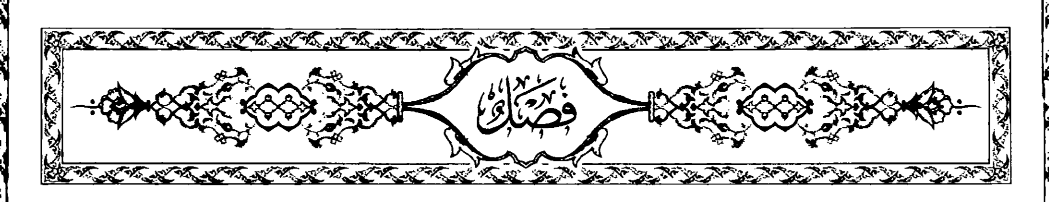
(١) الأول : الجواز ؛ لأن ما جاز في الآخرة لا يكون محالاً في الدنيا ، ولٰكنها ممتنعة لانعقاد الإجماع علىٰ عدم وقوعها في الدنيا ؛ لضعف الخلق عنها ، ودليل هٰذا القول من حيث النقل : وقوعها للحضرة المحمدية لكمالها . الثاني : عدم الجواز مطلقاً ، وانظر « إحكام الدلالة » (٤/١٥٧) .

(٢) ما ذهب إليه المصنف هو مذهب السادة الماتريدية ، والأول قول السادة الأشاعرة .

(٣) تقدمت قريباً (ص ٧٠١) .

(٤) أي : مستغرقاً بمشهوده . انظر « إحكام الدلالة » (٤/١٥٨) .

(٥) أي : منهم ، أو الأولياء ، أو الخلق . « إحكام الدلالة » (٤/١٥٨) .



فإنْ قيلَ : فما الغالبُ على الوليِّ في أوانِ صحوِهِ ؟

قيلَ : صدقُهُ في أداءِ حقوقِهِ سبحانَهُ ، ثمَّ رفقُهُ وشفقتُهُ على الخلقِ في جميعِ أحوالِهِ ، ثمَّ انبساطُ رحمتِهِ لكافَّةِ الخلقِ ، ثمَّ دوامُ تحمُّلِهِ عنهُمْ بجميلِ الخُلُقِ ، وابتدائِهِ لطلبِ الإحسانِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ إليهِمْ مِنْ غيرِ التماسٍ منهُمْ ، وتعليقِ الهمَّةِ بنجاةِ الخلقِ ، وتركِ الانتقامِ منهُمْ ، والتوقِّي عنِ استشعارِ حقْدِ عليهِمْ[1] ، معَ قصْرِ اليدِ عنْ أموالِهِمْ ، وتركِ الطمعِ بكلِّ وجهٍ فيهِمْ ، وقبضِ اللسانِ عنْ بسطِهِ بالسوءِ فيهِمْ ، والتصاونِ عنْ شهودِ مساويهِمْ ، ولا يكونُ خصماً لأحدٍ في الدنيا والآخرةِ .

واعلمْ : أنَّ مِنْ أجلِّ الكراماتِ التي تكونُ للأولياءِ : دوامَ التوفيقِ للطاعاتِ ، والعصمةَ مِنَ المعاصي والمخالفاتِ .

وممَّا يشهدُ مِنَ القرآنِ على إظهارِ الكراماتِ على الأولياءِ : قولُهُ سبحانَهُ في صفةِ مريمَ عليها السلامُ ولمْ تكنْ نبيّاً ولا رسولاً : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[2] ، وكانَ يقولُ : ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ ، فتقولُ مريمُ : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ .

وقولُهُ سبحانَهُ لمريمَ : ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[3] ، وكانَ في غيرِ أوانِ الرطبِ .

وكذٰلكَ قصةُ أصحابِ الكهفِ ، والأعاجيبُ التي ظهرَتْ عليهِمْ مِنْ كلامِ الكلبِ معَهُمْ وغيرِ ذٰلكَ .

---

(١) في (ج) : (حقِهِ) بدل (حقدِ) .

(٢) سورة آل عمران : (٣٧) .

(٣) سورة مريم : (٢٥) .

ومِنْ ذٰلكَ : قصَّةُ ذي القرنينِ ، وتمكينُهُ سبحانَهُ لهُ ممَّا لمْ يمكنْ لغيرِهِ .

ومِنْ ذٰلكَ : ما أظهرَ علىٰ يَدَيِ الخضرِ عليهِ السلامُ مِنْ إقامةِ الجدارِ ، وغيرِهِ مِنَ الأعاجيبِ ، وما كانَ يعرفُهُ ممَّا خفيَ علىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ ، كلُّ ذٰلكَ أمورٌ ناقضةٌ للعادةِ اختُصَّ الخضرُ عليهِ السلامُ بها ولمْ يكنْ نبيّاً ، وإنَّما كانَ وليّاً[1] .

وممَّا رُوِيَ في الأخبارِ في هٰذا البابِ : حديثُ جُرَيجٍ الراهبِ .

أخبرَنا أبو نعيمٍ عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ الإسفراينيُّ قالَ : أخبرَنا أبو عَوانةَ يعقوبُ بنُ إسحاقَ قالَ : حدَّثَنا عمَّارُ بنُ رجاءٍ قالَ : حدَّثَنا وهبُ بنُ جَريرٍ قالَ : حدَّثَنا أبي قالَ : سمعتُ محمدَ بنَ سيرينَ ، عنْ أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ أبو عَوانةَ : وحدَّثَني الصغانيُّ[2] وأبو أميَّةَ قالَا : حدَّثَنا الحسينُ بنُ محمدٍ المَرْوزيُّ قالَ : حدَّثَنا جَريرُ بنُ حازمٍ ، عنْ محمدِ بنِ سيرينَ ، عنْ أبي هريرةَ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ :

« لمْ يتكلَّمْ في المهدِ إلَّا ثلاثةٌ : عيسى ابنُ مريمَ ، وصبيٌّ في زمانِ جُريجٍ ، وصبيٌّ آخرُ ؛ فأمَّا عيسىٰ . . فقدْ عرفتموهُ .

وأمَّا جُريجٌ . . فكانَ رجلاً عابداً في بني إسرائيلَ ، وكانَتْ لهُ أمٌّ ، فكانَ يوماً يصلِّي إذِ اشتاقَتْ إليهِ أمُّهُ ، فقالَتْ : يا جُريجُ ؛ فقالَ : يا ربِّ ؛ الصلاةُ خيرٌ أمْ إجابتُها ؟ ثمَّ صلَّىٰ ، ودعتْهُ ، فقالَ مثلَ ذٰلكَ ، ثمَّ صلَّىٰ ، ودعتْهُ ، فقالَ مثلَ ذٰلكَ ، ثمَّ صلَّىٰ[3] ، فاشتدَّ علىٰ أمِّهِ ، فقالَتِ : اللهمَّ ؛ لا تمتْهُ حتَّىٰ تريَهُ المُومساتِ .

وكانَتْ زانيةٌ في بني إسرائيلَ ، قالَتْ لهُمْ : أنا أفتنُ جُريجاً حتَّىٰ يزنيَ ،

---

(١) والذي جزم به ابن الصلاح ، وأقرَّهُ عليه النووي : أنه نبي ، ورجحه الجمهور . « إحكام الدلالة » (١٦١/٤) .
(٢) في (ج) : (الصاغاني) بدل (الصغاني) ، وكلاهما جائز .
(٣) في (ج ، ل) زيادة : (ودعته ، فقال مثل ذٰلك وصلَّىٰ) .

فأتتْهُ ، فلمْ تقدرْ علىٰ شيءٍ ، وكانَ راعٍ يأوي بالليلِ إلىٰ أصلِ صومعتِهِ ، فلمَّا أعياها . . راوَدَتِ الراعيَ علىٰ نفسِها ، فأتاها ، فولدَتْ ، ثمَّ إنَّها قالَتْ : ولدي هـٰذا مِنْ جُريجٍ ، فأتاهُ بنو إسرائيلَ ، وكسروا صومعتَهُ ، وشتموهُ ، ثمَّ صلَّىٰ ودعا ، ثمَّ نخسَ الغلامَ » ، قالَ محمدٌ : قالَ أبو هريرةَ : كأنِّي أنظرُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ قالَ بيدِهِ : « يا غلامُ ؛ مَنْ أبوكَ ؟ فقالَ : الراعي ، فندموا علىٰ ما كانَ منهُمْ ، فاعتذروا إليهِ وقالوا : نبني صومعتَكَ مِنْ ذهبٍ ـ أوْ قالَ : مِنْ فضةٍ ـ فأبىٰ عليهِمْ ، وبناها كما كانَتْ .

وأمَّا الصبيُّ الآخرُ . . فإنَّ امرأةً كانَ معَها صبيٌّ لها ترضعُهُ ، إذْ مرَّ بها شابٌّ جميلٌ ذو شارةٍ ، فقالَتِ : اللهمَّ ؛ اجعلِ ابني مثلَ هـٰذا ، فقالَ الصبيُّ : اللهمَّ ؛ لا تجعلْني مثلَهُ » ، قالَ محمدٌ : قالَ أبو هريرةَ : كأنِّي أنظرُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ كانَ يحكي الغلامَ وهوَ يرضعُ ، « ثمَّ مرَّ بها أيضاً امرأةٌ ذكروا أنَّها سرقَتْ وزنَتْ وعُوقبَتْ ، فقالَتِ : اللهمَّ ؛ لا تجعلِ ابني مثلَ هـٰذهِ ، فقالَ : اللهمَّ ؛ اجعلْني مثلَها ، فقالَتْ لهُ أمُّهُ في ذٰلكَ ، فقالَ : إنَّ الراكبَ جبَّارٌ مِنَ الجبابرةِ ، وإنَّ هـٰذهِ قيلَ لها : إنَّها زنَتْ ، ولمْ تزنِ ، وقيلَ : [إنَّها] سرقَتْ ، ولمْ تسرقْ ، وهيَ تقولُ : حسبيَ اللهُ »(١) .

وهـٰذا الخبرُ رُوِيَ في الصحيحِ .

ومِنْ ذٰلكَ : حديثُ الغارِ ، وهوَ مشهورٌ مذكورٌ في الصحاحِ .

أخبرَنا أبو نعيمٍ عبدُ الملكِ بنُ الحسنِ الإسفرايينيُّ قالَ : أخبرَنا أبو عَوانةَ يعقوبُ بنُ إسحاقَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عوفٍ ويزيدُ ابنُ عبدِ الصمدِ الدمشقيُّ وعبدُ الكريمِ بنُ القاسمِ الديرعاقوليُّ وأبو الخصيبِ بنُ المستنيرِ المصيصيُّ قالوا : حدَّثَنا أبو اليمانِ قالَ : أخبرَنا شعيبٌ ، عنِ الزهريِّ ، عنْ سالمٍ ، عنْ أبيهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « انطلقَ ثلاثةُ

(١) ورواه البخاري (٣٤٣٦) ، ومسلم (٢٥٥٠) .

رهطٍ ممَّنْ كانَ قبلَكُمْ ، فآواهُمُ المبيتُ إلىٰ غارٍ ، فدخلوهُ ، فانحدرَتْ صخرةٌ مِنَ الجبلِ ، فسـدَّتْ عليهِمُ الغارَ ، فقالوا : إنَّـهُ ـ واللهِ ـ لا ينجيكُمْ مِنْ هٰذهِ الصخرةِ إلَّا أنْ تدعوا اللهَ بصالحِ أعمالِكُمْ .

فقالَ رجلٌ منهُمْ : إنَّ لي أبوينِ شيخينِ كبيرينِ ، وكنتُ لا أغبِقُ قبلَهُما أهلاً ولا مالاً ، فنأىٰ بي طلبُ [الشجرِ] يوماً ، فلمْ أُرِحْ عليهما حتَّىٰ ناما ، فحلبتُ لهما غَبُوقَهُما ، فجئتُهما بهِ ، فوجدتُهما نائمينِ ، فتحرَّجْتُ أنْ أوقظَهُما ، وكرهْتُ أنْ أغبِقَ قبلَهُما أهلاً ومالاً ، فقمتُ والقَدَحُ علىٰ يدي أنتظرُ استيقاظَهُما حتَّىٰ برقَ الفجرُ ، فاستيقظا ، فشربا غَبُوقَهُما ، **اللهمَّ ؛ إنْ كنتُ فعلتُ ذٰلكَ ابتغاءَ وجهِكَ . . فافرُجْ عنَّا ما نحنُ فيهِ مِنْ هٰذهِ الصخرةِ ، فانفرجَتْ انفراجاً لا يستطيعونَ الخروجَ منهُ »** .

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **وقالَ الآخرُ : اللهمَّ** ؛ كانَتْ لي بنتُ عمٍّ ، كانَتْ أحبَّ الناسِ إليَّ ، فأردتُها عنْ نفسِها ، فامتنعَتْ منِّي ، حتَّىٰ ألمَّتْ بها سنةٌ مِنَ السنينَ ، فجاءَتْني ، فأعطيتُها عشرينَ ومئةَ دينارٍ علىٰ أنْ تخليَ بيني وبينَ نفسِها ، ففعلَتْ ، حتَّىٰ إذا قدرْتُ عليها . . قالَتْ : لا أُحِلُّ لكَ أنْ تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحقِّهِ ، فتحرَّجتُ مِنَ الوقوعِ عليها ، فانصرفتُ عنها وهيَ أحبُّ الناسِ إليَّ ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتُها ، **اللهمَّ ؛ فإنْ كنتُ فعلتُ ذٰلكَ ابتغاءَ وجهِكَ . . فافرُجْ عنَّا ما نحنُ فيهِ ، فانفرجَتِ الصخرةُ غيرَ أنَّهُمْ لا يستطيعونَ الخروجَ منها »** .

قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **ثمَّ قالَ الثالثُ : اللهمَّ ؛ إنِّي** استأجرتُ أُجَراءَ ، فأعطيتُهُمْ أجورَهُمْ غيرَ رجلٍ واحدٍ منهُمْ تركَ الذي لهُ وذهبَ ، فثمَّرْتُ أجرَهُ حتَّىٰ كثُرَتْ منهُ الأموالُ ، فجاءَني بعدَ حينٍ ، فقالَ : يا عبدَ اللهِ ؛ أدِّ إليَّ أجرتي ، فقلتُ لهُ : كلُّ ما ترىٰ مِنْ أجرِكَ مِنَ الإبلِ والبقرِ والغنمِ والرقيقِ ، فقالَ : يا عبدَ اللهِ ؛ لا تستهزِئْ بي ، فقلتُ : إنِّي لا أستهزِئُ ، فأخذَ ذٰلكَ كلَّهُ ، فاستاقَهُ ولمْ يتركْ منهُ شيئاً ، **اللهمَّ ؛ فإنْ كنتُ فعلتُ ذٰلكَ**

ابتغاءَ وجهِكَ . . فافرُجْ عنَّا ما نحنُ فيهِ ، فانفرجَتِ الصخرةُ ، فخرجوا مِنَ الغارِ يمشونَ »[١] .

وهٰذا حديثٌ صحيحٌ متفقٌ عليهِ .

ومِنْ ذٰلكَ : الحديثُ الذي قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : إنَّ البقرةَ كلَّمَتْهُمْ .

أخبرَنا أبو نعيمٍ الإسفراينيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو عَوانةَ قالَ : حدَّثَنا يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ قالَ : أخبرَنا ابنُ وهبٍ قالَ : أخبرَني يونسُ بنُ يزيدَ ، عنِ ابنِ شهابٍ قالَ : حدَّثَني سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، عنْ أبي هريرةَ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « بينا رجلٌ يسوقُ بقرةً قدْ حملَ عليها . . التفتَتِ البقرةُ وقالَتْ : إنِّي لمْ أُخلَقْ لهٰذا ، إنَّما خُلقتُ للحرثِ ، فقالَ الناسُ : سبحانَ اللهِ ! » ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « آمنتُ بهٰذا وأبو بكرٍ وعمرُ »[٢] .

ومِنْ ذٰلكَ : حديثُ أويسٍ القَرَنيِّ ، وما شهدَ عمرُ بنُ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ مِن حالِهِ وقصَّتِهِ ، ثمَّ التقاؤُهُ معَ هَرِمِ بنِ حيَّانَ ، وتسليمُ أحدِهِما علىٰ صاحبِهِ مِنْ غيرِ معرفةٍ تقدَّمَتْ بينَهُما ، وكلُّ ذٰلكَ أحوالٌ ناقضةٌ للعادةِ ، وتركنْا شرحَ حديثِ أويسٍ لشهرتِهِ[٣] .

وقدْ ظهرَ على السلفِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ ثمَّ علىٰ مَنْ بعدَهُمْ مِنَ الكراماتِ . . ما بلغَ حدَّ الاستفاضةِ ، وقدْ صُنِّفَ في ذكرِ ذٰلكَ كتبٌ كثيرةٌ ، وسنشيرُ إلىٰ طرفٍ منهُ علىٰ وجهِ الإيجازِ إنْ شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ .

ومِنْ ذٰلكَ : ما رُوِيَ أنَّ ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ في بعضِ الأسفارِ ، فلقيَ جماعةً وقفوا على الطريقِ مِنْ خوفِ السبعِ ، فطردَ السبعَ مِنْ طريقِهِمْ ، ثمَّ قالَ : إنَّما يُسلَّطُ على ابنِ آدمَ ما يخافُهُ ، ولوْ أنَّهُ لمْ يخفْ

---

(١) ورواه البخاري (٢٢٧٢) ، ومسلم (٢٧٤٣) ، وفي هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .

(٢) ورواه البخاري (٣٦٦٣) ، ومسلم (٢٣٨٨) ، وفي الخبر نفسه كلام الذئب أيضاً .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/٤٠٦) ، والشاهد فيه : أن أويساً سلَّم علىٰ هَرِم وصرَّح باسمه واسم أبيه وليس بينهما لقاء ، فقال له هرم : من أين عرفتني وعرفت اسمي واسم أبي ؟ قال : نبأني العليم الخبير .

غيرَ اللهِ تعالىٰ . . لمَّا سُــلِّطَ عليهِ شيءٌ ، وهـٰذا خبرٌ معروفٌ (١) .

ورُوِيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بعثَ العلاءَ بنَ الحضرميِّ في غَزاةٍ ، فحالَ بينَهُمْ وبينَ الموضعِ قطعةٌ مِنَ البحرِ ، فدعا اللهَ باسمِهِ الأعظمِ ومَشَوا على الماءِ (٢) .

ورُوِيَ أنَّ عبَّادَ بنَ بشْرٍ وأُسيدَ بنَ حُضيرٍ خرجا مِنْ عندِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأضاءَ لهما رأسُ عصا أحدِهِما كالسراجِ (٣) .

ورُوِيَ أنَّهُ كانَ بينَ سلمانَ وأبي الدرداءِ قصعةٌ ، فسبَّحَتْ حتَّىٰ سمعا التسبيحَ (٤) .

ورُوِيَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « كمْ مِنْ أشعثَ أغبرَ ذي طمرينِ ، لا يؤبَهُ لهُ ، لو أقسمَ على اللهِ . . لأبرَّهُ » (٥) ، ولم يفرِّقْ بينَ شيءٍ وشيءٍ فيما يُقْسِمُ بهِ على اللهِ .

وهـٰذهِ الأخبارُ لشهرتِها أضربْنا عنْ ذكرِ أسانيدِها .

وحُكِيَ عنْ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ أنَّهُ قالَ : مَنْ زهدَ في الدنيا أربعينَ يوماً صادقاً مِنْ قلبِهِ مخلصاً في ذٰلكَ . . يظهرُ لهُ مِنَ الكراماتِ ، ومَنْ لمْ يظهرْ لهُ . . فلأنَّهُ عُدِمَ الصدقَ في زهدِهِ ، فقيلَ لسهلٍ : كيفَ تظهرُ لهُ الكرامةُ ؟ فقالَ : يأخذُ ما يشاءُ كما يشاءُ مِنْ حيثُ يشاءُ (٦) .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٩٧) ، ورواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٨١ ، ١٥٣١) مرفوعاً مع القصة ، وابن عساكر في « تاريخه » (١٧١/٣١) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (٤١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩٥/١٨) ، وفي الخبر كرامتان أخريان ؛ وهما : استقاؤه الماء في الصحراء فحصل ذٰلك ، ودفنه ثم غياب جسده حين احتفروا قبره خوف السباع .

(٣) الخبر في « اللمع » (ص ٣٩٧) ، وفيه وفي جميع النسخ غير (ل) : (عتاب بن بشير) بدل (عبَّاد بن بشر) ، والصواب ما أثبت ، وقد رواه ابن حبان في « صحيحه » (٢٠٣٠) ، والحاكم في « المستدرك » (٢٨٨/٣) .

(٤) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (١٧٢٩/٥) ، واللالكائي في « كرامات الأولياء » (٩٩) .

(٥) رواه الترمذي (٣٨٥٤) ، وأصله في « الصحيحين » من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٦) كذا في « اللمع » (ص ٣٩٠) .

أخبرَنـا عليُّ بـنُ أحمدَ بـنِ عبدانَ قـالَ : أخبرَنـا أحمدُ بنُ عبيـدٍ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا أبو مسـلمٍ قالَ : حدَّثَنا عمرُو بنُ مرزوقٍ قالَ : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ ابنُ أبي سـلمةَ الماجشـونُ قالَ : حدَّثَنا وهبُ بنُ كَيسـانَ ، عنِ ابنِ عُمَيرٍ[1] ، عنْ أبي هريرةَ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « بينا رجلٌ ذكرَ كلمةً . . إذْ سمعَ رعداً في سحابٍ ، فسمعَ صوتاً في السحابِ : أنِ اسقِ حديقةَ فلانٍ ، فجـاءَ ذٰلكَ السـحابُ إلىٰ شَـرْجَةٍ ، فأفـرغَ ماءَهُ فيهـا ، فاتَّبَعَ السـحابَ ، فإذا رجـلٌ قائـمٌ فـي حديقةٍ ، فقالَ : ما اسـمُكَ ؟ فقالَ : فلانُ بنُ فلانٍ ، باسـمِهِ ، قـالَ : فمـا تصنـعُ بحديقتِكَ هٰذهِ إذا صرمتَها ؟ قالَ : ولِمَ تسـألُ عنْ ذٰلكَ ؟ قـالَ : إنِّي سـمعتُ صوتاً في السـحابِ : أنِ اسـقِ حديقةَ فـلانٍ ، قالَ : أمَّا إذْ قلتَ . . فإنِّي أجعلُها أثلاثاً ؛ فأجعلُ لنفسـي وأهلي ثلثاً ، وأردُّ عليها ثلثاً ، وأجعلُ للمسـاكينِ وابنِ السبيلِ ثلثاً »[2] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : دخلْنا تُسْتَرَ ، فرأَينا في قصرِ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ بيتاً كانَ الناسُ يسمُّونَهُ بيتَ السَّبُعِ ، فسأَلْنا الناسَ عنْ ذٰلكَ ، فقالوا : كانَ السباعُ تجيءُ إلىٰ سهلٍ ، فكانَ يدخلُهُمْ هٰذا البيتَ ويضيفُهُمْ ويطعمُهُمُ اللحمَ ، ثمَّ يخليهِمْ .

قالَ أبو نصرٍ : ورأيتُ أهلَ تُسْتَرَ كلَّهُمْ متَّفقينَ علىٰ هٰذا لا ينكرونَهُ وهمُ الجمعُ الكثيرُ[3] .

سـمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بـنِ محمدٍ التميميَّ يقولُ : سـمعتُ عبدَ اللهِ بنَ علـيٍّ الصوفـيَّ يقولُ : سـمعتُ حمزةَ بنَ عبدِ اللهِ العلويَّ يقـولُ : دخلتُ علىٰ أبـي الخيـرِ التِّيناتيِّ ، وكنتُ أعتقدُ في نفسـي أنْ أسـلِّمَ عليهِ وأخرجَ ولا آكلَ عندَهُ طعاماً ، فلمَّا خرجتُ مِنْ عندِهِ ومشَـيتُ قدراً . . فإذا بهِ يأتي خلفي وقدْ

---

(١) هو عبيد بن عمير الليثي ، ووقع في (أ ، ج ، ي) : (ابن عمر) .
(٢) ورواه مسلم (٢٩٨٤) ، والشرجة : مسيل الماء من المرتفع إلى السهل .
(٣) كذا في « اللمع » (ص ٣٩١) .

حمـلَ طبقـاً عليـهِ طعامٌ ، فقالَ : يا فتـىٰ ؛ كُلْ هـٰذا ، فقدْ خرجتَ السـاعةَ مِنِ اعتقادِكَ[1] .

وأبو الخيرِ التِّيناتيُّ مشهورٌ بالكراماتِ .

حُكِيَ عنْ إبراهيمَ الرَّقِّيِّ أنَّهُ قالَ : قصدتُهُ مسلِّماً ، فصلَّىٰ صلاةَ المغربِ فلمْ يقرأْ الفاتحةَ مستوياً ، فقلتُ في نفسي : ضاعَتْ سفرتي ، فلمَّا سلَّمْتُ . . خرجتُ للطهارةِ ، فقصدَني السَّبُعُ ، فعُدتُ إليهِ وقلتُ : إنَّ الأسدَ قصدَني ، فخرجَ وصاحَ على الأسدِ وقالَ : ألمْ أقلْ لكَ لا تتعرَّضْ لضيفاني ؟!

فتنحَّىٰ ، وتطهَّرتُ ، فلمَّا رجعتُ . . قالَ : اشتغلتُمْ بتقويمِ الظواهرِ فخِفتُمُ الأسدَ ، واشتغلْنا بتقويمِ القلبِ فخافَنا الأسدُ[2] .

وقيـلَ : كان لجعفـرٍ الخُلْديِّ فَـصٌّ ، فوقعَ يوماً في دجلـةَ ، وكانَ عندَهُ دعـاءٌ مجرَّبٌ للضَّالَّـةِ تردُّ ، فدعا بهِ ، فوجـدَ الفَصَّ في وسـطِ أوراقٍ كانَ يتصفَّحُها .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : إنَّ ذٰلكَ الدعاءَ : يا جامعَ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيهِ ؛ اجمعْ عليَّ ضالَّتي .

قالَ أبو نصرٍ : أراني أبو الطيبِ العَكِّيُّ جزءاً ذكرَ فيهِ مَنْ ذكرَ هـٰذا الدعاءَ علىٰ ضالَّةٍ فوجدَها ، فكانَ الجزءُ أوراقاً كثيرةً[3] .

سألتُ أحمدَ الطَّابَرانيَّ السَّرَخْسيَّ رحمَهُ اللهُ[4] ، فقلتُ لهُ : هلْ ظهرَ لكَ شيءٌ مِنَ الكراماتِ ؟ فقالَ : في وقتِ إرادتي وابتداءِ أمري ربَّما كنتُ أطلبُ حجراً أستنجي بهِ ، فلمْ أجدْ ، فتناولتُ شيئاً مِنَ الهواءِ ، فكانَ جوهراً ، فاستنجيتُ بهِ وطرحتُهُ .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٣٩٢) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (١٦٧/٦٦) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٣٩١) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .

(٤) الطابراني : نسبة إلىٰ طابران ، أحد شقي طوس ، وفي (ب) : (الطبراني) .

ثمَّ قالَ : وأيُّ خطرٍ للكراماتِ ؟! إنَّما المقصودُ منهُ زيادةُ اليقينِ في التوحيدِ ، فمَنْ لا يشهدُ غيرَهُ موجوداً في الكونِ[1] . . فسواءٌ أبصرَ فعلاً معتاداً أوْ ناقضاً للعادةِ .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ البصريَّ يقولُ : كانَ بعبَّادانَ رجلٌ أسودُ فقيرٌ يأوي الخراباتِ[2] ، فحملتُ معي شيئاً وطلبتُهُ[3] ، فلمَّا وقعتْ عينُهُ عليَّ . . تبسَّمَ ، وأشارَ بيدِهِ إلى الأرضِ ، فرأيتُ الأرضَ كلَّها ذهباً يلمعُ ! ثمَّ قالَ : هاتِ ما معَكَ ، فناولتُهُ ، وهالَني أمرُهُ ، وهربتُ[4] .

سمعتُ منصوراً المغربيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ الرُّوذْباريَّ يقولُ : كانَ فيَّ استقصاءٌ في أمرِ الطهارةِ ، فضاقَ صدري ليلةً لكثرةِ ما صببتُ مِنَ الماءِ ولمْ يسكنْ قلبي ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ عفوَكَ عفوَكَ ، فسمعتُ هاتفاً يقولُ : العفوُ في العلمِ ، فزالَ عنِّي ذٰلكَ[5] .

سمعتُ منصوراً المغربيَّ يقولُ : فرأيتُهُ يوماً يقعدُ على الأرضِ في الصحراءِ ، وكانَ عليها آثارُ الغنَمِ بلا سَجادةٍ ، فقلتُ : أيُّها الشيخُ ؛ هٰذهِ آثارُ الغنَمِ ! فقالَ : اختلفَ الفقهاءُ فيهِ[6] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الخوَّاصَ يقولُ : كنتُ راكباً حماراً يوماً ، وكانَ الذبابُ يؤذيهِ ، فيطأطِئُ رأسَهُ ، فكنتُ أضربُ

---

(١) في (ج ، ح ، ي) : (موجِداً) بدل (موجوداً) ، وكلاهما مناسب .

(٢) كذا في أكثر النسخ والأصل المنقول عنه ، يقال : أويتُ فلاناً ؛ بمعنىٰ : أويت إليه ، وهي لغة فصيحة ، وانظر « تاج العروس » (أ و ىٰ) ، وفي (ج ، ي ، ل) : (يأوي إلى الخرابات) .

(٣) يعني : شيئاً من طعام شفقةً عليه .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٣٩١) ، وأبو الحسن البصري هنا : هو ابن سالم تلميذ التستري .

(٥) كذا في « اللمع » (ص ٣٩١) ، والعفو في العلم ؛ أي : في اتباعه يكفى الوسوسة .

(٦) أراد بآثار الغنم بعرَها ونحوه ، وقد ذهب إلىٰ طهارته السادة المالكية والحنابلة ، والمراد من الخبر : ذهاب الوسواس عنه ، حتىٰ غلب عليه التوسُّع فيما وسَّع الشارع فيه .

رأسَهُ بخشبةٍ في يدي ، فرفعَ الحمارُ رأسَهُ وقالَ : اضربْ ؛ فإنَّكَ علىٰ رأسِكَ هوَ ذا تضربُ[1] .

قالَ الحسينُ : فقلتُ لأبي سليمانَ : لكَ وقعَ هـٰذا ؟! فقالَ : نعمْ ؛ كما تسمعُني .

وذكرَ[2] عنِ ابنِ عطاءٍ أنَّهُ قالَ : سمعتُ أبا الحسينِ النُّوريَّ يقولُ : كانَ في نفسي شيءٌ مِنْ هـٰذهِ الكراماتِ ، فأخذتُ قصبةً مِنَ الصبيانِ وقمتُ بينَ زورقينِ ، ثمَّ قلتُ : وعزَّتِكَ ؛ لئِنْ لمْ تُخرِجْ لي سمكةً فيها ثلاثةُ أرطالٍ . . لأغرقَنَّ نفسي ، قالَ : فأخرجَ لي سمكةً فيها ثلاثةُ أرطالٍ .

فبلغَ ذٰلكَ الجنيدَ ، فقالَ : كانَ حكمُهُ أنْ تخرجَ لهُ أفعىٰ تلدغُهُ[3] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : سمعتُ أبا الفتحِ يوسفَ بنَ عمرَ الزاهدَ القوَّاسَ ببغدادَ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عطيةَ قالَ : حدَّثَنا عبدُ الكبيرِ بنُ أحمدَ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ الصائغَ قالَ : سمعتُ أبا جعفرٍ الحدَّادَ أستاذَ الجنيدِ قالَ : كنتُ بمكَّةَ ، فطالَ شَعَري ، ولمْ يكنْ معي قطعةٌ آخذُ شَعَري[4] ، فتقدَّمتُ إلىٰ مُزيِّنٍ توسَّمْتُ فيهِ الخيرَ وقلتُ : تأخذُ شَعَري للهِ ؟ فقالَ : نعمْ وكرامةً ، وكانَ بينَ يديهِ رجلٌ من أبناءِ الدنيا ، فصرفَهُ وأجلسَني ، وحلقَ شَعَري ، ثم دفعَ إليَّ قرطاساً فيهِ دراهمُ وقالَ : استعنْ بها علىٰ بعضِ حوائِجِكَ ، فأخذتُها واعتقدتُ أنْ أدفعَ إليهِ أوَّلَ شيءٍ يفتحُ عليَّ .

قالَ : فدخلتُ المسجدَ ، فاستقبلَني بعضُ إخواني وقالَ : جاءَ بعضُ إخوانِكَ بصُرَّةٍ مِنَ البصرةِ مِنْ بعضِ إخوانِكَ فيها ثلاثُ مئةِ دينارٍ .

قالَ : فأخذتُ الصُرَّةَ وحملتُها إلى المزيِّنِ وقلتُ : هـٰذهِ ثلاثُ مئةِ دينارٍ

---

(١) أي : فإنك تجازىٰ بما تعمل . « إحكام الدلالة » (١٦٨/٤) ، والخبر في « اللمع » (ص ٣٩١) .

(٢) أي : السراج الطوسي في « اللمع » (ص ٤٠٣) .

(٣) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥١/١٠) ، قال السراج : (يعني : لو لدغته حية كان أنفع له في دينه من ذٰلك ؛ لأن في ذٰلك فتنة ، وفي لدغ الحية تطهير وكفارة) .

(٤) في (ي) : (ولم يكن معي قطعة من حديد آخذ بها شعري) .

تصرفُها في بعضِ أمورِكَ ، فقالَ لي : ألا تستحيي يا شيخُ ؟! تقولُ لي : احلقْ شَعَري للهِ ثمَّ آخذُ عليهِ شيئاً ؟! انصرفْ عافاكَ اللهُ[1] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ ابنَ سالمٍ يقولُ : لمَّا ماتَ إسحاقُ بنُ أحمدَ . . دخلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ صومعتَهُ ، فوجدَ فيها سَفَطاً فيهِ قارورتانِ ؛ في واحدةٍ منهما شيءٌ أحمرُ ، وفي الأخرىٰ شيءٌ أبيضُ ، ووجدَ شوشقةَ ذهبٍ وشوشقةَ فضةٍ[2] ، قالَ : فرمىٰ بالشوشقتينِ في الدجلةِ ، وخلطَ ما في القارورتين بالترابِ .

وكانَ علىٰ إسحاقَ دينٌ ، قالَ ابنُ سالمٍ : قالَ أبي : قلتُ لسهلٍ : أيْشٍ كانَ في القارورتينِ ؟ قالَ : إحداهُما لوْ طُرِحَ منهُ وزنُ درهمٍ علىٰ مثاقيلَ مِنَ النحاسِ . . صارَ ذهباً ، والآخرُ لو طُرِحَ منهُ مثقالٌ علىٰ مثاقيلَ مِنَ النحاسِ . . صارَ فضةً .

فقلتُ : وأيْشٍ عليهِ لوْ قضىٰ منهُ دينَهُ ؟

فقالَ : أيْ دُوسْت ؛ خافَ علىٰ إيمانِهِ[3] .

وحُكِيَ عنِ النوريِّ أنَّهُ خرجَ ليلةً إلىٰ شطِّ الدجلةِ فوجدَها وقدِ التزقَ الشطَّانِ ، فانصرفَ وقالَ : وعزَّتِكَ لا أجوزُها إلَّا في زورقٍ[4] .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : أملىٰ علينا الوَجِيهيُّ حكايةً عنْ محمدِ بنِ يوسفَ البنَّاءِ قالَ : كانَ أبو ترابٍ النَّخْشبيُّ صاحبَ كراماتٍ ، فسافرتُ معَهُ سنةً ، وكانَ معَهُ أربعونَ نفساً ، ثمَّ أصابتْنا مرَّةً فاقةٌ ، فعدلَ أبو ترابٍ عنِ الطريقِ ، وجاءَ بعذقِ موزٍ ، فتناولْنا وفينا شابٌّ فلمْ يأكلْ ، فقالَ لهُ أبو ترابٍ : كُلْ ، فقالَ : الحالُ التي اعتقدتُها

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/١١٦) ، وفي هامش (ل) : (بلغ) .

(٢) الشوشقة : القطعة ، وانظر « إحكام الدلالة » (٤/١٦٨) .

(٣) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٢) ، وقوله : (أي دوست) يعني : أيُّها المحبُّ .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٤٠١) ، وإنما قال ذلك : تأدُّباً واعترافاً بتوالي نِعم الله عليه في كل خارق . « إحكام الدلالة » (٤/١٦٨) .

تركُ المعلوماتِ ، وصرتَ أنتَ معلومي ، فلا أصحبُكَ بعدَ هٰذا .

فقالَ أبو ترابٍ : كُنْ معَ ما وقعَ لكَ (١) .

وحكىٰ أبو نصرٍ السرَّاجُ عنْ أبي يزيدَ قالَ : دخلَ عليَّ أبو عليٍّ السِّنديُّ ـ وكانَ أستاذَهُ ـ وبيدِهِ جِرابٌ ، فصبَّها ، فإذا هيَ جواهرُ ، فقلتُ : مِنْ أينَ لكَ هٰذا ؟ فقالَ : وافَيتُ وادياً ها هنا ، فإذا هوَ يضيءُ كالسراجِ ، فحملتُ هٰذا .

فقلتُ : كيفَ كانَ وقتُكَ الذي وردتَ الواديَ ؟

فقالَ : وقتَ فترةٍ عنِ الحالِ التي كنتُ فيها (٢) .

وقيلَ لأبي يزيدَ : فلانٌ يمشي في ليلةٍ إلىٰ مكةَ !

فقالَ : الشيطانُ يمشي في ساعةٍ مِنَ المشرقِ إلى المغربِ في لعنةِ اللهِ .

وقيلَ لهُ : فلانٌ يمشي على الماءِ !

فقالَ : الطيرُ يطيرُ في الهواءِ ، والسمكُ يمرُّ على الماءِ (٣) .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (أكبرُ الكراماتِ : أنْ تُبدِّلَ خُلُقاً مذموماً مِنْ أخلاقِكَ) (٤) .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ محمدٍ التميميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ سالمٍ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : كانَ رجلٌ يُقالُ لهُ عبدُ الرحمٰنِ بنُ أحمدَ يصحبُ سهلَ بنَ عبدِ اللهِ ، فقالَ لهُ يوماً : ربَّما أتوضَّأُ للصلاةِ فيسيلُ الماءُ بينَ يديَّ قضبانَ ذهبٍ وفضةٍ !

فقالَ سهلٌ : أما علمتَ أنَّ الصبيانَ إذا بكَوا . . يُعطَوْنَ خَشْخاشةً ليشتغلوا بها ؟! (٥) .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٤٠١) .
(٢) كذا في « اللمع » (ص ٤٠١) ، وقال : (والمعنىٰ : أن في وقت فترته شغلوه بالجواهر) .
(٣) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٠) .
(٤) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٠) وفيه : (أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود) .
(٥) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٠) ، وزاد : (فانظرْ أَيْشٍ هو ذا تعمل) .

سمعتُ أبا حاتِمٍ السِّجِسْتانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا نصرٍ السرَّاجَ يقولُ : أخبرَني جعفرُ بنُ محمدٍ قالَ : حدَّثني الجنيدُ قالَ : دخلتُ على السريِّ يوماً ، فقالَ لي : عُصفورٌ كانَ يجيءُ كلَّ يومٍ ، فأفتُّ لهُ الخبزَ ، فيأكلُ مِنْ يدي ، فنزلَ وقتاً مِنَ الأوقاتِ ، فلمْ يسقطْ علىٰ يدي ، فتذكَّرتُ في نفسي : أيْشٍ السببُ ؟ فذكرتُ أنِّي أكلتُ ملحاً بأَبزارٍ ، فقلتُ في نفسي : لا آكلُ بعدَها ، وأنا تائبٌ منهُ ، فسقطَ علىٰ يدي وأكلَ (١) .

وحكىٰ أبو عمرَ الأَنْماطيُّ قالَ : كنتُ معَ أستاذي في الباديةِ ، فأخذَنا المطرُ ، فدخلْنا مسجداً نستكِنُّ فيهِ ، وكانَ السقفُ يكِفُ ، فصعِدْنا السطحَ ومعَنا خشبةٌ نريدُ إصلاحَ السقفِ ، فقصرَ الخشبُ عنِ الجدارِ ، فقالَ أستاذي : مُدَّها ، فمددتُها ، فركبتِ الحائطَ مِنْ ها هنا ومِنْ ها هنا ! (٢) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ النجَّارَ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الزَّقَّاقَ يقولُ : كنتُ مارّاً في تيهِ بني إسرائيلَ ، فخطرَ ببالي أنَّ علمَ الحقيقةِ مباينٌ للشريعةِ ، فهتفَ بي هاتفٌ مِنْ تحتِ شجرةٍ : كلُّ حقيقةٍ لا تتبعُها الشريعةُ . . فهيَ كفرٌ (٣) .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ عندَ خيرٍ النسَّاجِ ، فجاءَهُ رجلٌ وقالَ : أيُّها الشيخُ ؛ رأيتُكَ يومَ أمسِ وقدْ بعتَ الغزلَ بدرهمينِ ، فجئتُ خلفَكَ ، فحللتُهما مِنْ طرفِ إزارِكَ وقدْ صارَتْ يدي منقبضةً علىٰ كفِّي ! قالَ : فضحكَ خيرٌ وأومأَ بيدِهِ إلىٰ يدِهِ ، ففتحَها ، ثمَّ قالَ : امضِ واشترِ بهما لعيالِكَ شيئاً ، ولا تعدْ لمثلِهِ (٤) .

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٤) .

(٢) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٥) .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (١٧٢٢) ، وفي بعض النسخ : (الدقاق) بدل (الزقاق) ، والصواب المثبت .

(٤) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٥) ، وحاصل الخبر : أن هٰذا الرجل أخذ مال خيرٍ دون علمه ، فجعل الله يده جموداً لا تفتح ، فتاب وجاء خيراً فأخبره ، فردَّها كما كانت ، وأمره بعدم العودة لمثل هٰذا الفعل .

وحُكِيَ عنْ أحمدَ بنِ محمدِ السلميّ قالَ : دخلتُ علىٰ ذي النونِ المصريِّ يوماً ، فرأيتُ بينَ يديهِ طَستاً مِنْ ذهبٍ ، وحولَهُ النَّدُّ والعنبرُ يُسجَرُ ، فقالَ لي : أنتَ ممَّنْ يدخلُ على الملوكِ في حالِ بسطِهِمْ ، ثمَّ أعطاني درهماً ، فأنفقتُ منهُ إلىٰ بلخَ (١) .

وحُكِيَ عنْ أبي سعيدِ الخرَّازِ قالَ : كنتُ في بعضِ أسفاري ، وكانَ يظهرُ لي كلَّ ثلاثةِ أيامٍ شيءٌ ، فكنتُ آكلُهُ وأستقلُّ ، فمضىٰ ثلاثةُ أيامٍ وقتاً مِنَ الأوقاتِ ولمْ يظهرْ شيءٌ ، فضعُفتُ وجلستُ ، فهتفَ بي هاتفٌ : أيُّما أحبُّ إليكَ : سببٌ أوْ قوةٌ ؟

فقلتُ : القوَّةُ ، فقمتُ مِنْ وقتي ، ومشَيتُ اثني عشرَ يوماً لمْ أذقْ شيئاً ولمْ أضعفْ (٢) .

وعنِ المرتعشِ قالَ : سمعتُ الخوَّاصَ يقولُ : تهتُ في الباديةِ أياماً ، فجاءَني شخصٌ وسلَّمَ عليَّ ، وقالَ لي : تهتَ ؟ فقلتُ : نعمْ ، فقالَ : ألا أدلُّكَ على الطريقِ ؟ ومشىٰ بينَ يدَيَّ خطواتٍ ثمَّ غابَ عنْ عيني ، وإذا أنا على الجادَّةِ ، فبعدَ ذٰلكَ ما تهتُ ولا أصابَني في سفرٍ جوعٌ ولا عطشٌ (٣) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عمرَ بنَ يحيى الأَرْدبيليَّ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ ابنَ الجَلَّا يقولُ : لمَّا ماتَ أبي . . ضحكَ على المغتسلِ ، فلمْ يجسُرْ أحدٌ يغسلُهُ ، وقالوا : إنَّهُ حيٌّ ، حتَّىٰ جاءَ واحدٌ مِنْ أترابِهِ وغسَّلَهُ .

سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ التميميَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ عليّ يقولُ : سمعتُ طلحةَ الغَضائريَّ يقولُ : سمعتُ المفتاحيَّ صاحبَ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ

---

(١) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٥) .
(٢) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٥) ، وأستقلُّ : أكتفي به .
(٣) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٤) .

قالَ : كانَ سهلٌ يصبرُ عنِ الطعامِ سبعينَ يوماً ، وكانَ إذا أكلَ . . ضعُفَ ، وإذا جاعَ . . قويَ (١) .

وكانَ أبو عبيدٍ البُسريُّ إذا كانَ أوّلُ ليلةٍ مِنْ شهرِ رمضانَ . . يدخلُ بيتاً ويقولُ لامرأتِهِ : طيِّني عليَّ البابَ ، وألقي إليَّ كلَّ ليلةٍ مِنَ الكَوَّةِ رغيفاً ، فإذا كانَ يومُ العيدِ . . فُتِحَ البابُ ودخلَتِ امرأتُهُ البيتَ ، فإذا بثلاثينَ رغيفاً في زاويةِ البيتِ ، فلا أكلَ ولا شربَ ولا نامَ ، وما فاتتْهُ ركعةٌ مِنَ الصلاةِ (٢) .

وقالَ أبو الحارثِ الأولاسيُّ : (مكثتُ ثلاثينَ سنةً ما يسمعُ لساني إلَّا مِنْ سرِّي ، ثمَّ تغيَّرتِ الحالُ ، فمكثتُ ثلاثينَ سنةً لا يسمعُ سرِّي إلَّا مِنْ ربِّي) (٣) .

حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو الحسنِ غلامُ شعوانةَ قالَ : سمعتُ ابنَ سالمٍ يقولُ : كانَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ أصابتْهُ زَمانةٌ في آخرِ عمرِهِ ، فكانَ إذا حضرَ وقتُ الصلاةِ . . انتشرَ يداهُ ورجلاهُ ، فإذا فرغَ مِنَ الفرضِ . . عادَ إلىٰ حالِ الزَّمانةِ (٤) .

وحُكِيَ عنْ أبي عمرانَ الواسطيِّ قالَ : انكسرَتِ السفينةُ ، وبقِيتُ أنا وامرأتي علىٰ لوحٍ ، وقدْ ولدَتْ في تلكَ الحالةِ صبيَّةً ، فصاحَتْ بي وقالَتْ : يقتلُني العطشُ ، فقلتُ : هوَ ذا ، ترينَ حالَنا ! (٥) فرفعتُ رأسي ، فإذا رجلٌ في الهواءِ جالسٌ وفي يدِهِ سلسلةٌ مِنْ ذهبٍ وفيها كوزٌ مِنْ ياقوتٍ أحمرَ ، وقالَ : هاكَ اشربا ، قالَ : فأخذتُ الكوزَ وشربْنا منهُ ، وإذا هوَ أطيبُ مِنَ المسكِ ، وأبردُ مِنَ الثلجِ ، وأحلىٰ مِنَ العسلِ .

---

(١) تقدم (ص ٣٧٤) ، ورواه السراج في « اللمع » (ص ٤٠٦) ، وفي (د) : (المفتحي) بدل (المفتاحي) .
(٢) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٦) ، ويُحمل تركه للجمعة بكونه معذوراً ؛ كأن كان في غير مصر مثلاً ، وطلبه للأرغفة لتسكين قلب الزوجة .
(٣) كذا في « اللمع » (ص ٤٠٦) .
(٤) وروي هـٰذا عن عبد الواحد بن زيد أيضاً كما في « القوت » (٢٣/٢) ، وفي هامش (أ) : (بلغ) .
(٥) قوله : (هو ذا) أي : ربنا يرانا ، (ترين حالنا) عرّفها بقلة حيلته . انظر « إحكام الدلالة » (١٧٢/٤) ، وفيه أيضاً (يرىٰ) بدل (ترين) وهو ظاهر .

فقلتُ : مَنْ أنتَ رحمَكَ اللهُ ؟ فقالَ : عبدٌ لمولاكَ ، فقلتُ : بِمَ وصلتَ إلىٰ هٰذا ؟ فقالَ : تركتُ هوايَ لمرضاتِهِ ، فأجلسَني في الهواءِ ، ثمَّ غابَ عنِّي ولمْ أرَهُ (١) .

أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا بكرانُ بنُ أحمدَ الجيليُّ قالَ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ : رأيتُ شاباً عندَ الكعبةِ يكثرُ الركوعَ والسجودَ ، فدنَوتُ منهُ وقلتُ : إنَّكَ تكثرُ الصلاةَ ! فقالَ : أنتظرُ الإذنَ مِنْ ربِّي في الانصرافِ .

قالَ : فرأيتُ رُقعةً سقطَتْ عليهِ مكتوبٌ فيها : مِنَ العزيزِ الغفورِ إلىٰ عبدي الصادقِ : انصرفْ مغفوراً لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ وما تأخَّرَ .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ بمدينةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نتجارىٰ في الآياتِ (٢) ورجلٌ ضريرٌ بالقربِ منَّا يسمعُ ، فتقدَّمَ إلينا وقالَ : أنستُ بكلامِكُمْ ، اعلموا أنَّهُ كانَ لي صبيةٌ وعيالٌ ، وكنتُ أخرجُ إلى البقيعِ أحتطبُ ، فخرجتُ يوماً فرأيتُ شاباً عليهِ قميصُ كتَّانٍ ونعلُهُ في إصبعِهِ ، فتوهَّمتُ أنَّهُ تائهٌ ، فقصدتُهُ أسلبُ ثوبَهُ ، فقلتُ لهُ : انزعْ ما عليكَ ، فقالَ : مُرَّ في حفظِ اللهِ ، فقلتُ الثانيةَ والثالثةَ ، فقالَ : لا بدَّ ؟ فقلتُ : لا بدَّ ، فأشارَ بإصبعيهِ مِنْ بعيدٍ إلىٰ عينيَّ ، فسقطَتا ، فقلتُ : باللهِ عليكَ ؛ مَنْ أنتَ ؟ فقالَ : إبراهيمُ الخوَّاصُ (٣) .

وقالَ ذو النونِ المصريُّ : كنتُ وقتاً في السفينةِ ، فسُرقَتْ قطيفةٌ ، فاتهموا رجلاً ، فقلتُ : دعوهُ حتَّىٰ أرفُقَ بهِ ، وإذا الشابُّ نائمٌ في عباءةٍ ، فأخرجَ رأسَهُ مِنَ العباءةِ ، فقالَ لهُ ذو النونِ في ذٰلكَ المعنىٰ ، فقالَ : ألي تقولُ ؟! أقسمتُ عليكَ يا ربِّ ؛ ألَّا تدعَ واحداً مِنَ الحيتانِ إلَّا جاءَ بجوهرٍ ، قالَ : فرأينا

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٤٩) ، ورواه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٤١) عن حذيفة المرعشي .
(٢) يعني : نتحاكىٰ كرامات الأولياء . « إحكام الدلالة » (٤/١٧٢) .
(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٨) .

وجهَ الماءِ حيتاناً في أفواهِهِنَّ الجواهرُ ، ثمَّ ألقىٰ نفسَهُ في البحرِ ومرَّ إلى الساحلِ [1] .

وحُكِيَ عنْ إبراهيمَ الخوَّاصِ قالَ : دخلتُ الباديةَ مرَّةً ، فرأَيتُ نصرانياً علىٰ وسطِهِ زُنارٌ ، فسألَني الصحبةَ ، فمشَينا سبعةَ أيامٍ ، فقالَ لي : يا راهبَ الحنيفيةِ ؛ هاتِ ما عندَكَ مِنَ الانبساطِ ، فقدْ جُعْنا .

فقلتُ : إلٰهي ؛ لا تفضحْني في هٰذا الكافرِ ، فرأَيتُ طبقاً عليهِ خبزٌ وشواءٌ ورُطَبٌ وكوزُ ماءٍ ، فأكلْنا وشربْنا ومشَينا سبعةَ أيامٍ .

ثمَّ بادرتُ وقلتُ : يا راهبَ النصارىٰ ؛ هاتِ ما عندَكَ ؛ فقدِ انتهَتِ النوبةُ إليكَ ، فاتَّكأَ علىٰ عصاهُ ودعا ، فإذا بطبقينِ عليهما أضعافُ ما كانَ علىٰ طبقي ، فتحيَّرتُ وتغيَّرتُ ، وأبيتُ أنْ آكلَ ، فألحَّ عليَّ ، فلمْ أجبْهُ .

فقالَ : كُلْ ؛ فإنِّي أبشِّرُكَ ببشارتينِ : إحداهُما : أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ، وحلَّ الزُّنَّارَ ، والأخرىٰ : أنِّي قلتُ : اللهمَّ ؛ إنْ كانَ لهٰذا العبدِ خطرٌ عندَكَ . . فافتحْ عليَّ بهٰذا ، ففتحَ ، قالَ : فأكلْنا ومشَينا وحجَّ ، وأقمْنا بمكَّةَ سنةً ، ثمَّ إنَّهُ ماتَ فدُفنَ بالبطحاءِ [2] .

وقالَ محمدُ بنُ المباركِ الصوريُّ : كنتُ معَ إبراهيمَ بنِ أدهمَ في طريقِ بيتِ المقدسِ ، فنزلْنا وقتَ القيلولةِ تحتَ شجرةِ رُمَّانٍ ، فصلَّينا ركعاتٍ ، فسمعتُ صوتاً مِنْ أصلِ الرُّمَّانِ : يا أبا إسحاقَ ؛ أكرمْنا بأنْ تأكلَ منَّا شيئاً ، فطأطأَ إبراهيمُ رأسَهُ ، فقالَ ثلاثَ مرَّاتٍ [3] ، ثمَّ قالَ : يا محمدُ ؛ كنْ شفيعاً إليهِ ليتناولَ منَّا شيئاً ، فقلتُ : يا أبا إسحاقَ ؛ لقدْ سمعتَ ، فقامَ وأخذَ رُمَّانتينِ ، فأكلَ واحدةً وناولَني الأخرىٰ ، فأكلتُها وهيَ حامضةٌ ، وكانَتْ شجرةً قصيرةً .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٤) ، والقطيفة : ثوب مربع سميك له خَمَلٌ .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٥) ، وفي هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .

(٣) يعني : فقال كلٌّ منهما ذٰلك ثلاث مرات ، وقال في الثاني بمعنىٰ : فعل . « إحكام الدلالة » (١٧٣/٤) .

فلمَّا رجعْنا . . مررْنا بها ، فإذا هيَ شجرةٌ عاليةٌ ورُمَّانُها حلوٌ ، وهيَ تثمرُ في كلِّ عامٍ مرَّتينِ ، وسمَّوْها رُمَّانَ العابدينَ ، ويأوي إلىٰ ظلِّها العابدونَ (١) .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الفَرُّخانِ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الخصَّافَ يقولُ : حدَّثني جابرٌ الرحبيُّ قالَ : أكثرَ أهلُ الرحبةِ عليَّ الإنكارَ في بابِ الكراماتِ ، فركبتُ السبعَ يوماً ودخلتُ الرحبةَ ، وقلتُ : أينَ الذين يكذِّبونَ أولياءَ اللهِ ؟ قالَ : فكفُّوا بعدَ ذلكَ عنِّي (٢) .

سمعتُ منصوراً المغربيَّ يقولُ : رأىٰ بعضُهُمُ الخضرَ عليهِ السلامُ ، فقالَ لهُ : هلْ رأيتَ فوقَكَ أحداً ؟ فقالَ : نعمْ ؛ كانَ عبدُ الرزاقِ يروي الأحاديثَ بالمدينةِ والناسُ حولَهُ يسمعونَ ، فرأيتُ شاباً بالبعدِ منهُمْ رأسُهُ علىٰ ركبتِهِ ، فقلتُ لهُ : هـٰذا عبدُ الرزَّاقِ يروي أحاديثَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فلِمَ لا تسمعُ منهُ ؟ فقالَ : إنَّهُ يروي عنْ ميِّتٍ وأنا لستُ بغائبٍ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

فقلتُ لهُ : إنْ كنتَ كما تقولُ . . فمَنْ أنا ؟ فرفعَ رأسَهُ وقالَ : أخي أبو العبَّاسِ الخضرُ ، فعلمتُ أنَّ للهِ عباداً لمْ أعرفْهُمْ .

وقيلَ : كانَ لإبراهيمَ بنِ أدهمَ صاحبٌ يُقالُ لهُ : يحيىٰ (٣) ، يتعبَّدُ في غرفةٍ ليسَ إليها سلَّمٌ ولا درجٌ ، فكانَ إذا أرادَ أنْ يتطهَّرَ . . يجيءُ إلىٰ بابِ الغرفةِ ويقولُ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، ويمرُّ في الهواءِ كأنَّهُ طيرٌ ، ثمَّ يتطهَّرُ ، فإذا فرغَ . . يقولُ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، ويعودُ إلىٰ غرفتِهِ (٤) .

أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : سمعتُ عمرَ بنَ محمدِ بنِ أحمدَ الشِّيرازيَّ بالبصرةِ قالَ : سمعتُ أبا محمدٍ جعفراً الحذَّاءَ بشيرازَ قالَ :

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٦) .

(٢) ورواه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (١٦٨/٤) .

(٣) في (ج) : (يحيى بن سعيد) .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥١) .

كنتُ أتأدَّبُ بأبـي [عمرانَ] الإصطخريِّ ، فكانَ إذا خطرَ لي خاطرٌ . . أخرجُ إلىٰ إصطخرَ ، فربَّما أجابَني عمَّا أحتاجُ إليهِ مِنْ غيرِ أنْ أسألَهُ ، وربَّما سألتُ فأجابَني ، ثمَّ شُغلتُ عنِ الذهابِ ، فكان إذا خطرَ علىٰ سرِّي مسألةٌ . . أجابَني مِنْ إصطخرَ ، فيخاطبُني بما يردُ عليَّ .

وحكىٰ بعضُهُمْ قالَ : ماتَ فقيرٌ في بيتٍ مظلمٍ ، فلمَّا أردْنا غسلَهُ . . تكلَّفْنا في طلبِ سراجٍ ، فوقعَ مِنْ كوَّةٍ ضوءٌ ، فأضاءَ البيتَ ، فغسَّلْناهُ ، فلمَّا فرغْنا . . ذهبَ الضوءُ كأنَّهُ لمْ يكنْ (١) .

وعنْ آدمَ بنِ أبي إياسٍ قالَ : كنَّا بعسقلانَ وشابٌّ يغشانا ويجالسُنا ويحدِّثُ معَنا ، فإذا فرغْنا . . قامَ إلى الصلاةِ يصلِّي .

قـالَ : فودَّعَني يوماً وقـالَ : أريدُ الإسـكندريةَ ، فخرجتُ معَـهُ وناولتُهُ دريهماتٍ ، فأبىٰ أنْ يأخذَ ، فألححتُ عليهِ ، فألقىٰ كفّاً مِنَ الرملِ في ركوتِهِ ، واستقىٰ مِنْ ماءِ البحرِ ، وقالَ : كُلْهُ ، فنظرتُ فإذا هوَ سويقٌ بسكَّرٍ ! فقالَ : مَنْ كانَ حالُهُ معَهُ مثلَ هـٰذا . . يحتاجُ إلىٰ دراهمِكَ ؟!

ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الطويل]

بِحَقِّ ٱلْهَوَىٰ يَـا أَهْـلَ وُدِّي تَفَهَّمُـوا ... لِسَـانَ وُجُـودٍ لِلْوُجُـودِ غَرِيـبُ
حَـرَامٌ عَلَـىٰ قَلْـبٍ تَعَـرَّضَ لِلْهَـوَىٰ ... يَكُـونُ لِغَيْـرِ ٱلْحَـقِّ فِيـهِ نَصِيـبُ

ولغيرِهِ : [من الخفيف]

لَيْسَ فِـي ٱلْقَلْـبِ وَٱلْفُـؤَادِ جَمِيعـاً ... مَوْضِـعٌ فَـارِغٌ يَـرَاهُ ٱلْحَبِيـبُ
هُـوَ سُـؤْلِي وَهِمَّتِـي وَحَبِيبِـي ... وَبِـهِ مَـا حَيِيـتُ عَيْشِـي يَطِيـبُ
فَـإِذَا مَـا ٱلسَّـقَامُ حَـلَّ بِقَلْبِـي ... لَـمْ يَكُـنْ غَيْـرَهُ لِسُـقْمِي طَبِيـبُ (٢)

وحُكِيَ عنْ إبراهيمَ الآجُرِّيِّ قالَ : جاءَني يهوديٌّ يتقاضىٰ عليَّ في دينٍ

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٢) .

(٢) كذا وقع الخبر في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٢) ، وفيه وفي (أ ، ب ، ج ، و ، ز) : (لغير) بدل (يراه) في البيت الأول ؛ وعليه يكون في البيت إقواء .

كانَ لهُ عليَّ وأنا قاعدٌ عندَ الأتونِ أُوقدُ تحتَ الآجرِّ ، فقالَ ليَ اليهوديُّ : يا إبراهيمُ ؛ أرِني آيةً أسلمُ ، فقلتُ : أتفعلُ ؟ فقالَ : نعمْ .

فقلتُ : انزعْ ثوبَكَ ، فنزعَ ، فلففتُهُ ولففتُ علىٰ ثوبِهِ ثوبي ، وطرحتُهُ في النارِ ، ثمَّ دخلتُ الأتونَ وأخرجتُ الثوبَ مِنْ وسطِ النارِ وخرجتُ مِنَ البابِ الآخرِ ، فإذا ثيابي بحالِها لمْ يصبْها شيءٌ وثيابُهُ في وسطِها صارَتْ حراقةً ، فأسلمَ اليهوديُّ [1] .

وقيلَ : كانَ حبيبٌ العجميُّ يُرىٰ بالبصرةِ يومَ الترويةِ ، ويومَ عرفةَ بعرفاتٍ ! [2] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الفَرْغانيَّ يقولُ : تزوَّجَ عبَّاسُ بنُ المهتدي امرأةً ، فلمَّا كانَتْ ليلةُ الدخولِ . . وقعَ عليهِ ندامةٌ ، فلمَّا أرادَ الدنوَّ منها . . زُجِرَ عنها ، فامتنعَ مِنْ وطئِها وخرجَ ، فبعدَ ثلاثةِ أيامٍ ظهرَ لها زوجٌ [3] .

قالَ الأستاذُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : هـٰذا هوَ الكرامةُ على الحقيقةِ ؛ حيثُ حُفِظَ عليهِ العلمُ .

وقيلَ : كانَ الفضيلُ بنُ عياضٍ علىٰ جبلٍ مِنْ جبالِ مِنىً ، فقالَ : لوْ أنَّ وليّاً مِنْ أولياءِ اللهِ أمرَ هـٰذا الجبلَ أنْ يميدَ . . لمادَ ، قالَ : فتحرَّكَ الجبلُ ، فقالَ : اسكنْ ، لمْ أردْكَ بهـٰذا ، فسكنَ الجبلُ [4] .

وقالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ لأبي عاصمٍ البصريِّ : كيفَ صنعتَ حينَ طلبَكَ الحجَّاجُ ؟ قالَ : كنتُ في غرفتي ، فدقُّوا عليَّ البابَ ، فدخلوا ، فدفعتُ بي دفعةً ، فإذا أنا علىٰ أبي قُبيسٍ بمكَّةَ .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٣) .
(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٧) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٥٤/٦) .
(٣) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٤٣٤/٢٦) بإسقاط محمد الصوفي .
(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٧) ، ورواه اللالكائي في « كرامات الأولياء » (١٣٤) .

فقالَ لهُ عبدُ الواحدِ : مِنْ أينَ كنتَ تأكلُ ؟ قالَ : كانَتْ تصعدُ إليَّ عجوزٌ كلَّ وقتِ إفطاري بالرغيفينِ اللذينِ كنتُ آكلُهما بالبصرةِ .

فقالَ عبدُ الواحدِ : تلكَ الدنيا ، أمرَها اللهُ تعالىٰ أنْ تخدمَ أبا عاصمٍ [١] .

وقيلَ : كانَ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ يأخذُ عطاءَهُ ولا يستقبلُهُ أحدٌ إلَّا أعطاهُ شيئاً ، فكانَ إذا أتىٰ منزلَهُ . . رمىٰ إليهِمْ بالدراهمِ [٢] ، فتكونُ بمقدارِ ما أخذَهُ لمْ ينقصْ [٣] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ الكبيرَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خَفيفٍ يقولُ : سمعتُ أبا عمرٍو الزجاجيَّ يقولُ : دخلتُ على الجنيدِ وكنتُ أريدُ أنْ أخرجَ إلى الحجِّ ، فأعطاني درهماً صحيحاً ، فشددتُهُ علىٰ مئزري ، فلمْ أدخلْ منزلاً إلَّا وجدتُ رِفْقاً ، ولم أحتجْ إلى الدرهمِ ، فلمَّا حججتُ ورجعتُ إلىٰ بغدادَ . . دخلتُ على الجنيدِ ، فمدَّ يدَهُ وقالَ : هاتِ ، فناولتُهُ الدرهمَ ، فقالَ : كيفَ كانَ ؟ فقلتُ : كانَ الحتمُ نافذاً [٤] .

وحُكِيَ عنْ أبي جعفرٍ الأعورِ قالَ : كنتُ عندَ ذي النونِ المصريِّ ، فتذاكرْنا حديثَ طاعةِ الأشياءِ للأولياءِ ، فقالَ ذو النونِ : مِنَ الطاعةِ أنْ أقولَ لهـٰذا السريرِ يدورُ في أربعِ زوايا البيتِ ثمَّ يرجعُ إلىٰ مكانِهِ . . فيفعلُ ، قالَ : فدارَ السريرُ في أربعِ زوايا البيتِ وعادَ إلىٰ مكانِهِ ، وكانَ هناكَ شابٌّ ، فأخذَ يبكي حتَّىٰ ماتَ في الوقتِ [٥] .

وقيلَ : إنَّ واصلاً الأحدبَ قرأ : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [٦] ، فقالَ :

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٧) .
(٢) في (ي) مشكولاً بقلم العلامة محمد المبارك : (رُمِيَ إليه بالدراهم) .
(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٧) .
(٤) يعني : كان الأمر ماضياً بحسن همَّتك وبركة دعائك . « إحكام الدلالة » (٤/١٧٥) ، وفي (ج) : (الختم) بدل (الحتم) وفيه استعارة لطيفة .
(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٧) .
(٦) سورة الذاريات : (٢٢) .

رزقي في السماءِ وأنا أطلبُهُ في الأرضِ ! واللهِ ؛ لا طلبتُهُ أبداً ، فدخلَ خربةً ، ومكثَ يومينِ فلمْ يظهرْ شيءٌ ، واشتدَّ عليهِ ، فلمَّا كانَ اليومُ الثالثُ . . إذا بدَوْخَلةٍ مِنْ رطبٍ .

وكانَ لهُ أخٌ أحسنُ منهُ نيةً ، فصارَ معَهُ ، فإذا قدْ صارَ دَوْخَلتينِ ، فلمْ يزلْ ذٰلكَ حالَهُما حتَّىٰ فرَّقَ بينَهُما الموتُ (١) .

وقالَ بعضُهُمْ : أشرفتُ علىٰ إبراهيمَ بنِ أدهمَ وهوَ في بستانٍ يحفظُهُ وقدْ أخذَهُ النومُ ، وإذا حيَّةٌ في فيها طاقةُ نرجسٍ تُروِّحُهُ بها (٢) .

وقيلَ : كانَ جماعةٌ معَ أيوبَ السختيانيِّ في السفرِ ، فأعياهُمْ طلبُ الماءِ ، فقالَ أيوبُ : أتسترونَ عليَّ ما عشتُ ؟ فقالوا : نعمْ ، فدوَّرَ دارةً ، فنبعَ الماءُ ، قالَ : فشربْنا ، قالَ : فلمَّا قدمْنا البصرةَ . . أخبرَ بهِ حمَّادُ بنُ زيدٍ ، فقالَ عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ : شهدتُ معَهُ ذٰلكَ اليومَ (٣) .

وقالَ بكرُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ : كنَّا معَ ذي النونِ المصريِّ في الباديةِ ، فنزلْنا تحتَ شجرةٍ مِنْ أمِّ غيلانَ ، فقلْنا : ما أطيبَ هٰذا الموضعَ لوْ كانَ فيهِ رُطبٌ ! فتبسَّمَ ذو النونِ وقالَ : تشتهونَ الرُّطبَ ، وحرَّكَ شجرةً وقالَ : أقسمتُ عليكِ بالذي ابتدأَكِ وخلقَكِ شجرةً إلَّا نثرتِ علينا رُطباً جنيّاً ، ثمَّ حرَّكَها ، فنثرَتْ رُطباً ، فأكلْنا وشبعْنا .

ثمَّ نمْنا ، فانتبهْنا وحرَّكْنا الشجرةَ ، فنثرَتْ علينا شوكاً (٤) .

وحُكِيَ عنْ أبي القاسمِ بنِ مَرْدانَ النهاونديِّ قالَ : كنتُ أنا وأبو بكرٍ الوراقُ معَ أبي سعيدٍ الخرَّازِ نمشي علىٰ ساحلِ البحرِ نحوَ صيداءَ ، فرأىٰ شخصاً مِنْ بعيدٍ ، فقالَ : اجلسوا لا يخلو هٰذا مِنْ أنْ يكونَ وليّاً مِنْ أولياءِ اللهِ تعالىٰ .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٧) ، والدوخلة : خوصٌ منسوجٌ يوضع فيه الرطب .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخه » (٣١/٢١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣١٨/٦) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٦) ، ومطلع الخبر عنده : (قال أبو معمر : كنت مع أيوب . . .) .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٤) .

قالَ : فما لبثْنا أنْ جاءَ شابٌّ حسنُ الوجهِ ، وبيدِهِ ركوةٌ ومعَهُ محبرةٌ وعليهِ مرقَّعةٌ ، فالتفتَ إليهِ أبو سعيدٍ منكراً عليهِ لحملِهِ المحبرةَ معَ الركوةِ ، فقالَ لهُ : يا فتىٰ ؛ كيفَ الطريقُ إلى اللهِ تعالىٰ ؟

فقالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ أعرفُ إلى اللهِ طريقينِ ؛ طريقاً خاصّاً وطريقاً عامّاً ، فأمَّا الطريقُ العامُّ . . فالذي أنتَ عليهِ ، وأمَّا الطريقُ الخاصُّ . . فهلمَّ ، ثمَّ مشىٰ على الماءِ حتَّىٰ غابَ عنْ أعينِنا ، فبقيَ أبو سعيدٍ حَيرانَ ممَّا رأىٰ [1] .

وقالَ الجنيدُ : جئتُ مسجدَ الشونيزيَّةِ ، فرأيتُ فيهِ جماعةً مِنَ الفقراءِ يتكلَّمونَ في الآياتِ ، فقالَ فقيرٌ منهُمْ : أعرفُ رجلاً لوْ قالَ لهٰذهِ الأُسطوانةِ : كوني ذهباً نصفَكِ وفضةً نصفَكِ . . كانَتْ ، قالَ الجنيدُ : فنظرتُ ؛ فإذا الأُسطوانةُ نصفُها ذهبٌ ونصفُها فضةٌ [2] .

وقيلَ : حجَّ سفيانُ الثوريُّ معَ شيبانَ الراعي ، فعرضَ لهُمْ سبعٌ ، فقالَ سفيانُ لشيبانَ : أما ترىٰ هٰذا السبعَ ؟! فقالَ : لا تخفْ ، فأخذَ شيبانُ أذنَهُ فعركَها ، فبصبصَ وحرَّكَ ذنبَهُ ، فقالَ سفيانُ : ما هٰذهِ الشهرةُ ؟ فقالَ : لولا مخافةُ الشهرةِ . . لما وضعتُ زادي إلَّا علىٰ ظهرِهِ حتَّىٰ آتيَ مكَّةَ [3] .

وحُكِيَ أنَّ السريَّ لمَّا تركَ التجارةَ . . كانَتْ أختُهُ تنفقُ عليهِ مِنْ ثمنِ غزلِها ، فأبطأَتْ عليهِ يوماً ، فقالَ لها السريُّ : لِمَ أبطأْتِ ؟ فقالَتْ : لأنَّ غزلي لمْ يُشترَ ، وذكروا أنَّهُ مخلَّطٌ ، فامتنعَ السريُّ عنْ طعامِها .

ثمَّ إنَّ أختَهُ دخلَتْ عليهِ يوماً فرأَتْ عجوزاً تكنسُ بيتَهُ وتحملُ كلَّ يومٍ إليهِ رغيفينِ ، فحزنَتْ أختُهُ ، وشكَتْ إلىٰ أحمدَ ابنِ حنبلٍ ، فقالَ أحمدُ

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٤) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٢) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٢) ، ورواه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/٢٦٤) .

للسريِّ فيهِ ، فقالَ : لمَّا امتنعْتُ مِنْ أكلِ طعامِها . . قيَّضَ اللهُ ليَ الدنيا لتنفقَ عليَّ وتخدمَني[١] .

أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ هارونَ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ أبي محمدٍ التميميُّ قالَ : حدَّثَنا جعفرُ بنُ القاسمِ الخوَّاصُ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمدٍ الطُّوسيُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ منصورٍ الطُّوسيُّ قالَ : كنتُ عندَ أبي محفوظٍ معروفٍ الكَرْخيِّ ، فدعا لي ، ورجعتُ إليهِ مِنَ الغدِ وفي وجهِهِ أثرٌ ، فقالَ لهُ إنسانٌ : يا أبا محفوظٍ ؛ كنَّا عندَكَ بالأمسِ ولمْ يكنْ بوجهِكَ هٰذا الأثرُ ، فما هٰذا ؟ فقالَ : سلْ عمَّا يعنيكَ ، فقالَ الرجلُ : بمعبودِكَ أنْ تقولَ ، فقالَ : صلَّيتُ البارحةَ ها هنا ، واشتهَيتُ أنْ أطوفَ بالبيتِ ، فمضَيتُ إلىٰ مكَّةَ وطُفتُ ، ثمَّ مِلتُ إلىٰ زمزمَ لأشربَ مِنْ مائِها ، فزلقْتُ على البابِ ، فأصابَ وجهي ما تراهُ[٢] .

وقيلَ : كانَ عتبةُ الغلامُ يقعدُ فيقولُ : يا وَرَشانُ ؛ إنْ كنتَ أطوعَ للهِ عزَّ وجلَّ منِّي . . فتعالَ واقعدْ علىٰ كفِّي ، فيجيءُ الوَرَشانُ ويقعدُ علىٰ كفِّهِ[٣] .

وحُكِيَ عنْ أبي عليٍّ الرازيِّ أنَّهُ قالَ : مررتُ يوماً على الفراتِ ، فعرضَتْ لنفسي شهوةُ السمكِ الطريِّ ، فإذا الماءُ قدْ قذفَ بسمكةٍ نحوي ، وإذا رجلٌ يعدو ويقولُ : أشويها لكَ ؟ فقلتُ : نعمْ ، فشواها ، فقعدتُ وأكلتُها[٤] .

وقيلَ : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ في رُفْقةٍ ، فعرضَ لهُمُ السبعُ ، فقالوا : يا أبا إسحاقَ ؛ قدْ عرضَ لنا السبعُ ، فجاءَ إبراهيمُ وقالَ : يا أسدُ ؛ إنْ كنتَ أُمرتَ فينا بشيءٍ . . فامضِ ، وإلَّا . . فارجعْ ، فرجعَ الأسدُ ومضَوا[٥] .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٢) .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٠٣/١٣) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦١) ، والوَرَشَان : طائر شبيه بالحمام ، أصغر منه .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦١) .

(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٠) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (١٠١) وفيه دعاؤه ، وهو : (اللهمَّ ؛ احرسنا بعينك التي لا تنام ، واكنفنا بركنك الذي لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلِك وأنت رجاؤنا) .

وقالَ حامدٌ الأسودُ : كنتُ معَ الخوَّاصِ في البرِّيَّةِ ، فبِتْنا عندَ شجرةٍ ، وجاءَ السبعُ ، فصعِدتُ الشجرةَ إلى الصباحِ لا يأخذُني النومُ ، ونامَ إبراهيمُ الخوَّاصُ والسبعُ يشَمُّ مِنْ رأسِهِ إلىٰ قدمِهِ ، ثمَّ مضىٰ .

فلمَّا كانَتِ الليلةُ الثانيةُ . . بِتْنا في مسجدٍ في قريةٍ ، فوقعَتْ بقَّةٌ علىٰ وجهِهِ ، فضربَتْهُ ، فأنَّ أنَّةً ، فقلتُ : هـٰذا عجبٌ ! البارحةَ لمْ تجزعْ مِنَ الأسدِ والليلةَ تصيحُ مِنَ البقِّ ؟!

فقالَ : أمَّا البارحةَ . . فتلكَ حالةٌ كنتُ فيها باللهِ ، وأمَّا الليلةَ . . فهـٰذهِ حالةٌ أنا فيها بنفسي (١) .

وحُكِيَ عنْ عطاءٍ الأزرقِ أنَّهُ دفعَتْ إليهِ امرأتُهُ درهمينِ مِنْ ثمنِ غزلِها ليشتريَ الدقيقَ لهُمْ ، فخرجَ مِنْ بيتِهِ ، فلقيَ خادمةً تبكي ، فقالَ : ما بالُكِ ؟ فقالَتْ : دفعَ إليَّ مولايَ درهمينِ أشتري لهُمْ شيئاً ، فسقطا منِّي ، فأخافُ أنْ يضربَني ، فدفعَ عطاءٌ الدرهمينِ إليها ومرَّ ، وقعدَ علىٰ حانوتِ صديقٍ لهُ ممَّنْ يشقُّ الساجَ ، وذكرَ لهُ الحالَ وما يخافُ مِنْ سوءِ خُلُقِ امرأتِهِ ، فقالَ لهُ صاحبُهُ : خذْ مِنْ هـٰذهِ النشارةِ في هـٰذا الجِرابِ لعلَّكُمْ تنتفعونَ بها في سجْرِ التنورِ ؛ إذْ ليسَ يساعدُني الإمكانُ في شيءٍ آخرَ .

فحملَ النشارةَ ، وفتحَ بابَ دارِهِ ، ورمىٰ بالجِرابِ ، وردَّ البابَ ، ودخلَ المسجدَ إلىٰ ما بعدَ العتمةِ ؛ ليكونَ النومُ أخذَهُمْ ولا تستطيلَ عليهِ المرأةُ ، فلمَّا فتحَ البابَ . . وجدَهُمْ يخبزونَ الخبزَ ، فقالَ : مِنْ أينَ لكُمْ هـٰذا الخبزُ ؟ فقالوا : مِنَ الدقيقِ الذي كانَ في الجِرابِ ، لا تشترِ غيرَ هـٰذا الدقيقِ ، فقالَ : أفعلُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ (٢) .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ منصورَ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرِ بنَ تُرْكانَ يقولُ : كنتُ أجالسُ الفقراءَ ، ففُتِحَ عليَّ

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٠) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٦٠) ، والساج : شجر يشبه الآبنوس .

بدينارٍ ، فأردتُ أنْ أدفعَهُ إليهِمْ ، ثمَّ قلتُ في نفسي : لعلِّي أحتاجُ إليهِ ، فهاجَ بي وجعُ الضِّرسِ ، فقلعتُ سنّاً ، فوجعَتِ الأخرىٰ حتَّىٰ قلعتُها ، فهتفَ بي هاتفٌ : إنْ لمْ تدفعْ إليهِمُ الدينارَ . . فلا يبقىٰ في فمِكَ سنٌّ واحدةٌ(١) .

قالَ الأستاذُ : وهٰذا في بابِ الكرامةِ أتمُّ مِنْ أنْ كانَ يُفتَحُ عليهِ دنانيرُ كثيرةٌ بنقضِ العادةِ .

وحكىٰ أبو سليمانَ الدارانيُّ قالَ : خرجَ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ إلى الشامِ ومعَهُ شَكْوةٌ ، إذا شاءَ . . صبَّ منها ماءً يتوضَّأُ للصلاةِ ، وإذا شاءَ . . صبَّ منها لبناً يشربُهُ(٢) .

وروىٰ عثمانُ بنُ أبي العاتكةِ قالَ : كنَّا في غَزاةٍ في أرضِ الرومِ ، فبعثَ الوالي سريَّةً إلىٰ موضعٍ ، وجعلَ الميعادَ يومَ كذا .

قالَ : فجاءَ الميعادُ ولمْ تقدَمِ السريَّةُ ، فبينا أبو مسلمٍ يصلِّي إلىٰ رمحِهِ الذي ركزَهُ في الأرضِ . . جاءَ طيرٌ إلىٰ رأسِ السِّنانِ وقالَ : إنَّ السريَّةَ قدْ سلمَتْ وغنِمَتْ ، وسيرِدُونَ عليكمْ يومَ كذا في وقتِ كذا .

فقالَ أبو مسلمٍ للطيرِ : مَنْ أنتَ رحمَكَ اللهُ ؟! فقالَ : مُذْهِبُ الحَزَنِ عنْ قلوبِ المؤمنينَ .

فجاءَ أبو مسلمٍ إلى الوالي وأخبرَهُ ، فلمَّا كانَ اليومُ الذي قالَ . . أتَتِ السريَّةُ على الوجهِ الذي قالَ(٣) .

وعنْ بعضِهِمْ قالَ : كنَّا في مَرْكَبٍ ، فماتَ رجلٌ كانَ معَنا عليلٌ ، فأخذْنا في جهازِهِ ، وأردْنا أنْ نلقيَهُ في البحرِ ، فصارَ البحرُ جافّاً ، ونزلَتِ السفينةُ ، فخرجْنا ، فحفرْنا لهُ قبراً ودفنَّاهُ ، فلمَّا فرغْنا . . استوى الماءُ ، وارتفعَ المَرْكَبُ ، وسِرْنا(٤) .

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٣٥/٢١) ، والفاء الرابطة أثبتت من (ي) وحدها .

(٢) ورواه ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (١٠٩/٣) ، والشكوة : القربة الصغيرة .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٩) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٧/٢٧) ، وأبو مسلم في الخبر : هو عبد الله بن ثوب الخولاني .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٨) .

وقيلَ : إنَّ الناسَ أصابتْهُمْ مجاعةٌ بالبصرةِ ، فاشترىٰ حبيبٌ العجميُّ طعاماً بالنسيئةِ وفرَّقَهُ على المساكينِ ، وخاطَ كيساً وجعلَهُ تحتَ رأسِهِ ، فلمَّا جاؤوا يتقاضَوْنَهُ . . أخذَهُ ، وإذا هوَ مملوءٌ دراهمَ ، فقضىٰ منها ديونَهُمْ[١] .

وقيلَ : أرادَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ أنْ يركبَ السفينةَ ، فأبَوا إلَّا أنْ يعطيَهُمْ ديناراً ، فصلَّىٰ على الشطِّ ركعتينِ وقالَ : اللهمَّ ؛ قدْ سألوني ما ليسَ عندي ، فصارَ الرملُ دنانيرَ[٢] .

حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ المَرْوَرُّوذِيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ سليمانَ قالَ : قالَ أبو حمزةَ نُصَيرُ بنُ الفرجِ خادمُ أبي معاويةَ الأسودِ قالَ : كانَ أبو معاويةَ ذهبَ بصرُهُ ، فإذا أرادَ أنْ يقرأَ . . نشرَ المصحفَ ، فيردُّ اللهُ عليهِ بصرَهُ ، فإذا أطبقَ المصحفَ . . ذهبَ بصرُهُ[٣] .

وقالَ أحمدُ بن الهيثمِ المتطبِّبُ : قالَ لي بشرٌ الحافي : قُلْ لمعروفٍ الكَرْخِيِّ : إذا صلَّيتُ . . جئتُكَ .

قالَ : فأدَّيتُ الرسالةَ وانتظرتُهُ ، فصلَّينا الظهرَ ولمْ يجئْ ، ثمَّ صلَّينا العصرَ ، ثمَّ المغربَ ، ثمَّ العشاءَ ، فقلتُ في نفسي : سبحانَ اللهِ ! مثلُ بشرٍ يقولُ شيئاً ثمَّ لا يفعلُ ؟! لا يجوزُ ألَّا يفعلَ .

فانتظرتُهُ وأنا فوقَ مسجدٍ علىٰ مشرعةٍ ، فجاءَ بشرٌ بعدَ هُوِيٍّ مِنَ الليلِ وعلىٰ رأسِهِ سَجادةٌ ، فتقدَّمَ إلىٰ دجلةَ ومشىٰ على الماءِ ، وعبرَ ، وتحدَّثا ، ثمَّ جاءَ وقتُ السحرِ وعبرَ علىٰ وجهِ الماءِ ، فرمَيتُ بنفسي مِنَ السطحِ ، وقبَّلْتُ يديهِ ورجليهِ ، وقلتُ : ادعُ اللهَ لي ، فدعا لي ، وقالَ : استرْهُ عليَّ ، قالَ : فلمْ أتكلَّمْ بهٰذا حتَّىٰ ماتَ[٤] .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٧) ، وبعضه رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٣/١٢) .
(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٥٧) .
(٣) ورواه اللالكائي في « كرامات الأولياء » (٢١٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (١٨٦/٦) .
(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٧٧) .

أخبرَنا أبو عبدِ اللهِ الشِّيرازيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو الفرجِ الوَرْثانيُّ قالَ : سمعتُ عليَّ بنَ يعقوبَ بدمشقَ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ أحمدَ قالَ : سمعتُ قاسماً الجوعيَّ قالَ : رأيتُ رجلاً في الطوافِ لا يزيدُ علىٰ قولِهِ : إلـٰهي ؛ قضَيتَ حوائجَ الكلِّ ولمْ تقضِ حاجتي .

فقلتُ : ما لكَ لا تزيدُ علىٰ هـٰذا الدعاءِ ؟!

فقالَ : أحدِّثُكَ ، اعلمْ أنَّا كنَّا سبعةَ أنفسٍ مِنْ بلدانٍ شتَّىٰ ، فخرجْنا إلى الغَزاةِ ، فأسرَنا الرومُ ومضَوا بنا لنُقتلَ ، فرأَيتُ سبعةَ أبوابٍ فُتحَتْ مِنَ السماءِ ، وعلىٰ كلِّ بابٍ جاريةٌ حسناءُ مِنَ الحورِ العينِ ، فقدمَ واحدٌ منَّا فضُرِبَ عنقُهُ ، فرأَيتُ جاريةً منهُنَّ هبطَتْ إلى الأرضِ بيدِها منديلٌ فقبضَتْ روحَهُ ، حتَّىٰ ضُرِبَ أعناقُ ستَّةٍ منَّا ، فاستوهبَني بعضُ رجالِهِمْ ، فقالَتِ الجاريةُ : أيُّ شيءٍ فاتَكَ يا محرومُ ؟! وأُغلقَتِ الأبوابُ ، فأنا ـ يا أخي ـ متأسِّفٌ متحسِّرٌ علىٰ ما فاتَني .

قالَ قاسمٌ الجوعيُّ : أُراهُ أفضلَهُمْ ؛ لأنَّهُ رأىٰ ما لمْ يرَوا ، وعملَ على الشوقِ بعدَهُمْ (١) .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا النجمِ أحمدَ بنَ الحسينِ بخُوزستانَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الكَتَّانيَّ يقولُ : كنتُ في طريقِ مكَّةَ في وسطِ السنةِ ، فإذا أنا بهِمْيانٍ ملآنَ يلتمعُ دنانيرَ ، فهممتُ أنْ أحملَهُ لأفرِّقَهُ بمكَّةَ على الفقراءِ ، فهتفَ بي هاتفٌ : إنْ أخذتَهُ . . سلبْناكَ فقرَكَ (٢) .

حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ يوسفَ الخيَّاطُ قالَ : سمعتُ أبا عليٍّ الرُّوذْباريَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ الشَّرْقيَّ يقولُ : كنَّا معَ أبي ترابٍ النَّخْشبيِّ في طريقِ مكةَ ، فعدلَ عنِ الطريقِ إلىٰ ناحيةٍ ، فقالَ لهُ بعضُ أصحابِهِ : أنا عطشانُ ، فضربَ برجلِهِ ، فإذا عينٌ مِنْ ماءٍ زُلالٍ ، فقالَ

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٣٧/٢٠٨) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٥٤/٢٥٨) .

الفتىٰ : أحبُّ أنْ أشربَهُ في قَدَحٍ ، فضربَ بيدِهِ إلى الأرضِ فناولَهُ قَدَحاً مِنْ زجاجٍ أبيضَ كأحسنِ ما رأيتُ ، فشربَ وسقانا ، وما زالَ القَدَحُ معَنا إلىٰ مكةَ .

فقالَ لي أبو ترابٍ يوماً : ما يقولُ أصحابُكَ في هـٰذهِ الأمورِ التي يكرمُ اللهُ بها عبادَهُ ؟ فقلتُ : ما رأيتُ أحداً إلَّا وهوَ مؤمنٌ بها .

فقالَ : مَنْ لمْ يؤمنْ بها . . فقدْ كفرَ(١) ، إنَّما سألتُكَ مِنْ طريقِ الأحوالِ ، فقلتُ : ما أعرفُ لهُمْ قولاً فيهِ .

فقالَ : بلىٰ ؛ قدْ زعمَ أصحابُكَ أنَّها خُدَعٌ مِنَ الحقِّ ، وليسَ الأمرُ كذٰلكَ ، إنَّما الخُدَعُ في حالِ السكونِ إليها ، فأمَّا مَنْ لمْ يقترحْ ذٰلكَ ولمْ يساكنْها . . فتلكَ مرتبةُ الرَّبانيينَ(٢) .

وحدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا أبو الفرجِ الوَرْثانيُّ قالَ : سمعتُ محمدَ بن الحسينِ الجلنديَّ بطَرَسُوسَ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ الجَلَّا يقولُ : كنَّا في غرفةِ سريٍّ السقطيِّ ببغدادَ ، فلما ذهبَ مِنَ الليلِ شيءٌ . . لبسَ قميصاً نظيفاً وسراويلَ ، ولبسَ رداءً ونعلاً ، وقامَ ليخرجَ ، فقلتُ : إلىٰ أينَ في هـٰذا الوقتِ ؟ فقالَ : أعودُ فتحاً المَوْصِليَّ .

فلمَّا مشىٰ في طرقاتِ بغدادَ . . أخذَهُ العَسَسُ وحبسوهُ ، فلمَّا كانَ الغدُ . . أُمِرَ بضربِهِ معَ المحبوسينَ ، فلمَّا رفعَ الجلَّادُ يدَهُ . . وقفَتْ يدُهُ ، فلمْ يقدرْ أنْ يحرِّكَها ، فقيلَ للجلَّادِ : اضربْ ، فقالَ : بحذائي شيخٌ واقفٌ يقولُ : لا تضربْهُ ، فتقفُ يدي لا تتحرَّكُ ، فنظروا مَنِ الرجلُ ، فإذا هوَ فتحٌ المَوْصِليُّ ، فلمْ يضربوهُ .

أخبرَنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميُّ قالَ : حدَّثَنا [أبو] الحارثِ الخطابيُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ مسلمٍ قالَ :

---

(١) لنسبة القدرة الأزلية إلى العجز عنها . « إحكام الدلالة » (٤/١٨٠) .

(٢) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٠/٣٤٧) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤/١١٧) .

حدَّثَنا سعيدُ بنُ يحيى البصريُّ قالَ : كانَ أناسٌ مِنْ قريشٍ يجلسونَ إلىٰ عبدِ الواحدِ بن زيدٍ ، فأتَوهُ يوماً وقالوا : **إنَّا نخافُ مِنَ الضيقةِ والحاجةِ** ، فرفعَ رأسَهُ إلى السماءِ وقالَ : **اللهمَّ ؛ إنِّي أسأَلُكَ باسمِكَ المرتفعِ الذي تكرمُ بهِ مَنْ شئتَ مِنْ أوليائِكَ ، وتلهمُهُ الصفيَّ مِنْ أحبابِكَ** . . أنْ تأتيَنا برزقٍ مِنْ لدنْكَ تقطعُ بهِ علائقَ الشيطانِ مِنْ قلوبِنا وقلوبِ أصحابِنا هٰؤلاءِ ، فأنتَ الحنَّانُ المنَّانُ القديمُ الإحسانِ ، **اللهمَّ ؛ الساعةَ الساعةَ** .

قالَ : فسمعتُ قعقعةً واللهِ للسقفِ ، **ثمَّ تناثرَتْ علينا دنانيرُ ودراهمُ** ، فقالَ : عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ : **استغنوا باللهِ عنْ غيرِهِ** ، فأخذوا ذٰلكَ ، ولمْ يأخذْ **عبدُ الواحدِ شيئاً** [1] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عليٍّ الخُوزيَّ بجُنْدَيْسَابورَ قالَ : سمعتُ الكتَّانيَّ يقولُ : رأيتُ بعضَ الصوفيةِ ـ وكانَ غريباً ما كنتُ أثبتُهُ [2] ـ تقدَّمَ إلى الكعبةِ وقالَ : يا ربِّ ؛ **ما أدري ما يقولُ هٰؤلاءِ** ـ يعني : الطائفينَ ـ انظر ما في هٰذهِ الرُّقعةِ ، قالَ : **فطارَتِ الرقعةُ في الهواءِ وغابَتْ** [3] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ عبدَ الواحدِ بنَ بكرٍ الوَرْثانيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليِّ بنِ الحسينِ المقرئَ بطَرَسُوسَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ ابنَ الجَلَّا يقولُ : اشتهَتْ والدتي على والدي يوماً مِنَ الأيامِ سمكاً ، فمضىٰ والدي إلى السوقِ وأنا معَهُ ، **فاشترىٰ سمكةً ووقفَ ينتظرُ مَنْ يحملُها** ، فرأىٰ صبيّاً وقفَ بحذائِهِ معَ صبيٍّ [4] ، فقالَ : يا عمُّ ؛ تريدُ مَنْ يحملُهُ ؟ فقالَ : نعمْ ،

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٢٨/٣٧) ، ومن طريق المصنف (٢٢٩/٣٧) .

(٢) وفي (و) : (رأيته) بدل (أثبته) ، والمراد : لا أعرفه .

(٣) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٢٥٨/٥٤) ، وكأن حاجته مدوَّنة في هٰذه الرقعة ، فسأل ربَّه ما فيها ، فرُفعت إلىٰ قبلةِ الدعاءِ علامةً علىٰ قبولها ، وفي (ي) و« إحكام الدلالة » (١٨١/٤) : (فقيل له : انظر ما في هٰذه الرقعة . . .) .

(٤) أراد نفسه كما بيّن في « إحكام الدلالة » (١٨١/٤) .

فحملَهُ ومشىٰ معَنا ، فسمعْنا الأذانَ ، فقالَ الصبيُّ : أَذَّنَ المؤذِّنُ ، وأحتاجُ أنْ أتطهَّرَ وأصليَ ، فإنْ رضِيتَ ، وإلَّا . . فاحملِ السمكةَ ، ووضعَ الصبيُّ السمكَ ومرَّ .

قالَ : فقالَ أبي : فنحنُ أولىٰ أنْ نتوكَّلَ في السمكِ ، فدخلْنا المسجدَ وصلَّينا ، وجاءَ الصبيُّ وصلَّىٰ ، فلمَّا خرجْنا . . فإذا بالسمكِ موضوعٌ مكانَهُ ، فحملَهُ ومضىٰ معَنا إلىٰ دارِنا .

فذكرَ والدي ذٰلكَ لوالدتي ، فقالَتْ : قُلْ لهُ حتَّىٰ يقيمَ عندَنا ويأكلَ معَنا ، فقلْنا لهُ ، فقالَ : إنِّي صائمٌ ، فقلْنا : فتعودُ إلينا بالعشيِّ ، فقالَ : إذا حملتُ مرَّةً في اليومِ لا أحملُ ثانياً ، فأدخلُ المسجدَ إلى المساءِ ، ثمَّ أدخلُ عليكُمْ ، فمضىٰ .

فلمَّا أمسَينا . . دخلَ الصبيُّ ، فأكلْنا ، فلمَّا فرغْنا . . دللْناهُ علىٰ موضعِ الطهارةِ ، ورأَينا فيهِ أنَّهُ يؤثرُ الخلوةَ ، فتركْناهُ في بيتٍ .

فلمَّا كانَ في بعضِ الليلِ . . كانَ لقريبٍ لنا بنتٌ زَمِنةٌ ، فجاءَتْ تمشي ، فسألْناها عنْ حالِها ! فقالَتْ : قلتُ : يا ربِّ ؛ بحرمةِ ضيفِنا أنْ تعافيَني ، فقمتُ .

قالَ : فمضَينا لنطلبَ الصبيَّ ، فإذا الأبوابُ مغلقةٌ كما كانَتْ ، ولمْ نجدِ الصبيَّ ، فقالَ أبي : فمنهُمْ صغيرٌ ، ومنهُمْ كبيرٌ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : حدَّثَنا أبو الحارثِ الخطَّابيُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الفضلِ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ مسلمٍ قالَ : حدَّثَنا سعيدُ بنُ يحيى البصريُّ قالَ : أتيتُ عبدَ الواحدِ بنَ زيدٍ وهوَ جالسٌ في ظلٍّ ، فقلتُ لهُ : لوْ سألتَ اللهَ أنْ يوسِّعَ عليكَ الرزقَ . . لرجوتُ أنْ يفعلَ ، فقالَ : ربِّي أعلمُ بمصالحِ عبادِهِ ، ثمَّ أخذَ حصىً مِنَ الأرضِ ، ثمَّ قالَ : اللهمَّ ؛ إنْ شئتَ أنْ تجعلَها ذهباً . . فعلتَ ، فإذا هيَ ـ واللهِ ـ في يدِهِ ذهبٌ ،

فألقاهـا إليَّ وقالَ : أنفقْها أنتَ ، فلا خيرَ في الدنيا إلَّا للآخرةِ[1] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ منصورٍ يقولُ : قالَ لي أستاذي أبو يعقوبَ السوسيُّ : غسَّلتُ مريداً ، فأمسكَ إبهامي وهوَ على المغتسلِ ، فقلتُ : يا بُنيَّ ؛ خلِّ يدي ، أنا أدري أنَّكَ لستَ بميتٍ ، وإنَّما هيَ نقلةٌ مِنْ دارٍ إلىٰ دارٍ ، فخلَّىٰ يدي .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ محمدٍ الطَّرَسُوسيَّ يقولُ : سمعتُ إبراهيمَ بنَ شيبانَ يقولُ : صحبَني شابٌّ حسنُ الإرادةِ ، فماتَ ، فاشتغلَ قلبي بِهِ جدّاً ، وتولَّيتُ غسلَهُ ، فلمَّا أردتُ غسلَ يديهِ . . بدأتُ بشمالِهِ مِنَ الدَّهْشةِ ، فأخذَها منِّي وناولَني يمينَهُ ، فقلتُ : صدقتَ يا بُنيَّ ، أنا غلِطتُ .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا النجمِ المقريَ البردعيَّ بشيرازَ يقولُ : سمعتُ الدُّقيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ منصورٍ يقولُ : سمعتُ أبا يعقوبَ السوسيَّ يقولُ : جاءَني مريدٌ بمكَّةَ فقالَ : يا أستاذُ ؛ أنا غداً أموتُ وقتَ الظهرِ ، فخُذْ هٰذا الدينارَ واحفرْ لي بنصفِهِ ، وكفِّنِّي بالنصفِ الآخرِ .

ثمَّ لمَّا كانَ الغدُ . . جاءَ وطافَ ، ثمَّ تباعدَ وماتَ ، فغسلتُهُ وكفَّنتُهُ ، ووضعتُهُ في اللحدِ ، ففتحَ عينَهُ ، فقلتُ : أحياةٌ بعدَ الموتِ ؟! فقالَ : أنا حيٌّ ، وكلُّ محبٍّ للهِ حيٌّ[2] .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ أبا عليِّ بنَ وصيفٍ المؤدِّبَ يقولُ : تكلَّمَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ يوماً في الذكرِ ، فقالَ : إنَّ الذاكرَ للهِ على الحقيقةِ لوْ همَّ أنْ يحييَ الموتىٰ . . لفعلَ ، ومسحَ يدَهُ علىٰ عليلٍ بينَ يديهِ ، فبَرَأَ وقامَ .

سـمعتُ أبا عبدِ اللهِ الشِّـيرازيَّ يقولُ : أخبرَني عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٣٧/٢٢٩) .

(٢) تقدم (ص ٦٣٤) .

قالَ : حدَّثَنا عثمانُ بنُ أحمدَ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ عمرَ[1] قالَ : سمعتُ بشرَ بنَ الحارثِ يقولُ : كانَ عمرُو بنُ عتبةَ يصلِّي والغمامُ فوقَ رأسِهِ ، والسبعُ حولَهُ يحرِّكُ ذنَبَهُ[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ مفلحٍ يقولُ : سمعتُ المَغازليَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : كانَتْ معي أربعةُ دراهمَ ، فدخلتُ على السريِّ وقلتُ : هٰذهِ أربعةُ دراهمَ حملتُها إليكَ ، فقالَ : أبشرْ يا غلامُ ، فإنَّكَ تفلحُ ، كنتُ أحتاجُ إلىٰ أربعةِ دراهمَ ، فقلتُ : اللهمَّ ؛ ابعثْهَا علىٰ يدَيْ مَنْ يفلحُ عندَكَ[3] .

وسمعتُهُ يقولُ : حدَّثَني إبراهيمُ بنُ أحمدَ الطبريُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ يوسفَ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ يحيىٰ قالَ : حدَّثَني أبي قالَ : حدَّثَني أبو إبراهيمَ اليمانيُّ قالَ : خرجْنا نسيرُ علىٰ ساحلِ البحرِ معَ إبراهيمَ بنِ أدهمَ ، فانتهَينا إلىٰ غيضةٍ فيها حطبٌ يابسٌ كثيرٌ ، وبالقربِ منهُ حصنٌ ، فقلْنا لإبراهيمَ بنِ أدهمَ : لوْ أقمْنا الليلةَ ها هنا وأوقدْنا مِنْ هٰذا الحطبِ ، فقالَ : افعلوا ، فطلبْنا النارَ مِنَ الحصنِ ، فأوقدْنا ، وكانَ معَنا الخبزُ ، فأخرجْنا نأكلُ ، فقالَ واحدٌ منَّا : ما أحسنَ هٰذا الجمرَ لوْ كانَ لنا لحمٌ نشويهِ عليهِ ! فقالَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لقادرٌ علىٰ أنْ يُطعمَكُموهُ .

قالَ : فبينا نحنُ كذٰلكَ . . إذا بأسدٍ يطردُ أيلاً ، فلمَّا قرُبَ منَّا . . وقعَ واندقَّ عنقُهُ ، فقامَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ وقالَ : اذبحوهُ ، فقدْ أطعمَكُمُ اللهُ ، فذبحْناهُ ، وشوَينا مِنْ لحمِهِ والأسدُ واقفٌ ينظرُ إلينا[4] .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ عبدَ اللهِ بنَ عليٍّ الشجريَّ[5] يقولُ : سمعتُ حامداً الأسودَ يقولُ : كنتُ معَ إبراهيمَ الخوَّاصِ في

---

(١) كذا في النسخ ، ولعله (الحسن بن عمرو) ، وهو الراوي عن بشر .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٤/١٥٧) .

(٣) روىٰ نحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٧٠) .

(٤) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٦/٣٢٨) ، وفي هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .

(٥) مضطربة في النسخ بين الشجري والسجزي .

الباديةِ سبعةَ أيامٍ علىٰ حالةٍ واحدةٍ ، فلمَّا كانَ السابعُ . . ضعُفْتُ ، فجلستُ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : ما لكَ ؟ فقلتُ : ضعُفْتُ ، فقالَ : أيُّما أغلبُ عليكَ : الماءُ أوِ الطعامُ ؟ فقلتُ : الماءُ ، فقالَ : الماءُ وراءَكَ ، فالتفتُّ فإذا عينُ ماءٍ كاللبنِ الحليبِ ، فشربتُ وتطهَّرتُ وإبراهيمُ ينظرُ ولمْ يقربْهُ .

فلمَّا أردتُ القيامَ . . هممتُ أنْ أحملَ منهُ ، فقالَ : أمسكْ ؛ فإنَّهُ ليسَ ممَّا يُتزوَّدُ منهُ .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ عبدِ اللهِ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الدبَّاسَ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ فاطمةَ أختَ أبي عليٍّ الرُّوذْباريِّ تقولُ : سمعتُ زيتونةَ خادمةَ أبي الحسينِ النُّوريِّ وكانَتْ تخدمُهُ وخدمَتْ أبا حمزةَ والجنيدَ قالَتْ : كانَ يومٌ باردٌ ، فقلتُ للنُّوريِّ : أحملُ إليكَ شيئاً ؟ فقالَ : نعمْ ، فقلتُ : أيْشٍ تريدُ ؟ فقالَ : خبزٌ ولبنٌ ، فحملتُ وكانَ بينَ يديهِ فحمٌ ، وكانَ يقلِّبُها بيدِهِ وقدِ اشتعلَتْ ، فأخذَ يأكلُ الخبزَ واللبنُ يسيلُ علىٰ يدِهِ وعليها سوادُ الفحمِ ، فقلتُ في نفسي : ما أقذرَ أولياءَكَ يا ربِّ ! ما فيهِمْ أحدٌ نظيفٌ !

قالَتْ : فخرجتُ مِنْ عندِهِ ، فتعلَّقَتْ بيَ امرأةٌ وقالَتْ : سرقَتْ لي رزمةَ ثيابٍ ، وجرُّوني إلى الشُّرَطيِّ ، فأُخبرَ النوريُّ بذٰلكَ ، فخرجَ وقالَ للشُّرَطيِّ : لا تتعرَّضوا لها ؛ فإنَّها وليَّةٌ مِنْ أولياءِ اللهِ ، فقالَ الشُّرَطيُّ : كيفَ أصنعُ والمرأةُ تدَّعي ؟

قالَ : فجاءَتْ جاريةٌ ومعَها الرزمةُ المطلوبةُ ، فاستردَّ النُّوريُّ المرأةَ وقالَ لها : تقولينَ بعدَ هٰذا : ما أقذَر أولياءَك ؟! قالَتْ : فقلتُ : قدْ تُبتُ[1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الشِّيرازيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ فارسٍ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ خيراً النسَّاجَ يقولُ : سمعتُ الخوَّاصَ يقولُ : عطِشتُ في بعضِ أسفاري ، وسقطتُ مِنَ العطشِ ، فإذا أنا بماءٍ رُشَّ علىٰ وجهي ، ففتحتُ عيني ، فإذا برجلٍ حسنِ الوجهِ راكبٍ دابَّةً شهباءَ ، فسقاني الماءَ ، وقالَ : كُنْ رديفي .

---

(١) ورواه السُّلمي في « ذكر النسوة المتعبدات » (ص ٧١) ، واسمها فاطمة ، وزيتونة لقبُها .

وكنتُ بالحجازِ ، فما لبثتُ إلَّا يسيراً فقالَ لي : ما ترىٰ ؟ فقلتُ : أرى المدينةَ !! فقالَ : انزلْ وأقرئْ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ منِّي السلامَ وقُلْ : أخوكَ الخضرُ يقرئُكَ السلامَ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ البغداديَّ يقولُ : قالَ أبو الحديدِ : سمعتُ المظفرَ الجصَّاصَ يقولُ : كنتُ أنا ونصرٌ الخرَّاطُ ليلةً في موضعٍ ، فتذاكرْنا شيئاً مِنَ العلمِ ، فقالَ الخرَّاطُ[1] : إنَّ الذاكرَ للهِ فائدتُهُ في أوَّلِ ذكرِهِ أنْ يعلمَ أنَّ اللهَ ذكرَهُ ، فبذكرِ اللهِ ذكرَهُ .

قالَ : فخالفتُهُ ، فقالَ : لوْ كانَ الخضرُ ها هنا . . لشهدَ بصحَّتِهِ .

قالَ : فإذا نحنُ بشيخٍ يجيءُ بينَ السماءِ والأرضِ ، حتَّىٰ بلغَ إلينا وسلَّمَ وقالَ : صدقَ ، الذاكرُ للهِ بفضلِ ذكرِ اللهِ لهُ ذكرَهُ ، فعلمْنا أنَّهُ الخضرُ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : جاءَ رجلٌ إلىٰ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ وقالَ : إنَّ الناسَ يقولونَ : إنَّكَ تمشي على الماءِ ، فقالَ : سلْ مؤذِّنَ المحلَّةِ ؛ فإنَّهُ رجلٌ صالحٌ لا يكذبُ ، قالَ : فسألتُهُ ، فقالَ المؤذِّنُ : لا أدري هـٰذا ، ولـٰكنَّهُ كانَ في بعضِ هـٰذهِ الأيامِ نزلَ الحوضَ ليتطهَّرَ ، فوقعَ في الماءِ ، فلوْ لـمْ أكنْ أنا . . لبقيَ فيهِ .

قالَ الأستاذُ أبو عليٍّ الدقَّاقُ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّ سهلاً كانَ بتلكَ الحالةِ التي وُصِفَ ، ولـٰكنَّ اللهَ تعالىٰ يريدُ أنْ يسترَ أولياءَهُ ، فأجرىٰ ما وقعَ مِنْ حديثِ المؤذِّنِ والحوضِ ستراً لحالِ سهلٍ ، وسهلٌ كانَ صاحبَ الكراماتِ .

وفي قريبٍ مِنْ هـٰذا المعنىٰ : ما حُكِيَ عنْ أبي عثمانَ المغربيِّ ـ رأيتُهُ بخطِّ أبي الحسينِ الجُرجانيِّ ـ قالَ : أردتُ مرَّةً أنْ أمضيَ إلىٰ مصرَ أركبُ السفينةَ[2] ، ثمَّ خطرَ ببالي أنِّي أُعرَفُ هناكَ ، فخِفتُ الشهرةَ ، فمرَّ مَرْكَبٌ ،

---

(١) كذا في عامة النسخ ، وفي « إحكام الدلالة » (٤/١٨٥) : (فخطر لي أن أركب . . .) .
(٢) في (أ) وحدها : (الخراطي) بدل (الخراط) في الموضعين ، وكذا في الأصول في الموضع الأول .

فبدا لي ، فمشَيتُ على الماءِ ولحقتُ بالمَرْكَبِ ودخلتُ السفينةَ والناسُ ينظرونَ ، ولمْ يقلْ أحدٌ : إنَّ هـٰذا ناقضٌ للعادةِ أوْ غيرُ ناقضٍ ، فعرفتُ أنَّ الوليَّ مستورٌ وإنْ كانَ مشهوراً .

قالَ الأستاذُ : وممَّا شاهدْنا مِنْ أحوالِ الأستاذِ أبي عليٍّ الدقَّاقِ رضيَ اللهُ عنهُ معاينةً : أنَّهُ كانَ بهِ علَّةُ حرقةِ البولِ ، وكانَ يقومُ في ساعةٍ غيرَ مرَّةٍ ، حتَّىٰ كانَ يجدِّدُ الوضوءَ غيرَ مرَّةٍ لركعتي فرضٍ ، وكانَ يحملُ معَهُ قارورةً في طريقِ المجلسِ ، وربَّما كانَ يحتاجُ إليها في الطريقِ مرَّاتٍ ذاهباً وجائياً ، وكانَ إذا قعدَ علىٰ رأسِ الكرسيِّ يتكلَّمُ لا يحتاجُ إلى الطهارةِ ولوِ امتدَّ بهِ المجلسُ زماناً طويلاً ، وكنَّا نعاينُ ذٰلكَ منهُ سنينَ ، ولمْ يقعْ لنا في حياتِهِ أنَّ هـٰذا شيءٌ ناقضٌ للعادةِ ، وإنَّما وقعَ لي هـٰذا وفُتِحَ عليَّ علمُهُ بعدَ وفاتِهِ رحمَهُ اللهُ .

وفي قريبٍ مِنْ هـٰذا : يُحكىٰ عنْ سهلِ بنِ عبدِ اللهِ أنَّهُ كانَ قدْ أصابتْهُ زَمانةٌ في آخرِ عمرِهِ ، فكانَ تُرَدُّ عليهِ القوَّةُ في أوقاتِ الفرضِ فيصلِّي قائماً[1] .

ومِنَ المشهورِ أنَّ عبد اللهِ الوزَّانَ كانَ مقعداً ، وكانَ في السماعِ إذا ظهرَ بهِ وجدٌ . . يقومُ .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ المالكيُّ قالَ : حدَّثَنا يوسفُ بنُ أحمدَ البغداديُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ قالَ : حججتُ أنا وأبو سليمانَ ، فبينا نحنُ نسيرُ . . إذْ سقطَتِ السَّطِيحةُ منِّي[2] ، فقلتُ لأبي سليمانَ : فقدتُ السَّطِيحةَ ، وبقِينا بلا ماءٍ ، وكانَ بردٌ شديدٌ ، فقالَ أبو سليمانَ : يا رادَّ الضالَّةِ ، ويا هادياً مِنَ الضلالةِ ؛ ارددْ علينا الضالَّةَ ، فإذا واحدٌ ينادي : مَنْ ذهبَتْ لهُ سَطِيحةٌ ؟

قالَ : فقلتُ : أنا ، فأخذتُها .

فبينا نحنُ نسيرُ وقدْ تدرَّعْنا بالفراءِ لشدَّةِ البردِ . . فإذا نحنُ بإنسانٍ عليهِ

---

(١) تقدم (ص ٧٢١) .

(٢) السطيحة : المزادة وآلة الطهارة كالركوة ونحوها .

طِمْرانِ وهوَ يترشَّحُ عرقاً ! فقالَ أبو سليمانَ : تعالَ ندفعْ إليكَ شيئاً ممَّا علينا مِنَ الثيابِ ، فقالَ : يا أبا سليمانَ ؛ أتشيرُ إلى الزهدِ وتجدُ البردَ ؟! أنا أسيحُ في هـٰذهِ البرِّيَّةِ منذُ ثلاثينَ سنةً ما انتفضتُ ولا ارتعدتُ ، يُلبسُني في البردِ فيحاً مِنْ محبَّتِهِ ، ويُلبسُني في الصيفِ مذاقَ بردِ محبَّتِهِ ، ومرَّ[1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ محمدَ بنَ عليٍّ التكريتيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليٍّ الكَتَّانيَّ بمكةَ يقولُ : سمعتُ الخوَّاصَ يقولُ : كنتُ في الباديةِ مرَّةً ، فسِرتُ في وسطِ النهارِ ، فوصلتُ إلىٰ شجرةٍ بالقربِ منها ماءٌ ، فنزلتُ ، فإذا أنا بسبعٍ عظيمٍ أقبلَ ، فاستسلمتُ ، فلمَّا قرُبَ منِّي . . إذا هوَ يعرجُ ، فحمحمَ وبركَ بينَ يديَّ ، ووضعَ يدَهُ في حجري ، فنظرتُ فإذا يدُهُ منتفخةٌ فيها قيحٌ ودمٌ ، فأخذتُ خشبةً وشققتُ الموضعَ الذي فيهِ القيحُ ، وشددتُ علىٰ يدهِ خرقةً ، فمضىٰ ، فإذا أنا بهِ بعدَ ساعةٍ معَهُ شبلانِ يبصبصانِ لي ، وحملا إليَّ رغيفاً[2] .

وسمعتُهُ يقولُ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ عليٍّ المَيانَجيُّ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبد اللهِ بنِ مطرِّفٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ الحسنِ العسقلانيُّ قالَ : حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ قالَ : اشتكىٰ محمدُ ابنُ السَّمَّاكِ ، فأخذْنا ماءَهُ وانطلقْنا إلىٰ طبيبٍ نصرانيٍّ[3] .

فبينا نحنُ بينَ الحِيرةِ والكوفةِ . . استقبلَنا رجلٌ حسنُ الوجهِ ، طيبُ الرائحةِ ، نقيُّ الثوبِ ، فقالَ لنا : إلىٰ أينَ تمرُّونَ ؟ قلْنا : نريدُ فلاناً الطبيبَ ، نريهِ ماءَ ابنِ السَّمَّاكِ ، فقالَ : سبحانَ اللهِ ! تستعينونَ علىٰ وليِّ اللهِ بعدوِّ اللهِ ؟! اضربوا بهِ الأرضَ ، وارجعوا إلى ابنِ السَّمَّاكِ وقولوا لهُ : ضعْ يدَكَ علىٰ موضعِ الوجعِ وقُلْ : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾[4] ، ثمَّ غابَ عنَّا فلمْ نَرَهُ .

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخه » (١٥٥/٣٤) .

(٢) في (ج) : (رغيفين) .

(٣) يعني : حملوا بوله ليعرضوه علىٰ هـٰذا الطبيب ، فيكشف عن العلة .

(٤) سورة الإسراء : (١٠٥) .

فرجعْنـــا إلى ابنِ الســـمَّاكِ ، فأخبرْنـــاهُ بذٰلكَ ، فوضعَ يـــدَهُ علىٰ موضعِ الوجـــعِ وقالَ ما قـــالَ الرجلُ ، وعُوفيَ في الوقتِ ، فقـــالَ : كانَ ذٰلكَ الخضرَ عليهِ السلامُ .

سمعتُ محمدَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ عبدَ الرحمـٰنِ بنَ محمدٍ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ عمِّي البِسْطاميَّ يقولُ : كنَّا قعوداً في مسجدِ أبي يزيدَ ، فقالَ : قوموا نستقبلْ وليّاً مِنْ أولياءِ اللهِ تعالىٰ ، فقمْنا معَهُ .

فلمَّا بلغْنا الدربَ . . فإذا إبراهيمُ بنُ إستنبةَ الهرويُّ ، فقالَ لهُ أبو يزيدَ : وقعَ في خاطري أنْ أستقبلَكَ وأشفعَ لكَ إلىٰ ربِّي ، فقالَ إبراهيمُ بنُ إستنبةَ : ولوْ شفَّعَكَ في جميعِ الخلقِ . . لمْ يكنْ بكثيرٍ ، إنَّما همْ قطعةُ طينٍ ، فتحيَّرَ أبو يزيدَ في جوابِهِ (١) .

قالَ الأستاذُ : وكرامةُ إبراهيمَ في استصغارِ ذٰلكَ أتمُّ مِنْ كرامةِ أبي يزيدَ فيما حصلَ لهُ مِنَ الفراسةِ ، وصدقَ لهُ مِنَ الحالةِ في بابِ الشفاعةِ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ يوسفَ بنَ الحسينِ يقولُ : سمعتُ ذا النونِ المصريَّ يقولُ وقدْ سألَهُ سالمٌ المغربيُّ عنْ أصلِ توبتِهِ ، فقالَ : خرجتُ مِنْ مصرَ إلىٰ بعضِ القرىٰ ، فنِمتُ في الطريقِ ، فانتبهتُ وفتحتُ عيني ، فإذا أنا بقنبرةٍ عمياءَ سقطَتْ مِنْ شجرةٍ على الأرضِ ، فانشقَّتِ الأرضُ ، فخرجَ منها سُكُرُّجَتانِ ، إحداهما مِنْ ذهبٍ ، والأخرىٰ مِنْ فضةٍ ، في إحداهما سِمْسِمٌ ، وفي الأخرىٰ ماءُ وردٍ ، فأكلَتْ مِنْ هـٰذهِ وشربَتْ مِنْ هـٰذهِ ، فقلتُ : حسبي ، تُبتُ ، ولزمتُ البابَ إلىٰ أنْ قبلَني (٢) .

وقيلَ : أصابَ عبدَ الواحدِ بنَ زيدٍ فالجٌ ، فدخلَ وقتُ الصلاةِ واحتاجَ إلى الوضوءِ ، فقالَ : مَنْ ها هنا ؟ فلمْ يجبْهُ أحدٌ ، وخافَ فوتَ الوقتِ ، فقالَ :

---

(١) وأورده الرافعي في « التدوين » (١٣٣/٢) .
(٢) تقدم (ص ١٠٥) .

يا ربِّ ؛ أحللْني مِنْ وثاقي حتَّىٰ أقضيَ طهارتي ، ثمَّ شأنَكَ وأمرَكَ .

قالَ : فصحَّ حتَّىٰ أكملَ طهارتَهُ ، ثمَّ عادَ إلىٰ فراشِهِ ، وصارَ كما كانَ [١] .

وقالَ أيوبُ الحمَّالُ [٢] : كانَ أبو عبدِ اللهِ الديلميُّ إذا نزلَ منزلاً في سفرٍ . . عمدَ إلىٰ حمارِهِ وقالَ في أذنِهِ : كنتُ أُريدُ أنْ أشدَّكَ ، فالآنَ لا أشدُّكَ ، وأرسلُكَ في هٰذهِ الصحراءِ لتأكلَ الكلأَ ، فإذا أردْنا الرحيلَ . . فتعالَ ، فإذا كانَ وقتُ الرحيلِ . . يأتيهِ الحمارُ .

وقيلَ : زوَّجَ أبو عبدِ اللهِ الديلميُّ ابنتَهُ ، واحتاجَ إلىٰ ما يجهِّزُها ، وكانَ لهُ ثوبٌ يخرجُ في كلِّ وقتٍ فيُشترىٰ بدينارٍ [٣] ، فخرجَ لهُ ثوبٌ ، فقالَ لهُ البيَّاعُ : إنَّهُ يساوي أكثرَ مِنْ دينارٍ ، فلمْ يزلْ يزيدونَ في ثمنِهِ حتَّىٰ بلغَ مئةَ دينارٍ ، فجهَّزَها .

وقالَ النضرُ بنُ شميلٍ : (ابتعتُ إزاراً ، فوجدتُهُ قصيراً ، فسألتُ ربِّي تعالىٰ أنْ يمغَطَ لي ذراعاً ، ففعلَ) .

قالَ الأستاذُ : قولُهُ : يمغَطُ ؛ أي : يمدُّ ؛ مِنْ مَغْطِ القوسِ ؛ وهوَ مدُّهُ [٤] .

قالَ النضرُ بنُ شميلٍ : (ولوِ استزدتُهُ . . لزادَني) .

وقيلَ : كانَ عامرُ بنُ عبدِ قيسٍ سألَ أنْ يهوِّنَ عليهِ طُهُورَهُ في الشتاءِ ، فكانَ يُؤتىٰ بهِ ولهُ بخارٌ ، وسألَ ربَّهُ أنْ ينزعَ شهوةَ النساءِ مِنْ قلبِهِ ، فكانَ لا يبالي بهِنَّ ، وسألَهُ أنْ يمنعَ الشيطانَ مِنْ قلبِهِ وهوَ في صلاتِهِ ، فلمْ يُجبْ إليهِ [٥] .

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ : دخلتُ الدارَ ، فإذا أنا برجلٍ ، فقلتُ : مَنْ أنتَ ؟

---

(١) كذا في « تاريخ دمشق » (٢٢٨/٣٧) .

(٢) وهو كذا في « توضيح المشتبه » (٤١٤/٢) بالإهمال ، وقال : (من زهَّاد وقته ببغداد في زمن سري السقطي) .

(٣) يعني : كان ينسج ويبيع الثوب بدينار كما أفاده في « إحكام الدلالة » (١٨٧/٤) .

(٤) انظر « الصحاح » (م غ ط) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٣٧) .

دخلـتَ بغيرِ إذني ! فقالَ : أخوكَ الخضرُ ، فقلتُ : ادعُ اللهَ تعالىٰ لي ، فقالَ : هوَّنَ اللهُ عليكَ طاعتَهُ ، فقلتُ : زدْني ، فقالَ : وسترَها عليكَ .

وقالَ إبراهيمُ الخوَّاصُ : دخلتُ خربةً في بعضِ الأسفارِ في طريقِ مكَّةَ بالليلِ ، فإذا فيها سبعٌ عظيمٌ ، فخِفتُ ، فهتفَ بي هاتفٌ : اثبُتْ ؛ فإنَّ حولكَ سبعينَ ألفَ ملكٍ يحفظونَكَ[1] .

أخبرَنا محمدُ بنُ الحسينِ قالَ : أخبرَنا أبو الفرجِ الوَرْثانيُّ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ عليَّ بنَ محمدٍ الصوفيَّ قالَ : سمعتُ جعفراً الدَّبِيليَّ قالَ : دخلَ النُّوريُّ الماءَ ، فجاءَ لصٌّ فأخذَ ثيابَهُ ، ثمَّ إنَّهُ جاءَ ومعَهُ الثيابُ وقدْ جفَّتْ يدُهُ ، فقالَ النُّوريُّ : قدْ ردَّ علينا الثيابَ ؛ فرُدَّ عليهِ يدَهُ ، فعُوفيَ[2] .

وقالَ الشِّبليُّ : اعتقدتُ وقتاً ألَّا آكلَ إلَّا مِنَ الحلالِ ، فكنتُ أدورُ في البراري ، فرأيتُ شجرةَ تينٍ ، فمددتُ يدي إليها لآكلَ ، فنادَتْني الشجرةُ : احفظْ عليكَ عقدَكَ ، لا تأكلْ منِّي ؛ فإنِّي ليهوديٍّ .

وقالَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ : دخلتُ بغدادَ قاصداً إلى الحجِّ وفي رأسي نخوةُ الصوفيَّةِ ، ولمْ آكلِ الخبزَ أربعينَ يوماً ، ولمْ أدخلْ على الجنيدِ ، وخرجتُ ولمْ أشربْ إلىٰ زُبالةَ[3] ، وكنتُ علىٰ طهارتي ، فرأيتُ ظبياً علىٰ رأسِ البئرِ وهوَ يشربُ وكنتُ عطشانَ ، فلمَّا دنوتُ مِنَ البئرِ . . ولَّى الظبيُ ، وإذا الماءُ في أسفلِهِ ، فمشَيتُ وقلتُ : يا سيدي ؛ ما لي محلُّ هٰذا الظبيِ ؟

فسمعتُ مِنْ خلفي : جرَّبْناكَ ما تصبرُ ، ارجعْ وخُذِ الماءَ ، فرجعتُ ، فإذا البئرُ ملأىٰ ماءً ، فملأْتُ رَكوتي ، وكنتُ أشربُ منهُ وأتطهَّرُ إلى المدينةِ ولمْ ينفدْ .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٥٤٢) بنحوه .

(٢) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٥١) ، والخطيب في « تاريخه » (٥/٣٤٠) .

(٣) في هامش (ل) حاشية : (زُبالة بضم الزاي وتخفيف الباء : منهل من مناهل حاجّ بغداد ، بينها وبين الكوفة ثلاث مراحل ، بنتْهُ زبيدة ، وبه آبار كثيرة ، ينسب إليه محمدُ بن الحسن بن عياش الزُّبالي ، عنه ابن عقدة) .

ولمَّا استقَيتُ . . سمعتُ هاتفاً يقولُ : إنَّ الظبيَ جاءَ بلا ركوةٍ ولا حبلٍ ، وأنتَ جئتَ معَ الركوةِ ، فلمَّا رجعتُ مِنَ الحجِّ . . دخلتُ الجامعَ ، فلمَّا وقعَ بصرُ الجنيدِ عليَّ . . قالَ : لوْ صبرتَ . . لنبعَ الماءُ مِنْ تحتِ رجلِكَ ، لوْ صبرتَ صبرَ ساعةٍ صبرَ ساعةٍ[1] .

سمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ السهميَّ الجُرْجانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ بنَ عديٍّ الحافظَ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ حمزةَ بمصرَ يقولُ : حدَّثَني عبدُ الوهَّابِ وكانَ مِنَ الصالحينَ قالَ : قالَ محمدُ بنُ سعيدٍ البصريُّ : بينا أنا أمشي في بعضِ طريقِ البصرةِ . . إذْ رأيتُ أعرابياً يسوقُ جملاً ، فالتفتُّ ، فإذا الجملُ وقعَ ميتاً ، ووقعَ الرحلُ والقتبُ ، فمشَيتُ ثمَّ التفتُّ فإذا الأعرابيُّ يقولُ : يا مسبِّبَ كلِّ سببٍ ، ويا مأمولَ مَنْ طلبَ ؛ رُدَّ عليَّ ما ذهبَ ، يحملُ الرحلَ والقتبَ ، فإذا الجملُ قائمٌ والرحلُ والقتبُ فوقَهُ .

وقيلَ : إنَّ شبلاً المروذيَّ[2] اشتهىٰ لحماً ، فأخذَهُ بنصفِ درهمٍ ، فاستلبَهُ منهُ حِدَأةٌ ، فدخلَ شبلٌ مسجداً يصلي ، فلمَّا رجعَ إلىٰ منزلِهِ . . قدَّمَتِ امرأتُهُ إليهِ لحماً ، فقالَ : مِنْ أينَ هٰذا ؟ فقالَتْ : تنازعَ حِدَأتانِ ، فسقطَ هٰذا منهما ، فقالَ شبلٌ : الحمدُ للهِ الذي لمْ ينسَ شبلاً وإنْ كانَ شبلٌ ينساهُ[3] .

أخبرَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصوفيُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ الواحدِ بنُ بكرٍ الوَرْثانيُّ قالَ : سمعتُ محمدَ بنَ داوودَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ معمرٍ يقولُ : سمعتُ ابنَ أبي عُبيدٍ البُسْريَّ يحدِّثُ عنْ أبيهِ أنَّهُ غزا سنةً مِنَ السنينَ ، فخرجَ في السريَّةِ ، فماتَ المهرُ الذي كانَ تحتَهُ وهوَ في السريَّةِ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ أعزناهُ حتَّىٰ نرجعَ إلىٰ بُسْرىٰ ؛ يعني : قريتَهُ ، فإذا المهرُ قائمٌ .

---

(١) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخه » (٥٢/٤١٤) .
(٢) في غير (أ ، ج) : (المروزي) بدل (المروذي) ، وفي « حلية الأولياء » (١٠/١٦١) : (المدري) .
(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٦١) .

فلمَّا غزا ورجعَ إلىٰ بُسْرىٰ . . قالَ : يا بُنيَّ ؛ خُذِ السرجَ عنِ المهرِ ، فقلتُ : إنَّهُ عرقَ ، فإنْ أخذتُ السرجَ . . داخلَهُ الريحُ ، فقالَ : يا بُنيَّ ؛ إنَّهُ عاريَّةٌ ، قالَ : فلمَّا أخذتُ السرجَ . . وقعَ المهرُ ميتاً[1] .

وقيلَ : كانَ بعضُهُمْ نبَّاشاً ، فتُوفِّيَتِ امرأةٌ ، فصلَّى الناسُ عليها وصلَّىٰ هٰذا النبَّاشُ ليتعرَّفَ القبرَ ، فلمَّا جنَّ عليهِ الليلُ . . نبشَ قبرَها ، فقالَتِ المرأةُ : سبحانَ اللهِ ! رجلٌ مغفورٌ لهُ يأخذُ كفنَ امرأةٍ مغفورٍ لها ! فقالَ : هبْ أنَّكِ غُفِرَ لكِ . . فأنا مغفورٌ لي ؟! فقالَتْ : إنَّ اللهَ غفرَ لي ولجميعِ مَنْ صلَّىٰ عليَّ ، وأنتَ قدْ صلَّيتَ عليَّ ، فتركتُها ورددتُ الترابَ عليها ، ثمَّ تابَ الرجلُ وحسُنَتْ توبتُهُ .

سمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ يقولُ : سمعتُ أبا الحسنِ إسماعيلَ بنَ عمرِو بنِ كاملٍ بمصرَ يقولُ : سمعتُ أبا محمدٍ نعمانَ بنَ موسى الجِيزيَّ بالجِيزةِ يقولُ : رأيتُ ذا النونِ المصريَّ وقدْ تقاتلَ اثنانِ أحدُهُما مِنْ أولياءِ السلطانِ ، والآخرُ مِنَ الرعيَّةِ ، فعدا الذي مِنَ الرعيَّةِ عليهِ ، فكسرَ ثنيَّتَهُ ، فتعلَّقَ الجنديُّ بالرجلِ وقالَ : بيني وبينَكَ الأميرُ .

فجازوا بذي النونِ ، فقالَ لهُمُ الناسُ : اصعدوا إلى الشيخِ ، فصعِدوا إليهِ ، فعرَّفوهُ ما جرىٰ ، فأخذَ السنَّ ثمَّ بلَّها بريقِهِ وردَّها إلىٰ فمِ الرجلِ في الموضعِ الذي كانَتْ فيهِ ، وحرَّكَ شفتيهِ ، فتعلَّقَتْ بإذنِ اللهِ ، فبقيَ الرجلُ يفتِّشُ فاهُ ، فلمْ يجدِ الأسنانَ إلَّا سواءً[2] .

حدَّثَنا أبو الحسينِ محمدُ بنُ الحسينِ القطَّانُ ببغدادَ قالَ : حدَّثَنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ الصفَّارُ قالَ : حدَّثَنا الحسنُ بنُ عرفةَ بنِ يزيدَ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ الأَوْديُّ ، عنْ إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، عنْ

---

(١) رواه السمعاني في « الأنساب » (٢٢٨/٢) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٤٦٩/٦) .

(٢) ورواه من طريق المصنف ابن عساكر في « تاريخه » (٤٠٦/١٧) .

أبي سَبْرةَ النَّخَعيّ قالَ : أقبلَ رجلٌ مِنَ اليمنِ ، فلمَّا كانَ في بعضِ الطريقِ . . نَفَقَ حمارُهُ ، فقامَ فتوضَّأ ، ثمَّ صلَّىٰ ركعتينِ ، ثمَّ قالَ : اللهمَّ ؛ إنِّي جئتُ مجاهداً في سبيلِكَ ابتغاءَ مرضاتِكَ ، وأنا أشهدُ أنَّكَ تحيي الموتىٰ وتبعثُ مَنْ في القبورِ ، لا تجعلْ لأحدٍ عليَّ منَّةً اليومَ ؛ أطلبُ إليكَ أنْ تبعثَ حماري ، فقامَ الحمارُ ينفضُ أذنيهِ[1] .

سمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ النابلسيَّ يقولُ : حدَّثنا أبو بكرٍ الهَمَذانيُّ يقولُ : بقِيتُ في برِّيَّةِ الحجازِ أياماً لمْ آكلْ شيئاً ، فاشتهَيتُ باقلَّىٰ حارّاً وخبزاً مِنْ بابِ الطاقِ[2] ، فقلتُ : أنا في البريةِ وبيني وبينَ العراقِ مسافةٌ ، فلمْ أتمَّ خاطري . . إذا أنا بأعرابيٍّ مِنْ بعيدٍ ينادي : باقلَّىٰ حارٌّ وخبزٌ ، فتقدمتُ إليهِ وقلتُ : عندَكَ باقلَّىٰ حارٌّ ؟ فقالَ : نعمْ ، وبسطَ مئزراً كانَ عليهِ ، وأخرجَ خبزاً وباقلَّىٰ وقالَ لي : كُلْ ، فأكلتُ ، ثمَّ قالَ : كُلْ ، فأكلتُ ، ثمَّ قالَ : كُلْ ، فأكلتُ ، فلمَّا قالَ في الرابعةِ . . قلتُ : بحقِّ الذي بعثَكَ إليَّ ؛ إلَّا قلتَ لي مَنْ أنتَ ، فقالَ : الخضرُ ، وغابَ عنِّي فلمْ أرَهُ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمـٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا العبَّاسِ بنَ الخشَّابِ البغداديَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ أبا جعفرٍ الحدَّادَ يقولُ : جئتُ الثعلبيَّةَ وهيَ خرابٌ[3] ، ولي سبعةُ أيامٍ لمْ آكلْ ، فدخلتُ القبَّةَ ، وجاءَ قومٌ خراسانيونَ أصابَهُمْ جهدٌ ، فطرحوا أنفسَهُمْ علىٰ بابِ القبَّةِ ، فجاءَ أعرابيٌّ علىٰ راحلةٍ وصبَّ تمراً بينَ أيديهِمْ ، فاشتغلوا بالأكلِ ولمْ يقولوا لي شيئاً ، ولمْ يرَني الأعرابيُّ .

فلمَّا كانَ بعدَ ساعةٍ . . فإذا بالأعرابيِّ قدْ جاءَ وقالَ لهُمْ : معَكُمْ غيرُكُمْ ؟ فقالوا : نعمْ ، هـٰذا الرجلُ داخلَ القبَّةِ ، قالَ : فدخلَ الأعرابيُّ وقالَ لي : أيشٍ

---

(١) ورواه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (٤٩) بنحوه .

(٢) باب الطاق : محلَّة كبيرة بالجانب الشرقي من بغداد .

(٣) الثعلبية : منزل علىٰ طريق مكة من الكوفة .

أنتَ ؟! لِمَ لمْ تتكلَّمْ ؟! مضَيتُ فعارضَني أنْ قدْ خلَّفْتَ إنساناً لمْ تطعمْهُ[1] ، ولمْ يمكني أنْ أمضيَ ، وطوَّلْتَ عليَّ الطريقَ ؛ لأنِّي رجعتُ عنْ أميالٍ ، وصبَّ بينَ يديَّ التمرَ الكثيرَ ، ومضىٰ ، فدعوتُهُمْ ، فأكلوا وأكلتُ[2] .

سمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ يقولُ : سمعتُ أبا طاهرٍ الدُّقيَّ يقولُ : سمعتُ أحمدَ بنَ عطاءٍ يقولُ : كلَّمَني جملٌ في طريقِ مكَّةَ ؛ رأيتُ جمالاً والمحاملُ عليها وقدْ مدَّتْ أعناقَها في الليلِ ، فقلتُ : سبحانَ مَنْ يحملُ عنها ما هيَ فيهِ ! فالتفتَ إليَّ جملٌ وقالَ لي : قُلْ : جلَّ اللهُ ، فقلتُ : جلَّ اللهُ[3] .

سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ الحسينَ بنَ أحمدَ الفارسيَّ يقولُ : سمعتُ الدُّقِّيَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرِ بنَ معمرٍ يقولُ : سمعتُ أبا زرعةَ الجنبيَّ يقولُ : مكرَتْ بيَ امرأةٌ فقالَتْ : ألا تدخلُ الدارَ فتعودَ مريضاً ، فدخلتُ ، فأغلقَتِ البابَ ولمْ أرَ أحداً ، فعلمتُ ما فعلَتْ ، فقلتُ : اللهمَّ ؛ سوِّدْها ، فاسودَّتْ ، فتحيَّرَتْ وفتحتِ البابَ ، فخرجتُ وقلتُ : اللهمَّ ؛ رُدَّها إلىٰ حالِها ، فردَّها إلىٰ ما كانَتْ عليهِ[4] .

سمعتُ حمزةَ بنَ يوسفَ يقولُ : سمعتُ أبا أحمدَ الغطريفيَّ يقولُ : سمعتُ السرَّاجَ يقولُ : سمعتُ أبا سليمانَ الروميَّ يقولُ : سمعتُ خليلاً الصيَّادَ يقولُ : غابَ ابني محمدٌ ، فوجدْنا عليهِ وجداً شديداً ، فأتيتُ معروفاً الكَرْخيَّ ، فقلتُ : يا أبا محفوظٍ ؛ غابَ ابني وأُمُّهُ واجدةٌ عليهِ .

فقالَ : ما تشاءُ ؟ فقلتُ : ادعُ اللهَ أنْ يردَّهُ ، فقالَ : اللهمَّ ؛ إنَّ السماءَ سماؤُكَ ، والأرضَ أرضُكَ ، وما بينَهما لكَ ، ائتِ بمحمدٍ .

---

(١) في (ي) : (فعارضني إنسان فقال لي : أن قد . . .) .

(٢) ورواه ابن عساكر في « تاريخه » (٦٦/١١٦ ـ ١١٧) .

(٣) ورواه من طريق المصنف ابنُ عساكر في « تاريخه » (٥/١٩) ، وتقدم (ص ٢٢٨) .

(٤) ورواه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٧١٩) .

قالَ خليلٌ : فأتيتُ بابَ الشامِ ، فإذا هوَ واقفٌ ، فقلتُ : يا محمدُ ، فقالَ : يا أبتِ ؛ كنتُ الساعةَ بالأنبارِ ![1] .

قالَ الأستاذُ : واعلمْ : أنَّ الحكاياتِ في هٰذا البابِ تربي على الحصرِ[2] ، والزيادةُ علىٰ ما ذكرْناهُ تخرجُنا عنِ المقصودِ مِنَ الإيجازِ ، وفيما ذكرْناهُ مقنعٌ في هٰذا البابِ[3] .

* * *

(١) ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٢/٨) ، والخطيب في « تاريخه » (٢٠٨/١٣) .

(٢) انظر استعمال (يربي) للمصنف (ص ٦٩٦) قال الله تعالىٰ في سورة البقرة (٢٧٦) : ﴿ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أي : يزيد في ثوابها .

(٣) قال العلامة اللخمي في « الدلالة » : (وقد حصل والحمد لله في هٰذا الفصل من خوارق العادات للصحابة والتابعين وتابع التابعين وتابعيهم إلىٰ زماننا من خوارق العادات علىٰ وجه الكرامات بالأولياء . . ما يفيد العلم بوقوعها بعد جوازها عقلاً ، ولا ينكر وقوعها إلا أهل الأهواء ، وأما إنكار جوازها . . فمن باب الضلال والعمىٰ) .

بابُ رؤيا القوم

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾[1] .

قيلَ : هيَ الرؤيا الحسنةُ يراها المرءُ أوْ تُرىٰ لهُ .

أخبرَنا أبو الحسنِ الأهْوازيُّ قالَ : أخبرَنا أحمدُ بنُ عبيدٍ البصريُّ قالَ : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المنقريُّ قالَ : حدَّثَنا منصورُ بنُ أبي مزاحمٍ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ عيَّاشٍ ، عنْ عاصمٍ ، عنْ أبي صالحٍ ، عنْ أبي الدرداءِ ، قالَ : سألتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنْ هٰذهِ الآيةِ : ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **ما سألَني عنها أحدٌ قبلَكَ ؛** هيَ الرؤيا الحسنةُ ، **يراها المرءُ أوْ تُرىٰ لهُ** »[2] .

أخبرَنا السيدُ أبو الحسنِ محمدُ ابنُ الحسينِ العلويُّ قالَ : أخبرَنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ محمدِ بنِ زيدٍ قالَ : حدَّثَنا عليُّ بنُ الحسنِ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ الوليدِ ، عنْ سفيانَ ، عنْ يحيى بنِ سعيدٍ ، عنْ أبي سلمةَ ، عنْ أبي قتادةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « **الرؤيا مِنَ اللهِ ، والحُلُمُ مِنَ الشيطانِ ، فإذا رأىٰ أحدُكُمْ رؤيا يكرهُها .. فليتفلْ عنْ يسارِهِ ، وليتعوَّذْ ؛ فإنَّها لنْ تضرَّهُ** »[3] .

أخبرَنا أبو بكرِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عُبدوسٍ المُزَكِّي قالَ : حدَّثَنا أبو أحمدَ حمزةُ بنُ العبَّاسِ البزَّازُ قالَ : حدَّثَنا عبَّاسُ بنُ محمدِ بنِ حاتمٍ

---

(١) سورة يونس : (٦٤) .

(٢) ورواه الترمذي (٢٢٧٣) ، وروى البخاري (٦٩٩٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات » ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : « الرؤيا الصالحة » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « من النبوة » إشارة إلى الإلهام والكشف الذي بقي منها للأولياء والعارفين .

(٣) ورواه البخاري (٥٧٤٧) ، ومسلم (٢٢٦١) .

قالَ : حدَّثَنا عبيدُ اللهِ بنُ موسىٰ قالَ : حدَّثَنا إسرائيلُ ، عنْ أبي إسحاقَ ، عنْ أبي الأحوصِ وأبي عبيدةَ ، عنْ عبدِ اللهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ رآني في المنامِ . . فقدْ رآني ؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ في صورتي »[1] .

ومعنى الخبرِ : أنَّ تلكَ الرؤيا رؤيا صدقٍ ، [وتأويلُها] حقٌّ ، وأنَّ الرؤيا نوعٌ مِنْ أنواعِ الكراماتِ .

وتحقيقُ الرؤيا : خواطرُ تردُ على القلبِ[2] ، وأحوالٌ تُتصوَّرُ في الوهمِ إذا لمْ يستغرقِ النومُ جميعَ الاستشعارِ ، فيتوهَّمُ الإنسانُ عندَ اليقظةِ أنَّهُ كانَ رؤيةً في الحقيقةِ ، وإنَّما كانَ ذٰلكَ تصوُّراً وأوهاماً تقرَّرَتْ في قلوبِهِمْ ، وحينَ زالَ عنهُمُ الإحساسُ الظاهرُ . . تجرَّدَتْ تلكَ الأوهامُ عنِ المعلوماتِ بالحسِّ والضرورةِ[3] ، فقويَتْ تلكَ الحالةُ عندَ صاحبِها ، فإذا استيقظَ . . ضعُفَتْ تلكَ الأحوالُ التي تصوَّرَها بالإضافةِ إلىٰ حالِ إحساسِهِ بالمشاهداتِ وحصولِ العلومِ الضروريَّةِ .

ومثالُهُ : كالذي يكونُ في ضوءِ السراجِ عندَ اشتدادِ الظلمةِ ، فإذا طلعَتِ الشمسُ عليهِ . . غلبَتْ ضوءَ السراجِ ، فيتقاصرُ نورُ السراجِ بالإضافةِ إلىٰ ضياءِ الشمسِ ؛ فمثالُ حالِ النومِ كمَنْ هوَ في ضوءِ السراجِ ، ومثالُ التَّيَقُّظِ كمَنْ تعالىٰ عليهِ النهارُ ، وإنَّ المستيقظَ يتذكَّرُ ما كانَ متصوّراً لهُ في حالِ نومِهِ .

ثمَّ إنَّ تلكَ الأحاديثَ والخواطرَ التي كانَتْ تردُ علىٰ قلبِهِ في حالِ نومِهِ مرَّةً تكونُ مِنْ قبَلِ الشيطانِ ، ومرَّةً مِنْ هواجسِ النفسِ ، ومرَّةً لخواطرِ

---

(١) ورواه ابن ماجه (٣٩٠٠) وهو في « الصحيحين » من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الخواطر ترجع إلى الأقوال ، والمرئيات صور وأشكال سواء كانت خواطر أم لا . انظر « إحكام الدلالة » (١٩١/٤) .

(٣) الضرورة هنا : كل علم بديهي ترسّخ في النفس وإن لم يكن مصدره الحس .

المَلَـكِ ، ومرَّةً تكون تعريفـاً مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ بخلقِ تلـكَ الأحوالِ في قلبهِ ابتداءً[1] .

وفي الخبرِ : « أصدقُكُمْ رؤيا أصدقُكُمْ حديثاً »[2] .

واعلـمْ : أنَّ النومَ علىٰ أقسـامٍ : نـومُ غفلةٍ ، ونومُ عـادةٍ[3] ، وذٰلكَ غيرُ محمـودٍ ، بلْ هوَ معلولٌ ؛ لأنَّهُ أخـو الموتِ ، وفي بعضِ الأخبـارِ المرويَّةِ : « النومُ أخو الموتِ »[4] ، وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ ﴾[5] ، وقالَ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا ﴾[6] .

وقيلَ : لوْ كانَ في النومِ خيرٌ . . لكانَ في الجنةِ نومٌ .

وقيلَ : لمَّا ألقى اللهُ علىٰ آدمَ النومَ في الجنَّةِ . . أخرجَ منهُ حوَّاءَ ، وكلُّ بلائِهِ إنَّما حصلَ حينَ حصلَتْ حوَّاءُ .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : لمَّا قالَ إبراهيمُ لإسماعيلَ عليهما السلامُ : يا بُنيَّ ؛ إنِّي أرىٰ في المنامِ أنِّي أذبحُكَ ، فقالَ إسماعيلُ : يا أبتِ ؛ هٰذا جزاءُ مَنْ نامَ عنْ حبيبِهِ ، لوْ لمْ تنمْ . . لما أُمرتَ بذبحِ الولدِ .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ داوودَ عليهِ السلامُ : يا داوودُ ؛ كذبَ مَنِ ادعىٰ محبَّتي ، فإذا جنَّهُ الليلُ . . نامَ عنِّي[7] .

---

(١) فما كان من الشيطان فهو الحلم ، ومن النفس الهاجس ، ومن المَلَكَ والله تعالى الرؤيا .

(٢) رواه مسلم (٢٢٦٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، وصدره : « إذا اقترب الزمان . . لم تكد رؤيا المسلم تكذب . . . » ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٥/٢٠) : (وغير الصادق في حديثه يتطرق الخلل إلىٰ رؤياه) .

(٣) وبقي قسم ؛ وهو نوم الصدقة من الله تعالىٰ ، وسيأتي الحديث عنه .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٤١٦) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه مرفوعاً ، وصوَّب الدارقطني في « العلل » (١٣/٣٣٧) إرساله عن محمد بن المنكدر رحمه الله تعالىٰ .

(٥) سورة الأنعام : (٦٠) .

(٦) سورة الزمر : (٤٢) .

(٧) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٩٩) عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ ، وليس فيه ذكر سيدنا داوود عليه السلام .

والنومُ ضدُّ العلمِ ، ولهٰذا قال الشِّبليُّ : (نعسةٌ في ألفِ سنةٍ فضيحةٌ) .

وقالَ الشِّبليُّ : اطلعَ الحقُّ عليَّ فقالَ : مَنْ نامَ . . غفَلَ ، ومَنْ غفَلَ . . حُجِبَ ، فكانَ الشِّبليُّ يكتحلُ بالملحِ بعدَهُ ، حتَّىٰ كانَ لا يأخذُهُ النومُ[1] .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الخفيف]

عَجَباً لِلْمُحِبِّ كَيْفَ يَنَامُ ... كُلُّ نَوْمٍ عَلَى ٱلْمُحِبِّ حَرَامُ

وقيلَ : المريدُ أكلُهُ فاقةٌ ، ونومُهُ غلبةٌ ، وكلامُهُ ضرورةٌ[2] .

وقيلَ : لمَّا نامَ آدمُ بالحضرةِ . . قيلَ لهُ : هٰذهِ حوَّاءُ لتسكنَ إليها ، هٰذا جزاءُ مَنْ نامَ بالحضرةِ .

وقيلَ : إنْ كنتَ حاضراً . . فلا تنمْ ؛ فإنَّ النومَ في الحضرةِ سوءُ أدبٍ ، وإنْ كنتَ غائباً . . فأنتَ مِنْ أهلِ الحسرةِ والمصيبةِ ، والمصابُ لا يأخذُهُ النومُ .

وأمَّا أهلُ المجاهداتِ . . فنومُهُمْ صدقةٌ مِنَ اللهِ عليهِمْ ، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يباهي بالعبدِ إذا نامَ في سجودِهِ ؛ يقولُ : انظروا إلىٰ عبدي ، روحُهُ عندي ، وجسدُهُ بينَ يديَّ[3] .

قالَ الأستاذُ : يعني : روحُهُ في محلِّ النجوىٰ ، وبدنُهُ علىٰ بساطِ العبادةِ .

وقيلَ : كلُّ مَنْ نامَ على الطهارةِ . . يؤذنُ لروحِهِ أنْ تطوفَ بالعرشِ وتسجدَ للهِ عزَّ وجلَّ[4] .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾[5] .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : شكا رجلٌ إلىٰ بعضِ المشايخِ مِنْ كثرةِ النومِ ، فقالَ : اذهبْ واشكرِ اللهَ على العافيةِ ؛ فكمْ مِنْ مريضٍ في شهوةِ غمضةٍ مِنَ النومِ الذي تشكو منهُ .

---

(١) تقدم (ص ١٩٥) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٣٤٤) عن الكتاني رحمه الله تعالىٰ ، وتقدم (ص ٤٦٨) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٩٢/٤١) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٤) قوت القلوب (٢٥٧/٢) .

(٥) أي : راحة لأبدانكم . « إحكام الدلالة » (١٩٢/٤) ، والآية من سورة النبأ : (٩) .

وقيلَ : لا شيءَ أشدُّ على إبليسَ مِنْ نومِ العاصي ، يقولُ : متى ينتبهُ ويقومُ حتَّى يعصيَ اللهَ ؟!

وقيلَ : أحسنُ أحوالِ العاصي : أنْ ينامَ ، إنْ لمْ يكنِ الوقتُ لهُ . . لمْ يكنْ عليهِ .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : تعوَّدَ شاهُ الكِرمانيُّ السهرَ ، فغلبَهُ النومُ مرَّةً ، فرأى الحقَّ سبحانَهُ في النومِ ، فكانَ يتكلَّفُ النومَ بعدَ ذلكَ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : [من الوافر]

رَأَيْتُ سُرُورَ قَلْبِي فِي مَنَامِي فَأَحْبَبْتُ ٱلتَّنَعُّسَ وَٱلْمَنَامَا

وقيلَ : كانَ رجلٌ لهُ تلميذانِ اختلفا فيما بينَهُما ؛ فقالَ أحدُهما : النومُ خيرٌ ؛ لأنَّ الإنسانَ لا يعصي في تلكَ الحالةِ ، وقالَ الآخرُ : اليقظةُ خيرٌ ؛ لأنَّهُ يعرفُ اللهَ تعالى في تلكَ الحالةِ .

فتحاكما إلى ذلكَ الشيخِ ، فقالَ : أمَّا أنتَ الذي قلتَ بتفضيلِ النومِ . . فالموتُ خيرٌ لكَ مِنَ الحياةِ ، وأمَّا أنتَ الذي قلتَ بتفضيلِ اليقظةِ . . فالحياةُ خيرٌ لكَ .

وقيلَ : اشترى رجلٌ مملوكةً ، فلمَّا دخلَ الليلُ . . قالَ : افرشي الفراشَ ، فقالَتِ المملوكةُ : يا مولايَ ؛ ألكَ مولىً ؟ فقالَ : نعمْ ، فقالَتْ : ينامُ مولاكَ ؟ فقالَ : لا ، فقالَتْ : ألا تستحيي أنْ تنامَ ومولاكَ لا ينامُ ؟!

وقيلَ : قالَتْ بنيَّةٌ لسعيدِ بنِ جبيرٍ : لِمَ لا تنامُ ؟ فقالَ : إنَّ جهنَّمَ لا تدعُني أنْ أنامَ .

وقيلَ : قالَتْ بنتٌ لمالكِ بنِ دينارٍ : لِمَ لا تنامُ ؟ فقالَ : إنَّ أباكِ يخافُ البياتَ (١) .

وقيلَ : لمَّا ماتَ الربيعُ بنُ خُثَيمٍ . . قالَتْ بنيَّةٌ لأبيها : الأُسطوانةُ التي

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٥٥) عن مالك بن دينار عن ابنة الربيع بن خُثيم الآتي ذكره .

كانَتْ في دارِ جارِنا أينَ ذهبَتْ ؟ فقالَ : إنَّهُ كانَ جارَنا الصالحَ ؛ يقومُ مِنْ أوَّلِ الليلِ إلىٰ آخرِهِ .

فتوهَّمَتِ البنيَّةُ أنَّهُ كانَ ساريةً ؛ لأنَّها كانَتْ لا تصعدُ السطحَ إلَّا بالليلِ .

وقالَ بعضُهُمْ : في النومِ معانٍ ليسَتْ في اليقظةِ ؛ منها : أنَّهُ يرى المصطفىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ والصحابةَ والسلفَ الماضينَ في النومِ ، ولا يراهُمْ في اليقظةِ ، وكذٰلكَ يرى الحقَّ في النومِ ، وهٰذهِ مزيَّةٌ عظيمةٌ .

وقيلَ : رأىٰ أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ الحقَّ سبحانَهُ في النومِ ، فقالَ لهُ : سَلْ حاجتَكَ ، فقالَ : اللهمَّ ؛ اغفرْ لجميعِ عصاةِ أُمَّةِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : أنا أولىٰ بهٰذا منكَ ، سَلْ حاجتَكَ .

وقالَ الكَتَّانيُّ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقالَ لي : مَنْ تزيَّنَ للناسِ بشيءٍ يعلمُ اللهُ منهُ خلافَهُ . . شانَهُ اللهُ[1] .

وقالَ الكَتَّانيُّ أيضاً : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ : ادعُ اللهَ ألَّا يميتَ قلبي ، فقالَ : قُلْ كلَّ يومٍ أربعينَ مرَّةً : يا حيُّ يا قيُّومُ ؛ لا إلٰهَ إلا أنتَ .

ورأى الحسنُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهما عيسى ابنَ مريمَ عليهما السلامُ في المنامِ ، فقالَ له : إنِّي أريدُ أنْ أتخذَ خاتماً ، فما الذي أكتبُ عليهِ ؟ فقالَ : اكتبْ عليهِ : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ ؛ فإنَّهُ آخرُ الإنجيلِ .

ورُوِيَ عنْ أبي يزيدَ أنَّهُ قالَ : رأيتُ ربِّي عزَّ وجلَّ في المنامِ ، فقلتُ : كيفَ الطريقُ إليكَ ؟ فقالَ : اتركْ نفسَكَ وتعالَ .

وقيلَ : رأىٰ أحمدُ بنُ خضرويهِ ربَّهُ في المنامِ ، فقالَ : يا أحمدُ ؛ كلُّ الناسِ يطلبونَ منِّي ؛ إلَّا أبا يزيدَ فإنَّهُ يطلبُني .

وقالَ يحيى بنُ سعيدٍ القطَّانُ : رأيتُ ربِّي في المنامِ ، فقلتُ : يا ربِّ ؛

(١) ورُوي هٰذا من كلام الفاروق عمر رضي الله عنه كما في « الحلية » (١/٥٠) .

كمْ أدعوكَ فلا تستجيبُ لي ! فقالَ تعالىٰ : يا يحيىٰ ؛ إنِّي أحبُّ أنْ أسمعَ صوتَكَ (١) .

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ : رأيتُ أميرَ المؤمنينَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ في المنامِ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ عظْني ، فقالَ : ما أحسنَ عطفَ الأغنياءِ على الفقراءِ طلباً لثوابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ! وأحسنُ مِنْ ذٰلكَ تيهُ الفقراءِ على الأغنياءِ ثقةً باللهِ .

فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ؛ زدْني ، فقالَ : [من مخلع البسيط]

قَدْ كُنْتَ مَيْتاً فَصِرْتَ حَيّاً ... وَعَنْ قَرِيبٍ تَصِيرُ مَيْتَا
عَزَّ بِدَارِ ٱلْفَنَاءِ بَيْتٌ ... فَٱبْنِ بِدَارِ ٱلْبَقَاءِ بَيْتَا (٢)

وقيلَ : رُئِيَ سفيانُ الثوريُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : رحمَني ، فقيلَ : ما حالُ عبدِ اللهِ بنِ المباركِ ؟ فقالَ : هوَ ممَّنْ يلجُ علىٰ ربِّهِ كلَّ يومٍ مرَّتينِ (٣) .

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : رأى الأستاذُ أبو سهلٍ الصُّعْلُوكيُّ أبا سهلٍ الزجاجيَّ في المنامِ وكانَ الزجاجيُّ يقولُ بوعيدِ الأبدِ ، فقالَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ الزجاجيُّ : الأمرُ ها هنا أسهلُ ممَّا كنَّا نظنُّهُ (٤) .

ورُئِيَ الحسنُ بنُ عصامٍ الشيبانيُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أيْشٍ يكونُ مِنَ الكريمِ إلَّا الكرمُ ؟!

ورُئِيَ بعضُهُمْ في المنامِ ، فسُئِلَ عنْ حالِهِ ، فقالَ : [من مجزوء الخفيف]

حَاسَبُونَا فَدَقَّقُوا ... ثُمَّ مَنُّوا فَأَعْتَقُوا (٥)

---

(١) تقدم (ص ٥٦٢) .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخه » (٤٣٢/٩) وغيره ، والرائي : هو الفتح بن خشرف رحمه الله تعالىٰ .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨١/٣٢) .

(٤) تقدم (ص ٣٦٢) مع الكلام فيه .

(٥) سيأتي نحوه عن الشبلي (ص ٧٦٧) ، وفي هامش (ل) : أنشد الشيخ المسمِّع تكملةً له من غير الرواية :

هٰكذا كلُّ مالكٍ ... بالمماليكِ يرفقُ

ورُئِيَ حبيبٌ العجميُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : حبيبٌ العجميُّ ؟! فقالَ : هيهاتَ هيهاتَ !! ذهبتِ العجمةُ وبقِيتُ في النعمةِ .

وقيلَ : دخلَ الحسنُ البصريُّ مسجداً ليصلِّيَ المغربَ ، فوجدَ إمامَهُمْ حبيباً العجميَّ ، فلمْ يصلِّ خلفَهُ ؛ لأنَّهُ خافَ أنْ يلحنَ لعجمةٍ في لسانِهِ ، فرأىٰ في المنامِ تلكَ الليلةَ قائلاً يقولُ لهُ : لوْ صلَّيتَ خلفَهُ . . لغُفِرَ لكَ ما تقدَّمَ مِنْ ذنبِكَ .

ورُئِيَ مالكُ بنُ أنسٍ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي بكلمةٍ كانَ يقولُها عثمانُ بنُ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ عندَ رؤيةِ الجنازةِ : سبحانَ الحيِّ الذي لا يموتُ .

ورُئِيَ الليلةَ التي ماتَ فيها الحسنُ البصريُّ كأنَّ أبوابَ السماءِ مفتَّحةٌ ، وكأنَّ منادياً ينادي : ألا إنَّ الحسنَ البصريَّ قدِمَ على اللهِ تعالىٰ وهوَ عنهُ راضٍ .

سمعتُ أبا بكرِ بنَ إشكيبَ يقولُ : رأيتُ الأستاذَ أبا سهلٍ الصُّعْلُوكيَّ في النومِ علىٰ حالةٍ حسنةٍ ، فقلتُ : يا أستاذُ ؛ بمَ وجدتَ هٰذا ؟ فقالَ : بحسنِ ظنِّي بربِّي ، بحسنِ ظنِّي بربِّي (١) .

وقيلَ : رُئِيَ الجاحظُ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : [من الوافر]

فَلَا تَكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي ٱلْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

وقيلَ : رأى الجنيدُ إبليسَ في منامِهِ عرياناً ، فقالَ لهُ : ألا تستحيي مِنَ الناسِ ؟! فقالَ : هٰؤلاءِ ناسٌ ؟! الناسُ أقوامٌ في مسجدِ الشُّونيزيةِ ، أضنَوا جسدي ، وأحرقوا كبدي ، قالَ الجنيدُ : فلمَّا انتبهتُ . . غدَوتُ إلى المسجدِ (٢) ، فرأيتُ جماعةً وضعوا رؤوسَهُمْ علىٰ ركبِهِمْ

---

(١) رواه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ١٨٧) من طريق المصنف .

(٢) في (ج) : (عدوت) بدل (غدوت) .

يتفكَّرونَ ، فلمَّا رأَوني . . قالوا : لا يغرَّنَّكَ حديثُ الخبيثِ[1] .

ورُئِـيَ النصراباذيُّ بمكَّةَ بعدَ وفاتِـهِ في النومِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقـالَ : عُوتبـتُ عتابَ الأشـرافِ ، ثـمَّ نُوديتُ : يا أبا القاسـمِ ؛ أبَعْـدَ الاتصالِ انفصـالٌ ؟ فقلـتُ : لا يـا ذا الجـلالِ ، فمـا وُضِعـتُ فـي اللحـدِ حتَّـىٰ لحقتُ بالأحدِ[2] .

ورُئِيَ ذو النونِ المصريُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : كنتُ أسألُهُ ثلاثَ حوائجَ في الدنيا ، فأعطاني البعضَ ، وأرجو أنْ يعطيَني الباقيَ ؛ كنتُ أسألُهُ أنْ يعطيَني مِنَ العشرةِ التي علىٰ يدِ رضوانَ واحداً ، ويعطيَني بنفسِهِ ، وأنْ يعذبَني عنِ الواحدِ الذي بيدِ مالكٍ بعشرةٍ ، ويتولَّىٰ هوَ ، وأنْ يرزقَني أنْ أذكرَهُ بلسانِ الأبدِ[3] .

وقيلَ : رُئِيَ الشِّبليُّ في المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : لمْ يطالبْني بالبراهينِ على الدعاوي إلَّا علىٰ شيءٍ واحدٍ ؛ قلتُ يوماً : لا خسارةَ أعظمُ مِنْ خسرانِ الجنةِ ودخولِ النارِ ، فقالَ لي : وأيُّ خسارةٍ أعظمُ مِنْ خسرانِ لقائِي ؟!

سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ رحمةُ اللهِ عليهِ يقولُ : رأى الجُرَيريُّ الجنيدَ في المنامِ ، فقالَ : كيفَ حالُكَ يا أبا القاسمِ ؟ فقالَ : طاحَتْ تلكَ الإشاراتُ ، وبادَتْ تلكَ العباراتُ ، وما نفعَنا إلَّا تسبيحاتٌ كنَّا نقولُها بالغَدَواتِ[4] .

وقالَ النِّباجيُّ : تشهَّيتُ يوماً شيئاً ، فرأَيتُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ : أيجملُ بالحرِّ المريدِ أنْ يتذلَّلَ للعبيدِ وهوَ يجدُ مِنْ مولاهُ ما يريدُ ؟![5] .

---

(١) رواه الخطيب في « تاريخه » (٣/٦١) ، وهـٰؤلاء هم النوري والزقَّاق وأبو حمزة الخراساني .

(٢) كذا في « تاريخ دمشق » (٧/١٠٧) من طريق المصنف .

(٣) غرضه بذٰلك : أن النعيم وإن قلَّت أفراده والعذاب وإن كثرت أفراده ؛ إذا تولاهما الله له بنفسه . . كمُل السرور في النعيم ، ولم يجد كمال الألم في العذاب ؛ لأن كل ما يكون من المحبوب محبوب . « إحكام الدلالة » (٤/١٩٧) .

(٤) ورواه الخطيب في « تاريخه » (٧/٢٥٦) والرائي عنده : هو تلميذه جعفر الخلدي .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٢١/١٤) من طريق ابن أبي الدنيا .

وقالَ ابنُ الجَلَّا : دخلتُ المدينةَ وبي فاقةٌ ، فتقدَّمْتُ إلى القبرِ وقلتُ : أنا ضيفُكَ ، فغفَوتُ غفوةً ، فرأَيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقدْ أعطاني رغيفاً ، فأكلتُ نصفَهُ ، فانتبهتُ وبيدي النصفُ[1] .

وقالَ بعضُهُمْ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ يقولُ : زوروا ابنَ عونٍ ؛ فإنَّهُ يحبُّ اللهَ ورسولَهُ[2] .

وقيلَ : رأىٰ عتبةُ حوراءَ في المنامِ علىٰ صورةٍ حسنةٍ ، فقالَتْ لهُ : يا عتبةُ ؛ أنا لكَ عاشقةٌ ، فانظرْ ألَّا تعملَ مِنَ الأعمالِ شيئاً يُحالُ بهِ بيني وبينَكَ ، فقالَ عتبةُ : طلقتُ الدنيا ثلاثاً لا رجعةَ لي عليها حتَّىٰ ألقاكِ .

سمعتُ منصوراً المغربيَّ يقولُ : رأيتُ شيخاً في بلادِ الشامِ كبيرَ الشأنِ ، وكانَ الغالبُ عليهِ الانقباضَ ، فقيلَ لي : إنْ أردتَ أنْ ينبسطَ هٰذا الشيخُ معكَ . . فسلِّمْ عليهِ وقُلْ : رزقَكَ اللهُ الحورَ العينَ ؛ فإنَّهُ يرضىٰ منكَ بهٰذا الدعاءِ ، فسألتُ عنْ سببِهِ ، فقيلَ : إنَّهُ رأىٰ شيئاً مِنَ الحورِ في منامِهِ ، فبقيَ في قلبِهِ شيءٌ مِنْ ذٰلكَ ، فمضَيتُ وسلَّمتُ عليهِ وقلتُ : رزقَكَ اللهُ الحورَ العينَ ، فانبسطَ الشيخُ معي .

وقيلَ : رأىٰ أيوبُ السختيانيُّ جنازةَ عاصٍ ، فدخلَ دهليزاً لئلَّا يحتاجَ إلى الصلاةِ عليها ، فرأىٰ بعضُهُمُ الميِّتَ في المنامِ ، فقالَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي وقالَ : قُلْ لأيوبَ السختيانيِّ : ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِ ﴾[3] .

وقيلَ : رُئِيَ الليلةَ التي ماتَ فيها مالكُ بنُ دينارٍ كأنَّ أبوابَ السماءِ فُتِحَتْ وقائلاً يقولُ : ألا إنَّ مالكَ بنَ دينارٍ أصبحَ مِنْ سكَّانِ الجنَّةِ[4] .

---

(١) رواه الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٤) .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (١١١) ، والرائي : محمد بن فضيل .
(٣) سورة الإسراء : (١٠٠) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (١٠١) ، والرائي : مهدي بن ميمون .

وقالَ بعضُهُمْ : رأيتُ الليلةَ التي ماتَ فيها داوودُ الطائيُّ نوراً ، وملائكةً صعوداً وملائكةً نزولاً ، فقلتُ : أيُّ ليلةٍ هـٰذهِ ؟ فقالوا : ليلةٌ ماتَ فيها داوودُ الطائيُّ ، وقدْ زخرفَتِ الجنَّةُ لقدومِ روحِهِ .

قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : رأيتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رحمَهُ اللهُ في المنامِ ، فقلتُ له : ما فعلَ اللهُ بك ؟ فقالَ : ليسَ للمغفرةِ ها هنا كبيرُ خطرٍ ، أقلُّ مَنْ حضرَ ها هنا خطراً فلانٌ ، أُعطيَ كذا وكذا ، ووقعَ لي في المنامِ أنَّ ذٰلكَ الإنسانَ الذي عناهُ قتلَ نفساً بغيرِ حقٍّ .

وقيلَ : لمَّا ماتَ كُرْزُ بن وبرةَ . . رُئِيَ في المنامِ كأنَّ أهلَ القبورِ خرجوا مِنْ قبورِهِمْ وعليهِمْ ثيابٌ جُدُدٌ بيضٌ ، فقيلَ : ما هـٰذا ؟ فقالوا : إنَّ أهلَ القبورِ كُسُوا لباساً جُدُداً لقدومِ كُرْزٍ عليهِمْ[١] .

ورُئِيَ يوسفُ بن الحسينِ في المنامِ ، فقيلَ له : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي ، فقيلَ : بماذا ؟ فقالَ : لأنِّي ما خلطتُ جدّاً بهزلٍ[٢] .

ورُئِيَ أبو عبدِ اللهِ الزرَّادُ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : وقفَني وغفرَ لي كلَّ ذنبٍ أقررتُ بهِ في الدنيا ، إلَّا واحداً استحيَيتُ أنْ أقرَّ بهِ ، فوقفَني في العرقِ حتَّىٰ سقطَ لحمُ وجهي ، فقيلَ لهُ : وما ذٰلكَ ؟ فقالَ : نظرتُ يوماً إلىٰ شخصٍ جميلٍ ، فاستحيَيتُ أنْ أذكرَهُ[٣] .

سمعتُ أبا سعيدٍ الشحَّامَ يقولُ : رأيتُ الشيخَ الإمامَ أبا الطيِّبِ سهلاً الصُّعْلُوكيَّ في المنامِ ، فقلتُ : أيُّها الشيخُ ، فقالَ : دعِ التَّشْييخَ ، فقلتُ : وتلكَ الأحوالُ التي شاهدتُها ؟ فقالَ : لمْ تغنِ عنَّا ، فقلتُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي بمسائلَ كانَتْ تسألُ عنها العُجُزُ[٤] .

سمعتُ أبا بكرٍ الرشيديَّ الفقيهَ يقولُ : رأيتُ محمداً الطوسيَّ المعلِّمَ في

---

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨١/٥) .
(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٦) .
(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٦) ، ورواه في « ذم الهوىٰ » (٤١١) .
(٤) رواه الخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١٥٧/١) من طريق المصنف .

المنامِ ، فقالَ لي : قُلْ لأبي سعيدٍ الصفَّارِ المؤدِّبِ : [من الطويل]

وَكُنَّـا عَلَـىٰ أَلَّا نَحُـولَ عَـنِ ٱلْهَـوَىٰ ... فَقَـدْ وَحَيَـاةِ ٱلْحُـبِّ حُلْتُمْ وَمَـا حُلْنَا [١]

قالَ : فانتبهتُ ، وقلتُ ذٰلكَ لأبي سعيدٍ الصفَّارِ ، فقالَ : كنتُ أزورُ قبرَهُ كلَّ يومِ جمعةٍ ، فلمْ أزرْهُ هٰذهِ الجمعةَ .

وحُكِيَ عنْ بعضِهِمْ أنَّهُ قالَ : رأيتُ في المنامِ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وحولَهُ جماعةٌ مِنَ الفقراءِ ، فبينا هوَ كذٰلكَ . . إذْ نزلَ مِنَ السماءِ ملكانِ ، وبيدِ أحدِهِما طَستٌ ، وبيدِ الآخرِ إبريقٌ ، فوُضِعَ الطَّستُ بينَ يدَيْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فغسلَ يدَهُ ، ثمَّ أمرَ حتَّىٰ غسلوا أيديَهُمْ ، ثمَّ وُضِعَ الطَّستُ بينَ يديَّ ، فقالَ أحدُهُما للآخرِ : لا تصبَّ علىٰ يدِهِ ؛ فإنَّهُ ليسَ منهُمْ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أليسَ قدْ رُوِيَ عنكَ أنَّكَ قلتَ : « المرءُ معَ مَنْ أحبَّ » ؟[٢] فقالَ : بلىٰ ، فقلتُ : وأنا أحبُّكَ وأحبُّ هٰؤلاءِ الفقراءَ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : صُبَّ علىٰ يدِهِ ؛ فإنَّهُ منهُمْ[٣] .

وحُكِيَ عنْ بعضِهِمْ أنَّهُ كانَ يقولُ أبداً : العافيةَ العافيةَ ، فقيلَ لهُ : ما معنىٰ هٰذا الدعاءِ ؟ فقالَ : كنتُ حمَّالاً في ابتداءِ أمري ، وكنتُ حملتُ يوماً صدراً مِنَ الدقيقِ ، فوضعتُهُ لأستريحَ ، فكنتُ أقولُ : يا ربِّ ؛ لوْ أعطيتَني كلَّ يومٍ رغيفينِ مِنْ غيرِ تعبٍ . . لكنتُ أكتفي بهما ، فإذا رجلانِ يختصمانِ ، فتقدَّمْتُ أصلحُ بينَهما ، فضربَ أحدُهُما رأسي بشيءٍ أرادَ أنْ يضربَ بهِ خصمَهُ ، فدُمِيَ وجهي .

---

(١) في (ب ، ج) زيادة بيت :

لعـلَّ الـذي يقضـي الأمـورَ بعلمِـهِ ... سـيجمعُنا بعـدَ الممـاتِ كمـا كُنَّـا

وفي (ي) بيت قبل هٰذا أيضاً :

تشـاغلتم عنـا بصحبـة غيرنـا ... وأظهرتـم الهجـران مـا هٰكذا كنَّـا

وفي هامش (ج) أن ما سوى المثبت زيادة .

(٢) رواه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) ، وتقدم (ص ٦٥٤) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٦) ، وصاحب الخبر : أبو جعفر الصيدلاني .

فجاءَ صاحبُ الرَّبْعِ فأخذَهما ، فلمَّا رآني ملوَّثاً بالدمِ .. أخذَني وظنَّ أنِّي ممَّنْ تشاجرَ ، فأدخلَني السجنَ ، وبقِيتُ في السجنِ مدَّةً أُوتىٰ كلَّ يومٍ برغيفينِ .

فرأَيتُ ليلةً في المنامِ : إنَّكَ سألتَ الرغيفينِ كلَّ يومٍ مِنْ غيرِ نَصَبٍ ولمْ تسألِ العافيةَ ، فانتبهتُ ، وقلتُ : العافيةَ العافيةَ ، فرأَيتُ بابَ السجنِ يُقرَعُ ، وقيلَ : أينَ عمرُ الحمَّالُ ؟ وخلُّوا سبيلي (١) .

وحُكِيَ عنِ الكتَّانيِّ أنَّهُ قالَ : كانَ عندَنا رجلٌ مِنْ أصحابِنا هاجَتْ عينُهُ ، فقيلَ لهُ : ألا تعالجُها ؟ فقالَ : عزمتُ ألَّا أعالجَها حتَّىٰ تبرأَ ، قالَ : فرأَيتُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ : لوْ كانَ هٰذا العزمُ علىٰ أهلِ النارِ كلِّهم .. لأخرجْناهُمْ مِنَ النارِ (٢) .

وحُكِيَ عنِ الجنيدِ أنَّهُ قالَ : رأَيتُ في المنامِ كأنِّي أتكلَّمُ على الناسِ ، فوقفَ عليَّ مَلَكٌ فقالَ : أقربُ ما تقرَّبَ بهِ المتقرِّبون إلى اللهِ ماذا ؟ فقلتُ : عملٌ خفيٌّ بميزانٍ وفيٍّ ، قالَ : فولَّى المَلَكُ عنِّي وهوَ يقولُ : كلامٌ موفَّقٌ واللهِ (٣) .

وقالَ رجلٌ للعلاءِ بنِ زيادٍ : رأَيتُ في النومِ كأنَّكَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ ، فقالَ : لعلَّ الشيطانَ أرادَ أمراً فعُصمتُ منهُ ، فأشخصَ إليَّ رجلاً يعينُهُ (٤) .

وقيلَ : رُئِيَ عطاءٌ السليميُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : لقدْ كنتَ طويلَ الحزنِ ، فما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أما ـ واللهِ ـ لقدْ أعقبَني ذٰلكَ راحةً طويلةً وفرحاً دائماً ، فقيلَ لهُ : ففي أيِّ الدرجاتِ أنتَ ؟ فقالَ : ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (٥) .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٧) ، وفي هامش (أ) : (صح الكتاب) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٧) ، وذٰلك لصحة وقوة عزمِهِ الذي عزمَهُ .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٧) وفي هامش (ل) : (بلغ معارضة بالأصل الذي عليه خط المصنف بمصر) .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٨) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٥٦) ، والآية من سورة النساء : (٦٩) .

وقيلَ : رُئِيَ الأوزاعيُّ في المنامِ ، فقالَ : ما رأَيتُ ها هنا درجةً أرفعَ مِنْ درجةِ العلماءِ ، ثمَّ درجةِ المحزونينَ[1] .

وقالَ النِّباجيُّ : قيلَ لي في المنامِ : مَنْ وثِقَ باللهِ في رزقِهِ . . زِيدَ في حسنِ خُلُقِهِ ، وَسَخَتْ نفسُهُ في نفقتِهِ ، وقلَّتْ وساوسُهُ في صلاتِهِ[2] .

وقيلَ : رُئِيَتْ زُبيدةُ في المنامِ ، فقيلَ لها : ما فعلَ اللهُ بكِ ؟ فقالَتْ : غفرَ لي ، فقيلَ : بكثرةِ نفقتِكَ في طريقِ مكَّةَ ؟ فقالَتْ : لا ، أما إنَّ أجرَها عادَ إلىٰ أربابِها ، ولٰكنْ غفرَ لي بنيَّتِي[3] .

ورُئِيَ سفيانُ الثوريُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : وضعتُ أوَّلَ قدمي على الصراطِ ، والثانيَ في الجنةِ[4] .

وقالَ أحمدُ بنُ أبي الحَواريِّ : رأَيتُ في النومِ جاريةً ما رأيتُ أحسنَ منها ، يتلألأُ وجهُها ، فقلتُ : ما أنورَ وجهَكِ ! فقالَتْ : تذكرُ الليلةَ التي بكَيتَ فيها ؟ فقلتُ : نعمْ ، فقالَتْ : حُمِلَتْ إليَّ دمعتُكَ ، فمسحتُ بها وجهي ، فصارَ ضوءُ وجهي هٰكذا[5] .

وقيلَ : رأىٰ يزيدُ الرَّقاشيُّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقرأَ عليهِ ، فقالَ : هٰذهِ القراءةُ ، فأينَ البكاءُ ؟![6] .

وقالَ الجنيدُ : رأَيتُ في المنامِ كأنَّ ملكينِ نزلا مِنَ السماءِ ، فقالَ أحدُهُما : ما الصدقُ ؟ فقلتُ : الوفاءُ بالعهدِ ، فقالَ الآخرُ : صدقَ ، ثمَّ صعِدا[7] .

ورُئِيَ بشرٌ الحافي في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الهم والحزن » (١٦١) ، والرائي : يزيد بن مذكور .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٧/٩) من كلام أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٠) ، والرائي : الإمام إبراهيم الحربي رحمه الله تعالىٰ .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥١) .

(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥١) .

(٦) رواه ابن عساكر في « تاريخه » (٨٣/٦٥) .

(٧) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٢) .

وقالَ : أما استحيَيتَ يا بشرُ منِّي ؟! كنتَ تخافُني كلَّ ذٰلكَ الخوفِ ![1] .

وقيلَ : رُئِيَ أبو سليمانَ الدارانيُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي ، وما كانَ شيءٌ أضرَّ عليَّ مِنْ إشاراتِ القومِ[2] .

وقالَ عليُّ بنُ الموفَّقِ : كنتُ أفكِّرُ يوماً في سببِ عيالي والفقرِ الذي بهِمْ ، فرأَيتُ في المنامِ رُقعةً فيها مكتوبٌ : بسمِ اللهِ الرحمـٰنِ الرحيمِ ، يا بنَ الموفَّقِ ؛ أتخشى الفقرَ وأنا ربُّكَ ؟!

فلمَّا كانَ وقتُ الغَلَسِ .. أتاني رجلٌ بكيسٍ فيهِ خمسةُ آلافِ دينارٍ وقالَ : خذْها إليكَ يا ضعيفَ اليقينِ[3] .

وقالَ الجنيدُ : رأَيتُ في المنامِ كأنِّي واقفٌ بينَ يدَيِ اللهِ تعالىٰ ، فقالَ لي : يا أبا القاسمِ ؛ مِنْ أينَ لكَ هـٰذا الكلامُ الذي تقولُ ؟ فقلتُ : لا أقولُ إلَّا حقّاً ، فقالَ : صدقتَ[4] .

وقالَ أبو بكرٍ الكَتَّانيُّ : رأَيتُ في المنامِ شاباً لمْ أرَ أحسنَ منهُ ، فقلتُ : مَنْ أنتَ ؟ فقال : التقوىٰ ، قلتُ : فأينَ تسكنُ ؟ قالَ : في كلِّ قلبٍ حزينٍ ، ثـمَّ التفتُّ ، فإذا امرأةٌ سوداءُ كأوحشِ ما يكونُ ، فقلتُ : مَنْ أنتِ ؟ فقالَتِ : الضحكُ ، فقلتُ : أينَ تسكنينَ ؟ فقالَتْ : في كلِّ قلبٍ فَرِحٍ مَرِحٍ ، قالَ : فانتبهتُ ، واعتقدتُ ألَّا أضحكَ إلَّا غلبةً[5] .

وحُكِيَ عنْ أبي عبدِ اللهِ بنِ خَفيفٍ [أنَّهُ] قالَ : رأَيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ كأنَّهُ قالَ لي : مَنْ عرفَ طريقاً إلى اللهِ فسلكَهُ ثمَّ رجعَ عنهُ .. عذَّبَهُ اللهُ عذاباً لمْ يعذبْ بهِ أحداً مِنَ العالمينَ[6] .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٤) .
(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٥) .
(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٥) .
(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٥) .
(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٥) .
(٦) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٦) .

ورُئِيَ الشِّبليُّ في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : ناقشَني حتَّىٰ أيستُ ، فلمَّا رأىٰ يأسي . . تغمَّدَني برحمتِهِ (١) .

وقالَ أبو عثمانَ المغربيُّ : رأَيتُ في النومِ كأنَّ قائلاً يقولُ لي : يا أبا عثمانَ ؛ اتقِ اللهَ في الفقرِ ولوْ بقدْرِ سِمْسِمةٍ (٢) .

وقيلَ : كانَ لأبي سعيدٍ الخرَّازِ ابنٌ ماتَ قبلَهُ ، فرآهُ في المنامِ ، فقالَ لهُ : يا بُنيَّ ؛ أوصِني ، فقالَ : يا أبتِ ؛ لا تعاملِ اللهَ على الجبنِ ، فقالَ : يا بُنيَّ ؛ زدْني ، فقالَ : لا تخالفِ اللهَ تعالىٰ فيما يطالبُكَ بهِ ، فقالَ : زدْني ، فقالَ : لا تجعلْ بينَكَ وبينَ اللهِ قميصاً .

قالَ : فما لبسَ القميصَ ثلاثينَ سنةً (٣) .

وقيلَ : كانَ بعضُهُمْ يقولُ في دعائِهِ : اللهمَّ ؛ الشيءُ الذي لا يضرُّكَ وينفعُنا . . لا تمنعْهُ عنَّا ، فرأىٰ في المنامِ كأنَّهُ قيلَ لهُ : وأنتَ فالشيءُ الذي يضرُّكَ ولا ينفعُكَ . . فدعْهُ .

وحُكِيَ عنْ أبي الفضلِ الأصبهانيِّ أنَّهُ قالَ : رأَيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ سَلِ اللهَ ألَّا يسلبَني الإيمانَ ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ذٰلكَ شيءٌ قدْ فرغَ اللهُ عزَّ وجلَّ منهُ (٤) .

وحُكِيَ عنْ أبي سعيدٍ الخرَّازِ أنَّهُ قالَ : رأَيتُ إبليسَ في المنامِ ، فأخذتُ عصايَ لأضربَهُ ، فقيلَ لي : إنَّهُ لا يفزعُ منها ، إنَّما يخافُ هٰذا مِنْ نورٍ يكونُ في القلبِ (٥) .

---

(١) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٧) .

(٢) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٧) ، وفيه وفي (د) : (الفقراء) بدل (الفقر) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٤٥) ، ومعنىٰ (على الجبن) : قلة الشجاعة في الفتور والكسل في الطاعات ؛ كما في « إحكام الدلالة » (٢٠٣/٤) .

(٤) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٢) .

(٥) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٦) .

وقالَ بعضُهُمْ : كنتُ أدعو لرابعةَ العدويةِ ، فرأَيتُها في المنامِ تقولُ : هداياكَ تأتينا علىٰ أطباقٍ مِنْ نورٍ مخمَّرةً بمناديلَ مِنْ نورٍ (١) .

ويُروىٰ عنْ سِماكِ بنِ حربٍ أنَّهُ قالَ : كُفَّ بصري ، فرأَيتُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ لي : ائتِ الفراتَ فاغتمسْ فيهِ وافتحْ عينيكَ ، قالَ : ففعلتُ ، فأبصرتُ (٢) .

وقيلَ : رُئِيَ بشرٌ الحافي في المنامِ ، فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : لمَّا رأَيتُ ربِّي عزَّ وجلَّ . . قالَ لي : مرحباً يا بشرُ ، لقدْ توفَّيتُكَ يومَ توفَّيتُكَ وما علىٰ وجهِ الأرضِ أحبُّ إليَّ منكَ (٣) .

* * *

---

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٨٦٠) ، والرائي : بشار بن غالب .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مجابو الدعوة » (١١١) .

(٣) كذا في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٥٥) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « المنامات » (٢٧٨) بلفظ : (يا بشرُ ؛ لو سجدت لي على الجمر . . ما كافأت ما جعلت لك في قلوب عبادي) ، وفي هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .
وقد نبَّه العلامة اللخمي في « الدلالة » أوَّلَ هـٰذا الباب إلىٰ أنه لا ينبغي أن يتعرَّض لتأويل الرؤىٰ إلا من تأهَّل لذٰلك بعلمه وصلاحه وولايته ، وقال : (وإذا تقرر ما ذكرناه ، وأن الرؤيا إنما هي أمثلة يحذِّر الله تعالىٰ بها عباده ، ويبشر من شاء ، وأنه علم من العلوم . . فلا ينبغي أن يتعرَّض له إلا من له علم به ؛ ولذٰلك لما سُئل مالك عمَّن يعبِّر الرؤيا ولا علم له بها . . قال : أبالنبوَّةِ تلعب ؟! وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُوحىٰ إليه ستة أشهر في المنام ، وبعد ذٰلك رأىٰ جبريل في اليقظة ، وحمل عليه بعض الناس قوله عليه السلام ـ وقد رواه البخاري بنحوه [٧٠١٧] ـ : « الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة . . . ») .

بابُ الوصيّة للمريدين

قالَ الأستاذُ الإمامُ : لمَّا أثبتْنا طرفاً مِنْ سِيَرِ القومِ ، وضممْنا إلىٰ ذٰلكَ أبواباً مِنَ المقاماتِ . . أردْنا أنْ نختِمَ هٰذهِ الرسالةَ بوصيةِ المريدينَ ، نرجو مِنَ اللهِ تعالىٰ حسنَ توفيقِهِمْ لاستعمالِها ، وألَّا يحرمَنا القيامَ بها ، ولا يجعلَها حجَّةً علينا .

فأوَّلُ قدمِ المريدِ في هٰذهِ الطريقةِ : ينبغي أنْ يكونَ على الصدقِ ؛ ليصحَّ لهُ البناءُ علىٰ أصلٍ صحيحٍ ؛ فإنَّ الشيوخَ قالوا : إنَّما حُرِموا الوصولَ لتضييعِهِمُ الأصولَ (١) .

كذٰلكَ سمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ .

فتجبُ البدايةُ بتصحيحِ اعتقادٍ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ صافٍ عنِ الظنونِ والشُّبَهِ ، خالٍ مِنَ الضلالِ والبدعِ ، صادرٍ عنِ البراهينِ والحُجَجِ .

ويقبُحُ بالمريدِ أنْ ينتسبَ إلىٰ مذهبٍ مِنْ مذاهبِ مَنْ ليسَ مِنْ هٰذهِ الطريقةِ ، وليسَ انتسابُ الصوفيِّ إلىٰ مذهبٍ مِنْ مذاهبِ المخالفينَ (٢) سوىٰ طريقةِ الصوفيةِ إلَّا نتيجةَ جهلِهِمْ (٣) بمذاهبِ أهلِ هٰذهِ الطريقةِ ؛ فإنَّ هٰؤلاءِ حُجَجُهُمْ في مسائلِهِمْ أظهرُ مِنْ حُجَجِ كلِّ أحدٍ ، وقواعدُ مذاهبِهِمْ أقوىٰ مِنْ قواعدِ كلِّ مذهبٍ .

والناسُ إمَّا أصحابُ النقلِ والأثرِ ، وإمَّا أربابُ العقلِ والفِكَرِ ، وشيوخُ هٰذهِ الطائفةِ ارتقَوا عنْ هٰذهِ الجملةِ ؛ فالذي للناسِ غيبٌ فلهُمْ (٤) ظهورٌ ،

---

(١) نسبه الإمام أبو طالب في « القوت » (٩٠/١ ، ١٥٨) لسفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ .
(٢) في غير (أ ، د ، هـ ، و) : (المختلفين) .
(٣) الأنسب : جهله . « إحكام الدلالة » (٢٠٥/٤) .
(٤) في (ز ، ي) : (فهو لهم) .

والذي للخلْقِ مِنَ المعارفِ مقصودٌ فلهُمْ مِنَ الحقِّ سبحانَهُ موجودٌ ؛ فهمْ أهلُ الوصالِ ، والناسُ أهلُ الاستدلالِ .

وهمْ كما قالَ القائلُ : [من مجزوء الكامل]

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظَلَامُهُ فِي ٱلنَّاسِ سَارِي
فَٱلنَّاسُ فِي سُدَفِ ٱلظَّلَا مِ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ ٱلنَّهَارِ (١)

ولمْ يكنْ عصرٌ مِنَ الأعصارِ في مدَّةِ الإسلامِ إلَّا وفيهِ شيخٌ مِنْ شيوخِ هٰذهِ الطائفةِ ممَّنْ لهُ علومُ التوحيدِ وإمامةُ القومِ إلَّا وأئمَّةُ ذٰلكَ الوقتِ مِنَ العلماءِ استسلموا لذٰلكَ الشيخِ ، وتواضعوا لهُ ، وتبرَّكوا بهِ ، ولولا مزيَّةٌ وخصوصيَّةٌ لهُمْ ، وإلَّا . . لكانَ الأمرُ بالعكسِ مِنْ هٰذا .

هٰذا أحمدُ ابنُ حنبلٍ كانَ عندَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهما ، فجاءَ شيبانُ الراعي ، فقالَ أحمدُ : أريدُ يا أبا عبدِ اللهِ أنْ أنبِّهَ هٰذا علىٰ نقصانِ علمِهِ ؛ ليشتغلَ بتحصيلِ بعضِ العلومِ ، فقالَ الشافعيُّ لهُ : لا تفعلْ ، فلمْ يقنعْ .

فقالَ لشيبانَ : ما تقولُ فيمَنْ نسيَ صلاةً مِنْ خمسِ صلواتٍ في اليومِ والليلةِ ولا يدري أيَّ صلاةٍ نسيَها ؟ ما الواجبُ عليهِ يا شيبانُ ؟

فقالَ شيبانُ : يا أحمدُ ؛ هٰذا قلبٌ غفَلَ عنِ اللهِ تعالىٰ ، فالواجبُ أنْ يؤدَّبَ حتَّىٰ لا يغفُلَ عنْ مولاهُ [بعدُ] .

فغُشِيَ علىٰ أحمدَ ، فلمَّا أفاقَ . . قالَ لهُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : ألَمْ أقلْ لكَ : لا تحرِّكْ هٰذا ؟!

وشيبانُ الراعي كانَ أميّاً منهُمْ ، فإذا كانَ محلُّ الأمِّيِّ منهُمْ هٰكذا . . فما الظنُّ بأئمَّتِهِمْ ؟! (٢) .

---

(١) تقدَّما (ص ٢٧٠) ، والسَّدَف ـ بفتح الدال ـ : الظلمة والليل هنا ، وبضمها : جمع .

(٢) ترجم لشيبان ابنُ حبان في « الثقات » (٦/٤٤٨) بإيجاز ، وذكر أنه كان في زمن عبد الله بن المبارك ، وفي ←

وقدْ حُكِيَ أنَّ فقيهاً مِنْ أكابرِ الفقهاءِ كانَتْ حلقتُهُ بجنبِ حلقةِ الشِّبليِّ في جامعِ المنصورِ ، وكانَ يُقالُ لذٰلكَ الفقيهِ : أبو عمرانَ ، وكانَ تتعطَّلُ عليهِمْ حلقتُهُمْ بكلامِ الشِّبليِّ .

فســأَلَ أصحابُ أبي عمرانَ يوماً الشِّبليَّ عنْ مسألةٍ في الحيضِ ـ وقصدوا إخجالَهُ ـ فذكرَ مقالاتِ الناسِ في تلكَ المسألةِ والخلافَ فيها ، فقامَ أبو عمرانَ وقبَّلَ رأسَ الشِّبليِّ وقالَ : يا أبا بكرٍ ؛ استفدتُ في هٰذهِ المسألةِ عشرَ مقالاتٍ لمْ أسمعْها ، وكانَ عندي مِنْ جملةِ ما قلتَ ثلاثةُ أقاويلَ [1] .

وقيلَ : اجتازَ أبو العبَّاسِ ابنُ سريجٍ الفقيهُ بمجلسِ الجنيدِ رحمَهُما اللهُ ، فسمعَ كلامَهُ ، فقيلَ لهُ : ما تقولُ في هٰذا ؟

فقالَ : لا أدري ما يقولُ ، ولٰكنِّي أرىٰ لهٰذا الكلامِ صَوْلةً ليسَتْ بصَوْلةِ مبطِلٍ [2] .

وقيلَ لعبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بنِ كُلَّابٍ [3] : أنتَ تتكلَّمُ علىٰ كلامِ كلِّ أحدٍ ، وها هنا رجلٌ يُقالُ لهُ الجنيدُ ، فانظرْ هلْ تعترضُ عليهِ أمْ لا .

فحضرَ حلقتَهُ ، فسألَ الجنيدَ عنِ التوحيدِ ، فأجابَهُ ، فتحيَّرَ عبدُ اللهِ وقالَ : أعدْ عليَّ ما قلتَ ، فأعادَ ولٰكنْ لا بتلكَ العبارةِ ، فقالَ عبدُ اللهِ : هٰذا شيءٌ آخرُ لمْ أحفظْهُ ! تعيدُ عليَّ مرَّةً أخرىٰ ؟

فأعادَ بعبارةٍ أخرىٰ ، فقالَ عبدُ اللهِ : ليسَ يمكنُني حفظُ ما تقولُ ، أملِهِ

« القوت » (١/١٥٨) أن الشافعي كان يجلس بين يديه كما يجلس الصبي بين يدي المكتب ، وذكر الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٦/١١٨) أنه توفي في حدود (١٧٠ هـ) ، وفيه إشكال للخبر ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (١/١٧٠) ، ووقع في الأصول : (حتىٰ لا يغفل عن مولاه بعده) .

(١) رواه بنحوه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٤/٣٩٤) .

(٢) تقدم (ص ١٥٦) أن ابن سريج أقرَّ بفضل الجنيد رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) شيخ المتكلمين في عصره ، وعلىٰ طريقته سار الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمهما الله تعالىٰ ، والخبر الآتي أنه كان قد ألَّف كتاباً ردَّ فيه علىٰ جميع المذاهب ، وقال : هل بقي أحد ؟ قيل له : نعم ؛ بقي طائفة الصوفية ، وانظر « مرآة الجنان » (٢/١٧٤) .

علينا ، فقالَ : إنْ كنتُ أجريهِ . . فأنا أمليهِ ، فقامَ عبدُ اللهِ وقالَ بفضلِهِ ، واعترفَ بعلوِّ شأنِهِ .

فإذا كانَ أصولُ هٰذهِ الطائفةِ أصحَّ الأصولِ ، ومشايخُهُمْ أكبرَ الناسِ ، وعلماؤُهُمْ أعلمَ الناسِ . . فالمريدُ الذي لهُ إيمانٌ بهِمْ ؛ إنْ كانَ مِنْ أهلِ السلوكِ والتدرُّجِ إلىٰ مقاصدِهِمْ . . فهوَ يساهمُهُمْ فيما خُصُّوا بهِ مِنْ مكاشفاتِ الغيبِ ، فلا يحتاجُ إلى التطفُّلِ علىٰ مَنْ هوَ خارجٌ عنْ هٰذهِ الطائفةِ ، وإنْ كانَ يريدُ طريقةَ الاتباعِ وليسَ بمستقلٍّ بحالِهِ ، ويريدُ أنْ يعرِّجَ في أوطانِ التقليدِ إلىٰ أنْ يصلَ إلى التحقيقِ لعلَّهُ يبلغُهُ . . فليقلِّدْ سلفَهُ ، وليجرِ علىٰ طريقةِ هٰذهِ الطائفةِ ؛ فإنَّهُمْ أولىٰ بهِ مِنْ غيرِهِمْ .

ولقدْ سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ الرحمٰنِ السُّلميَّ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الرازيَّ يقولُ : سمعتُ الشِّبليَّ يقولُ : (ما ظنُّكَ بعلمٍ علمُ العلماءِ فيهِ تُهْمَةٌ ؟!)[1] .

وسمعتُهُ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عليِّ بنِ محمدٍ المخرميَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ الفَرْغانيَّ يقولُ : سمعتُ الجنيدَ يقولُ : (لوْ علمتُ أنَّ للهِ تعالىٰ علماً تحتَ أديمِ السماءِ أشرفَ مِنْ هٰذا العلمِ الذي نتكلَّمُ فيهِ معَ أصحابِنا وإخوانِنا . . لسَعيتُ إليهِ ولقصدتُهُ)[2] .

وإذا أحكمَ المريدُ بينَهُ وبينَ اللهِ عقدَهُ . . فيجبُ أنْ يحصِّلَ مِنْ علمِ الشريعةِ - إمَّا بالتحقيقِ ، وإمَّا بالسؤالِ عنِ الأئمَّةِ[3] - ما يؤدِّي بهِ فرضَهُ ، فإنِ اختلفَ عليهِ فتاوى الفقهاءِ . . يأخذُ بالأحوطِ ، ويقصدُ أبداً الخروجَ مِنَ الخلافِ ؛ فإنَّ الرُّخَصَ في الشريعةِ للمستضعفينَ وأصحابِ الحوائجِ والأشغالِ ، وهٰؤلاءِ

---

(١) ورواه السُّلمي في « طبقاته » (ص ٣٣٩) ، وقوله : (تهمة) أي : سبب لوقوعهم في اتهام الغير لهم ؛ بسبب عدم وصولهم لإشارات تلك العلوم ، وعدم إدراك هاتيك الرسوم . « نتائج الأفكار » (٢٠٨/٤) .
(٢) رواه الخطيب في « تاريخه » (٢٥١/٧) .
(٣) يعني : إما بالنظر وطلب الدليل ، أو بتقليد أهل العلم المجتهدين .

الطائفةُ ليسَ لهُمْ شغلٌ سوى القيامِ بحقِّهِ سبحانَهُ ، ولهٰذا قيلَ : إذا انحطَّ الفقيرُ عنْ درجةِ الحقيقةِ إلىٰ رخصةِ الشريعةِ . . فقدْ فسخَ عقدَهُ معَ اللهِ ، ونقضَ عهدَهُ فيما بينَهُ وبينَ اللهِ .

ثمَّ يجبُ على المريدِ أنْ يتأدَّبَ بشيخٍ ؛ فإنَّ مَنْ لمْ يكنْ لهُ أستاذٌ . . لا يفلحُ أبداً[1] .

هٰذا أبو يزيدَ يقولُ : (مَنْ لمْ يكنْ لهُ أستاذٌ . . فإمامُهُ الشيطانُ) .

وسمعتُ الأستاذَ أبا عليٍّ الدقَّاقَ يقولُ : (الشجرةُ إذا نبتَتْ بنفسِها مِنْ غيرِ غارسٍ . . فإنَّها تورقُ ، ولٰكنْ لا تثمرُ ، كذٰلكَ المريدُ إذا لمْ يكنْ لهُ أستاذٌ يأخذُ منهُ طريقتَهُ نَفَساً فنفَساً . . فهوَ عابدُ هواهُ ، لا يجدُ منهُ نفاذاً) .

ثمَّ إذا أرادَ السلوكَ . . فبعدَ هٰذهِ الجملةِ يجبُ أنْ يتوبَ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ كلِّ زلَّةٍ ، فيدعَ جميعَ الزلَّاتِ ، سرَّها وجهرَها ، وصغيرَها وكبيرَها ، ويجتهدَ في إرضاءِ الخصومِ أوَّلاً ، ومَنْ لمْ يُرضِ خصومَهُ . . لا يُفتَحُ لهُ مِنْ هٰذهِ الطريقةِ بشيءٍ ، وعلىٰ هٰذا النحوِ جرَوا .

ثمَّ بعدَ هٰذا يعملُ في حذفِ العلائقِ والشواغلِ ؛ فإنَّ بناءَ هٰذا الطريقِ علىٰ فراغِ القلبِ .

وكانَ الشِّبليُّ يقولُ للحُصْريِّ في ابتداءِ أمرِهِ : إنْ خطرَ ببالِكَ مِنَ الجمعةِ إلى الجمعةِ الثانيةِ التي تأتيني غيرُ اللهِ تعالىٰ . . فحرامٌ عليكَ أنْ تحضرَني .

وإذا أرادَ الخروجَ عنِ العلائقِ . . فأوَّلُها الخروجُ عنِ المالِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ الذي يميلُ بهِ عنِ الحقِّ ، ولمْ يُوجدْ مريدٌ دخلَ في هٰذا الأمرِ ومعَهُ علاقةٌ مِنَ الدنيا إلَّا جرَّتْهُ تلكَ العلاقةُ عنْ قريبٍ إلىٰ ما منهُ خرجَ .

فإذا خرجَ مِنَ المالِ . . فالواجبُ عليهِ الخروجُ عنِ الجاهِ ؛ فإنَّ ملاحظةَ الجاهِ مقطعةٌ عظيمةٌ .

---

(١) فمعرفة أحكام النفس ، وأدواء الباطن وعلله . . لا ينزل عن معرفة أحكام الظاهر .

وما لمْ يستوِ عندَ المريدِ قَبولُ الخلقِ وردُّهُمْ . . لا يجيءُ منهُ شيءٌ ، بلْ أضرُّ الأشياءِ لهُ ملاحظةُ الناسِ إيَّاهُ بعينِ الإثباتِ والتبرُّكِ بهِ ؛ لإفلاسِ الناسِ عنْ هٰذا الحديثِ[1] ، وهوَ بعدُ لمْ يصحِّحِ الإرادةَ ، فكيفَ يصحُّ أنْ يُتبرَّكَ بهِ ؟! فخروجُهُمْ مِنَ الجاهِ واجبٌ عليهِمْ ؛ لأنَّ ذٰلكَ سمٌّ قاتلٌ لهُمْ .

فإذا خرجَ عنْ مالِهِ وجاهِهِ . . فيجبُ أنْ يصحِّحَ عقدَهُ بينَهُ وبينَ اللهِ تعالىٰ ألَّا يخالفَ شيخَهُ في كلِّ ما يشيرُ عليهِ ؛ لأنَّ الخلافَ للمريدِ في ابتداءِ أمرِهِ عظيمُ الضَّررِ ؛ لأنَّ ابتداءَ حالِهِ دليلٌ علىٰ جميعِ عمرِهِ .

ومِنْ شرطِهِ : ألَّا يكونَ لهُ بقلبِهِ اعتراضٌ علىٰ شيخِهِ ، وإذا خطرَ ببالِ المريدِ أنَّ لهُ في الدنيا والآخرةِ قَدْراً أوْ قيمةً ، أوْ علىٰ بسيطِ الأرضِ أحداً دونَهُ . . لمْ يصحَّ لهُ في الإرادةِ قدمٌ ؛ لأنَّهُ يجبُ أنْ يجتهدَ ليعرفَ ربَّهُ ، لا ليحصِّلَ لنفسِهِ قَدْراً ، وفرقٌ بينَ مَنْ يريدُ اللهَ تعالىٰ وبينَ مَنْ يريدُ جاهَ نفسِهِ ؛ إمَّا في عاجلِهِ وإمَّا في آجلِهِ .

ثمَّ يجبُ عليهِ حفظُ سرِّهِ حتَّىٰ عنْ زِرِّهِ ، إلَّا عنْ شيخِهِ ، ولوْ كتمَ نَفَساً مِنْ أنفاسِهِ عنْ شيخِهِ . . فقدْ خانَهُ في حقِّ صحبتِهِ .

ولوْ وقعَ لهُ مخالفةٌ فيما أشارَ عليهِ شيخُهُ . . فيجبُ أنْ يقرَّ بينَ يديهِ في الوقتِ ، ثمَّ يستسلمُ لما يحكمُ بهِ عليهِ شيخُهُ عقوبةً لهُ علىٰ جنايتِهِ ومخالفتِهِ[2] ؛ إمَّا بسفرٍ يكلِّفُهُ ، أوْ أمرٍ ما يراهُ[3] .

ولا يصحُّ للشيوخِ التجاوزُ عنْ زلَّاتِ المريدينَ ؛ لأنَّ ذٰلكَ تضييعٌ لحقوقِ اللهِ تعالىٰ .

---

(١) أي : لخلوهم عن معرفة من يتبرَّك به ممن صحح إرادته ، وحينئذ فلا يفيد تبركهم بمن لم يصحح إرادته إلا غروره باستحسان ما هو عليه ، وذٰلك مقطعة وأي مقطعة . « نتائج الأفكار » (٢٠٩/٤) .

(٢) في غير (أ ، د ، ي) : (خيانته) بدل (جنايته) .

(٣) في هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .

ومـا لمْ يتجرَّدِ المريدُ عنْ كلِّ علاقةٍ . . لا يجوزُ لشـيخِهِ أنْ يلقِّنَهُ شـيئاً مِـنَ الأذكارِ ، بلْ يجـبُ أنْ يقدِّمَ التجربةَ لهُ ، فإذا شـهدَ قلبُهُ للمريدِ بصحَّةِ العزمِ . . حينئذٍ يشـترطُ عليهِ أنْ يرضىٰ بما يسـتقبلُهُ فـي هـٰذهِ الطريقةِ مِنْ فنونِ تصاريفِ القضاءِ ، فيأخذُ عليهِ العهدَ بألَّا ينصرفَ عنْ هـٰذهِ الطريقةِ بما يسـتقبلُهُ مِنَ الضرِّ ، والذلِّ والفقرِ ، والأسـقامِ والآلامِ ، وألَّا يجنحَ بقلبِهِ إلى السـهولةِ ، ولا يترخَّـصَ عندَ هجومِ الفاقاتِ وحصولِ الضـروراتِ ، ولا يؤثرَ الدَّعةَ ، ولا يستشعرَ الكسلَ ؛ فإنَّ وَقْفةَ المريدِ شرٌّ مِنْ فَتْرتِهِ .

والفرقُ بينَ الفترةِ والوقفةِ : أنَّ الفترةَ رجوعٌ عنِ الإرادةِ وخروجٌ منها ، والوقفةَ سكونٌ عنِ السيرِ باستحلاءِ حالاتِ الكسلِ (١) .

وكلُّ مريدٍ وقفَ في ابتداءِ إرادتِهِ . . لا يجيءُ منهُ شيءٌ .

فإذا جرَّبَهُ شيخُهُ . . فيجبُ أنْ يلقِّنَهُ ذكراً مِنَ الأذكارِ علىٰ ما يراهُ شيخُهُ ، فيأمرُهُ أنْ يذكرَ ذٰلكَ الاسمَ بلسانِهِ ، ثمَّ يأمرُهُ أنْ يسوِّيَ قلبَهُ معَ لسانِهِ ، ويقولُ لهُ : اثبُتْ على استدامةِ هـٰذا الذكرِ كأنَّكَ معَ ربِّكَ أبداً بقلبِكَ ، ولا يجري علىٰ لسانِكَ غيرُ هـٰذا الاسمِ ما أمكنَكَ .

ثمَّ يأمرُهُ أنْ يكونَ أبداً في الظاهرِ على الطهارةِ ، وألَّا يكونَ نومُهُ إلَّا غلبةً ، وأنْ يقلِّلَ مِنْ غذائِهِ بالتدريجِ شيئاً بعدَ شيءٍ حتَّىٰ يقوىٰ علىٰ ذٰلكَ ، ولا يأمرُهُ أنْ يتركَ عادتَهُ بمرَّةٍ ؛ فإنَّ في الخبرِ : « إنَّ المُنبَتَّ لا أرضاً قطعَ ، ولا ظهراً أبقىٰ » (٢) .

ثمَّ يأمرُهُ بإيثارِ الخلوةِ والعزلةِ ، ويجعلُ اجتهادَهُ في هـٰذهِ الحالةِ ـ لا محالةَ ـ في نفيِ الخواطرِ الدنيَّةِ والهواجسِ الشاغلةِ عنِ القلبِ .

---

(١) فصاحب الفترة يُرجىٰ له الرجوع إلىٰ ما كان عليه ، بخلاف صاحب الوقفة . انظر « إحكام الدلالة » (٢١١/٤) .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرىٰ » (١٨/٣) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه مرفوعاً ، والمنبتُّ : هو الذي أتعب دابته حتىٰ هلكت .

واعلمْ : أنَّ في هٰذهِ الحالةِ قلَّما يخلو المريدُ في أوانِ خلوتِهِ في ابتداءِ إرادتِهِ مِنَ الوساوسِ في الاعتقادِ ، لا سيَّما إذا كانَ في المريدِ كِياسةُ قلبٍ ، وقلَّ مريدٌ لا تستقبلُهُ هٰذهِ الحالةُ في ابتداءِ إرادتِهِ ، وهٰذا مِنَ الامتحاناتِ التي تستقبلُ المريدينَ .

فالواجبُ علىٰ شيخِهِ إنْ رأىٰ فيهِ كِياسةً : أنْ يحيلَهُ على الحُجَجِ العقليَّةِ ؛ فإنَّ بالعلمِ يتخلَّصُ ـ لا محالةَ ـ المتعرِّفُ ممَّا يعتريهِ مِنَ الوساوسِ .

وإنْ تفرَّسَ شيخُهُ فيهِ القوَّةَ والثباتَ في الطريقةِ . . أمرَهُ بالصبرِ واستدامةِ الذكرِ حتَّىٰ تسطعَ في قلبِهِ أنوارُ القَبولِ ، وتطلعَ في سرِّهِ شموسُ الوصولِ ، وعنْ قريبٍ يكونُ ذٰلكَ ، ولٰكنْ لا يكونُ هٰذا إلَّا لأفرادِ المريدينَ ، فأمَّا الغالبُ أنْ تكونَ معالجتُهُمْ بالردِّ إلى النظرِ (١) وتأمُّلِ الآياتِ ، بشرطِ تحصيلِ علمِ الأصولِ علىٰ قدرِ الحاجةِ الداعيةِ للمريدِ .

واعلمْ : أنَّهُ يكونُ للمريدينَ على الخصوصِ بلايا مِنْ هٰذا البابِ ؛ وذٰلكَ أنَّهُمْ إذا خلَوا في مواضعِ ذكرِهِمْ ، أوْ كانوا في مجالسِ سماعٍ ، أوْ غيرِ ذٰلكَ . . يهجِسُ في نفوسِهِمْ ويخطُرُ ببالِهِمْ أشياءُ منكرةٌ ، يتحقَّقونَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ منزَّهٌ عنْ ذٰلكَ ، وليسَ تعتريهِمْ شبهةٌ في أنَّ ذٰلكَ باطلٌ ، ولٰكنْ يدومُ ذٰلكَ ، فيشتدُّ تأذِّيهِمْ بهِ ، حتَّىٰ يبلغَ ذٰلكَ حدّاً يكونُ أصعبَ شتمٍ وأقبحَ قولٍ وأشنعَ خاطرٍ ؛ حيثُ لا يمكنُ للمريدِ إجراءُ ذٰلكَ على اللسانِ وإبداؤُهُ لأحدٍ ، وهٰذا أشدُّ شيءٍ يقعُ لهُمْ .

فالواجبُ عندَ هٰذا تركُ مبالاتِهِمْ بتلكَ الخواطرِ ، واستدامةُ الذكرِ والابتهالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ باستدفاعِ ذٰلكَ (٢) .

وتلكَ الخواطرُ ليسَتْ مِنْ وساوسِ الشيطانِ ، وإنَّما هيَ مِنْ هواجسِ

---

(١) يعني : فأما الغالب . . فالواجب أن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر . « إحكام الدلالة » (٤/٢١٤) ، وفي (ي) : (فأن تكون . . .) .

(٢) في (أ ، ج ، ل) : (واستدفاع ذٰلك) .

النفسِ ، فإذا قابلَها العبدُ بتركِ المبالاةِ بها . . ينقطعُ ذٰلكَ عنهُ .

ومِنْ آدابِ المريدِ ، بلْ مِنْ فرائضِ حالِهِ : أنْ يلازمَ موضعَ إرادتِهِ ، وألَّا يسافرَ قبلَ أنْ تقبلَهُ الطريقُ[1] ، وقبلَ الوصولِ بالقلبِ إلى الربِّ ؛ فإنَّ السفرَ للمريدِ في غيرِ وقتِهِ سمٌّ قاتلٌ ، ولا يصلُ أحدٌ منهُمْ إلىٰ ما كانَ يُرجىٰ لهُ إذا سافرَ في غيرِ وقتِهِ .

وإذا أرادَ اللهُ بمريدٍ خيراً . . ثبَّتَهُ في أوَّلِ إرادتِهِ ، وإذا أرادَ بمريدٍ سوءاً . . ردَّهُ إلىٰ ما خرجَ عنهُ مِنْ حرفتِهِ وحالتِهِ ، وإذا أرادَ بمريدٍ محنةً . . شرَّدَهُ في مطارحِ غربتِهِ ، هٰذا إذا كانَ المريدُ يصلحُ للوصولِ .

فأمَّا إذا كانَ شابّاً طريقتُهُ الخدمةُ في الظاهرِ بالنفسِ للفقراءِ ، وهوَ أدونُهُمْ في هٰذهِ الطريقةِ رتبةً . . فهوَ وأمثالُهُ يكتفونَ بالترسُّمِ في الظاهرِ ، فينقطعونَ في الأسفارِ ، وغايةُ نصيبِهِمْ مِنْ هٰذهِ الطريقةِ حجَّاتٌ يحصِّلونَها ، وزيارةٌ لمواضعَ يُرحَلُ إليها ، ولقاءُ شيوخٍ بظاهرِ سلامٍ ، فيشاهدونَ الظواهرَ ، ويكتفونَ بما في هٰذا البابِ مِنَ السيرِ ، فهٰؤلاءِ الواجبُ لهُمْ دوامُ السفرِ ، حتَّىٰ لا تؤدِّيَهُمُ الدَّعَةُ إلى ارتكابِ محظورٍ ؛ فإنَّ الشابَّ إذا وجدَ الراحةَ والدَّعَةَ . . كانَ بعرضِ الفترةِ[2] .

وإذا توسَّطَ المريدُ جمعَ الفقراءِ والأصحابِ في بدايتِهِ . . فهوَ مضرٌّ لهُ جدّاً ، فإنِ امتُحنَ واحدٌ بذٰلكَ . . فليكنْ سبيلُهُ احترامَ الشيوخِ ، والخدمةَ للأصحابِ ، وتركَ الخلافِ عليهِمْ ، والقيامَ بما فيهِ راحةُ فقيرٍ ، والجهدَ في ألَّا يستوحشَ منهُ قلبُ شيخٍ .

ويجبُ أنْ يكونَ في صحبتِهِ معَ الفقراءِ أبداً خصمَهُمْ علىٰ نفسِهِ ، ولا يكونَ خصمَ نفسِهِ عليهِمْ ، ويرىٰ لكلِّ واحدٍ عليهِ حقّاً واجباً ، ولا يرىٰ لنفسِهِ واجباً علىٰ أحدٍ .

---

(١) في هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .

(٢) في (ز) : (الفتنة) ، وتقدم قريباً الحديث عن فترة المريد .

ويجبُ ألَّا يخالفَ المريدُ أحداً وإنْ علمَ أنَّ الحقَّ معَهُ ؛ يسكتُ ويظهرُ الوفاقَ لكلِّ أحدٍ[1] ، وكلُّ مريدٍ يكونُ فيهِ مَحْكٌ ولجاجٌ ومماراةٌ[2] . . فإنَّهُ لا يجيءُ منهُ شيءٌ .

وإذا كانَ المريدُ في جمعٍ مِنَ الفقراءِ ؛ إمَّا في سفرٍ أوْ حضرٍ . . فينبغي ألَّا يخالفَهُمْ في الظاهرِ ، لا في أكلٍ ولا في صومٍ ، ولا سكونٍ ولا حركةٍ ، بلْ يخالفُهُمْ بسرِّهِ وقلبِهِ ، فيحفظُ قلبَهُ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإذا أشاروا عليهِ بالأكلِ مثلاً . . يأكلُ لقمةً أوْ لقمتينِ ، ولا يعطي النفسَ شهوتَها .

وليسَ مِنْ آدابِ المريدينَ كثرةُ الأورادِ بالظاهرِ ؛ فإنَّ القومَ في مكابدةِ خواطِرِهِمْ ، ومعالجةِ أخلاقِهِمْ ، ونفيِ الغفلةِ عنْ قلوبِهِمْ ، لا في تكثيرِ أعمالِ البرِّ .

والذي لا بدَّ لهُمْ منهُ إقامةُ الفرائضِ والسننِ الراتبةِ[3] ، فأمَّا الزيادةُ مِنَ الصلواتِ النافلةِ . . فاستدامةُ الذكرِ بالقلبِ أتمُّ لهُمْ .

ورأسُ مالِ المريدِ : الاحتمالُ عنْ كلِّ أحدٍ بطيبةِ النفسِ ، وتلقِّي ما يستقبلُهُ بالرضا ، والصبرُ على الضرِّ والفقرِ ، وتركُ السؤالِ والمعارضةِ في القليلِ والكثيرِ فيما هوَ حظٌّ لهُ .

ومَنْ لمْ يصبرْ علىٰ ذٰلكَ . . فليدخلِ السوقَ ؛ فإنَّ مَنِ اشتهىٰ ما يشتهيهِ الناسُ . . فالواجبُ عليهِ أنْ يحصِّلَ شهوتَهُ مِنْ حيثُ يحصِّلُها الناسُ ؛ مِنْ كدِّ اليمينِ وعرقِ الجبينِ[4] .

وإذا التزمَ مريدٌ استدامةَ الذكرِ وآثرَ الخلوةَ ؛ فإنْ وجدَ في خلوتِهِ ما لمْ

---

(١) فيما تجوز الموافقة فيه . « إحكام الدلالة » (٢١٦/٤) ، ويجوز أن تكون (إن) جازمة لا وصلية .

(٢) **المَحْك** : المنازعة في الكلام ، والتمادي في اللجاج ، والمشارَّة والغضب ، واللجاج : التمادي في الخصومة ، والمماراة : الجدل .

(٣) قبليَّة وبعديَّة ، مؤكدة أو غير مؤكدة . « نتائج الأفكار » (٢١٥/٤) .

(٤) وإذا فعل ذٰلك . . خرج عن مقصوده بالكلية ، وأعرض عن طريقته بالجملة والعياذ بالله . « إحكام الدلالة » (٢١٦/٤) ، إلا أنه خيرٌ من المتشبِّع بما لم يعط .

يجدُهُ قبلَها ؛ إمَّا في النومِ ، وإمَّا في اليقظةِ ، أوْ بينَ اليقظةِ والنومِ ؛ مِنْ خطابٍ يُسمَعُ ، أوْ معنىً يُشاهدُ ، ممَّا يكونُ نقضاً للعادةِ . . فينبغي ألَّا يشتغلَ بذٰلكَ ألبتةَ ، ولا يسكنَ إليهِ ، ولا ينبغي أنْ ينتظرَ حصولَ أمثالِ ذٰلكَ ؛ فإنَّ هٰذهِ كلَّها شواغلُ عنِ الحقِّ سبحانَهُ ، ولا بدَّ لهُ في هٰذهِ الأحوالِ مِنْ وصْفِ ذٰلكَ لشيخِهِ ؛ حتَّىٰ يصيرَ قلبُهُ فارغاً عنْ ذٰلكَ .

ويجبُ علىٰ شيخِهِ أنْ يحفظَ عليهِ سرَّهُ ، ويكتمَ عنْ غيرِهِ أمرَهُ ، ويصغِّرَ ذٰلكَ في عينِهِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ كلَّهُ اختباراتٌ ، والمساكنةُ إليها مكرٌ ، فليحذرِ المريدُ عنْ ذٰلكَ وعنْ ملاحظتِها ، وليجعلْ همَّتَهُ فوقَ ذٰلكَ .

واعلمْ : أنَّ أضرَّ الأشياءِ بالمريدِ : استئناسُهُ بما يُلقىٰ إليهِ في سرِّهِ مِنْ تقريباتِ الحقِّ سبحانَهُ لهُ ومِنَنِهِ عليهِ ؛ بأنِّي خصصتُكَ بهٰذا ، وأفردتُكَ عنْ أشكالِكَ ؛ فإنَّهُ لوْ قالَ بتركِ هٰذا[1] . . فعَنْ قريبٍ سيُختطَفُ عنْ ذٰلكَ بما يبدو لهُ مِنْ مكاشفاتِ الحقيقةِ ، وشرحُ هٰذهِ الجملةِ بإثباتِهِ في الكتبِ متعذِّرٌ[2] .

ومِنْ أحكامِ المريدِ إذا لمْ يجدْ مَنْ يتأدَّبُ بهِ في موضعِهِ : أنْ يهاجرَ إلىٰ مَنْ هوَ منصوبٌ في وقتِهِ لإرشادِ المريدينَ ، ثمَّ يقيمَ عليهِ ولا يبرحَ سُدَّتَهُ إلىٰ وقتِ الإذنِ[3] .

واعلمْ : أنَّ تقديمَ معرفةِ ربِّ البيتِ علىٰ زيارةِ البيتِ واجبٌ ؛ فلولا معرفةُ ربِّ البيتِ . . ما وجبَتْ زيارةُ البيتِ ، والشبَّانُ الذينَ يخرجونَ إلى الحجِّ مِنْ هٰؤلاءِ القومِ مِنْ غيرِ إشارةِ الشيوخِ . . فهيَ بدلالاتِ نشاطِ النفوسِ ، فهُمْ مترسِّمونَ بهٰذهِ الطريقةِ ، وليسَ سفرُهُمْ علىٰ أصلٍ ، والذي يدُلُّ علىٰ ذٰلكَ أنَّهُ لا يزدادُ سفرُهُمْ إلَّا وتزدادُ تفرقةُ قلوبِهِمْ ، فلوْ أنَّهُمْ

---

(١) أي : عزم وصمَّم علىٰ تركه . « نتائج الأفكار » (٤/٢١٦) .

(٢) لأن مواجيد القلوب لا تنحصر بالعبارة ، وإنما يشار إليها إشارة ، وكل ما يكون في الكتب لا بد أن تحصره العبارة . « إحكام الدلالة » (٤/٢١٦) .

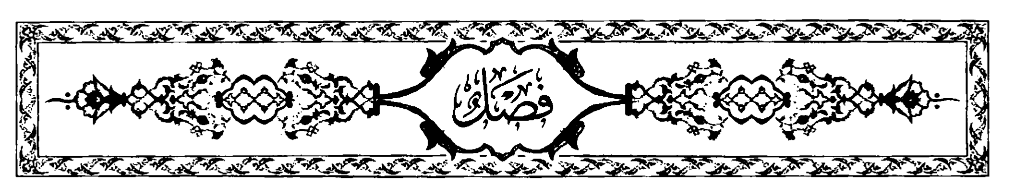
(٣) السُّدَّة : باب الدار .

ارتحلوا مِنْ عندِ أنفسِـهِمْ بخَطْوةٍ . . لكانَ أحظىٰ لهُمْ مِنْ ألفِ سفرةٍ .

ومِنْ شرطِ المريدِ إذا زارَ شيخاً : أنْ يدخلَ بالحرمةِ ، وينظرَ إليهِ بالحِشْمةِ ، فإنْ أهَّلَهُ الشيخُ لشيءٍ مِنَ الخدمةِ . . عدَّ ذٰلكَ مِنْ جزيلِ النعمةِ .



ولا ينبغي للمريدِ أنْ يعتقدَ في المشايخِ العصمةَ ، بلِ الواجبُ أنْ يذرَهُمْ وأحوالَهُمْ ، فيحسنَ بهِمُ الظنَّ [1] ، ويراعيَ معَ اللهِ تعالىٰ حدَّهُ فيما يتوجَّهُ عليهِ مِنَ الأمرِ ، والعلمُ كافيهِ في التفرقةِ بينَ ما هوَ محمودٌ وما هوَ معلولٌ .



وكلُّ مريدٍ بقيَ في قلبِهِ لشيءٍ مِنْ عُروضِ الدنيا مقدارٌ وخطرٌ . . فاسمُ الإرادةِ لهُ مجازٌ ، وإذا بقيَ في قلبِهِ اختيارٌ فيما يخرجُ عنهُ مِنْ معلومِهِ ، ويريدُ أنْ يخصَّ بهِ نوعاً مِنْ أنواعِ البرِّ ، أوْ شخصاً دونَ شخصٍ . . فهوَ متكلِّفٌ في حالِهِ ، وبالخطرِ أنْ يعودَ سريعاً إلى الدنيا ؛ لأنَّ قصدَ المريدِ في حذفِ العلائقِ الخروجُ منها ، لا السعيُ في أعمالِ البرِّ .

وقبيحٌ بالمريدِ أنْ يخرجَ مِنْ معلومِهِ مِنْ رأسِ مالِهِ وقُنْيتِهِ ثمَّ يكونَ أسيرَ حرفةٍ .

وينبغي أنْ يستويَ عندَهُ وجودُ ذٰلكَ وعدمُهُ ؛ حتَّىٰ لا ينافرَ لأجلِهِ فقيراً [2] ، ولا يضايقَ بهِ أحداً ولوْ مجوسيّاً .

---

(١) فإن أراد أن يزيله من صدره . . فليسألهم عنه ، ويورده علىٰ وجه السؤال ، لا علىٰ وجه الاعتراض ؛ لئلا يمنعوه الجواب . « إحكام الدلالة » (٢١٩/٤) .

(٢) تقدم معنى المناقرة (ص ٥٠٧) .



وقَبولُ قلوبِ المشايخِ للمريدِ أصدقُ شاهدٍ لسعادتِهِ ، ومَنْ ردَّهُ قلبُ شيخٍ مِنَ الشيوخِ . . فلا محالةَ أنَّهُ يرىٰ غِبَّ ذٰلكَ ولوْ بعدَ حينٍ (١) .

ومَنْ خُذِلَ بتركِ حُرمةِ الشيوخِ . . فقدْ أظهرَ رَقْمَ شقاوتِهِ (٢) ، وذٰلكَ لا يخطئُ .



ومِنْ أصعبِ الآفاتِ في هٰذهِ الطريقةِ : صحبةُ الأحداثِ ، ومَنِ ابتلاهُ اللهُ تعالىٰ بشيءٍ مِنْ ذٰلكَ . . فبإجماعِ الشيوخِ ذٰلكَ عبدٌ أهانَهُ اللهُ وخذلَهُ ، بلْ عنْ نفسِهِ شغلَهُ ، ولوْ بألْفِ ألفِ كرامةٍ أهَّلَهُ .

وهبْ أنَّهُ بلغَ رتبةَ الشهداءِ (٣) لما في الخبرِ مِنْ تلويحٍ بذٰلكَ (٤) . . أليسَ قدْ شُغِلَ ذٰلكَ القلبُ بمخلوقٍ ؟! (٥) .

وأصعبُ من ذٰلك : تهوينُ ذٰلكَ على القلبِ ، حتَّىٰ يعُدَّ ذٰلكَ يسيراً ، وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (٦) .

---

(١) غِبُّ كل شيء : عاقبته .

(٢) الرَّقْم : الختم والكتابة ، وهنا بمعنى العلامة .

(٣) أي : الذين يشاهدون الصانع في مشاهدتهم صنعته ؛ كرؤيتهم الشباب . « إحكام الدلالة » (٤/٢٢٠) .

(٤) والخبر شاهد لإثبات رتبة الشهود عموماً ، لا في هٰذه الصورة خصوصاً ، والمعنى : افترضْ أنه وصل إلىٰ رتبة الشهود ؛ كما في خبر : « ولا يزال عبدي يتقرَّب إلي بالنوافل حتىٰ أحبَّه . . . » ، قال العلامة العروسي في « نتائج الأفكار » (٤/٢٢٠) : (فيه نظر مع أنه بلغ رتْبة الشهداء ، نعم ؛ إن كان ذٰلك باعتبار الظاهر . . فيصحُّ) .

(٥) وذٰلك لأن حكم الظاهر مقدَّم علىٰ أحوال الباطن ، مع أن ذٰلك قبيح في النظر الصحيح . « نتائج الأفكار » (٤/٢٢٠) .

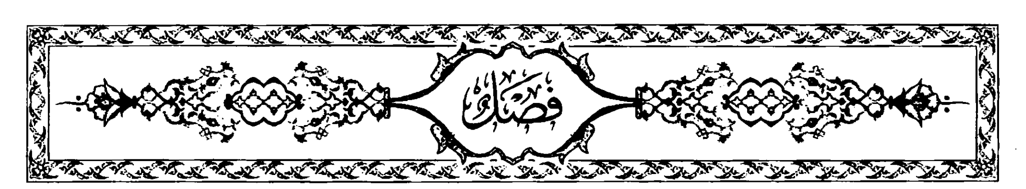
(٦) سورة النور : (١٥) .

وهٰذا الواسطيُّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (إذا أرادَ اللهُ هوانَ عبدٍ . . ألقاهُ إلىٰ هٰؤلاءِ الأنتانِ والجِيَفِ)[١] .

سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الصوفيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ أحمدَ النجَّارَ يقولُ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ الحُصْريَّ يقولُ : سمعتُ فتحاً الموصليَّ يقولُ : (صحبتُ ثلاثينَ شيخاً كانوا يُعدُّونَ مِنَ الأبدالِ ، كلُّهُمْ أوصَوني عندَ فراقي إيَّاهُمْ وقالوا : اتقِ معاشرةَ الأحداثِ)[٢] .

ومَنِ ارتقىٰ في هٰذا البابِ عنْ حالةِ الفسقِ[٣] ، وأشارَ إلىٰ أنَّ ذٰلكَ مِنْ بلاءِ الأرواحِ ، وأنَّهُ لا يضرُّ ، وما قالوهُ مِنْ وساوسِ القائلينَ بالشاهدِ ، وإيرادِ حكاياتٍ عنِ الشيوخِ بما كانَ الأولىٰ بهِمْ إسبالَ السِّترِ علىٰ هناتِهِمْ وآفاتِهِمْ . . فذٰلكَ نظيرُ الشركِ وقرينُ الكفرِ[٤] .

فليحذرِ المريدُ مِنْ مجالسةِ الأحداثِ ومخالطتِهِمْ ؛ فإنَّ اليسيرَ منهُ فتحُ بابِ الخِذْلانِ ، وبدءُ حالِ الهِجْرانِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ قضاءِ السوءِ[٥] .



ومِنْ آفاتِ المريدِ ما يتداخلُ النفسَ مِنْ خفيِّ الحسدِ للإخوانِ ، والتأثُّرِ بما يفردُ اللهُ بهِ أشكالَهُ مِنْ هٰذهِ الطريقةِ ، وحرمانِهِ إيَّاهُ ذٰلكَ[٦] .

---

(١) تقدم (ص ١٨٧) .

(٢) ورواه ابن الجوزي في « ذم الهوىٰ » (٣٦٩) .

(٣) بأنه صحبهم لا للفسق ، بل لتعليمهم العبادات والآداب مثلاً . انظر « إحكام الدلالة » (٢٢١/٤) ، وخبرُ (من ارتقىٰ) : قولُهُ الآتي : (فذٰلك نظير الشرك) كما في « نتائج الأفكار » .

(٤) حاصله : من قالَ بصحبة الأحداث وهوَّنَ من شأنها . . فذاك أُخِذَ من أخطاءِ القائلين بوحدة الشهود ، وأن كلَّ منظور فهو دالٌّ على القديم سبحانه ، وأيضاً من بعض الحكايا التي رُويت عن بعض الشيوخ في هٰذا ، وهٰذا كلُّه تلبيسٌ كان الواجب الإعراض عنه ؛ لأنه يؤدي إلى استحلال ما اتُّفق علىٰ تحريمه .

(٥) في هامش (ل) : (بلغ مقابلة) .

(٦) أي : والتأثر بحرمانه إياه ذٰلك . كذا في هامش (ي) .

وليعلمْ : أنَّ الأمورَ قِسَمٌ ، وإنَّما يتخلَّصُ العبدُ عنْ هٰذا باكتفائِهِ بوجودِ الحقِّ سبحانَهُ وقدمِهِ عنْ مقتضىٰ جودِهِ ونعمِهِ .

فكلُّ مَنْ رأيتَ ـ أيُّها المريدُ ـ قدَّمَ الحقُّ سبحانَهُ رتبتَهُ . . فاحملْ أنتَ غاشيتَهُ[1] ؛ فإنَّ الظرفاءَ مِنَ القاصدينَ علىٰ ذٰلكَ استمرَّتْ سننُهُمْ .



واعلمْ : أنَّ مِنْ حقِّ المريدِ إذا اتفقَ وقوعُهُ في جَمْعٍ : إيثارَ الكلِّ بالكلِّ ؛ فيقدِّمُ الجائعَ والشبعانَ علىٰ نفسِهِ[2] ، ويُتلمذُ لكلِّ من أظهرَ عليهِ التشيُّخَ وإنْ كانَ هوَ أعلمَ منهُ ، ولا يصلُ إلىٰ ذٰلكَ إلَّا بتبرِّيهِ عنْ حولِهِ وقوَّتِهِ ، وتوصُّلُهُ إلىٰ ذٰلكَ بطَوْلِ الحقِّ ومنَّتِهِ .



وأمَّا آدابُ المريدِ في السماعِ : فالمريدُ لا تسلمُ لهُ الحركةُ في السماعِ بالاختيارِ ألبتةَ ، فإنْ وردَ عليهِ واردٌ حرَّكَهُ ، ولمْ يكنْ فيهِ فضلُ قوَّةٍ . . فبمقدارِ الغلبةِ يُعذَرُ ، فإذا زالَتِ الغلبةُ . . يجبُ عليهِ القعودُ والسكونُ ، فإنِ استدامَ الحركةَ مستجلِباً للوجدِ مِنْ غيرِ غلبةٍ وضرورةٍ . . لمْ يصحَّ ، فإنْ تعوَّدَ ذٰلكَ . . يبقىٰ متخلِّفاً لا يُكاشَفُ بشيءٍ مِنَ الحقائقِ ، فغايةُ أحوالِهِ حينئذٍ أنْ يُطيِّبَ قلبَهُ .

---

(١) يعني : كن له خادماً كما يكون حامل غاشية المركوب ـ أغطيةٌ وحمائل للسرج والسيف ونحوه ـ خادماً له ؛ لتنال بذٰلك ما ناله . « إحكام الدلالة » (٤/٢٢٢) .

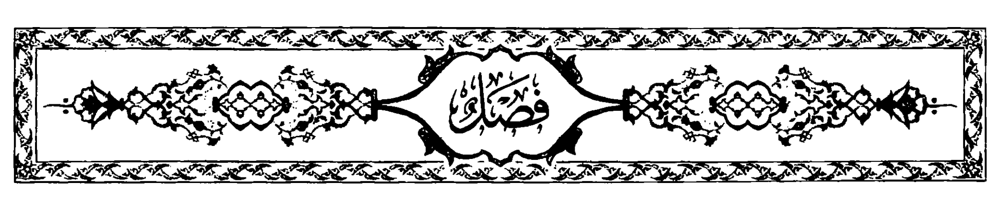
(٢) كذا في (ج ، ي) ، وفي غيرهما : (ويقدم الجائعُ الشبعانَ) ؛ يعني : يقدِّم المريدُ الجائعُ الشبعانَ علىٰ نفسه ؛ ليتعوَّد الأخلاق الحميدة . « إحكام الدلالة » (٤/٢٢٢) .

وفي الجملةِ : إنَّ الحركةَ تأخذُ منْ كلِّ متحرّكٍ وتُنقصُ مِنْ حالِهِ[1] ، مريداً كانَ أوْ شيخاً ، إلَّا أنْ يكونَ بإشارةٍ مِنَ الوقتِ ، أوْ غلبةٍ تأخذُ عنِ التمييزِ .

فإنْ كانَ مريداً أشارَ عليهِ الشيخُ بالحركةِ فتحرَّكَ علىٰ إشارتِهِ . . فلا بأسَ إذا كانَ الشيخُ ممَّنْ لهُ حكمٌ علىٰ أمثالِهِ .

وأمَّا إذا أشارَ عليهِ الفقراءُ بالمساعدةِ في الحركةِ . . فيساعدُهُمْ في القيامِ ، وفي أدنىٰ ما لا يجدُ منهُ بُدّاً ممَّا يُراعي عنِ الاستيحاشِ قلوبَهُمْ .

ثمَّ إنَّ صدْقَهُ في حالِهِ يمنعُ قلوبَ الفقراءِ مِنْ سؤالِهِمْ عندَ المساعدةِ معهُمْ .



وأمَّا طرحُ الخرقةِ . . فحقُّ المريدِ ألَّا يرجعَ في شيءٍ خرجَ منهُ ألبتةَ ، اللهمَّ ؛ إلَّا أنْ يشيرَ عليهِ شيخٌ بالرجوعِ فيهِ ، فيأخذُهُ علىٰ نيَّةِ العاريَّةِ بقلبِهِ ، ثمَّ يخرجُ عنهُ بعدَهُ مِنْ غيرِ أنْ يستوحشَ قلبُ ذٰلكَ الشيخِ .

وإذا وقعَ بينَ قومٍ عادتُهُمْ طرحُ الخرقِ ، وعلمَ أنَّهُمْ يرجعونَ فيهِ ؛ فإنْ لمْ يكنْ فيهِمْ شيخٌ تجبُ حشمتُهُ وحرمتُهُ ، وكانَ طريقُ هٰذا المريدِ ألَّا يعودَ في الخرقِ . . فالأحسنُ أنْ يساعدَهُمْ في الطرحِ ، ثمَّ يؤثرُ بهِ القوَّالَ إذا رجعوا هُمْ فيها .

ولوْ لمْ يطرحْ . . فإنَّهُ يجوزُ إذا علمَ مِنْ عادةِ القومِ أنَّهُمْ يعودونَ

(١) يعني : تأخذ قوّة من كل متحرِّك ، وتنقص شيئاً من حاله . « إحكام الدلالة » (٤/٢٢٢) .

فيمـا طرحوا ؛ فـإنَّ القبيـحَ إنَّما هوَ سـنَّتُهُمْ فـي العَـوْدِ إلى الخرقِ ، لا مخالفتُـهُ لهُـمْ ، علـىٰ أنَّ الأولى الطرحُ عـلى الموافقةِ ، ثمَّ تـركُ الرجوعِ فيهِ .

ولا يُسلَّمُ للمريدِ ألبتةَ التقاضي على القوَّالِ (١) ؛ لأنَّ صدقَ حالِهِ يحملُ القوَّالَ على التَّكرارِ ، ويحملُ غيرَهُ على الاقتضاءِ .

ومَنْ تبرَّكَ بمريدٍ . . فقدْ جارَ عليهِ ؛ لأنَّهُ يضرُّهُ ؛ لقلَّةِ قوَّتِهِ ، فالواجبُ على المريدِ تركُ تربيةِ الجاهِ عندَ مَنْ قالَ بتركِهِ وإثباتِهِ (٢) .



فصل

وإنِ ابتليَ مريدٌ بجاهٍ ، أوْ معلومٍ ، أوْ صحبةِ حَدَثٍ ، أوْ ميلٍ إلى امرأةٍ ، أوِ استنامةٍ إلىٰ معلومٍ ، وليسَ هناكَ شيخٌ يدُلُّهُ علىٰ حيلةٍ يتخلَّصُ بها مِنْ ذٰلكَ . . فعندَ ذٰلكَ حلَّ لهُ السفرُ والتحوُّلُ عنْ ذٰلكَ الموضعِ ؛ ليشوِّشَ علىٰ نفسِهِ تلكَ الحالةَ (٣) .

ولا شـيءَ أضـرُّ لقلوبِ المريديـنَ مِنْ حصـولِ الجاهِ لهُمْ قبـلَ خمودِ بشريَّتِهِمْ .

ومِنْ آدابِ المريدِ : ألَّا يسبقَ علمُهُ في هٰذهِ الطريقةِ منازلتَهُ (٤) ، فإنَّهُ

---

(١) يعني : لا ينبغي للمريد حالَ السماعِ أن يطلب من القوَّال تكرار ما أنشده ونحوه . انظر « إحكام الدلالة » (٢٢٢/٤)

(٢) أي : ومن قال بإثباته ؛ لئلا يدخله الرياء والعجب . « إحكام الدلالة » (٢٢٣/٤) ، وفي (أ ، ب ، ج ، ل) : (بتبرُّكه وإثباته) ، ومعنىٰ (ترك تربية الجاه) : ترك أسباب الظهور خشية من عروض معطلات الأجور . « نتائج الأفكار » .

(٣) أما الجاهُ والمعلوم الضروريان . . فلا هروب منهما ؛ لأنهما يدفعان الأذىٰ ، ويقويان على الطاعة . « إحكام الدلالة » (٢٢٣/٤) .

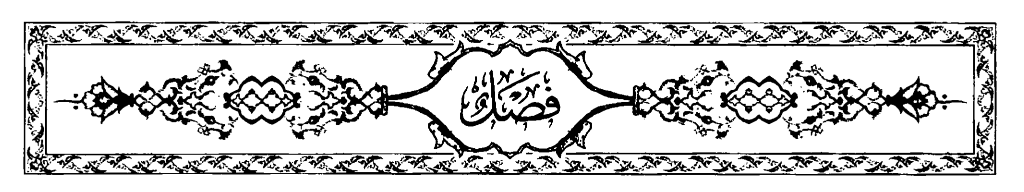
(٤) أي : منزلته ؛ بأن يتكلم عن حال أو مقام بمحض العلم وهو لم يبلغه ، فيتوهم حصوله له . انظر « إحكام الدلالة » (٢٢٣/٤) .

إذا تعلَّمَ سيرَ هٰذهِ الطائفةِ ، وتكلَّفَ الوقوفَ علىٰ معرفةِ مسائلِهِمْ وأحوالِهِمْ قبلَ تحقُّقِهِ بها بالمنازلةِ والمعاملةِ . . بَعُدَ وصولُهُ إلىٰ هٰذهِ المعاني ، ولهٰذا قالَ المشايخُ : إذا حدَّثَ العارفُ عنِ المعارفِ . . فجهِّلوهُ ؛ فإنَّ الإخبارَ عنِ المنازلِ دونَ المعارفِ .

ومَــنْ غلــبَ علمُــهُ منازلتَــهُ . . فهــوَ صاحــبُ علــمٍ ، لا صاحــبُ سلوكٍ .



ومِنْ آدابِ المريدينَ : ألَّا يتعرَّضوا للتصدُّرِ ، وألَّا يكونَ لهُمْ تلميذٌ أوْ مريدٌ ؛ فإنَّ المريدَ إذا صارَ مُراداً قبلَ خُمودِ بشريَّتِهِ وسقوطِ آفتِهِ . . فهوَ محجوبٌ عنِ الحقيقةِ ، لا تنفعُ أحداً إشارتُهُ وتعليمُهُ .



وإذا خدمَ المريدُ الفقراءَ . . فخواطرُ الفقراءِ رسلُهُمْ إليهِ ، فلا ينبغي أنْ يخالفَ المريدُ ما حكمَ باطنُهُ عليهِ مِنَ الخلوصِ في الخدمةِ ، وبذلِ الوُسْعِ والطاقةِ .



ومِنْ شأنِ المريدِ إذا كانَ طريقَتَهُ خدمةُ الفقراءِ : الصبرُ علىٰ جفاءِ القومِ معَهُ ، وأنْ يعتقدَ أنَّهُ يبذلُ روحَهُ في خدمتِهِمْ ثمَّ لا يحمدونَ لهُ أثراً ، فيعتذرُ

إليهِمْ مِنْ تقصيرِهِ ، ويقرُّ بالجنايةِ علىٰ نفسِهِ تطييباً لقلوبِهِمْ وإنْ علمَ أنَّهُ بريءُ الساحةِ[1] .

سمعتُ الإمامَ أبا بكرِ ابنَ فُورَكَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : إنَّ في المثلِ : (إذا لمْ تصبرْ على المطرقةِ . . فلماذا كنتَ سنداناً ؟!) .

وفي معناهُ أنشدوا : [من الخفيف]

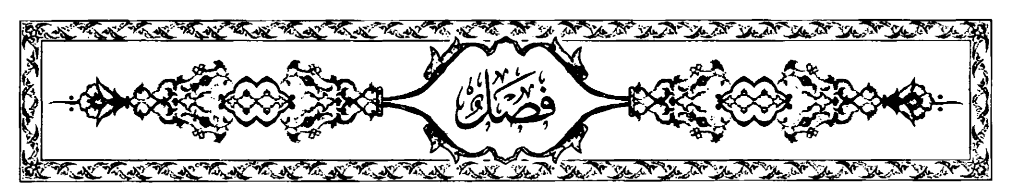
رُبَّمَـا جِئْتُـهُ لِأُسْـلِفَهُ ٱلْعُـذْ ... رَ لِبَعْـضِ ٱلذُّنُـوبِ قَبْـلَ ٱلتَّجَنِّـي



وبناءُ هـٰذا الأمرِ ومِلاكُهُ : علىٰ حفظِ آدابِ الشريعةِ ، وصونِ اليدِ عنِ المدِّ إلى الحرامِ والشبهةِ ، وحفظِ الحواسِّ عنِ المحظوراتِ ، وعدِّ الأنفاسِ معَ اللهِ تعالىٰ عنِ الغَفَلاتِ ، وألَّا يستحلَّ مثلاً سِمْسِمةً فيها شبهةٌ في أوانِ الضروراتِ ، فكيفَ عندَ الاختيارِ ووقتِ الراحاتِ ؟!

ومِنْ شأنِ المريدِ : دوامُ المجاهدةِ في تركِ الشهواتِ ؛ فإنَّ مَنْ وافقَ شهوتَهُ . . عَدِمَ صفوتَهُ .

وأقبحُ الخصالِ بالمريدِ : رجوعُهُ إلىٰ شهوةٍ تركَها للهِ تعالىٰ .



ومِنْ شأنِ المريدِ : حفظُ عهودِهِ معَ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ نقْضَ العهدِ في طريقِ الإرادةِ كالرِّدَّةِ عنِ الدِّينِ لأهلِ الظاهرِ .

---

(١) في (ي) و« إحكام الدلالة » (٤/٢٢٥) زيادة : (وإذا زادوه في الجفاء . . فيجب أن يزيدهم في الخدمة والبر) .

ولا ينبغي للمريدِ أنْ يعاهدَ اللهَ عزَّ وجلَّ على شيءٍ باختيارِهِ ما أمكنَهُ ؛ فإنَّ في لوازمِ الشرعِ ما يستوفي منهُ كلَّ وُسْعٍ ، قالَ اللهُ تعالى في صفةِ قومٍ : ﴿ ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ ، ثمَّ قالَ : ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[١] .



ومِنْ شأنِ المريدِ : قصرُ الأملِ ؛ فإنَّ الفقيرَ ابنُ وقتِهِ ، فإذا كانَ لهُ تدبيرٌ في المستقبلِ ، وتطلُّعٌ لغيرِ ما هوَ فيهِ مِنَ الوقتِ ، وأملٌ فيما يستأنفُهُ . . لا يجيءُ منهُ شيءٌ .



ومِنْ شأنِ المريدِ : ألَّا يكونَ [لهُ][٢] معلومٌ وإنْ قلَّ ، لا سيَّما إذا كانَ بينَ الفقراءِ ؛ فإنَّ ظلمةَ المعلومِ تطفئُ نورَ الوقتِ .



ومِنْ شأنِ المريدِ ـ بلْ مِنْ طريقةِ سالكي هٰذا المذهبِ ـ : تركُ قَبولِ رفْقِ النُّسوانِ[٣] ، فكيفَ التعرُّضُ لاستجلابِ ذٰلكَ ؟!

(١) سورة الحديد : (٢٧) .
(٢) كذا في (ز) ، وفي عامة النسخ : (معه) بدل (له) .
(٣) عطاياهن وإكرامهن له ونحو هذا .

علىٰ هٰذا درجَ شيوخُهُمْ ، وبذٰلكَ نفذَتْ وصاياهُمْ ، ومَنِ استصغرَ هٰذا . . فعنْ قريبٍ يلقىٰ ما يُفتضَحُ فيهِ .



ومِنْ شأنِ المريدِ : التباعدُ عنْ أبناءِ الدنيا ؛ فإنَّ صحبتَهُمْ سمٌّ مجرَّبٌ ؛ لأنَّهُمْ ينتفعونَ بهِ وهوَ ينتقصُ بهِمْ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [1] .

وإنَّ الزهَّادَ يخرجونَ المالَ عنِ الكيسِ تقرُّباً إلى اللهِ تعالىٰ ، وأهلُ الصفاءِ يخرجونَ الخلقَ والمعارفَ مِنَ القلبِ تحقُّقاً باللهِ عزَّ وجلَّ .

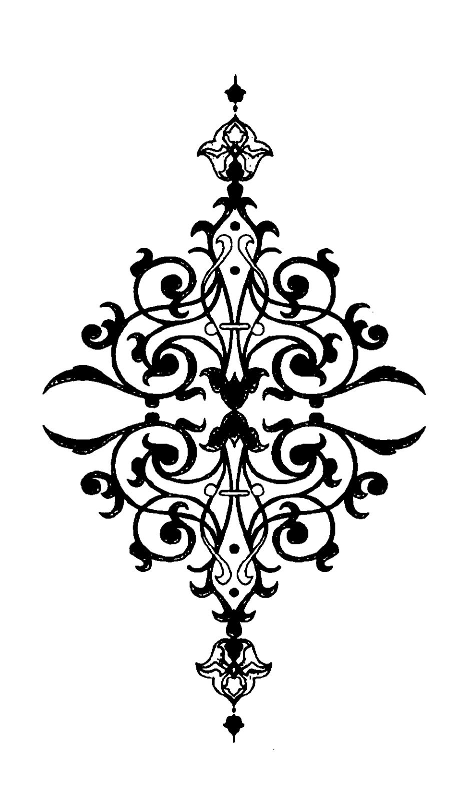
قالَ الأستاذُ الإمامُ أبو القاسمِ رضيَ اللهُ عنهُ : فهٰذهِ وصيَّتُنا إلى المريدينَ ، نسألُ اللهَ تعالىٰ لهُمُ التوفيقَ ، وألَّا يجعلَها وبالاً علينا .

وقدْ نجزَ لنا إملاءُ هٰذهِ الرسالةِ في أوائلِ سنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ ، نسألُ اللهَ الكريمَ ألَّا يجعلَها علينا حُجَّةً ووبالاً ؛ إنَّ الفضلَ منهُ مألوفٌ ، وهوَ بالعفوِ موصوفٌ [2] .

* * *

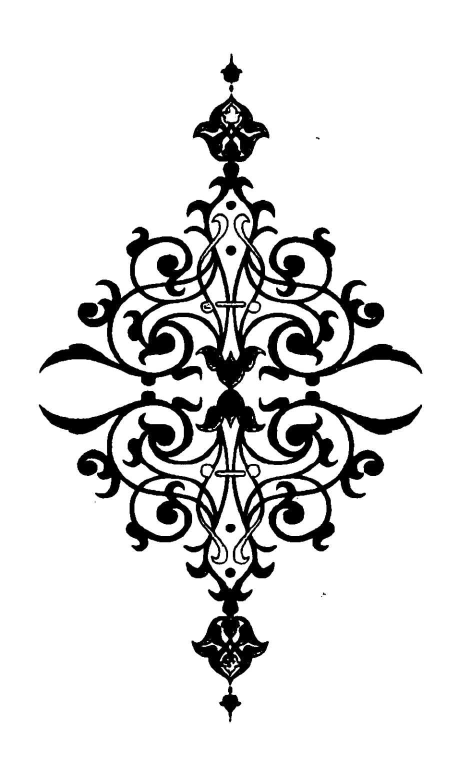
(١) سورة الكهف : (٢٨) .

(٢) في (أ) من الأصول : (معروف) بدل (موصوف) .





الإجازات والسماعات وخواتيم النسخ الخطية والفهارس العامة



خاتمة النسخة (أ)

تمَّتِ « الرسالةُ » مِنْ إملاءِ الأستاذِ الإمامِ جمالِ الإسلامِ [1] ، أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القشيريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

وفرغتُ مِنْ نسختها في سلخِ شهرِ رمضانَ ، مِنْ سنةِ ثمانٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ .

وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ النبيِّ وآلِهِ وسلَّمَ ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ .

خاتمة النسخة (ب)

وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدنا محمدٍ وآلِهِ ، وله الحمدُ علىٰ ما يسَّرَ ، وهو حسبنا ونعمَ المعين .

كتبَهُ العبدُ المذنبُ الفقيرُ إلىٰ رحمةِ اللهِ ، المفتقرُ إلىٰ عفوِهِ وغفرانِهِ : رشيدُ بن تاوانَ بن صدِّيقٍ التبريزيُّ ، في آخرِ جُمادى الآخرِ ، من شهورِ سنةِ ثلاثٍ وثمانين وخمسِ مئةٍ ، حامداً لله ، ومصلِّياً علىٰ خيرِ خلقِهِ محمدٍ المصطفىٰ ، صلَّى اللهُ عليه وعلىٰ آلِهِ الطيِّبينَ الطاهرينَ الأخيارِ .

رحمَ اللهُ من نظرَ فيه ، دعا لمصنِّفِهِ ولكاتبِهِ ولقارئِهِ ولجميعِ المؤمنينَ والمؤمناتِ والمسلمينَ والمسلماتِ ، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمينَ ، وصلَّى اللهُ علىٰ محمدٍ المصطفىٰ وآلِهِ أجمعينَ

خاتمة النسخة (ج)

تمَّ الكتاب علىٰ يدي العبد الفقير إلى الله تعالىٰ ، إسحاق بن محمود بن بلكويه بن أبي الفَيَّاض البُرُوجِردي غفر الله له ولوالديه [2] ، ولمن نظر فيه ، ودعا له بالتوبة والمغفرة ، في الخامس عشر من شهر جُمادى الآخر ، سنة عشر وست مئة ، بالقاهرة المحروسة ، في دار سعيد السعداء ، والحمد لله رب العالمين ، وصلَّى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه .

خاتمة النسخة (د)

والحمد لله حق حمده ، وصلواته علىٰ رسوله ونبيِّه محمد ، وعلىٰ آله الطيبين الطاهرين وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكان الفراغ من نسخها بمصر حرسه الله تعالىٰ ، يوم الاثنين ، التاسع من ذي القعدة ، من سنة ستة وثلاثين وست مئة ، غفر الله لمن كتبها ، ولمن قرأ فيها ، ولمن قرئت عليه ، ولمن ملكها ، ولمن دعا لكاتبها ، العبد الفقير إلىٰ رحمة ربه ، الراجي لعفوه ، عيسى بن عبد الحق بن مهدي . . . ولجميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته وسلامه علىٰ رسوله المصطفىٰ ، ونبيِّه المجتبىٰ ، محمد سيد الورىٰ ، وعلىٰ آله وأصحابه أئمة الهدىٰ ، ومصابيح الدجىٰ ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

خاتمة النسخة (هـ)

آخر الكتاب ، والحمد لله وحده ، وصلواته علىٰ خيرته من خلقه ، محمد وآله وصحبه ، ووافق الفراغ من نسخ هـٰذا الكتاب بدمشق ، يوم الجمعة ، السادس والعشرين من شهر الله رجب ، من سنة اثنتين وخمسين وست مئة للهجرية ـ كذا ـ النبوية .

خاتمة النسخة (و)

نجزت الرسالة بحمد الله ومنِّه ، وصلاته علىٰ خير خلقه ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين .

ووافق الفراغ من نسخها يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من شهر الله رجب الأصب المبارك ، من شهور سنة ثلاثين وسبع مئة

(١) مرَّ في ترجمة المصنف أن لقبه هو : زين الإسلام .

(٢) عصريُّ الحافظ عبد العظيم المنذري ، وخرَّج له ابن الحافظ المنذري مشيخة ، كان مشرفاً علىٰ دوير الصوفية بمصر ـ والآتي ذكره ـ المعروف بسعيد السعداء ، وتوفي سنة (٦٦٩ هـ) . انظر « توضيح المشتبه » (١٦٩/٨) .

بمحروسة طرابلس حرسها الله تعالىٰ ، بجامع المخدوم القاضي ناصر الدين المعروف بابن العطار ، علىٰ يد أضعف عباد الله تعالىٰ وأحوجهم إلىٰ رحمة ربه الكريم : محمد البغدادي المتصوف عفا الله عنه .

خاتمة النسخة (ز)

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، وعلىٰ سائر الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آلهم وصحبهم أجمعين ، ووافق الفراغ من تكميل هـٰذه النسخة المباركة صبيحة يوم الجمعة ثامن عشر شهر رمضان المبارك ، من شهور سنة خمس وعشرين وألف ، علىٰ يد العبد الفقير عمر بن بهاء الدين الإبشيطي الشهير بالدنوشري الشافعي ، غفر الله ذنوبه ، وستر في الدارين عيوبه ، آمين .

خاتمة النسخة (ط)

والحمد لله حق حمده ، وصلواته وبركاته ورحمته علىٰ رسوله محمد النبي الأمي ، وآله الطاهرين ، وصحبه الكرام المنتخبين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

ووقع بهامشها : بحمد الله أتممتُ قراءة هـٰذه الرسالة المباركة علىٰ جملة من إخواننا الكرام ، وفقني الله وإياهم للعمل بما فيها ، ونفعنا برجالها الفخام ، وكانَ ذٰلك ليلة السبت في نهاية العشر الأول من ربيع الأول ، شهر الميلاد النبوي الأنور ، الموافق لأول يوم من العشر الثاني منْ شهر نيسان الغربي ، سنة (١٣٢٦ هجرية) في دار أخينا في الله ومحبنا فيه : السيد سليم السيوفي حفظه الله تعالىٰ ، والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وصلى الله علىٰ محمد وآله وعترته وسلَّم تسليماً كثيراً أثيراً .

وكتب أفقر الورىٰ إلىٰ رحمة ربه الغني ، محمد بن محمد المبارك الجزائري الحسني (١) ، غفر الله له ولوالديه ولإخوانه وأحبابه ومن أحسن إليه .

آميـــــنَ آميـــــنَ لا أرضـــــىٰ بواحـــــدةٍ ... حتَّـــىٰ أضيـــفَ إليهـــا ألـــفَ آمينـــا

بمنِّهِ وكرمه .

ووقع بحاشيتها : بحمد الله وشكره وكمال توفيقه قرأتها ثانياً علىٰ سائر إخواننا عامة ، راجين من الحق عز وجل أن يعطِّف علينا قلوب رجالها الأكارم ، وأساتذتها الأعاظم ، رضي الله عنهم وأرضاهم ، وكان ختامها في دار الأخ في الله المحب فيه ، الشيخ عبد الجليل الدرا حفظه الله ، وذٰلك ليلة الأحد ، الثالث من جمادى الأولىٰ ، الموافق للثالث والعشرين من شهر أيار الغربي ، سنة (١٣٢٧ هجرية) ، والحمد لله أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الفاتح الخاتم ، وعلىٰ آله وصحبه السادة الأكارم ، والقادة الأعاظم .

وكتب محمد بن محمد المبارك غفر الله له ولوالديه وولَدَيه وإخوانه ومن أحسن إليه .

آمين

خاتمة النسخة (ل)

وصلواته على النبي محمد وآله وسلم ، وله الحمد علىٰ ما يسر ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة على المختار من الخليقة ، وعلىٰ آله الطاهرين ، وصحبه الأكرمين ، وغفر الله لكاتبها ومالكها ، ونفعهما بما حوته ، إنه قريب مجيب .

ووقع في الحاشية : قوبلت هـٰذه النسخة بالأصل المنتسخ منه ؛ الذي عليه خط المصنف الإمام أبي القاسم القشيري وقرئت عليه كثيراً ، فصحت صحتها ، وكتبه علي بن حسن بن جعفر بن أحمد التفليسي العيسيان الصوفي في منتصف شعبان من سنة تسع وسبع مئة ، والحمد لله وحده .

---

(١) هو العلامة البارع ، والأديب اللغوي المفنّن ، الشيخ محمد بن محمد المبارك الجزائري الدلسي الحسني المالكي الدمشقي ، كان له عظيم الأثر في النهضة العلمية بدمشق ، وانظر « حلية البشر » (٣/١٣٥٤) ، توفي رحمه الله تعالىٰ سنة (١٣٣٠ هـ) ودفن بالمزة بظاهر دمشق .

علقها العبد الضعيف الراجي عفو ربه وغفرانه ؛ محمد بن أيوب المتصوف رحمه الله من نسخة عليها [خط] المصنف وقرئت عليه مراراً بتاريخ مستهل رجب الفرد سنة تسع وسبع مئة .

ووقع في هامشها : تأمّلت هاذه النسخة عن آخرها ، وتصفحتها بتصحيح أماط أذاها ، ورمىٰ عن صفوها قذاها ، فصارت أمّاً في الصحّة ، يعوّل عليها ويُقتدىٰ بها ، وتقتبس منها ، ويبرك لديها ، ويرحل إليها ، وإلى الله سبحانه أبرأ من التحريف والتصحيف إلا ما زلّ عن القلم وقليل ذٰلك .

كتبه جابر بن محمد الخوارزمي عفا الله عنه حامداً لله ، ومصلياً علىٰ رسوله محمد وآله وصحبه ومسلماً .

سماعات النسخة (أ)

وسمع جميع هاذه الرسالة من الشيخ الجليل الزاهد الفقير إلى الله تعالىٰ ، أبي سعيد أحمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بخوشاوند ، في حرم الله تعالىٰ مقابل الكعبة حرسها الله من باب الندوة . . سعد بن إبراهيم البابي ، وأبو طاهر محمد بن أحمد بن عيسى بن ولها الشهرباني ، وإبراهيم بن هبة السعربي ، وعبد الله بن عبد الرحيم ، بقراءة كاتب السماع أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الله البغدادي ، المعروف بصاحب محمد بن علي الوكيل رحمه الله ، وأجاز لإبراهيم بن يوسف الرحل ، وعبد الله بن سعد الخاني بسماعهم وما كان فاتهم من السماع ، وذٰلك في جمادى الآخر من سنة ثمان وتسعين وأربع مئة ، والحمد لله ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم .

سمع هاذه الرسالة جميعها من أولها إلىٰ آخرها على الوجه من الشيخ الزاهد الفقير إلى الله تعالىٰ ، أبي سعد أحمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بخوشاوند ، في حرم الله تعالىٰ مقابل الكعبة بباب الندوة . . الشيخ الأجل الفقيه أبو نصر تمام بن محمد بن الحسين ابن المحلبان ، والأستاذ أبو الجماجم ريحان المستظهري ، والشيخ أبو الفتح محفوظ بن محمد بن الحسين ، بقراءة ولده محمد أبو جعفر ، وصح سماعهم في الحجر سنة ثمان وتسعين وأربع مئة ، وصلى الله علىٰ محمد وآله وسلم .

وكتب آخرها : لبعضهم :

مـــا أرى العيـــد لقـــوم أصبحـــوا	فـــي المعاصـــي بعقـــول ســـخفة
لا ولا قـــوم إذا غنـــىٰ لهـــم	أقبلـــت أعينهـــم منذرفـــة
لا ولا مـــن كان فـــي صحبتـــه	يـــأكل الأطعمـــة المختلفـــة
إنمـــا العيـــد لقـــوم أصبحـــوا	تحـــت رايـــات الرضـــا فـــي عرفـــة
ثـــم فـــي المشـــعر زمـــوا عيســـهم	ودعـــوا فـــي مســـجد المزدلفـــة
ثـــم نالـــوا مـــا تمنَّـــوا بمنـــىٰ	موقفـــاً طوبـــىٰ لعبـــد وقفـــه

وكتب أيضاً :

الحمد لله وحده

وصية الإمام الشافعي المطلبي رحمة الله عليه

أأنعـــم عيشـــاً بعـــد مـــا حـــل عارضـــي	طلائـــع [شـــيب] ليـــس يغنـــي خضابهـــا
وغـــرة عمـــر المـــرء قبـــل مشـــيبه	وقـــد فنيـــت نفـــس تولـــىٰ شـــبابها
إذا اســـود لـــون المـــرء وأبيـــضَّ شـــعره	تنغـــص مـــن أيامـــه مـــا اســـتطابها
ولا تمشـــين فـــي منكـــب الأرض فاخـــراً	فعمـــا قليـــل يحتويـــك ترابهـــا
وأدِّ زكاة الجـــاه واعلـــم بأنهـــا	كمثـــل زكاة المـــال تـــم نصابهـــا
ومـــن يـــذق الدنيـــا فإنـــي طَعِمْتُهـــا	وســـيق إلينـــا عذبهـــا وعذابهـــا

فلـــم أرهـــا إلا غـــروراً وباطـــلاً كمـــا لاح فـــي أرض الفـــلاة ســـرابها
ومـــا هـــي إلا جيفـــة مســـتحيلة عليهـــا كلاب همهُـــنَّ اجتذابهـــا
فـــإن تجتنبهـــا كنـــت سِـــلْماً لأهلهـــا وإن تجتذبهـــا نازعتـــك كلابهـــا
فطوبـــىٰ لنفـــس أســـكنت قعـــر دارهـــا مغلقـــة الأبـــواب مرخـــىً حجابهـــا

وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلم

سماعات النسخة (ب)

سمعت هٰذا الكتابَ علىٰ والدي الشيخِ الإمام العالم الحافظ المتقن ، بدرِ الدين ، جمال الإسلام ، سيّدِ الأئمة والمحدثين ، أبي الخير بدلِ بنِ أبي المعمَّر بن إسماعيل بن أبي نصر التبريزي ، بسماعه من الشيخ الإمام أبي سعد عبدِ الله بن عمر بن أحمد الصفَّار قال : أخبرنا أبو نصر عبدُ الرحيم بنُ عبد الكريم بن هوازن : أخبرنا والدي المصنِّفُ رحمه الله .

وبسماعه أيضاً من أبي عبد الله المؤيد بن عبد الله بن عبد الرزاق القشيري قال : حدثنا أبو المظفَّر عبدُ المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري : أخبرنا أبي المصنِّفُ .

وبسماعه أيضاً من أبي الفضل منصور بن علي الطبري قال : أخبرنا أبو الأسعد هبةُ الرحمٰن بن عبد الواحد قال : أخبرنا المصنِّفُ بقراءة الإمام جمال الدين أبي الماجد عبدِ المجيد بن شريح بن محمود بن محمد الزنجاني ، وصاحبُ النسخة الشيخ الإمام الزاهد سعدُ الدين أبو عبدِ الله محمد بن محمد بن أبي بكير الهرمي .

وكتب محمدُ بن بَدلِ بن أبي المعمَّر التبريزي والخط له ، وذٰلك في أوائل شوال سنة أربع وست مئة حامداً لله ومصلياً .

وصحَّ وبدَّ .

سماعات النسخة (ج)

سمع جميع كتاب « رسالة القشيرية » بتمامها وكمالها على الشيخ الأجل العالم الورع الزاهد ، تقي الدين ، خادم الفقراء ، مؤنس الغرباء ، بقية المشايخ ، أبي عبد الله محمد بن الحسن بن عيسى اللرستاني ؛ بحقِّ سماعه من الشيخين الأجلَّين العالمين ؛ أحدهما : شمس الدين أبي محمد عبد الواحد بن عبد الماجد القشيري ، وهو يروي عن عمر والده أبي المظفر عبد المنعم بن الأستاذ أبي القاسم المصنف ، وهو يروي عنه في مجالس آخرها السابع والعشرين من جُمادى الأولىٰ سنة سبع وخمسين وخمس مئة ، والشيخ الثاني : تاج الدين محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد المسعودي البَنْجَديهي من لفظه ، وهو يروي عن الإمام أبي المحاسن مسعود بن محمد بن غانم الغانمي ، بإجازته عن المصنف رحمه الله[1] ، في العشر الأخر من جمادى الأولىٰ سنة ثمانين وخمس مئة ، صاحب الكتاب ؛ الشيخ الأجل العالم الزاهد العارف العابد شمس الدين ، جمال الطائفة ، مؤنس الأصحاب ؛ أبو شمس بن أبي نصر بن دلكشاه الأردبيلي الصوفي ، والإمام الأجل ، العالم الأوحد ، سيف الدين ، جمال الإسلام ، حسيب العراق ، تاج الأقران ، محمد بن محمد بن الإمام رضي الدين أحمد القزويني الطالقاني ، والشيخ الأجل العلم ، بدر الدين بريمان بن إسفنديار ابن حكيم الخبري ، والشيخ الأجل جمال الدين محمود بن عمر بن محمد الرازي المعروف بآزاد ، والشيخ الفقير زين الدين علي بن إبراهيم بن سليمان الكردي الصوفي ، والشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الله الرازي ، والسيد الحسيب شرف الدين جمال السادة ؛ أبو إسحاق إبراهيم بن طاهر بن مهدي الحيري ، بقراءة أضعف خلق الله تعالىٰ إسحاق بن محمود بن بلكويه البُرُوجردي كاتب الكتاب والسماع ، وذٰلك في مجالس آخرها يوم الخميس العشرين من ذي القعدة سنة عشر وست مئة .

وسمع من باب السماع إلىٰ آخر الكتاب الشيخ الفقيه الإمام العالم محيي الدين ، جمال الإسلام ، تاج الفقهاء ، أبو

---

(١) وهو آخر من روىٰ عن القشيري . انظر « تاريخ الإسلام » (١٣٣/٣٨) وما بعدها .

الطيب محمد بن أبي الغنائم مكرم بن مسعود بن حماد الإيادي الأبهري ، وعمه الأجل نجم الدين أبو الرجاء عبد الغفار بن مسعود ، ورفيقه معين الدين عبد الرحمٰن المعروف بروشباي الأبهري ، بقراءة المذكور ، في التاريخ المذكور ، والحمد لله رب العالمين .

ـ سمعه ـ وهو كتاب « الرسالة » للقشيري ـ علىٰ أبي عبد الله محمد بن (. . .) المقدسي ، وعلىٰ أبي بكر محمد بن أبي الطاهر إسماعيل الأنماطي من أوله إلىٰ باب الورع ، بإجازتهما من أم المؤيد زينب بنت أبي القاسم الشعري ، بسماعها من أبي الفتوح عبد الوهاب بن أحمد بن شاه الشاذياخي ، وإجازتها من أبي عبد الله الفرواي وأبي المظفر القشيري إن لم يكن سماعاً ، قالوا : أخبرنا أبو القاسم القشيري (. . .) بقراءة المتوزري جماعة منهم محمد بن أحمد بن خالد الفارقي ، وصحَّ في مجالس آخرها يوم الاثنين خامس عشر جمادى الأولىٰ ، سنة اثنين وسبعين وست مئة بالكاملية ، نقله من الأصل حسن (. . .) من خطه نقل خليل بن محمد الأقفهسي .

ـ وسمعه على الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد بن خالد الفارقي بسماعه في تقلا بقراءة الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف (. . .) جماعة منهم عبد الله ابن علي بن مبارك الحلاوي السعودي ، وحسن بن محمد القدسي ، وكتب للسماع في الأصل منه : لخصت وصح في مجالس آخرها يوم الأربعاء ثاني عشر من شعبان سنة تسع وثلاثين وسبع مئة برواية الشيخ مبارك الحلاوي ، وأجاز نقله من الأصل خليل بن محمد الأقفهسي ، وسمعه معهم بالقراءة والتاريخ والمكان-خلا الميعاد الأول والثاني ، ثم سمع الثاني بعين هٰذه القراءة عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي حاضراً في الثالثة اختصره من الأصل خليل بن محمد الأقفهسي .

ـ الحمد لله ، سمع هٰذا الكتاب أجمع علىٰ شيخنا أبي المعالي عبد الله بن (. . .) بسماعه في هٰذه الكراسة نقلاً من بدر الدين عبد الله القاري بسنده بقراءة مالكه الشيخ الإمام المحدث زين الدين أبي بكر بن يوسف بن محمد القرشي النسائي ولده أبو السعادات محمد ، وقرأه سعيد والجماعة للشيخ بدر بن علي بن بدر القونسي وشمس الدين محمد بن علي بن محمد الزرايبي ، ومهنا بن عبد الله بن عبد الرحمٰن المهدي ، والإمام جمال الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد المرشدي المكي ، ورفيقه الشيخ (. . .) أحمد بن محمد بن عبد الله السكسكي اليمني ، ونور الدين علي بن أبي بكر بن أحمد الريمي المكي ، ومحب الدين محمد بن صالح بن عبد الخالق اليمني ، وأحمد بن محمد بن علي البالسي سبط المسمع ، والعبد خليل بن محمد بن محمد الأقفهسي وذا خطه .

وسمعه خلا من أول الميعاد الرابع إلىٰ قوله : في (باب الرجاء) قال : (ارتياح القلوب لزوم كرم المرجو) أحمد بن علي بن عماد الصناديدي .

وسمع أحمد وعبد الرحمٰن ولدا الشيخ بدر المذكور الميعاد الأول ، ومن أول الثالث إلىٰ آخر الثامن ، والميعاد العاشر ، وسمع أخوهما محمد الميعاد الأول ، ومن أول الثالث إلى الثامن فقط .

وسمع أحمد بن يوسف بن سليمان الحيري جميع الكتاب خلا الميعاد الثالث والعاشر ، ومن أول التاسع إلىٰ قوله : (فهل يجوز أن يكون الولي ولياً في الحال) .

وسمع محمد بن عمر بن (. . .) وهو شيخ من أول الكتاب إلىٰ آخر الميعاد الخامس ، والميعاد السابع .

وسمع محمد بن إبراهيم بن موسى البغدادي من أول الميعاد الرابع إلىٰ آخر الكتاب .

وسمع محيي الدين محمد بن الشيخ حميد الدين حماد بن عبد الرحيم بن أبي الحسن علي الماردىني الميعاد الثالث ، ومن أول الخامس إلىٰ آخر الكتاب .

وسمع تاج الدين عبد الله بن محمد بن محمد الميمون الميعاد الأول ، ومن قوله : (هٰذا حد الشريعة والحقيقة) إلىٰ آخر الميعاد الثالث ، ومن (باب التوكل) إلىٰ آخر الميعاد الخامس ، مع (. . .) من عدة مجالس ، آخرها يوم السبت ثاني عشر شعبان ، سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة (. . .) من القاهرة وأجاز ، وكان للمرشدي والسكسكي والريمي وأبي صالح فوت فأعيد لهم بعد هٰذا (. . .) فليعلم ، هٰذا قاله وكتبه العبد خليل محمد الأقفهسي .

ـ بلغ السماع في الميعاد العاشر على الشيخ عبد الله بن عمر الحلاوي ، بقراءة شيخنا زين الدين أبي بكر بن يوسف القرشي النسائي رحمه الله ومع ولده محمد (. . .) سعيد والعبد خليل محمد بن محمد الأقفهسي وآخرون في يوم السبت ثاني عشر شعبان سنة ثلاث وتسعين وسبع مئة ، كتبه خليل بن محمد الأقفهسي (. . .) .

ـ الحمد لله ، سمع جميع هـٰذا الكتاب ـ وهو « رسالة القشيري » ـ على الشيخ الزاهد الصالح المسند المكنىٰ أبي المعالي جمال الدين عبد الله بن الشيخ عمر بن الشيخ علي بن الشيخ مبارك الحلاوي ، بسماعه في تقلا من الشيخ بدر الدين محمد بن أحمد الفارقي ، بسماعه في تقلا بقراءة مالك هـٰذه النسخة سيدنا وشيخنا الإمام العالم المحدث العبدري أبي بكر بن يوسف بن محمد القرشي النسائي ولده أبو السعادات محمد ، وقرأه سعيد والجماعة للشيخ بدر بن علي بن بدر القونسي ، وشمس الدين محمد بن علي بن محمد بن الزراعبي ، ومهنا بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن المشهدي والإمام (. . .) محمد بن إبراهيم بن أحمد .

وكتب على الورقة الثالثة من النسخة ، قبل الفهرس والعنوان :

الحمد لله رب العالمين ، سمع جميع كتاب « الرسالة » للأستاذ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالىٰ بقراءتي علىٰ شيخنا ، الإمام العلامة الحجة ، بقية الحفاظ ؛ أبي سعيد صلاح الدين خليل بن الإمام الكبير بدر الدين عبد الله العلائي الشافعي أبقى الله فوائده ، بسماعه إياها من الشيخ العالم بهاء الدين أبي محمد القاسم بن مظفر بن عساكر الدمشقي بقراءته قال : أخبرنا العدل جمال الدين أبو عبد الله بن محمد بن علي بن محمود العسقلاني قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم المؤيد زينب ابنة أبي القاسم عبد الرحمـٰن الشعري قالت : أخبرنا أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي قال : أخبرنا الأستاذ الإمام زين المشايخ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، وسمع السادة (. . .) المقر الصاحبي (. . .) أبو الحسن علي بن العبد الفقير إلى الله تعالى القاضي (. . .) الدين محمد بن علي الحراني ، والشيخ العارف المحقق القدوة كبير الطائفة أبو الحجاج شرف الدين محمد (. . .) العلامة تقي الدين (. . .) والشيخ الإمام العالم ، مفتي المسلمين (. . .) عمر بن عبد الرحمـٰن بن حسين (. . .) الحنبلي ، والسيد الإمام العالم الأوحد بدر الدين حسن بن عبد الواحد الموصلي ، والشيخ الصالح الفاضل شمس الدين محمد بن عمر الأقفهسي الحنفي ، والمولى الفاضل الأصيل (. . .) الدين محمد بن الشيخ نجم الدين بن تاج الدين منصور الأريجاني .

وسمع أكثرها الشيخ الإمام بهاء الدين منصور بن أحمد (. . .) والشيخ شمس الدين محمد المقدسي (. . .) وشمس الدين محمد (. . .) وآخرون بحق وضبط ، وصح ذٰلك سنة (. . .) سابع جمادى الأولىٰ (. . .) .

وكتب آخر هـٰذه النسخة :

أنهاه نظراً العبد الفقير إلىٰ رحمة ربه الغفور ، أبو الشكر علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن صالح بن أبي الشكر محمد بن محمد بن خميس شيخ رباط القنطرة ، عفا الله عنه .

إجازة العلامة خاتمة الحفاظ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المثبتة في النسخة (ز)

الحمد لله وحده ، سمعَ عليَّ هـٰذا الكتابَ من أوّله إلىٰ ذكر المشايخِ : الجماعةُ الفضلاء : محمد بن محمد ، وأخوه عبد السلام ، وأحمد بن عبد الله ، ومحمد بن محمد ، ومحمد بن محمد السوسيون ، من أولاد القطب سيدي محمد بن يعقوب السوسي ، وصحَّ بقراءتي في يوم الجمعة ، سلخ جمادىٰ سنة (١١٩٤) ، وكتب محمد مرتضى الحسيني غُفر له حامداً لله ، ومصلِّياً ومسلِّماً على النبي وآله ومستغفراً .

ثم سمع منه الأول والثالث منه إلىٰ قوله : (ومنهم : أبو محمد سهل بن عبد الله التستري) .

وسمع معهما سيدي محمد البشير ابن أحمد العامري التازي ، وصح بقراءتي في يوم الجمعة ، سادس جمادى الثانية سنة (١١٩٤) ، وكتب محمد مرتضىٰ حامداً لله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً .

ثم سمع منه إلىٰ قوله : (ومنهم : يوسف بن الحسين شيخ الري) فسمع معه علي بن عبد الله محرم ، والشيخ عثمان الورداني ، وصح بقراءتي في يوم السبت سابع جمادى الثانية سنة (١١٩٤) ، وكتب محمد مرتضىٰ حامداً ومصلياً ومسلماً ومستغفراً .

ثم سمع منه إلىٰ قوله : (ومنهم أبو سعيد بن الأعرابي) فسمعه كاملاً السيد الفاضل عبد الله بن علي الحنفي ، وبفوت علي بن عبد الله محرم ، وصح بقراءتي في يوم الاثنين تاسع [جمادى الثانية] سنة (١١٩٤) ، وكتب محمد مرتضىٰ حامداً ومصلياً ومسلماً .

ثم سمع بقراءتي منه إلىٰ باب (تفسير ألفاظ) فسمع ابن أخي أحمد بن محمد ، وبفوت محمد بن عبد الحليم المشهدي ، والعلامة محمد سعيد ابن عبد الله السويدي ، وصح في يوم الأربعاء (١١) جمادى الثانية ، سنة (١١٩٤) .

سماعات النسخة (ل)

شاهدت على الأصل المنقول منه بعد المعارضة به ما مثاله : بلغ وسمع الكتاب كلَّه من أوله إلىٰ آخره : الشيخُ الأجل السيد الأوحد الكبير أبو القاسم علي بن عبد الله ، وقاضي القضاة أبو الفتح محمد بن إسماعيل ، والفقيه أبو بكر محمد بن (. . .) الزنجاني ؛ بعضها بقراءته ، وبعضها بقراءة الأستاذ الإمام ، وعلي بن الحسن بن جَعْدُويَه الرازي ، وشجاع بن المظفر بن شجاع ، والفضل بن يعقوب الشيباني ، وعلي بن محمد بن شجاع ، وأحمد بن عبد الرحمـٰن الدوتي ، وأحمد بن الحسين بن عدنان ، وعبد الملك بن محمد النهاوندي ، وأحمد بن الفضل بن يزداد ، وفيد بن عبد الرحمـٰن بن شاذي ، وعلي بن يحيى بن يحيىٰ ، وأحمد بن محمد المؤدب ، وسعد بن عمر الشعار ، وأحمد بن محمد بن أحمد الموشياباذي ، وزيد بن عمر القياس والنسخة بخطه .

وعارضه وسمع من الجزء الثالث من أجزاء الشيخ إلىٰ آخر الكتاب مهدي بن نصر المشطبي وابنه ناصر من الأستاذ الإمام جمال الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أدام الله توفيقه في صفر سنة اثنتي وأربعين وأربع مئة .

❀ ❀ ❀

وشاهدت أيضاً : سمعَ كتاب « الرسالة » من أوله إلىٰ آخره من الأستاذ الإمام زين الإسلام ناصر السنة ناصح الأمة أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رضي الله عنه بقراءة ولده الشيخ الجليل العالم أبي سعيد عبد الواحد . . الفقهاءُ : أبو الفتح الحسين بن محمد الشيرازي ، وأبو سهل محمد بن عبد الرحمـٰن النيسابوري ، وأبو المعلى الفضل بن عبد الله الأركاني ، وأحمد بن أبي طاهر الكرماني ، وأبو الحسن علي بن أبي الحسين القطان الطبري ، وأبو الحسين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن السري الطبري ، وأبو القاسم يوسف المتكلم ، وأبو الخير فاخر بن عبد الكريم الأرجاني ، وأبو نصر عبد الله بن محمد الطوسي ، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد الإسفرايني ، وأبو الرجاء محمد بن أحمد سمع من (باب الرجاء) إلىٰ آخره ، وعلي بن الحسن السالموني سمع من (باب الرجاء) إلىٰ (باب الوصية للمريدين) ، وأسعد بن أحمد بن محمد بن حيان النسوي سمع الكتاب غير (باب الخُلق) ، و(باب الغيرة) ، **وصاحبُ النسخة أبو علي الحسين بن الحسن الفقيه الشارستاني** سمع الكتاب كله من أوله إلىٰ آخره ، وأبو رشيد عبد الرحمـٰن بن مسلم بن عبد الجبار الحيراوي سمع الكتاب من أوله إلىٰ (باب الخلق) ، وسمع من (باب الشوق) إلىٰ آخره ، وصحَّ سماعهم في سلخ صفر سنة سبع وخمسين وأربع مئة .

❀ ❀ ❀

وشاهدت أيضاً على الأصل المنقول منه والمعارض به ما مثاله : سمع الكتابَ من أوله إلىٰ آخره وهو تسعة وثلاثون كراسة من القاضي السيد الأجل قاضي القضاة أبي علي الحسين بن الحسن **الفقيهي الشهرزتاني** داعي أمير المؤمنين أدام الله توفيقه . . الشيوخُ : الرئيس أبو علي الحسن بن علي النيسابوري ، والشيخ أبو رَوْح ياسين بن سهل بن محمد الخشاب ، والعالمة ملكة ابنة داوود القرظي ، والشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن الحسن السجزي ، والفقيه جعفر بن محمد بن أبي القاسم الجرجاني ، والشيخ أبو الذكر محمد بن عبد الله بن الجوهري الواعظ ، والشيخ أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد

الإسفرايني وولديه : فضل وفاطمة ، والشيخ أبو يعلىٰ حمزة بن محمد ، وأبو جعفر منصور بن علي بن عبد الجبار اللاذقي ، وأبو المرجى بن عبد الله ، وأبو الفضل رزبه بن أبي القاسم الأرجاني ، وأبو العباس أحمد بن محمد الكوفاني ، وسمع أبو القاسم هبة الله بن محمد المقدسي البعضَ ، وأجازه القاضي الباقيَ ، وكاتب السماع : كامل بن ثابت القرظي ، بقراءة الشيخ أبي عبد الله محمد بن مازح المقدسي ، وذٰلك في شهر [ربيع] الآخر سنة ست وسبعين وأربع مئة بثغر صور .

* * *

وشاهدت على الأصل المنقول منه أيضاً : سمع جميعَ هٰذا الكتاب على الشيخ الإمام العالم الأوحد الأصيل تاج الدين أبي الحسن عبد الوهاب بن الإمام أبي البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي بحق سماعه من القاضي أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري ، قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن أحمد بن سليمان المرادي ، قال : أخبرنا أبو المظفر عبد المنعم بن أبي القاسم عن أبيه وبإجازة القاضي من أبي المظفر عبد المنعم المذكور ومن أبي الأسعد هبة الرحمٰن القشيري ، ومن المرادي كلهم عن الأستاذ أبي القاسم القشيري بقراءة الشيخ الفاضل المحدث جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يحيى بن أبي بكر بن زنجويه الجزائري . . السادةُ الأجلاءُ الأشياخُ : الشيخ الصالح حسن بن [أبي] عبد الله بن صدقة الأزدي الصقلي ، وصلاح الدين أبو الفضل عمر بن علي الفارسي ، وأبو العباس أحمد بن غانم اليولسي [لعله : المقدسي] ، وعلي بن عمران بن (. . .) المالكي والشرف أبو بكر بن علي بن عبد الرحمٰن ؟؟ وعثمان بن غازي بن شعبان القيمراني ، وسلامة بن أبي القاسم بن سلامة ، ومثبت الأسماء : محمد بن عرب شاه بن أبي بكر الهمداني ثم الدمشقي ، والخط له ، وصح ذٰلك في مجالس آخرها في يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وست مئة بدار الحديث الصالحية بدمشق المحروسة .

* * *

وشاهدت أيضاً على الأصل المنقول منه بعد المعارضة به ما مثاله : سمع كتاب « الرسالة » كلَّه من أوله إلىٰ آخره على الشيخ الإمام إمام الأئمة فقيه الأمة قطب أبي المعالي مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر النيسابوري ، بحق سماعه من أبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذياخي ، عن الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رضي الله عنه ، بقراءة القاضي أبي المواهب الحسيب القاضي أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صَصْرىٰ [و] ضياء الدين أبو القاسم محمود بن محمد بن الحسن القزويني ، وعز الدين أبو الفضل أحمد بن نصر الله بن أبي الحجاج ، والقاضي فخر الدين أبو منصور عبد الرحمٰن بن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، والشريف السيد نجم الدين أبو طالب المسلم بن الشريف عبد الباقي بن أحمد الهاشمي ، وشمس الدين أبو النصر محمد بن هبة الله بن محمد بن مميل الشيرازي ، وتقي الدين أبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي منصور بن نسيم الشافعي ، ومثبت الأسماء : الفقير إلى الله تعالىٰ أحمد بن علي بن أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل القرطبي في عدة مجالس من شهر رمضان آخرها يوم الخميس (. . .) بقين من شهر رمضان سنة اثنين وسبعين وخمس مئة بجامع بمدينة دمشق ، وسمع القاضيان السيدان : طهر الدين أبي المكارم عبد الواحد ، وأخوه شرف الدين أبو طالب عبد الله بن القاضي أبي بكر عبد الرحمٰن بن يحيى القرشيان على الشيخ المتقدم ذكره من أول هٰذه الرسالة إلىٰ بعد (باب السماع) سنة تسع وسبعين وخمس مئة وسمعا من (باب السماع) إلىٰ آخر الرسالة مع أهل هٰذه الطبقة في التاريخ المذكور ، فكمل لهما جميع كتاب « الرسالة » ، والحمد لله وحده .

* * *

وشاهدت على الأصل المنقول منه بعد المعارضة به ما مثاله : سمع جميعَ هٰذا الكتاب وهو « الرسالة » تأليف الإمام أبي القاسم القشيري من أوله إلىٰ آخره علىٰ سيدنا الشيخ الإمام الحافظ أمين الدين أبي محمد عبد العزيز بن سيدنا الشيخ الإمام أمين الدين أبي علي الحسين بن الحسن الخليلي الداري القاضي الأجل العدل الأمين شرف الدين أبو البركات محمد بن القاضي وجيه الدين أبي عبد الله محمد الشيخ أبي الحجاج يوسف بن سعيد ، وولده لصلبه فخر الدين أبي عبد الله محمد وابن عمه نور الدين علي بن منصور بن يوسف المذكور وولديه (. . .) علي المذكور شرف الدين محمد ،

وولد ولد القاضي عز القضاة ؛ وهو نجم الدين أحمد بن القاضي جمال الدين أبو العباس أحمد ، والقاضي الصدر الرئيس مكين الدين أبو المعاني عرف بابن البوري ، وولداه : ناصر الدين أحمد ، وجمال الدين محمد ، فقرأ عليهم من الكتاب من قوله : (وجمع الجمع . . .) إلىٰ قوله : (ومن ذٰلك النفس ، نفس الشيء وجوده) وتم لهما سماع ما عدا ذٰلك ، وسمع أيضاً الكتاب المذكور جميعه : القاضي شمس الدين بن القاضي الفقيه العالم مفتي المسلمين بن الشيخ أحمد بن محمد بن سلامة ، والقاضي زين الدين عرف بمكين الصفار الوراق ، والفقيه موفق الدين أبو العباس أحمد بن الفرج الإشبيلي ، والقاضي الأجل نجم الدين عبد المنعم بن عبد اللطيف الحراني (. . .) أحمد بن السيد أحمد الواعظ وتقي الدين بن نجاح ، وكاتب هٰذا الثبت : محمد بن محمد بن الحسين بن مسكين ، وولده محمد بقراءة الفقيه موفق الدين الإشبيلي المذكور وزين الدين الواعظ المذكور (. . .) ومحمد بن محمد بن محمد بن مسكين المذكورون في هٰذا الثبت . . . تتمة الطبقة ، وكمل لكل من الجماعة المذكورين سماعُ جميع هٰذا الكتاب بقراءة العباس المذكور (. . .) ، وصحَّ ذٰلك وكتب في مجالس آخرها العشر الأول من شهر رجب الفرد سنة سبع وستين وست مئة ، وذٰلك بثغر الإسكندرية بدار الفقيه العالم (. . .) المجاور بها ، وبالجامع الغربي ، وأجاز شيخنا مجد الدين للمذكورين جميعَ ما سمعوه حسبما بُيِّنَ وشرح أعلاه ، بحق سماعه من الشيخ الإمام المحدث عفيف الدين أبي محمد عبد الله (. . .) الإمام أحمد بن يوسف القزويني بحق سماعه من عبد المنعم ولد المصنف عن المصنف ، وأخبرنا إجازة عن الشيخ المؤيد الطوسي ، عن الشاذياخي ، عن المصنف (. . .) المسمع ما مثاله : صحيح ذٰلك ، وكتب عبد العزيز بن الحسين الخليلي الداري حامداً لله ومصلياً علىٰ نبيه .

نقل جميعَ هٰذه الطباق كما وجدها وشاهدها علي بن حسن بن جعفر بن أحمد التفليسي العيسيان الصوفي بخانقاه سعيد السعداء من القاهرة المحروسة في منتصف شعبان سنة تسع وسبع مئة ، والحمد لله وحده .

❋ ❋

الحمد لله ، أما بعد : فقد قرأت جميعَ هٰذا الكتاب وهو « الرسالة إلى الصوفية » ، تأليف : الإمام أبي القاسم القشيري رضي الله عنه ورحمه ، على الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الجليل الفاضل ، زين الدين أبي محمد عبد الحق الشيخ الصالح أبي الجود فتيان بن عبد المجيد القرشي الصوفي المقرئ عرف بالنحوي ، نفع الله به وأثابه الجنة بمنِّه وكرمه ، بحق إجازته من الشيخ الإمام الصدر الرئيس الأصيل مجد الدين أبي محمد عبد العزيز بن القاضي الإمام أمين الدين أبي علي الحسين بن الحسن الخليلي التميمي الداري قال : أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد عبد العزيز بن دُلف قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن يوسف القزويني قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا الشيخ أبو المظفر عبد المنعم بن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري سماعاً ، قال : أخبرنا والدي الأستاذ الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري قراءة عليه .

(ح) قال الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي التميمي : وأخبرنا الشيخان أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي ، وزينب بنت أبي القاسم الشعرية إجازة ، قالا : أخبرنا المشايخ أبو الفتوح عبد الوهاب بن شاه بن أحمد الشاذياخي ، وأبو عبد الله الفراوي ، وأبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري إجازة خلا الشعرية ، قالت : أخبرنا الشاذياخي فقط سماعاً ، قالوا : أخبرنا المؤلف سماعاً ، فسمعها كاملاً الشيخ الصالح شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ تاج الدين محمود الحلبي الصوفي خادم الصوفية ، والده كان وسمع من (باب الرجاء) إلىٰ آخر الكتاب الشيخان الصالحان العابدان الزاهدان : أبو الفرج بن أبي السعادات بن أبي المعالي الواسطي الصوفي ، والشيخ أبو علي الحسن بن (. . .) بن علي بن محمد البغدادي الصوفي ، وسمع من (باب إثبات كرامات الأولياء) إلىٰ آخر الكتاب : الشيخ الصالح (. . .) محمد الأنصاري الحجازي الصوفي ، وناول الشيخ المسمع للجماعة المفوتين الكتابَ المذكور وأذن لهم في روايته عنه وأجازني (. . .) الشيخ المسمع جميعَ ما تجوز له روايته ، وتلفظ بذٰلك وصح وثبت في مجالس آخرها سلخ شعبان المكرم عام تسعة وسبع مئة بدويرة الصوفية المشهورة بخانقاه سعيد السعداء ، عمرها الله بالصالحين بالقاهرة المحروسة .

قال ذا وكتبه الفقير إلى الله : أحمد بن أحمد بن حسن بن (. . .) بن أحمد التفليسي الصوفي العيسوي ، والحمد لله

وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثير كثيراً ، وشرَّف وكرَّم ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

* * *

صحيح ذٰلك ، كتبه عبد الحق بن فتيان بن عبد المجيد عفا الله عنهم .

صح كتاب « رسالة القشيري » على الحافظ الإمام أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي نزيل القدس الشريف بقراءته لنفسه ، والشيخ فسمع شيخنا الإمام القدوة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الحمال النسائي الأصل نزيل دمشق ، بحق سماعه على قاسم بن مظفر بن محمود بن عساكر ، بحق سماعه من محمد بن علي بن محمود العسقلاني ، بحق سماعه من زينب بنت عبد الرحمٰن الشعرية ، بحق سماعها من عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي ، بحق سماعه من المؤلف .

وصح في مجالس تسعة ، آخرها يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة عام ثلاثة وخمسين وسبع مئة وأكثر ذٰلك بالمسجد بالقدس الشريف ، وأجاز له ما يرويه ، نقل ذٰلك من ثبت شيخنا بخطه مختصراً سليمان [بن] يوسف بن مفلح الياسوفي .

* * *

طالعها الحقير صالح عفا الله سبحانه عنه وأعانه .

* * *

طالعها الحقير عبد الغني بن النابلسي رحمه الله .

* * *

فهرس الآيات القرآنية (١)

(١) أثبت نصَّ الآية كما ورد في الكتاب ولو مجتزأة، ثم رتّبت حسب الترتيب الألف بائي.

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾	فصلت	٣٠	٤٧٢
﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ﴾	النمل	٣٤	٦٤٠
﴿ إن إلينا إيابهم ﴾	الغاشية	٢٥	٣٠٥
﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾	لقمان	١٩	٦٨٠
﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾	آل عمران	١٩٠	٤٢٤
﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾	الحجر	٧٥	٥١٤ ، ٥١٦
﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾	النساء	٤٨	٣٦٤
﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾	الرعد	١١	١٤٥
﴿ إن الله مع الصابرين ﴾	البقرة	١٥٣	٤٢٩ ، ٤٤١
﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾	البقرة	٢٢٢	٢٩٥ ، ٣٠٤
﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد ﴾	ص	٤٤	٤٤٥ ، ٤٤٦
﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾	التغابن	١٥	١٤٩
﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾	فاطر	٢٨	٣٤٩ ، ٦٣٨ حا
﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ﴾	الأحزاب	٣٣	٤٠٧
﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾	طه	٤٦	٩٤
﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾	يوسف	٢٤	٤٧٨
﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾	الكهف	١٣	٥٠٦
﴿ إياك نعبد ﴾	الفاتحة	٤	٢٥٠ ، ٢٨٢
﴿ توفني مسلما ﴾	يوسف	١٠١	٦٦٦
﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴾	التوبة	٤٠	٦١٠
﴿ ثم استقاموا ﴾	فصلت	٣٠	٤٧٣
﴿ ثم دنا فتدلى ﴾	النجم	٨	٩٥
﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾	الأعراف	١٩٩	٥٣٢
﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾	السجدة	٧	٥٩٣ حا
﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾	الشعراء	٢١٨	٦٨٩
﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾	النحل	٣٢	٦٢٥
﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ﴾	الكهف	١٠٤	٣٥٤
﴿ الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾	المؤمنون	٢	٣٧٨
﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾	آل عمران	١٩١	٥٠١
﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾	الزمر	١٨	٦٧٥
﴿ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾	الرعد	٢٠	٣٢٤
﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾	المؤمنون	٦٠	٣٥٣
﴿ رب اشرح لي صدري ﴾	طه	٢٥	٤٧٠
﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾	طه	٥	٩٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾	الزخرف	١٤	٦٠١
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم	٤	٥٢٨
﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	الفاتحة	٤	٢٥٠ ، ٢٨٢
﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾	البقرة	٤٠	٣٤٩
﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾	الإسراء	١٠٥	٧٤٣
﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾	الزمر	٤٧	٣٥٤
﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	البقرة	١٥٥	٣٧٢
﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾	الكهف	١٨	٢٧٧ ، ٥٥٧
﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾	النور	١٥	٧٨١
﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾	النمل	٨٨	٢٤٦
﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	النور	٣١	٢٩٥ ، ٣٠٠
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾	المدثر	٤	٥٣٠
﴿ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾	قٓ	٣٣	٣٠٠
﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾	الشورىٰ	٤٠	٤٢٥
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾	السجدة	٢٤	٤٤٥
﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾	النبأ	٩	٧٥٥
﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	آل عمران	١٧٥	٣٤٩
﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾	طه	١٠٨	٣٤١
﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾	التوبة	١١٨	٣٠٣
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	الفرقان	٦٣	٣٧٩
﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾	طه	٨٤	٦٦٦
﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾	التوبة	١١٨	٣٢٤
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	المائدة	٢٣	٤٠٨
﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	الذاريات	٢٢	٧٢٧
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	غافر	٦٠	٥٥٩
﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ﴾	فاطر	٣٤	٣٦٨
﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾	الإسراء	٨٠	٢٣٥ حا
﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾	الأحزاب	٣٨	٧٠٥
﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾	الأحزاب	٥٢	٤٤٧
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾	هود	١٢٠	٤٦٩
﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ ﴾	الأنعام	٥٢	٤٦٥
﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾	الكهف	٢٨	٧٨٩
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾	النحل	٩٢	٤٧٢
﴿ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾	الأحزاب	٥٣	٤٩١

الآية	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ ﴾	الحجرات	١٢	٣٩٩
﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾	الأعراف	٢٦	١٥٠
﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾	يوسف	٢٤	٤٩٠
﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	العنكبوت	٦٩	٣٠٦
﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾	البقرة	٤	٤٣١
﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾	البقرة	٢٤٥	٢٤٢
﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾	الأنعام	٣٢	٣٢٠
﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾	المنافقون	٧	٤٠٩
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	الإخلاص	٤	١٦٨
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾	البقرة	١٥٥	٣٧٢
﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوٓا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	النحل	٩٦	٤٤٠
﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾	مريم	٦٢	٢٧٢
﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾	الإسراء	٨٦	٦٩٠
﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِالسُّوٓءِ ﴾	يوسف	٥٣	٣٩٠
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾	البينة	٥	٢١٨ حا
﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	طه	١٧	٢٦٨
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات	٥٦	٨٥
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾	الأنعام	٩١	٧٩ حا ، ٦٣٨
﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	الفلق	٥	٣٩٥
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾	الطلاق	٣	٤٠٨
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾	قٓ	١٦	٢٧٩
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾	الواقعة	٨٥	٢٧٩
﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾	الحجر	٢٩	٥١٨
﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾	النازعات	٤٠	٣٤٢ حا
﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾	صٓ	٣٥	٤٠٧
﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾	مريم	٢٥	٧٠٧
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِالَّيْلِ ﴾	الأنعام	٦٠	٧٥٤
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾	الشورىٰ	٢٥	٥٢٤
﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾	النحل	٧٦	٤٦٠
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾	الحديد	٤	٢٧٩
﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّٰلِحِينَ ﴾	الأعراف	١٩٦	٥٥٣ ، ٧٠٤
﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾	النمل	٨٥	٣٤٤
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾	آل عمران	٢٨	٣٤٩
﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾	الأحزاب	٣٣	٤٠٧

❋ ❋ ❋

فهرس الأحاديث النبوية (1)

(1) تمَّ إثبات إشارة (*) للحديث المسند .

* * *

فهرس الآثار (١)

(١) تمَّ إثبات إشارة (*) للأثر المسند .

الأثر	القائل	الصفحة
الحب ينطق والحياء يسكت	ذو النون المصري	٤٨٩
* حججت أربع عشرة حجة حافياً على التوكل	الحسن أخو سنان	٤١٥
حججت كذا وكذا حجة على التجريد	أبو محمد المرتعش	٣٠٩
حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله	سهل بن عبد الله	٤٣٣
الحرص في الدنيا (تفسير جحيم الفجار)	-	٤٠٦
الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب	محمد بن خفيف	٣٦٩
الحزن ملك فإذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد	بشر بن الحارث	٣٦٩
الحزن يمنع من الطعام	-	٣٧٠
* الحزين لا يتفرغ إلى سؤال الحزن	أبو عثمان الحيري	٣٧١
الحسد ظالم عسوف	-	٣٩٦
حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن	عمر بن سلم الحداد	١٤٣ ، ٥٩٦
حسن الخلق ألا تتغير ممن يقف في الصف بجنبك	-	٥٣٥
حسنات الأبرار سيئات المقربين	-	٢٣٩
الحسود لا يسود	-	٣٩٥
* الحضور أفضل من اليقين	علي بن سهل	٤٣٥
حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء	أبو يزيد البسطامي	٥٥٧
الحق إذا استولى على سر ملكه الأسرار	الحسين بن منصور	٥١٧
* الحق سبحانه غيور	النصراباذي	٥٥٠
حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت	ذو النون المصري	٣٠٢
* حقيقة الصبر الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه	أبو علي الدقاق	٤٤٦
* حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب	الجنيد	٤٨٥
حقيقة الفقر ألا يستغني إلا بالله تعالى	يحيى بن معاذ	٥٧٢
حقيقة القرب فقدُ حسِّ الأشياء من القلب	الخراز	٩٥
حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت	أبو عبد الله القرشي	٦٥٣
حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله	أبو يعقوب السوسي	٦٥٥
حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك	الحسين بن منصور	٦٥٥
حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء	يحيى بن معاذ	٦٥٤
الحقيقة ظاهرة لي ولست أطيقها	الشبلي	٢٤٣
* الحكايات جندٌ من جنود الله تعالى	الجنيد	٤٦٩
الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر	ممشاذ الدينوري	٣٤٣
* الحلال الذي لا يُعصى الله فيه	سهل بن عبد الله	٣٢٩
الحلال الصافي الذي لا ينسى الله فيه	سهل بن عبد الله	٣٢٩
الحمد ابتداء منه والشكر اقتداء منك	-	٤٣٠
الحمد على الأنفاس والشكر على نعم الحواس	-	٤٣٠

الأثر	القائل	الصفحة
في بدايته بعبادته وفي كهولته يستره بلطافته	الواسطي	٥٥٧
* في بعض الكتب المنزلة : عبدي أنا وحقك لك محب	أبو علي الدقاق	٦٥٨
* في وقت إرادتي وابتداء أمري	الطابراني السرخسي	٧١٤
القانع غني وإن كان جائعاً	-	٤٠٥
قد أكثر الناس في الأدب ونحن نقول : هو معرفة النفس	عبد الله بن المبارك	٥٩٧
* قد فتح عليه شيء من الدنيا	خير النساج	٥٨٣
قد مشىٰ رجال باليقين على الماء	الجنيد	٤٣٦
القدرة ظاهرة والأعين مفتوحة	إبراهيم بن داوود الرقي	١٩٠
قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدَّعي الفتوة	-	٥١١
القدوم على الله شديد	بشر الحافي	٣٥٢
القدوم على الله عز وجل شديد	بشر الحافي	٦٢٦
القدوم علىٰ من يرجىٰ خيره خيرٌ من البقاء مع من لا يؤمن شره	-	٦٣٣
* قرّاء الرحمـٰن أصحاب خشوع وتواضع	الفضيل بن عياض	٣٨٢
* قرأت في التوراة : شوقناكم فلم تشتاقوا	مالك بن دينار	٦٦٩
قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد	أبو الحسين النوري	٢٨١
قربك منه تعالىٰ بملازمة الموافقات	محمد بن خفيف الشيرازي	٢١٩
* قسمت الدنيا على البلوىٰ	محمد بن علي الكتاني	٣٢٠
قص موسى بن عمران فزعق واحد منهم فانتهره موسىٰ	خير النساج	٦٩٤
* قصدتُ يوسف بن الحسين الرازي من بغداد	أبو الحسين الدراج	٦٩٠
* قطعة كبد مشوي (جواباً لمن سأله ما تشتهي)	إبراهيم الخواص	٦٣١
* القطيع وقع فيه الذئب	رويم	٦٩٣
قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية	رويم	١٦٣
قف على البساط وإياك الانبساط	-	٢٤٢
القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب	-	٣٦٩
قلبٌ عاش مع الله تعالىٰ بلا علاقة	سهل	٤١٣
قلة الملاقاة (دواء القلب)	عبد الله بن المبارك	٣١٨
قلوب المشتاقين منورة بنور الله	فارس الدينوري	٦٦٧
* قلوب أهل الحق قلوب حاضرة	أبو عثمان المغربي	٦٨٦
القناعة الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع	-	٤٠٤
القناعة السكون عند عدم المألوفات	-	٤٠٤
القناعة ترك التشوف إلى المفقود	محمد بن خفيف	٤٠٤
القناعة رضا النفس بما قُسم لها من الرزق	الحكيم الترمذي	٤٠٤
القناعة في الدنيا (تفسير نعيم الأبرار)	-	٤٠٦
القناعة ملكٌ لا يسكن إلا في قلب مؤمن	بشر الحافي	٤٠٤

* * *

فهرس الأشعار والأرجاز

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا	قربه	الوافر	ذو النون المصري	٢٥٦
فلما استبان الصبح أدرج ضوءه	الكواكب	الطويل	-	٢٧٠
لم ترد ماء وجهه العين إلا	برقيب	الخفيف	ابن المعتز	٢٧٣
وأمطر الكأس ماء من أبارقها	الذهب	البسيط	ابن المعتز	٢٤٨
وسبح القوم لما أن رأوا عجباً	العنب	البسيط	ابن المعتز	٢٤٨
وقوم تاه في أرض بقفر	حبه	الوافر	ذو النون المصري	٢٥٦
يجرعهم كأساً لو ابتليت لظىٰ	ذاهب	الطويل	-	٢٧٠
		الباء الساكنة		
وثانية حسن أخلاقه	الريب	المتقارب	أبو عبد الله المغربي	٥٩٦
يزين الغريب إذا ما اغترب	الأدب	المتقارب	أبو عبد الله المغربي	٥٩٦
		التاء المضمومة		
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا	حييت	الوافر	علي بن عبد الرحيم	٦٥٨
شربت الحب كأساً بعد كأس	رويت	الوافر	علي بن عبد الرحيم	٢٦٣، ٦٥٨
عجبت لمن يقول ذكرت ربي	نسيت	الوافر	علي بن عبد الرحيم	٦٥٨
فأحيا بالمنىٰ وأموت شوقاً	أموت	الوافر	علي بن عبد الرحيم	٦٥٨
وكم حديث لك حتىٰ إذا	أنسيت	السريع	-	٣٤١
		التاء المفتوحة		
عز بدار الفناء بيت	بيتا	مخلع البسيط	علي بن أبي طالب	٧٥٨
قد كنت ميتاً فصرت حياً	ميتا	مخلع البسيط	علي بن أبي طالب	٧٥٨
		التاء المكسورة		
قربكم مثل بعدكم	راحتي	مجزوء الخفيف	الشبلي	٢٨٠
محنتي فيك أنني	محنتي	مجزوء الخفيف	الشبلي	٢٨٠
من مات عشقاً فليمت هٰكذا	موت	السريع	-	٦٥٩
		التاء الساكنة		
رأيت الكلام يزين الفتىٰ	صمت	المتقارب	-	٣٤١
فكم من حروف تجر الحتوف	سكت	المتقارب	-	٣٤١
		الجيم المكسورة		
أدبرتِ فقلت لها	وهج	المقتضب	-	٦٧٩
أقبلت فلاح لها	السبج	المقتضب	-	٦٧٩
كل بيت أنت ساكنه	السرج	المديد	الشبلي	٦٢٦
لا أتاح الله لي فرجاً	الفرج	المديد	الشبلي	٦٢٦ حا
هل علي ويحكما	حرج	المقتضب	-	٦٧٩
وجهك المأمول حجتنا	الحجج	المديد	الشبلي	٦٢٦

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
وإذا سقيت من المحبة جرعة	خماري	الكامل	أبو القاسم القشيري	٥٨١
والنار عار كالسؤال فهل ترىٰ	النار	الكامل	إبراهيم بن أدهم	٤٢٢
ولا عيش إلا مع رجال قلوبهم	الذكر	الطويل	ذو النون المصري	٣٢١
		الراء الساكنة		
إذا تخازرت وما بي من خزر	خزر	الرجز	الأغلب العجلي	٢٤٥
ثم كسرت العين من غير عور	عور	الرجز	الأغلب العجلي	٢٤٥
		السين المكسورة		
أتيه علىٰ جن البلاد وإنسها	نفسي	الطويل	أبو سعيد الخراز	٢٤٤
أتيه فلا أدري من التيه من أنا	جنسي	الطويل	أبو سعيد الخراز	٢٤٤
أيا من يرى الأسباب أعلىٰ وجوده	الأنس	الطويل	أبو سعيد الخراز	٢٤٤
فلو كنت من أهل الوجود حقيقة	الكرسي	الطويل	أبو سعيد الخراز	٢٤٤
وكنت بلا حال مع الله واقفاً	الإنس	الطويل	أبو سعيد الخراز	٢٤٤
		الشين المفتوحة		
فسلوه فديته	تحرشا	مجزوء الخفيف	الشبلي	٦٢٩
قال سلطان حبه	الرشا	مجزوء الخفيف	الشبلي	٦٢٩
		الشين الساكنة		
إنما الكأس رضاع بيننا	نعش	الرمل	-	٢٦٣
		الضاد المكسورة		
كل يوم يمر يأخذ بعضي	يمضي	الخفيف	-	٢٣٤
		العين المضمومة		
أصم إذا نوديت باسمي وإنني	لسميع	الطويل	أحمد الغزالي	٤٦٣ حا
إن كان إبراقك داعي قلىً	موجع	السريع	-	٢٧٢ حا
هٰذا ولو يقضىٰ لنا فرقة	تصنع	السريع	-	٢٧٢ حا
وأحسن بالفتىٰ من يوم عار	جوع	الوافر	-	٣٩٨
وهان عليَّ اللوم في جنب حبها	لخليع	الطويل	أحمد الغزالي	٤٦٣ حا
يا أيها البرق الذي يلمع	تسطع	السريع	-	٢٧٢
		العين المفتوحة		
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به	خلعا	البسيط	أبو علي الروذباري أو الشبلي	٥٨١
افترقنا حولاً فلما التقينا	وداعا	الخفيف	وجيه الدولة الحمداني	٢٧٢
الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي	مستمعا	البسيط	أبو علي الروذباري أو الشبلي	٥٨١
فقر وصبر هما ثوباي تحتهما	الجمعا	البسيط	أبو علي الروذباري أو الشبلي	٥٨١
قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه	جرعا	البسيط	أبو علي الروذباري أو الشبلي	٥٨١
		العين المكسورة		
طوارق أنوار تلوح إذا بدت	جمع	الطويل	-	٢٣٩

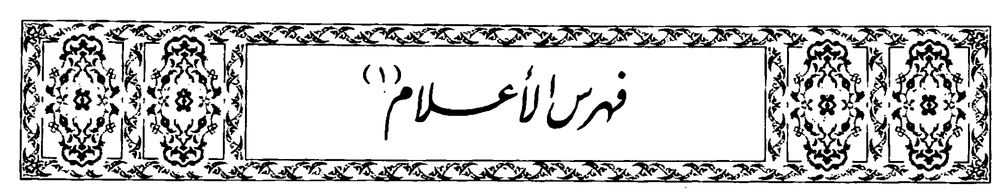
الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
		الفاء المضمومة		
بالله فاردد فؤاد مكتئب	خلف	المنسرح	الدقي	٦٩٣
		الفاء المكسورة		
أراك وبي من هيبتي لك وحشة	وبالعطف	الطويل	أبو حمزة الخراساني	٤٢٢
أهابك أن أبدي إليك الذي أخفي	طرفي	الطويل	أبو حمزة الخراساني	٤٢١
تراءيت لي بالغيب حتىٰ كأنما	الكف	الطويل	أبو حمزة الخراساني	٤٢٢
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي	اللطف	الطويل	أبو حمزة الخراساني	٤٢٢
نهاني حيائي منك أن أكتم الهوىٰ	الكشف	الطويل	أبو حمزة الخراساني	٤٢١
وتحيي محباً أنت في الحب حتفه	الحتف	الطويل	أبو حمزة الخراساني	٤٢٢
		القاف المضمومة		
ألرى الصنيعة منك ثم أسرها	لسارق	الكامل	أبو تمام	٤٢٩
حاسبوا فدققوا	أعتقوا	مجزوء الخفيف	-	٧٥٨
هٰكذا كل مالك	يرفقُ	مجزوء الخفيف	-	٧٥٨ حا
ومن الرزية أن شكري صامت	ناطق	الكامل	أبو تمام	٤٢٩
		القاف المفتوحة		
تجري عليك صروفه	مطرقه	مجزوء الكامل	-	٣٤٢
لو تعلم الورق حنيني نحوكم	أطواقها	الرجز المنظوم	-	٣٤
ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته	مشتاقا	البسيط	أبو نواس	٦٦٥
ولو يذوق عاذلي صبابتي	ذاقها	الرجز المنظوم	-	٣٤
		القاف المكسورة		
تراءيت كي أخفىٰ وقد كنت خافياً	البرق	الطويل	-	٦٤٥
موجب ما مسك من عارض	وامقك	السريع	أبو القاسم القشيري	٣٦
نطقت بلا نطق هو النطق إنه	النطق	الطويل	-	٦٤٥
وأكثر شيء نلته من وصالها	بارق	الطويل	النصراباذي	٦٥٥
ومن كان في طول الهوىٰ ذاق سلوة	ذائق	الطويل	النصراباذي	٦٥٥
يا من تشكىٰ رمداً مسه	خالقك	السريع	أبو القاسم القشيري	٣٦
		الكاف المضمومة		
أقمنا زماناً والعيون قريرة	سوافك	الطويل	أبو القاسم القشيري	٣٦
سقى الله وقتاً كنت أخلو بوجهكم	ضاحك	الطويل	أبو القاسم القشيري	٣٦
		الكاف المفتوحة		
أراك معذبي بفتور لحظ	جناكا	الوافر	أبو علي الروذباري	٦٢٩
أما ترثي لمكتئب	بكىٰ	مجزوء الوافر	-	٦٨٨
إني لأحسد ناظري عليكا	إليكا	الكامل	الخبز أرزي أو الشبلي	٥٤٨
أوما حسب لعين	رآكا	مجزوء الرمل	-	٦٣٤ ، ٦٩٨

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
لا زلت أنزل من ودادك منزلاً	نزوله	الكامل	-	٦٣٠
وكيف الصبر عمن حل مني	الشمال	الوافر	-	٤٤٢
ولم يزل يجنح للمعالي	الليالي	الرجز المنظوم	ابن رسلان	١٧
		اللام الساكنة		
أي زور لك لو قصداً سرىٰ	فعل	الرمل	-	٦٩٥
خطرة في السر منه خطرت	اضمحل	الرمل	-	٦٩٥
في سبيل الله ود	يبذل	مجزوء الرمل	-	٦٩١
كل يوم تتلون	أجمل	مجزوء الرمل	-	٦٩٢
		الميم المضمومة		
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا	هم	البسيط	المتنبي	٥٤٥
أنا إن مت فالهوىٰ حشو قلبي	الكرامُ	الخفيف	-	٦٣٣
الخيل والليل والبيداء تعرفني	القلم	البسيط	المتنبي	٣٥
دموع الفتىٰ عما يجن تترجم	يكتم	الطويل	-	٥٦٧
عجباً للمحب كيف ينام	حرام	الخفيف	-	٧٥٥
قل للحسود إذا تنفس طعنة	مظلوم	الكامل	ابن المعتز	٣٩٧
لا تهتدي نوب الزمان إليهم	لجام	الكامل	-	٢٧٤
وكتبك حولي ما تفارق مضجعي	كاتم	الطويل	-	٣١٧
يا أيها السيد الكريم	مقيم	مخلع البسيط	الشبلي	٦٥٨
يا رافع النوم عن جفوني	عليم	مخلع البسيط	الشبلي	٦٥٨
		الميم المفتوحة		
رأيت سرور قلبي في منامي	المناما	الوافر	شاه الكرماني	٧٥٦
		الميم المكسورة		
أرسلت نفسي علىٰ سجيتها	محتشم	المنسرح	ابن كناسة الأسدي	٥٩٨
فيَّ انقباض وحشمة فإذا	الكرم	المنسرح	ابن كناسة الأسدي	٥٩٨
وأبرح ما يكون الشوق يوماً	الخيام	الوافر	-	٦٦٨
		الميم الساكنة		
أتيناكم أتيناكم	حياكم	الهزج	-	٦٧٨
		النون المضمومة		
ما كان هٰذا جزائي من محاسنها	الشجن	البسيط	العباس بن الأحنف	٥٤٨ حا
همت بإتياننا حتىٰ إذا نظرت	الحسن	البسيط	العباس بن الأحنف	٥٤٨
		النون المفتوحة		
بكت عيني غداة البين دمعاً	علينا	الوافر	ابن المعتز	٤٤٤، ٦٦٠
فعاقبت التي بخلت بدمع	التقينا	الوافر	ابن المعتز	٤٤٤، ٦٦٠
وجازيت التي جادت بدمع	عينا	الوافر	-	٤٤٠، ٦٦٠

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	برهانا	البسيط	قريط بن أنيف العنبري	٦٠٤
وحسبك من حادث بامرئ	راحمينا	المتقارب	-	٣٩٧
وغنىٰ لي منى قلبي	غنىٰ	الهزج	-	٦٢٤
وكنا حيثما كانوا	كنا	الهزج	-	٦٢٤
		النون المكسورة		
أبكي وهل تدرين ما يبكيني	يبكيني	الرجز	جميل بثينة	٦٧٢
أبكي حذاراً أن تفارقيني	تفارقيني	الرجز	جميل بثينة	٦٧٢
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم	مكان	الطويل	وداك بن ثميل المازني	٦٠٤
إذا شئت أن ترضي وأرضىٰ وتملكي	عناني	الطويل	-	٢٨٠
ألا فانظري الدنيا بعيني واسمعي	بلساني	الطويل	-	٢٨٠
إن يكن غيبك التعظيم	عياني	مجزوء الرمل	الجنيد أو الحلاج	٢٥٣
ذكرتك لا أني نسيتك لمحة	لسان	الطويل	الشبلي	٥٠١
رأيتك تبني دائباً في قطيعتي	تبني	الطويل	الوليد بن يزيد	٦٩١
ربما جئته لأسلفه العذر	التجني	الخفيف	-	٧٨٧
سكران سكر هوى وسكر مدامة	سكران	الكامل	ديك الجن	٢٦١
طفح السرور علي حتىٰ إنني	أبكاني	الكامل	-	٦٧٠ حا
فاجتمعنا لمعان	لمعان	مجزوء الرمل	الجنيد	٢٥٣
فخاطبت موجوداً بغير تكلم	عيان	الطويل	الشبلي	٥٠١
فلقد صيرك الوجد	دان	مجزوء الرمل	الجنيد أو الحلاج	٢٥٣
فلما أراني الوجد أنك حاضري	مكان	الطويل	الشبلي	٥٠١
فما رمقت عيناي بعدك منظراً	رمقاني	الطويل	البحتري	٢٧٩
كأن رقيباً منك يرعىٰ خواطري	لساني	الطويل	البحتري	٢٧٩
لا لأني أنساك أكثر ذكراك	لساني	الخفيف	ذو النون المصري	٥٠٣
لو أن ما بي علىٰ صخر لأنحله	الطين	البسيط	-	٣٥٧
نون الهوان من الهوىٰ مسروقة	هوان	الكامل	عبيد الله الخزاعي	٣٩٤
وإخوان صدق قد سئمت حديثهم	لساني	الطويل	البحتري	٢٧٩
وتحققتك في سري	لساني	مجزوء الرمل	الجنيد	٢٥٣
وتقطعي حبلي وتهجريني	تهجريني	الرجز	جميل بثينة	٦٧٢
كريم يغض الطرف فضل حيائه	دواني	الطويل	أبو الشيص	٢٣٣ حا
وكالسيف إن لاينته لان مسه	خشنان	الطويل	أبو الشيص	٢٣٣
وكدت بلا وجد أموت من الهوىٰ	الخفقانِ	الطويل	الشبلي	٥٠١
ولا بدرت من فيَّ دونك لفظة	سمعاني	الطويل	البحتري	٢٧٩
ولا خطرت في السر بعدك خطرة	عناني	الطويل	البحتري	٢٧٩
وليس لي في سواك حظ	فاختبرني	مخلع البسيط	سمنون	١٦٩

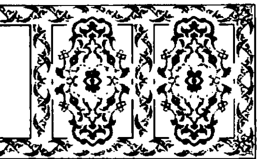
الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
وما الزهد أسلىٰ عنهم غير أنني	مكان	الطويل	البحتري	٢٧٩
		النون الساكنة		
الأرض أوسع رقعة	المكان	مجزوء الكامل	أبو القاسم القشيري	٣٦
الخوف أولىٰ بالمسيء	الحزن	مجزوء الكامل	ذو النون المصري	٦٦٠
فاجعل سواه معرساً	الأمان	مجزوء الكامل	أبو القاسم القشيري	٣٦
وإذا نبا بك منزل	الهوان	مجزوء الكامل	أبو القاسم القشيري	٣٦
والحب يجمل بالتقي	الدرن	مجزوء الكامل	ذو النون المصري	٦٦٠
		الهاء المفتوحة		
ثم اشتراه تفاريقاً بلا ثمن	شاريها	البسيط	أبو القاسم القشيري	٣٦
الدهر ساومني عمري فقلت له	فيها	البسيط	أبو القاسم القشيري	٣٦
		الياء المفتوحة		
فإن سألوني قلت هذأنا عبده	مولايا	الطويل	-	٤٦٤
فلست براء عيب ذي الود كله	راضيا	الطويل	عبد الله بن معاوية	٦١٢ حا
فما الحب حتىٰ يلصق القلب بالحشا	المناديا	الطويل	-	٦٥٧
فيا ليل كم من حاجة لي مهمة	ما هيا	الطويل	مجنون ليلىٰ	٣٤١
من نفسه شريفة أبيه	الدنيه	الرجز المنظوم	ابن رسلان	١٧
وتنحل حتىٰ لا يبقىٰ لك الهوىٰ	تناجيا	الطويل	-	٦٥٧
وعين الرضا عن كل عيب كليلة	المساويا	الطويل	عبد الله بن معاوية	٦١٢
ولما ادعيت الحب قالت كذبتني	كواسيا	الطويل	-	٦٥٧
		الياء الساكنة		
لي سكرتان وللندمان واحدة	وحدي	البسيط	الشبلي	٢٦١

❋ ❋ ❋



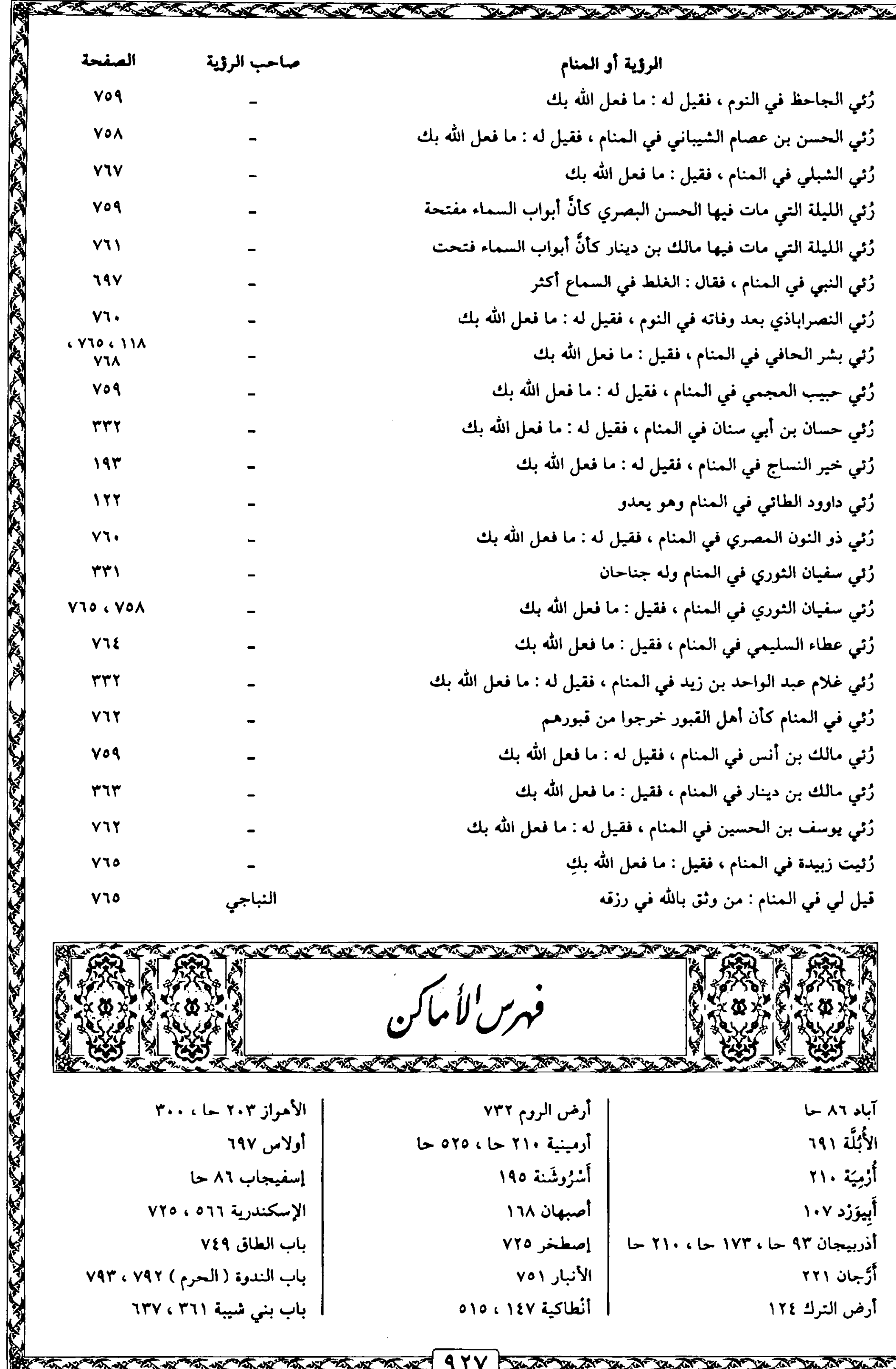
(١) يعدُّ هٰذا الفهرسُ أوّلَ فهرس علمي استقصائي لرجالاتِ وأعلامِ « الرسالة القشيرية » ، وقد تمّ إيرادُ أسماء الأعلام فيه كما وردت بالنصِّ ، مع الإحالة لتمام الاسم ، علىٰ حسب الترتيب الألف بائي ، وقد ذُكر الاسم مع اللقب المشهور والكنية وبعض الأجداد ؛ بما يرفع الاشتباه ويحقِّق التعريف به ، إلا فيما لم يتيسَّر الوقوف عليه ، وما كان بين قوسين وبلون مغاير في قسم إحالة الصفحات . . فهو للإشارة أنه ممَّن ترجم لهم الإمام القشيري في كتابه .

* * *



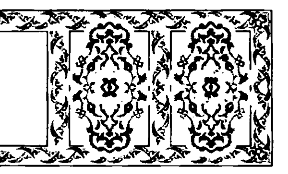
فهرس الرؤى والمنامات (١)

(١) يتضمَّن هٰذا الفهرس الرؤىٰ لمن رآها أو رئيت له ، سواء عُرف الرائي أم لم يعرف .



فهرس الأماكن

❋ ❋ ❋



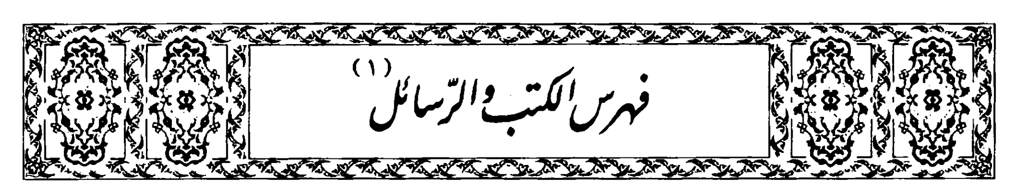
فهرس الكلمات المشروحة [1]

(١) استند في شرحها إلىٰ كتب اللغة وكتب الأنساب .

* * *

فهرس الأحكام الفقهية (١)

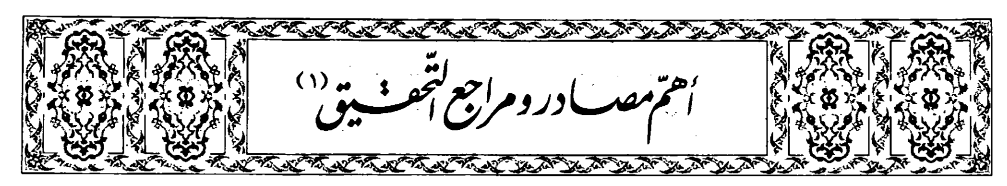
(١) تمّ إثبات هـٰذه الأحكام سواء نُصَّ عليها ، أو ذُكرت عرضاً ، وكثير منها هو في محلِّ الاجتهاد .



فهرس الكتب والرسائل (١)

* * *

(١) ملحوظة : نقل الإمام القشيري في « الرسالة » بعض المواعظ مما نسبته إلى الكتب السماوية (التوراة ، الزبور ، الإنجيل) ، وهو المسمَّىٰ بـ (الإسرائيليات) ولـٰكن علىٰ ندرة .



- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للزبيدي ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- آثار البلاد وأخبار العباد ، للقزويني ؛ الإمام المؤرخ الجغرافي الأديب أبي يحيىٰ عماد الدين زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري القزويني البغدادي (ت ٦٨٢ هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- الأحاديث المختارة ، المسمى : « المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما » ، للضياء المقدسي ؛ الإمام الحافظ الفقيه ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الصالحي الحنبلي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الملك دهيش (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار خضر ، بيروت ، لبنان .
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، المسمى : « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها » ، لابن حبان ؛ الإمام الحافظ المجود الرحلة أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، بترتيب الإمام الحافظ الأمير علاء الدين أبي الحسن علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي المصري الحنفي (ت ٧٣٩ هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط ٣ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- آداب الصحبة ، للسلمي ؛ إمام الصوفية وصاحب تاريخها الحافظ أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، مصر .
- الآداب ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق أبو عبد الله السعيد المندوه ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- أدب الإملاء والاستملاء ، لابن السمعاني ؛ الإمام الحافظ محدث خراسان تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي (ت ٥٦٢ هـ) ، عني به ماكس فايسفايلر ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الأدب المفرد ، للبخاري ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ٤ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، نسخة مصورة لدىٰ دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، بيروت ، لبنان .
- إرشاد الساري إلىٰ شرح صحيح البخاري ، للقسطلاني ؛ الإمام الحجة المحدث الفقيه شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي (ت ٩٢٣ هـ) ، ط ٦ ، (١٣٠٤ هـ ، ١٨٨٦م) ، طبعة مصورة عن نشرة بولاق لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالىٰ وتلاوة كتابه العزيز وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين ، لليافعي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي الشافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرقاوي ، ط ١ ، (١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

- الاشتقاق ، لابن دريد ؛ إمام اللغة والأدب أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٣ ، (دون تاريخ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .
- اصطناع المعروف ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- الاعتقاد ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، عني به أحمد الكاتب ، ط ١ ، (١٤٠١ هـ) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان .
- الإعجاز والإيجاز ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، عني به إبراهيم صالح ، ط ٢ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار البشائر ، دمشق ، سورية .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني ؛ الإمام الراوية الأديب الكاتب أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (ت ٣٥٦ هـ) ، تحقيق لجنة من الأدباء ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، الدار التونسية للنشر ، تونس .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ؛ الوزير الأكرم المؤرخ الأديب جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم القفطي الشيباني (ت ٦٢٤ هـ) ، تحقيق العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ٤ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٢ م) ، مطبعة دار الفكر والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .
- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .
- أنساب الأشراف ، للبلاذري ؛ الإمام الحافظ المؤرخ النسابة أبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري البغدادي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- الأنساب ، لابن السمعاني ؛ الإمام الحافظ محدث خراسان تاج الإسلام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي (ت ٥٦٢ هـ) ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، للباقلاني ؛ الإمام المتكلم الأصولي القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني البصري البغدادي المالكي (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١ هـ) ، ط ٤ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .
- أيها الولد ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدين أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الطابراني الشافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ٢ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- البحر الزخار ، المسمى : « مسند البزار » ، للبزار ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله (ت ١٤١٨ هـ) وعادل سعد وصبري عبد الخالق ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية .
- بحر الفوائد ، المسمى : « معاني الأخبار » ، للكلاباذي ؛ الإمام المحدث الصوفي تاج الإسلام أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠ هـ) ، تحقيق وجيه كمال الدين زكي ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار السلام ، القاهرة ، مصر .
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، لابن الملقن وابن النحوي ؛ الإمام الحافظ الفقيه أعجوبة الزمان سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسي المصري الشافعي (ت ٨٠٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الهجرة ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- البرهان المؤيد لصاحب مد اليد مولانا الغوث الشريف الرفاعي أحمد ، للرفاعي ؛ الإمام الحافظ الفقيه المفسر شيخ الطريقة

الرفاعية محيي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني الأنصاري الشافعي (ت ٥٧٨ هـ) ، تحقيق حسن عبد الحكيم عبد الباسط ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، نشره محققه ، دمشق ، سورية .

- بستان العارفين وسبيل الزاهدين ، للنووي ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٤ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للهيثمي ؛ الإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشافعي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، مركز خدمة السنة النبوية بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية .

- البيان والتبيين ، للجاحظ ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثي الكناني (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق وشرح العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٧ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) وجماعة من أئمة التحقيق ، ط ١ ، (١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عمر بن عبد السلام تدمري ، ط ٢ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- التاريخ الكبير ، للبخاري ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ٢ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام) ، للخطيب البغدادي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ جرجان ، للجرجاني ؛ الحافظ المؤرخ الواعظ أبي القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (ت ٤٢٧ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان ، ط ٣ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، دار عالم الكتب ، بيروت ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، لابن عساكر ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة علي محمد البجاوي (ت ١٣٩٩ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدى المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

- التبيان في آداب حملة القرآن ، للنووي ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق محمد شادي مصطفىٰ عربش ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لابن عساكر ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر .

- تحرير ألفاظ التنبيه أو « لغة الفقه » ، للنووي ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد الحجة محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مُرّي النووي الحزامي الدمشقي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق الشيخ عبد الغني الدقر ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار القلم ، دمشق ، سورية .
- التدوين في أخبار قزوين ، للرافعي ؛ الإمام الفقيه عالم العرب والعجم وشيخ الشافعية إمام الدين أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) ، تحقيق عزيز الله العطاردي الحبوشاني ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار الباز ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .
- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذٰلك ، لابن شاهين ؛ الإمام الحافظ الثقة الواعظ أبي حفص عمر بن أحمد عثمان ابن شاهين البغدادي (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق صالح أحمد مصلح الوعيل ، ط ١ ، (١٩٩٥ م) ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية .
- التعرف لمذهب أهل التصوف ، للكلاباذي ؛ الإمام المحدث الصوفي تاج الإسلام أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود (ت ١٣٩٨ هـ) وطه عبد الباقي سرور ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الإيمان ، دمشق ، سورية .
- تعظيم قدر الصلاة ، للمروزي ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤ هـ) ، تحقيق أحمد أبو المجد ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار العقيدة ، القاهرة ، مصر .
- تفسير ابن أبي حاتم ، المسمىٰ : « تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين » ، لابن أبي حاتم ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي الشافعي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .
- تفسير البغوي ، المسمىٰ : « معالم التنزيل » ، للبغوي ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجتهد ركن الدين أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي (ت ٥١٦ هـ) ، تحقيق خالد عبد الرحمٰن العك ومروان سوار ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- تفسير الطبري ، المسمىٰ : « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، للطبري ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، عني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، بيروت ، لبنان . عمان ، الأردن .
- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ؛ الإمام الحافظ الفقيه المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي الشافعي (ت ٧٧٤ هـ) ، تصحيح مجموعة من العلماء ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٩ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- التفسير الكبير ، المسمىٰ : « مفاتيح الغيب » ، للرازي ؛ الإمام الأصولي المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر ابن الحسين البكري الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ) ، تصحيح مجموعة من العلماء ، ط ٣ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة البهية لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- تفسير الماوردي ، المسمى : « النكت والعيون » ، للماوردي ؛ الإمام الفقيه الأصولي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط ٢ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٨ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار اليسر ودار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، ط ٥ ، (دون تاريخ) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، لأبي هلال العسكري ؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال الحسن بن عبد الله بن

سـهل العسكري الأهوازي (ت بعد ٣٩٥ هـ) ، الدكتورة عزة حسن ، ط ٢ ، (١٩٩٦ م) ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، سورية .

- التمثيل والمحاضرة ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسـماعيل الثعالبي النيسـابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، مصر .

- تنزيه الشـريعة المرفوعة عن الأحاديث الشـنيعة الموضوعة ، لابن عراق ؛ الإمام الفقيه المحدث المشـارك سـعد الدين أبي الحسـن علي بن محمد بن علي الكناني الدمشـقي المدني الشـافعي (ت ٩٦٣ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الوهاب عبد اللطيف (ت ١٣٩٠ هـ) والعلامة عبد الله محمد الصديق الغُماري (ت ١٤١٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، طبعة مصورة لدئ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- التهجد وقيام الليل ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مصلح بن جزاء بن فدغوش الحارثي ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة الرشـد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- تهذيب الأسـرار ، للخركوشي ؛ الإمام الحافظ الفقيه العارف بالله عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي (ت ٤٠٧ هـ) ، تحقيق بسـام محمد بـارود ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، إصدارات السـاحة الخزرجية ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للمزي ؛ الإمام الحافظ المتقن الناقد جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمٰن بن يوسـف القضاعي المزي الشافعي (ت ٧٤٢ هـ) ، تحقيق الدكتور بشـار عواد معروف ، ط ١ ، (١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- التواضع والخمول ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق لطفي محمد الصغير ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار الاعتصام ، مصر .

- التوبة ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، مصر .

- التوبة ، لابن عساكر ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشـافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دائرة الأوقاف والشـؤون الإسلامية بدبي ، الإمارات العربية المتحدة .

- توضيح المشـتبه ، لابن ناصر الدين ؛ الإمام الحافظ محدث الشام المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين القيسـي الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢ هـ) ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- توضيح المشـتبه ، لابن ناصر الدين ؛ الإمام الحافظ محدث الشام المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين القيسـي الدمشقي الشافعي (ت ٨٤٢ هـ) ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٢ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الثبـات عند الممات ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الديـن أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشـي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق عبـد الله الليثي الأنصاري ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- الثقـات ، لابـن حبان ؛ الإمـام الحافظ المجود الرحلـة أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البسـتي الشـافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، عني به إبراهيم شـمس الدين وتركـي فرحان المصطفىٰ ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

- الجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ؛ الإمام الحافظ الكبير أبي محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي الشافعي (ت ٣٢٧ هـ) ، عني به العلامة عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني (١٣٨٦ هـ) ، ط ١ ، (١٢٧١ هـ ، ١٩٥٢ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدَّكَن بالهند لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- الجوع ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- حاشية الأمير علىٰ شرح عبد السلام على الجوهرة في علم الكلام ، للأمير الكبير ؛ الإمام المحقق البحر أبي محمد محمد بن محمد بن أحمد السنباوي الأزهري المالكي الشافعي (ت ١٢٣٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣ م) ، مطبعة محمد علي صبيح ، القاهرة ، مصر .
- حاشية العطار علىٰ « جمع الجوامع » ، للعطار ؛ الإمام العلامة الفقيه الأصولي الأديب شيخ الجامع الأزهر حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٣ هـ ، ١٨٩٣ م) ، نسخة مصورة عن المطبعة العلمية ، القاهرة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- حسن الظن بالله ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق عبد الحميد شانوحة ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- حقائق التفسير ، المسمىٰ : « تفسير السلمي » ، للسلمي ؛ الإمام الحافظ المفسر شيخ خراسان أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق سيد عمران ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، القاهرة ، مصر . بيروت ، لبنان .
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، للبيطار ؛ العلامة المؤرخ الشاعر عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي الحنفي (ت ١٣٣٥ هـ) ، تحقيق العلامة محمد بهجة البيطار (ت ١٣٩٦ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مجمع اللغة العربية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- الحيوان ، للجاحظ ؛ إمام البيان أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ الليثي الكناني (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة البابي الحلبي لدىٰ دار الجيل ، بيروت ، لبنان .
- الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، لابن حجر الهيتمي ؛ الإمام المجتهد الفقيه شيخ الإسلام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر السلمنتي الهيتمي السعدي المكي الشافعي (ت ٩٧٤ هـ) ، تحقيق عبد الكريم موسى المحيميد ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار الهدىٰ والرشاد ، دمشق ، سورية .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- الدعاء ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سعيد محمد حسن البخاري ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- دمية القصر وعصرة أهل العصر (ذيل يتيمة الدهر للثعالبي) ، للباخرزي ؛ الإمام الأديب الشاعر علي بن الحسن بن

علي بن أبي الطيب الباخرزي السبخي الشافعي (ت ٤٦٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، ط ٢ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار العروبة ، الكويت .

- دمية القصر وعصرة أهل العصر ، المسمىٰ : « ذيل يتيمة الدهر للثعالبي » ، للباخرزي ؛ الإمام الأديب الشاعر علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي السبخي الشافعي (ت ٤٦٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، ط ٢ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار العروبة ، الكويت .

- ديوان ابن المعتز ، ؛ الشاعر الأمير المبدع الغالب بالله أبي العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله محمد بن المتوكل العباسي (ت ٢٩٦ هـ) ، تحقيق وشرح مجيد طراد ، ط ١ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، ؛ الشاعر المطبوع أبي الشيص محمد بن علي بن عبد الله الخزاعي (ت ١٩٦ هـ) ، صنعة عبد الله الجبوري ، ط ١ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

- ديوان أبي بكر الشبلي ، ؛ الشاعر الأمير الزاهد أبي بكر دلف بن جحدر بن يونس الشبلي (ت حوالي ٣٣٤ هـ) ، تحقيق الدكتور كامل مصطفى الشيبي ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٦٧ م) ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، العراق .

- ديوان أبي تمام ، لأبي تمام الطائي ؛ أمير البيان وإمام اللغة أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الإمامي (ت ٢٣١ هـ) ، بشرح إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط ٥ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

- ديوان أبي نواس برواية الصولي ، ؛ لشاعر العراق في عصره أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول الحكمي (ت ١٩٨ هـ) ، تحقيق الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي ، ط ١ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة .

- ديوان البحتري ، للبحتري ؛ الشاعر الكبير أحد السلاسل الذهبية أبي عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي البحتري (ت ٢٨٤ هـ) ، شرح وتحقيق العلامة الدكتور حسن كامل الصيرفي (ت ١٤٠٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م) ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

- ديوان الراعي النميري ، ؛ للشاعر الفحل المحدث عبيد بن حصين النميري (ت ٩٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريفي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري ؛ إمام اللغة والأدب الناقد أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري الأهوازي (ت بعد ٣٩٥ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد سليم غانم ، ط ٢ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .

- ديوان الوزير الزيات ، ؛ لإمام اللغة والأدب الوزير البليغ محمد بن عبد الملك بن أبان ابن الزيات البغدادي (ت ٢٣٢ هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور جميل سعيد ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة .

- ديوان كثير عزة ، ؛ الشاعر المتيم المشهور كثير (عزة) بن عبد الرحمٰن بن الأسود الخزاعي المدني (ت ١٠٥ هـ) ، شرحه عدنان زكي درويش ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- ديوان مجنون ليلىٰ ، ؛ لشاعر الغزل مجنون ليلىٰ قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت ٦٨ هـ) ، جمع وتحقيق العلامة عبد الستار أحمد فراج (ت ١٤٠٢ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، مصر .

- ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، للسلمي ؛ إمام الصوفية وصاحب تاريخها الحافظ أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السلمي (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- ذم الهوىٰ ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- ذيل تاريخ بغداد ، لابن النجار ؛ الإمام الحافظ المؤرخ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن حسن ابن النجار

البغدادي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، للزمخشري ؛ الإمام البارع المفسر المتكلم النظار جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الحنفي (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الذخائر ، قم ، إيران .
- الرضا عن الله بقضائه ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق ضياء الحسن السلفي ، ط ١ ، (١٩٩٠ م) ، الدار السلفية ، الهند .
- الرعاية لحقوق الله ، للحارث المحاسبي ؛ الإمام الأصولي المتكلم الصوفي أبي عبد الله الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي البصري (ت ٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، ط ٤ ، (دون تاريخ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الرقة والبكاء ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام ، للأستاذ أبي سليمان جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري ، ط ١ ، (١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، لابن حبان ؛ الإمام الحافظ المجود الرحلة أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي الشافعي (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ) ومحمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي ، ط ١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الرياض النضرة في مناقب العشرة ، للمحب الطبري ؛ الإمام الحافظ الفقيه المحدث محب الدين أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن محمد الحسيني الشافعي (ت ٦٩٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد زهير الشاويش (ت ١٤٣٤ هـ) ، ط ٣ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- الزهد الكبير ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط ٣ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
- الزهد والرقائق برواية المروزي مع زيادات رواية نعيم بن حماد عليه ، لابن المبارك ؛ الإمام الحافظ الرحلة أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي (ت ١٨١ هـ) ، تحقيق العلامة المحدث حبيب الرحمٰن الأعظمي (ت ١٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة الهند لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الزهد ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق ياسين السواس ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار ابن كثير ، دمشق ، سورية .
- الزهد ، لابن حنبل ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، عني به محمد عبد السلام شاهين ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- الزهد ، لأبي داوود ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، ط ٢ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، مؤسسة أبي عبيدة ، القاهرة ، مصر .
- الزهد ، لهناد الدارمي ؛ الإمام الحافظ الثقة الزاهد أبي السري هناد بن السري بن مصعب التميمي الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٥ م) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .
- الزهد ، لوكيع ؛ الإمام الحافظ الجهبذ وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي (ت ١٩٧ هـ) ، تحقيق عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي ، ط ٢ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار الصميعي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- الزهـرة ، لابـن داوود الظاهري ؛ الأديب المناظر الفقيه الشـاعر أبي بكـر محمد بن داوود بن علـي الظاهري الأصبهاني (ت ٢٩٧ هـــ) ، تحقيق العلامة الدكتور إبراهيم السـامرائي (ت ١٤٢٢ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٥ هــ ، ١٩٧٥ م) ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن .
- سراج الملوك ، للطرطوشي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن الوليد بن محمد الفهري الطرطوشي الأندلسي المالكـي (ت ٥٢٠ هـــ) ، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسـات والتحقيق العلمي ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- سـنن ابـن ماجه ، لابن ماجـه ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسـر أبـي عبد الله محمد بـن يزيد بن ماجه الربعـي القزويني (ت ٢٧٣ هـــ) ، تحقيـق العلامة محمد فؤاد عبد الباقـي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٣ هــ ، ١٩٥٤ م) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .
- سـنن أبـي داوود ، لأبي داوود ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سـليمان بن الأشـعث بن إسـحاق الأزدي السجسـتاني (ت ٢٧٥ هـــ) ، تحقيق العلامة محمد عوامـة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار المنهـاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- سنن الترمذي ، المسمى : « الجامع الصحيح » ، للترمذي ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسىٰ محمد بن عيسى بن سورة السـلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شـاكر (ت ١٣٧٧ هـــ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) والشـيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هــ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- السـنن الكبـرىٰ ، للنسـائي ؛ الإمام الحافـظ الثبت أبي عبد الرحمـٰن أحمد بن شـعيب بن علي النسـائي الخراسـاني (ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- السنن الكبير ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسـن التركي ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة ، مصر .
- السـيرة الشامية ، المسماة : « سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وسلم » ، للصالحي ؛ الإمام المحدث المؤرخ شـمس الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي الصالحي الشامي الشافعي (ت ٩٤٢ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف العلامة محمد أبو الفضل إبراهيم (ت ١٤٠١ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، مصر .
- شـرح المواقف ، للجرجاني ؛ الإمام الفقيه الموسـوعي النادرة الشـريف أبي الحسـن علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسـيني الحنفي (ت ٨١٦ هـ) ، عني بتصحيحه السـيد محمد بدر الدين النعسـاني ، ط ١ ، (١٣٢٥ هـ ، ١٩٠٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة لدىٰ منشورات الشريف الرضي ، القاهرة ، مصر .
- شرح ديوان الحماسة ، للخطيب التبريزي ؛ إمام اللغة والأدب أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـــ) ، تحقيق العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة حجازي لدىٰ عالم الكتب ، القاهرة ، مصر .
- شـرح ديوان المتنبي ، المسمى : « التبيان في شـرح الديوان » ، للعكبري ؛ الإمام العلامة النحوي الأديب محب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي الحنبلي (ت ٦١٦ هـ) ، عني به مصطفى السقا والعلامة إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤ هـ) وعبد الحفيظ شـلبي ، الطبعة الأخيرة ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .
- شرح صحيح البخاري ، لابن بطال ؛ الإمام الحافظ الراوية الفقيه أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال البكري القرطبـي المالكي (ت ٤٤٩ هـ) ، عني به ياسـر بن إبراهيم ، ط ٣ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشـد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- شـرح صحيح مسلم ، المسمى : « المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج » ، للنووي ؛ شيخ الإسلام الحافظ المجتهد

الحجـة محيي الديـن أبي زكريا يحيى بن شـرف بن مُرِّي النووي الحزامي الدمشـقي الشـافعي (ت ٦٧٦ هـ) ، ط ١ ، (١٣٤٩ هـ ، ١٩٣٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة البهية لدئ مكتبة الغزالي ، دمشق ، سورية .

- الشكر ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، عني به أحمد محمد طاحون ، ط ١ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار عكاظ ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

- شـمائل النبي صلى الله عليه وسـلم ، للترمذي ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسئ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق محمد وائل الحنبلي ، ط ٢ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، دار البيروتي ، دمشق ، سورية .

- الصبر والثواب عليه ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- الصحـاح ، المسـمئ : « تاج اللغة وصحاح العربيـة » ، للجوهري ؛ أعجوبـة الزمان وأحد أئمة اللسـان واللغة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- صحيح البخاري ، المسـمى : « الجامع المسـند الصحيح المختصر من أمور رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة السـلطانية اليونينية) ، للبخاري ؛ إمام الدنيا حبر الإسـلام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بـن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار طوق النجاة ودار المنهاج ، بيروت ، لبنان . جدة ، المملكة العربية السعودية .

- صحيـح مسـلم ، المسـمى : « الجامع الصحيح المختصر من السـنن بنقل العـدل عن العدل عن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم » ، لمسـلم ؛ حافظ الدنيا المجود الحجة أبي الحسـين مسـلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـــ) ، عنـي به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هــ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، المملكة العربية السعودية . بيروت ، لبنان .

- صفـة الصفوة ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشـي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، صنع فهرسـه العلامة عبد السـلام محمد هـارون (ت ١٤٠٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .

- الصمـت وآداب اللسـان ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمـام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشـي الأموي البغـدادي (ت ٢٨١ هــ) ، تحقيق نجم عبد الرحمٰن خلـف ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الغرب الإسـلامي ، بيروت ، لبنان .

- طبقات الشافعية الكبرئ ، للتاج السبكي ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) والدكتـور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدئ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

- طبقات الشافعية ، لابن قاضي شهبة ؛ الإمام الفقيه المؤرخ القاضي تقي الدين أبي الصدق أبو بكر بن أحمد بن محمد ابن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي الشافعي (ت ٨٥١ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العليم خان ، ط ١ ، (١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م) ، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن ، الهند .

- طبقات الصوفية ، للسلمي ؛ إمام الصوفية وصاحب تاريخها الحافظ أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن محمد الأزدي السـلمي (ت ٤١٢ هـ) ، تحقيق نور الدين شريبه ، ط ٢ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المحقق سنة (١٩٥٣ م) لدئ دار الكتاب النفيس ، دمشق ، سورية .

- الطبقات الكبرئ ، المسماة : « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » ، للشعراني ؛ الإمام المجدد المحقق القدوة أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشـعراني الشـافعي (ت ٩٧٣ هـ) ، بعناية الشـيخ أحمد سـعد علي ، ط ١ ، (١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٤ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مصطفى البابي الحلبي لدئ دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- الطبقات الكبير ، لابن سـعد ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي عبد الله محمد بن سـعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري

(ت ٢٣٠ هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ، لأبي الشيخ ؛ الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ بن حيان الأصبهاني الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ) ، تحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي ، ط ٢ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- الطيوريات ، لأبي طاهر السلفي ؛ انتخبها الإمام الحافظ صدر الدين أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني (ت ٥٧٦ هـ) من أصول كتب الإمام المحدث أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي البغدادي ابن الطيوري (ت ٥٠٠ هـ) ، تحقيق دسمان يحيىٰ معالي وعباس صخر الحسن ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، دار أضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- العزلة والانفراد ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الوطن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- العزلة ، للخطابي ؛ الإمام الحافظ اللغوي الرحلة أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي الشافعي (ت ٣٨٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- العظمة ، لأبي الشيخ ؛ الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ بن حيان الأصبهاني الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ) ، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري ، ط ٢ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار العاصمة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، للدارقطني ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني البغدادي الشافعي (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمان زين الله (ت ١٤١٨ هـ) ومحمد صالح الدباسي ، ط ٣ ، (١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م) ، دار طيبة ودار ابن الجوزي ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- عوارف المعارف ، للسهروردي ؛ الإمام المحدث شيخ الصوفية شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي القرشي البغدادي الشافعي (ت ٦٣٢ هـ) ، تحقيق أديب الكمداني ومحمد محمود المصطفىٰ ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .

- عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق ثلة من أهل العلم ، ط ١ ، (١٣٤٣ هـ ، ١٩٣٠ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

- الفاضل ، للمبرد ؛ إمام النحاة والعربية أبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد البصري البغدادي (ت ٨٩٩ هـ) ، تحقيق العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، مصر .

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، بعناية العلامة محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩ هـ) وترقيم العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدىٰ مكتبة الغزالي ، دمشق ، سورية .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، للديلمي ؛ الإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه إلكيا الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- الفقيه والمتفقه ، للخطيب البغدادي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، ط ٢ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ؛ الإمام الفقيه الأديب زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين علي

المناوي القاهري الشـافعي (ت ١٠٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة عن المكتبة التجارية الكبرىٰ لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- القامـوس المحيط ، للفيروزاباذي ؛ الإمام الكبير بحر اللغة وشـيخ الإسـلام مجد الدين أبي طاهـر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزاباذي الشيرازي الشافعي (ت ٨١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- قرى الضيـف ، لابن أبـي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبـي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشـي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق عبد الله حمد المنصور ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار أضواء السـلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- قصـر الأمـل ، لابن أبي الدنيـا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشـي الأمـوي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد ، لأبي طالب المكي ؛ الإمام الفقيه شيخ الصوفية أبـي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي الشـافعي (ت ٣٨٦ هـ) ، بعناية العلامـة محمد الزهري الغمراوي (ت بعد ١٣٦٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٠ هـ ، ١٨٩٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشـفيع صلى الله عليه وسـلم (النص الكامل) ، للسـخاوي ؛ الإمام الحافظ الناقد شـمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد السخاوي القاهري الشـافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، دار اليسر ودار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .

- الكامـل في التاريـخ ، لابن الأثير ؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة عز الدين أبي الحسـن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجـزري الموصلي الشـيباني الشـافعي (ت ٦٣٠ هـ) ، حققه الدكتور عمر عبد السـلام تدمـري ، ط ٢ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

- الكامـل في ضعفاء الرجال ، لابن عدي ؛ الإمام الحافظ الناقـد الجوال أبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله ابن القطان الجرجاني الشـافعي (ت ٣٦٥ هـ) ، الطبعة الأولىٰ بتحقيق الدكتور سـهيل زكار ، والثالثة بقـراءة وتدقيق يحيىٰ مختار غزاوي ، ط ٣ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

- كشـف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشـتهر من الأحاديث علىٰ ألسـنة الناس ، للعجلوني ؛ محدث الشـام العلامة المفسر أبي الفداء إسـماعيل بن محمد جراح بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي الشافعي (ت ١١٦٢ هـ) ، ط ٣ ، (١٣٥١ هـ ، ١٩٣٢ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- كشـف المحجوب ، للهجويري ؛ الإمام المتبحر العارف بالله أبي الحسـن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي (ت بعد ٤٦٥ هـ) ، ترجمة محمود أحمد ماضي أبو العزائم ، تحقيق الدكتور أحمد السايح وتوفيق وهبة ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر .

- اللآلـئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، للسـيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر جـلال الدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد السـيوطي الخضيري الشـافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- لب اللباب في تحرير الأنسـاب ، للسـيوطي ؛ الإمام الحافظ البحر جلال الدين أبـي الفضل عبد الرحمـٰن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الخضيري الشافعي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، طبعة مصورة لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- اللباب في تهذيب الأنسـاب ، لابن الأثير ؛ الإمام المؤرخ النقاد النابغة عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري الموصلي الشيباني الشافعي (ت ٦٣٠ هـ) ، ط ٣ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

- لسـان العرب ، لابن منظور ؛ الإمام اللغوي الحجة المحدث جمال الديـن أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصـاري الإفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م) ، طبعة مصورة لـدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

ـ لســان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العســقلاني الكناني الشـافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .
ـ لطائف الإشــارات ، للقشيري ؛ الإمام العلم القدوة الأستاذ زين الإســلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشــيري النيسابوري الشــافعي (ت ٤٦٥ هـ) ، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني ، ط ٢ ، (١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م) ، طبعة مصورة لدى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر .
ـ اللمع ، للطوســي ؛ الإمام الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي بن محمد الســراج الطوســي الصوفي (ت ٣٧٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود (ت ١٣٩٨ هـ) وطه عبد الباقي سرور ، ط ١ ، (١٣٨٠ هـ ، ١٩٦٠ م) ، دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى ، القاهرة ، مصر ـ بغداد ، العراق .
ـ مجابــو الدعوة ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمــام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشــي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق عبد الله عبد العزيز أمين ، ط ١ ، (١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار الرسالة ، القاهرة ، مصر .
ـ المجالســة وجواهــر العلم ، للدينوري ؛ الإمــام الفقيه المحدث أبي بكــر أحمد بن مروان بن محمــد الدينوري المالكي (ت ٣٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ؛ الإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشافعي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
ـ المحب والمحبوب والمشــموم والمشروب ، للسري الرفاء ؛ الشاعر الأديب الوراق أبي الحسن السري بن أحمد بن السري الرفاء الكندي الموصلي (ت ٣٦٦ هـ) ، تحقيق مصباح غلاونجي ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .
ـ المحتضريــن ، لابن أبــي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبــي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشــي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
ـ مــرآة الجنــان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، لليافعــي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني المكي الشافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٧ هـ ، ١٩١٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدَّكَن لدى دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر .
ـ مرشــد الزوار إلى قبور الأبرار ، المسمى : « الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم » ، لموفق الدين ابن عثمان ؛ الإمام الفقيه العارف بالله موفق الدين أبي محمد بن عبد الرحمن بن مكي بن عثمان الشــارعي الأنصاري الشــافعي (ت ٦١٥ هـ) ، تحقيق محمد فتحي أبو بكر ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر .
ـ مرقاة المفاتيح شــرح « مشــكاة المصابيح » ، لملا علي القاري ؛ الإمام المحدث الفقيه نور الدين أبي الحسن ملا علي بن ســلطان محمد القاري الهروي المكي الحنفي (ت ١٠١٤ هــ) ، تحقيق جمال عيتاني ، ط ٢ ، (١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
ـ مساوئ الأخلاق وطرائق مكروهها ، للخرائطي ؛ الإمام الحافظ الحجة الأديب أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري الخرائطي الشــافعي (ت ٣٢٧ هـ) ، تحقيــق مصطفى عطا ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مؤسســة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان .
ـ المســتجاد من فعلات الأجواد ، للقاضي التنوخي ؛ الإمام القاضي الأديب أبي علي المحســن بن علي بن محمد التنوخي البصري (ت ٣٨٤ هـ) ، عني به الوزير الأديب المفكر محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي الدمشقي (ت ١٣٧٢ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سورية .
ـ المســتدرك على الصحيحين ، للحاكم ؛ الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم الطهماني النيســابوري الشافعي (ت ٤٠٥ هـ) ، وبهامشه تعليقات الأئمة : البيهقي والذهبي وابن الملقن وابن حجر العسقلاني ، ط ١ ، (١٤٣٥ هـ ، ٢٠١٤ م) ، دار الميمان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

- مسند أبي داوود الطيالسي ، للطيالسي ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي داوود سليمان بن داوود بن الجارود الطيالسي الفارسي البصري (ت ٢٠٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٢١ هـ ، ١٩٠٣ م) ، طبعة مصورة لدئ دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- مسند أبي يعلى الموصلي ، لأبي يعلئ ؛ الإمام الحافظ محدث الموصل أبي يعلئ أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ٢ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .
- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، لابن حنبل ؛ إمام أهل الدنيا الحجة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- مسند الدارمي ، المسمئ : « سنن الدارمي » ، للدارمي ؛ إمام أهل زمانه الحافظ الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن الفضل التميمي السمرقندي الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار المغني ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- مسند الشهاب ، المسمئ : « شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب » ، للقضاعي ؛ الإمام المحدث المفسر المؤرخ القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الشافعي (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- المصباح المنير ، للفيومي ؛ الإمام العلامة النحوي شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي الفيومي الشافعي (ت ٧٧٠ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان .
- المصنف ، لابن أبي شيبة ؛ الإمام العلم سيد الحفاظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- المعارف ، لابن قتيبة الدينوري ؛ إمام الأدب واللغة القاضي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، طبعة مصورة لدئ دار الشريف الرضي ، قم ، إيران .
- معجم الأدباء ، المسمئ : « إرشاد الأريب إلئ معرفة الأديب » ، لياقوت الحموي ؛ العلامة المؤرخ الأديب الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) ، قدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م) ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان .
- المعجم الأوسط ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموي ؛ العلامة المؤرخ الأديب الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) ، عني به المستشرق وستنفيلد ، ط ٢ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- معجم السفر ، لأبي طاهر السلفي ؛ الإمام الحافظ الرحلة المفتي صدر الدين أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الجرواءاني السلفي الأصبهاني الشافعي (ت ٥٧٦ هـ) ، تحقيق عبد الله عمر البارودي ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- معجم الشعراء ، للمرزباني ؛ العلامة الأخباري الأديب أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الخراساني (ت ٣٨٤ هـ) ، تحقيق الدكتور فاروق اسليم ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٥ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- المعجم الصغير ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، ط ١ ، (١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م) ، طبعة مصورة لدئ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- المعجم الكبير ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، ومعه : « الأحاديث الطوال » ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

- المعجم المفهرس ، المسمىٰ : « تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة » ، لابن حجر العسقلاني ؛ الإمام الحافظ الحجة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق محمد شكور امرير المياديني ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- معرفة الصحابة ، لأبي نعيم الأصبهاني ؛ الإمام الحافظ المؤرخ الثقة أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد المهراني الأصبهاني الشافعي (ت ٤٣٠ هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار الوطن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للسخاوي ؛ الإمام الحافظ الناقد شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمـٰن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي (ت ٩٠٢ هـ) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغُماري وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .
- مكارم الأخلاق ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق الشيخ بشير محمد عيون (ت ١٤٣١ هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، سورية .
- مناقب الشافعي ، للبيهقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق العلامة السيد أحمد صقر (ت ١٤١٠ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩١ هـ ، ١٩٧١ م) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، مصر .
- المنامات ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، مصر .
- المنتخب من السياق لتكملة تاريخ نيسابور ، للصريفيني ؛ الإمام المحدث الفقيه الرحلة تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر العراقي الصريفيني الحنبلي (ت ٦٤١ هـ) ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، ويليه « طرق حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في ترائي الهلال » ، للخطيب البغدادي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .
- المنتخب من مسند عبد بن حميد ، للكشي ؛ الإمام الحافظ الثقة الجوال أبي محمد عبد الرحمـٰن بن حميد بن نصر الكشي (ت ٢٤٩ هـ) ، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبي العينين ، ط ١ ، (١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م) ، مكتبة ابن عباس ، المنصورة ، مصر .
- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- المنثور ، لابن الجوزي ؛ الإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمـٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق هلال ناجي ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- المواقف في علم الكلام ، للإيجي ؛ الإمام القاضي الأصولي عضد الملة والدين أبي الفضل عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عبد الغفار البكري الشيرازي الإيجي الشافعي (ت ٧٥٦ هـ) ، ط ١ ، (دون تاريخ) ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، مصر .
- المؤتلف والمختلف ، للدارقطني ؛ الإمام الحافظ الحجة أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني البغدادي الشافعي (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- الموشىٰ أو الظرف والظرفاء ، للوشاء ؛ الإمام الأديب أبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) ، تحقيق كمال مصطفىٰ ، ط ٣ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

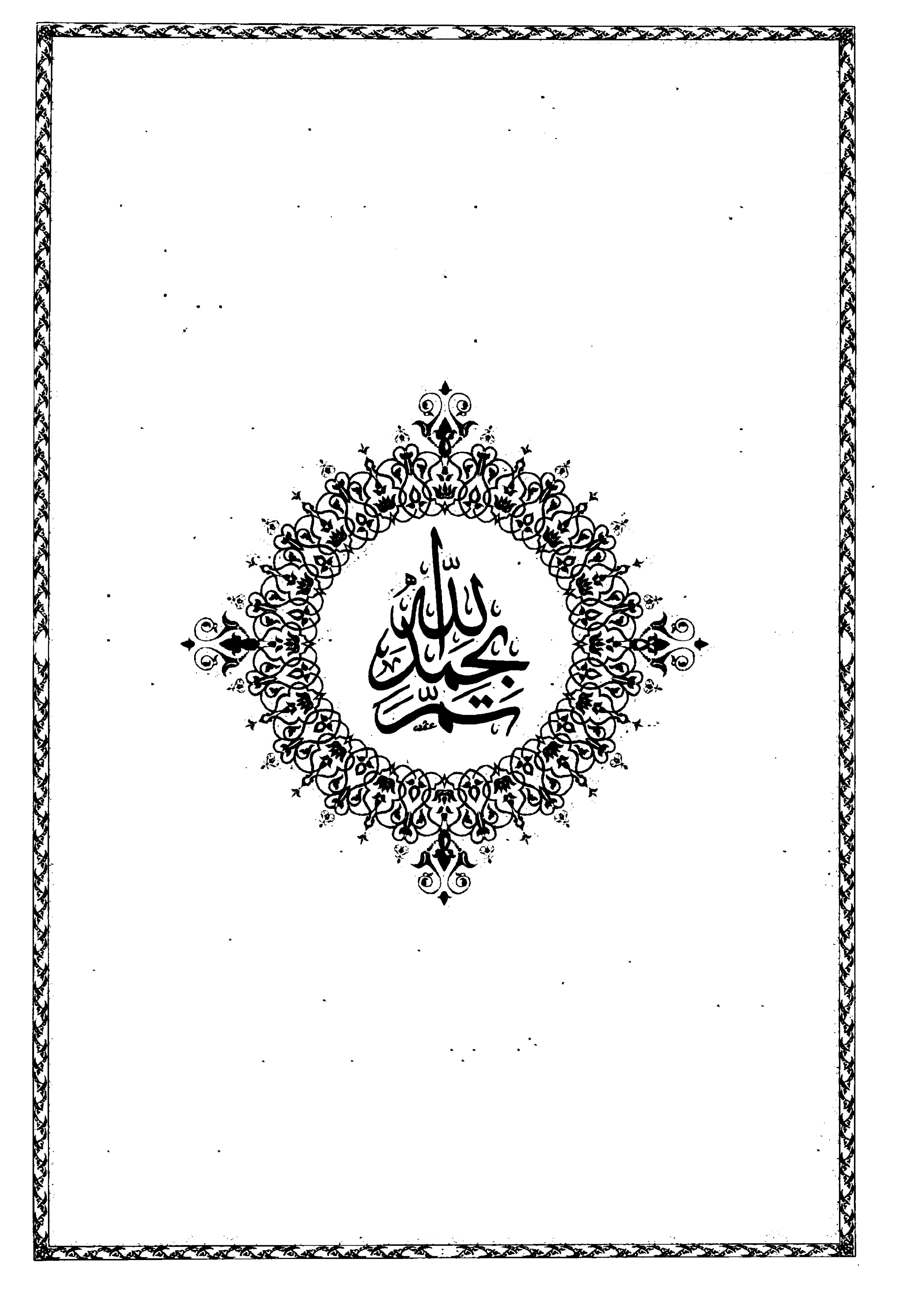
- الموطأ ، لمالك بن أنس ؛ عالم المدينة وإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن نافع الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٧١ هـ ، ١٩٥١ م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، مصر .
- نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية ، للعروسي ؛ الإمام الفقيه شيخ الجامع الأزهر مصطفى بن محمد بن أحمد العروسي الشافعي (ت ١٢٩٣ هـ) ، ط ١ ، (١٢٩٠ هـ ، ١٨٧٠ م) ، نسخة مصورة عن نشرة دار الطباعة العامرة ، القاهرة ، مصر .
- النسبة إلى المواضع والبلدان ، للطيب بامخرمة ؛ الإمام المحدث الفقيه المؤرخ أبي محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد بامخرمة الهجراني الحضرمي الشافعي (ت ٩٤٧ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤ م) ، مركز الوثائق والبحوث ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة .
- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض ، للشهاب الخفاجي ؛ الإمام القاضي الأديب شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشهاب الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩ هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، للحكيم الترمذي ؛ الإمام الولي المحدث المفسر الحكيم أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن المؤذن الترمذي الصوفي الشافعي (ت ٣١٨ هـ) ، تحقيق الدكتور نور الدين جيلار البوردري ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- الهم والحزن ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، ط ١ ، (١٤١٢ هـ ، ١٩٩١م) ، دار السلام ، القاهرة ، مصر .
- الوافي بالوفيات ، للصفدي ؛ الإمام المؤرخ الأديب صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكي الصفدي الدمشقي الشافعي (ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ٢ ، (١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢ م) ، دار فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ألمانيا .
- الورع ، لابن أبي الدنيا ؛ الإمام الحافظ المؤدب أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي الأموي البغدادي (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار الجفان والجابي ودار ابن حزم ، بيروت ، لبنان .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ؛ الإمام المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي الدمشقي الشافعي (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، للثعالبي ؛ إمام اللغة والأدب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، (١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

* * *

فهرس تفصيلي للكتاب (1)

(١) تمَّ الاستئناس في إنشاء هـٰذا الفهرس التفصيلي أصالةً بنسخة الإمام المحدث أبي إبراهيم إسحاق بن محمود البروجردي ، المشرف علىٰ خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة ، وكان قد كتبها سنة (٦١٠ هـ) وهي النسخة (ج) ، مع إضافة العنونات الرئيسة ، وإيضاح العنونات المختصرة ، وزيادات كثيرة وتفصيلات نافعة .

❋ ❋ ❋


تمت بحمد الله

